جمهورية السودان

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية أصول الدين - قسم العقيدة

الاتفاق بين أهل القبلة في أصول الاعتقاد

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة الإسلامية

إعداد الطالب/

صفوان أحمد مرشد البارقي الأزدي

بإشراف فضيلة البروفيسور/

شوقي بشير عبدالمجيد

عميد الدراسات العليا بجامعة أم درمان الإسلامية سابقاً

١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الاتفاق بين أهل القبلة
في أصول الاعتقاد

الإهــــداء

إلى السائرين على نهج النبوة إيماناً وجهاداً وعملاً.. سلوكاً وأخلاقاً ومثلاً..

إلى علمائنا ومشايخنا في الدين..

إلى كل عالم رباني عامل..

إلى كل مجاهد ومرابط صادق..

إلى كل داعية مخلص..

إلى كل أخ جمعتني به عقيدة التوحيد..

إلى أمي الغالية.. وأبي الفاضل.. وزوجتي الكريمتين..

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع..

الشكر والثناء

أحمد ا الذي وفقني وأنعم علي بإتمام هذا البحث، وأشكر الفضل لأهله.

وأتقدم بالشكر الجزيل عموماً لكل من مد يد العون لي في هذا البحث، وساهم معي دلالة وإرشاداً ونصحاً، أبوي وإخواني وسائر زملائي وأقراني، وأخص منهم زوجتي الأولى الشيخة/ أم السمح – حماها ا بالفضيلة – والتي ساهمت معي بالترتيب والتصحيح، وأخي زيد وفقه ا لكل خير، والذي بذل جهداً مشكوراً في المراجعة، وأخي في ا سلطان البدر الذي تجشم عناء الطباعة والتنسيق.

وأخص ـ قبل هؤلاء بالشكر الجزيل والثناء العطر ـ جامعة الإيمان واليمن والبركة التي تخرجت فيها ونهلت من معين علمائها ممثلة بصاحب الفضيلة الشيخ المجاهد والعالم الرباني أ.د/عبدالمجيد بن عزيز الزنداني،رئيس الجامعة ومؤسسها، وكافة إخوانه وأعوانه من أهل الفضل والتقى والورع والعلم والعطاء والجود والبذل، وأسأل ا أن يجزل لهم المثوبة، ويجزيهم خير الجزاء، والشكر موصول لجامعة أم درمان الإسلامية ممثلةً بمديرها العالم الفاضل أ.د/ محمد عثمان صالح، وجميع منتسبيها والعاملين فيها.

وأشفع بهذا الشكر ثنائي الجميل لأستاذي الكبير وشيخي الفاضل، البروفيسور/ شوقي بشير عبدالمجيد، الذي تكرم بقبول الإشراف على رسالتي، وغمرني بفضله فتجشم العناء في القراءة والتصحيح، والمناقشة والإرشاد والتوضيح، وكان نعم الشيخ المتواضع في أخلاقه الواسع في طباعه، الغزير في علمه، الدقيق في ملاحظاته، وقد أسرني بحسن فعاله،وأحاطني بجميل صنيعه، فأسأل ا أن يثيبه الخير كله، وأختم بالمسك المستطاب مكللاً شكري الجزيل للمناقشين الشيخين الفاضلين، على ما سيقدماه من جواهر فريدة وملاحظات سديدة، آخذها بعين الاعتبار إن شاء ا تعالى، وا المستعان وعليه وحده التكلان، والحمد أولاً وآخراً .

ملخص الرسالة

وقد اشتملت خطة البحث على بابين وخاتمة:

الباب الأول:أهل القبلة و الاتفاق في الأصول العقدية الإيمانية، وضمنته ثلاثة فصول، تناولت في الفصل الأول التعريف بالمصطلحات وضبط المفهوم، وتكون من خمسة مباحث:

المبحث الأول: تناولت فيه الاتفاق والإجماع وعرفت بهما لغة واصـطلاحاً عند الفقهاء والأصوليين وعلماء الكلام، وبينت الفرق بينهما في ثلاثة مطالب.

المبحث الثاني: تعريف القبلة لغة وشرعاً؛ تناولت فيه تعريف القبلة لغة وشرعاً، مبيناً قيود التعريف المختار، والمقصود بالقبلة (الكعبة) موضحاً حدها وأسماءها ووصفها وسبب التسمية.

المبحث الثالث: التعريف بأهل القبلة؛ وتضمن تمهيد وخمسة مطالب احتوت على المعاني المرادفة لأهل القبلة، واختلاف العلماء في أهـل القبلـة، ومناقشـة أقوالهم مع الترجيح، وبيان المعنى الشرعي المختار لمصطلح أهل القبلـة وقيـود التعريف المختار ومحترزاته.

المبحث الرابع: ضبط مفهوم أهل القبلة؛ وتضمن ثلاثة مطالب، تناولت فيهـا ضبط مفهوم أهل القبلة من خلال الاتفاق على ضبط مواضع التكفيـر، وضـبط موانع التكفير، وضبط منهج السلف في التكفير، وتفريقهم بين التكفير المطلق كبيان لحكم لشرعي، وتكفير المعين كتنزيل لذلك الحكم يصلح في الوقائع القضائية.

المبحث الخامس: تعريف أصول الاعتقاد لغة واصطلاحاً؛ وتضـمن ثلاثـة مطالب؛ بينت فيها تعريف الأصول لغة واصـطلاحاً، وتعريـف الاعتقـاد لغـة واصطلاحاً وتعريف المركب الإضافي (أصول الاعتقاد) مبيناً العلاقة بين المعاني اللغوية والمعنى الاصطلاحي المختار.

الفصل الثاني: الإيمان معناه اللغوي وحقيقته الشرعية، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان ومعناه اللغوي، ويقع في ثلاثة مطالب، تناولت فيها معاني الإيمان في اللغة والعلاقة بينها، والترادف في معاني الإيمان، من حيث اللغة، ومن حيث اللغة والشرع، وبينت العلاقة بين المعنى الشرعي والمعنى اللغوي للإيمان متناولاً بعض المسائل المهمة في الباب.

المبحث الثاني: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند أهل السنة والجماعة من السلف، واحتوى خمسة مطالب: تناولت فيها المقصود بأهل السنة والجماعة مبيناً المستند الشرعي لهذه التسمية والفرق المندرجة تحتها، بالمعنى العام، ثم تناولت الإيمان الشرعي عند أهل السنة والجماعة من السلف، وهو قول اللسان واعتقاد الجنان وعمل الجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، وتناولت بالدراسة ما روي عن الصحابة دالاً على هذا التعريف مع تحقيق الأسانيد إليهم رضي ا تعالى عنهم، مشيراً إلى الإسناد وأهميته في توثيق النقول، وحكمت على الآثار بدراسة سند كل أثر على حدة، وأشرت إلى ضعف أغلبها، ثم ذكرت ما روي عن أئمة المذاهب المتبوعين (مالك والشافعي وأحمد)، دالاً على التعريف المختار عند أهل السنة والجماعة، ودرست الأسانيد وحكمت عليها، ثم ذكرت ما روي عن بقية الأئمة من سلف هذه الأمة في نقلٍ إجمالي بسرد أسمائهم ونقل تفصيلي لجملة من أقوالهم، وختمته بنقول عن أهل السنة من العلماء المعاصرين.

المبحث الثالث: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند أهل السنة والجماعة من المتكلمين، تناولت فيه معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند الأشاعرة، الذين اختلفوا على ثلاثة مذاهب أولها: موافقة السلف، من خلال دراسة مذهب أبي الحسن الأشعري مشيراً إلى قولين له أرجحهما عندي ما وافق فيه السلف، وكذلك دراسة مذهب الأشاعرة من خلال ما ذهب إليه الجويني من أن المرضي عنده أن حقيقة الإيمان هي التصديق والتصديق على التحقيق كلام النفس، وتناولت بالدراسة مذهب الباقلاني من خلال كتابيه: التمهيد والإنصاف، وخلصت إلى موافقته للسلف من أهل السنة فيما ترجح لي. والثاني من مذاهب الأشاعرة: مذهب مرجئة

الفقهاء، الذي أخرجوا فيه العمل عن مسـمى الإيمـان. والثالـث مـن مـذاهب الأشاعرة: ما ذهب إليه الجويني.

ثم تناولت معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند الماتريدية على اختلاف بينهم في ذلك على قولين المنسوب إلى جمهورهم أنه التصديق بالقلـب فقـط، وقـال الآخرون: هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان، وهو مـذهب مرجئـة الفقهـاء. ونقلت عن أئمتهم ما يبين ذلك.

المبحث الرابع: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند بقية الفرق والطوائـف؛ وتضمن تمهيد وثلاثة مطالب؛ وضحت فيها تناولي في هذه الدراسة لكبرى الفرق التي لها حضور في واقعنا المعاصر، فبينت معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عنـد المرجئة بدراسة مذهب مرجئة الفقهاء أنموذجاً، وتناولت جملة من المسائل منهـا: تحقيق أقوال فرق المرجئة وطوائفها، ومواطن اتفاق المرجئة مـع أهـل القبلـة، وحقيقة خلاف المرجئة مع أهل القبلة.

وبينت معنى الإيمان وحقيقته عند الإباضية، مشيراً إلى تحفظي على إطلاق نسبتهم إلى الخوارج لعدم رضا الإباضية بذلك، وبينت معنـى الإيمـان وحقيقتـه الشرعية عند المعتزلة بدراسة الزيدية أنموذجاً، وتبـين لـي موافقـة الخـوارج والمعتزلة لمذهب السلف في بيان حقيقة الإيمان على سبيل العمـوم لا التفصـيل، فالإيمان يزيد وينقص ويتجزأ عند السلف، وهو كـل لا يتجـزأ عنـد الخـوارج والمعتزلة، ولذلك كفروا بالذنب. ثم ذكرت مواضع الاتفـاق فـي بـاب الإيمـان ومسماه وحقيقته الشرعية.

المبحث الخامس: حكاية الإجماع في أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، والتحقق من وقوعه، وبيان المراد به، تناولت بالدراسة عبارات الأئمة التـي نقلـوا فيهـا الإجماع، والترجيح في صحة حكاية الإجماع ووقوعه، ووجهت الأقوال مختـاراً أقواها.

الباب الثاني: أصول الاعتقاد كما وردت في حديث جبريل:

وفيه تمهيد وفصلان:

الفصل الأول: توحيد ا سبحانه وتعالى، واحتوى على تمهيد ومبحثين؛ تناولت في التمهيد مشروعية تقسيم التوحيد إلى أقسام، وأن الأمر اصطلاحي لا نصي وفيه سعة لمن قسم ومن لم يقسم.

المبحث الأول: الإيمان بوجود ا سبحانه وتعالى وتوحيده في ربوبيته وألوهيته، وتناولت فيه الإيمان بوجود ا عند سائر البشر وأهل القبلة من باب أولى، وأدلة وجود ا وعدم انحصارها، وطرق إثبات وجود ا تعالى بين المتكلمين الذين اعتمدوا النص وقدموا العقل، وطريقة السلف الذين أثبتوا وجود ا في النقل وبالعقل دون تقديم لأحدهما على الآخر، ووفقت بين طريقة السلف وطريقة المتكلمين، وبينت منهج القرآن في الاستدلال بالآيات الكونية على وجود ا تعالى.

وتناولت في مطلب آخر توحيد ا في الربوبية والألوهية معرفاً للتوحيد بنوعيه لغة وشرعاً، ومبيناً لأدلة ثبوته ولموقف المشركين من توحيد الربوبية والألوهية، ومواضع الاتفاق بين أهل القبلة في التوحيد بنوعيه.

المبحث الثاني: توحيد ا في الأسماء والصفات، بينت فيه أهمية معرفة الأسماء والصفات وبيان المراد بها محذراً من الإلحاد فيها. ثم بينت أقسام الصفات عند أهل القبلة مبتدئاً بالنفاة من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، ومثنياً بالصفاتية المثبتة.

ثم بينت مناهج أهل القبلة في الأسماء والصفات مبتدئاً بمناهج النفاة من الجهمية والمعتزلة ومثنياً بمناهج المثبتة مبيناً أقسامهم في الإثبات بين إثبات للصفة مع التفويض، بمسالكه: تفويض الكيف وإثبات المعنى الظاهر اللائق با ، وتفويض الكيف ونفي المعنى الظاهر، وتفويض الكيف والمعنى دون نفي الظاهر، والقسم الثاني مثبت للصفة مع التأويل؛ كعامة الأشاعرة والماتريدية، والقسم الثالث مثبت للصفة مع التشبيه.

وختمت الفصل بمواضع الاتفاق بين أهل القبلة في الأسماء والصفات.

الفصل الثاني: الإيمان ببقية الأركان (الملائكة، والكتب، والرسـل، واليـوم الآخر، والقدر) ومواضع الاتفاق عند أهل القبلة، وتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في الملائكة والكتب والرسل، وفيه أربعة مطالب تناولت فيها التعريف اللغوي والشرعي بالملائكة، وحكم الإيمان بهم، وأصول الاعتقاد المتعلقة بالملائكة، والمقصود بالكتب السماوية، ومكانتها، وحكم الإيمـان بهـا، وعلاقـة بعضها ببعض.

وبينت مكانة الإيمان بالرسل، والمقاصد والحكم الشـرعية مـن إرسـالهم، ومكانة الإيمان بهم، ووظائفهم، والمقصود بالإيمان بالرسل عليهم السلام. ونقلـت ما ورد من الإجماع في هذا الباب، ومواضع الاتفاق بين أهل القبلة فيه.

المبحث الثاني: الإيمان باليوم الآخر، وفيه مطلبان بينت فيهما مكانة الإيمان باليوم الآخر، والمقصود به وإطلاقاته الاصطلاحية وأسمائه الشرعية، ثـم بينـت الإيمان بما يقع في اليوم الآخر من المشاهد والمواقف والأحوال، من فتنـة قبـر وبعث وحشر وشفاعة وحساب وميزان وحوض وصراط وجنـة ونـار، وبينـت مواضع اتفاق أهل القبلة في ذلك.

المبحث الثالث: الإيمان بالقدر خيره وشره، وفيه تمهيـد وثلاثـة مطالـب، تضمنت تعريف القدر لغة وشرعاً ومكانة الإيمان بالقدر وأدلة ثبوتـه، ومراتـب القدر وإجماع أهل القبلة على وجوب الإيمان بالقدر.

كما تضمن بيان الحد الأدنى من المعرفة للقدر والإيمان به وأقوال أهل القبلة فيه (المعتزلة، الجبرية، أهل السنة ومن وافقهم).

ثم ختمت الرسالة بعرض مختصر لأهم نتائج البحـث وذيلتهـا بالفهـارس المهمة: فهرس الآيات، ثم الأحاديث والآثار، ثم الأعلام المترجم لهم، ثـم الفـرق والطوائف، ثم المصادر، ثم الموضوعات.

وهذا جهد الضعيف المقل، المتعثر بذنوبه، والذي لا شـك أن فيـه مـن التقصير ما يترك المجال أمام الناظر للتعديل والتبديل، وإكمال النواقص وتسـديد الثغرات، وأرجو ا ألا يخلو هذا البحث من الفائدة، وأطمع فـي هـذا المجلـس

العلمي المباركبملاحظات المشايخ الفضلاء التي ستكسو البحث حللاً مـن بهـاء، وأسأل من ا   أن تبلغ به المنتهى- آمين-.

كما أسأله أن يوفقني للإخلاص في هذا العمل، وأن يغفر لي خطيئتـي وأن يستر عيبي ويتجاوز عن زلتي، وأسأله أن يجزل الأجر والثواب لمن أشرف عليها وناقشني فيها مسدد ومصوباً ومصححاً.

Abstract Of the Dissertation

The plan for the research includes two sections and a conclusion

The First Chapter:

Muslim agreement (or The agreement of the people of the Qiblah) on doctrinal principals. This chapter contains three parts. The first part addresses the definition of terms and a precise description; this section is comprised of five sections.

Section One: It addresses agreement and consensus, giving their linguistic definitions as well as their definitions as terms used by scholars of Islamic Jurisprudence, Fundamentals of Islam, and Islamic Theology. It also clarifies the difference between the two definitions in three issues.

Section Two: The definition of *Al-Qiblah* (The Prayer Orientation) linguistically and according to Shari'ah. I addressed the definition linguistically and according to Shari'ah, clarifying the limiting qualifiers of the preferred definition and the meaning of *Al-Qiblah* (the *Ka'bah*) clarifying its boundries, its names, its description, and the reason that it was given this name.

Section Three: The definition of *Ahl Al-Qiblah* (The People of the *Qiblah*); This includes an introduction and five issues that include the meanings of synonyms for *Ahl Al-Qiblah* and the differences between scholars regarding the meaning of *Ahl Al-Qiblah*, and a discussion of their views and clarification of the preponderant view from among them, and a clarification of the preferred Shari'ah meaning for the term *Ahl Al-Qiblah*, and the limiting qualifiers of the preferred definition, and the excluded meanings of the definition.

Section Four: Precisely describing the concept of *Ahl Al-Qiblah*; this includes three issues wherein I addressed the precise definition of the concept of *Ahl Al-Qiblah* by way of the agreement regarding the situations wherein *takfeer* (declaring a person to be a disbeliever) is to be performed, the issues that prevent *takfeer*, and precisely describing the methodology of the *Salaf* (the Pious Predecessors) regarding *takfeer*, and differentiating between unspecefied *takfeer* as the clarification of a *Shari'ah* ruling, and declaring *takfeer* on a specific person as an application of that ruling that is appropriate in our current judicial/legal situation.

Section Five: A definition of *Usool Al-I'tiqaad* (the principles of belief) linguistically and as a term; this includes three issues; wherein I clarified the definition of Usool linguistically and terminologically, the definition of Al-I'tiqaad linguistically and terminologically, and the compound definition by annexation of the two words (*Usool Al-I'tiqaad*) clarifying the relationship between the linguistic meanings and the preferred terminological meaning.

Part Two: The linguistic and terminological meaning of *Al-Emaan* and its reality according to Shari'ah. This includes five sections:

Section One: *Al-Emaan* (faith) and its linguistic meaning. This comes within three issues wherein I addressed to *Al-Emaan* linguistically he meanings

of *Al-Emaan* linguistically and the relationship between them, the synonyms for the linguistic and Shari'ah meaning of *Al-Emaan*, and I clarified the relationship between the Shari'ah meaning and the linguistic meaning of *Al-Emaan* addressing some of the important issues in this chapter.

Section 2: The Shari'ah meaning of *Al-Emaan* according to *Ahl As-Sunnah wal-Jama'ah* (The people who hold fast to the sunnah and the community) from the *Salaf* (Pious Predecessors).This contains five issues: wherein I dealt with the meaning of *Ahl As-Sunnah wal-Jama'ah* clarifiying the Shari'ah basis for this name and the sects that fall under it, and the general meaning. Then I dealt with Shari'ah recongnized Emaan according to *Ahl As-Sunnah wal-Jama'ah* from the *Salaf* which is the statement of the tongue and the belief of the mind, and the deeds of the limbs and the pillars, it increases with obedience and decreases with disobedience. Through a study, I dealt with the statements of the Companions that indicate this definition in addition to verifying the attribution of the chains of narration to the Companions, may Allah the Exalted be pleased with them. In doing so, I also mentioned the issue of the chain of narration and its importance in verifying transmitted statements, and I judged the narrations by individually studying each chain of narration, and I indicated the weakness of most of them. Then I mentioned what was narrated from the Imams of the followed schools of jurisprudence (Maalik, Ash-Shaafi'i, and Ahmad) that is evidence for the preferred definition according to *Ahl As-Sunnah wal-Jama'ah* and I studied their chains of narration and categorized them according to their strength or lack thereof, then I mentioned what was related by the rest of the Imams of the Salaf of this Islamic nation by transmitting in a general manner by mentioning their names, and by transmitting in a detailed manner all of their statements. I concluded this section by with narrations from *Ahl As-Sunnah* from modern scholars.

Section Three: The meaning of *Al-Emaan* and its true *Shari'ah* meaning according to scholars of Kalaam (logic based theology) from *Ahl As-Sunnah wal-Jama'ah*. Herein, I have addressed the meaning of *Al-Emaan*, its true *Shari'ah* meaning according to the Ash'arites who were split into three schools, the first of which comprises: Those who agree with the *Salaf*, by way of studying the school of Abu Al-Hasan Al-Ash'ari, making reference to two of his statements, the most correct of which, in my opinion, is that which agrees with the Salaf. Likewise, I have presented a study of the Ash'arite school through study of Al-Juwayni's opinion that he considered that *Al-Emaan* is belief, and belief in its true sense is a statement within oneself. I also dealt with the opinion of Al-Baaqilaani in a study of two of his books: *At-Tamheed* and *Al-Insaaf*, and the preponderant position in my opinion is that he agrees with the views of the *Salaf* of *Ahl As-Sunnah*. The second Ash'arite school comprises the School of the Murji'ah Scholars of Jurisprudence that excluded deeds from the definition of *Al-Emaan*. The third school of the Ash'arites is that which was taken by Al-Juwayni.

Then I dealt with the meaning of Al-Emaan and its true Shari'ah meaning according to the Maturidites with the differing between them into two opinions

attributed to their majority that Al-Emaan is belief with the heart only, and the others said, "It is belief with the heart and profession of the tongue." And this is the opinion of the Murji'ah Scholars of Jurisprudence and narrations have been transmitted from their Imams to support this.

Section Four: The meaning of *Al-Emaan* and its true Shari'ah meaning according to the rest of the sects and groups. This includes an introduction and three issues: in which I clarified my understanding in this study of the major groups that are present in our current situation. I clarified the meaning of *Al-Emaan* and its true Shari'ah meaning according to the *Murji'ah* by studying examples of the school of thought of the *Murji'ah* scholars of jurisprudence. I addressed several issues including: Verification of the statements of the *Murji'ah* groups and sects, and the areas in which the *Murji'ah* agree with *AhlAs-Sunnah*, and the truth regarding the difference between the *Murji'ah* and *Ahl Al-Qiblah*.

I also clarified the meaning of *Al-Emaan* and its true meaning according to the Kharijites by studying examples from the Ibaadis and I clarified therein the meaning of *Al-Emaan* and its true Shari'ah meaning according to the Mu'tazilites by studying examples from the Zaidites, and it appeared to me that the Kharijites and the Mu'tazilites agreed with the opinion of the Salaf in clarification of the true meaning of *Al-Emaan* in general, but not in detail. For *Al-Emaan* increases and decreases and can be divided according to the *Salaf*, however it is a whole that cannot be divided according to the Kharijites and the Mu'tazilites, and it is for this reason that they said that a person becomes a disbeliever by committing a sin. Then I mentioned *the areas in which they agree with the Salaf in the area of Al*-Eman and its true essence and its true Shari'ah meaning.

Section Five: Relating the consensus that *Al-Emaan* is belief, statement, and deed, and verification of its occurance, and clarifying the meaning of it, I studied the statements of the Imams in which they related consensus, and preponderance with regard to the authenticity of the narration of consensus and its taking place, and I dealt with the statements choosing the strongest of them.

The Second Chapter:The principles of belief as they were mentioned in the hadith of Jibril (Gabrael). This includes an introduction and two parts:

The First Part: The Oneness of Allah the Most Perfect and Exalted. This part contains an introduction and two sections; In the introduction, I dealt with the permissibility of dividing the Oneness of Allah into categories, and that the issue is terminological not textual, and that there is room therein for both those who divide and for those who do not.

Section One: The belief in the existence of Allah the Most Perfect and Exalted, and His Oneness in His Lordship and His Divinity. Herein I dealt with the belief in the existence of Allah according to other peoples and thus moreso according to *AhlAl-Qiblah* (Muslims) and the evidence for the existence of Alah and the fact that it is unlimited, and the ways to prove the

existence of Allah the Exalted that were established by the Scholars of Kalaam who depended on texts but put logic before it, and the way of the Salaf who proved the existence of Allah through transmitted texts along with intellect, without preferring one over the other, and I joined the way of the Salaf and the way of the Scholars of *Kalaam* and clarified the Qur'anic methodology in proving the existence of Allah using the signs in creation.

In another issue, I dealt with Allah's Tawheed (Oneness) in Rububiyyah (Lordship) and Uluhiyyah (Divinity), defining Tawheed linguistically and according to Shari'ah, and clarifying evidence that establishes it and the position of the polytheists with regard to the Oneness of Lordship and Divinity, and the areas of agreement between Ahl Al-Qiblah in Tawheed with both of its types.

Section Two: Tawheed of Allah in His Names and Attributes. Herein I clarified the importance of knowing the names and attributes and clarification of the meaning of them warning against committing heresy with regard to them. Then I clarified the divisions of the Attributes according to Ahl Al-Qiblah starting with the negators from the Jahmites and the Mu'tazilites and those who agreed with them, pairing them with those who established the Attributes.

Then I clarified the methodology of Ahl Al-Qiblah with regard to the Names and Attributes beginning with the methodologies of those who denied [the Attributes] from the Jahmites and the Mu'tazilites, pairing them with the methodologies of those who affirmed them, clarifying their divisions in affirmation – between affirming the attribute while entrusting [the understanding of the Attributes to Allah], with all of its forms: affirming [the understanding of the state of the Attribute to Allah], affirming the literal meaning that is befitting of Allah, entrusting [the understanding of the state of the Attribute to Allah] and denying the literal meaning, and entrusting [the understanding of the state of the Attribute to Allah] and the meaning [to Allah] without denying the literal meaning. The second category are those who affirm the Attributes while giving them a metaphorical meaning, such as most of the Ash'arites and the Maturidites, and the third category are those who affirm the Attributes while comparing them [with that which is created].

I concluded this part by mentioning the areas where there is agreement between Ahl Al-Qiblah in the Names and Attributes.

The Second Part: Believing in the rest of the pillars of faith (the Angels, the Books, the Messengers, the Last day, and Predestination) and the areas of agreement between Ahl Al-Qiblah, and this includes three sections:

Section One: Regarding the Angels, the Books, and the Messengers. There

are four issues that I dealt with in this section. The linguistic and Shari'ah definition of the Angels, the ruling regarding believing in them, and the basis for belief regarding the Angels, and the meaning of the Divine Books, their position, the ruling regarding believing in them, and their relationship with each other.

I clarified the position of believing in the Messengers and the purposes and the Shari'ah ruling behind them being sent, the position of belief in them, their duties, and the meaning of believing in the Messengers (peace be upon them). Also, I mentioned the areas of consensus regarding this topic, and the areas of agreement between Ahl Al-Qiblah.

Section Two: Belief in the Last Day. This involves two issues in which I clarified the position of the belief in the Last Day and the meaning of it, and other terms and Shari'ah names for it, then I clarified the belief in the assembly, the positions, and the conditions that will take place on the Last Day including the trial of the grave and resurrection and gathering and intercession, and accounting, and the balance, and the basin and the bridge, and Paradise, and Fire, and I clarified the areas of agreement between the Ahl Al-Qiblah.

Section Three: Believing in Predestination, its good and its evil. Herein there is an introduction and three issues. I included a linguistic and Shari'ah definition of predestination, the position of the belief in predestination, the evidence affirming it, the levels of predestination, and the consensus of Ahl Al-Qiblah that the belief in predestination is obligatory.

It also includes clarification of the least amount of knowledge regarding predestination and the belief therein, and the statements of Ahl Al-Qiblah regarding it (the Mu'tazilites, the Jibriyyah, and Ahl As-Sunnah and those who agree with them).

Then I concluded my dissertation by presenting a summary of the most important conclusions of the study and I added an important index to it, the index of the ayaat (Qur'anic verses), then the hadeeths and narrations, then proper names and biographies of them, then the sects and groups, then the references, then the subjects.

This is the effort of the weak the little, the one who is stumbles from his sins and no doubt, there is deficiency therein that will leave room for the observer to change and replace and complete that which is deficient and to fill in the gaps. I ask Allah that this study should not be devoid of benefit, and I hope from this blessed knowledge setting that the esteemed sheikhs will give me their comments that will adorn this study in the garments of beauty and I ask Allah to make the scholars' discussion and comments improve the research and take it to the highest levels– Amen.

I also ask Allah to make me successful in being sincere in this work, and to forgive my sins for me and to cover my faults, and to overlook my mistakes. I ask him to grant a great amount of reward to those who supervised this study and discussed it with me giving me direction and correction.

المقدمة:

إن الحمد ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ با من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده ا فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا ا وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (1) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (2) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (3) أما بعد:

فإن أفضل العلوم التي ترفع صاحبها إلى عليين، وتعلو به منازل الصديقين، هي علوم الشريعة الغراء، التي تجعل الراسخين فيها من العلماء بين عبودية الخوف والرجاء، وتورثهم الخشية من رب الأرض والسماء، وتدخلهم في صفوة ا المختارة من الأنبياء والصديقين والشهداء.

قال تعالى: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (4).

ولما كان شرف العلم بشرف المعلوم، كان علم الإيمان هو أشرفهاوأعظمها وأجلها على الإطلاق،لتعلقه با تعالى، وتوحيده في العبادة، وتنزيهه عن الشركاء، والعلم بأسمائه وصفاته، وهو أصل كل العلوم ومستندها، من حصله فقد أدرك من الخير غايته، ونال شرف العبودية وتحقيق التوحيد من كل طريق، وحصل له بهذا العلم اليقين والهداية والتوفيق.

ولا يصل العبد إلى ا إلاّ من طريق رسل ا –عليهم الصلاة والسلام - الذين أرسلهم إلى الخلق لهدايتهم وإرشادهم إليه، فأنزل إليهم كتبه، فيها أمره

---

(1) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

(2) سورة النساء الآية:١.

(3) سورة الأحزاب الآية:٧٠ .

(4) سورة فاطر من الآية:٢٨.

ونهيه، ووعده ووعيده، وقضاؤه وقدره، وحسابه لخلقه بعدله وفضله، والتعريف به سبحانه، وباليوم الآخر.

وكان جبريل هو سفير ا إلى رسله عليهم السلام، بالوحي وبالنصر والتأييد والتثبيت، فكان الإيمان بالملائكة المرسلة، وبالكتب المنزلة، وبالقضاء والقدر، وباليوم الآخر، جزءاً من الإيمان با تعالى ومن أركانه التي لا يصح الإيمان إلاّ بها مجتمعة.

ولأهميتها كانت وفادة ا لجبريل عليه السلام، بصورته البشرية، لتعليم الصحابة دينهم(٥)، فالتعبد بهذا العلم الشريف وتعلمه وتعليمه، والمساهمة في التأليف فيه، وبيان هذه الأركان العظيمة، الجامعة العاصمة لمن اعتصم بها، لمن أعظم القربات إلى ا تعالى، ومن أعظم العبادات والطاعات التي يجب الانقطاع في محرابها؛ للقرب من ا تعالى بالإخلاص في العبودية جل في علاه، وبالرقابة له والتوكل عليه وحده، واستشعار عظمته وسعة ملكه وسلطانه، والتذلل بين يديه وهذا كله يؤثر على العبد في كافة مناحي حياته؛ فيكسبه ذلك القرب قوة في الإيمان وصلابة في الحق، تجعله كالراسيات الشُمخ أمام عاديات المحن، وقواصم الفتن، لأنه قد لاذ با وبجواره اعتصم، ولا يطلبه من ذمة ا وحماه إلا خاسر مقطوع بخسرانه.

---

(٥) كما في الحديث المشهور عن عمر بن الخطاب رضي ا عنه، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٣٧/١) .

أهمية الموضوع:

يكفي لبيان أهمية هذا الموضوع، أن الله تعالى علق السعادة والشقاء في الدنيا والآخرة على الإيمان والكفر؛ ورتب على ذلك الأحكام الدنيوية من عصمة الدماء، والأموال، وحرمة الأعراض، وغيرها من أحكام الولاء والبراء، والميراث، والجنائز، والولاية، والقضاء، والنكاح، والهجرة، والديار، وسائر المعاملات الدينية، والأخلاقية، التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً، بموضوع الإيمان والكفر، فبضبط مفهوم أهل القبلة ومن يدخل فيه ومن لا يدخل فيه، تنضبط المعاملة الشرعية مع الآخرين في كل تلك الأبواب السابقة الذكر.

أسباب اختيار الموضوع:

١. ما أشرت إليه سابقاً من أهمية الموضوع.

٢. ما تعانيه الأمة من انقسام أدى إلى ضعفها، وفشلها، وذهاب ريحها، وهوانها عند عدوها، فكان لزاماً عليها أن تجتمع على الكليات، وتتجاوز ما وقع من خلاف في الجزئيات، وأن تحافظ على الأصول وتعتصم بها من غوائل التفرقة، وهذا لا يكون إلاّ ببيان الاتفاق في أصول الدين، وكلياته.

٣. الرغبة في إشهار وإظهار مواضع الاتفاق الكلية، التي تهاون بها الجهال من أبناء الأمة، وقصر العلماء والدعاة والمربون اليوم في بيانها وتربية الناس على تقديسها، وعدم الاستخفاف بها في الجانبين النظري، والعملي.

٤. شيوع نزعات التكفير، ونزوات الخوارج، في أوساط المسلمين، والتنازع المسلح الذي، أريقت فيه أطهر الدماء[٦]، وأزهقت فيه الأرواح؛ للتهاون الحاصل بعصمة الإسلام، والاستخفاف بحرمات المسلمين، فكان لا بد من مساهمة في إلجام العوام، عن ورود مواطن الهلاك والإهلاك، وذلك ببيان عظمة الاتفاق الجامع لأهل القبلة.

٥. كثرة مزاعم الفرق والطوائف –في ماضي الأمة- والجماعات الإسلامية – في حاضرها- نجاتها وهلاك غيرها ممن خالفها، والمطلع على تراثهم

---

(٦) دماء الصحابة -رضي الله عنهم– التي استباحها الخوارج.

وتركتهم العلمية يجد إحاطة دقيقة بمسائل الخلاف، وبسطاً في أدلتها، مع تجاوز واضح لمواطن الاتفاق، وأدلته، رغبة منها في تمييز المذهب عن غيره، والحفاظ على الأتباع، فكان هذا الموضوع دافعاً للإسهام في جانب لم يأخذ حظه من التأليف؛ للتأليف والتوفيق والتقريب بين أهل الدين الواحد والملة الواحدة؛ وليس ما أقدمه في هذه الرسالة منشئاً لاتفاق مفقود، بل أوضح وأكشف وأبين ما هو موجود نظرياً، وعملياً، وأزيل عنه الغطاء الذي خاطته الخلافات المذهبية، ووضعته على عيون المنصفين.

الدراسات السابقة:

بحسب علمي القاصر لم أقف على رسالة علمية تناولت هذا الموضوع من جوانبه المختلفة، ولكني استفدت كثيراً من كتابات أهل العلم السابقين والمعاصرين الذين أشاروا إشارات، وألمحوا إلماحات، إلى مواضع الاتفاق، وكان من أفضل من تناولها وصدر الحديث عنها، مع اختصار شديد الإمام الزيدي: أحمد بن سليمان –رحمه ا -، وشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه ا -.

منهجي في البحث:

اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، لما له من فائدة في موضوع البحث، إذ يتناسب المنهج الوصفي مع اعتماد النصوص الشرعية وجمعها مع أقوال وآراء العلماء السابقين، فأستصحب البعد الشرعي من خلال النص، والبعد الفقهي فيمـا قرره علماء الأمة، مستفيداً منه في التأليف، ويتناسب المنهج التحليلي مع تحريـر قدرات الذات في فهم نصوص الشريعة، ومعرفة مناهج العلماء ومدارسهم في فهم النصوص الشرعية، فالجمع بينهما خير من الأخذ بأحدهما.

الطريقة التي سرت عليها في البحث:

١. عزوت كل نص إلى مصدره ـ إلا عند تعذر ذلك ـ فأنقله بالواسطة مع ذكر الأصل والمرجع، وهو قليل بل نادر.
٢. التزمت عند أول ذكر للمرجع أو المصدر،الإشارة إلى المؤلف وذكر اسم المحقق إن وجد، ثم الجزء والصفحة، ودار النشر، ورقم الطبعة وتاريخها، وما سكت عنه فلفقده.
٣. عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها في المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية، ونقلتها من المصحف تحاشياً للخطأ.
٤. خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها، ولم أطل إلا فيما دعت إليه الحاجة، ولفائدة رأيتها، وزدت بيان أرقام الأحاديث في الكتب التي اعتمدت الترقيم.
٥. ترجمت للأعلام –غير المعاصرين- الواردة أسماؤهم في نص البحـث - دون حواشيه- والذين لهم أقوال مؤثرة في المسائل وترجيحاتها، عنـد أول موطن ذكروا فيه، وأحلت على مراجع الترجمة، وأرقام تراجم الرجال في الكتب التي اعتمدت الترقيم.
٦. عرفت بالفرق والطوائف والبلدان من الكتب المؤلفة في ذلك.
٧. ما ذكرته في هذا المنهج هو غالب صنيعي المتبع، وقـد أخالفـه لمناسـبة تقتضي ذلك، أو ذهول عنه.
٨. وضعت فهارس للرسالة ليسهل الرجوع إلى مضمونها وما حوته من مسائل وهي كالتالي :

١) فهرس الآيات القرآنية .
٢) فهرس الأحاديث النبوية والآثار .
٣) فهرس الأعلام المترجم لهم.
٤) فهرس الفرق.
5) فهرس المصادر والمراجع.
٦) فهرس الموضوعات.

الصعوبات التي واجهتني في البحث:

سعة الموضوع، وتشعب أطرافه، وقلة السالكين في مثل هذا المسلك من التأليف، وانتشار المادة العلمية في الكتب، ودعاوى الخلاف في مواضع هي محل اتفاق على التحقيق؛ إذ يكون الخلاف فيها إما لفظياً، أو متوهماً بسبب اعتبار لازم قول المخالف قولاً له، والإفراط في التكفير بناء على ذلك.

خطة البحث:

وتتكون من بابين، وخاتمة

الباب الأول: أهل القبلة و الاتفاق في الأصول العقدية الإيمانية

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : التعريف بالمصطلحات وضبط المفهوم

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول الاتفاق والإجماع والفرق بينهما

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاتفاق لغة واصطلاحاً

وفيه فرعان :

الفرع الأول: تعريف الاتفاق لغة

الفرع الثاني: تعريف الاتفاق اصطلاحاً

المطلب الثاني: تعريف الإجماع لغة واصطلاحاً

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف الإجماع لغة

الفرع الثاني: تعريف الإجماع اصطلاحاً

المطلب الثالث: الفرق بين الاتفاق والإجماع

وفيه تمهيد فرعان:

التمهيد

الفرع الأول: التفريق من حيث اللغة

الفرع الثاني: التفريق من حيث الاصطلاح

المبحث الثاني: تعريف القبلة لغة وشرعاً

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القبلة لغةً

المطلب الثاني: تعريف القبلة شرعاً

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف القبلة شرعاً

الفرع الثاني: قيود التعريف المختار

المطلب الثالث: الكعبة حدها، وأسماؤها، وسبب تسميتها، ووصفها

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: حد الكعبة

الفرع الثاني: أسماء الكعبة

الفرع الثالث: سبب تسميتها

الفرع الرابع: وصف الكعبة

المبحث الثالث : التعريف بأهل القبلة

وفيه تمهيد و خمسة مطالب:

التمهيد:

المطلب الأول: المعاني المرادفة لأهل القبلة

المطلب الثاني: اختلاف العلماء في أهل القبلة

المطلب الثالث: مناقشة الأقوال والترجيح

المطلب الرابع: المعنى الشرعي المختار لمصطلح "أهل القبلة"

وفيه فرعان:

الفرع الأول: بيان المقصود بأهل القبلة وما يرادفها من معان

الفرع الثاني: أهل القبلة في الاصطلاح الشرعي

المطلب الخامس: قيود التعريف المختار و محترزاته

المبحث الرابع: ضبط مفهوم أهل القبلة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ضبط مواضع التكفير، والاتفاق عليها

المطلب الثاني: ضبط موانع التكفير، والاتفاق عليها

المطلب الثالث: ضبط منهج السلف في التكفير، وتفريقهم بين الكفر المطلق وكفر المعين.

المبحث الخامس: تعريف أصول الاعتقاد لغة واصطلاحاً

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الأصول لغة واصطلاحاً

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف الأصول لغة

الفرع الثاني: تعريف الأصول اصطلاحاً

المطلب الثاني: تعريف الاعتقاد لغة واصطلاحاً

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف الاعتقاد لغة

الفرع الثاني: تعريف الاعتقاد اصطلاحاً

المطلب الثالث: تعريف المركب الإضافي (أصول الاعتقاد)

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف أصول الاعتقاد

الفرع الثاني: العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي المختار

الفصل الثاني : الإيمان معناه اللغوي وحقيقته الشرعية

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان ومعناه اللغوي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معاني الإيمان في اللغة

المطلب الثاني: العلاقة بين المعاني اللغوية

المطلب الثالث: الترادف في معاني الإيمان

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الترادف في معاني الإيمان من حيث اللغة

الفرع الثاني: الترادف بين معاني الإيمان اللغوية والشرعية

المبحث الثاني: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند أهل السنة والجماعة من السلف

وفيه تمهيد وخمسة مطالب:

التمهيد:

المطلب الأول: المقصود بأهل السنة والجماعة

وفيه فرعان:

الفرع الأول: المستند الشرعي للتسمية

الفرع الثاني: الفرق المندرجة تحت أهل السنة والجماعة

المطلب الثاني: الإيمان الشرعي عند أهل السنة والجماعة من السلف

المطلب الثالث: ما روي عن الصحابة دالاً على ذلك (وتحقيق الإسناد إليهم)

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الإسناد وأهميته في هذه الدراسة

الفرع الثاني: الروايات إلى الصحابة ودراسة أسانيدها

المطلب الرابع: ما روي عن أئمة المذاهب المتبوعين دالاً على ذلك

المطلب الخامس: ما روي عن بقية أئمة الدين من سلف هذه الأمة

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: النقل الإجمالي عن السلف بسرد أسمائهم

الفرع الثاني: النقل التفصيلي لجملة من أقوال السلف

الفرع الثالث: ما نقل عن أهل السنة من العلماء المعاصرين

المبحث الثالث: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند أهل السنة والجماعة من المتكلمين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند الأشاعرة

المطلب الثاني: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند الماتريدية

المبحث الرابع: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند بقية الفرق والطوائف

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيد:

المطلب الأول: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند المرجئة (مرجئة الفقهاء نموذجاً)

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تحرير أقوال فرق المرجئة وطوائفها

الفرع الثاني: مواطن اتفاق المرجئة مع أهل القبلة

الفرع الثالث: خلاف مرجئة الفقهاء مع أهل القبلة في باب الإيمان لفظي أو حقيقي

المطلب الثاني: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند الأباضية.

المطلب الثالث: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند المعتزلة (الزيدية نموذجاً)

المبحث الخامس: حكاية الإجماع في أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل والتحقق من وقوعه وبيان المراد به

وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

التمهيد:

المطلب الأول: حكاية الإجماع

المطلب الثاني: التحقق من صحة حكاية الإجماع ووقوعه

المطلب الثالث: الترجيح في صحة حكاية الإجماع ووقوعه

المطلب الرابع: مواضع الاتفاق في الإيمان بين أهل القبلة

الباب الثاني: أصول الاعتقاد كما وردت في حديث جبريل

وفيه تمهيد وفصلان:

الفصل الأول: توحيد ا سبحانه وتعالى

وفيه تمهيد ومبحثان:

التمهيد: وفيه بيان مشروعية التقسيم

المبحث الأول: الإيمان بوجود ا سبحانه وتعالى، وتوحيده في ربوبيته وألوهيته

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإيمان بوجود ا تعالى

وفيه تمهيد أربعة فروع:

التمهيد

الفرع الأول: الإيمـان بوجـــود ا عند سائر البشر

الفرع الثانـي: الإيمـان بوجود ا تعالى عند أهل القبلة

الفرع الثالث: أدلة وطرق إثبات وجوده سبحانه وتعالى

الفرع الرابع: منهج القرآن في الاستدلال بالآيات الكونية لإثبات وجود ا

المطلب الثاني: توحيد ا في الربوبية والألوهية

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: توحيد الربوبية تعريفه وأدلة إثباته

الفرع الثاني: توحيد الألوهية تعريفه وأدلة إثباته

الفرع الثالث: موقف أهل القبلة من التوحيد بنوعيه

المبحث الثاني: توحيد ا في الأسماء والصفات

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية معرفة الأسماء والصفات وبيان المراد بها

وفيه فرعان:

الفرع الأول: أهمية معرفة الأسماء والصفات

الفرع الثاني: المقصود بتوحيد الأسماء والصفات

المطلب الثاني: أقسام الصفات عند أهل القبلة

وفيه تمهيد وفرعان:

التمهيد

الفرع الأول: أقسام الصفات الإلهية عند النفاة

الفرع الثاني: أقسام الصفات الإلهية عند الصفاتية المثبتة للصفات

المطلب الثالث: مناهج أهل القبلة في الأسماء والصفات

وفيه فرعان:

الفرع الأول: مناهج النفاةفي الصفات

الفرع الثاني: مناهج المثبتة في الصفات

المطلب الرابع: مواضع الاتفاق بين أهل القبلة في الأسماء والصفات

الفصل الثاني: الإيمان ببقية الأركان (الملائكة والكتب والرسل، واليوم الآخر، والقدر) ومواضع الاتفاق عند أهل القبلة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة والكتب والرسل

وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

التمهيد

المطلب الأول: الإيمان بالملائكة عليهم السلام

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف الملائكة لغة وشرعاً، وحكم الإيمان بهم

الفرع الثاني: أصول الاعتقاد المتعلقة بالملائكة

المطلب الثاني: الإيمان بالكتب السماوية المنزلة

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: المقصود بالإيمان بالكتب

الفرع الثاني: مكانة الإيمان بالكتب السماوية

الفرع الثالث: حكم الإيمان بالكتب السماوية

الفرع الرابع: علاقة الكتب السماوية بعضها ببعض

المطلب الثالث: الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام

وفيه فرعان:

الفرع الأول: مكانة الإيمان بهم والمقاصد والحكم الشرعية من إرسالهم عليهم السلام

الفرع الثاني: المقصود بالإيمان بالرسل عليهم السلام

المطلب الرابع: مواضع اتفاق أهل القبلة في الأركان الثلاثة (الملائكة- الكتب- الرسل)

المبحث الثاني: الإيمان باليوم الآخر

وفيه مطالبان:

المطلب الأول: مكانة الإيمان باليوم الآخر، والمقصود به، وإطلاقاته الاصطلاحية وأسماؤه الشرعية

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: مكانة الإيمان باليوم الآخر

الفرع الثاني: المقصود بالإيمان باليوم الآخر

الفرع الثالث: اليوم الآخر وإطلاقاته الاصطلاحية

الفرع الرابع: أسماؤه الشرعية كما وردت في القرآن

المطلب الثاني: الإيمان بما يقع في اليوم الآخر من المشاهد والمواقف والأحوال

وفيه فرعان:

الفرع الأول: المشاهد والمواقف والأحوال في اليوم الآخر

الفرع الثاني: اتفاق أهل القبلة في الإيمان باليوم الآخر

المبحث الثالث: الإيمان بالقدر خيره وشره

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيد:

المطلب الأول: تعريف القدر لغة وشرعاً

وفيه فرعان:

الفرع الأول: القدر في اللغة.

الفرع الثاني: القدر في الاصطلاح الشرعي.

المطلب الثاني: مكانة الإيمان بالقدر وأدلة ثبوته

المطلب الثالث: بيان الحد الأدنى من المعرفة بالقـدر والإيمـان بـه وأقوال أهل القبلة فيه

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الحد الأدنى من المعرفة بالقدر والإيمان به.

الفرع الثاني: أقوال أهل القبلة في القدر.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الباب الأول
أهل القبلة و الاتفاق في الأصول العقدية الإيمانية

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التعريف بالمصطلحات وضبط المفهوم

الفصل الثاني: أصول الاعتقاد وأركان الدين

الفصل الثالث: ضبط مفهوم أهل القبلة وما يندرج تحته من الطوائف والفرق والجماعات

الفصل الأول

التعريف بالمصطلحات وضبط المفهوم

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الاتفاق والإجماع والفرق بينهما.

المبحث الثاني: تعريف القبلة لغة وشرعاً.

المبحث الثالث: التعريف بأهل القبلة.

المبحث الرابع: ضبط مفهوم أهل القبلة

المبحث الخامس: تعريف أصول الاعتقاد.

المبحث الأول

الاتفاق والإجماع والفرق بينهما

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاتفاق لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الإجماع لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث:الفرق بين الاتفاق والإجماع.

المطلب الأول

تعريف الاتفاق لغة واصطلاحاً

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف الاتفاق لغة.

الفرع الثاني: تعريف الاتفاق اصطلاحاً.

الفرع الأول
تعريف الاتفاق لغة

الاتفاق لغة:

مصدر للفعل "اتفق" على وزن افتعل.

ومادة اللفظة وفق: الواو والفاء والقاف، كلمة تدل علـى ملائمـة الشـيء للشيء، فيقال: اتفق الشيئان: تقاربا وتلاءما.

ومنه الوفْـق: الموافقة، ووفْق الشيء: ما لاءمه، وقد وافقه موافقةً ووفاقـاً واتفق معه وتوافقا، وكل شيء يكون متفقاً على تَيـفاق واحد، فهو وفْـق ومنـه الموافقة.

وتقول هذا وفْـقُ هذا ووِفاقه وفيقه وفُقه وسيه وعدلة واحد.

والوفْقُ الشيء المتفقُ، وجاء القوم وفْقاً أي متوافقين.

ووافق فلان فلاناً في الشيء وعليه: اجتمعا على أمرٍ واحد فيه.

ووافقتُ فلاناً: صادفْتَه كأنهما اجتمعا متوافقَين[٧].

وأوفق القوم لفلان: دنوا منه واجتمعت كلمتهم عليه.

وأوفق الإبل: اصطفت واستوت معاً.

فخلاصة المعاني اللغوية تدور حول الآتي:

الملاءمة والمقاربة.

الاتحاد والمماثلة والمساواة.

الاجتماع والاصطفاف على أمر واحد بإظهار المناسبة وتجاوز الخلاف.

---

(٧) انظر: جمهرة اللغة لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ت: ٣٢١هـ، (١٥٦/٣)، مطبعـة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الطبعة الأولى، ١٣٤٥هـ. ومعجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمـد بن فارس بن زكريا، ت: ٣٩٥هـ، صـ ١٠٩٩، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيـروت، الطبعـة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م. و لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي بن منظـور، المتـوفى سـنة ٧١١هــ، (٣٥٧/١٥)،دار إحياء التراث، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٣هــ - ١٩٩٣م. والمعجـم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث (٢/ ١٠٤٦)، دار الدعوة باستانبول، الطبعة الثانية.

الفرع الثاني
تعريف الاتفاق اصطلاحاً

الاتفاق في الاصطلاح العام:

اتحاد الأقوال في أمر من الأمور.

فيؤخذ منه الوفاق وعدم الخلاف في عموم المسائل الدينية والدنيويـة، وبهـذا لا يختلف عن المعنى اللغوي الذي سبق ذكره، ويعرف ذلك في الاستعمال الخاص والعام، من قبل علماء الشريعة أو القانون أو سائر العلوم، فمـن أراد بيـان عـدم الافتـراق والاختلاف في أي أمر من الأمور فهو يستعمل لفظة "الاتفاق" في جمله المركبة، ويعلم بهذا الاستعمال مراده.

الاتفاق في اصطلاح الفقهاء والأصوليين وعلماء الكلام:

لم أقف على تعريف مستقل جامع مانع للاتفاق في اصطلاح أهل العلم، بـل ورد ذكر الاتفاق مقروناً بتعريف الأصوليين للإجماع، وعرف الإجماع بأنه اتفاقٌ مخصوص بشروط مخصوصة سيأتي ذكرها إن شاء ا تعالى لاحقاً.

التعريف الأول: قاله **الرازي**[8]**:** "ونعني بالاتفاق الاشتراك إما في الاعتقاد أو القـول أو الفعل أو إذا أطبق بعضهمعلى الاعتقاد وبعضهم على القول أو الفعل الدالينعلى الاعتقاد"[9].

---

(٨) الرازي هو: محمد بن عمر بن الحسين ابن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي، وأبو عبد ا ، المعـروف بـالفخر الرازي، ويقال له ابن خطيب الري أحد فقهاء الشافعية المشاهير، له نحو مائتي مصنف منها: التفسير الكبيـر ، والمطالـب العالية، والمباحث الشرقية،والأربعين، وله أصول الفقه، والمحصول في أصول الفقه وغيـره، تـوفي سـنة ٦٠٤، وقيـل: ٦٠٦هـ .البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن كثير المتوفى٧٧٤هـ، (٥٦/١٣، ٥٧)، دار التقوى، مصر، الطبعة الأولـى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، سير أعلام النبلاء لأبي عبد اللهمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفي٧٤٨هـ، تحقيـق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، (٥٠١/٢١،٥٠٠)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعةالتاسعة ١٤١٣هـ. النجـوم الزاهرة لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردى الأتابكي التوفي٨٧٤هـ، (١٩٧/٦، ١٩٨)،وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر.

(٩) المحصول في علم الأصول، محمـد بـن عمـر بـن الحسـين الـرازي، تحقيـق: طـه جـابر فيـاض العلواني،(٢١/٤،٢٠)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى– ١٤٠٠هـ. وانظـر: كشف الأسرار عن أصول البزدوي لعبدالعزيز بن أحمد البخاري المتوفى سنة ٧٣٠هـ،(٢٢٦/٣)، دار الكتـب العربي – بيروت – ١٣٩٤هـ.

ومن خلال هذا التعريف يظهر أن الاتفاق هو اشتراك وإطباق يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات، أو بعبارة أخصر هو الإطباق على قول أو فعل يدل على الاعتقاد.

التعريف الثاني: جاء في مقدمة شرح الزركشي[10] في بيان مراد الحنابلة بالاتفاق: "الاتفاق وهو موافقة العلماء بعضهم لبعض، وهو في الاصطلاح اتفاق الأئمة الأربعة على مسألة معينة، ولو مع خلاف غيرهم أو مع رواية شاذة عن بعضهم"[11].

ففي هذا التعريف أُعتُبِر مجرد الموافقة بين العلماء اتفاقاً لغوياً، و أُعتُبِر اتفاق أئمة المذاهب الأربعة على مسألة معينة، هو الاتفاق الاصطلاحي ولو خالفهم غيرهم، أو وردت الرواية الشاذة عن بعضهم، ويحتمل لفظه أن الرواية الشاذة التي لا تؤثر على الاتفاق هي المنقولة عن بعض الأربعة أو عن بعض مخالفيهم، ولعل الأقرب إلى السياق أن الرواية الشاذة المنقولة عن أحد الأربعة لا تقدح في حكاية الاتفاق نظراً لشذوذ الرواية المنقولة عنه والعبرة بصحة الرواية والنقل إلى الإمام، أما الاحتمال الثاني فضعيف مردود لأن خلاف غير الأربعة لا يقدح في حكاية الاتفاق لو صحت طرقه فكيف بها شاذةً فهو من باب الأولى.

ولعل التعريف الأول الذي أورده الرازي أقرب إلى الصواب، لولا طول فيه. والتعريف الثاني ليس بجامع لأن اتفاق الأربعة مع مخالفة غيرهم لهم هو اتفاق خاص مقيد بما أضيف إليه. وإهدار أقوال معتبرة لا يسلم به؛ فقد يقع اتفاق الأئمة الأربعة في مسألة خالف فيها أحد فقهاء الصحابة مثلاً، كمسألة وقوع

---

(١٠) الزركشي هو: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الزركشي، المصري الحنبلي، الشيخ الإمام العلامة كان إماماً في المذهب، أخذ الفقه عن قاضي القضاة موفق الدين عبد الله الحجاوي.

له تصانيف مفيدة منها: " شرح الخرقي" لم يسبق إلى مثله، وكلامه فيه يدل على فقه نفسي وتصرف في كلام الأصحاب، و" شرح قطعة من الوجيز"، و" شرح قطعة من المحرر" . توفي سنة ٧٧٢هـ. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (٢٢٤/٦).

(١١) انظر: مقدمة شرح الزركشي على مختصر الخرقي، تحقيق د. عبد الله الجبرين (٦٨/١)، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

الطلاق بائناً بلفظ الثلاث[١٢]، فبهذا التعريف نحكي الاتفاق متجاهلين خلافاً ظهـر واشتهر وله مسوغات لا يجهلها أهل الاجتهاد.

فيظهر لي وا أعلم أن تعريف الرازي أرجح، و أذكر تعريفاً مختصـراً يتضمن المعاني التي أوردها الرازي في تعريفه، فالاتفاق اصطلاحاً على التعريف المختار:

"هو اتحاد أقوال العلماء في حكم مسألة شرعية وعدم ظهور الخلاف " وقيـد "عدم ظهور الخلاف" خرج به ما إذا وجد الخلاف ولم يظهـر ويشـتهر فحكايـة الاتفاق في هذه الصورة جائزة، وخرج به الخلاف الشاذ وإن وجد وبـان إلاّ أنـه غير ظاهرٍ في حجته والظهور للراجح الذي قوي دليله ويحكى الاتفاق مع تجاهل مثل هذا الشذوذ.

---

(١٢) قول أكثر أهل العلم من التابعين والأئمة بعدهم: أن من طلق ثلاثاً بكلمة واحدة وقعت الثلاث وحرمـت عليه امرأته حتى تنكح زوجاً غيره.

وقول عطاء، وطاووس، وسعيد بن جبير، وأبي الشعثاء، وعمرو بن دينار، واختاره ابن تيمية، وتلميذه ابـن القيم: أن من طلق البكر ثلاثا فهي واحدة. لحديث ابن عباس قال: "كان الطلاق على عهد رسول ا صلى ا عليه وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة " رواه مسلم في صحيحه، وأبـو داود فـي سننه، وأحمد في المسند. انظر: المغني لابن قدامة المقدسي (٩٦/١٠)، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٧هـ،(٣٣/٧-٩)، جمع وترتيب عبد الرحمن العاصمي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.إعلام الموقعين عن رب العالمين لأبي عبد اللهمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، فصل: حكم جمع الطلقات الثلاث بلفظ واحد (٣٠/٣)، دار الجيـل، بيـروت، ١٩٧٣م.

المطلب الثاني

تعريف الإجماع لغة واصطلاحاً

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف الإجماع لغة.

الفرع الثاني: تعريف الإجماع اصطلاحاً.

الفرع الأول

تعريف الإجماع لغة

الإجماع لغة:

مصدر الفعل الرباعي أجمع، يقال: أجمع يجمع إجماعاً فهو مجمع، ومجمع عليه. الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضام الشيء(١٣).

ويطلق الإجماع في اللغة على معنيين:

المعنى الأول: العزم على الشيء.

قال تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾(١٤)، أي: اعزموا.

وقال صلى الله عليه وسلم: (لا صيام لمن لا يجمع الصيام من الليل)(١٥)، أي لم يعزم عليه فينويه، ويتعدى بالحرف، وبنفسه، فيقال: أجمعت السير والأمر، وأجمعت عليه.

ويصح إطلاق الإجماع بمعنى العزم على الواحد فيقال: أجمع الرجل على كذا: أي عزم عليه.

---

(١٣) مقاييس اللغة ٢٢٤.

(١٤) سورة يونس الآية:٧١.

(١٥) انظر: صحيح ابن خزيمة لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، باب إيجاب الإجماع على الصوم، من حديث أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، (٢١٢/٣)، حديث رقم١٩٣٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.والسنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، (١١٦/٢)، حديث رقم٢٦٤٢، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

والمعنى الثاني: الاتفاق، يقال: أجمع القوم على كذا أي اتفقوا عليه(١٦).

وكل أمر من الأمور اتفقت عليه طائفة فهو إجماع في إطلاق أهل اللغة(١٧)، ويدخل في المعنى اللغوي كل اتفاق من أي ملة وعلى أي أمر كان دينياً أو دنيوياً.

قال الآمدي(١٨) بعد ذكره للتعريف اللغوي "وعلى هذا فاتفاق كل طائفة على أمر من الأمور دينياً كان أو دنيوياً يسمى إجماعاً حتى اتفاق اليهود والنصارى"(١٩).

---

(١٦) انظر: لسان العرب (٣٥٨/١٥).تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، (٤٦٣/٢٠)، دار الهداية. التعريفات؛ للشريف علي بن محمد الجرجاني، صـ ١٠، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. الكليات لأبي البقاء الكفوي صـ٤٢. المعجم الوسيط (١٤٢/١)، القاموس المحيط للفيروزأباد المتوفى٨١٧هـ صـ٦٣٩، دار الفكر بيروت، ١٤١٥هـ. نهاية السول في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول؛ للقاضي ناصر الدين البيضاوي، المتوفى سنة ٦٨٥هـ، تأليف جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الاسنوي، المتوفى سنة ٧٧٢هـ، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، (٧٣٥/٢)، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م. وشرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق الدكتور / محمد الزحيلي، والدكتور / نزيه حماد، (٢١٠/٢)، مكتبة العبيكان، الرياض، رقم الطبعة "بدون" ١٤١٨هـ-١٩٩٧م. والإحكام في أصول الأحكام، لأبي الحسن علي بن محمد الآمدي، المتوفى سنة ٦٣١هـ، تحقيق: د. سيد الجميلي، (٢٥٣/١)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ. وشرح مختصر الروضة لأبي الربيع سليمان بن عبدالقوي الطوفي، المتوفى سنة ٧١٦هـ، تحقيق: د. عبدا بن عبدالمحسن التركي، (٥/٣)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، روضة الناضر وجنة المناظر، لموفق الدين بن محمد عبدا بن أحمد بن قدامة (٣٣١/١)،مع نزهة الخاطر العاطر لعبدالقادر بن أحمد بن مصطفى بدران الدومي الدمشقي، مكتبة المعارض بالرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، كشف الأسرار لعبدالعزيز للبخاري (٢٢٦/٣)، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: أبي مصعب محمد سعيد البدري صـ ١٣١، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، موسوعة الإجماع لسعدي أبو جيب (٢٩/١)، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(١٧) انظر شرح الكوكب (٢١٠/٢).

(١٨) الآمدي هو: أبو الحسن سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الآمدي، الأصولي المتكلم الحنبلي المذهب ثم الشافعي، ولد سنة٥٥١هـ، من مصنفاته: الإحكام في أصول الأحكام، واختصاره منتهى السول في الأصول، وأبكار الأفكار، وغيرها توفي سنة ٦٣١هـ.انظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، المتوفى سنة ٦٨١ هـ، تحقيق: د.إحسان عباس، ترجمة رقم ٤٣٢ (٢٩٣/٣)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م. البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، (١٤٣/١٣).

(١٩) الإحكام(٢٥٤/١).

وبين المعنيين الأول والثاني اتفاق وافتراق:

وافتراقهما في أن العزم متصور من الواحد ويطلق عليه لفظ الإجماع، والاتفاق لا يتصور إلا من متعدد اثنين فصاعداً.

جاء في كشف الأسرار: "الفرق بين المعنيين: أن الإجماع بالمعنى الأول متصور من واحد، وبالمعنى الثاني لا يتصور إلا من اثنين فما فوق"(٢٠).

وأما اتفاقهما: ففي أن الإجماع لفظ مشترك بين المعنيين "الاتفاق""والعزم".

والقدر المشترك في المعنى هو الاجتماع فيما عزم عليه العازم واتفق عليه المتفقون.

لأن العازم على أمر إن كان فرداً فقد اجتمعت خواطر فكره على أمر واحد بعد ما كانت مشتتة.

والمتفقون على أمر أو قول أو فعل واحد اجتمعوا عليه بعد تفرقهم فيه وتعدد تصوراتهم واختلاف آرائهم.

وعلى هذا يصح القول بأن كل عزم يلزم منه الاتفاق، وكل اتفاق لا بد أن يسبقه عزم.

قال الشوكاني(٢١)**:** "قال في المحصول(٢٢) الإجماع يقال بالاشتراك على معنيين أحدهما العزم...، وثانيهما الاتفاق...، وقد جزم بكونه مشتركاً بين المعنيين أيضاً الغزالي(٢٣) وقال القاضي: العزم يرجع إلى الاتفاق لأن من اتفق على شيء

---

(٢٠) كشف الأسرار لعبد العزيز البخاري، (٢٢٦/٣).

(٢١) الشوكاني هو: محمد بن على بن عبد الله الشوكاني الصنعاني، ولد عام ١١٧٣هـ، حفظ القرآن والمتون، وأتقن الفنون كالفقه واللغة والتفسير، والأصول وغيرها، من مصنفاته المشهورة التي عمت أرجاء المعمورة: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ونيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول وغيرها من المؤلفات في مختلف العلوم، وتوفي سنة ١٢٥٠هـ، انظر ترجمته لنفسه في كتاب البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني – تحقيق د. حسن بن عبد الله العمري، ترجمة رقم ٤٨٢، صـ٧٣٢-٧٤٢. دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

(٢٢) (١٩/٤).

(٢٣)ونص عبارته "ومعناه في وضع اللغة الاتفاق والإزماع وهو مشترك بينهما فمن أزمع وصمم العزم على إمضاء أمر يقال أجمع،والجماعة إذا اتفقوا يقال أجمعوا " المستصفى (١٣٧/١).

فقد عزم عليه، وقال ابن برهان وابن السمعاني الأول (أي العزم) أشبه باللغة،والثاني (أي الاتفاق) أشبه بالشرع. ويجاب عنه بأن الثاني وإن كان أشبه بالشرع فذلك لا ينافي كونه معنى لغوياً وكون اللفظ مشتركاً بينه وبين العزم"[٢٤].

وكون المعنى اللغوي الثاني وهو "الاتفاق" هو الأنسب والأقرب للمعنى الاصطلاحي للإجماع فلا يمنع وجود علاقة بين المعنى اللغوي الأول للإجماع وهو"العزم" والمعنى الاصطلاحي للإجماع، ووجه تلك العلاقة أن اتفاق المجتهدين مسبوق بعزم وتصميم على ما اتفقوا فيه، وأجمعوا عليه.

(٢٤) إرشاد الفحول صـ ١٣١.

الفرع الثاني
تعريف الإجماع اصطلاحاً

وقع خلاف بين أهل الأصول في تعريف الإجماع اصطلاحاً، وسبب خلافهم في التعريف خلافهم في أركان الإجماع[٢٥] وشروطه[٢٦].

والتعريف المختار من جملة التعاريف هو ما ذهب إليه جمهور العلماء:

"بأنه اتفاق المجتهدين من أمة محمد صلى ا عليه وسلم بعد وفاته في عصر من العصور على حكم شرعي"[٢٧]؛ وهو لأنه تعريف جامع مـانع، حـوى مـن الضوابط والقيود ما لم يحوه غيره.

---

(٢٥)**كخلافهم في المجمعين، وأهلية من ينعقد به الإجماع:**

فالجمهور من أهل العلم حصرها في المجتهدين من الأمة المحمدية، ومن أهل العلم من تجاوز بها إلى أهل الحل والعقد في الأمـة ثم فسر أهل الحل والعقد بالمجتهدين، فصار موافقاً لقول الجمهور بالمعنى والمقصود، ومنهم منتجاوز بها إلى أهل الحل والعقـد وتركها على إطلاقها ولم يقيدها بوصف الاجتهاد،ومنهم من اعتبر دخول الأمة بمجموعها في الإجماع وأطلق الأمر، ومنهم مـن اعتبر دخول الأمة بمجموعها على تفصيل فرقوا فيه بين المسائل المعلومة من الدين بالضرورة والقطعيات التي يشترك في إدراكها العوام والخواص، ومسائل تفصيلية لا يدركها إلا الخواص، وفي النوعين من المسائل يتصور دخول العوام عند قائل هذا القول في الإجماع.

وكخلافهم في موضوع الإجماع – ما يكون فيه الإجماع –:

هل يقتصر على الأمور والوقائع الشرعية الدينية أو يعم جميع الأمور والوقائع الدينية والدنيوية والعقلية واللغوية. وسيأتي مزيد بيان ـ إن شاء ا تعالى ـ عند الكلام على قيود التعريف المختار، مع الإحالة إلى مراجع الأقوال.

(٢٦) فمن أهل العلم من اشترط انقراض العصر ومنهم من لم يشترط ذلك وهو الصحيح، ومنهم من اشترط تواتر عدد المجمعـين ومنهم من لم يشترط ذلك وهو الصحيح... وهناك شروط أخرى وقع فيها الخلاف وعليه انبنى خلافهم في التعريف الاصـطلاحي. انظر: المستصفى للغزالي (١٤٨/١-١٤٩). والإحكام (٣١٠/١- ٣١٢).

(٢٧) نسبه إلى الجمهور وهبة الزحيلي في كتابه أصول الفقه الإسلامي (٤٩٠/١)، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، وسعدي أبو جيب في كتابه موسوعة الإجماع (٢٩/١).

قيود التعريف المختار: المراد بقوله "اتفاق"الاشتراك إما في القول أو الفعـل أو الاعتقاد[٢٨] على سبيلالتوافق والاتحاد، واحترز بالاتفاق عن الاختلاف والافتراق.

والمراد بقوله "المجتهدين من أمة محمد صلى ا عليه وسلم ": قيد احترازي دخل فيه جميع مجتهدي أمة محمد صلى ا عليه وسلم، بدلالة "أل" الجنسية الداخلـة علـى الجمع المنكر[٢٩]، والتي أفادت الاستغراق والعموم، وعلم من القيد اختصاص الإجمـاع بالمجتهدين.

ويخرج بهذا القيد: اتفاق بعض المجتهدين أو أكثرهم أو طائفة منهم.

فالواجب اتفاق جميعهم ليصح إطلاق اسم الإجماع على مثل هذا الاتفاق[٣٠].

ويخرج بهذا القيد أيضاً: غير المجتهدين من علماء الفقه والأصول الذين لم يبلغوا مرتبة الاجتهاد والنظر، وخرج بالأولى العوام فإنه لا عبرة بوفاقهم ولا بخلافهم، علـى الصحيح الراجح[٣١] خلافاً لمن اعتبرهم داخلين في الإجماع، وتصور ذلك، على إطلاق ذهب إليه الباقلاني[٣٢] ووافقه عليه الآمدي واختاره[٣٣]، أو على تفصـيل ذهـب إليـه الغزالي في المستصفى[٣٤] وإن كان في المنخول قد وافق الجمهور فقـال: "لا تعويـل على وفاق العوام وخلافهم"[٣٥].

---

(٢٨) شرح مختصر الروضة للطوفي (٧/٣) وانظر: إرشاد الفحول/ ١٣١، غاية الوصول شرح لب الأصول لزكريا الأنصـاري (١٨٩-١٩٠).

(٢٩) انظر: مبحث صيغ العموم في كتب الأصول.

(٣٠)**قال زكريا الأنصاري في لب الأصول**: "وإنه لابد من الكل وهو الأصـح" غايـة الوصـول شـرح لـب الأصـول (١٨٩-١٩٠)،وانظر: نهاية السول للآسنوي (٧٣٦/٢).

(٣١) انظر:التلويح إلى كشف حقائق التنقيح لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبدا التفتازاني– المتوفى سـنة٧٩١هـ ـ (٩٥/٢)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم– بيروت– الطبعة الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م. نهاية السول للآسنوي (٧٣٦/٢)، شرح الكوكـب المنير (٢١١/٢)، إرشاد الفحول /١٣١، كشف الأسرار للبخاري (٢٢٦/٣). غاية الوصول شرح لب الأصول (١٨٩-١٩٠).

(٣٢) الباقلاني هو: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني البصري، من كبار علمـاء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة في زمانه، ولد في البصرة وسكن بغداد فتوفي فيها من مؤلفاته الإنصاف، وتمهيـد الأوائل، وغيرهما من المصنفات، توفي يوم السبت ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة. انظر: وفيـات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان، (٢٦٩/٤، ٢٧٠).

(٣٣) **قال الآمدي:** "ذهب الأكثرون إلى أنه لا اعتبار بموافقة العامي من أهل الملة في انعقاد الإجمـاع ولا بمخالفتـه، واعتبـره الأقلون، وإليه مال القاضي (أبو بكر) وهوالمختار" الإحكام في أصول الأحكام (٢٨٤/١)، وهو مذهب أحمد بن يحي المرتضى في كتابه منهاج الوصول إلى معيار العقول في علم الأصول، صـ ٥٩١، تحقيق د.أحمد علي مطهر المأخذي، دار الحكمة اليمانيـة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

(٣٤) اعتبر الإمام الغزالي أمة محمد صلى ا عليه وسلم داخلة بمجموعها في جملة المجمعين، وفصل هذا القول المشكل فجعـل لظاهره طرفين واضحين في النفي والإثبات ووسط متشابه، أما الواضح في النفي فالأطفال والمجانين والأجنة فإنهم وإن كانوا من الأمة إلا أنهم غير معنيين لعدم فهم الخطاب وإدراكه.

وجاءت بعض عبارات الأصوليين معتبرة "علماء العصر" أو "أهل الحل والعقد"[٣٦] داخلين في جملة المجتهدين ومعلوم أن هذا فيه توسع لأن في علماء الأمة من ليس من أهل الاجتهاد، وفي أهل الحل و العقد من ليس كذلك.

وأما الواضح في الإثبات فكل مجتهد مقبول الفتوى فهو من أهل الحل والعقد قطعاً ولابد من موافقته في الإجماع.وأما الوسط المتشابه فهو المتعلق بالعوام المكلفين، والفقيه الذي ليس بأصولي والأصولي الذي ليس بفقيه والمجتهد الفاسق والمبتدع ومن قارب رتبة الاجتهاد ولم يبلغها، فتصور الغزالي دخولهم في الإجماع في المسائل والأحكام الشرعية التي يشترك في دركها العوام والخواص كوجوب الصلوات الخمس، ووجوب الصوم والزكاة والحج، **فقال:**" فهذا مجمع عليه والعوام وافقوا الخواص في الإجماع" المستصفى في علم الأصول لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، بتصرف واختصار (١٨١/١، ١٨٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

وأطال الغزالي القول وصحح دخول العوام في الإجماع،وصحح انعقاد الإجماع مع مخالفة العامي في مسألته وساق على ذلك أدلته، انظر: المستصفى(١٨١/١، ١٨٢).

ويمكن القول هنا أن اعتبار دخول العوام في الإجماع عند الغزالي مسألة نظرية تصورية أكثر منها مسألة عملية ؛ إذ لا ينبني عليها خلاف معتبر من حيث التطبيق العملي الأصولي أو الفقهي، بدليل تصحيحه للإجماع المنعقد وإن خالف فيه العوام، وتدليله على ذلك، فإذا كانت مخالفة العوام لا تثلم الإجماع المنعقد، فوجودهم وعدمهم سواء، واقترب هذا القول من المذهب الراجح في نظري والله أعلم.

(٣٥) المنخول في تعليقات الأصول، لأبي حامدمحمد بن محمد بن محمد الغزالي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ، تحقيق د. محمد حسن هيتو، صـ ٣١٠، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

(٣٦) كالغزالي في المنخول صـ ٣٠٣، والرازي في المحصول، (٢١/٤). والآمدي في الإحكام (٢٥٥/١)، والبزدوي في أصوله المسماة بـ "كنز الوصول إلي معرفة الأصول" لعلي بن محمد البزدوي الحنفي المتوفى ٣٨٢ هـ، (٢٤٣/١)، مطبعة جاويد بريس–كراتشي. وغيرهم من علماء الأصول.

ومن هؤلاء العلماء القائلين بدخول أهل الحل والعقد "وعلماء العصـر" فـي جملة المجمعين من ترك الأمر على إطلاقه[٣٧]، ومنهم من فسر مراده بأهل الحل والعقد وعلماء العصر، فقال همالمجتهدون[٣٨]، وبهذا يكون الخلاف بـين هـؤلاء وبين الجمهور لفظياً، وا أعلم.

ويخرج بقوله "أمة محمد صلى ا عليه وسلم": اتفاق مجتهدي بقيـة الأمـم "كاتفاق علماء اليهود والنصارى ونحوهم على أحكام دينهم فإنـه لـيس شـرعياً بالإضافة إلينا"[٣٩].

ويخرج بقوله "بعد وفاته ": الإجماع إذا انعقد في عصره صلى ا عليه وسلم فإنه لا اعتبار به.

لأنه إن لم يوافقهم النبي صلى ا عليه وسلم لم ينعقد الإجماع بدونـه، وإن وافقهم كان قوله هو الحجة؛ وبه يستفاد الحكم استقلالاً[٤٠].

ويخرج بقوله: "في عصر من العصور": ما يتوهم من أن المراد بالمجتهـدين جميع مجتهدي الأمة في جميع الأعصار إلى يوم القيامة، فإن هذا توهم باطل يؤدي إلى عدم ثبوت الإجماع وعدم تصور وقوعه بهذا الشرط، فلا إجماع قبل يـوم القيامـة ولا حاجة للإجماع بعد يوم القيامة لأنه لا تكليف[٤١].

---

(٣٧)كالإمام الجويني في الورقات، انظر: شرح الورقات لإمام الحرمين الجويني؛ تأليف: عبـدالرحمن بـن إبراهيم الفزاري، المعروف بابن الفركاح الشافعي، المتوفى سنة ٦٩٠هـ، دراسة وتحقيـق: سـارة شـافي الهاجري، ص٢٤٠، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١هـ. والبيضاوي في منهاج الوصول إلى علم الأصول، انظر: نهاية السول (٧٣٧/٢).

(٣٨)**قال ابن قدامة**:"الإجماع في الشرع اتفاق علماء العصر من أمة محمد صلى ا عليه وسلم... فإن الذين يعتبـر قـولهم فـي الإجماع هم العلماء المجتهدون وهم مشتهرون معروفون" روضة الناضر (٣٣١/١، ٣٣٥).

وقال ابن الفركاح الشافعي في شرحه لورقات للإمام الجويني: "فإن المعتبر في الإجماع قول العلماء بالشريعة وهـم المجتهـدون" ص٢٤١.

وقال الإمام الرازي: "وأما اصطلاح العلماء فهو عبارة عن "اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد صلى ا عليه وسلم... ونعنـي بـ" أهل الحل والعقد"المجتهدين في الأحكام الشرعية" المحصول (٢٠/٤).

(٣٩) نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر وجنّة المناظر؛ لعبدالقادر بن أحمد بـن مصـطفى بـدران الدومي الدمشقي (٣٣٢/١)، مكتبة المعارض بالرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(٤٠)انظر: نهاية السول (٧٣٨/٢).

(٤١) انظر: إرشاد الفحول صـ١٣٢.

"والمراد بالعصر عصر من كان من أهل الاجتهاد في الوقت الذي حدثت فيه المسألة،فلا يعتد بمن صار مجتهداً بعـد حـدوثها وإن كـان المجتهـدون فيهـا أحياء"[٤٢].

ويخرج بقوله: "على حكم شرعي": اتفاق المجتهدين علـى حكـم عقلـي أو عرفي أو لغوي أو غيرهامن الأحكام غير الشرعية، ويقْصـد بـالحكم الشـرعي التكليفي والوضعي من وجوب وندب وكراهة وحرمة وإباحة وصحة وفساد[٤٣].

وعبارات كثير من أهل الأصول[٤٤] لا تقيد موضـوع الإجمـاع بالأحكـام الشرعية بل تجعله عاماً في الأمور كلها الأقـوال والأفعـال الدينيـة والدنيويـة والاعتقادية والعرفية واللغوية والعقلية[٤٥].

---

(٤٢) إرشاد الفحول صـ١٣٢.

(٤٣) انظر: شرح الورقات لابن الفركاح (٢٤٠، ٢٦٠). والمستصفى (١٣٧/١). والتلويح للتفتازاني (٩٥/٢). وروضـة النـاظر (٣٣١/١). وشرح مختصر الروضة للطوفي، (٦/٣). ونص المستصفى: "أما تفهيم لفظ الإجماع فإنما نعني به اتفاق أمـة محمـد صلى ا   عليه وسلم خاصة على أمر من الأمور الدينية...، وهذا يصلح لإجماع اليهود والنصارى وللاتفاق في غير أمر الدين لكن العرف خصص اللفظ بما ذكرناه ". ونص التلويح: "الاتفاق على حكم شرعي". ونص الروضة: "اتفاق علماء العصر... على أمـر من أمور الدين".

(٤٤) كالرازي والآمدي والبيضاوي والإسنوي وزكريا الأنصاري والزركشي، وابن النجار والشوكاني وغيرهم، في باب الإجماع.

(٤٥) انظر: المحصول (٢١/٤)، الإحكام للآمدي (٢٥٤،٢٥٥/١)،نهاية السول (٧٣٧/٢)،غاية الوصـول شـرح لـب الأصـول (١٨٩-١٩٠)، البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد ا   الزركشي، المتوفى سنة ٧٩٤هـــ، ضـبط وتخريج وتعليق: د/ محمد محمد تامر، (٤٨٧/٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، شرح الكوكب المنير (٢١١/٢)، إرشاد الفحول صـ١٣٢.

المطلب الثالث

الفرق بين الاتفاق والإجماع

وفيه تمهيد وفرعان:

الفرع الأول: التفريق من حيث اللغة.

الفرع الثاني: التفريق من حيث الاصطلاح.

التمهيد:

لا يوجد في كتب السابقين من الأئمة شيء من التفريق الموضوعي الواضح بين الاتفاق والإجماع، وإن وجدت إشارات تستفاد بالتتبع وجمع ما تفرق من أقوالهم بحسب الاستعمالات المختلفة والسياقات المبينة لمرادهم من الاتفاق والإجماع. ويمكن النظر في هذا المبحث من خلال المطلبين التاليين:

الفرع الأول
التفريق من حيث اللغة

فمن حيث اللغة وجدنا تفسير الإجماع بالاتفاق في أحد معنييه، ولم نجد في كتب اللغة تفسير الاتفاق بالإجماع، وورد تفسيره بالاجتماع، ومعلوم أن كل اجتماع اتفاق، وليس كل اجتماع واتفاق إجماعاً، ولا يمكن إطلاق القول على كل اجتماع واتفاق أنهما إجماع، فمن هذه الجهة يظهر شيء من التفريق بينهما لغة، وهو أن الاتفاق لا يساوي الإجماع من كل وجه عند الإطلاق.

ولكن من جهة الاستعمال اللغوي مع التقييد بالإضافة يمكن القول إن الاتفاق بمعانيه اللغوية التي سبق تلخيصها، وهي:

الملاءمة والمقاربة، والاتحاد والمماثلة والمساواة، والاجتماع والاصطفاف على أمر واحد بإظهار المناسبة وتجاوز الخلاف.

بهذه المعاني والمترادفات يمكن القول بأن المتفقين مجمعين على ما اتفقوا عليه من أمر ؛ إذ لا يظهر في محل الاتفاق خلاف فهو اتفاق وهو اجتماع وهو إجماع نسبي باعتبار ما أضيف إليه كقولهم أجمع أهل بلدة كذا على كذا، أو اتفقوا عليه فالمعنى واحد في صورته هذه.

الفرع الثاني

التفريق من حيث الاصطلاح

فمن حيث الاصطلاح المتعارف عليه بين علماء الكلام والفقه والأصول يبدو أن بينهما فرقاً:

قال ابن حزم[٤٦] في آخر عبارة له في كتابه مراتب الإجماع: "وليعلم القارئ لكلامنا، أن بين قولنا "لم يجمعوا" وبين قولنا "لم يتفقوا" فرقاً عظيماً"[٤٧].

أشار ابن حزم في هذه العبارة إلى أن هناك فرقاً عظيماً بين قوله "لـم يجمعـوا" وقوله "لم يتفقوا"، وبهذا يتبين أن الإجماع يفترق عن الاتفاق مـن حيـث الاسـتعمال الاصطلاحي عند كافة علماء الشريعة، سواء كانوا علماء أصول أو فـروع أو عقائـد وإلهيات.

ورغم قول ابن حزم هذا وإشارته إلى الفرق العظيم بين العبارتين؛ إلا أنه لم يفصل القول في تلك الفروق واكتفى بالإشارة والتنبيه إلى الفرق إجمالاً.

ولم أجد من علمائنا من أفردها ببيان واضح وتفريق جلي كما عهـدناه فـي كتب الفروق[٤٨]، وغاية ما وقفت عليه من قول مجموع في رسـالة علميـة فـي إجماعـــــــــــــــــــــــــــــــات

(٤٦) ابن حزم هو: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، الإمام الكبير والعلامة الشهير، وأحد أئمة الإسلام، ولـد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، ومن أبرز مؤلفاته وأشهرها المحلى في الفقه، ومات ببادية لبلة من بلاد الأندلس سنة ٤٥٦هـ.انظر: بغيـة الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، للضبي المتوفى سنة ٥٩٩هـ،(٤١٥-٤١٨)، دار الكتاب العربي ١٩٦٧م.

(٤٧) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والمعتقدات ونقد مراتب الإجماع؛ لابن تيمية، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، المتوفى سنة ٤٥٧هـ، صـ٢٠٠، منشورات، دار الآفـاق الجديـدة، بيـروت، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

(٤٨) تجرأت على هذا القول بعد البحث في المكتبة والاستعانة بالأقراص والموسوعات الإلكترونية.

ابن عبد البر[٤٩] في العبادات[٥٠]، ملخص ما ورد فيها بتصرف:

أن الفرق بين الاتفاق والإجماع محل بحث، فمن الناحية التطبيقية عبر بعض أهل العلم بالاتفاق والإجماع عن مسألة واحدة.مما يشعر ألا فرق بين العبارتين و أنهما مترادفتان[٥١].

وفيما ظهر لي أن هذا الأمر ليس على إطلاقه، وإن حرص الباحـث علـى التمثيل ببعض المسائل لتكون دليلاً لما قرره وذهب إليه، لأن الأئمة حكوا الاتفاق في كتبهم كثيراً، وأرادوا به الإجماع أحياناً، واتفاق المذهب أحياناً أخرى إذا كانت الكتب تختص بمذهب معين، أو اتفاق الأئمة الأربعة[٥٢] أو غيرها من الاتفاقـات التي لا تعني بحال الإجماع بمعناه الاصطلاحي الذي سبق التعريف به، وقد تـرد في كتبهم حكاية الاتفاق في مسـائل إجماعيـة[٥٣] وهـذا لا يتميـز إلا بالبحـث المستوعب والنظر المستقرئ في كتبهم كـل علـى حـدة ؛ لمعرفـة منـاهجهم واصطلاحاتهم فيخرج الناظر فيها بقانون كلي ثابت وقاعدة مطـردة يفهـم منهـا مرادهم بهذا الإطلاق للاتفاق، ويعلم المقصود منه وعلى ما يمكـن حملـه مـن المعاني اللغوية أو الشرعية الاصطلاحية.

---

(٤٩) ابن عبد البر هو: الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبدا بن محمد بـن عبدالبر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، طال عمـره وعـلا سـنده وتكاثر عليه الطلبة وسارت بتصانيفه الركبان وخضع لعلمه علماء الزمان. المتوفى سنة ٤٦٣هـ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٣ ـ ١٦٣) ترجمة رقم ٨٥. طبقات الحفاظ للسيوطي ٨٤٩هـ ـ ٩١١هـ، (١ / ٤٣١ ـ ٤٣٢) ترجمة رقم ٩٧٨، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٣هـ.

(٥٠) رسالة ماجستير لعبد ا بن مبارك البوصي بعنوان "إجماعات ابن عبد البر في العبادات"، مطبوعة في كتاب صادر عن دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(٥١) ومثّل الباحث في رسالته بإطلاقات لابن عبدالبر، والقرافي، وابن تيمية، وابن حزم، وابن رشد، والنووي، وابن العربي، ثـم أحال على مواضع ذلك في كتبهم الفقهية. راجعه في إجماعات ابن عبد البر في العبادات(٤٩/١).

(٥٢) "الاتفاق وهو موافقة العلماء بعضهم لبعض، وهو في الاصطلاح اتفاق الأئمة الأربعة على مسألة معينة، ولـو مـع خـلاف غيرهم أو مع رواية شاذة عن بعضهم" مقدمة شرح الزركشي (٦٨/١) بواسطة.

(٥٣) **قال العدوي:** "قوله وبغيرها اتفاقاً. الأولى: وبغيرها إجماعاً "لأن الاتفاق اتفـاق المـذهب، والإجمـاع إجماع الأمة". حاشية العدوي على الخرشي لعلي العدوي، مع شرح الخرشي لخليل (١٥٨/١)، دار صـادر، بيروت.

ثم نسب الباحث إلى كثير من العلماء التفريق بين الاتفاق والإجماع ومنهم العيني[(٥٤)] في مسألة ذكر فيها حكاية الاتفاق عن بعض العلماء فانتقد بعضهم حكاية الإجماع فيها، فقال: "قلت: فيه نظر لأنهم قالوا بالاتفاق دون الإجماع، فهذا القائل لم يعرف الفرق بين الاتفاق والإجماع[(٥٥)].

ونقل عن العدوي[(٥٦)] في حاشيته: "قوله "وبغيرها اتفاقاً". الأولى: "وبغيرها إجماعاً" لأن الاتفاق اتفاق المذهب، والإجماع إجماع الأمة" [(٥٧)].

وبمثل هذا المعنى الوارد عن العدوي نقل عن بعض أئمة المالكية[(٥٨)].

وجاء في مقدمة شرح الزركشي في بيان مراد الحنابلة بالاتفاق: "الاتفاق وهو موافقة العلماء بعضهم لبعض، وهو في الاصطلاح اتفاق الأئمة الأربعة على مسألة معينة، ولو مع خلاف غيرهم أو مع رواية شاذة عن بعضهم"[(٥٩)].

---

(٥٤) العيني هو: أبو محمد محمود بن القاضي شهاب الدين أحمد بن القاضي شرف الدين موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود الحنفي المعروف بالعيني، ولد ٧٦٢هـ وتوفي سنة ٨٥٥هـ، ولي قاضي قضاة الحنفية بالديار المصرية، برع في الفقه والتفسير واللغة والنحو والصرف والتاريخ، من مصنفاته شرح البخاري،وشرح الهداية في الفقه، وشرح مجمع البحرين. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد العكري المتوفى سنة ١٠٨٩هـ، تحقيق محمود الأرنؤوط إشراف وتخريج أحاديث عبد القادر الأرنؤوط، (٤١٨/٩-٤٢٠)، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

(٥٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، (٨٥/٣)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٥٦) العدوي هو: علي بن أحمد الصعيدي العدوي المالكي، لم تكن المالكية تعرف الحواشي على شروح كتبهم الفقهية قبل ظهوره فهو أول من خدم تلك الكتب بالحواشي، وله مؤلفات دالة على فضله منها:حاشية على ابن تركي،وأخرى على شرح أبي الحسن على الرسالة في مجلدين ضخمين،وأخرى على الخرشي،وأخرى على شرح الزرقاني على المختصر،وأخرى على شرح شيخ الإسلام على ألفية المصطلح للعراقي وغير ذلك،وكان أول من تولى مشيخة الأزهر من المالكية، وكان رحمه ا شديد الشكيمة في الدين يصدع بالحق ويأمر بالمعروف وإقامة الشريعة ويحب الاجتهاد في طلب العلم ويكره سفاسف الأمور توفي سنة ١١٨٩هـ، انظر: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي (٤٧٦/١)، دار الجيل، بيروت، الفكر السامي (٢٩٢/٢).

(٥٧) حاشية العدوي على الخرشي(١٥٨/١).

(٥٨) كالحطاب في مواهب الجليل شرح مختصر خليل لأبي عبدا محمد بن محمد المغربي؛ المعروف بالحطاب الرعيني، المتوفى سنة ٩٥٤هـ، التاج والإكليل لمختصر خليل لمحمد بن يوسف المواق، ت٨٩٧هـ، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات، (٥٥/١) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. والخرشي في حاشيته على خليل (٤٨/١)، دار صادر، بيروت.

فهذه النقول توضح بجلاء أن الاتفاق قد يفهم منه الإجماع لذلك وجدت في عبارة العيني أن من أهل العلم من ذُكر له الاتفاق في مسألة، فأنكر نقل الإجماع فيها، مما يدل أنه فهم الاتفاق مرادفاً للإجماع.

وأنكر العيني عليه فهمه هذا بناء على أن الاتفاق يختلف عن الإجماع ويفترق معه دون أن يذكر العيني أوجه الافتراق، ذكراً تفصيلياً.

وفي استدراك العدوي في حاشيته على من قال "وبغيرها اتفاقاً" إن الأولى أن يقول "وبغيرها إجماعاً"، لأن الاتفاق اتفاق المذهب والإجماع إجماع الأمة.

هذا الاستدراك فيه ما يؤكد على أن الاستعمال جار بين أهل العلم تسامحاً أو تساهلاً وتوسعاً في العبارة وأن التحقيق خلاف ذلك، فيجب إزالة اللبس بنقل الاتفاق في موطنه الصحيح والإجماع في موطنه الصحيح، ولا يتيسر ذلك إلا بالنظر في كل مسألة على حدة لتبيين المقصود كما سبق الإشارة إليه.

واعتبر صاحب الرسالة المذكورة آنفاً، أن عبارة "اتفق العلماء" مرادفة للإجماع لأنه لا يرد عليها من الإيراد ما قد يرد على غيرها.

ولخص الفروق في ثلاثة فروق محتملة:

١) فمن الفروق: أن يكون المراد بالاتفاق اتفاق الأئمة الأربعة.

٢) وقد يكون المراد بالاتفاق أحياناً اتفاق المذهب كما هو مصطلح بعض المصنفين في الكتب المذهبية التي عنيت بتحرير المذهب.

٣) وقد يكون الاتفاق ظنياً لا يجزم العالم بالإجماع، فيعبر بالاتفاق.

قال ابن حزم: "واتفقوا فيما أظن، أن المأمومة إذا كانت في الرأس... "[٦٠].

وهذه الفروق المحتملة لا يظهر لي قوتها لأن:

---

(٥٩) انظر: مقدمة شرح الزركشي، (٦٨/١).

(٦٠) مراتب الإجماع ص١٦٤.

١) اتفاق الأئمة الأربعة أطلق عليه طائفة من علماء الأصول إجماعاً - وإن كان الصحيح خلافه - فهذا يعني عند هؤلاء ترادف الاتفاق والإجماع في مسألة اتفق أو أجمع عليها الأئمة الأربعة.

٢) واتفاق المذهب إطلاق قُيد فيه الاتفاق بالمذهب وقد يطلق الإجماع في كتب أهل العلم ويراد به إجماع علماء المذهب وعدم خلافهم في مسألة ما، وبهذا لا يظهر فرق عند من هذا اصطلاحهم.

٣) أما ظنية الاتفاق فيمكن القول بظنية الإجماع السكوتي وما يلحق به من حكاية عدم العلم بالمخالف، والإجماعات الخاصة المقيدة، لأنها ليست في قوة الإجماع الصريح وقطعيته على الصحيح الراجح(٦١).

ومما يظهر لي قوته في التفريق بين الاتفاق والإجماع أن المخالفة في المسائل المجمع عليها أشد من المخالفة في المسائل المتفق عليها، **فخرق الإجماع الثابت قد يكون فسقاً أو كفراً بحسبه.**

قال الغزالي: "الفقهاء إذا أطلقوا التكفير لخارق الإجماع أرادوا به إجماعاً يستند إلى أصل مقطوع به من نص أو خبر متواتر"(٦٢).

---

(٦١) راجع روضة الناظر (٣٥٨/٢-٣٨٨) وبيان ابن قدامة انقسام الإجماع إلى مقطوع ومظنون، وللمزيد انظر المراجع السابق ذكرها في تعريف الإجماع.

(٦٢) المنخول صـ٣٠٩.

وقال ابن تيمية(٦٣): "وأما إذا كان يظن الإجماع ولا يقطع به فهنا قد لا يقطع أيضاً بأنها مما تبين فيه الهدى من جهة الرسول، ومخالف مثل هذا الإجماع قد لا يكفر، بل قد يكون ظن الإجماع خطأ والصواب في خلاف هذا القول، وهذا هو فصل الخطاب فيما يكفر به من مخالفة الإجماع وما لا يكفر"(٦٤).

وقال أيضاً: "التحقيق أن الإجماع المعلوم يكفر مخالفه كما يكفر مخالف النص بتركه وأما غير المعلوم فيمتنع تكفيره"(٦٥).

أما خرق محل الاتفاق والخروج عليه فقد يكون شذوذاً، أو قد يكون فسقاً إذا لم يكن له مستند من النص.

وانظر إلى مخالفات الظاهرية للجمهور وما أكثرها، وغاية ما في الأمر إنكار أهل العلم عليهم وعدم اعتبار خلافهم الذي صدر على هذا الوجه كونه شاذاً عند من لم يعتبره.

وما هو الشذوذ الذي يطرح قول صاحبه ولا يعتد به في الخلاف؟

" اختلف في الشذوذ و ما هو؟

فقيل: هو قول الواحد، وترك قول الأكثر، وقال أبو الحسين بن القطان: هو أن يرجع الواحد عن قوله، فمتى رجع عنه سمي شاذاً، كما يقال: شذ البعير عن الإبل بعد أن كان فيها يسمى شاذاً، فأما قول الأول فلا معنى لتسميته شاذاً ؛ لأنه لو كان شاذاً لكان قول الأكثر شاذاً"(٦٦).

(٦٣) ابن تيمية هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد ا ابن أبي القاسم ابن الخضر بن محمد ابن تيمية الحراني،ثم الدمشقي، تقي الدين أبو العباس، شيخ الإسلام وعلم الأعلام، عرض عليه قضاء القضاة ومشيخة الشيوخ فلم يقبل شيئاً من ذلك، مات بسجن القلعة بدمشق سنة ٧٢٨ هـ في مسألة منع السفر وشد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين. بتصرف من الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ت٧٩٥هـ (٣٨٧/٤-٤٠٨) ترجمة رقم /٤٩٥. دار المعرفة بيروت، الطبعة بدون تاريخ.

(٦٤) الإيمان لابن تيمية، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني صـ ٣٦، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

(٦٥) مجموع الفتاوى، (٢٧٠/١٩).

(٦٦) البحر المحيط للزركشي (٥٦٠/٣).

واعتبار الشذوذ بانفراد الواحد ظاهر، ولو زدنا عليه قيد المخالفة بغير دليل لكان أولى؛ لأن المخالف بدليل صحيح يحتمل ما ذهب إليه القائل به لا يسمى شاذاً خاصة في مواطن الاجتهاد، ومثله يقال في مخالفة القلة للكثرة فـالعبرة بالـدليل وقوته لا بكثرة القائلين، وا أعلم.

ويمكن القول هنا إن المقصود في بحثنا هذا المتعلق بأصول الديانة واتفـاق أهل القبلة عليها **مسائل الإجماع وما كان قريباً منها، ومسائل الاتفاق** ولو خالفت طائفة من الطوائف، فالعبرة بالسواد الأعظم، ولا التفت إلى شذوذ من شـذ مـن الفرق أو غيرها.

المبحث الثاني

تعريف القبلة لغة وشرعاً

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: تعريف القبلة لغةً.

المطلب الثاني: تعريف القبلة شرعاً.

المطلب الثالث: الكعبة حدها، وأسمائها، وسبب تسميتها، ووصفها.

المطلب الأول

تعريف القبلة لغةً

"قبل: القاف و الباء واللام أصل واحد صحيح تدل كلمته على مواجهة الشيء للشيء، ويتفرع بعد ذلك. والقُبل من كل شيء خلاف دبره، وذلك أن مقدمة الشيء يقابل بها، والقَبيل: ما أقبلت به المرأة من غزلها حين تفتله، والدبير: ما أدبرت به. والقبلة سميت قبلةً لإقبال الناس عليها في صلاتهم، وهي مقْبلةٌ عليهم أيضاً"(٦٧).

"والقبلة: الكعبة؛ لأن المسلمين يستقبلونها في صلاتهم. ويقال: اجعلوا بيوتكم قبلةً: مسجداً، وماله قبلةً ولا دبرة: إذا لم يهتد لجهة أمره"(٦٨).

"والقبلة: ناحية الصلاة. وقال اللحياني(٦٩): القبلة وجهة المسجد، وليس لفلان قبلة أي جهة، ويقال: أين قبلتُك أي أين جِهتك، ومن أين قبلتك أي من أين جهتك، يقال: ما لكلامه قبلة: جهة والقبلة: التي يصلى نحوها.

---

(٦٧) انظر: معجم المقاييس لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المتوفى سنة ٣٩٥هـ. تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، بـاب القاف والباء، صـ ٨٧٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٦٨) المعجم الوسيط ٢/١ صـ ٧١٢.

(٦٩) اللحياني هو: أبو الحسن علي بن حازم بن المبارك، عالم لغوي مشهور، لقب باللحياني لعظم لحيته، أو لأنه من بني لحيـان بن هذيل بن مدركة، وهو من تلاميذ الكسائي، توفي عام ٢٥١هـ. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (١٨٥/٢)، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.

وفي حديث ابن عمر[٧٠] (ما بين المشرق والمغرب قبلة[٧١])[٧٢]. والقبلة في الأصل الجهة"[٧٣].

"القبلة بالكسر: التي يصلى نحوها، والجهة، والكعبة، وكل ما يستَقْبلُ، وما له في هذا قبلةٌ ولا دبرةٌ، بكسرهما: وجهةٌ. وقُبالته بالضم: تُجاهه"[٧٤].

"والقبلة في الأصل اسم للحالة التي عليها المقابل نحو: الجِلْسة والقعدة، وفي التّعارف صار اسماً للمكان المقابل المتوجه إليه للصلاة، نحو ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [٧٥].

والقَبول: ريح الصبا وتسميتها بذلك لاستقبالها القبلة"[٧٦].

---

(٧٠) عبدا بن عمر هو: أبو عبدالرحمن عبدا بن عمر بن الخطاب، كان من أئمة الدين ومن أعلام الناس بالمناسك، قال الإمام مالك: "أقام بن عمر بعد النبي صلى ا عليه وسلم ستين سنة يفتي الناس في الموسم، وكان من أئمة الدين"، وقال ابن سيرين: "كانوا يرون أعلم الناس بالمناسك ابن عمر بعد ابن عفان"، توفي رضي ا عنه بمكة سنة أربع أو ثلاث، وهو ابن أربع وثمانين سنة، انظر: أسد الغابة (٣٤٧/٣)، طبقات الفقهاء، لأبي إسحاقإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، تحقيق: خليل الميس صـ ٣١، دار القلم – بيروت.

(٧١) سنن ابن ماجه، لأبي عبد ا محمد بن يزيد القزويني المتوفى سنة ٢٧٥هـ، باب القبلة، حديث رقم ١٠١١ (٣٢٣/١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة باختصارالسند، (١٦٦/١) حديث رقم ٨٢٦، مكتب التربية العربي لدول الخليجالرياضـالطبعة الثالثة 1408هـ - ١٩٨٨م. وسنن الترمذي المسمى بالجامع الصحيح سنن لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي ٢٧٩هـ،باب ما جاء أن ما بين المشرق والمغرب قبلة، (١٧١/٢) حديث رقم ٣٤٢، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت. وسنن البيهقي الكبرى لأبي بكرأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، باب من طلب باجتهاده جهة الكعبة، (٩/٢) برقم ٢٠٦٢، من حديث ابن عمر، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(٧٢) "أراد به المسافر إذا التبست عليه قبلته، فأما الحاضر فيجب عليه التحري والاجتهاد، وهذا إنما يصح لمن كانت القبلة في جنوبه أو شماله، ويجوز أن يكون أراد به قبلة أهل المدينة ونواحيها فإن الكعبة جنوبها" لسان العرب (٣٥٧/١٥).

(٧٣) انظر: لسان العرب (٢٥/١١)، وانظر: المعجم الوسيط ٢/١ صـ ٧١٢.

(٧٤) القاموس المحيط صـ ٩٤١. وانظر: جمهرة اللغة لابن دريد (٣٢١/١).

(٧٥) سورة البقرة الآية:١٤٤.

(٧٦) مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني ت(٤٢٥هـ)، ص٦٤٥، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق، الدار الشامية،الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

المطلب الثاني

تعريف القبلة في الاصطلاح

وفيه فرعان:

الفرع الأولى: تعريف القبلة شرعاً

الفرع الثاني: قيود التعريف المختار

الفرع الأولى

تعريف القبلة شرعاً

وردت جملة من تعاريف أهل العام للقبلة في الاصطلاح الشرعي ومنها:

القبلة "عرفاً: ما يصلى إلى نحوها من الأرض السابعة إلى السماء السابعة مما يحاذي الكعبة"(٧٧).

وقيل: "هي الكعبة وسميت قبلة لأن المصلي يقابلها،وكعبة لارتفاعها"(٧٨).

فهذا التعريف جعل القبلة هي ذات الكعبة المشرفة(٧٩).

قال الخطيب الشربيني(٨٠): "والقبلة في اللغة: الجهة، والمراد بها هنا- يعني في الاصطلاح الشرعي- الكعبة، ولو عبر بها لكان أولى لأنها القبلة المأمور بها. ولكن القبلة صارت في الشرع حقيقة الكعبة لا يفهم منها غيرها، سميت قبلـة لأن المصلي يقابلها وكعبة لارتفاعها وقيل لاستدارتها"(٨١).

---

(٧٧) قاله أبو البقاء الكفوي في "الكليات لأبي البقاء الكفوي، المتوفى سنة ١٠٩٤هـ ص٧٢٩، مؤسسـة الرسـالة،الطبعة الثانيـة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٧٨) قاله تقي الدين أبو بكر بن محمد الحسيني الحصيني الشافعي في "كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار" لتقي الين أبي بكر بن محمد الحسيني الحصيني الدمشقي الشافعي، (ج٩٤/١)، دار الإيمان، دمشق، بدون رقم طبعة ولا تاريخ.

(٧٩) قال بن عابدين "واستقبال القبلة: أي الكعبة المشرفة " حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار لابن عابدين، (١١٤/٢)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٨٠) الخطيب الشربيني هو: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين: فقيه شافعي، مفسر، من أهل القاهرة، من مصنفاته: السـراج المنير، وتفسير القرآن والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، وشرح منهاج الطالبين للنووي وغيرها. توفي عـام ٩٧٧هـ، انظـر الكواكب السائرة للغزي (٧٩/٣-٨٠). شذرات الذهب (١٠-٥٦١)، الأعلام للزركلي (٦/٦).

(٨١) مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج شرح الشيخ محمد الخطيب الشربيني على متن منهاج الطالبين للإمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي،(١٤٢/١) دار الفكر، بدون تاريخ طبعة.

والتعريف المختار للقبلة: هي الكعبة الشريفة[82]، وما حاذاهـا مـن تخـوم الأرض إلى عنان السماء، ويجب اسـتقبالها وينـدب مـع الإمكـان حيـث ورد الدليل[83].

---

(٨٢) وسيأتي التعريف بها في المطلب الثالث إن شاء الله تعالى.

(٨٣) **ففي صلاة الفريضة**: انعقد الإجماع على وجوب استقبال القبلة حال القدرة وعدم العـذر مـن خـوف ونحوه، لقوله تعالى:(فول وجهك شطر المسجد الحرام...) سورة البقرة: من الآية ١٤٤.

ولحديث جابر قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي علـى راحلتـه حيـث توجهت،فـإذا أراد الفريضة نزل فاستقبل القبلة "صحيح البخاري المسمى بالجامع الصحيح المختصر لأبي عبـدالله محمـد بـن إسماعيل البخاري الجعفي، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، (١٥٦/١) حديث رقـم ٣٩١، تحقيق د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة، بيروت، الطبعةالثالثة، ١٤٠٧هـ. وانظر حكاية الإجماع في الاستذكار لابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣هـ، (٢١٥/٧)، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- **وفي صلاة النافلة** رخص الشارع للمسافر على الدابة الصلاة إلى غير قبلة.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: "ودلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن للمسافر إذا تطوع راكباً أن يصلى راكباً حيث توجه،قال:وإذا كان الرجل مسافراً متطوعاً راكباً صلى النوافـل حيـث توجهـت بـه راحلته،وصلاها على أي دابة قدر على ركوبها حماراً أو بعيراً أو غيره وإذا أراد الركوع أو السـجود أومـأ إيماء وجعل السجود أخفض من الركوع" الأم لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، المتـوفى سـنة ٢٠٤ هـ، (٩٧/١)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

ونقل بعضهم الإجماععلى ذلك قال الشوكاني: "والحديث يدل على جواز التطوع على الراحلة للمسـافر قبـل جهة مقصده وهو إجماع كما قال النووي، والعراقي، والحافظ، وغيرهم" نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سـنة ١٢٥٥هـ،(١٤٩/٢)، دار الجيـل، بيروت،١٩٧٣م.

- **وفي سجود التلاوة:**

قال ابن قدامة في المغني: "مسألة قال: (ولا يسجد إلا وهو طاهر) وجملة ذلك أنه يشترط للسجود ما يشـترط لصلاة النافلة من الطهارتين من الحدث والنجس، وستر العورة، واستقبال القبلة، والنية، ولا نعلم فيه خلافاً إلا ما روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه في الحائض تسمع السجدة تومىء برأسها،وبه قـال سـعيد بـن المسيب،قال:ويقول: "اللهم لك سجدت"،وعن الشعبي فيمن سمع السجدة على غير وضوء يسجد حيـث كـان وجهه" (٣٥٩/١).

انظر: حاشية ابن عابدين، كتاب الصلاة، باب سجود التلاوة (٥٩٧/٢). وحاشية الدسوقي، حاشية الدسـوقي، لمحمد بن عرفة الدسوقي على الشرح الكبير؛ لأبي البركات سيدي أحمد الدردير، فصل في سـجود الـتلاوة (٣٠٧/١)، دار إحياء الكتب العربية، بدون. =

= وخالف ابن حزم وغيره ممن اعتبر السجدة ليست صلاة. انظر: المحلى لأبي محمدعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦ هـ، (١٠٦/٥)، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- **وفي سجود الشكر:**

لحديث أبي بكرة قال: " كان رسول ا صلى ا عليه وسلم إذا أتاه أمر يسره أو يسر به خَرّ ساجداً شكراً عز وجل "قال الحاكم: هذا حديث صحيح وإن لم يخرجاه. المستدرك على الصحيحين لأبي عبدا محمد بن عبدا الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هـ، كتاب الإمامة وصلاة الجماعة، باب التأمين، (٤١١/١)، حديث رقم ١٠٢٥، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤١١هـ. وانظر: حاشية ابن عابدين، كتاب الصلاة، باب سجود التلاوة، (٥٩٧/٢). وخالف ابن حزم كخلافه في سجدة التلاوة انظر:المحلى (٨٠/١).

- **وفي الذبح يسن الاستقبال على الراجح من أقوال أهل العلم:**

قال الشافعي رحمه ا :"وإن استقبل الذابح القبلة فهو أحب إلي، وإن أخطأ، أو نسي فلا شيء عليه إن شاء ا " الأم (٢٢٣/٢). وانظر: المبسوط (٣/١٢)، دار المعرفة، بيروت.

قال الجصاص عند تفسيره لقول ا تعالى "فاذكروا اسم ا عليها صواف": "وعن ابن عمر وعروة بن الزبير أنها تنحر مستقبلة القبلة" أحكام القرآن لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، المتوفى سنة ٣٧٠هـ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، (٨٠/٥)، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٥هـ، بدون رقم طبعة.

وذهب الدسوقي في حاشيته على الشرح الكبير إلى الندب، انظر باب الذكاة (١٠٧/٢).

وفي الأذان: نقل ابن قدامة عدم الخلاف في استحباب التوجه إلى القبلة حال الأذان، انظر: المغني (٢٥٤/١)، الإنصاف باب الأذان (٤١٦/١)، حاشية الدسوقي، فصل في الأذان(١٩٦/١).

- **وتوجيه الميت إلى القبلة حال الاحتضار ندباً وعند دفنه في قبره وجوباً:**

لحديث أبي قتادة: "أن النبي صلى ا عليه وسلم حين قدم المدينة سأل عن البراء بن معرور،فقالوا:توفي وأوصى بثلث ماله لك يا رسول ا **وأوصى أن يوجه إلى القبلة لما احتضر**،فقال رسول ا صلى ا عليه وسلم:أصاب الفطرة وقد رددت ثلثه على ولده،ثم ذهب فصلى عليه وقال:اللهم اغفر له وارحمه وأدخله جنتك وقد فعلت" **قال الحاكم:**هذا حديث صحيح فقد احتج البخاري بنعيم بن حماد،واحتج مسلم بن الحجاج بالدراوردي،ولم يخرجا هذا الحديث،ولا أعلم في توجه المحتضر إلاّ هذا الحديث. المستدرك على الصحيحين، كتاب الجنائز، (٥٠٥/١)، حديث رقم ١٣٠٥.

قال ابن مفلح: "قوله يوجه المحتضر إلى آخره هذا المذهب وهو مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وغيرهم... وخالف فيه سعيد بن المسيب وروى ابن القاسم عن مالك كراهته وقال الخرقي:إذا تيقن الموت وجه إلى القبلة... وهذا التوجيه قبل الدفن مستحب صرح به جماعة من الأصحاب ولم أجد خلافه صريحاً وهو المحكي عن مذاهب الأئمة الثلاثة"النكت والفوائد السنية على مشكل المحرر؛ لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبدا بن مفلح الحنبلي، المتوفى سنة ٨٨٤هـ، كتاب الجنائز (١٨١/١)، مكتبة المعرفة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ. =

= وانظر حاشية ابن عابدين، كتاب الصلاة، باب صلاة الجنازة، (١٤١/٣). وحاشية الدسوقي، فصل في أحكام الجنائز، (٤١٩/١)، مغني المحتاج، كتاب الجنائز،(٤٤٨/١، ٤٧٩).

الفرع الثاني

قيود التعريف المختار

قوله: "الكعبة الشريفة" هو قيد حاصر للقبلة في الكعبة الشريفة.

وخرج بهذا القيد القبلة الأولى للمسلمين والتي كانت إلى بيت المقدس.

قال ابن عبد البر: "وأجمع العلماء على أن القبلة التي أمر ا النبي صلى ا عليه وسلم وعباده بالتوجه نحوها في صلاتهم هي الكعبة البيت الحرام بمكة"[٨٤].

وفي الصحيحين: من حديث البراء بن عازب رضي ا عنهما قال: (كان رسول ا صلى ا عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً وكان رسول ا صلى ا عليه وسلم يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل ا قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ... فتوجه نحو الكعبة،وقال السفهاء من الناس وهم اليهود: مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ

- **وتوجيه الميت إلى القبلة عند دفنه في قبره وجوباً:**

لحديث: "أن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال في حجة الوداع ألا أن أولياء ا المصلون من يقيم الصلاة الخمس التي كتبن عليه ويصوم رمضان يحتسب صومه يرى أنه عليه حق ويعطي زكاة ماله يحتسبها ويجتنب الكبائر التي نهى ا عنها ثم أن رجلا سأله فقال: يا رسول ا ما الكبائر؟ فقال: هي تسع الشرك با ، وقتل نفس المؤمن بغير حق، وفرار يوم الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين المسلمين،واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً، ثم قال: لا يموت رجل لم يعمل هذه الكبائر ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة إلا كان مع النبي صلى ا عليه وسلم في دار أبوابها مصاريع من ذهب. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " المستدرك على الصحيحين، كتاب التوبة والإنابة، (٢٨٨/٤)، حديث رقم ٧٦٦٦. وسنن البيهقي الكبرى،باب ما جاء في استقبال القبلة بالموتى، (٤٠٨/٣)، حديث رقم ٦٥١٤. وسنن أبي داود تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم، (١١٥/٣)، حديث رقم ٢٨٧٥، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بدون رقم الطبعة.

وهناك أمور تعبدية أخرى يشرع فيها التوجه إلى جهة القبلة على جهة الوجوب أو الاستحباب والندب على أقوال بسطها أهل العلم في كتب الفقه ليس هذا محل استقصائها.

(٨٤) الاستذكار، (٢١٥/٧).

مُسْتَقِيمٍ ، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل ثم خرج بعد ما صلى فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر يصلون نحو بيت المقدس،فقال:هو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه توجه نحو الكعبة،فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة)(٨٥).

وكان مسجد بني سلمة في المدينة المنورة هو المكان الذي تم فيه تغيير القبلة، فسمي المسجد "مسجد القبلتين"(٨٦)، ويقع شمال غربي المدينة المنورة على مقربة من مسجد الفتح، وفيه محرابان.

قال الشافعي(٨٧): "ووجه الله رسوله صلى الله عليه وسلم إلى القبلة في الصلاة إلى بيت المقدس فكانت القبلة التي لا يحل قبل نسخها استقبال غيرها ثم نسخ الله قبلة بيت المقدس ووجهه إلى البيت فلا يحل لأحد استقبال بيت المقدس أبداً لمكتوبة،ولا يحل أن يستقبل غير البيت الحرام وكل كان حقاً في وقته"(٨٨).

---

(٨٥) وهذا لفظ البخاري. صحيح البخاري،باب التوجه نحو القبلة حيث كان، (١٥٥/١)،حديث رقم ٣٩٠. وانظر:صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري،باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، (٣٧٤/١)، حديث رقم ٥٢٥، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون رقم الطبعة.

(٨٦) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل محمود الألوسي البغدادي، عند تفسيره لقوله تعالى: " قدنرىتقلبوجهكفيالسماء..."، (٩/٢)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٨٧) الشافعي هو: محمد بن إدريس بن العباس أبو عبد الله الشافعي، الإمام زين الفقهاء وتاج العلماء، ولد بغزة من بلاد الشام ونشا بمكة وكتب العلم بها وبمدينة الرسول، وقدم بغداد مرتين وحدث بها وخرج إلى مصر فنزلها إلي حين وفاته سنة ٢٠٤هـ. انظر: التاريخ الصغير (الأوسط) للإمام محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (١٩٤هـ -٢٥٦هـ) تحقيق: محمود إبراهيم زايد، (٣٠٢/٢)، ترجمة رقم ٢٦٨٦، دار الوعي ، مكتبة دار التراث،حلب ، القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م. والكنى والأسماء للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين (٢٠٦هـ -٢٦١هـ)،تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، (٥٠٣/١)، ترجمة رقم ١٩٧٣، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ. تاريخ بغداد، تأليف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، (٥٦/٢) ترجمة رقم ٤٥٤، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون رقم الطبعة.

(٨٨) أحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، المتوفى سنة ٢٠٤هـ، تحقيق: عبدالغني عبدالخالق، (٧٠/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون رقم طبعة، ١٤٠٠هـ.

ونقل ابن عبد البر الإجماع على أنه صلى الله عليه وسلم صرف عن الصلاة إلى بيت المقدس وأُمر بالصلاة إلى الكعبة بالمدينة[٨٩].

وكان لهذا التحويل حكم منها أن الله تعالى يمتحن الناس و يميزهم بهذا، ليظهر المؤمن الممتثل تعبداً، الذي لا يقدم بين يدي الله ورسوله من المنافق الذي يعبد الله على حرف، ويتشرب قلبه الفتنة، قال سبحانه و تعالى: ﴿... وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ...﴾[٩٠].

قوله "وما حاذاها من تخوم الأرض إلى عنان السماء": قيد يدخل فيه من الأمكنة ما كان محاذياً لموقع الكعبة على امتدادها أسفل الأرض أو أعلى السماء حيالَ الْبيت الْمعمورِ[٩١]، فلو زالت أبنية الكعبة أو المسجد- حماهما الله -، فإن المسلم يصلي إلى شطرها، كما يصلي من هو أعلى أو أسفل موقعاً إلى ذلك الشطر.

---

(٨٩) انظر: الاستذكار، (٢١٠/٧-٢١١).

(٩٠) سورة البقرة الآية: ١٤٣.

(٩١) **روى الطبري** بسنده "أن رجلا قال لعلي رضي الله عنه ماالبيت المعمور؟ قال:بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها،حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض،يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ولا يعودون فيه أبداً" تفسير الطبري المسمى "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" لأبي جعفرمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، المتوفى سنة٣١٠هـ، (١٦/٢٧)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

ونسب القرطبيإلى ابن عباس قوله "و في كل سماء بيت تحج إليه وتطوف به الملائكة بحذاء الكعبة،والذي في السماء الدنيا هوالبيت المعمور" تفسير القرطبي.المسى بالجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (٣٤٥/١٥)، دار الشعب، القاهرة، بدون طبعة.

وذكر القرطبي بالسند إلى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أوتي بي إلى السماء الرابعة فرفع لنا البيت المعمور فإذا هو حيال الكعبة لو خر خر عليها يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه " تفسير القرطبي (٦٠/١٧). =

= **وذكر ابن كثير** في بعض مرويات حديث الإسراء الطويل: "ورأى هناك جبريل على صورته وله ستمائة جناح ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق ورأىالبيت المعمور وإبراهيم الخيل باني الكعبة الأرضية مسند ظهره إليه لأنه الكعبة السماوية يدخل كل يوم سبعون ألفا من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة ورأى الجنة والنار". تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، (٢٤/٣)، دار الفكر، بيروت١٤٠١هـ.

قال ابن عابدين[(٩٢)]**:** "والمعتبر في القبلة العرصة لا البناء فهي من الأرض السابعة إلى العرش"[(٩٣)].

وخالف في اعتبار القبلة العرصة وما حاذاها من تخوم الأرض إلى عنان السماء ابن تيمية فقال: "وفي حديث (استحلال الكعبة البيت الحرام قبلتكم أحياء و أمواتاً)[(٩٤)]**دليل على أن القبلة هو الشيء المبني هناك،الذي يشار إليه و يمكن استحلاله**،وتسمى كعبة وبيتاً،وأيضا فإن ا سبحانه قال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ

وقال أيضاً: ثبت في الصحيحين "أن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة ثم رفع بي إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم كذلك ذاك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مسندا ظهره إلىالبيت المعمور لأنه باني الكعبة الأرضية والجزاء من جنس العمل وهو بحيال الكعبة وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة وا أعلم" تفسيرابن كثير،(٢٤٠/٤).

قلت: لم أجد في الصحيحين تصريحاً بأن البيت المعمور كعبة أهل السماء السابعة، ولا أنه بحيال الكعبة، ولعل إحالة ابن كثير على الصحيحين المقصود بها أصل الرواية، أما نصها هذا فلم أجده وا أعلم.

وقد أورد الألباني في السلسلة الصحيحة حديثاً ذكر فيه البيت المعمور ونصه: "(البيت المعمور في السماء السابعة،يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة) (صحيح) وله شاهدنحوه إلا أنه قال: السماء الدنيا. وفي رواية أخرى بزيادة: بحيال الكعبة.

وعنقتادة قال: ذكر لنا أن النبي صلى ا عليه وسلم قال لأصحابه: هل تدرون ما البيتالمعمور؟ قالوا ا ورسوله أعلم. قال: فإنه مسجد في السماء، تحته الكعبة، لوخر لخر عليها... (وإسناده مرسل صحيح)" سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدينالألباني، المبتدأ والأنبياء وعجائبالمخلوقات، (٨٥٧/١)، حديث رقم ٤٧٧، مكتبة المعارف للنشر والتوزيعالرياض، ١٤١٥هـ.

وبهذه الآثار التي سبق ذكرها يتبين أن البيت المعمور فوق الكعبة وبحيالها فيصح ما ذكر في شرح قيود التعريف من أن القبلة ممتدة إلى السماء السابعة وا أعلم.

(٩٢) ابن عابدين هو: محمد أمين بن عبدالعزيز بن أحمد بن عبدالرحيم المعروف بابن عابدين، ولد بدمشق الشام ١١٩٨هـ، حفظ القرآن، ودرس القراءآت، وتفقه في أول حياته على الفقه الشافعي، وعرف بالتدين، والعفة، والعلم، والصلاح، والتقوى، ومن مصنفاته: رد المحتار على الدر المختار، ورفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار، والرحيق المختوم في الفرائض وغيرها، توفي سنة ١٢٥٢هـ، انظر: هداية العارفين، (٢٩٥/٢)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١٤٥/٣)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٩٣) حاشية ابن عابدين المسماة بـ"رد المحتار على الدر المختار" (١١٤/٢).

(٩٤) سبق تخريجه.

﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[٩٥] وقال: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾[٩٦] فبين أن الطواف و الركوع و السجود إنما هو متعلق بالبيت،والبيت أو الكعبة لا يكون اسماًإلا للبناء؛ فأما العرصة والهواء فليس هو بيتاً ولا كعبة. وأيضاً فلو كان استقبال هواء العرصة والطواف به كافياً لم يجب بناء البيت ولم يحتج إليه،ولما أمر الله إبراهيم خليله ببناء بيته وبدعاء الناس إلى حجه حينئذ ؟"[٩٧].

وتضمن هذا النص مسائل لابد من بيانها:

المسألة الأولى: أن القبلة عند شيخ الإسلام ابن تيمية هي ذات بناء الكعبة لا غيره.

المسألة الثانية: أن عبادة الطواف والركوع والسجود في الآيات الكريمة متعلقة بمحل وهو الكعبة البيت الحرام، والبيت أو الكعبة لا يكون اسماًإلا للبناء؛ فأما العرصة والهواء فليس هو بيتاً ولا كعبةً.

المسألة الثالثة: وهي نتيجة مركبة من المسألتين السابقتين، قرر فيها ابن تيمية نفي أن تكون العرصة والهواء قبلةً.

ويبدو والله أعلم أن ما ذهب إليه في المسألة الأولى صحيح من غير حصر للقبلة في البناء فقط، لأن دلالة اللغة ترد ذلك، فالقبلة في اللغة الجهة كما سبق بيانه في التعريف اللغوي، ومقتضى الشرع يدل على أن الكعبة قبلة في ذاتها دون نفي الجهة، بل نصوص الشريعة قاضية بأن الجهة والشطر معتبر في التوجه والاستقبال، لقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[٩٨].

ولقوله صلى الله عليه وسلم: (ما بين المشرق والمغرب قبلة)[٩٩].

([٩٥]) سورة الحج من الآية: ٢٦.

([٩٦]) سورة المائدة من الآية: ٩٧.

(٩٧) شرح العمدة في الفقه لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المتوفى سنة ٧٢٧هـ، (٤٩١/٤)، تحقيق: د. سعود صالح العطيشان، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

(٩٨) سورة البقرة من الآية: ١٤٤.

(٩٩) سبق تخريجه.

ولذاك تبقى الأحكام الشرعية قائمة ولو مع عدم معاينة الكعبة أو افتـراض زوالها ـ حماها ا ـ.

ويسلم له في المسألة الثانية بأن البيت والكعبة لا يطلق إلاّ على البنـاء، وأن العرصة والهواء ليس هو بيتاً ولا كعبةً، ولكنه قبلة ويصلح جهة لأداء العبـادات التي علق الشارع أدائها على الكعبة أو شطر المسجد الحرام، ولا يصلح الهـواء والعرصة محلاً للعبادات التي علقها الشارع بالبناء كالطواف، وتقبيـل الحجـر، واستلام الأركان، وبذلك لا يسلم له بما ذهب إليه في المسألة الثالثة وا أعلم.

وأستأنس لهذا القول بما ذهب إليه الفخر الرازي عند تفسيره لقول ا تعالى: سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [(١٠٠)].

"وتقريره أن الجهات كلها ملْكاً وملْكاً، فلا يستحق شيء منهـا لذاتـه أن يكون قبلة، بل إنما تصير قبلة لأن ا تعالى جعلها قبلة، وإذا كان الأمر كذلك فلا اعتراض عليه بالتحويل من جهة إلى جهة"[(١٠١)].

(١٠٠) سورة البقرة الآية:١٤٢.

(١٠١) التفسير الكبير لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي الرازي الشافعي، المتوفى سنة ٦٠٤هـ، (٨٥/٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

قوله "ويجب استقبالها ويندب مع الإمكان " أي الكعبة، والمقصود وجـوب استقبال عينها لمن تمكن من مقابلة العين وإصابتها، أو شطرها لمن لم يتمكن[١٠٢].

ويشرع الاستقبال للقبلة في الصلاة وغيرها من العبادات بإطلاق، ويدخل في عموم هذا الإطلاق العبادات التي ورد فيها الدليل على مشـروعية التوجـه إلـى القبلة، والعبادات التي لم يرد فيها الدليل على ذلك.

وقوله "مع الإمكان" قيد للوجوب خرج به من عهدة الوجوب كل من لم يتمكن من استقبال القبلة لعارض كالخوف الشديد ونحوه، وكنوافل السفر في طاعة أو مباح[١٠٣]إذا صليت حال المشي أو الركوب على مركوب متحول غير مستقر كالراحلة أو السفينة أو الطائرة وما شابهها، فلا يجب فيها الاستقبال[١٠٤] لحديث عامر بن ربيعة رضي ا عنه قال: (رأيت رسول ا صلى ا عليه وسلم يصلي على راحلته حيث توجهت به) متفق عليه ولفظ البخاري: (كان يسبح على ظهر راحلتهحيث كان وجهه يومئ برأسـه)[١٠٥] يعني بالتسبيح صلاة النافلة لا الفريضة.

قال ابن الأمير الصنعاني[١٠٦]**:** "والحديث دليل على صحة صلاة النافلة على الراحلة وإن فاته استقبال القبلة... والحديث ظاهر في جواز ذلك للراكـب وأمـا الماشي فمسكوت عنه"[١٠٧].

---

(١٠٢) كفاية الأخيار للحصيني، (٩٤/١، ٩٥). وانظر: الإنصاف، لأبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، المتوفى سنة ٨٨٥هـ، تحقيق محمد حامد الفقي، باب استقبال القبلة (٣/٢)، دار إحياء التراث، بيروت، بدون رقم طبعة ولا تاريخ.

(١٠٣) أما سفر المعصية فلا يرخص فيه ما يرخص في سفر الطاعة وفي السفر المباح انظر: أحكام القرآن للشافعي، (٨٩/١).

(١٠٤) انظر: أحكام القرآن للشافعي، (٣٦/١)(٩٦/١)، أحكام القـرآن للجصـاص،(٣٣٦/١) (١٦٢،١٦٣/٢) (٢٣٦/٣). أحكـام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدا بن العربي، المتوفى سنة ٥٤٣هـ، تحقيق محمد عبـدالقادر عطـا، (٥٢،٥٣/١)(٣٠٣/١)، دار الفكر للطباعة، لبنان، بدون تاريخ طبعة ولا رقم، والإنصاف للمرداوي(٣/٢)، والمغني لابن قدامة، (٢٥٨/١).

(١٠٥) صحيح البخاري، باب من تطوع في السفر دبر الصلوات وقبلها وركع النبي صلى ا عليه وسلم ركعتـي الفجـر فـي السفر، (٣٧٣/١)، حديث رقم ١٠٥٤.

(١٠٦) ابن الأمير الصنعاني هو: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي بن حفظ الدين بن شرف الدين بن صلاح الحسني الكحلاني ثم الصنعاني، المعروف بابن الأمير، الإمام الكبير المجتهد المطلق، أخذ عن علماءصنعاء، ورحل إلى مكة وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة، برع في جميع العلوم، وتفرد برئاسة العلم في صنعاء، من مؤلفاته"سبل السلام" و"والعدة" حاشية على شرح العمدة لابن دقيق العيد و"منحة الغفار" حاشية على ضوء النهار للجلال. مولده فـي سـنة ١٠٩٩هـ وتـوفي سـنة ١١٨٢هـ. انظر: البدر الطالع، ص٦٤٩، ترجمة رقم ٤١٧.

(١٠٧) سبل السلام (٢٧٨،٢٧٩/١)، دار الريان للتراث، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

قال الحصني الشافعي(١٠٨): "واستقبالها شرط لصحةالصلاة في حق القادر لا في شدة الخوف وفي نفل السفر المباح لقوله تعالى:: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (١٠٩)... ثم الفرض في حق القريب من القبلة إصابة عينها بأن يحاذيها بجميع بدنه... وأما البعيد ففي الفرض في حقه قولان أظهرهما أيضاً إصابة العين(١١٠) للآية،لكن يكفي غلبة الظن بخلاف القريب فإنه يلزمه ذلك بيقين لقدرته عليه بخلاف البعيد،والقول الثاني أن الفرض في حق البعيد الجهة"(١١١). وشطر المسجد الحرام يتسع كلما ابتعد المستَقْبِل عن البيت، وليس الواجب إلاّ تولي الشطر أي: طرف المسجد الحرام وجهته.

قال الإمام الجصاص(١١٢): "فإن أهل اللغة قد قالوا إن الشطر اسم مشترك يقع على معنيين أحدهما:النصف يقال شطرت الشيء أي جعلته نصفين،ويقولون في مثل لهم:أحلب حلبا لك شطره أي:نصفه،والثاني:نحوه وتلقاؤه.

ولا خلاف أن مراد الآية هو المعنى الثاني،قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والربيع بن أنس،ولا يجوز أن يكون المراد المعنى الأول،إذ ليس من قول أحد إن عليه استقبال نصف المسجد الحرام"(١١٣).

---

(١٠٨) الحصني هو: أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلّى الحسيني الحصني الشافعي، فقيه ورع من أهل دمشق ومات بها، نسبته إلى الحصن (من قرى حوران)، من تصانيفه: دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الأمام أحمد، وتخريج أحاديث الإحياء، وقمع النفوس، وغيرها، توفي سنة ٨٢٩هـ. انظر: شذرات الذهب (٢٧٣/٩). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، (٨١/١١). دار النشر: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ ولا رقم للطبعة. الأعلام للزركلي (٦٩/٢).

(١٠٩) سورة البقرة من الآية: ١٤٤.

(١١٠) وضعف هذا القول بهذا الإطلاق غير واحد من أهل العلم -لما فيه من التكليف بما لا يقدر عليه-، كابن العربي المالكي في كتابه أحكام القرآن، (٦٥/١)، وابن الأمير الصنعاني في سبل السلام (٢٧٨/١). أما بالنظر إلى الاستدراك بقوله "لكن يكفي غلبةالظن -يعني في البعيد- بخلاف القريب..."، فلا يتجه التضعيف إليه إذ لا يظهر فرق بينه وبين القول الراجح بوجوب استقبال الجهة دون العين.

(١١١) كفاية الأخيار، باب شرائط صحة الصلاة (٩٤/١). وانظر: أحكام القرآن للجصاص (١١٢/١).

(١١٢) الإمام الجصاص هو: أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي الجصاص، من كبار فقهاء الأحناف، عرض عليه القضاء فرفضه، من مصنفاته: شرح الجامع الكبير، المناسك، شرح الأسماء الحسنى، ولد سنة ٣٠٥هـ وتوفي سنة ٣٧٥هـ، انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية لأبي محمد عبد القادر بن أبي الوفاء، ص٨٤، دار مير محمد كتب خانه، كراتشي.

(١١٣) أحكام القرآن للجصاص (١١٢/١) وانظر: أحكام القرآن للشافعي (٦٨/١).

ولا يجب على غير القريب المعاين البحث عن المواجهة العينية بل يكفي ما يصدق عليه التولي شطر القبلة على الراجح الذي دلت عليه الآية، ولحديث أبـي هريرة[114] رضي ا عن قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: (مـا بـين المشرق والمغرب قبلةٌ)[115].

وقال ابن الأمير الصنعاني: "والحديث دليل على أن الواجب استقبال الجهة لا العين في حق من تعذر عليه العين، وقد ذهب إليه جماعـة مـن العلمـاء لهـذا الحديث... وقوله تعالى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [116] دال علـى كفاية الجهة إذ العين في كل محل تتعذر على كل مصل... فالحق أن الجهة كافية ولو لمن كان في مكة وما يليها"[117].

ونقل ابن عبد البر الإجماع على مسألة القدر المطلوب مواجهته من القبلة فقال: "وأجمعوا على أنه فرض واجب على من عاينها وشاهدها استقبالها بعينهـا، وأنه إن ترك استقبالها وهو معاين لها فلا صلاة له"[118].

وقال: "وأجمعوا أن على من غاب عنها بعد أو قرب أن يتوجه فـي صـلاته نحوها بما قدر عليه من الاستدلال على جهتهـا مـن النجـوم والجبـال والريـاح وغيرها"[119].

قوله "حيث ورد الدليل" قيد مانع خرجت به العبادات التي لم يرد فيها ما يدل على مشروعية التوجه إلى القبلة، وهي الأغلب كالزكاة والصيام، وسائر العبادات.

([114]) أبو هريرة هو: الإمام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول ا صلى ا عليه وسلم أبو هريرة الدوسي اليماني سيد الحفـاظ الأثبات، حمل عن النبي صلى ا عليه وسلم علما كثيرا طيبا مباركا فيه لم يلحق في كثرته، اختلف في اسمه على أقـوال جمـة أرجحها عبد الرحمن بن صخر، مات سنة ٥٧، وقيل سنة ٥٨، وقيل سنة ٥٩ وهو ابن ثمان وسبعين سنة، انظر: التاريخ الكبيـر لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبي عبدا البخاري الجعفي، (١٣٢/٦) ترجمة رقم ١٩٣٨، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر،، الكنى والأسماء(٨٨٩/١) ترجمة رقم ٣٦٠٣، سير أعلام النبلاء(٥٧٨/٢) ترجمة رقم ١٢٦.

(١١٥) سبق تخريجه.

(١١٦) سورة البقرة من الآية: ١٥٠.

(١١٧) سبل السلام (٢٧٨/١).

(١١٨) الاستذكار (٢١٥/٧).

(١١٩) الاستذكار (٢١٥/٧).

ودخل في جملة القيد العبادات التي ورد الدليل فيها على مشروعية التوجـه إلى القبلة، مع اختلاف درجة المشروعية من وجوب شرطي، إلى وجـوب غيـر شرطي، إلى ندب واستحباب، والمشروعية لفظ يحتمل جميع تلك المعاني وقد سبق بيانه بشيء من التفصيل[١٢٠].

(١٢٠) انظر: حاشية صـ٢٧، ٢٨، ٢٩.

المطلب الثالث

الكعبة حدها، وأسماؤها، وسبب تسميتها، ووصفها

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: حد الكعبة.

الفرع الثاني: أسماء الكعبة.

الفرع الثالث: سبب تسميتها.

الفرع الرابع: وصف الكعبة.

الفرع الأول

حد الكعبة

الكعبة: البيت المرتفع وجمعه كعاب ومنه الكعبة البيت الحرام، لتكعيبها أي تربيعها وقالوا كعبة البيت فأضيف، لأنهم ذهبوا بكعبته إلى تربع أعلاه وسمي كعبة لارتفاعه وتربعه وكل بيت مربع فهو عند العرب كعبة[١٢١].

وقال ابن الجوزي[١٢٢] - رحمه ا - " وفي تسميتها بالكعبة قولان أحدهما لأنها مربعة والثاني لعلوها ونتوئها يقال كعبت المرأة كعابة فهي كاعب إذا نتأ ثديها"[١٢٣].

فالكَعبةُ المشَرفَة: هي بناء مربع ومكعّب تقريباً، وتقع في وسط المسجد الحرام بمكة المكرمة.

(١٢١) لسان العرب لابن منظور، (١٢ /١٠٧).

(١٢٢) ابن الجوزي هو: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن علي القرشي، التيمي، البكري البغدادي الحنبلي الواعظ، المؤرخ، إمام حافظ مفسر، صاحب التصانيف منها: صفة الصفوة أربع مجلدات، أخبار الأخيار مجلد،أخبار النساء مجلد،ذم الهوى مجلد،تلبيس إبليس مجلد، توفي في عام ٥٩٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (٢ / ٣٦٥).

(١٢٣) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن لابن الجوزي،(٢٤٣)، تحقيق: د/ مصطفى الذهبي، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى.

الفرع الثاني

أسماء الكعبة

وللكعبة المشرفة "قبلة المسلمين" عدة أسماء تُعرفُ بها، ومن هذه الأسماء التي وردت في القرآن الكريم:

الكعبة:

قال جل جلاله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (١٢٤)

البيت:

قال جل جلاله: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (١٢٥).

وقال عز وجل: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (١٢٦).

البيت الحرام:

قال جل جلاله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٢٧).

---

(١٢٤) سورة المائدة الآية: ٩٥.

(١٢٥) سورة آل عمران الآية: ٩٧.

(١٢٦) سورة آل عمران الآية: ٩٦.

(١٢٧) سورة المائدة الآية: ٢.

وجمع ا   تعالى الأسماء الثلاثة " الْكعبةَ الْبيتَ الْحرام " في قوله عز و جل:

جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢٨).

البيت العتيق:

قال ا   تعالى: ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (١٢٩).

وقال عز و جل: لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (١٣٠).

البيت المعمور:

قال ا   تعالى: وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (١٣١).

بيت ا   المحرم:

قال جل جلاله: رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (١٣٢).

---

(١٢٨) سورة المائدة الآية: ٩٧.

(١٢٩) سورة الحج الآية: ٢٩.

(١٣٠) سورة الحج الآية: ٣٣.

(١٣١) سورة الطور الآيات: (١-٤).

(١٣٢) سورة إبراهيم الآية: ٣٧.

الفرع الثالث

سبب تسميتها

سـميت الكعبـة قبلـة لأن المصـلي يقابلها،وكعبـة لارتفاعهـا وقيـل: لاستدارتها[١٣٣].

قال الرازي - رحمه ا -: "سميت الكعبة كعبة لارتفاعها، يقال للجارية إذا نتأ ثديها وخرج كاعب، وكعاب، وكعب الإنسان يسمى كعباً لنتوئه فـي السـاق، فالكعبة لما ارتفع ذكرها في الدنيا وأشتهر أمرها في العالم سميت بهـذا الاسـم، ولذاك فإنهم يقولون لمن عظم أمره فلان علا كعبه"[١٣٤].

(١٣٣) انظر: كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، (٩٤/١)، ومغني المحتاج للنووي، (١٤٢/١).

(١٣٤) تفسير الرازي المسمى التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،(٨٣/١٢).

الفرع الرابع

وصف الكعبة

وللكعبة زوايا أربعة تُعرف بأركان الكعبة، و يعرف كل ركنٍ من أركانها باسم خاص به أو بأكثر من اسم، وجاءت التسمية للأركان باعتبار اتجاهاتها الأربع تارةً، و باعتبار خصوصية أخرى فيها تارة أخرى[١٣٥].

وقال النووي[١٣٦]– رحمه ا –: "واعلم أن للبيت أربعة أركان الركن الأسود والركن اليماني ويقال لهما: اليمانيان كما سبق، وأما الركنان الآخران، فيقال لهما: الشاميان، فالركن الأسود فيه فضيلتان: أحدهما كونه على قواعد إبراهيم صلى ا عليه وسلم والثانية، كونه فيه الحجر الأسود وأما اليماني ففيه فضيلة واحدة، وهي كونه على قواعد إبراهيم، وأما الركنان الآخران فليس فيهما شيء من هاتين الفضيلتين"[١٣٧].

---

(١٣٥) الركن الشرقي: وهو الركن الذي يكون بجوار باب الكعبة ويقابلُ بئر زمزم تقريباً، ويسمى بالركن الشرقي لكونه باتجاه المشرق تقريباً، ويسمى أيضاً بالركن الأسود لأن الحجر الأسود مثَبتٌ فيه.

الركن الشمالي: وهو الركن الذي يلي الركن الشرقي حسب جهة الحركة في الطواف، ويسمى بالركن الشمالي لمواجهته للشمال تقريباً، وهو الركن الذي يكون على الجانب الشرقي من حجرِ إسماعيل، ويسمى أيضا بالركن العراقي لكونه باتجاه العراق. الركن الغربي: وهو الركن الذي يلي الركن الشمالي حسب جهة الحركة في الطواف، ويسمى بالركن الغربي لمواجهته للمغرب تقريباً، ويسمى أيضاً بالركن الشامي لكونه باتجاه الشام، وهو الركن الذي يكون على الجانب الغربي من حجرِ إسماعيل.

الركن الجنوبي: وهو الركن الذي يلي الركن الغربي حسب جهة الحركة في الطواف، ويسمى بالركن الجنوبي لمواجهته للجنوب تقريباً، ويسمى أيضا بالمستجار.

(١٣٦) النووي هو: الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعه بن حزام النووي ثم الدمشقي، الشافعي، محرر المذهب ومهذبه ومحققُه ومرتبه، إمام أهل عصره علماً وعبادة، توفي سنة ٦٧٦هـ. انظر: المنهاج السوي في ترجمه الأمام النووي للإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق أحمد شفيق دمج، دار ابن حزم، بيروت،الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(١٣٧) شرح مسلم للنووي المسمى بـ "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، (١٤/٩)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

وما بين كل ركنين هو قبلة لمن واجهه، فأهل العراق يتجهون إلـى الـركن العراقي الذي فيه الحجر الأسود، وأهل الشام إلى الركن الشامي، والمغاربة إلـى الركن المغربي، وسكان اليمن إلى الركن اليماني.

المبحث الثالث

التعريف بأهل القبلة

وفيه تمهيد وخمسة مطالب:

المطلب الأول: المعاني المرادفة لأهل القبلة.

المطلب الثاني: اختلاف العلماء في أهل القبلة.

المطلب الثالث: مناقشة الأقوال والترجيح.

المطلب الرابع: المعنى الشرعي المختار لمصطلح (أهل القبلة).

المطلب الخامس: قيود التعريف المختار ومحترزاته.

التمهيد:

المقصود في هذا الموضع هو الوقوف على تعريف جامع مانع لأهل القبلـة، وبيان المعنى الشرعي لهذا المصطلح، والذي يقصد منه تحديد الطوائف والفـرق التي تنتسب إلى الإسلام وما زالت في دائرته ولم تخرج عنهـا، وبيـان الفـرق والطوائف التي تنتسب إلى الإسلام وقد خرجت عنه، والعبرة في هذا بمـا انعقـد عليه الاتفاق أو الإجماع بين علماء السلف على بقاء هذه الفرقة في أهـل القبلـة وخروج تلك من أهل القبلة، وليست العبرة بمجرد الانتساب، ولا بمجرد دعـوى الخروج بدون دليل قاطع على ذلك.

ولما كان الأصل في التعاريف عدم البسط والتطويل؛ أفردت الكـلام عـن المسائل المتعلقة بأهل القبلة في مبحث مستقل من هذه الرسالة وسمته بـ "ضـبط مفهوم أهل القبلة".

وأكتفي هنا بذكر مسائل عامة وبصورة مجملة في الخمسة المطالب الآتية.

المطلب الأول

المعاني المرادفة لأهل القبلة

ويرادف "أهل القبلة" في المعنى" أهل ملة الإسلام " و" أمة الإسلام " و" أهل الإسلام " فهي بمعنى واحد:

قال البغدادي[١٣٨] في كتابه "الفرق بين الفرق": "الفصل الأول: **في بيان المعنى الجامع للفرق المختلفة في اسم ملة الإسلام** على الجملة قبل التفصيل لاختلاف المنتسبين إلى الإسلام في الذين يدخلون **بالاسم العام في ملة الإسلام" -** ثم ساق الخلاف في ذلك ونسبه إلى أصحابه- وقال: "والصحيح عندنا أن **أمة الإسلام** تجمع المقرين بحدوث العالم، وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونفي التشبيه عنه..."[١٣٩].

---

(١٣٨)هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي الإمام الكبير الأستاذ أبو منصور البغدادي ، إمام عظيم القدر جليل المحل كثير العلم حبر لا يساجل في الفقه وأصوله والفرائض والحساب وعلم الكلام ، مات سنة ٤٢٩هـ . طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ١٣٦- ١٤٨) ، وسير أعلام النبلاء (٥٧٢/١٧- ٥٧٣) .

(١٣٩) الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩هـ، اعتنى بها وعلق عليها إبراهيم رمضان، صـ١٦، ١٨، ١٩، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

المطلب الثاني

اختلاف العلماء في أهل القبلة

لم أجد فيما وقفت عليه من كتب العقائد والأصول والفروع من أفرد "أهل القبلة" بتعريف اصطلاحي؛ على طريقة أرباب الفنون المعروفة ونهجهم المألوف، حتى يتيسر القول في كل تعريف هذه قيوده و هذه محترزاته، وغاية ما وقفت عليه من كلامهم المبثوث في أبواب العلم المختلفة عبارات واضحة الدلالة، ذكروا فيها شيئاً من أحكام أهل القبلة؛ ونصوا على دخول بعض الفرق التي أحدثت في الدين بدعاً، وتوهم متوهم أنها قد خرجت عن أهل القبلة، فكانت عباراتهم مزيلة لهذا الوهم كاشفة للّبس موضحة للحق مجلية له، ولا يفهم من تنصيصهم على البعض الحصر لأن التنصيص لا يعني التخصيص وإنما يعني مزيد الاهتمام ودفع الإيهام.

ولعل البغدادي رحمه ا هو أكثر العلماء توضيحاً للأقوال في مسألة "من هم أهل القبلة"، وقد عقد باباً للفِرق التي يجمعهم اسم الإسلام في الجملة، وجعل فصله الأول: في بيان المعنى الجامع للفرق المختلفة في اسم ملة الإسلام على الجملة قبل التفصيل وخلاصة ما ذكره فيه:

"اختلف المنتسبون إلى الإسلام في الذين يدخلون باسم العام في ملة الإسلام" على أقوال:

القول الأول: أن أمة الإسلام كل من يرى وجوب الصلاة إلى جهة الكعبة، ونسبه إلى بعض فقهاء الحجاز ولم يعرف بهم.

القول الثاني: أن قول القائل أمة الإسلام يقع على كل مقر بنبوة محمد صلى ا عليه وسلم، وأن كل ما جاء به حق كائنا قوله بعد ذلك ما كان، ونسبه إلى أبي القاسم الكعبي(١٤٠).

---

(١٤٠) **أبو القاسم الكعبي هو:** أبو القاسم عبد ا بن أحمد البلخي الكعبي، شيخ المعتزلة، قال بن خلكان: أبو القاسم عبد ا بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي العالم المشهور، كان رأس طائفة من المعتزلة يقال لهم: الكعبية، وهو صاحب مقالات، ومن مقالاته أن ا سبحانه وتعالى ليست له إرادة، وأن جميع أفعاله واقعة منه بغير إرادة ولا مشيئة منه لها، وكان من كبار المتكلمين وله اختيارات في علم الكلام، توفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة. انظر: شذرات الذهب، (٩٣/٤). العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (٤/٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

القول الثالث: أن اسم الإسلام جامع لكل من أقر بشهادتي الإسلام لفظاً، فكل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ فهو مؤمن حقاً، وهو من أهل ملة الإسلام، سواء أخلص في قوله أو نافق أو أضمر الكفر والزندقة؛ ولهذا زعموا أن المنافقين في عهد رسول الله كانوا مؤمنين حقاً، وكان إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل والأنبياء والملائكة، ونسبه إلى الكرامية مجسمة خراسان(١٤١).

القول الرابع: وهو الصحيح عند البغدادي: "أن اسم الإسلام يجمع المقرين بحدوث العالم، وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونفي التشبيه عنه، وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته إلى الكافة، وبتأبيد شريعته، وبأن كل ما جاء به حق، وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة، وأن الكعبة هي القبلة التي تجب الصلاة إليها، فكل من أقر بذلك كله ولم يشُبه ببدعة تؤدي إلى الكفر فهو السني الموحد، وإن ضم إلى الأقوال بما ذكرناه بدعة شنعاء نُظر"(١٤٢).

---

(١٤١) الكرامية بخراسان: ثلاثة أصناف حقاقية، وطرايقية، واسحاقية، وهذه الفرق الثلاث سميت كرامية نسبة إلى زعيمها المعروف محمد بن كرام، وكان مطروداً من سخستان إلى غرجستان، وله مقالات مبتدعة منها: أنه دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده، وزعم أنه جسم، له حد ونهاية من تحته، والجهة التي منها يلاقي عرشه، وقد وصف ابن كرام معبوده في بعض كتبه بأنه جوهر؛ كما زعمت النصارى أن الله تعالى جوهر، وأتباعه اليوم لا يبوحون بإطلاق لفظ الجوهر على الله تعالى عند العامة خوفاً من الشناعة عند الإشاعة، وهم مجسمة ومذهبهم أقرب مذهب إلى مذهب الخوارج، وقد نصره محمود بن سبكتكين السلطان وصب البلاء على أصحاب الحديث" انظر: الفرق بين الفرق، ص٢٠٢ وما بعدها، والملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني،تحقيق: محمد سيد كيلاني، (١٠٨/١ وما بعدها)، دار المعرفة،بيروت، ١٤٠٤هـ.

(١٤٢) الفرق بين الفرق ص١٨-١٩.

المطلب الثالث

مناقشة الأقوال والترجيح

القول الأول: أن أهل القبلة كل من صلى إلى الكعبة: أجاب عنه البغدادي بقوله:" وأما قول من قال إن اسم ملة الإسلام أمر واقع على كل من يرى وجوب الصلاة إلى الكعبة المنصوبة بمكة، فقد رضي بعض فقهاء الحجاز هذا القول، وأنكره أصحاب الرأي؛ لما روي عن أبي حنيفة[143] أنه صحح إيمان من أقر بوجوب الصلاة إلى الكعبة وشك في موضعها، وأصحاب الحديث لا يصححون إيمان من شك في موضع الكعبة، كما لا يصححون إيمان من شك في وجوب الصلاة إلى الكعبة"[144].

ويمكن توجيه **القـول** والاستدلال له بالحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك[145] قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: (**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا** وأكل ذبيحتنا **فذلك المسلم الذي له ذمة ا وذمة رسوله؛ فلا تخفـروا ا فـي ذمته**)[146].

قال ابن حجر[147]**:** "قوله:(ذمة ا) أي: أمانته وعهده، قوله:(فلا تُخْفـروا) بالضـــــــــم مـــــــن الربـــــــــــاعي، أي: لا

---

(١٤٣) أبو حنيفة : الإمام فقيه الملة عالم العراق أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي الكوفي ، مولى بني تيم ا بن ثعلبه يقال إنه من أبناء الفرس ، ولد سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة ولم يثبت له حـرف عن أحد منهم ، وعني بطلب الآثار وارتحل في ذلك وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه فإليه المنتهى والناس عليه عيال فـي ذلك ، مات سنة ١٥٠هـ وقيل ١٥١، وقيل ١٥٣. انظر سير أعلام النبلاء (٣٩٠/٦ وما بعدها) ترجمة رقم ١٦٣، طبقات الحفاظ (٨٠/١) ترجمة رقم ١٥٦.

(١٤٤) الفرق بين الفرق ص ١٨.

(١٤٥)أنس بن مالك: هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري الخزرجي ، خادم رسول ا صلى ا عليه وسلم لعشر سنين ، وأحد المكثرين من الرواية مات سنة ١٠٢هـ ـ وقيل ١٠٣، وقيل ١٠٩. الكنى والأسماء (٢٤٣/١) ترجمة رقم ٨٢١ ، الاستيعاب (١٢٦/١) ترجمة رقم ٢٧٧. وتحرير تقريـب التهذيب (١٥٣/١) ترجمة رقم ٥٦٥.

(١٤٦) صحيح البخاري، باب فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجليه، (١٥٣/١)، حـديث رقـم ٣٨٤. والإيمان لابن منده، والإيمان لمحمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، (٣٥٧/١)، حديث رقم ١٩٥، تحقيـق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٦هـ .وسنن البيهقي الكبـرى، باب فرض القبلة وفضل استقبالها، (٣/٢)، حديث رقم ٢٠٣٠.

(١٤٧) ابن حجر هو: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، عاش بمصر، محدث، مـؤرخ، أديـب، شـاعر، لـه التصانيف النافعة توفي سنة ٨٥٢هـ. انظر: شذرات الذهب (٢٧٠/٧)، والبدر الطالع (٨٧/١).

تغدروا، يقَال: أَخفَرت إذَا غَدرت، وخَفَرت إذَا حميت، ويقَال: إن الهمزة في أَخفَرت للإزالة، أَي ترك حمايته"[148].

وسئل أنس بن مالك: "يا أبا حمزة **ما يحرم دم العبد وماله؟** فقال: من شهد أن لا إله إلا ا ، **واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا**، وأكل ذبيحتنا؛ فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم"[149].

فهذا نص صريح على أن من استقبل القبلة وصلى إليها، كان مسلماً من أهل القبلة، له ما للمسلم وعليه ما عليه، ولكن القول الأول الذي حكاه البغدادي، ليس دقيقاً في عبارته؛ إذ عبر بقوله "إن اسم ملة الإسلام واقع على كل من يرى وجوب الصلاة إلى الكعبة المنصوبة بمكة"، ولا يكفي اعتقاد وجوب الصلاة بدون أدائها، وبقية شعائر الإسلام المقطوع بها؛ لأن الإسلام لا يثبت لصاحبه بالتصديق مجرداً عن الأفعال التي تشهد لذلك التصديق، وحدها الأدنى الذي لا يعفى عن أدئه هو القيام بأركان الإسلام التي بني عليها الدين، وبتركها ينهدم ولا يستقيم؛ لحديث ابن عمر في الصحيحين: عن النبي صلى ا عليه وسلم قال:" بني الإسلام على خمس على أن يعبد ا ويكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان"[150]، وإليها أشار النبي صلى ا عليه وسلم في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي ا عنه، ونبه بما ذكره عليه الصلاة والسلام على جنس العبادات والأركان التي تلزم المسلم، وهذا هو الصحيح في فهم حديث أنس حتى لا يقع التعارض المتوهم بين نصوص الوحي، فكما أن السنة شارحة ومبينة للقرآن، ترفع الإشكال عن مشكله، والإجمال عن مجمله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامه، وتبين ناسخه من منسوخه؛ فكذلك السنة مع السنة، ولا يغفل عن هذا من له أدنى اشتغال بالعلم، فضلاً أن يجحده عالم؛ ولذلك يؤخذ على هذا القول عدم انضباط قيده، وعدم وضوح محترزاته، إذ يدخل في أهل القبلة من ليس منهم باتفاق، وهذا القول وإن كان جامعاً فليس بمانع دخول من لا يستحق الدخول، فقد يرى وجوب الصلاة مرتد أسقط فرض الزكاة أو الجهاد، أو غيرها من المعلوم ضرورة في الدين، و أنكر مشروعية واحدة من

---

(148) فتح الباري (496/1).

(149) صحيح البخاري، باب فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجليه، (153/1) حديث رقم 385.

(150) صحيح مسلم، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، واللفظ له، (45/1). صحيح البخاري، باب الإيمان وقول النبي صلى ا عليه وسلم بني الإسلام على خمس وهو قول وفعل ويزيد وينقص، (11/1).

تلك الفرائض، أو ادعى تعلقها بوجوده صلى ا عليه وسلم حياً في أمته، وقامت عليه الحجة وانتفت عنه موانع التكفير، فهل مثل هذا يكفيه القول بوجوب الصلاة للدخول في أهل القبلة مع ما قال أو فعل من ناقض؟ **والجواب** أنه لا يعد من أهل القبلة، لتحقق الناقض لإسلامه، وهو جحده المعلوم من الدين ضرورة.

القول الثاني:

أنأمةالإسلامتقععلىكلمقربنبوةمحمدوأنكلماجاءبهحقكائناًقولهبعدذلكماكان، ونسب إلى أبي القاسم الكعبي.

والقول الثالث:

أنأمةالإسلامجامعةلكلمنأقربشهادتيالإسلاملفظاً؛فهومؤمنحقاً، وهومنأهلملةالإسلام، سواءأخلص في قولهأونافق أو أضمرالكفروالزندقة؛فإيمانهكإيمانجبريلوميكائيلوالأنبياءوالملائكة، ونسب إلى الكراميةمجسمةخراسان.

وأجاب البغدادي عن القولين فقال:

"وهذاالقولمعقولالكعبيفيتفسيراتهالإسلامينتقضبقولالعيسوية[151] منيهودأصبهان[152]؛فإنهميقرونبنبوةنبينامحمد، وبأنكلماجاءبهحق، ولكنهمزعمواأنهبعثإلىالعربلاإلىبنيإسرائيل، وقالواأيضامحمدرسولا ، وماهممعدودينفيفرقالإسلام،

---

(١٥١)**العيسوية**: نسبواإلىأبيعيسىإسحق بن يعقوب الأصفهاني، وقيل: إن اسمهعوفيد الوهيم أي عابد ا ، قال ابن حزم:"وبلغني أن اسمه محمد بن عيسى"، كان في زمن المنصور، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية مروان بن محمد الحمار، فاتبعه بشر كثير من اليهود، وادعوا له آيات ومعجزات، وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم ومحمد صلى ا عليه وسلم، ويقولون أن عيسى بعثه ا عز وجل إلى بني إسرائيل على ما جاء في الإنجيل، وأنه أحد أنبياء بني إسرائيل، ويقولون: إن محمداً صلى ا عليه وسلم نبي، أرسله ا تعالى بشرائع القرآن إلى بني إسماعيل عليهم السلام، وإلى سائر العرب كما كان أيوب نبياً في بني عيص، وكما كان بلعام نبياً في بني مواب بإقرار من جميع فرق اليهود. انظر:الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري،(٨٢/١)، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون رقم الطبعة. الملل والنحل، (٢١٥/١).

(١٥٢) **أصبهان**:منهم من يفتح الهمزة وهم الأكثر وكسرها آخرون، وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ويسرفون في وصف عظمها، وأصبهان اسم للإقليم بأسره، واختلف في سبب تسميتهافقيل: سميت بأصبهان بن فلوج بن لنطي بن يونان بن يافث، وقيل: سميت بأصبهان بن فلوج بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل: أصبهان اسم مركب لأن الأصب البلد بلسان الفرس، وهان اسم الفارس، فكأنه يقال: بلاد الفرسان،وقيل: إن الأصب بلغة الفرس هو الفرس، وهان كأنه دليل الجمع فمعناه الفرسان، والأصبهاني الفارس وقيل: أصبهان اسم مشتق من الجندية؛ وذلك أن لفظ أصبهان إذ رد إلى اسمه بالفارسية كان أسباهان وهي جمع أسباه.انظر: معجم البلدان لأبي عبد ا ياقوت بن عبد ا الحموي، (٢٠٦/١-٢٠٧)، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ رقم للطبعة.

وقوم من موشـكانية[153] اليهود حكوا عن زعيمهم المعروف بموشـكان أنه قال: إن محمداً رسول الله إلى العرب وإلى سائر الناس ما خلا اليهود، وأنه قال: إنّ القرآن حق، وكذا الأذان والإقامة والصلوات الخمس وصيام شهر رمضان، وحج الكعبة كل ذلك حق؛ غير أنه مشروع للمسلمين دون اليهود، وربما فعل ذلك بعض الموشـكانية، وقد أقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقروا بأن دينه حق، وما هم مع ذلك من أمة الإسلام؛ لقولهم بأن شريعة الإسلام لا تلزمهم".

ويضاف إلى هذا الجواب ما سبق جواباً على أصحاب القول الأول، ليتضح عدم انضباط قيود ومحترزات هذا التعريف، ودخول من لا يدخل في أهل القبلة قطعاً.

القول الرابع: **وهو الصحيح عند البغدادي**:

"أن أمة الإسلام تجمع المقرين بحدوث العالم، وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونفي التشبيه عنه، وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته إلى الكافة، وبتأبيد شريعته، وبأن كل ما جاء به حق، وبأن القرآن منبع الشريعة، وأن الكعبة هي القبلة التي تجب الصلاة إليها، فكل من أقر بذلك كله ولم **يشُبه ببدعة تؤدي إلى الكفر فهو السني الموحد**، وإن ضم إلى الأقوال بما ذكرناه بدعة شنعاء نُظر"[154].

وهو أوضح من الأقوال السابقة وأصح منها؛ لما يتضمنه من قيود ومحترزات، لا يدخل فيها من جاء بناقض من نواقض الإسلام، ويؤخذ على التعريف الطول، وأنه نص في آخره على ما يوهم خروج الشيعة من أهل القبلة، وذلك قوله: "فكل من أقر بذلك كله ولم يشُبه ببدعة تؤدي إلى الكفر **فهو السني الموحد**"، وكان يكفي فيه القول: إن من كان هذا حاله فهو الموحد، أو من أهل القبلة الموحدين،

---

(١٥٣) **الموشكانية**: من فرق اليهود أصحاب موشكان، كان على مذهب يوذعان، غير أنه كان يوجب الخروج على مخالفيه، ونصب القتال معهم فخرج في تسعة عشر رجلاً فقتل بناحية قم، وذكر عن جماعة من الموشكانية أنهم أثبتوا نبوة المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام إلى العرب وسائر الناس سوى اليهود؛ لأنهم أهل ملة وكتاب. الملل والنحل للشهرستاني، بتصرف يسير (٢١٧/١).

(١٥٤) الفرق بين الفرق، صـ ١٠.

لأن كلمة السني يقابلها الشيعي، ومعلوم أن المتشيع تشيعاً خفيفاً، هـو مـن أهـل القبلة[155].

ولا أظنه أراد إخراج الشيعة مطلقاً من أمة الإسلام؛ لقوله بعد ذلـك وهـو يبين أن البدع التي تشوب المعتقد منها ما يوجب خروج صاحبها عن أهل القبلـة مطلقاً، ومنها ما يوجب لصاحبها دخولاً في أمة الإسلام فـي بعـض الأحكـام، وخروجاً عن أمة الإسلام في بعض الأحكام- بحسب قولـه **- قـال البغـدادي:** "وإن كانت من جنس بدعالمعتزلة[156]، أوالخوارج[157]،أوالرافضـةالإمامية[158]،

([155])فكتب السنة الصحاح مملوءة بالرواية عن من رماه السلف بالتشيع، والمقصود به التشيع الخفيف من تقديم علي رضي الله عنه على غيره من الصحابة، ولم ينكر ذلك، ومعلوم أن رواية الحديث وأداءها لا يقبل من مجروح العدالة، والكافر لا عدالة له.

(١٥٦) **المعتزلـة:** هم أصحاب واصل بن عطاء الغزال، وسموا معتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصـري فـي مسألة تكفير مرتكب الكبيرة، وقولهم هو في منزلة بين منزلتين، فليس بمؤمن ولا كافر، ويتسمون بأصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية،طريقتهم في إثبات العقائد طريقة المتكلمين والفلاسفة، نفـوا رؤيـة الله فـي الآخرة، ونفوا الصفات عنه سبحانه،وقالوا: إن الإنسان يخلق أفعاله خيرهـا وشـرها. انظـر: الملـل والنحـل للشهرستاني،(٤٣/١وما بعدها). مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسنعلي بن إسـماعيل الأشـعري، المتوفى سنة ٣٣٠هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (٢٣٥/١ وما بعدها)، المكتبة العصرية، بيـروت، بدون رقم طبعة، ١٤١٦هـ.

(١٥٧) **الخوارج:** لزمهم هذا الاسم لخروجهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم التحكـيم فـي حربصفين، ويجمعهمالقولبالتبرؤمنعثمانوعليرضياللهعنهما،،ويرونالخروجعلىالإمامإذاخالفالسنةحقاًواجباً، وتكفير مرتكب الكبيرة إن لم يتب منها، ونزلوا أرض حرورا بظاهر الكوفة، فسموا حرورية، وناصبوا علياً العداء فسـموا نواصـب، وكبارفرقالخوارجستة: الأزارقة،والنجداتوالعجاردة،والثعالبة،والإباضية،والصفرية،انظر: الملل والنحـل للشهرسـتاني، (١١٤/١). والمقالات للأشعري(١٦٧/١) وما بعدها. عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني، تحقيق محمد بـن عبد الله زربان، (١١/١)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(١٥٨) **الإمامية:** هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه الصلاة والسلام نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غيـر تعـريض بالوصـف بـل إشـارة إليـه بـالعين، ثمإنالإماميةتخطتعنهذهالدرجةإلىالوقيعةفيكبارالصحابةطعناًوتكفيراً،وقدشهدتنصوصالقرآنعلىعدالتهموالرضـاعنجملتهم، وهممتفقونفيالإمامةوسوقهاإلىجعفربنمحمدالصادقرضياللهعنه،ومختلفونفيالمنصوصعليهبعدهمنأولاده،وإنماسـموإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي رضي الله عنـه، وسـموا رافضةلرفضـهمإمامةأبيبكروعمر، انظـر الملـل والنحـل للشهرستاني،(١٦٢/١). المقالات للأشعري، (٨٨/١ وما بعدها). عقائد الثلاث والسبعين فرقة، (٤٨٧/٢).

أوالزيديــة(١٥٩)، أومنبدعالنجاريــة(١٦٠)،أوالجهميــة(١٦١)،أوالضــرارية(١٦٢)،

---

(١٥٩) **الزيدية:**أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي ا عنهم، ساقوا الإمامـة فـي أولاد فاطمة رضي ا عنها، ولم يجوزا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة أن يكون إماماً واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسـين رضـي ا عنهما، وجوزا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة، تتلمـذ زيد بن علي في الأصول على واصل بن عطاء الغزال الألثغ، رأس المعتزلة ورئيسهم، فاقتبس منـه الاعتـزال وصارت أصحابه كلهم معتزلة، وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل، وبهذا قالوا بصحة إمامة أبي بكر وعمر، ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول، وطعنت في الصحابة طعـن الإماميـة، وهم أصناف ثلاثة: جارودية وسليمانية وبترية، والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد. انظر الملل والنحـل للشهرستاني، (١٥٤/١). مقالات الإسلاميين، (١٣٦/١). الفرق بين الفرق للبغدادي،ص١٦.

(١٦٠) **النجارية:** فرقة من فرق المرجئة، وهم أصحاب الحسين بن محمد النجار من أهل قم، وأكثر معتزلة الري وما حواليها على مذهبه، وهم وإن اختلفوا أصنافاً إلا أنهم لم يختلفوا في المسائل التي عدت أصـولاً، يزعمـون أنالإيمان هو المعرفة با وبرسله وفرائضه المجمع عليها، والخضوع له بجميع ذلك،والإقرار باللسان، فمن جهل شيئاً من ذلك فقامت به عليه حجة أو عرفة ولم يقر بـه كفـر، ولـم تسـم كـل خصـلة مـن ذلـك إيمانـاً، وأنالإيمانيزيدولاينقصوأنمنكانمؤمناًلايزولعنهاسمالإيمانإلابالكفر. المللوالنحل للشهرستاني، (٨٨/١- ٩٠). مقـالات الإسلاميين، (٢١٦/١ وما بعدها). عقائد الثلاث والسبعين فرقة، (٢٨١/١).

(١٦١) **الجهمية:** أصحاب جهم بن صفوان، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو فـي آخـر ملك بني أمية، وهو من الجبرية الخالصة لقوله في القدرة الحادثة: إن الإنسان لا يقدر على شـيء، ولا يوصـف بالاستطاعة وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق ا تعالى الأفعال فيه علـى حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمـادات، كمـا يقـال: أثمـرت الشجرة، وجرى الماء وتحرك الحجر... والثواب والعقاب جبر، كما أن الأفعال كلها جبر، قال: وإذا ثبت الجبـر فالتكليف أيضاً كان جبراً، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشـياءمنها: قولـه: لا يجـوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه؛ لأن ذلك يقضي تشبيها، فنفى كونه حياً عالماً، ونسـبإلى التعطيـل المحض، وقال بفناء الجنة والنار بعد دخول أهلهما فيهما، وقال: من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده؛ لأن العلم والمعرفة لا يزولان بالجحد. انظـر: الملـل والنحـل للشهرسـتاني (٨٩/١ومـا بعـدها). المقـالات للأشعري،(٢١٣/١ وما بعدها). عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني، (٢٧٣/١).

(١٦٢) **الضرارية:** فرقة من فرق المعتزلة، أصحاب ضرار بن عمرو الكوفي، والذي فارق ضرار بن عمرو بـه المعتزلة قوله أنأعمال العباد مخلوقة، وأن فعلاً واحداً لفاعلين أحدهما خَلَقه وهو ا ، والآخر اكتسبه وهو العبـد، وأن ا عز وجل فاعل لأفعال العباد في الحقيقة، وهم فاعلون لها في الحقيقة، وانفردوا بقولهم ما في النار حـر، ولا في الثلج برد، ولا في الزيتون زيت، ولا في العسل حلاوة، ولا في الصبر مرارة، إنما يخلقه ا عند الذوق، أو اللمس، أو العصر، انظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة(٣٢٨/١)، الملل والنحل للشهرستاني (٩٠/١).

أو المجسمة(١٦٣)، **فهو من الأمة في بعض الأحكام**، وهو جواز دفنه في مقابر المسلمين، وفي ألا يمنع حظه من الفيء والغنيمة إن غزا مع المسلمين، وفي ألا يمنَع من الصلاة في المساجد، **وليس من الأمة في أحكام سواها**، وذلك أنه لا تجوز الصلاة عليه ولا خَلْفه، ولا تحلّ ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سنية، ولا يحل للسني أن يتزوج المرأة منهم إذا كانت على اعتقادهم..."(١٦٤)

وعبارته هذه تضمنت مذهباً له، أشكل علي فيه اعتباره مسألة الخروج عن أهل القبلة مسألة نسبيةً تقبل التجزئة، فقد يكون المسلم على اصطلاحه هذا محلاً لحكمين متضادين، فيقال على حد تعبيره هو من أمة الإسلام في جملة من الأحكام وليس من أمة الإسلام في جملة من الأحكام، و يحتاج هذا القول إلى مناقشة دقيقة تتناول نظرية البغدادي من جوانب قوتها وضعفها- إن وجد فيها الضعف – وسيأتي بسط القول والمناقشة لاحقاً إن شاء ا (١٦٥).

---

(١٦٣) **المجسمة:** طائفة بالغت في إثبات الصفات، وجعلوا الباري سبحانه وتعالى جسماً من الأجسام له طول وعرض وعمق – حاشاه سبحانه– وأول من قال: إن ا جسم محدود عريض عميق طويل طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه، نور ساطع له قدر من الاقدار، بمعنى أن له مقداراً في طوله وعرضه وعمقه هو هشام بن الحكم الرافضي، انظر: مقالات الإسلاميين(٢٨١/١)، مجموع الفتاوى(١٨٦/٣).

(١٦٤) الفرق بين الفرق، صـ ١١.

(١٦٥) في مبحث "ضبط مفهوم أهل القبلة".

المطلب الرابع

المعنى الشرعي المختار لمصطلح "أهل القبلة"

وفيه فرعان:

الفرع الأول: بيان المقصود بأهل القبلة وما يرادفها من معان

الفرع الثاني: أهل القبلة في الاصطلاح الشرعي

الفرع الأول

بيان المقصود بأهل القبلة وما يرادفها من معان

المقصود بأهل القبلة من ثبت له عقد الإسلام، وتثبت له حقوق المسلم على أخيه المسلم وتلزمه الواجبات، فيما يظهر لنا من علانيته ونكلُ سريرته إلى ا عز وجل، إذ قد يكون من أهل القبلة فيما يتعلق بأحكام الدنيا، وهو عند ا على خلاف ذلك، فليس المراد الوقوف على كون الفرد أو الجماعة من أهل القبلة في حقيقة الأمر عند ا ، ولكن المقصود هو الوقوف على من يدخل في أهل القبلة فيما يظهر لنا من حاله، وا يتولاه فيما أبطن، فالعبرة بالظاهر وا أعلم بالسرائر.

قال الإمام الطحاوي[١٦٦]: "في ثنايا كلامه عن أهل القبلة: "ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق **ما لم يظهر منهم شيء من ذلك ونذر سرائرهم** إلى ا تعالى"[١٦٧].

وقال اللالكائي[١٦٨]: "ولا نكفر أهل القبلة بذنوبهم ونكل أسرارهم إلى ا عز وجل"[١٦٩].

---

(١٦٦)الطحاوي: هو أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي الحجري المصري، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر، وكان ثقة ثبتاً، بارعاً في الفقه والحديث، توفي رحمه ا تعالى في ذي القعدة سنة ٣٢١هـ وله ٨٢سنة. انظر: شذرات الذهب (٢٨٨/٢).

(١٦٧) العقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي،تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (٤٦/١)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(١٦٨) اللالكائي: هو الإمام العالم الحافظ أبو القاسم هبة ا بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي من فقهاء الشافعيةكان فقيها محدثا حافظا سمع من خلق كثيرين تفقه على الشيخ أبي حامد الإسفراييني وصنف كتبا منها رجال الصحيحين وكتاب السنة وعاجلته المنية فلم يرو عنه إلا كتاب السنة خرج إلى الدينور فمات بها كهلا في رمضان سنة ٤١٨هـ.انظر: طبقات الشافعية (١٩٧/١-١٩٨) ترجمة رقم ١٥٧، تذكرة الحفاظ (١٠٨٣/٣) ترجمة رقم ٩٨٦، تاريخ بغداد (٧٠/١٤) ترجمة رقم ٧٤١٨، الأعلام (٧١/٨).

(١٦٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم لأبي القاسم هبة ا ابن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي المتوفى سنة ٤١٨ هـ، تحقيق د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، (١٧٧/١)، دار طيبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ.

وقال ابن الوزير[١٧٠]**:** "وإنما يقع الإشكال في تكفير من قـام بأركـان الإسـلام الخمسة المنصوص على إسلام من قام بها إذا خالف المعلوم ضرورة للبعض أو للأكثر، لا المعلوم له وتأوله، وعلمنا من قرائن أحواله أنه ما قصد التكذيب، أو التبس ذلك علينا في حقه **وأظهر التدين والتصديق بجميع الأنبياءوالكتب الربانية؛** مع الخطأ الفاحش في الاعتقاد ومضادة الأدلة الجلية عقلاً وسمعاً، ولكن لم يبلغ مرتبة الزنادقة[١٧١]..."[١٧٢].

فمن هذه النقول يتبين لنا ثبوت عقد الإسلام لمن جاء بالشرائع الظاهرة، وعليهـا مدار الأحكام الشرعية، والأصل الظاهر فيما ذهب إليه العلماء في اعتماد الظاهر أدلـة شرعية تبلغ في دلالتها مجتمعة حد القطع، الذي لا يصح سواه، وأكتفي هنا بذكر دليـل واحد، وسيأتي بسط الأدلة وفقهها في مبحث "ضبط مفهوم أهل القبلـة" –إن شـاء ا تعالى-.

قول ا تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[١٧٣].

---

(١٧٠) ابن الوزير هو: محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى، إمام كبير، من مجتهدي اليمن، له مصـنفات عـدة منهـا العواصـم والقواصم ، توفي بصنعاء سنة٨٤٠هـ. انظر: البدر الطالع (٨١/٢)، والأعلام (٣٠٠/٥).

(١٧١) الزنادقة: جمع زنديق، وهو من وقع فيما يوجب له وصف الزندقة، قال ابن تيمية: "لفظ الزندقة لا يوجـد فـي كلام النبي صلى ا عليه وسلم كما لا يوجد في القرآن وهو لفظ أعجمي معرب من كلام الفرس بعد ظهور الإسـلام، وقد تكلم به السلف والأئمة في توبة الزنديق ونحو ذلك.قال: والزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبتـه فـي الظـاهر المراد به عندهم المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، وإن كان مع ذلك يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن، وسواء كان في باطنه يهودياً أو نصرانياً أو مشركاً أو وثنياً، وسواء كان معطلاً للصانع وللنبوة أو للنبوة فقط، أو لنبوة نبـينا محمد صلى ا عليه وسلم فقط؛ فهذا زنديق وهو منافق، وما في القرآن والسنة من ذكر المنافقين يتنـاول مثـل هـذا بإجماع المسلمين وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ سورة النساء الآيتان: (١٤٥-١٤٦)، قال: ومثل هؤلاء المنـافقين كفار في الباطن باتفاق المسلمين، وإن كانوا مظهرين للشهادتين والإقرار بما جاء بـه الرسـول ومـؤدين للواجبـات الظاهرة؛ فإن ذلك لا ينفعهم في الآخرة إذا لم يكونوا مؤمنين بقلوبهم باتفاق المسلمين". بغية المرتاد فـي الـرد علـى المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. موسى سليمان الـدويش، (٣٣٨/١)، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(١٧٢) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لمحمـد بـن نصـر المرتضى اليماني (ابن الوزير)، (٣٧٧/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية١٩٨٧م.

(١٧٣) سورة النساء الآية:٩٤.

أمر الله عز وجل المجاهدين في سبيل الله عند خروجهم للغزو، أن يأخذوا الناس بظواهرهم، ولا يدعوهم الخوف من تربص العدو بهم ألاّ يتثبتوا ويتبينوا من أمر من ألقى السلام إليهم، والسلام في الآية له معانٍ منها: الاستسلام، والتحية المعروفة عند المسلمين[174] والتي هي من خصائصهم، وجعلت علامة ظاهرة على إسلام صاحبها، كافية لعصمة دمه أخذاً بالظاهر المستيقن، دون التعمق في طلب الباطن المتوهم لنا لخفائه، والذي اختص الله بالإطلاع عليه.

قال الآلوسي[175]: "والمعنى لاتقولوا لمن **أظهر لكم مايدل على إسلامه**: لست مؤمناً؛ وإنما فعلت ذلك خوف القتل، بل اقبلوا منه ماأظهر، وعاملوه بموجبه"[176].

قال الطبري[177]: "يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يا أيها الذين صدقوا الله وصدقوا رسوله فيما جاءهم به من عند ربهم، ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: إذا سرتم مسيراً لله في جهاد أعدائكم؛ ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ يقول: **فتأنوا في قتل من أشكل عليكم أمره فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره، ولا تعجلوا فتقتلوا من التبس عليكم أمره، ولا تقدموا على قتل أحد، إلا على قتل من علمتموه يقيناً** حرباً لكم ولله ولرسوله، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ يقول: ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم مظهراً لكم أنه من

---

(174) قاله البغوي في معالم التنزيل (269/1)، واختاره البيضاوي في تفسيره(237/2)، دار الفكر، بيروت.وغير واحد من المفسرين، انظر: فتح القدير. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، (501/1)، دار الفكر، بيروت.

(175) الآلوسي هو: محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، من كبار المفسرين، وتقلد الإفتاء ببغداد، ثم عزل وانقطع للعلم، من كتبه: "روح المعاني" و"دقائق التفسير" و"الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية". توفي سنة 1270هـ. انظر: الأعلام للزركلي (176/7).

(176) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (118/5).

(177) الطبري هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العالم المجتهد عالم العصر أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، ومن أهل آمل طبرستان، إمام في الفقه والإجماع والاختلاف توفي سنة (310هـ) شيعه من لا يحصيهم إلا الله تعالى، وصلّي على قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً (224-310هـ)، انظر: طبقات المفسرين للداودي (48/1) ترجمة رقم 70، تاريخ بغداد (162/2) ترجمة رقم 589، تذكرة الحفاظ(710/2) ترجمة رقم 728، طبقات الشافعية(100/1) ترجمة رقم 46، سير أعلام النبلاء (267/14) ترجمة رقم 75.

أهل ملتكم ودعوتكم لَسْتَ مُؤْمِناً فتقتلوه ابتغاء عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يقول: طلب متاع الحياة الدنيا..."[١٧٨].

قال القرطبي:" قوله تعالى: وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً [١٧٩] السلم والسلم والسلام واحد قاله البخاري[١٨٠]، وقرئ بها كلها، واختار أبو عبيد القاسم بن سلام[١٨١] السلام، وخالفه أهل النظر فقالوا السلم ههنا أشبه؛ لأنه بمعنى الانقياد والتسليم كما قال عز وجل: فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ [١٨٢]، فالسلم الاستسلام والانقياد أي لا تقولوا لمن ألقى بيده واستسلم لكم وأظهر دعوتكم لست مؤمناً وقيل: السلام قوله: السلام عليكم، وهو راجع إلى الأول؛ لأن سلامه بتحية الإسلام مؤذن بطاعته وانقياده،... والمسلم إذا لقي الكافر ولا عهد له جاز له قتله، فإن قال: لا إله إلا ا لم يجز قتله؛ **لأنه قد اعتصم بعصام الإسلام المانع من دمه وماله وأهله،** فإن قتله بعد ذلك قتل به، وإنما سقط القتل عن هؤلاء؛ لأجل أنهم كانوا في صدر الإسلام وتأولوا؛ لأنه قالها متعوذاً وخوفاً من السلاح، وأن العاصم قولها مطمئناً فأخبر النبي صلى ا عليه وسلم **أنه عاصم كيفما قالها؛** ولذلك قال

---

(١٧٨) تفسير الطبري(٢٢٣/٤).

(١٧٩) سورة النساءمن الآية:٩٤.

(١٨٠)البخاري هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبدا ، حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول ا صلى ا عليه وسلم، صاحب "الجامع الصحيح" ولد عام ١٩٤هـ في بخارى، وقام برحلة طويلة سنة ٢١٠هـ في طلب الحديث فزار خراسان والعراق ومصر والشام وسمع من نحو ألف شيخ، له من التصانيف "التاريخ الكبير" و"خلق أفعال العباد" و"الأدب المفرد" و"جزء القراءة خلف الإمام" وغيرها. توفي سنة ٢٥٦هـن انظر:، وتذكرة الحفاظ (٥٥٥/٢) ترجمة رقم ٥٧٨، وفيات الأعيان (٤٥٥/١)، تقريب التهذيب(٤٦٨/١) ترجمة رقم ٥٧٢٧، طبقات الشافعية (٨٣/١) ترجمة رقم ٢٨، الثقات (١١٣/٩) ترجمة رقم١٥٤٨٢، تاريخ بغداد (٤/٢-٣٦) ترجمة رقم ٤٢٤، الأعلام للزركلي٣٤/٦

(١٨١) أبو عبيد: هو القاسم بن سلام البغدادي، الفقيه القاضي صاحب التصانيف، مبرز في اللغة والحديث والفقه، قال عنه أحمد بن كامل القاضي: كان أبو عبيد فاضلاً في دينه وفي علمه، مقدماً في أصناف من علوم الإسلام، حسن الرواية، صحيح النقل، لا أعلم أحداً من الناس طعن فيه، وثقه ابن معين والآجري والدارقطني، وقال عنه ابن حبان في "الثقات":" كان أحد أئمة الدنيا صاحب حديث وفقه ودين وورع ومعرفة بالأدب وأيام الناس، جمع وصنف واختار وذب عن الحديث ونصره وقمع من خالفه. توفي سنة ٢٢٤هـ، انظر: تاريخ بغداد، (٤٠٣/١٢ وما بعدها)ترجمة رقم ٦٨٦٨. تهذيب التهذيب، (٢٨٣/٨)ترجمة رقم ٥٧٤.

(١٨٢) سورة النحل من الآية: ٢٨.

لأسامة[183]:(أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا) أخرجـه مسـلم[184]، أي تنظر أصادق هو في قوله أم كاذب؟ **وذلك لا يمكن فلم يبـق إلا أن يبـين عنـه لسانه. وفي هذا من الفقه باب عظيم وهو أن الأحكام تناط بالمظان والظواهر لا على القطع واطلاع السرائر**"[185].

وقال ابن الـوزير: في معرض رده على من أقـدم علـى تكفيـر عـوام المسلمين، وأنه بالكفر أولى وعليه يرجع ويحور: "فإنه يزداد الأمر قوة في كفـر من كفرهم؛ لأن الحكم بإسلامهم معلوم ضرورة من الدين، وتكفيرهم جحد ذلـك، وقد دل القرآن على صحة إسلامهم حيث قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [186]"[187].

ووجه الدلالة في هذا أن عوام المسلمين وفيهم العصاة والمبتدعة وأصحاب الأهواء مقطوع بأنهم من أهل القبلة، وداخلين في ملة الإسلام ضرورة.

وقد نفت الآية الوصف الأخص وهو الإيمان، وأثبتت الوصف الأعم وهـو الإسلام، مما يدل على أن دائرة الإسلام وهي دائرة أهل القبلة - محـل بحثنـا – أوسع من دائرة الإيمان، وأنه يتصور شرعاً وواقعاً خروج فئة من الفئـات عـن

---

(١٨٣) أسامة بن زيد: هو أبو زيد أو أبو محمد، أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحبيل بن كعب بن عبدالعزى المـديني، مـولى رسول ا صلى ا عليه وسلم وابن حبه، يقال: إنه من كلب من اليمن، وأمه أم أيمن مولاة رسـول ا صـلى ا عليـه وسـلم وحاضنته، هاجر مع رسول ا صلى ا عليه وسلم إلى المدينة، وتوفي رضي ا تعالى عنه في خلافـة معاويـة سـنة أربـع وخمسين. انظر: الإصابة (٤٩/١)، شذرات الذهب (٥٩/١).

(١٨٤) صحيح مسلم، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا ا ، ونص الحديث: عن أسامة بن زيد قال "بعثنـا رسـول ا صلى ا عليه وسلم في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلاً فقال لا إله إلا ا فطعنته، فوقع في نفسي مـن ذلـك، فذكرته للنبي صلى ا عليه وسلم، فقال: رسول ا صلى ا عليه وسلم" أقال لا إله إلا ا وقتلته؟! قال: قلت يا رسول ا إنمـا قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققتعن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟ فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ" قـال: فقال: سعد وأنا وا لا أقتل مسلما حتى يقتله ذو البطين يعني أسامة قال: قال: رجل ألم يقل ا : وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله فقال سعد: قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة" (٩٦/١)، حديث رقم ٩٦.

(١٨٥) الجامع لأحكام القرآن (٣١٩/٥).

(١٨٦) سورة الحجرات الآية:١٤.

(١٨٧) إيثار الحق على الخلق،(٣٩٢/١).

مسمى الإيمان وحقيقته، ولا يقتضي هذا الخروج كفرهم؛ بل يقتضي دخولهم في دائرة الإسلام ومسمى أهل القبلة؛ لأنها أوسع نطاقاً من دائرة الإيمان.

قال أبو الحسن الأشعري(١٨٨)**:** "وندين بأن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب... **ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيماناً**"(١٨٩).

وهذا تباين واختلاف في المعنى، يدل على أن لكلٍ من الإيمان والإسلام حقيقة تختلف عن الآخر عند اجتماعهما في الذكر، أما عند افتراقهما في الذكر فإنهما مترادفان في المعنى وكلٌ منهما يدل على الآخر، على قاعدة مشهورة عند أهل العلم "أنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا".

قال الإمام النووي: "**وحققنا أن الإيمانوالإسلام يجتمعان ويفترقان، وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً**، قال:(١٩٠) وهذا تحقيق وافر بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة فيالإيمانوالإسلامالتي طالما غلط فيها الخائضون، وما حققناه من ذلك موافق لجماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم هذا آخر كلام الشيخ أبي عمرو بن الصلاح(١٩١)"(١٩٢).

---

(١٨٨) الأشعري هو: علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، وكان حنفي المذهب، معتزلي النشأة، توفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ ورجع إلى مذهب أحمد بن حنبل قبل موته.انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، (٢٤٧/٢- ٢٤٨). والعبر في خبر من غبر، (٢٣/٢).

(١٨٩) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري، تحقيق بشير محمد عون، ص ٤٨، مكتبة دار البيان، دمشق،مكتبة المؤيد، الطائف، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ.

(١٩٠) القائل هو أبو عمرو ابن الصلاح، وعنه نقل النووي.

(١٩١) ابن الصلاح هو: أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن أبي نصر الشهرزوري الأصل، الموصلي المربا، الدمشقي الدار والوفاة، تفقه على والده و برع في المذهب الشافعي، وهو أول من درس بدار الحديث الأشرفية وأملى بها علوم الحديث، وأفتى وكانت العمدة في زمانه على فتاويه، وأخذ عنه خلق كثير كابن خلكان، وأبي شامة، وغيرهما، قال بن خلكان عن ابن الصلاح: كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، له تصانيف منها: مشكل الوسيط، ونكت على المهذب في الفقه الشافعي، وكتاب الفتاوى، وأدب المفتي والمستفتي، وعلوم الحديث، وشرح جزء من صحيح مسلم، وطبقات الفقهاء الشافعية، انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة المتوفى سنة ٨٥١هـ، صححه وعلق عليه د. الحافظ عبد العليم خان، (١١٣/٢)، ترجمة رقم٤١٤، عالم الكتب،الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.وتذكرة الحفاظ لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، (١٤٣٠/٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

(١٩٢) شرح النووي على مسلم، (١٤٨/١).

الفرع الثاني

أهل القبلة في الاصطلاح الشرعي

أهل القبلة: هم كل مسلم شهد أن لا إله إلاّ ا وأن محمداً رسول ا ، وصلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، وثبتت له عصمة الإسلام.

وهذا التعريف مقتبس من الأحاديث الصحيحة

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: (**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنافذلك المسلم الذي لـه ذمة ا وذمة رسوله؛ فلا تخفروا ا في ذمته**)[193].

وسئل أنس بن مالك: "يا أبا حمزة **ما يحرم دم العبد وماله ؟** فقال: **من شهد أن لا إله إلا ا ، واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا؛ فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم**" [194].

وفي لفظ آخر من حديثه أيضاً قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسـلم: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا ا وأن محمداً عبده ورسـوله وأن يستقبلوا قبلتنا، وأن يأكلوا ذبيحتنا، وأن يصلوا صلاتنا، فـإذا فعلـوا ذلـك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها؛ لهم ما للمسلمين وعلـيهم مـا علـى المسلمين**)[195].

---

(١٩٣) صحيح البخاري، باب فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجليه، (١٥٣/١)، حـديث رقـم ٣٨٤. والإيمان لابن منده، (٣٥٧/١)، حديث رقم، ١٩٥. وسنن البيهقي الكبرى، باب فرض القبلة وفضل استقبالها، (٣/٢). حديث رقم ٢٠٣٠.

(١٩٤) صحيح البخاري، باب فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجليه، (١٥٣/١)، حديث رقم ٣٨٥.

(١٩٥) سنن أبي داود، باب: على ما يقاتل المشركون، (٤٤/٣)، حديث رقم ٢٦٤١.

وروى ابن حبان[196] تحت باب "**ذكر البيان بأن ذبح المرء الذبيحة باسم ا وملة الإسلام من الإيمان":** من حديث أنس أيضاً: (أن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال: **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلاّ ا وأن محمداً رسول ا ، فإذا شهدوا أن لا اله إلاّ ا وأن محمداً رسول ا ، واستقبلوا قبلتنا، و أكلوا ذبيحتنا، وصلوا صلاتنا؛ فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم**)[197]، وبنحو هذه الروايات من حديث أنس وغيره خرج أهل الحديث في كتبهم[198].

وقيل في تعريف أهل القبلة: "أهل الأهواء أهل القبلة الذين معتقدهم غير معتقد أهل السنة، وهم الجبرية والقدرية، والروافض، والخوارج، والمعطلة، والمشبهة، وكل منهم اثنا عشر فرقة فصاروا اثنين وسبعين"[199].

ولعل المختار من التعاريف:

---

(١٩٦) ابن حبان هو: الإمام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البستي صاحب الصحيح، والتاريخ، والضعفاء، وكان من أوعية العلم والفقه واللغة والحديث والوعظ، توفي سنة ٣٥٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٩٢/١٦).

(١٩٧) صحيح ابن حبان لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التيمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ذكر البيان بأن ذبح المرء الذبيحة باسم ا وملة الإسلام من الإيمان، (٢١٥/١٣)، حديث رقم ٥٨٩٥،، وقال ابن حبان: ما روى هذا الحديث عن حميد الطويل إلا ثلاثة نفر من الغرباء عبد ا بن المبارك ويحيى بن أيوب البجلي ومحمد بن عيسى بن القاسم بن سميع، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(١٩٨) انظر: مسند أحمد، (١٩٩/٣)، حديث رقم ١٣٠٧٨،مؤسسة قرطبة، مصر. سنن أبي داود، باب: على ما يقاتل المشركون، من حديث أبي هريرة، (٤٤/٣)، برقم ٢٦٤٠. السنن الكبرى للنسائي، (٢٧٩/٢)، حديث رقم٣٤٢٨ ولفظه "أمرت أن أقاتل المشركين...". الإيمان لابن منده، ذكر الأخبار التي جاءت عن النبي صلى ا عليه وسلم على أساس الإيمان وشعبه،(٣٥٥/١)، حديث رقم ١٩١. سنن البيهقي الكبرى، باب فرض القبلة وفضل استقبالها، حديث رقم ٢٠٣١(٣/٢). الأحاديث المختارة لأبي عبد ا محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي (٥٦٧هـ -٦٤٣هـ)،تحقيق: عبد الملك بن عبد ا بن دهيش،(٢٧٨/٥)، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

(١٩٩) التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، (١٠٤/١)، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت ، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ. التعريفات للجرجاني(٥٧/١).

أن يقال أهل القبلة: هم كل مسلم ثبت له عقد الإسلام، ولم يأت بناقض مجمع عليه، يوجب كفره وردته.

المطلب الخامس

قيود التعريف المختار و محترزاته

أهل القبلة: هم كل مسلم ثبت له عقد الإسلام، ولم يأت بناقض مجمع عليه، يوجب كفره وردته.

فقوله: "كل مسلم" لفظ عام يستغرق جميع المسلمين، ويجعلهم مشمولين تحته في الأحكام التي ستثبت لأهل القبلة، ويدخل في هذا العموم كل من أظهر الإسلام أو ادعاه، ولو كان فاجراً أو فاسقاً أو منافقاً أو جاء بناقض من نواقض لا إله إلا ا ، فتجري عليه أحكام الإسلام، وهو فيما يظهر لنا ويبدو من أهل القبلة.

وقوله: "ثبت له عقد الإسلام" قيد جامع لكل من ثبت له عقد الإسلام، ولا يثبت عقد الإسلام إلاّ بشهادة ألاّ إله إلاّ ا وأن محمداً رسول ا ، واعتقاد ذلك، والتزام الجوارح ببقية أركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة.

قال الإمام النووي: "واتفق أهل السنة من المحدثين، والفقهاء، والمتكلمين، على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من **أهل القبلة،**ولا يخلد في النار، لا يكون إلاّ من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك، ونطق بالشهادتين، فإن اقتصر على أحداهما لم يكن من **أهل القبلة** أصلاً،إلاإذا عجز عن النطق لخلل في لسانه، أو لعدم التمكن منه؛ لمعاجلة المنية أو لغير ذلك فإنه يكون مؤمناً"(٢٠٠).

ويخرج بالقيد من ادعى الإسلام أو أظهر الشعائر التي يختص بها المسلمون، ولكن لم يثبت له عقد الإسلام، كالمنافقين والزنادقة، لأن ما أظهروه من قول عارٍ عن الاعتقاد، ومتجرد عن الإخلاص تعالى، وما قالوه إلاّ كذباً وخداعاً قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ

(٢٠٠) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤٩/١).

يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٢٠١).

وقال تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢).

وأشار ابن جرير الطبري إلى إجماع أهل التفسير على أن المقصود في الآية هم المنافقون وفيهم نزلت، فقال:

"وأجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفـاق وأن هذه الصفة صفتهم"(٢٠٣).

فالمنافقون والزنادقة كفار ديانة، أما حكماً فنعاملهم كما عاملهم النبي صـلى ا عليه وسلم ونقبل منهم ما أظهروه، مع الحذر منهم والحيطـة مـن مكـرهم وخداعهم قال ابن كثير(٢٠٤): "ولهذا نبه ا سبحانه على صفات المنـافقين؛ لـئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون؛ فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز مـنهم، ومن اعتقاد إيمانهم وهم كفار في نفس الأمر، وهذا من المحذورات الكبار أن يظن بأهل الفجور خير فقال تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ أي يقولون ذلك قولاً ليس وراءه شيء آخر، كما قال تعالى: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ "(٢٠٥).

---

(٢٠١) سورة المنافقون آية: (١-٣).

(٢٠٢) سورة البقرة آية: (٨-٩).

(٢٠٣) تفسير الطبري، (١٤٩/١).

(٢٠٤)ابن كثير هو: الحافظ الكبير المفسر المحدث عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، من تلاميذ بن تيميـة، صاحب المصنفات الشهيرة منها تفسير القرآن العظيم، وجامع المسانيد وغيرهما توفي سـنة ٧٧٤هـ ـ، انظـر: شذرات الذهب ٣٩٧/٨. معجم محدثي الذهبي، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د روحيـة عبد الرحمن السويفي، (٥٦/١) ترجمة رقم ٨٦، الكتب العلمية، بيـروت، لبنـان، الطبعـةالأولى، ١٤١٣هـ ـ-١٩٩٣م.

(٢٠٥) تفسير ابن كثير، (٧٦/١).

ولا يكفرون حتى يظهر من أفعالهم أو أقوالهم ما يدل على مكنون صدورهم، ويوجب عليهم التكفير بحسب ذلك الظاهر، وهو معنى الاستثناء في قوله صلى ا عليه وسلم: **(**فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم **إلا بحقها وحسابهم على ا**)[٢٠٦].

فحقها ما اقترفت أيديهم مما يوجب القصاص أو الردة.

وقوله: "ولم يأت بناقض" شرط لصحة إسلام المسلم، واستمرار عقد الإسلام بعد ثبوته، ألاّ يأت المسلم بناقض ينقض إسلامه، ولفظ "الناقض" نكرة في سياق النفي دل على عموم الناقض، سواء صدر عن عمد أو خطأ، عن رضا أو إكراه، عن علم أو جهل، وسواء كان هذا الناقض مختلفاً فيه أو مجمعاً عليه.

وقوله "مجمع عليه يوجب كفره وردته"، هذان الوصفان مخصصان للناقض الصحيح الذي به يخرج المسلم عن أهل القبلة، وتنحل عنه عقدة الإسلام التي ثبتت له يقيناً بما أظهره - معتقداً جازماً من غير شك ولا ريبة- من شهادتين وشعائر، توجب لصاحبها هذا اللقب "مسلم" من أهل القبلة.

الوصف الأول للناقض أن يكون مجمعاً على كونه ناقضاً، والوصف الثاني أن يكون موجباً لكفر وردة من قام به ذلك الناقض، فليس كل ناقض صحيح، فمن النواقض ما لا يصلح في نفسه ناقضاً، لاختلاف علماء السلف في كونه ناقضاً كمن قال قولاً يلزم منه معنى كفرياً، وقائل القول لا يقصد ذلك المعنى ولا يلتزمه.

---

(٢٠٦) صحيح البخاري، باب فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجليه، (١٥٣/١)، حديث رقم ٣٨٥.

قال ابن تيمية: "والكفر إنما يكون بإنكار ما علم من الدين ضرورة أو بإنكار الأحكام المتواترة والمجمع عليها ونحو ذلك"[٢٠٧].

وقال ابن الوزير: في معرض رده على من أقدم على تكفير عوام المسلمين، وأنه بالكفر أولى وعليه يرجع ويحور: "فانه يزداد الأمر قوة في كفر من كفرهم؛**لأن الحكم بإسلامهم معلوم ضرورة من الدين، وتكفيرهم جحد ذلك،** وقد دل القرآن على صحة إسلامهم حيث قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٢٠٨] "[٢٠٩].

ووجه الدلالة في هذا أن عوام المسلمين وفيهم العصاة والمبتدعة وأصحاب الأهواء مقطوع بأنهم من أهل القبلة، وداخلين في ملة الإسلام ضرورة، وكما دخلوا في أهل القبلة باليقين فلا يخرجون بالظن، والخلاف في موجبات التكفير يجعلها ظنية غير مقطوع بها.

ومن النواقض ما يصلح في نفسه ناقضاً في حق الجنس وعلى العموم، لا في حق الأفراد وعلى التعيين، فيقال من فعل كذا فقد جاء بناقض صحيح مجمع عليه يوجب الكفر عموماً، ولكن عند إنزاله على معين فلا يصح هذا الناقض ناقضاً حتى تنتفي الموانع وتتوافر شروط التكفير، ولا يعني ذلك أن الناقض في ذاته ليس بناقض، بل هو ناقض في ذاته، وتعطل عن النقض هنا لعارض من جهل أو تأويل أو خطأ أو إكراه أو غيرها من الموانع، وسيأتي تفصيل هذا في موضعه من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.

---

(٢٠٧) مجموع الفتاوى، (١٠٦/١).

(٢٠٨) سورة الحجرات، الآية:١٤.

(٢٠٩) إيثار الحق على الخلق،(٣٩٢/١).

المبحث الرابع

ضبط مفهوم أهل القبلة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ضبط مواضع التكفير والاتفاق عليها.

المطلب الثاني: ضبط موانع التكفير والاتفاق عليها

المطلب الثالث: ضبط منهج السلف في التكفير والتفريق بين الكفر المطلق وكفر المعين.

المطلب الأول

ضبط مواضع التكفير، والاتفاق عليها

المقصود بضبط مفهوم أهل القبلة أن لا يخرج عن أهل الإسلام من يجب أن يدخل فيهم، ولايدخل فيهم من يجب أن يخرج عنهم، بمعنى أنه لا يحكم لكافر بالإسلام، ولا لمسلم بالكفر.

ولابد من ضبط مواضع التكفير والاتفاق عليها؛ وذلك لعظم آثار التكفير على الفرد والأمة، فما استبيحت أعراض الصحابة، ولا أريقت دماؤهم على أيدي الخوارج الغلاة في التكفير، إلاّ بسبب عدم انضباط هذه المسألة، وعدم الفهم الصحيح لنصوص الشرع، والأخذ بحرفية النص دون فهم مقاصده ومعانيه المرادة شرعاً، فالأمر جد خطير، ويحتاج من المجامع الفقهية أن توليه اهتماماً بالغاً، فتصدر بمواضع الكفر، فتاوى مجمعية، وإن لم تكن إجماعية، لتعصم الأمة من التطاول على الدين بتكفير من لا يصح تكفيره، أو بالسكوت عن كفر من لا يصح السكوت عنه، ولا تترك مسألة التكفير لآحاد العلماء يقولون فيها بحسب مذاهبهم ومشاربهم، فالحكم بالكفر كسائر أحكام الشرع لابد لها من دليل، **يقول ابن تيمية:** "الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأً في العقل، يكون كفراً في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل، تجب في الشرع معرفته"[210].

([210]) درء تعارض العقل والنقل لأبي العباسأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،تحقيق: محمد رشاد سالم، (٢٤٢/١) دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١هـ. وانظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، (٤٢١/٢)، دار الفكر، والصواعق المحرقة في الرد على أهل البدعة والزندقة، لابن حجر الهيتمي صـ٧٨، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

ويقول أيضاً: "فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كـان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك، وزنى بأهلك، ليس لك أن تكذب عليه، ولا تزني بأهله؛ لأن الكـذب والزنا حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق الله فلا يكفّر إلا مـن كفّـره الله ورسوله"[211].

ويقول ابن الشاط[212]: "كون أمر ما كفراً، أي أمر كان، ليس من الأمـور العقلية بل هو من الأمور الوضعية الشرعية؛ فإذا قال الشارع في أمر ما هو كفر فهو كذلك، سواء كان ذلك القول إنشاء أم إخباراً" [213].

ويقول ابن الوزير: "إن التكفير سمعي محض لا مدخل للعقل فيه، وإن الدليل على الكفر لا يكون إلا سميعاً قطيعاً، ولا نزاع في ذلك"[214].[215]

فيعلم من هذه النقول، وغيرها من كلام أهل العلم المسـتفيض فـي مسـألة التكفير، أن القول في كفر كذا وكذا من الأقوال، والأعمال، والاعتقـادات، وكفـر فلان وفلان من الأفراد والجماعات، هو حكم شرعي، يبنى على الـنص والـدليل الذي ورد عن الشارع، والأمر توقيفي، وهو من حق الله ورسوله، وليس من حق أحد أن يتقول على الله ورسوله بغير علم، ودور العلماء في هذا الباب هو البيـان الشرعي لما ورد في النصوص والكشف عن الحكم الشرعي، وليس إنشاء مـنهم للحكم الشرعي.

---

[211] الرد على البكري، لابن تيمية، صـ٢٥٧، الدار العلمية، دلهي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، وانظر: منهاج السنة النبويـة فـي نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، (٥/٢٤٤)، مؤسسة قرطبة،١٤٠٦هـ.

[212] هو قاسم بن عبدالله بن الشاط الإشبيلي المالكي، فقيه، أصولي، فرضي درس بمدينة سبته، له مؤلفات، تـوفي بسـبتة سـنة ٧٢٣هـ. انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد بـن فرحـون اليعمـري المـالكي، (٢/١٥٢) دار الكتب العلمية – بيروت، معجم المؤلفين (٨/١٠٥).

[213] تهذيب الفروق لابن شاط (بهامش الفروق للقرافي)، (٤/١٥٨، ١٥٩)، عالم الكتب، بيروت.

[214] العواصم والقواسم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير، تحقيق: شـعيب الأرنـاؤوط، (٤/١٧٨- ١٧٩) باختصـار، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

[215] نواقض الإيمان القولية والعملية، د/ عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، صـ٣٥، مدار الوطن للنشـر، الريـاض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

وقد توسعت الفرق في تكفير بعضها بعضاً، وما ذلك إلاّ للتعصب الذميم الذي سرى في الأمة، وعالجه المصلحون الراسخون في العلم بكتاباتهم، ومناهجهم، ومدارسهم، **قال ابن رشد الحفيد فيما نقله عنه ابن تيمية:** "قد رأيت أن أفصح في هذا الكتاب[216] عن الظاهر من العقائد التي قصد الشرع حمل الجمهور عليها، ونتحرى في ذلك كله مقصد الشارع صلى الله عليه وسلم، بحسب الجهد والاستطاعة؛ فإن الناس قد اضطربوا في هذا المعنى كل الاضطراب في هذه الشريعة، حتى حدثت فرق ضالة، وأصناف مختلفة كل واحد منهم يرى أنه على الشريعة الأولى، وأن من خالفه إما مبتدع، وإما كافر مستباح الدم والمال، وهذا كله عدول عن مقصد الشارع صلى الله عليه وسلم، وسببه ما عرض لهم من الضلال عن مقصد فهم الشريعة"[217].

فكان نكير العلماء المصلحين على من تخوض وتوسع في التكفير بلا موجب شرعي صحيح متفق عليه، أو بنقص علم، ومزيد هوى، مقرراً في بيانهم لعقيدة أهل السنة في عدم تكفير أهل القبلة، بذنب أو بدعة ما لم يستحله، وأن أهل البدع هم من توسع في التكفير بلا موجب شرعي صحيح الاعتبار، **قال ابن تيمية**: "فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن ممادح أهل العلم أنهم يخَطئون ولا يكفرون، وسبب ذلك أن أحدهم قد يظن ما ليس بكفر كفراً، وقد يكون كفراً لأنه تبين له أنه تكذيب للرسول، وسب للخالق، **والآخر لم يتبين له ذلك**"[218].

---

(٢١٦) الأصول في الاعتقاد.

(٢١٧) درء تعارض العقل والنقل (٣٤٦/٧).

(٢١٨) منهاج السنة النبوية (٢٥١/٥).

ومن مواضع التكفير المتفق عليها بين أهل العلم - مـا يتعلـق بنـواقض الإيمان الاعتقادية، والقولية، والعملية- ما يلي:

" **النواقض الاعتقادية:** وهي كل عقيدة تخل بركن من أركـان الإيمـان، أو تخالف أي معتقد من المعتقدات الإسلامية القاطعة الثابتة بيقين.

كاعتقاد الشريك : في ألوهيته، أو في ربوبيته، أو في أسمائه وصـفاته، أو اعتقاد أن الزنا أو الخمر أو الربا حلال، أو أن الصلاة غيـر واجبـة، أو جـواز الحكم بغير ما أنزل ا ، ونحو ذلك مما أجمع على حلـه أو حرمتـه أو وجوبـه إجماعاً قطعياً، ومثله لا يجهل، ويستوي في ذلك المعتقد اعتقاداً جازمـاً والشـاك والمتردد.

النواقض القولية: فهي كل قول فيه اعتراف بعقيدة مكفرة، أو فيـه جحـود لعقيدة من عقائد الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، أو فيه استهزاء بالدين في عقائده أو أحكامه، ومن ذلك: السباب للخالق سبحانه، أو السباب للرسـل، أو لأي واحد منهم، أو للكتب السماوية، أو لواحد منها، أو الاعتراض على عدل ا فـي قضائه وقدره، واتهامه بالجور سبحانه، أو ادعاء علم الغيب، أو ادعاء النبـوة، أو تصديق من يدعيها، أو دعاء غير ا ، أو الاستغاثة به أو الاستعانة فيما لا يقـدر عليه إلا ا ، أو زعم أن اليهود والنصارى ليسوا كفاراً، أو الـدعوة إلـى وحـدة الأديان، أو الزعم بأن الشريعة لا تصلح للتطبيق في هذا العصر.

النواقض العملية: فهي كل عمل يعتبر أمارة ظاهرة علـى عقيـدة مكفـرة كالسجود للصنم، والشجر، والحجر، والقبور، والذبح لها، أو كتمزيق المصحف مع قرينة الإهانة له، أو إلقائه في القاذورات.

والامتناع عن أداء ما أوجب ا تعالى أداءه جحوداً لوجوبها أو استكباراً عن أدائها"(٢١٩).

---

(٢١٩) "لا إله إلا ا محمد رسول ا مفهومها ونواقضها"، رسالة دكتوراه، لحسن عوضه حمـد كشـكش، إشراف د/ الخضر عبدالرحيم أحمد عبدالرزاق. صـ٣٩٩-٤٠١، قسم الرسائل الجامعية، مكتبـة أم درمـان المركزية برقم ٧٩٢٦، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م.

وهناك مواضع للتكفير مختلف فيها بين أهل القبلة، والصحيح عدم التكفير بها، ومنها التكفير بالمآل، والتأويل:

تنابزت الفرق بالتخطئة، والتبديع والتكفير، وأخذ كلٌ بلازم قـول خصـمه، ولازم مذهبه واعتبره مذهباً له ينسبه إليه، ويعتمده عند الرد والمنـاظرة، وعنـد التحقيق فلا يلتزم كلُ خصم بما ألزمه به خصمه من لوازم كفرية، بل ينص كـلٌ على خلاف ما ألزمه به خصمه، أو يلتزم به على اعتبار آخر، وعلى وجه يعتقـد فيه التنزيه تعالى، ونفي النقص عنه.

ومن ذلك ما ذكره **القاضي عياض** حيث قال عند ذكره للمعطلة: "فأما مـن أثبت الوصف، ونفى الصفة: فقال: أقول: عالم ولكن لا علم له، ومتكلم ولكـن لا كلام له، وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة، فمن قال بالمآل لما يؤديه إليه قوله، ويسوقه إليه مذهبه كفّره؛ لأنه إذا نفى العلم انتفى وصـف عـالم، إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم، فكأنهم صرحوا عنده بما أدى إليه قولهم.

ومن لم ير أخذهم بمآل قولهم، ولا ألزمهم موجب مذهبهم، لم ير إكفـارهم، قال: لأنهم إذا وقفّوا على هذا، قالوا: لا نقول ليس بعالم، ونحن ننتفي من القـول بالمآل الذي ألزمتموه لنا، ونعتقد نحن وأنتم أنه كفر، بل نقول: إن قولنا لا يـؤول إليه على ما أصلّناه فعلى هذين المأخذين اختلاف الناس في إكفار أهل التأويل، وإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك.

والصواب: ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسـران، وإجـراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم، ووراثاتهم، ومنـاكحتهم، وديـاتهم، والصـلاة عليهم، ولكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب، وشديد الزجر والهجر، حتى يرجعوا عن بدعتهم"[٢٢٠].

ويبطل ابن حزم الكفر بالمآل فيقول: "وأما من كفّر الناس بما تـؤول إليـه أقوالهم فخطأ؛ لأنه كذب على الخصم وتقويل له ما لم يقل بـه، وإن لزمـه فلـم

---

(٢٢٠) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، تحقيق: علي محمد البجاوي، (١٠٨٤/٢-١٠٨٦)، دار الكتـاب العربـي، بيروت.

يحصل على غير التناقض فقط، والتناقض ليس كفراً، بل قد أحسن إذ فر من الكفر"[221].

ـ إلى أن قال ـ " فصح أنه لا يكفر أحد إلاّ بنفس قوله، ونص معتقده، ولا ينفع أحد أن يعبر عن معتقده بلفظ يحسن به قبحه، لكن المحكوم به هو مقتضى قوله فقط"[222].

وكما قال الإمام الذهبي – رحمه ا -: "لا ريب أن بعض علماء النظر بالغوا في النفي، والرد والتحريف والتنزيه بزعمهم حتى وقعوا في بدعة، أو نعت الباري بنعوت المعدوم.

كما أن جماعة من علماء الأثر، بالغوا في الإثبات، وقبول الضعيف والمنكر ولهجوا بالسنة والاتباع، فحصل الشغب ووقعت البغضاء، وبدع هذا هذا، وكفر هذا هذا ونعوذ با من الهوى والمراء في الدين، وأن نكفّر مسلماً موحداً بلازم قوله، وهو يفر من ذلك اللازم، وينزه ويعظم الرب"[223].

([221]) الفصل (١٣٩/٣).

([222]) الفصل (١٣٩/٣).

([223]) الرد الوافر لمحمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي،تحقيق: زهير الشاويش، ص ٢٠، المكتب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.

وفي رد ابن تيمية على سؤال هل لازم المذهب مذهب؟

قال: "الصواب أن لازم مذهب الإنسان ليس بمذهب إذا لم يلتزمه، فإنه إذا كان قد أنكره ونفاه، كانت إضافته إليه كذباً عليه، بل ذلك يدل على فساد قوله وتناقضه في المقال. ولو كان لازم المذهب مذهباً للزم تكفير كل من قال عن الاستواء وغيره من الصفات أنه مجاز ليس بحقيقة، فإن لازم هذا القول يقتضي أن لا يكون شيء من أسمائه وصفاته حقيقة"[٢٢٤].

وقال الشاطبي: "ولازم المذهب: هل هو مذهب أم لا؟ هي مسألة مختلف فيها بين أهل الأصول، والذي كان يقول به شيوخنا البجائيون والمغربيون ويرون أنه رأي المحققين أيضاً أن لازم المذهب ليس بمذهب، فلذلك إذا قرر عليه، أنكره غاية الإنكار"[٢٢٥].

وأوفق المذاهب في مسألة اللازم أن يقال: إن لازم القول له ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يذكر اللازم للقائل، ويلتزم به فهو يعد قولاً له.

الحالة الثانية: أن يذكر له اللازم، ويمنع التلازم بينه وبين قوله، فهذا ليس قولاً له، بل إن إضافته إليه كذب عليه.

الحالة الثالثة: أن يكون اللازم مسكوتاً عنه؛ فلا يذكر بالتزام، ولا منع، فحكمه في هذه الحال أن لا ينسب إلى القائل، لأنه يحتمل لو ذُكر له أن يلتزم به أو يمنع التلازم، ويحتمل لو ذكر فتبين له لزومه وبطلانه أن يرجع عن قوله.

وبهذا يعلم أنه لا يصح التكفير بلازم المذهب بإطلاق، خاصة إذا كان من تلبس به ينفي ذلك اللازم وينكره، أو كان يجهله، أو يغفل عنه، والله أعلم[٢٢٦].

---

(٢٢٤) مجموع الفتاوى (٢١٧/٢٠).

(٢٢٥) الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي، (٦٤/٢)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر .

(٢٢٦) انظر: نواقض الإيمان القولية والعملية، صـ٨٤.

المطلب الثاني

ضبط موانع التكفير، والاتفاق عليها

تقرر فيما سبق أن التكفير حكم شرعي توقيفي، فيلزم لتحققه توفر الشـروط الشرعية، وانتفاء الموانع، وكثيراً ما يقع التجاهل لهذه الشروط وتلك الموانـع، أو الجهل بها، فيقع الزلل الواضح، والخلط الفاضح عند من اجترأ على تكفير مـن لا يستحق التكفير، بسبب عدم معرفته بالشروط اللازم تحققها لصحة القول بكفر من وقع في الكفر، وهي:

١- **العلم المعتبر به شرعاً وعدم الجهل.**

فيكون اختيار المكلف للقول أو الفعل أو الاعتقاد، مع علمه بأنـه منـاقض للإيمان، وموجب للكفر، ولا يخفى عنه ذلك.

٢- **القصد إلى الكفر وعدم الخطأ والتأويل.**

٣- **الاختيار وانشراح الصدر بالكفر وعدم الإكراه.**

وله تعلق بالقصد؛ لأن المكره وإن قصد إلاّ أن قصده للفعل المكـره عليـه، دون قصده للكفر متوجه.

وانتفاء أحد هذه الشروط الثلاثة، يعتبر مانعاً من موانع تكفير من وقع فـي الكفر، ومع قيام المانع وانفاء شرط الصحة فلا يصح وجود المشروط وهـو هنـا حكم التكفير، ولا يصح إنزاله على غير محل صحيح، ويمكن إيضاح أثـر هـذه الموانع الشرعية في إسقاط الحكم عن صاحبه بالأدلة التالية:

أ- **في العذر بالجهل:**

والمقصود به انتفاؤه بالكلية، أو بالجزئية، فقد يعلم المرء ببعض الشيء، ويجهل بعضه، أو لا يبلغه النص أو الدليل، أو يبلغه على وجه غير صحيح، أو يبلغه ولا يصح ثبوته عنده، وكل ذلك مؤثر على الحكم و يعذر به صاحبه، شريطة أن يسعى لرفع الجهل وتحصيل العلم، وإلاّ لحقه الإثم وإن لم يكفر.

قال بن اللحام(٢٢٧)**:** "جاهل الحكم إنما يعذر إذا لم يقصر ويفرط في تعلم الحكم، أما إذا قصر أو فرط فلا يعذر جزماً"(٢٢٨).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ألا أحدثكم عني وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلنا: بلى. قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم فيها عندي، انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه... ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله؟ قال: نعم. قال: فإن جبريل أتاني حين رأيت، فناداني، فأخفاه منك فأجبته..)(٢٢٩).

قال ابن تيمية بعد سرد الحديث: "فهذه عائشة أم المؤمنين: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: هل يعلم الله كل ما يكتم الناس؟ فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: نعم وهذا يدل على أنها لم تكن تعلم ذلك، ولم تكن قبل معرفتها بأن الله عالم بكل شيء يكتمه الناس كافرة. وإن كان الإقرار بذلك بعد قيام الحجة من أصول الإيمان، وإنكار علمه بكل شيء كإنكار قدرته على كل شيء. هذا مع أنها كانت ممن تستحق اللوم على الذنب..."(٢٣٠).

---

(٢٢٧) ابن اللحام هو: علي بن محمد بن عباس البعلي الحنبلي، فقيه واعظ أصولي، اشتغل بالتدريس والفتيا والقضاء، توفي بمصر سنة ٨٠٣هـ، الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، لابن عبد الهادي، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، ص ٨١، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، شذرات الذهب(٣١/٧).

(٢٢٨) القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام، لعلي بن عباس البعلي الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ص ٥٨ مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٠،٢٧٩).

(٢٢٩) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٦٦٩/٢) حديث رقم٩٧٤.

(٢٣٠) مجموع التفاوى (٤١٢/١١-٤١٣).

ويقول ابن حزم: " ولا خلاف في أن امرءاً لو أسلم – ولم يعلم شرائع الإسلام، فاعتقد أن الخمر حلال، وأن ليس على الإنسان صلاة، وهو لم يبلغه حكم الله تعالى، لم يكن كافراً بلا خلاف يعتد به، حتى إذا قامت عليه الحجة فتمادى حينئذ؛ بإجماع الأمة فهو كافر"(٢٣١).

ويقول ابن تيمية: "كذلك من دعا غير الله، وحج إلى غير الله، هو أيضاً مشرك، والذي فعله كفر لكن قد لا يكون عالماً بأن هذا شرك محرم، كما أن كثيراً من الناس دخلوا في الإسلام من التتار وغيرهم، وعندهم أصنام لهم صغار،...، وهم يتقربون إليها ويعظمونها، ولا يعلمون أن ذلك محرم في دين الإسلام، ويتقربون إلى النار أيضاً ولا يعلمون أن ذلك محرم،**فكثير من أنواع الشرك قد يخفى** على بعض من دخل في الإسلام، ولا يعلم أنه شرك، فهذا ضال، وعمله الذي أشرك فيه باطل، لكن لا يستحق العقوبة حتى تقوم عليه الحجة، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢٣٢)"(٢٣٣).

ب- **العذر بالخطأ، أوالتأويل:**

اعتبار القصد والعذر بالخطأ:

لا بد من اعتبار النية والقصد، وعدم إهمال النظر فيهما، لأن الرجل قد يقع في الكفر وهو لا يقصده، بل يريد الفرار منه، ويكون سبب ذلك التأويل، أو الجهل، أو نقص العلم، أو الغفلة، أو الخطأ المحض، كذلك الرجل الذي فقد دابته في الفلاة، ولما ردها الله عليه، فرح وقصد الثناء على الله، فأخطأ لسانه من شدة الفرح، وقال: (اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، قال النبي صلى الله عليه وسلم أخطأ من شدة الفرح)(٢٣٤).

---

(٢٣١) المحلى (٢٠٦/١١)، وانظر: مجموع الفتاوى (٤٠٦/١١).

(٢٣٢) سورة البقرة من الآية: ٢٢.

(٢٣٣) الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، (٦١/١، ٦٢)،المطبعة السلفية – القاهرة.

(٢٣٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، (٢١٠٤/٤) حديث رقم ٢٧٤٧.

يقول ابن القيم بعد ما بين كفر من جحد فريضة من فـرائض الإسـلام، أو تحريم محرم من محرماته: "وأما من جحد ذلك جهلاً، أو تأويلاً يعذر فيه صاحبه، فلا يكفّر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه، وأمر أهلـه أن يحرقـوه ويذروه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله له، ورحمه لجهله، إذ كان ذلك فعله مبلغ علمه، **ولم يجحد قُدرة الله على إعادته عناداً أو تكذيباً**"[٢٣٥].

"وأما التكفير فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد صلى الله عليـه وسـلم وقصد الحق فأخطأ لم يكفر، بل يغفر له خطؤه، ومن تبين له ما جاء به الرسول، فشاق الرسول بعد ما تبين له الهدى، واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر.

ومن اتبع هواه، وقصر في طلب الحق، وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب، ثم قد يكون فاسقاً، ثم قد تكون له حسنات ترجح على سيئاته"[٢٣٦].

فمن بذل وسعه في طلب الحق ثم لم يقف عليه، ولم يوفق للاهتداء إليه، مع قصده إصابته، وتحريه في طلبه، فقد فعل ما يجب عليه شرعاً، ولا يلحقه الإثـم فيما أخطأ فيه، بل الأجر حظه، والثواب نصيبه؛ على ما بذل من جهد، ولا بد أن يعلم أن عامة الفرق الإسلامية ممن وقع في البدعة كان دافعه الوقوف على الحق، وإن زلت قدمه عنه.

قال ابن تيمية: "وأما القدر الذي تنازعوا فيه فلا يقال: إن الله أمر كلاً مـنهم باطناً وظاهراً بالتمسك بما هو عليه، كما أمر بذلك الأنبياء ... فإنما يقـال: إن الله أمر كلاً منهم أن يطلب الحق بقدر وسعه وإمكانه، فإن أصابه، وإلا فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وقد قال المؤمنون: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[٢٣٧].

وقال الله: قد فعلت[٢٣٨].

---

(٢٣٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمـد حامـد الفقي، (٣٤٨/١) دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

(٢٣٦) مجموع الفتاوى (١٨٠/١٢).

(٢٣٧) سورة البقرة من الآية:٢٨٦.

(٢٣٨) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، (١١٦/١)، حديث رقم١٢٦.

وقال تعالى: وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ [(٢٣٩)]، فمن ذمهم ولامهم على ما لم يؤاخذهم ا عليه فقد اعتدى، ومن أراد أن يجعل أقوالهم وأفعالهم بمنزلة قول المعصوم وفعله، وينتصر لها بغير هدى من ا فقد اعتدى، واتبع هواه بغير هدى من ا ، ومن فعل ما أمر به بحسب حاله: من اجتهاد يقدر عليه أو تقليد إذا لم يقدر على الاجتهاد، وسلك في تقليده مسلك العدل فهو مقتصد؛ إذ الأمر مشروط بالقدرة لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا [(٢٤٠)].

أما العذر بالتأويل:

فهل يصلح التأويل في كل مسألة من مسائل الشرع؟ وما هو التأويل المعتبر في باب العذر ودفع الكفر عن صاحبه؟

ليس الأمر على إطلاقه في قبول التأويل ولا في رده، فالتأويل منه ما يصلح مانعاً من التكفير، فيعذر به صاحبه، ومنه ما لا يصلح، ولا يعذر به صاحبه، ومرجع الأمر إلى ما وقع فيه التأويل، هل هو من القطعيات المتفق عليها والتي لا يسع فيها الخلاف، ولا يحتمل فيها التأويل، أم دون ذلك؟

وكذلك يرجع الأمر إلى من وقع منه التأويل، هل هو من العلماء أو الجهال، وهل قامت الحجة عليه أم لا؟ وألخص المسألة فيما يلي:

أولاً: التأويل الذي يعذر به صاحبه

وهو ما كان مبنياً على شبهة، أو كان له وجه في لغة العرب، وخَلُصت نية صاحبه في معرفة الحق والالتزام به.

يقول ابن حزم رحمه ا : "ومن بلغه الأمر عن رسول ا صلى ا عليه وسلم من طريق ثابت، وهو مسلم، فتأول في خلافه إياه أورد ما بلغه بنص آخر، **فما لم تقم عليه الحجة** في خطئه في ترك ما ترك، وفي الأخذ بما أخذ، فهو

(٢٣٩) سورة الأحزاب من الآية:٥.

(٢٤٠) سورة البقرة من الآية:٢٨٦.

مأجور معذورلقصده إلى الحق وجهله به، وإن قامت عليه الحجة في ذلك؛ فعاند، فكما ذكرنا قبل من التكفير أو التفسيق، لا تأويل بعد قيام الحجة"[٢٤١].

فالمقصود بالتأويل ها هنا: التلبس والوقوع في الكفر من غير قصد لـ ذلك، وسببه القصور في فهم الأدلة الشرعية، دون تعمد للمخالفة، بل قد يعتقد أنه علـى حق[٢٤٢].

ويقول ابن حجر في تعريف التأويل السائغ: "قال العلماء: كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم، إذا كان تأويله سائغاً في لسان العرب، وكـان لـه وجـه فـي العلم"[٢٤٣].

والتأويل السائغ والإعذار به له اعتبار في مسألة التكفير، بـل فـي الوعيـد عموماً؛ ولذا **يقول ابن تيمية:** "إن الأحاديث المتضمنة للوعيد يجب العمل بها فـي مقتضاها، باعتقاد أن فاعل ذلك الفعل متوعد بذلك الوعيد، لكن لحوق الوعيد لـه متوقف على شروط، وله موانع"[٢٤٤].

ثم إن الذين بلغهم قول النبي صـلى الله عليـه وسـلم: (إنمـا الربـا فـي النسيئة)[٢٤٥]، فاستحلوا بيع الصاعين بالصاع يداً بيد، مثل ابن عباس رضـي الله عنه، وأصحابه... الذين هم من صفوة الأمة علماً وعملاً، ولا يحل لمسلم أن يعتقد أن أحداً منهم بعينه، أو من قلده بحيث يجوز تقليده تبلغهم لعنة آكل الربا؛ لأنهـم فعلوا ذلك متأولين تأويلاً سائغاً في الجملة[٢٤٦].

---

(٢٤١) كتاب الدرة فيما يجب اعتقاده، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، صـ٤١٤، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور/ أحمد بن ناصر بن محمد الحمد – الدكتور/ سعيد بن عبدالرحمن بن موسى القزقي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، طبع مطبعـة المدني القاهرة، توزيع مكتبة التراث، مكة المكرمة.

(٢٤٢) انظر: رسالة ضوابط التكفير عند أهل السنة، لعبد الله بن محمد القرني، صـ٣٢٨، ٣٤٦، رسـالة ماجسـتير، جامعـة أم القرى، قسم العقيدة، ١٤١٠هـ .

(٢٤٣) فتح الباري (١٢/ ٣، ٤).

(٢٤٤) نواقض الإيمان القولية والعملية، صـ٧٥ .

(٢٤٥) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيع الطعام مثلا بمثل، (١٢١٤/٣)، حديث رقم ١٥٦٩.

(٢٤٦) مجموع الفتاوى (٢٦٣/٢٠) باختصار يسير، وقد أطنب ابن تيمية في ذكر أمثلة عديدة. انظر: مجموع الفتـاوى (٢٦٤/٢٠-٢٦٨)، والاستقامة، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، (١٨٩/٢)، جامعـة الإمـام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ.

ويقول أيضاً: "وعمل السلف وجمهور الفقهاء بأن ما استباحه أهل البغي من دماء أهل العدل بتأويل سائغ لم يضمن بقود، ولا دية، ولا كفارة، وإن كان قـتلهم وقتالهم محرماً"[٢٤٧].

ويقول ابن تيمية – في موضع ثالث-: "والتكفير هو من الوعيد، فإنـه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتـى تقـوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها، وإن كان مخطئاً"[٢٤٨].

ويقرر ابن حزم العذر بمثل هذا التأويل قائلاً: "ومن بلغه الأمر عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم، من طريق ثابتة، وهو مسلم، فتأول في خلافه إياه، أو رد ما بلغه بنص آخر، فما لم تقم عليه الحجة في خطئه في ترك ما ترك، وفي الأخذ بما أخذ، فهو مأجور معذور، لقصده إلى الحق، وجهله به، وإن قامت عليه الحجة في ذلك، فعاند، فلا تأويل بعد قيام الحجة"[٢٤٩].

كما يقرر ذلك ابن الوزير حيث يقول: " قوله تعالى في هذه الآية الكريمـة: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾[٢٥٠]، يؤيد أن المتأولين غير كفار، لأن صدورهم لم تنشرح بالكفر قطعاً، أو ظناً، أو تجويزاً، أو احتمالاً"[٢٥١].

ويعلق الشوكاني على عبارة صاحب كتاب الأزهـار[٢٥٢]: "والمرتـد بـأي وجه.. كفر" فيقول: "أراد المصنف إدخال كفار التأويل اصطلاحاً في مسمى الردة،

([٢٤٧]) مجموع الفتاوى (٢٠/٢٥٤).

([٢٤٨]) مجموع الفتاوى (٣/٢٣١)، وانظر: (٣/٣٨٣)، (١٢/٥٢٣).

([٢٤٩]) الدرة صـ٤١٤، وانظر: الفصل (٣/٢٩٦، ٢٩٧).

([٢٥٠]) سورة النحل الآية: ١٠٦ .

([٢٥١]) إيثار الحق على الخلق صـ٤٣٧.

([٢٥٢]) كتاب الأزهار في فقه الزيدية، وعنوانه كاملاً: "الأزهار في فقه الأئمة الأخيار" ومؤلفه: أحمد بن يحيى المهدي المتوفى سنة ٨٤٠هـ، انظر: الأعلام (١/٢٦٩) .

وهذه زلة قدم يقال عندها لليدين وللفم، **وعثرة لا تقال**، وهفوة لا تغتفر، ولو صح هذا لكان غالب من على ظهر البسيطة من المسلمين مرتدين"[٢٥٣].

ويقول عبد الرحمن السعدي: "إن المتأولين من أهل القبلة الذين ضلوا وأخطأوا في فهم ما جاء في الكتاب والسنة، مع إيمانهم بالرسول، واعتقادهم صدقه في كل ما قال، وأن ما قاله كان حقاً والتزموا ذلك، لكنهم أخطأوا في بعض المسائل الخبرية أو العملية، فهؤلاء قد دل الكتاب والسنة على عدم خروجهم من الدين، وعدم الحكم لهم بأحكام الكافرين، وأجمع الصحابة رضي الله عنهم والتابعون ومن بعدهم من أئمة السلف على ذلك"[٢٥٤].

ثانياً: التأويل الذي لا يعذر صاحبه[٢٥٥]

كتأويل الباطنية والفلاسفة ونحوهم ممن حقيقة أمرهم تكذيب للدين جملة وتفصيلاً، أو تكذيب لأصل لا يقوم الدين إلا به، كتأويل الفرائض والأحكام بما يخرجها عن حقيقتها وظاهرها، فهذا كفر مخرج عن الإسلام[٢٥٦].

ويقول ابن حزم: "وأما من كان من غير أهل الإسلام من نصراني أو يهودي أو مجوسي، أو سائر الملل، أو الباطنية القائلين بإلهية إنسان من الناس، أو بنبوة أحد من الناس، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يعذرون بتأويل أصلاً، بل هم كفار مشركون على كل حال"[٢٥٧].

ويذكر أبو حامد الغزالي التأويل غير السائغ ومثاله فيقول: "ولابد من التنبيه على قاعدة وهو أن المخالف قد يخالف نصاً متواتراً، ويزعم أنه مؤول، مثال: ما في كلام بعض الباطنية أن الله تعالى واحد بمعنى أنه يعطي الوحدة ويخلقها، وعالم بمعنى أنه يعطي العلم لغيره ويخلقه، وموجود بمعنى أنه يوجد غيره، وأما أن

---

(٢٥٣) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني،تحقيق: محمود إبراهيم زايد، (٣٧٣/٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٢٥٤) الإرشاد إلى معرفة الأحكام، لعبد الرحمن السعدي، صـ٢٠٧، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٠هـ.

(٢٥٥) لمزيد من التفصيل والتدليل انظر: نواقض الإيمان القولية والعملية، صـ ٧٨-٧٩ .

(٢٥٦)" لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله مفهومها، ونواقضها" حسن كشك، ش صـ ، ٤٤٠.

(٢٥٧) الدرة لابن حزم، صـ ٤٤١، وانظر: صـ٤١٤.

يكون واحداً في نفسه، وموجوداً، وعالماً على معنى اتصافه فلا، وهذا كفر صراح؛ لأن حمل الوحدة على اتحاد الوحدة[٢٥٨] ليس من التأويل في شيء، ولا تحتمله لغة العرب أصلاً... فأمثلة هذه المقالات تكذيبات عبر عنها بالتأويلات"[٢٥٩].

كما يورد ابن الوزير أمثلة للتأويل المردود، مما لا يمكن أن يكون عذراً لمن تلبس به فيقول: "لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة للجميع، **وتستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله**، كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنى، بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الأخروي من البعث والقيامة والجنة والنار"[٢٦٠].

ج- العذر بعدم القدرة والعجز أو بالإكراه:

قال تعالى: وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ [٢٦١].

"فمن ترك بعض الإيمان الواجب لعجزه عنه؛ إما لعدم تمكنه من العلم؛ مثل أن لا تبلغه الرسالة، أو لعدم تمكنه من العمل لم يكن مأموراً بما يعجز عنه، ولم يكن ذلك من الإيمان والدين الواجب في حقه؛ وإن كان من الدين والإيمان الواجب في الأصل؛ بمنزلة المريض والخائف والمستحاضة، وسائر أهل الأعذار الذين يعجزون عن إتمام الصلاة..." [٢٦٢].

وقد يكون في بلاد الكفار من هو من أهل الإيمان في الباطن، ولكنه يكتم إيمانه فلا يعلم المسلمون حاله هذا، فإذا قاتلوا الكفار قتلوه معهم، فلا يغسل، ولا

---

(٢٥٨) لعلها: إعطاء.

(٢٥٩) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، صـ١٤٧.

(٢٦٠) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير، صـ٤١٥، وانظر: العواصم لابن الوزير (١٧٧/٤).

(٢٦١) سورة غافر الآية:٢٨.

(٢٦٢) مجموع الفتاوى (٤٧٨/١٢-٤٧٩).

يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، وهو في الآخرة من المـؤمنين، ومـا منعه من إظهار إيمانه سوى العجز وعدم القدرة، والآية السابقة دالة على ذلك.

وقال تعالى: مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [٢٦٣].

قال القرطبي: "هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر، في قول أهل التفسير؛... قال ابن عباس: أخذه المشركون وأخذوا أباه وأمه سمية، وصهيباً، وبلالاً، وخباباً، وسالماً، فعذبوهم، وربطت سمية بين بعيرين... فقتلت، وقتل زوجها ياسر، وهمـا أول قتيلين في الإسلام. وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً، فشكا ذلـك إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم، فقال له رسول ا صلى ا عليه وسلم: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان، فقال رسول ا صلى ا عليه وسلم: فإن عادوا فعد"[٢٦٤].

وفي الحديث عن عمار بن ياسر قال: "أخذ المشركون عمار بن ياسـر فلـم يتركوه حتى سب النبي صلى ا عليه و سلم، و ذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول ا صلى ا عليه و سلم قال: ما وراءك قال: شر يا رسول ا ، مـا تُرِكْتُ حتى نلْتُ منك، و ذكرت آلهتهم بخير، قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمـئن بالإيمان قال: إن عادوا فعد"[٢٦٥].

---

(٢٦٣) سورة النحل الآية:١٠٦.

(٢٦٤) تفسير القرطبي (١٦٠/١٠).

(٢٦٥) رواه الحاكم في مستدركه (٣٨٩/٢)، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

المطلب الثالث

ضبط منهج السلف([266]) في التكفير

وتفريقهم بين الكفر المطلق وكفر المعين

أهل السنة يكفرون القول ولا يكفرون القائل ولا يؤثمونه، وإنما يخطئونه حتى تقوم عليه الحجة، وهذا هو الأرفق بالناس، علمائهم وعوامهم، ولا يدرك ذلك كثير من أهل الفرق الكلامية، بل كثير من أصحاب المذاهب من الفقهاء الذين لم يحققوا القول في مسألة تكفير أهل الأهواء، دون مراعاة لمنهج السلف في ذلك، إذ أخذت أقوال للسلف، دون بحث ولا تحقيق لسندها، ولا مراعاة لسياقاتها التي وردت فيها، ولا مراعاة للأحوال التي قيلت فيها، وأخذت الأقوال على ظاهرها، وفيها تكفير لفرق أهل الأهواء الذين تقرر سلفاً أنهم من أهل القبلة، رغم ما وقعوا فيه من زلات، ولابد من ضبط الأمر، فيقال إن السلف قد أجمعوا على اعتبار التأويل مانعاً من موانع التكفير، إذا كان في غير الأصول القطعية المعلومة من الدين بالضرورة، وبناء على ذلك فيجب فهم عباراتهم الواردة في تكفير المعتزلة، أو القدرية، أو الجهمية، أو الخوارج، أو غيرها من أهل البدع والأهواء، على الوجه الصحيح، وهو أن بيانهم كان بياناً للحكم الشرعي، وتقريراً له بالعموم، كتقرير حرمة الزنا، والخمر-مثلاً- وبيان حدهما، و حكم من أنكرهما، وهو ما يعرف بالحكم العام المطلق، أما تنزيل ذلك الحكم على فرد من الأفراد بعينه فلا يصح إلاّ بشروط وتحت نظر القضاء لما يترتب على ذلك من استباحة حرمة الإسلام، وكذلك سار السلف في عباراتهم التي أطلقت التكفير على هذا المنوال، فقاموا ببيان مواضع الكفر، وصوره، وأحواله؛ تعليماً للناس؛ وتحذيراً لهم وتنفيراً؛ ولكي لا يقع الناس في شيء من ذلك؛ وهذا ما يعرف بالتكفير المطلق، أما تكفير الأعيان فلا يعرف عنهم ذلك؛ حتى تقوم الحجة

---

(٢٦٦)والمقصود بالسلف أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، لحديث " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" وسيأتي تخريجه.

عليهم[٢٦٧]، ويستتيبهم الحاكم أو من ولاه، ولمزيد الإيضاح نقف على جملة من عبارات أهل العلم:

قال بن أبي العز: مغلطاً من كفر أهل الأهواء والبدع ومخطئاً له: "فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإسلام، إلا من يكون منافقاً، زنديقاً، وكتاب ا يبين ذلك، فإن ا صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف: صنف كفار من المشركين ومن أهل الكتاب، وهم الذين لا يقرون بالشهادتين. وصنف المؤمنين باطناً وظاهراً. وصنف أقروا به ظاهراً لا باطناً، وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة، وكل من ثبت أنه كافر في نفس الأمر وكان مقراً بالشهادتين فإنه لا يكون إلا زنديقا والزنديق هو المنافق.

وهنا يظهر غلط الطرفين فإنه من كفر كل من قال القول المبتدع فيالباطن يلزمه أن يكفر أقواماً ليسوا في الباطن منافقين، بل هم في الباطن يحبون ا ورسوله، ويؤمنون با ورسوله، وإن كانوا مذنبين... وهذا – أي الحب ورسوله - أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين وفيهم بعض مقالات الجهمية، أو المرجئة، أو القدرية، أو الشيعة، أو الخوارج، ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة بل بفرع منها، ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضا ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون"[٢٦٨].

([٢٦٧]) **في ضابط قيام حجة:**

"الطاعات كما تسمى إيماناً، كذلك المعاصي تُسمى كفراً لكن حيث يطلق عليها الكفر، لا يرد عليها الكفر المخرج من الملة، فالجاهل والمخطئ من هذه الأمة، ولو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركاً أو كافراً فإنه يعذر بالجهل والخطأ، حتى يتبين له الحجة التي يكفر تاركها بياناً واضحاً ما يلتبس على مثله، وينكر ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام، مما أجمعوا عليه إجماعاً قطعياً، يعرفه كل أحد من المسلمين من غير نظر وتأمل ... ولم يخالف من ذلك إلا أهل البدع" محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (١٣٠٨/١٣٠٧/٥)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.

قال الألباني: "أقول: مع هذه الدلالات كلها نحن لا نستطيع أن نكفر هؤلاء المسلمين لأنه لم تقم الحجة عليهم؛ لأنه ليس هناك دعاة أكفاء يبلغون الجماهير دعوة التوحيد خالصة لا شرك فيها، ليس هناك من يسيطرون إنما هناك أفراد قليلون جداً فأصواتهم ضائعة ليس لها تأثير، إلا بأفراد يتصلون بهم في مناسبات خاصة أو عامة لكنها ليست شاملة. هذه عقيدتنا، ولو وقع الفرد من هؤلاء الذين يصلون معنا ويصومون معنا لو وقع في الكفر نحن لا نكفّره، لكن إذا علمنا ذلك نبين له أن هذا هو الكفر، وهذا هو الشرك با عزوجل فإياك وإياه" فتنة التكفير – للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، صـ(٧٤- ٧٥).

([٢٦٨])شرح العقيدة الطحاوية (٣٥٨/١-٣٥٩)، المكتب الإسلامي – بيروت -الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.

قال ابن تيمية: " كان الإمام أحمد – رحمه الله – يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله وصفاته؛ مناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرة بينة... لكن ما كان يكفر أعيانهم، فإن الذي يدعو إلى القول أعظم من الذي يقول به، والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط... ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية ويدعون الناس إلى ذلك ويعاقبونهم ويكفرون من لم يجبهم، ومع هذا فالإمام أحمد ترحم عليهم، واستغفر لهم، لعلمه بأنهم لم يبين لهم أنهم مكذبون للرسول، ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فأخطأوا وقلدوا من قال لهم في ذلك.

وكذلك الشافعي لما قال لحفص الفرد حين قال: القرآن مخلوق، كفرت بالله العظيم، بين له أن هذا القول كفر ولم يحكم بردة حفص بمجرد ذلك؛ لأنه لم يتبين له الحجة التي يكفر بها، ولو اعتقد أنه مرتد، لسعى في قتله"[٢٦٩].

وسار ابن تيمية على هذا المسلك فكان يقول: "ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش، لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم كنت كافراً؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون، لأنكم جهال"[٢٧٠].

وقال محمد بن عبدالوهاب[٢٧١]: "ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة إذا قال قولاً يكون القول به كفراً، فيقال من قال بهذا القول فهو كافر، ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك، لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها"[٢٧٢].

وبهذا يتضح لنا أن التكفير العام المطلق يجب القول بعمومه وإطلاقه، وأما الحكم على المعين بأنه كافر، فهذا يقف على الدليل المعين، فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه، وانتفاء موانعه، فالكفر من الوعيد الذي نطلق القول به، ولكن لا

([٢٦٩]) مجموع الفتاوى (٣٤٨/٢٣، ٣٤٩) باختصار.

([٢٧٠]) مجموع الفتاوى (٣٢٦/٢٣).

([٢٧١]) هو الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي التميمي، صاحب الحركة الإصلاحية المشهورة، كان علماً كبيراً، رحل إلى عدة بلدان وله مؤلفات كثيرة، توفي بالدرعية سنة ١٢٠٦هـ. انظر: علماء نجد خلال ستة قرون، لعبدالله بن عبدالرحمن البسام، (٢٥/١)، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

([٢٧٢]) الدرر السنية (٢٤٤/٨).

نحكم للمعين بدخوله في ذلك المطلق حتى يقوم فيه المقتضي الـ ذي لا معـ ارض له[٢٧٣].

وإذا ظهر لنا الفرق بين التكفير المطلق وتكفير المعين، فسندرك خطأ فريقين من الناس، فهناك فريق من الناس قد غلا، فادعى تكفير المعـ ين بـ إطلاق، دون النظر إلى الشروط والموانع، وفريق آخر امتنع عن تكفير المعين بإطلاق، فأغلق باب الردة[٢٧٤][٢٧٥].

والعلماءقدتنازعوافيتكفيرأهلالبدعوالأهواء،وتخليدهمفيالنار،ومامنالأئمةإلّامنحك يعنهفيـ ذلكقولان؛ كمالك،والشافعي،وأحمد،وغيرهم،وصاربعضأتباعهميحكىهذاالنزاعفيجميعأهلالبدع، وفىتخليدهم،حتىالتزمتخليدكلمنيعتقدأنهمبتدعبعينه،وفىهذامنالخطأمالايحصى،وقابله بعضهمفصاريظنأنهلايطلقكفرأحدمنأهلالأهواء،وإنكانواقدأتوامنالإلحادوأقوالأهلالتعط يلوالاتحاد.

والتحقيقفيهذا: أنالقولقديكونكفرًكمقالاتالجهميةالذينقالوا:إناللهلايتكلم،ولايرىفيا لآخرة،ولكنقديخفىعلىبعضالناسأنهكفر،فيطلقالقولبتكفيرالقائلكماقالالسلف:منقال:القرآ نمخلوقفهوكافر،ومنقال:إناللهلايرىفيالآخرةفهوكافر.

ولايكفرالشخصالمعينحتىتقومعليهالحجةكماتقدم،كمنجحدوجوبالصلاةوالزكاة،و استحلالخمروالزنا،وتأول،فإنظهورتلكالأحكامبينالمسلمينأعظممنظهورهذه،فإذاكانالمتأ ولالمخطئفيتلكلايحكمبكفرهإلابعدالبيانلهواستتابته،كمافعلالصحابةفيالطائفةالذيناستحلوا الخمرففيغيرذلكأولىوأحرى"[٢٧٦].

---

[٢٧٣] انظر لمزيد من التفصيل: مجموع الفتاوى (٣٥٤/٣)، (٤٩٨/١٢)، (٢٨/٥٠٠، ٥٠١)، (١٦٥/٣٥).

[٢٧٤] انظر في الرد على الفريق الأخير: رسالة مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب (مجموعة مؤلفات الشيخ (٢٧٩/١-٣٢٩))، وفتاوى محمد بن إبراهيم (٧٣/١، ٧٤) ورسالة حكم تكفير المعين للشيخ إسحاق بن عبدالرحمن آل الشيخ).

[٢٧٥] نواقض الإيمان القولية والعملية، للدكتور/ عبدالعزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، صـ٥٢- ٥٤.

(٢٧٦) شرح حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان، المعروف بكتاب " الإيمان الأوسط " لابن تيمية، تحقيق: د/ علي بخيت الزهراني، صـ٥٧٢، ٥٧٣، دار بن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

وهذا التنازع فيمن تأول تأويلاً مقبولاً في غير القطعيات المعلومة من الدين ضرورة، أما من تستر بالتأويل من غلاة الفرق، وقال مقالة الكفر الصريح الذي لا يقبل فيه التأويل فقد أجمع أهل الإسلام على كفره، كفرق الشيعة التي غلت وألهت غير الله، أو قالت بتحريف كتاب الله، أو صرفت الشرائع العملية إلى معان باطنية ما أنزل الله بها من سلطان، فهؤلاء الغلاة من كل فرق الأهواء كفار زنادقة، لا يدخلون في دائرة أهل القبلة، كما نص المحققون من أهل العلم على عدم تكفير طوائف المبتدعة من الخوارج، والقدرية، والمعتزلة، والروافض، والجهمية، الذين ليسوا غلاة، والحكم بكفر الغلاة منهم فقط[٢٧٧].

من الفرق التي أجمع السلف والخلف على كفرهم ولم يقع في ذلك نزاع يذكر الإسماعيلية الباطنية:

ومما يسبب إلباساً كبيراً على الدارسين وخفاء شديداً هو ما تنتجه الفرق الباطنية من مراحل للدعوة السرية ومراتب لبلاغها للناس عندهم، فليس كل مريد للوقوف على حقيقة دعوتهم يتيسر له ذلك، بل لابد من الاعتماد على المتخصصين الذين درسوا الفرق باعتناء وعلمية وتفصيل، فمنهم تؤخذ الأحكام والنتائج التي وصلوا إليها بالبحث العلمي الدقيق.

وللإسماعيلية مراتب في الدعوة ولا يصل إلى حقيقة المذهب إلا من وصل إلى آخر الرتب، يقول ابن النديم[٢٧٨]: "ولهم – أي الإسماعيلية – البلاغات السبعة وهي: كتاب البلاغ الأول للعامة، كتاب البلاغ الثاني لفوق هؤلاء قليلاً، كتاب البلاغ الثالث لمن دخل في المذهب سنة، كتاب البلاغ الرابع لمن دخل المذهب

---

(٢٧٧) انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، (٤١٠/٢)، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٦هـ.

(٢٧٨) ابن النديم هو: محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم، صاحب كتاب "الفهرست" وكان معتزلياً متشيعاً يدل كتابه على ذلك، فإنه كما يقول ابن حجر: توفي سنة ٤٣٨هـ.

انظر: لسان الميزان والأعلام للزركلي (٢٥٣/٦). لسان الميزان لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعرف النظامية– الهند،(٧٢/٥)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - الطبعةالثالثة - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

سنتين، كتاب البلاغ الخامس لمن دخل في المذهب ثلاث سـنين، كتـاب الـبلاغ السابع وفيه نتيجة المذهب الكشف الأكبر.

قال محمد بن إسحاق– ابن النديم-: "قد قرأته –أي السابع- فرأيت فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها"[٢٧٩].

(٢٧٩) الفهرست لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم، صـ٢٦٧-٢٦٨، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨ هـ- ١٩٧٨م.

وذكر الغزالي مجمل مذهبهم فقال: "إنه مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم"(٢٨٠).

وقال ابن الجوزي في تلخيص مذهبهم: "فمحصول قولهم تعطيل الصانع، وإبطال النبوة والعبادات، وإنكار البعث، ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم.

بل يزعمون أن الله حق وأن محمداً رسول الله والدين الصحيح لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر، وقد تلاعب بهم إبليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة"(٢٨١).

وقال فخر الدين الرازي ت: (٦٠٦هـ): اعلم أن الفساد اللازم من هؤلاء – يعني الباطنية – على الدين الحنيفي أكثر من الفساد اللازم عليه من جميع الكفار وهم عدة فرق، ومقصودهم على الإطلاق إبطال الشريعة، ونفي الصانع ولا يؤمنون بشيء من الملل، ولا يعترفون بالقيامة إلا أنهم لا يتظاهرون بهذه الأشياء إلا بالآخرة"(٢٨٢).

قال أبو حامد الغزالي: "وقد اتفقت أقاويل نقلة المقالات من غير تردد أنهم – الباطنية- قائلون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني.

واسم العلة السابق واسم المعلول التالي، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه، وقالوا السابق لا يوصف بوجود ولا عدم وليس هو معلول ولا مجهول(٢٨٣).

وقد نقل أهل العلم الإجماع على كفر الباطنية بفرقها المختلفة، ولم أجد من النقول المتفقة على كفر طائفة كالنقول التي اتفقت على كفر الباطنية.

---

(٢٨٠) فضائح الباطنية لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، صـ٣٧، مؤسسة دار الكتب الثقافية – الكويت.

(٢٨١) تلبيس ابليس لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق : د/السيد الجميلي صـ٩٩، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٢٨٢) اعتقاد فرق الإسماعيلية والمشركين، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: علي سامي النشارصـ١١٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ.

(٢٨٣) فضائح الباطنية، صـ٣٨.

قال ابن تيمية:" وهؤلاء **الباطنية** هم الملاحدة الذين أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى"[٢٨٤].

ويقول البغدادي:"وظهرت دعوة الباطنية في أيام المأمون من حمدان قرمط ومن عبد ا بن ميمون القداح وليست الباطنية من فرق ملة الإسلام بل هي من فرق المجوس"[٢٨٥].

ويقول أيضاً:" الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع"[٢٨٦].

ويقول أيضاً وهو يتحدث عن الباطنية: "وقد بينا خروجهم عن جميع فرق الإسلام بما فيه كفاية"[٢٨٧].

ويقول الشهرستاني: " وقد نجزت الفرق الإسلامية وما بقيت إلا فرقة الباطنية وقد أوردهم أصحاب التصانيف في كتب المقالات إما خارجة عن الفرق وإما داخلة فيها وبالجملة هم قوم يخالفون الاثنين والسبعين فرقة "[٢٨٨].

ويقول صاحب كتاب التبصير في الدين:" ثم ظهر أيضا دعوة **الباطنية** من حمدان قرمط وعبد ا بن ميمون القداح ولا يعدون من فرق المسلمين فإنهم في الحقيقة على دين المجوس"[٢٨٩].

---

(٢٨٤) مجموع الفتاوى جزء توحيد الألوهية ،(٣٠/٣).

(٢٨٥) الفرق بين الفرق (١٦/١).

(٢٨٦) الفرق بين الفرق (٢٧٨/١).

(٢٨٧) الفرق بين الفرق (٢٩٩/١).

(٢٨٨) الملل والنحل (١٩٠/١).

(٢٨٩) (٢٢/١).

المبحث الخامس

تعريف أصول الاعتقاد لغة واصطلاحاً

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الأصول لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الاعتقاد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: تعريف المركب الاصطلاحي (أصول الاعتقاد).

المطلب الأول

تعريف الأصول لغة واصطلاحاً.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف الأصول لغة.

الفرع الثاني: تعريف الأصول اصطلاحاً.

الفرع الأول

تعريف الأصول لغة

الأصول جمع أصل، والأصل في اللغة: هو ما يبتنى عليه غيره ويفتقر إليه، وهو لا يفتقر إلى غيره[290]. وأصل الشيء ما منه الشيء أي مادته كالوالد للولد، والشجرة للغصن[291]. "فالأصل لغة ما يبتنى عليه غيره، بأن يكون مادة له حقيقة كالطين أصل الكوز، أو بحسب النظر العامي كالحقيقة يقال لها أصل المجاز"[292].

وأصل الشيء: أسفله، وأساس الحائط: أصله، واستأصل الشيء: ثبت أصله وقوي.

وأصل كل شيء: ما يستند وجود ذلك الشيء إليه[293]. "والأصول هي الأمور المحكمة، ومنه قيل: رجل أصيل الرأي أي محكم الرأي، وقد أَصلَ من باب ظَرف، ومجد أصيلٌ ذو أصالة"[294].

قال الراغب[295]: "وأصل الشيء: قاعدته التي لو تُوهمت مرتفعة لارتفع بارتفاعه سائره لذلك، قال تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[296].

---

(٢٩٠) انظر: التعريفات للجرجاني، ص٢٨.وفواتح الرحموت فواتح الرحموت للعلامة عبدالعلي محمد بن نظام الدين الأنصاري الهندي المتوفى (١٢٢٥هـ)، بشرح مسلم الثبوت في فروع الحنفية للإمام المحقق الشيخ محب الله بن عبدالشكور البهاري الهندي المتوفى (١١١٩هـ)، (١٣/١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

(٢٩١) نفائس الأصول في شرح المحصول لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس عبدالرحمن الصنهاجي المصري المعروف بالقرافي، المتوفى سنة ٦٨٤هـ، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، (١٤/١)، مكتبة نزار مصطفى البار، مكة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

(٢٩٢) فواتح الرحموت للهندي، (١٣/١).

(٢٩٣) انظر: المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري،ص١٤، اعتنى بها: يوسف الشيخ محمد. المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثانية:١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

(٢٩٤) مختار الصحاح: لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (١٨/١)، دار ومكتبة الهلال - بيروت - الطبعة الأولى:١٩٨٣م.

(٢٩٥)الراغب هو: الحسين بن محمد المعرف بالراغب الأصفهاني،أديب من الحكماء العلماء، واشتهر حتى كان يقرن بالغزالي، وكان في عصره، توفي سنة ٥٠٢هـ. قال الذهبي في السير "لم أظفر له بوفاة ولا بترجمة" (١٢١/١٨)، والأعلام للزركلي، (٢٥٥/٢).

(٢٩٦)سورة إبراهيم: الآية ٢٤.

وقد تأصل كذا وأصله، ومجد أصيلٌ، وفلانٍ لا أصل له ولا فصل" اهـ.[297]

ونقل الإمام القرافي[298] عن أهل العلم جملة من التعاريف اللغوية منها:
"الأصل ما تفرع عنه غيره والفرع ما تفرع عن غيره وهذا أسد الحدود"[299].

والكتاب والسنة أصل ؛ لأن غيرهما يتفرع عنهما، وأما القياس فيجوز أن يكون أصلاً وفرعاً، فيكون أصلاً باعتبار أن له فروعاً تنشأ عنه، ويتوصل إلى معرفتها من جهته، وهو فرع باعتبار أنه إنما عرف بغيره وهو الكتاب والسنة[300].

والأصل: ما دل عليه غيره، والفرع: ما دل على غيره[301].

وكل ما أثمر معرفة شيء، ونبه عليه، فهو أصل له؛ فعلوم الحس أصل؛ لأنها تثمر معرفة حقائق الأشياء، وما عداه فرع له[302].

والأصل: ما ابتنى عليه غيره وسواء كان هذا البناء حسياً كبناء الحائط على الأساس؛ أوعرفياً كبناء المجاز على الحقيقة أو عقلياً كبناء الحكم على الدليل، فكل من الأساس والحقيقة والدليل أصل؛ لأنه بني عليه غيره[303].

---

(٢٩٧) مفردات ألفاظ القرآن، ص٧٩.

(٢٩٨) القرافي هو: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي، انتهت إليه رئاسة المالكية في عهده، برع في الفقه والأصول والتفسير والحديث وعلم الكلام والنحو، من شيوخه ابن الحاجب والعز بن عبد السلام، ومن مصنفاته: التنقيح وشرحه، وشرح المحصول، والذخيرة، والفروق، وغير ذلك توفي سنة ٦٨٤هـ. انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي المتوفى سنة ٧٩٩هـ، تحقيق د. علي عمر، (٢٠٥/١-٢٠٨)، ترجمة رقم ١٢٣، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٢٩٩) قاله القفال الشاشي، نفائس الأصول في شرح المحصول، (١٤/١).

(٣٠٠) انظر: نفائس الأصول، (١٤/١).

(٣٠١) نقله القرافي عن الإمام الماوردي صاحب الحاوي، انظر: نفائس الأصول (١٤/١).

(٣٠٢) نقله القرافي عن الصيرفي في الدلائل، انظر: نفائس الأصول، (١٤/١).

(٣٠٣) نقله القرافي عن ابن السمعاني في يد القواطع، (١٤/١).

الفرع الثاني

تعريف الأصول اصطلاحاً

يطلق الأصل في اصطلاح العلماء بإزاء معان:

الأول: يطلق ويراد به الصورة المقيس عليها:

كقولنا: الخمر أصل النبيذ؛ فالمعنى: أن الخمر أصل يقاس عليها الفرع وهو النبيذفي الحرمة.

وكقولنا: التأفيف للوالدين أصل لضربهما: بمعنى أن التأفيف أصـل يقـاس عليه الضرب في الحرمة.

الثاني: يطلق الأصل ويراد به الراجح:

كقولنا:الأصل في الكلام الحقيقة، أي: الراجح عند السامع حمل الكلام علـى الحقيقة لا المجاز عند عدم القرينة الصارفة.

الثالث: يطلق الأصل ويراد به المستَصحب:

كقولنا: لمن شك في نجاسة الماء: طهارة الماء أصـل،بمعنى: استصـحاب طهارة الماء تمسكاً بالأصل، حتى يرد ما ينقل عنه؛ لأن اليقين وهو طهارة المـاء بقاء على الأصل، لا يزول بالشك الطارئ الذي لم يقم عليه دليل.

الرابع: يطلق الأصل ويراد به القاعدة المستمرة أو القاعدة الكلية:

كقولنا: إباحة أكل لحم الميتة للمضطر على خلاف الأصل؛ أي: على خلاف القاعدة المستمرة، وكقولنا: الأصل في النافع الحل والإباحة وفي الضـار المنـع والحرمة أي القاعدة الكلية المستمرة.

الخامس: يطلق الأصل ويراد به الدليل:

كقولنا: الأصل في هذه المسالة الكتاب والسـنة، أي دليلها،فأصـل وجـوب الصلاة قوله تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، ومنه أصول الفقه بمعنى أدلته[٣٠٤].

فلفظ الأصل مشترك اصطلاحي في هذه المعـاني[٣٠٥]، وثبـوت الوضـع العربي لواحد منها دون الآخر لا يتعين إلا بدليل وقرينة تصـرف إليـه، وتفهـم اللفظة بحسب سياقها الواردة فيه.

قال العلامة الهندي[٣٠٦]: "**وثبوت** الوضع لابد له من دليل، بل ربما ادعـى المجازية في بعض هذه المعاني لانفهامها بحسب القرينة"[٣٠٧].

---

(٣٠٤) انظر: نفائس الأصول، (١٥/١). فواتح الرحموت، (١٣/١). وانظر: حاشية البناني على شرح الجلال شمس الدين محمـد الحلي على متن جمع الجوامع للإمام تاج الدين عبدالوهاب السبكي، (٣١/١، ٣٢)، دار الفكر، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٣٠٥) انظر: فواتح الرحموت، (١٣/١).

(٣٠٦) العلامة الهندي هو: عبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري الهندي، المتوفى سنة:١٢٢٥هـ، عـالم بالحكمـة والمنطـق حنفي، له كتب منها: تنوير المنار في الفقه، و شرح السلم في المنطق، و فواتح الرحموت شرح مسـلم الثبـوت) للبهـاري، فـي الأصول. انظر: الأعلام للزركلي، (٧١/٧).

(٣٠٧) فواتح الرحموت، (١٣/١).

المطلب الثاني

تعريف الاعتقاد لغة واصطلاحاً

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف الاعتقاد لغة.

الفرع الثاني: تعريف الاعتقاد اصطلاحاً.

الفرع الأول

تعريف الاعتقاد لغة

أصل الكلمة عقَد: العين والقاف والدال أصلٌ واحد؛ يدل على شدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها(٣٠٨).

والعقْد: الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل حقيقة في الأجسام الصلبة كعقْد الحبل وعقْد البناء، فيقال: عقَدتُ الحبلَ أعقده عقْداً إذا جمعت بين أطرافه، وعقدتُه فانعقد وتلك هي العقْدة.

ويستعمل العقْد مجازاً في المعاني على جهة الاستعارة نحو:

عقْد البيع والعهد واليمين فيقال: عاقدتُه، وعقَدتُه، وتعاقدنا.

قال تعالى: ﴿عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾(٣٠٩). وقُرِئ: ﴿عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾(٣١٠).

وقال تعالى: ﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾(٣١١)، وقُرِئَ ﴿بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾(٣١٢) ومنه قيل لفلانٍ عقيدة(٣١٣).

والعقْد: الضمان: والعهد، والجملُ الموثقُ الظّهر(٣١٤). وفيه معنى الشد والاستيثاق.

---

(٣٠٨) معجم المقاييس في اللغة، كتاب العين، ص٦٧٩.

(٣٠٩) سورة النساء آية: ٣٣، وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب.

انظر: إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، لأبي العز محمد بن الحسين بن بندار الواسطي القلانسي المتوفى سنة: ٥٢١ هـ، ص٢٨٢، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي. المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. وسراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي لأبي القاسم علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن العذري البغدادي، شرح منظومة حرز الأماني ووجه التهاني لأبي محمد بن فيرا بن أبي القاسم بن خلف بن أحمد الرعيني الأندلسي الشاطبي المتوفى سنة: ٥٩٠هـ، ص١٩١، ١٩٢، دار الفكر، بدون طبعة ولا تاريخ.

(٣١٠) وفي قراءة الكوفيين: حمزة والكسائي وعاصم وخلف، انظر: إرشاد المبتدئ ص٢٨٢. وسراج القارئ المبتدئ، ص١٩١، ١٩٢.

(٣١١) المائدة: ٨٩.

(٣١٢) وهي قراءة الكوفيين إلا حفصاً، انظر: إرشاد المبتدئ ص٢٩٩. وسراج القارئ المبتدئ، ص١٩١، ١٩٢.

(٣١٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص٥٧٦.

(٣١٤) القاموس المحيط كتاب الدال، فصل العين، ص١٧٢.

"والعقْد: مصدر استعمل اسماً فَجمع نحو: أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [315]"[316]،

"والعقْدةُ: اسم لما يعقَد من نكاح أو يمين أو غيرهما، قال تعالى: وَلا تعزموا عُقْدَةَ النكاح [317]"[318].

والعقْدةُ بالضم الولاية على البلد[319]. والعقْدةُالضيعة، يقال: اعتقد فلان عقْدةً، أي اتخذها،واعتقد مالاً، أي اقتناه. واعتقدت مالاً جمعته[320].

وعقَد قلبه على شيء: لم ينزع عنه[321].

واعتقد كذا بقلبه، وليس له معقود أي عقْد رأي[322].

"واعتقد الشيء، صلُب، واعتقد الإخاء، ثَبتَ.

وعقْد القلادة ما يكون طُوار العنق، أي مقداره"[323]. وفيه معنى الملازمة.

وعقْدةُ كل شيء بحسبه:

فعقدةُ النكاح، وجوبه[324]وإبرام العقد بين طرفيه الناكح والمنْكح، والجمع بين إرادتيهما في الإيجاب والقبول هو العقد.

وعقْدة المال: ضمه وجمعه، وعقْدة الثوب: شده وتوثيق الربط بين طرفيه والمعنى الجامع له الضم والجمع مع شدة استيثاق.

ومن خلال التعريف اللغوي، لمادة (ع ـ ق ـ د) وما يتصرف عنها من اسم

---

(315)سورة المائدة من الآية:١.

(316) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص٥٧٦.

(317) البقرة: ٢٣٥.

(318)مفردات ألفاظ القرآن ص٥٧٦.

(319) القاموس المحيط، كتاب الدال، فصل العين، ص٢٧٢.

(320)كتاب العين لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، المتوفى سنة ١٧٥هـ، (١٤٠/١)، تحقيق د.مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(321)انظر: كتاب العين، (١٤٠/١).

(322) مختار الصحاح، (١٨٦/١).

(323) معجم المقاييس في اللغة، كتاب العين، ص٦٧٩. وكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، (١٤٠/١).

(324) كتاب العين، (١٤٠/١).

كـ "العقيدة"، أو فعل كـ "اعتقد"، أو مصدر كـ "الاعتقاد".

يمكن استخلاص جملة معاني تدور عليها تعريفات علماء اللغة، وهي:

الجمع، والضم، والملازمة، والثبات، والصلابة، والإحكام، وعدم الانفكـاك والشدة، والوجوب، والإبرام، والاستيثاق.

وقد سبقت أمثلتها في سياقاتها اللغوية المختلفة.

ويمكن الجمع بين كل من تلك المعاني، وبيان وجه العلاقة بينها وبـين مـا يحمله الإنسان في قلبه من معتقدات حصلها بطريقين:

الأولى: التقليد في الموجود المتوارث والموجود السائد قال تعالى:

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ [(٣٢٥)].

الثانية: ما حصله الإنسان بالعلم الضروري الفطري أو بالعلم الاستدلالي النظري.

فكانت تلك المعتقدات التي وطئت قلوبهم ورسخت معانيها فيها، ولازموهـا، ولم ينزعوا عنها، ورأوا وجوب التمسك بها والتسليم لها، وعدم الانفكـاك عنهـا؛ لأنهم مستيقنون بها وبطريقة تحصيلها، وهذا اليقين والاستيثاق، جعل معتقـداتهم ثابتة لا تقبل الجدل ولا المنازعة، وأورثهم ذلك الاعتقاد في غالب الحال، صلابة وتشدداً في عرض تلك المعتقدات وفرضها، والذود عنها، والموت دونها.

---

(٣٢٥)سورة الزخرف الآيات: (٢٢-٢٤).

الفرع الثاني
تعريف الاعتقاد اصطلاحاً

العقائد: ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل[(٣٢٦)].

والمعنى أن العقائد من أعمال القلوب فإذا صدرت عن الجوارح أفعال فـإن مردها في الحكم يرجع إلى معتقدات القلوب، ولا يكفي الظاهر دليلاً على المعتقـد وإن كان علامة عليه وأثراً له، فقد يصدر العمل الذي يدل على الكفر ولا يكفر به صاحبه لأنه فعله جاهلاً بحكمه أو خطأً أو مكرهاً.

ويطلق الاعتقاد في **الاصطلاح العام** على حكم الذهن الجازم، حقـاً كـان أم باطلاً، فإن كان الحكم الذهني الجازم صحيحاً كان الاعتقاد القلبي صحيحاً، كاعتقاد المسلم بوحدانية ا تعالى.

وإن كان الحكم الذهني الجازم باطلاً كان الاعتقاد باطلاً، كاعتقاد النصارى، بأن ا ثالث ثلاثة ـ تعالى ا عن ذلك علواً كبيراً ـ .

ويطلق الاعتقاد على ما يؤمن به الإنسان وينعقد عليه قلبه ويجزم بصـحته ويقطع به لعدم تطرق الشك إليه بغض النظر عن صحته من عدمها[(٣٢٧)].

وعرف الاعتقاد في الاصطلاح: "بأنه الحكـم الجـازم المقابـل للتشـكيك، بخلافاليقين.

وقيل: هو إتيان الشيء بنفسه. وقيل: هو التصور مع الحكم"[(٣٢٨)].

(٣٢٦) التعريفات للجرجاني، صـ١٥٢.
(٣٢٧) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة د. ناصر العقل صـ٩.
(٣٢٨) الكليات، صـ١٥١. وهذه تعريفات الأصوليين والمناطقة.

والاعتقاد في الاصطلاح الخاص:

ـ الذي درجت عليه ألسنة علماء العقائد والكلام ـ:

هو ما يكنه الإنسان في قلبه جازماً به من معتقدات تتعلق بالتوحيد، والغيب، والنبوة، وأصول الأحكام القطعية كالولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين، ونحوها.

"وهو الحكم الجازم القابل للتغير، طابق الواقع أو لم يطابقه، فإن طابق الواقع فهو اعتقاد صحيح، وإن لم يطابق فاعتقاد فاسد"(٣٢٩).

ويكون الاعتقاد صحيحاً أو فاسداً بحسب مصدره وأدلة ثبوته وسلامة الاسـتدلال بها.

---

(٣٢٩) انظر: شرح جمع الجوامع للمحلي مع حاشية البناني، وتقريرات الشربيني، (١/ ١٥٢).

المطلب الثالث

تعريف المركب الإضافي (أصول الاعتقاد)

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف أصول الاعتقاد.

الفرع الثاني: العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي المختار.

الفرع الأول
تعريف أصول الاعتقاد

المراد من كلمة (أصل) وجمعها (أصول) في هذا الموضع هو المعنى الرابع والخامس التي سبق ذكرها في المعاني اللغوية للأصول.

فأصول الاعتقاد على المعنى الرابع:

هي القواعد الكلية التي يجب على المسلم اعتقادها ولا يسـعه جهلهـا،وتقبح المخالفة فيها عقلاً - عند جميع العقلاء من ذوي الفطـر السـليمة -، ويضـل المخالف لها عن الحق، ويخطئ طريق الهدى.

ولابد من معرفة هذه الأصول والثوابت، وبيان مواقف الطوائـف والفـرق الإسلامية منها، وسيأتي في موضعه من هذا البحث– إن شاء ا تعالى-.

وأصول الاعتقاد على المعنى الخامس:

هي أدلته من الكتاب والسنة والإجماع.

والمقصود هنا في بحثنا هذا بالإجماع كدليل من أدلة ثبوت العقيدة هو عـدم ظهور الاختلاف بين أهل القبلة(٣٣٠)، ولا نقصد به إجماع أهل السنة على مسـائل المعتقد لأن هذا يخْرِج بقية طوائف أهل القبلة المخالفة لأهل السنة، ويتجه بنا إلى تحرير النزاع القائم بين أهل العلم من أئمة السلف والخلف حول مـن هـم أهـل السنة؟!! – وليس هذا بمراد - هل هم أهل الحديث من المثبتة للصفات؟! أو هـم غلاة المثبتة الذين اقتربوا من التشبيه والتجسيم؟! أو هم الأشاعرة من أتباع أبـي الحسن الأشعريالمنتسبين إليه،على طبقاتهم الأشـعري الأقـرب إلـى الاعتـزال والأشعري الأقرب إلى السنة؟!! وبقية الأقوال المبسوطة في هذه المسألة الشـائكة والطويلة الذيول، وليس هذا مقام البسط والتحقيق لهـا، ويكفـي الإشـارة إلـى أن**المقصود في هذا البحث هو إجماع أهل القبلة وأهل الإسلام، وإن لـم يتيسـر**

(٣٣٠)وقد سبق بيان هذا المصطلح في الفصل الثاني من الباب الأول.

إجماعهم فاتفاقهم على أصول الاعتقاد، بمعنى قواعده، وأدلة ثبوته، ولا يضر في هذا خلاف طائفة من الطوائف لسواد أهل القبلة، فالعبرة تكون باتفاق السواد الأعظم من أهل القبلة، وهو محل البحث والتحري والتنقيب.

وعليه المعول في بيان فقه الاتفاق حول الأصول الكبرى والقواعد الكلية في العقائد، التي من خرج عنها خرج عن دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر ومن وافق فيها شملته دائرة الإسلام وخرج عن دائرة الكفر.

ويبقى بعد ذلك من هو المصيب من المخطئ في المعتقدات الأخرى أو في تفاصيل المعتقد وفي مسائله التي لا يمكن أن يقال إنها فرعية بل أصلية.

ولكنها تعتبر أصلية بالنسبة لما دونها من المسائل، أما بالنسبة لما فوقها من المسائل فلا تعتبر أصلية بل فرعية من هذا الوجه وبهذا الاعتبار، وسيأتي مزيد بسط فيها في موضعه إن شاء ا عند التفريق بين أصول وفروع المعتقد.

الفرع الثاني

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي المختار

فأصول الاعتقاد بمعنى قواعده الكلية، يظهر في هذا المعنى الاصطلاحي أن تلك الأصول قواعد ثابتة ينبني عليها الاعتقادالراسخ الجازم، ويكون هـذا البنـاء معنوياً عقلياً غير محسوس ولا ظاهر، لأن محله القلب، وإن ظهرت آثاره علـى الجوارح في الأفعال والأقوال والسلوك.

فآثار الشيء لا تعني حقيقته، وإنما الآثار الظاهرة دليل علـى المعتقـد البـاطن غالباً[٣٣١].

ـ وأصول الاعتقاد بمعنى أدلة ثبوته من الكتاب والسـنة والإجمـاع[٣٣٢]، يظهر فيها معنى البناء العقلي أيضاً؛ لأن كل معتقد لا دليل عليه ـ وإن توسـعنا في إطلاق اسم (المعتقد عليه) إلا أنه عند النظرـ لا يعتبر معتقداً، لعدم ثباته فـي نفس الأمر، وإن ادعى صاحبه أنه معتقد ثابت في نفسه، فهذا الادعاء المجرد عن الدليل ساقط الاعتبار، ولو طُلب من صاحبه البرهان على ذلك لعجز. وعلى هـذا يقال: المقلد في الإيمان ما هو نصيبه من أصول الاعتقاد بمعنى أدلة ثبوته وتمكنها في قلبه؟[٣٣٣].

---

(٣٣١) الاحتراز بقولي: غالباً لأن من الأفعال الظاهرة ما لا يصلح دليلاً على المعتقد وهو ما خرج عن تقية، أو إكراه، أو نسـيان ونحوه.

(٣٣٢) المقصود إجماع أو اتفاق أهل القبلة،مع غض الطرف عن مسائل الخلاف فليس هذا محل بحثها.

(٣٣٣)إذا كانت الأحكام الشرعية الفقهية لا يصح ثبوتها بلا دليل فكيف بالأحكام الشرعية العقائدية؟! فبـالأولى أنهـا لا تثبـت إلا بدليل، وتقليد المقلد في مسائل الفقه قد يغتفر لعدم تمكنه من آلة الاجتهاد والاستنباط ولخفاء مدارك العلل ومسائل الاجتهاد، ووعورة المسالك على أهل النظر فكيف بغيرهم من العوام، أما تقليد المقلد فيما يتعلق بأصول المعتقدات وأدلتها الإجمالية التـي تكفـل ا بإقامة البراهين الساطعة،والحجج القاطعة عليها، فلا يعذر المكلف إن قصر في طلبها وتحصيلها،لأنها مدعومة بالفطرة وبأدلة الكون المفتوح والرسالات والكتب السماوية التي يدركها العقلاء بأقل وأدنى مستوى الإدراك العقلي. قال ابن قدامة المقدسي: "قـال أبـو الخطاب العلوم على ضربين منها ما لا يسوغ التقليد فيه وهو معرفة ا ووحدانيته وصحة الرسالة ونحو ذلك... وأما التقليد فـي الفروع فهو جائز إجماعاً فكانت الحجة فيه الإجماع... ". روضة الناظر، (٤٥١/٢). =

= وقال أيضاً: " قال أبو الخطاب: ولا يجوز التقليد في أركان الإسلام الخمس ونحوها مما اشتهر ونقل نقلاً متـواتراً لأن العامـة شاركوا العلماء في ذلك فلا وجه للتقليد". روضة الناظر (٤٥٢/٢). ومشاركة العوام للعلماء في المعرفة الإجمالية أما التفصـيلية فمعلوم جهل العامة بها لظنيتها.

والمقصود هنا بالاستدلال على قضايا الإيمان الاستدلال الشرعي الإجمالي الذي يحقق لصاحبه عقيدة راسخة لا تهتز بالشبهات، ولا يرتد صاحبها بارتداد من قاده، وليس المقصود به الاستدلال البـدعي علـى طريقـة

قال الجويني[٣٣٤]: "والمؤمن على التحقيق: من انطوى عقْده على المعرفة بصدق من أخبر عن صانع العالم وصفاته، وأنبيائه، فإن اعترف بلسانه بما عرفه بجنانه، فهو مؤمن ظاهراً وباطناً"[٣٣٥].

مسألة: صحة إيمان المقلد، وهل يطلق على إيمانه معتقَداً؟

اتفق العلماء على أن اكتساب الأدلة والعلم بما يحقق الإيمان واجب على القادر بل فرض عين عليهلقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [٣٣٦]. ولقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ

الفلاسفة والمتكلمين، من التفصيل الذي لم يرد عليه دليل، ومن التمحل في اختراع الطرق والتقعر في العبارات، الذي لا يبلغه كثير من العلماء ولن يبلغه من دونهم من العوام.

قال القرطبي: "ذهب بعض المتأخرين والمتقدمين من المتكلمين إلى أن من لم يعرف الله تعالى بالطرق التي طرقوها والأبحاث التي حرروها لم يصح إيمانه وهو كافر فيلزم على هذا تكفير أكثر المسلمين وأول من يبدأ بتكفيره آباؤه وأسلافه وجيرانه وقد أورد على بعضهم هذا فقال: لا تشنع علي بكثرة أهل النار أو كما قال- قلت: وهذا القول لا يصدر إلا من جاهل بكتاب الله وسنة نبيه لأنه ضيق رحمة الله الواسعة على شرذمة يسيرة من المتكلمين واقتحموا في تكفير عامة المسلمين أين هذا من [قول الأعرابي الذي كشف عن فرجه ليبول وانتهره أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم:اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً فقال: النبي صلى الله عليه وسلم: لقد حجرت واسعا] أخرجه البخاري والترمذي وغيرهما من الأئمة أترى هذا الأعرابي عرف الله بالدليل والبرهان والحجة والبيان ؟ وأن رحمته وسعت كل شيء وكم من مثله محكوم له بالإيمان بل اكتفى صلى الله عليه وسلم من كثير ممن أسلم بالنطق بالشهادتين وحتى إنه اكتفى بالإشارة في ذلك ألا تراه لما قال للسوداء:

أين الله ؟ قالت: في السماء قال: من أنا ؟ قالت: أنت رسول الله قال: أعتقها فإنها مؤمنة ولم يكن هناك نظر ولا استدلال بل حكم بإيمانهم من أول وهلة وإن كان هناك عن النظر والمعرفة غفلة والله أعلم"

تفسير القرطبي،(٢٩٠/٧). عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة الأعراف الآية:١٨٥.

(٣٣٤) الجويني هو: عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي ركن الدين، إمام الحرمين، تفقه على والده، وجاور بمكة شبيبته أربعة أعوام، ومن ثم قيل له إمام الحرمين، وكان من أذكياء العالم، فقيه شافعي صاحب تصانيف، توفي ٤٧٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٦٨/١٨)، وشذرات الذهب (٣٥٨/٣).

(٣٣٥) العقيدة النظامية للإمام الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ، دراسة وتحقيق د. محمد الزبيدي، ص ٢٥٨،، دار سبيل الرشاد، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

(٣٣٦) سورة محمد آية:١٩.

﴿إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣٣٧).

واتفقوا على أن المقلد الشاك الذي يكفر بكفر من قلده، ويرتاب في مسائل المعتقد ولا يتحقق التصديق لديه، فقد اتفقوا على أن إيمانه لا يصح أيضاً وهو كافر للشك الذي عنده، وهذا الحكم عند ا لعدم ظهوره لنا، أما حكمه عندنا فليس لنا إلاّ ظاهره وسريرته على ا .

ثم اختلفوا في صحة إيمان المقلد الذي جزم بأحكام العقيدة والتوحيد تقليداً بدون دليل(٣٣٨) على أقوال خلاصتها:

١) عدم صحة إيمان المقلد، وعليه يكون المقلد كافراً.

٢) صحة إيمان المقلد اكتفاء بالتقليد ويكون عاصياً على تركه الاستدلال مطلقاً سواء توفرت لديه الأهلية أو لم تتوفر.

٣) صحة إيمان المقلد اكتفاء بالتقليد ويكون عاصياً على تركه الاستدلال مع قدرته عليه، وليس عاصياً مع عدم القدرة والأهلية.

٤) صحة إيمان المقلد اكتفاء بالتقليد من غير عصيان مطلقاً ؛ لأن النظر شرط كمال وليس شرط صحة، فمن كان فيه أهلية النظر ولم ينظر بل قلد، فقد ترك الأولى.

٥) من قلد القرآن والسنة القطعية صح إيمانه لاتباعه القطعي، ومن قلد غير ذلك لم يصح إيمانه لعدم أمن الخطأ على غير المعصوم(٣٣٩).

والمذهب الصحيح ـ من هذه المذاهب والذي عليه جمهور أهل العلم(٣٤٠) بل

---

(٣٣٧) سورة الرعد آية:١٩.

(٣٣٨)**تنبيه:** لا بد أن يفرق القارئ لهذه المسألة المتعلقة بصحة إيمان المقلد وبين مسألة أول الواجبات على العبد هل الإيمان أو النظر، وبين أن يكون المقلد في إيمانه صاحب معتقد أو لا يكون صاحب معتقد، أو يفرق بين من جزم فيما قلد فيه وبين من لم يجزم أو شك وارتاب، كل هذه مسائل مختلفة في مناطاتها تحتاج إلى تحرير محل النزاع فيها، وليس هذا موطنه، وأكتفي هنا بما له تعلق بالبحث.

(٣٣٩) انظر: جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني، صـ ٣٤، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣٤٠) انظر: الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي مع شرحه للملا علي القاري الحنفي صـ٢١٦،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، (٩٣/١)، باب القول في إيمان المقلد، دار الكتب العلمية،

يمكن القول إن عليه عامتهم، وحكي فيه الاتفاق والإجماع على ـ صـحة إيمـان المقلد الكتفاء بالتقليد ويكون عاصياً على تركه الاستدلال مع قدرته عليـه، ولـيس عاصياً مع عدم القدرة والأهلية.

"وحكى الآمدي اتفاق الأصحاب على انتفاء كفر المقلد، وأنه لا يعـرف القول بعدم صحة إيمانه إلا لأبي هاشم الجبائي من المعتزلة[٣٤١].

وأصل الفطرة دليل على صحة إيمان المقلد لأنه قلد في شيء أصله عنـده، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٣٤٢].

وبقوله صلى ا عليه وآله وسلم: **(كل مولود يولد علـى الفطـرة فـأبواه يهودانـه أو ينصـرانه أو يمجسـانه...)**[٣٤٣]. ولـذلك قـال أبـو منصـور الماتريدي[٣٤٤]: "أجمع أصحابنا على أن العوام مؤمنون عارفون بربهم وأنهم حشو

بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ. درء تعارض العقل والنقل لأبي العباسأحمد بن عبد الحلـيم بـن تيميـة الحراني،تحقيق: محمد رشاد سالم، (٩٣/٤)، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١هـ. العقيـدة السـفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية) لمحمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني، تحقيـق: أبـو محمد أشرف بن عبدالمقصود، (٥٨/١)، مكتبة أضواء السلف، الريـاض، الطبعـة الأولـى، ١٩٩٨م. روح المعاني،(٦٢/٢٦). تفسير القرطبي،(٢٩٠/٧) وبسط القرطبـي رحمـه ا أدلـة القـول الـراجح، عمـدة القاري،(٣٩/٢).

(٣٤١) وللمعتزلة تفصيل حكاه القاضي عبد الجبار في أصوله فرق فيه بين الأصول والفروع، فجوز التقليد في الفروع وفيما كان طريقه الاجتهاد، وهذا اتفاق بين مع الجمهور كما ترى، وجوز للعوام التقليد في الأصول بسؤال أهل العلـم، وقال هذا ليس تقليداً لقول ا تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة النحل من الآية:٤٣ ونص عبارتـه" وعلى أنا لم نجوز للعامي أن يعتقد صدق ما يقوله العالم والقطع عليه وعلى أن خلافه كذب، وإنما سوغنا له أن يعمـل بقوله فقط" ا.هـ من شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي، تحقيـق د.عبـد الكـريم عثمـان، صـ٦٣، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثالثة / ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م وظهر من عبارتـه أن مخالفتـه وموافقيـه مـن المعتزلة للجمهور مخالفة لفظية، لأن المعتزلة بهذا القول جوزوا للمقلد الرجوع لأهل العلم وسؤالهم ثم العمل بناء على ذلك، فإذا صح عمله عندهم هل يبطل إيمانه، وكيف يقبل عمله ويصح دون قبول إيمانه وصـحته، وإنمـا كـان منـع المعتزلة للمقلد في الإيمان من القطع بما قلد فيه وتكذيب سواه، وذلك واضح فالمقلد ليس أهلاً للتصويب والتخطئة. وا أعلم.

(٣٤٢) سورة الروم آية:٣٠.

(٣٤٣) أخرجه البخاري في صحيحه، من حديث أبي هريرة، في باب: ما قيل في أولاد المشركين، (٤٦٥/١) حديث رقم١٣١٩.

(٣٤٤) أبو منصور الماتريدي هو: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي،السمرقندي وكان يلقـب بإمام الهدى وإمام المتكلمين ورئيس أهل السنة والإمام الزاهد وغير ذلك. الماتريدي نسبة إلى ماتريـد محلـة

الجنة، كما جاءت به الأخبار، وانعقد به الإجماع ؛ فإن فطرتهم جبلت على توحيد الصانع وقدمه وحدوث ما سواه، وإن عجـزوا عـن التعبيـر عنـه باصـطلاح المتكلمين. وا أعلم"(٣٤٥).

و يمكن القول بأن المقلد الجازم والذي صح إيمانه علـى القـول الصـحيح المرضي يملك معتقداً، والمقلد الشاك - بل حتى المسـتدل الشـاك - لا يملـك معتقداً، وأن هذا المعتَقَد المجرد عن الدليل والمكتسب بالتقليد لا يخلو من وجهـين للتجرد عن الدليل:

الوجه الأول: تجرده عن الدليل في نفس الأمر حقيقة، فهذا لا يعتبر معتقـداً لخفاء أدلته وعدم ظهورها، أو لانعدامها حساً وواقعاً، فانعدام الأدلة يعني انعدام ما يمكن أن يبتنى عليها، كانعدام الفرع والأس عند انعدام الأصل والأساس.

الوجه الثاني: تجرده عن الدليل ليس في نفس الأمر، وإنمـا فـي تحصـيل وإدراك المعتَقد وتقصيره عن البحث عن الدليل مع وجوده في الحـس والواقـع، وظهوره عند غيره من المعتقدين المستدلين.

فهو تجرد نسبي وانعدام غير حقيقي للدليل، ويمكن اعتباره خفاء لا انعداماً.

وبالتأمل في المعنى اللغوي والمعنيين الأصليين يظهر للناظر أنهـا تلتقـي، وتأتلف وتتداخل فالأدلة الشرعية التي تثبت بها العقيدة هي التي تمثـل الأصـول والقواعد الكلية للاعتقاد، وتنبني عليها تلك القواعد، ويمكن اعتبار الأدلـة نفسـها والعلم بمدلولاتها قواعد وأصول دلالتها في نفسها قاطعة، ودلالتها علـى غيرهـا أيضاً قاطعة.

قرب سمرقند، ببلاد ما وراء النهر، من تصانيفه: "التوحيد" و"تأويلات أهل السنة "و"أوهام المعتزلـة"، تـوفي سنة٣٣٣هـ. انظر الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، (١٣٠/٢) ترجمة رقم ٣٩٧.

تاج التراجم لأبي الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودوني، المتوفى سنة ٨٧٩هـ، تحقيق محمـد خيـر رمضان يوسف، ترجمة رقم ٢١٧صـ ٢٤٩، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، طبقات المفسرين لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق علي محمد عمـر، ترجمـة رقـم ٩٠، (٩٦/١) مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ. الأعلام للزركلي،(١٩/٧).

(٣٤٥) جوهرة التوحيد، بتصرف واختصار، صـ ٣٥.

الفصل الثاني

الإيمان معناه اللغوي وحقيقته الشرعية

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان ومعناه اللغوي

المبحث الثاني: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند أهل السنة والجماعة من السلف

المبحث الثالث: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند أهل السنة والجماعة من المتكلمين

المبحث الرابع: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند بقية الفرق والطوائف

المبحث الخامس: حكاية الإجماع في أن الإيمان اعتقاد و قول وعمل والتحقق من وقوعه وبيان المراد به.

المبحث الأول

الإيمان ومعناه اللغوي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معاني الإيمان في اللغة.

المطلب الثاني: العلاقة بين المعاني اللغوية.

المطلب الثالث: الترادف في معاني الإيمان.

المطلب الأول

معاني الإيمان في اللغة

الإيمان مصدر آمن يؤمن إيماناً، فهو مؤمن.

واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق[٣٤٦]، وفي التنزيل قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[٣٤٧]، أي ما أنت بمصدق لنا في خبرنا الذي أخبرنا به.

ولم يختلف أهل التفسير في أن الإيمان في هذه الآية بمعنى التصديق[٣٤٨].

قال الجرجاني[٣٤٩]:"الإيمان في اللغة: التصديق بالقلب[٣٥٠]. ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣٥١]. أي لم تصدقوا بقلوبكم ما ادعته ألسنتكم"[٣٥٢].

---

(٣٤٦) لسان العرب (٢٢٤/١).

(٣٤٧) سورة يوسف من الآية: ١٧.

(٣٤٨) انظر: لسان العرب (٢٢٥/١).

(٣٤٩)الجرجاني هو: علي بن محمد بن علي الجرجاني الحسيني الحنفي المعروف بالشريف، عالم حكيم وإمام في العلوم العقلية، ولد بجرجان وقيل: في تاكو قرب استراباد عام: ٧٤٠هـ وتوفي بشيراز عام: ٨١٤ هـ، وقيل: ٨١٦هـ وقيل: عام ٨٣٢هـ، من مصنفاته: التعريفات، وحاشية على تفسير البيضاوي، وشرح فرائض الحنفية وغيرها. انظر: البدر الطالع للشوكاني،ص٤٨٩- ٤٩١، ترجمة رقم٣٣٨.ومعجم المؤلفين، (٢١٦/٧).

(٣٥٠) التعريفاتلعلي بن محمد بن علي الجرجاني،(٦٠/١)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعةالأولى١٤٠٥هـ.

(٣٥١) سورة الحجرات من الآية: ١٤.

(٣٥٢) أخرج ا هؤلاء عن مسمى الإيمان، ونفى عنهم حقيقته بأداة الجزم والقلب " لم "، لعدم تصديقهم القلبي با ورسوله، وما أظهرته ألسنتهم من علامة الإيمان إنما كان استعاذة من السيف، وحقناً لدمائهم، فظهرت العلامة باللسان وانتفى التصديق عن القلب، فأجرى ا عليهم أحكام الإسلام، ونفى دعواهم الإيمان.

والإيمان بمعنى التصديق ضده التكذيب، يقال آمن به قوم وكذّب به قوم[353].

ومعنى قولك آمنت بالله: أي صدقْت به، وفي التنزيل قولـه تعـالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[354].

قال ثعلب[355]: يصدق الله ويصدق المؤمنين[356].

ورجل مؤمن: مصدق لله ورسوله[357].

والمؤْمن - في وصف المخلوقين - عند العرب المصـدقُ لأن الله تعـالى يصدق عباده المسلمين يوم القيامة؛ إذا سئلت الأمم عن تبليغ رسلهم، فيقولون: ما جاءنا من رسولٍ ولا نذير، ويكذبون أنبياءهم، ويؤْتَى بأُمة محمد فيسـألون عـن ذلك؛ فيصدقون الماضين؛ فيصدقُهم الله، ويصدقهم النبي محمد صـلى الله عليـه وسلم، وهو قوله تعـالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً﴾[358].

وفي أسماء الله تعالى "المؤمن" هو الذي يصدق عباده وعده، فهو من الإيمان بمعنى التصديق[359].

---

(353)لسان العرب (223/1).

(354) سورة التوبة من الآية: 61.

(355)**ثعلب هو**: أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوي الشيباني مولاهم، إمام الكوفيين في اللغة والنحو، وثعلب لقب له، ولم يكن في زمنه مثله في اللغات والغريب. انظر: وفيات الأعيـان و أنبـاء أبنـاء الزمان لابن خلكان، (102/1). ونزهة الألباب في الألقاب، لابـن حجـر العسـقلاني، (153/1)، تحقيـق: عبدالعزيز بن محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشيد، الرياض، الطبعة الأولى: 1989م. وتهذيب الأسـماء لأبي زكريا محيي الدين النووي، (550/2)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى1996م.

(356) لسان العرب، (225/1).

(357) نقله في لسان العرب عن ابن الأنباري، (225/1).

(358) سورة النساء الآية: 41.

(359)النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طـاهر أحمـد الزاوى، محمود محمد الطناحي (69/1)، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ - 1979م.

وجاء لفظ الإيمان على زنة ـ إفعال ـ بمعنى الأمن والأمان:

فيقال: أنت في أمنٍ من ذلك أي في أمانٍ ومنه قولهم: أمن فلان يأمن أمناً وأمناً، وأمنةً وأماناً فهو أمن، ويقال أمنتُ فأنا أمن، وآمنتُ غيري، من الأمن والأمان[٣٦٠].

والأمن ضد الخوف وفي التنزيل العزيز: ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[٣٦١]، ومن أسماء الله "المؤمن" لأنه آمن عباده أن يظلمهم، وآمن أوليائه في القيامة أن يعذبهم[٣٦٢].

والأمنةُ الأمنُ ومنها أمنةً نُعاساً في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾[٣٦٣]"[٣٦٤].

وجاء لفظ الإيمان في اللغة بمعنى الأمانة ضد الخيانة:

قال ابن فارس[٣٦٥]: "أمن": الهمز والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان متدانيان"[٣٦٦]. وقرئ في التنزيل: ﴿إِنَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[٣٦٧] بكسر الألف[٣٦٨]، معناه: أنهم إن أجاروا وأمنُوا المسلمين لم يفُوا، وغدروا، والإيمان ههنا الإجارةُ، والأمانةُ، والأمنةُ، نقيض الخيانة لأنه يؤمن أذاه[٣٦٩].

---

(٣٦٠) انظر: الصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، المتوفى سنة ٣٩٨هـ، (١٦٧٤/٥)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. ولسان العرب، (٢٢٣/١).

(٣٦١) سورة قريش من الآية: ٤.

(٣٦٢) انظر: لسان العرب (٢٢٤/١ وما بعدها)، والصحاح للجوهري، (١٦٧٤/٥).

(٣٦٣) سورة الأنفال من الآية: ١١.

(٣٦٤) انظر: لسان العرب، (٢٢٤/١ وما بعدها).

(٣٦٥) ابن فارس هو: أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب أبو الحسين اللغوي القزويني الرازي، كان يؤدب مجد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، كان شافعياً، ثم صار مالكياً آخر عمره، وله مصنفات كثيرة جليلة منها: المقاييس، والمجمل، والتفسير، وفقه اللغة ومتخير الألفاظ، وغيرها. انظر: البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة، لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق : محمد المصري، (٧/١)، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ.

(٣٦٦) معجم المقاييس في اللغة، (٨٨، ٨٩).

(٣٦٧) سورة التوبة من الآية: ١٢.

(٣٦٨) في قراءة ابن عامر "كتاب السبعة في القراءات" لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف، (٣١٢/١)، دار المعارف، مصر، الطبعة: الثانية ١٤٠٠هـ.

(٣٦٩) انظر: لسان العرب (٢٢٤/١).

وفي حديث ابن عباس قال صلى ا عليه وسلم:(الإيمان أَمانةٌ، ولا دين لِمن لا أَمانةَ له)(٣٧٠)، وفي حديث آخر: (لا إيمان لِمن لا أَمانةَ له)(٣٧١).

وجاء الإيمان في اللغة بمعنى الطمأنينة والثقة:

يقال ما آمنْتُ أَن أَجِد صحابةً إيماناً، أَي ما وثقْت والإيمان الثقةُ، ورجل أَمنةٌ أَيضاً إذا كان يطمئن إلى كل واحد، ويثقُ بكل أَحد، وفي الحديث (المؤَذن مؤتَمن)ومؤْتَمن القوم الذي يثقون إليه ويتخذونه أَميناً حافظاً، تقول:اؤتُمن الرجل، فهو مؤْتَمن، يعني أَن المؤذن أَمين الناس على صلاتهم وصيامهم، يثقون به في إخباره عن دخول وقت العبادة، وخروجه، ولم تأت الثقة به إلاّ لأمانته في أداء الفرائض واجتناب النواهي، التي هي أمانة ا على عباده.

وفي لسان العرب: "قالوا للخليل: ما الإيمان؟ قال: الطمأنينة"(٣٧٢). ولا تأت الطمأنينة إلاّ عن ثقة بمن هو مأمون الجانب لا يخون ولا يغدر، ولا يتعد، فإليه تطمئن النفس وتسكن.

---

(٣٧٠) لم أجده بهذا اللفظ "الإيمان أمانة..." من حديث ابن عباس ولا من غيره من الصحابة، و اللفظ الذي وجدته من حديث أنس بن مالك قال: ما خطبنا نبي ا صلى ا عليه وسلم إلا قال: " لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له" أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (١٣٥/٣) حديث رقم ١٢٤٠٦، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي هلال فقد روى له أصحاب السنن.

(٣٧١) من حديث أبي أمامة عند الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٧/٨) حديث رقم ٧٩٧٢، ومن حديث ابن عباس قال: خطب رسول ا صلى ا عليه وسلم وذكر الحديث وفيه " ألا إنه لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له..." المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، (٢١٣/١١) حديث رقم ١١٥٣٢ تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعةالثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.ومن حديث أنس بن مالك في مسند أبي يعلى الموصلي لأحمد بن علي بن المثنى أبي يعلى الموصلي التميمي، (٢٤٦/٥-٢٤٧)، حديث رقم ٢٨٦٣، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة الأولى، قال محققه: إسناده حسن. ومن حديثه أيضاً في شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (٧٨/٤) حديث رقم٤٣٥٤.وفي سنن البيهقي الكبرى، (٢٨٨/٦) حديث رقم ١٢٤٧٠. وفي مسند الشهاب لأبي عبد ا محمد بن سلامة بن جعفرالقضاعي، (٤٣/٢) حديث رقم ٨٤٨، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(٣٧٢)لسان العرب،محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (٢٤/١٣)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى.

المطلب الثاني

العلاقة بين المعاني اللغوية

هناك علاقة تلازم واضحة بين المعاني اللغوية بعضها مع بعـض، يعرفهـا بوضوح من وقف على مادة الكلمة " أمن" بتصـريفاتها المختلفـة، واسـتعمالاتها العربية، وسياقات الجمل الواقعة فيها، فمن آمن بمعنى صـدق قلبـه، فقـد أمـن واطْمأن ووثقَ، ومن تحققت فيه الأمانة صار مأمون الجانب، يطمئن إليه النـاس ويضعون ثقتهم فيه، ولا يخَونونه:

قال الراغب في المفردات: "إلاّ أن الإيمان هو التصديق الذي معه أمن"[٣٧٣].

وبهذا يقترب معنى الأمانة من معنى الأمن والأمان، كما يقترب من معنـى التصديق بالقلب، وفي لسان العرب: "والأَصلُ في الإيمان الـدخولُ فـي صـدق الأَمانة التي ائْتَمنه الله عليها فإذا اعتقد التصديقَ بقلبه كما صدقَ بلسانه فقـد أَدى الأَمانةَ وهو مؤمن ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤد للأَمانة التي ائتمنـه الله عليها وهو منافق"[٣٧٤].

ورجل أُمَنَةٌ يأْمن كل أَحد وقيل يأْمنُه الناس ولا يخافون غائلَته وأُمَنَةٌ أَيضـاً موثوقٌ به مأْمون ورجل أَمنةٌ بالفتح للذي يصدق بكل ما يسمع، ولا يكذب بشيء، ورجل أَمنةٌ أَيضاً إذا كان يطمئن إلى كل واحد، ويثقُ بكل أَحد.

وفي حديث أَنس أَن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المؤمن من أَمنَه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لِسانه ويده، والمهاجِر من هجـر السـوء، والـذي

---

(٣٧٣)المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغـب، (٢٦/١)، دار المعرفة، لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

(٣٧٤) (٢٣/١٣)، دار صادر.

نفسي بيده لا يدخلُ رجلٌ الجنة لا يأْمن جاره بوائقَه)[375]. فالمؤمن من أمن الناس غوائله، ومكره، فيكون الأمن هنا ضد الخوف، ويقال لمن هذا حاله مؤمن لأنه لا يخافه الغير، و يكون الأمن هنا من الطمأنينة والثقة، ويقال لمن هذا حاله مـؤمن لأنه صار محلاً لثقة الناس به.

وفي الحديث عن ابن عمر قال أَتى رجلٌ رسولَ ا صلى ا عليه وسـلم وقال من المهاجر؟ فقال: (من هجر السيئات). قال: فمن المؤمن؟ قال: (من ائْتَمنه الناس على أَموالِهم وأَنفسهم). قال: فَمن المسلم؟ قال: (من سلم المسلمون من لسانه ويده) قال: فمن المجاهد؟ قال: (من جاهد نفسه)[376].

وائتمان الناس للمؤمن على أموالهم وأنفسهم، لثقتهم به، ولأمانته، وبهذا صار جانبه مأموناً من الغدر والخيانة، في الأموال و الأعراض، ولا يتحقق ذلك إلاّ في من صدق با ورسوله حق التصديق، وآمن بوعد ا ووعيده، ويوم لقائه للجزاء والحساب.

---

(٣٧٥) ذكره الإمام أحمد في مسنده، (١٤٩/٢٥). وذكره البخاري، (١٥/١). ومسلم، (١٤٨/١) بدون قوله: (والذي نفسي بيده لا يدخلُ رجلٌ الجنة لا يأْمن جاره بوائقَه).

(٣٧٦) ذكر الحديث بهذا اللفظ كاملاً في المنتخب من مسند عبد بن حميد (١٣٥/١)، لعبد بن حميد بن نصـر أبي محمد الكسي، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصـعيديمكتبة السـنة، القـاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

المطلب الثالث

الترادف في معاني الإيمان

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الترادف في معاني الإيمانمن حيث اللغة.

الفرع الثاني: الترادف بين معاني الإيمان اللغوية والشرعية.

الفرع الأول

الترادف في معاني الإيمان من حيث اللغة

في المطلبين السابقين ما يبين المعاني اللغوية لكلمة (الإيمان) والتي وردت بها اللسان العربي، والعلاقة بين تلك المعاني المتقاربة كما قال بن فارس:

"(أمن): الهمز والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، **والمعنيان متدانيان**"(٣٧٧).

والمقصود بالتداني في عبارة ابن فارس التقارب، لا التطابق من كل وجه كما هو معلوم.

وحيث دارت المعاني اللغوية للإيمان على التصديق وضده التكذيب، وعلى الأمن والأمان وضده الخوف، وعلى الأمانة وضدها الخيانة، وعلى الطمأنينة والثقة وضدها الارتياب والشك، وبالأضداد يتبين المراد من قولنا أن الإيمان لا يطابق واحداً من هذه المعاني من كل وجه، وإنما يفسر بواحدة من تلك المعاني بحسب سياق الكلام، فالسياق يعين المعنى المراد.

ولم يتكلم علماء اللغة عن الترادف بين معاني الكلمات، بهذه الصورة المتطابقة من كل وجه، وذلك يشعر بألاّ فرق بين الكلمة ومرادفاتها المختلفة التي فُسرت بها الكلمة، وعليه فيمكن إبدال كلمة مكان أخرى في الاستعمال العربي وفي نفس السياق، دون تغيير في بنية الكلمة، ولا في تراكيب السياق اللفظية، وبهذا الافتراض يمكنك تأويل لفظ الإيمان الوارد في مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾(٣٧٨)، بأي معنى من المعاني اللغوية السابقة دون نظر إلى ملائمة ذلك المعنى وتناسبه مع السياق؛ لأن المعاني مترادفة من كل وجه - على زعم من زعم الترادف - وذلك ممتنع وغير صحيح، وعلى سبيل المثال يقال في

---

(٣٧٧) معجم المقاييس في اللغة، (٨٨، ٨٩).

(٣٧٨) سورة الشعراء من الآية: ٤٩.

تفسير الآية السابقة: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾[٣٧٩]، أي: صدقتم لـه، علـى وجه، أو أمنتم له اسم فعل مشتق من المصدر (أمن)، على وجه ثان، أو آمنْتُم لَـه أي أمنتم له من الأمانة، على وجه ثالث، أو آمنْتُم لَه أي وثقتم له، على وجه رابع، ومعلوم عدم استقامة ذلك في اللغة، إذ يتعدى التصديق بنفسه، أو يتعدى بالباء، وقد يتعدى باللام، أما الألفاظ المرادفة والتي أبدلناها إبدالاً حرفياً جامداً دون تعديل في بنية الكلمة والسياق، فقد فسد المعنى فيها جميعاً؛ لأن الفعل أمن ثلاثـي مصـدره (أمن) وهو لازم، وعلى وزن (فَعِلَ)، فيقال أمن منه، وأمنْتُه، وقد يتعـدى الفعـل أمن بمن فيقال أمنتُ من شره، ونحوها، ولا يمكن تعدية الفعل أَمن باللام.

وإذا كان الفعل مشتقاً من الأمانة فهو فعل ثلاثي، المصدر منه أمانة، مصدر قياسي، على وزن (فَعِلَ).

أما آمن فمشتق من الإيمان، وهو فعل رباعي من(ءأمن) على وزن (أفعل).

وهذه الفوارق بين المترادفين غير المتطابقين من كل وجه، من حيث اللفـظ واشتقاقه وتصريفه.

أما من حيث المعنى واستقامته فيقال: إن الآية تحكي قول فرعون لسحرته الذين آمنوا بموسى، واستنكاره فعلهم دون رجوع إليه واستئذانهم منه.

وهنا تساؤل في معنى (آمنتم له) هل المقصود به التصديق القلبي فقـط؟ أو التصديق القلبي مع تصديق اللسان الذي صاحبه ودل عليه.

لا شك أن اعتراض فرعون متوجه لإيمانهم بمعنى اعتقادهم صحة ما جـاء به موسى، وتصديق ذلك بالإقرار والإفصاح عنه ولولا الإقرار ما عرف فرعون ذلك منهم، ولا لامهم على مالم يدركه من أقوالهم الظاهرة، وإقرار ألسنتهم الـدال على مكنون صدورهم.

فلابد هنا من حيث المعنى من حمل الإيمان على التصديق القلبي والإقـرار الدال عليه وبذلك يتبين بطلان دعوى المرادفة بين المعاني من كل وجه.

([٣٧٩]) سورة الشعراء من الآية: ٤٩.

الفرع الثاني
الترادف بين معاني الإيمان اللغوية والشرعية

هل الإيمان في الشرع يرادف واحداً من معانيه اللغوية من كل وجه؟

من المعلوم ضرورة أن الألفاظ تختلف معانيها بحسب الاستعمال، وبحسب الوضع، فإذا كان الوضع الذي استُعمل فيه اللفظ وضعاً شرعياً، فلابد من مراعاة مقصود الشارع في استعمال اللفظ ومراده به، فإن خفي المراد كان ذلك اللفظ مجملاً لابد من بيانه، ولا سبيل لبيانه إلاّ من الشارع نفسه الذي أجمله.

ولابد في المجمل من دلالة صريحة، وألفاظ فصيحة يبين بها المقصود، وذلك لشدة خفاء المعنى الشرعي، و لتفسير الألفاظ المستعملة استعمالاً شرعياً لابد من البناء والتأسيس على اللغة كأصل وقاعدة، لأن المعاني الشرعية ذات صلة بالمعاني اللغوية، وهناك ارتباط وعلاقة بينهما وإن اختلفت الحقائق، فالشارع لم يرد باللفظ مطلق المعنى في اللغة ولو أراده لظهر مراده، وبالاستقراء والتتبع، والشهرة والاستفاضة التي لا تخفى على عامة أهل اللسان فضلاً عن علمائهم، فضلاً عن علماء الشريعة الغراء، وجدنا أن الشارع قد نقل المعاني اللغوية والحقائق، إلى معان جديدة وحقائق شرعية مختلفة عن الأصل اللغوي من حيث الكيفية والهيئة مع دخول الحقيقة اللغوية ضمن الحقيقة الشرعية واشتمال الحقائق الشرعية على المعاني اللغوية.

ولكن العبرة في باب التكاليف والتعبد هو بالمعنى الجديد الذي نُقلت إليه الألفاظ اللغوية، وهذا المعنى مستفيض ذكره، وواضح أمره في جميع كتب أصول الفقه.

ولابد من الجواب على من سأل هل في الشريعة أسماء ومصطلحات نقلها الشارع عن مسماها في اللغة، وانقطعت عن صلتها بأصلها اللغوي؟

أو أنها باقية في الشرع على ما كانت عليه في اللغة، لكن الشارع زاد فيها أوصافاً و أحكاماً؟

وللجواب على هذا التساؤل أقول: لفظ (الصلاة) ورد في اللغة بمعنى الدعاء، ولا زال في الشرع باق على هذا الأصل اللغوي في مواضع ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٣٨٠).

قال البيضاوي(٣٨١): في تفسير قوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم(٣٨٢)، وقاله غير واحد من المفسرين(٣٨٣). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(٣٨٤).

قال الطبري في بيانه لأوجه تفسير الآية: "إن معنى ذلك: أن ا يرحم النبي وتدعو له ملائكته ويستغفرون وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير ا إنما هو دعاء وقد بينا ذلك فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده فأغنى ذلك عن إعادته"(٣٨٥).

وقال ابن كثير:"قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة ا تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء.

---

(٣٨٠) سورة التوبة من الآية: ١٠٣.

(٣٨١) البيضاوي هو: ناصر الدين أبو الخير عبدا بن عمر بن محمد البيضاوي الشافعي، ولي قضاء (شيراز) وكان إماماً مبرزاً، نظاراً، خيراً، صالحاً، متعبداً، له مصنفات نافعة منها، كتاب "المنهاج في أصول الفقه" وكتاب "الطوالع وهو مختصر في علم الكلام" وغير ذلك توفي رحمه ا تعالى: بمدينة تبريز سنة خمس وثمانين وستمائة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (١٥٧/٨). وشذرات الذهب (٣٩٢/٥-٣٩٣).

(٣٨٢)تفسير البيضاوي، (١٧٠/١).

(٣٨٣) انظر: تفسير الطبري،(٤٦٣/٦). تفسير الجلالين، تأليف محمد بن أحمد وعبدالرحمن بن أبي بكر المحلي والسيوطي،(٢٥٨/١)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى. تفسير أبي السعود، المسمى بـ "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي،(٩٩/٤)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣٨٤) سورة الأحزاب الآية: ٥٦.

(٣٨٥)تفسير الطبري،(٣٢٩/١٠).

وقال ابن عباس[٣٨٦]: "يصلون يبركون، هكذا علقه البخاري عنهما.."

وقال أبو عيسى الترمذي:"وروي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا: صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار"[٣٨٧].

وقد روى جابر بن عبد ا [٣٨٨] قال: (أتاني النبي صلى ا عليه وسلم فقلت لامرأتي: لا تسألي رسول ا صلى ا عليه وسلم شيئا فقالت: يخرج رسول ا صلى ا عليه وسلم من عندنا ولا نسأله شيئا ! فقالت: يا رسول ا صل على زوجي فقال رسول ا صلى ا عليه وسلم: صلى ا عليك وعلى زوجك)[٣٨٩].

قال القرطبي:"والصلاة هنا الرحمة والترحم، قال النحاس: وحكى أهل اللغة جميعا فيما علمناه أن الصلاة في كلام العرب الدعاء ومنه الصلاة على الجنائز"[٣٩٠].

هكذا ورد لفظ الصلاة في الشرع، دالاً على معناه اللغوي، بحسب إفادة السياق لذلك، وقد ورد اللفظ نفسه في مواضع أخرى، مع عدم بقاءه على صورة الوضع

---

(٣٨٦) ابن عباس هو: عبد ا بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو العباس القرشي الهاشمي ابن عم رسول ا كني بابنه العباس وهو أكبر ولده، كان يسمى البحر لسعة علمه ويسمى حبر الأمة ولد زمن حصار الشعب من مكة فأتي به النبي فحنكه بريقه وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل غير ذلك ورأى جبريل عند النبي مرتين ودعا له النبي مرتين روى عن النبي وعن عمر وعلي ومعاذ بن جبل وغيرهم وحج بالناس لما حصر عثمان وكان قد عمي في آخر عمره، توفي سنة ثمان وستين بالطائف وهو ابن سبعين سنة وقيل: إحدى وسبعين سنة وقيل: مات سنة سبعين وقيل: سنة ثلاث وسبعين. انظر: أسد الغابة، (٢٩٥/٣-٢٩٩)،الإصابة في تمييز الصحابة(١٤١/٤-١٥١).

(٣٨٧)تفسير ابن كثير، (٦٦٨/٣).

(٣٨٨) جابر بن عبد ا هو: أبو عبد ا جابر بن عبد ا بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي المدني ، ، أحد المكثرين عن النبي صلى ا عليه وسلم ، وروى عنه جماعة من الصحابة وله ولأبيه صحبة ، وكان من فقهاء الصحابة ، شهد تسع عشرة غزوة ، ومات بالمدينة سنة ٧٨هـ ، وقيل ٧٧هـ وقبل غير ذلك . انظر التاريخ الكبير (٢٠٧/٢) ترجمة رقم ٢٢٠٨ ،الاستيعاب (٢١٩،٢٢٠/١) ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ (٤٣٤،٤٣٥/١) ترجمة رقم ١٠٢٧.

(٣٨٩) بهذا اللفظ أورده القرطبي في تفسيره وورد الحديثبألفاظ قريبة من ذلكعند ابن حبان في صحيحه (١٩٧/٣) حديث رقم٩١٦، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح، وعند أبي داوود في سننه(٤٨٠/١) حديث رقم ١٥٣٣، وصححه الألباني، وعند غيرهما.

(٣٩٠)تفسير القرطبي (٢٢٣/٨).

العربي، بل أخذ معناً شرعياً جديداً، دل عليه السياق الذي ورد فيه، وقد زيدت فيه أحكام وهيئات وأذكار خاصة بالصلاة كعبادة مخصوصة، و بهذا وجدت الحقيقة الشرعية لهذا اللفظ الذي أخذ معنى جديداً له صلة بأصل وضعه اللغوي، وهو الدعاء، فالصلاة بمجموعها دعاء وثناء، و في الحديث الصحيح عنه صلى ا عليه وسلم:

(قال ا تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: الحمد رب العالمين، قال ا تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين: قال مجدني عبدي، (وقال مرة فوض إلي عبدي)، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل)[391].

وكذلك لفظ (الزكاة) ورد في اللغة بمعنى الطهارة والنماء، ولازال في الشرع باق على هذا المعنى في مواضع[392]، وزيدت عليه أحكام خاصة في مواضع أخرى[393]، تتعلق بالزكاة وأصناف المال ونصابه، ولمن تكون وممن تؤخذ، وغير ذلك من الأحكام والمعاني الخاصة التي أضافها الشارع على المعنى اللغوي، فصارت بذلك حقيقة شرعية تتضمن المعنى اللغوي.

---

(٣٩١)صحيح مسلم،(٢٩٦/١)، حديث رقم ٣٩٥.

(٣٩٢) كقوله تعالى: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ سورة البقرة الآية: ١٢٩. **قال الطبري:** "القول في تأويل قوله تعالى: ويزكيهم .

قال أبو جعفر: قد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى التزكية: التطهير وأن معنى الزكاة: النماء والزيادة فمعنى قوله: (ويزكيهم) في هذا الموضع: ويطهرهم من الشرك با وعبادة الأوثان وينميهم ويكثرهم بطاعة ا " تفسير الطبري، (٦٠٦/١).

وفي لسان العرب:"قال وأصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركةُ والمدح وكله قد استعمل في القرآن والحديث"(٣٥٨/١٤).

(٣٩٣) كقوله تعالى: أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ سورة البقرة الآية: ١١٠.

وكذلك لفظ (الصيام) ورد في اللغة بمعنى الامتناع والإمساك عن الشيء، ولازال في الشرع باق على هذا الأصل اللغوي في مواضع(٣٩٤)، وزيدت فيه أحكام خاصة في مواضع أخرى(٣٩٥)، جعلته إمساكاً مخصوصاً يختلف في حقيقته الشرعية عن أصله اللغوي الذي يتناول مطلق الإمساك.

وكذلك لفظ (الحج) ورد في اللغة بمعنى القصد، ولازال في الشرع باق على هذا الأصل اللغوي في مواضع(٣٩٦)، وفي مواضع أخرى صار معناه الشرعي يطلق على أفعال مخصوصة يقصدها المكلف في زمن مخصوص إلى مكان مخصوص(٣٩٧).

---

(٣٩٤) كقوله تعالى لمريم عليها السلام: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾ سورة مريم الآية: ٢٦. فالصيام هنا لا شك أنه الامتناع عن الحديث معهم في شأن الصبي الذي تحمله، بدلالة أمرها بالأكل والشرب.

قال الشوكاني عند تفسيره للآية: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً﴾ أي: صمتا، وقيل المراد به الصوم الشرعي وهو الإمساك عن المفطرات والأول أولى، وفي قراءة أبي(إني نذرت للرحمن صوماً صمتاً) بالجمع بين اللفظين،...، والذي عليه جمهور المفسرين أن الصوم هنا الصمت؛ ويدل عليه: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾ ومعنى الصوم في اللغة أوسع من المعنيين، قال أبو عبيدة: كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم، وقراءة أبي تدل على أن المراد بالصوم هنا الصمت لأنه تفسير للصوم" فتح القدير، (٤٧٠/٣).

وفي لسان العرب:"الصوم في اللغة الإمساك عن الشيء والترك له وقيل للصائم صائم لإمساكه عن المطْعم والمشْرب والمنْكح وقيل للصامت صائم لإمساكه عن الكلام وقيل للفرس صائم لإمساكه عن العلَف مع قيامه"(٣٥٠/١٢).

(٣٩٥) كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة البقرة الآية:١٨٣.

(٣٩٦) كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ سورة البقرة الآية: ١٥٨.

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿فمن حج البيت﴾ أي قصد، وأصل الحج القصد، قال الشاعر:

فأشهد من عوف حلولا كثيرة... يحجون سب الزبرقان المزعفرا " تفسير القرطبي(١٧٣/٢).

وفي لسان العرب:"الحج القصد حج إلينا فلان أي قدم وحجه يحجه حجاً قصده وحججتُ فلاناً واعتَمدتُه أي قصدته ورجلٌ محجوج أي مقصود " (٢٢٦/٢).

(٣٩٧) كقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ سورة البقرة الآية: ١٩٧.

فمع اختلاف الحقيقتين اللغوية والشرعية إلا أن الصلة بينهما باقية؛ من حيث أن الحقيقة الشرعية تضمنت الحقيقة اللغوية أو المعنى اللغوي، لكن زاد الشارع في أحكامها، ومثله يقال عن الإيمان بمعانيه اللغوية المختلفة سواء قُصد به التصديق أو الأمان أو الأمن، أو الطمأنينة والثقة أو الإقرار، فقد استعمله الشارع استعمالاً شرعياً أبقى فيه على أصله اللغوي، ولم يلغه ولم يهمله في الاعتبار، كما لم يقتصر عليه؛ بل أضاف إليه أحكاماً مخصوصة جعلته يأخذ حقيقة جديدة وفق مراد الشارع، ومقصوده الذي بينته النصوص الشرعية المتكاثرة في هذا الباب فصارت الحقيقة الشرعية مستوعبةً للحقيقة اللغوية، وزائدة عليها، وليس في الحقيقة الشرعية من غموض، إلا عند من أعرض عنها، وجانب الصواب في تفسير النصوص.

ومسألة: **الإيمان في الشرع وعلاقته بالمعنى اللغوي من المسائل المهمة**

ولها أثرها في افتراق الفرق واختلاف الطوائف، إذ صار بعضها إلى تفسير الإيمان تفسيراً لغوياً منبتاً عن الشرع، بل جعل الشرع مرده إلى اللغة ولا يتجاوزها زيادة ولا نقصاناً.

وصار البعض الآخر إلى اعتبار المعنى اللغوي، مضافاً إليه الحقيقة الشرعية التي وردت بها النصوص وجاء فيها بيانه صلى ا عليه وسلم وقت حاجة الناس إليه.

فبينما قالت الطائفة الأولى:

الإيمان في اللغة: هو التصديق، والرسول صلى ا عليه وسلم إنما خاطب الناس بلغة العرب، ولم يغيرها، وأراد الإيمان الشرعي التصديق بمعناه اللغوي ولم يعدل عنه.

ثم اختلف هؤلاء فذهبت الجهمية منهم ومن وافقها من المرجئة ومتكلمي الأشاعرة، إلى أن الإيمان هو التصديق، والتصديق هو اعتقاد القلب وحركته في نسبة الصدق إلى المخبر فيما أخبر عنه فقط.

وذهب مرجئة الفقهاء، ومن وافقهم، من الأشاعرة والماتريدية إلى أن التصديق المقصود شرعاً هو فعل القلب وقول اللسان.

وجزموا بأن الأعمال لا تسمى إيماناً وليست من التصديق الشرعي.

ومنهم من تأول النصوص الصريحة التي أطلقت على الأعمال إيماناً بأن هذا على سبيل المجاز في الإطلاق لا الحقيقة.

وذكر ابن حزم ذلك ونسبه إلى الفرق القائلة به ورد عليهم مقالتهم في كتابه الفصل **فقال:** "فحجة الجهمية والكرامية والأشعرية ومن ذهب مذهب أبي حنيفة حجة واحدة وهي: أنهم قالوا إنما أنزل ا القرآن بلسان عربي مبين، وبلغة العرب خاطبنا ا تعالى ورسول ا صلى ا عليه وسلم، والإيمان في اللغة هو: التصديق فقط، والعمل بالجوارح لا يسمى في اللغة تصديقاً، فليس إيماناً.."[398].

فعامة الفرق التي أنكرت دخول العمل في مسمى الإيمان وحقيقته الشرعية تمسكت باللغة وإطلاقها، وكان ذلك عمدة أدلتهم وحججهم، فأبطل ابن حزم عليهم ذلك الاستدلال باللغة نفسها فقال: "إن الإيمان هو التصديق في اللغة: فهذا حجة على الأشعرية والجهمية والكرامية، مبطلةُ لأقوالهم إبطالاً تاماً كافياً لا يحتاج إلى غيره، وذلك قولهم إن الإيمان في اللغة التي بها نزل القرآن هو التصديق، فليس كما قالوا على الإطلاق.

وما سمي قط التصديق بالقلب دون التصديق باللسان إيماناً في لغة العرب...ولا يسمى تصديقاً في لغة العرب ولا إيماناً مطلقاً إلا من صدق بالشيء بقلبه ولسانه معاً، فبطل تعلق الجهمية والأشعرية باللغة جملة.

ثم نقول لمن ذهب مذهب أبي حنيفة في أن الإيمان، إنما هو التصديق باللسان والقلب معاً، وتعلق في ذلك باللغة، إن تعلقكم باللغة لا حجة لكم فيه أصلاً:

لأن اللغة يجب فيها ضرورة أن كل من صدق بشيء فإنه مؤمن به وأنتم والأشعرية والجهمية والكرامية كلكم توقعون اسم الإيمان، ولا تطلقونه على كل من صدق بشيء ما ولا تطلقونه إلا على صفة محدودة دون سائر الصفات، وهي من صدق با عز وجل وبرسوله صلى ا عليه وسلم وبكل ما جاء به القرآن

---

[398] الفصل في الملل والأهواء والنحل، كتاب الإيمان والكفر والطاعات والمعاصي والوعد والوعيد (١٠٦/٣).

والبعث والجنة والنار، والصلاة والزكاة، وغير ذلك مما قد أجمعت الأمة على أنه لا يكون مؤمناً من لم يصدق به، **وهذا خلاف اللغة مجرد.**

فإن قالوا إن الشريعة أوجبت علينا هذا، قلنا صدقتم، فلا تتعلقوا باللغة حيث جاءت الشريعة بنقل اسم منها عن موضعه في اللغة كما فعلتم آنفاً سوءاً بسواء ولا فرق.

قال أبو محمد: ولو كان ما قالوه صحيحاً لوجب أن يطلق اسم الإيمان لكل من صدق بشيء ما ولكان من صدق بإلهية الحلاج و بإلهية المسيح وبإلهية الأوثان مؤمنين؛ لأنهم مصدقون بما صدقوا به، وهذا لا يقوله أحد ممن ينتمي إلى الإسلام بل قائله كافر عند جميعهم، ونص القرآن يكفر من قال بهذا قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً﴾ (٣٩٩).

فهذا الله عز وجل شهد بأن قوماً يؤمنون ببعض الرسل وبالله تعالى ويكفرون ببعض فلم يجز مع ذلك أن يطلق عليهم اسم الإيمان أصلاً.

بل أوجب لهم اسم الكفر بنص القرآن(٤٠٠).

وقد وضع ابن حزم رحمه الله قاعدة جليلة في باب الأسماء والمسميات وذلك في معرض جدله مع المخالفين إذ ألزمه أحدهم بقوله: "لوكان العمل يسمى إيماناً لكان من ضيع منه شيئاً فقد أضاع الإيمان ووجب أن لا يكون مؤمناً" فرد عليه ابن حزم بقوله: "فإني قلت لبعضهم وقد ألزمني هذا الإلزام كلاماً تفسيره وبسطه أننا لا نسمي في الشريعة اسماً إلاّ بأن يأمرنا الله تعالى أن نسميه، أو يبيح لنا الله بالنص أن نسميه؛ لأننا لا ندري ما أراد الله عز وجل منا إلا بوحي وارد من عنده علينا، ومع هذا فإن الله عز وجل يقول منكراً على من سمى في الشريعة

(٣٩٩) سورة النساء الآيات: (١٥٠-١٥١).

(٤٠٠) الفصل في الملل والأهواء والنحل، كتاب الإيمان والكفر والطاعات والمعاصي والوعد والوعيد(١٠٧/٣).

شيئاً بغير إذنه عز وجل: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾[٤٠١].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[٤٠٢].

فصح أنه لا تسمية مباحة لملك ولا لإنسي دون ا تعالى، ومن خالف هذا فقد افترى على ا عز وجل الكذب، وخالف القرآن، فنحن لا نسمي مؤمناً إلا من سماه ا عز وجل مؤمناً، ولا نسقط الإيمان بعد وجوبه إلا عمن أسقطه ا عز وجل عنه.

ووجدنا بعض الأعمال التي سماها ا عز وجل إيماناً لم يسقط ا عز وجل اسم الإيمان عن تاركها، فلم يجز أن نسقطه عنه لذلك، لكن نقول إنه ضيع بعض الإيمان، ولم يضيع كله، كما جاء النص... فلا يحل لأحد خلاف ا تعالى فيما أنزله وحكم به، وهو تعالى خالق اللغة وأهلها؛ فهو أملك بتصريفها وإيقاع أسمائها على ما يشاء. ولا عجب أعجب ممن وجد لامرئ القيس[٤٠٣]، أو لزهير[٤٠٤] أو لجرير[٤٠٥] أو للطرماح[٤٠٦]، أو لأعرابي أسدي أو سلمي أو تميمي أو من سائر

---

(٤٠١) سورة النجم الآية: ٢٣.

(٤٠٢) سورة البقرة الآية: (٣١-٣٢).

(٤٠٣) امرؤ القيس: هو امرؤ القيس بن عانس بن المنذر امرؤ القيس بن السمط بن عمرو بن معاوية من كندة، شاعر مخضرم، من أهل حضرموت، وأسلم عند ظهور الإسلام، ووفد على النبي صلى ا عليه وسلم، وثبت على إسلامه عندما ارتدت حضرموت، انتقل آخر عمره إلى الكوفة ومات بها سنة ٢٥هـ (الأعلام...).

(٤٠٤) زهير بن أبي سلمى، ربيعة بن رياح المزني من مصر، حكيم الشعراء في الجاهلية ومن أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة، قال ابن الأعرابي، كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره، وأخته الخنساء، ولد في بلاد مزينه بنواحي المدينة وأقام في ديار نجد. الأعلام بتصرف (٨٦/٣-٨٧).

(٤٠٥) جرير بن عطية بن حذيفة الكلبي اليربوعي من تميم أشعر أهل عصره توفى عام ١١٠هـ. الأعلام(١١٠/٢).

أبناء العرب بوال على عقبيه لفظاً من شعر أو نثر جعله في اللغة وقطع به ولم يعترض فيه، ثم إذا وجد تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت إليه ولا جعله حجة، وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه ويتحيل في إحالته عما أوقعه ا عليه، وإذا وجد لرسول ا صلى ا عليه وسلم كلاماً فعل به مثل ذلك.

وتا لقد كان محمد بن عبدا بن عبدالمطلب بن هاشم قبل أن يكرمه ا تعالى بالنبوة، وأيام كونه فتى بمكة بلا شك عند كل ذي مسكة من عقل، أعلم بلغة قومه وأفصح فيها، وأولى بأن يكون ما نطق به من ذلك حجة من كل خندفي وقيسي وربيعي وإيادي وتميمي وقضاعي وحميري، فكيف بعد أن اختصه ا تعالى للنذارة، واجتباه للوساطة بينه وبين خلقه، وأجرى على لسانه كلامه، وضمن حفظه، وحفظ ما يأتي به، ثم ساق جملة من أغلاط وشذوذات الفصحاء، وأورد الآيات التي أوقع ا تعالى فيها اسم الإيمان على أعمال الديانة..." أ.هـ[٤٠٧].

ويمكن تلخيص أوجه العلاقة بين المعنى الشرعي والمعنى اللغوي للإيمان **في أربعة أوجه:**

الوجه الأول: إن الأسماء الشرعية نقلها الشارع عن مسماها في اللغة إلى معنى شرعي جديد.

الوجه الثاني: إن الأسماء الشرعية ما زالت باقية في كلام الشارع على معناها اللغوي لكن زيدت فيها أحكام خاصة.

الوجه الثالث: إن الشارع تصرف فيها تصرف أهل العرف، فهي بالنسبة إلى اللغة مجاز وبالنسبة إلى عرف الشارع حقيقة، بمعنى أنها استعملت في غير ما وضعت له.

---

(٤٠٦) الطرماح: هو ابن حكيم بن الحكم شاعر إسلامي فحل، ولد ونشأ بالشام وانتقل إلى الكوفه. واعتقد مذهب الشراة الازارقة، ولم يشترك في حروبهم، ودافع عنهم في شعره توفى سنة ٧٤٣م، الأعلام (٣/٢).

(٤٠٧) الفصل (١٠٨/٣).

الوجه الرابع: إن الشارع لم ينقلها ولم يغيرها، ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة، كما يستعمل نظائرها، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ (٤٠٨).

فذكر حجاً خاصاً، وهو حج البيت، وكذلك قوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ (٤٠٩).

فلم يكن لفظ الحج متناولاً لكل قصد، بل لقصد مخصوص دل عليه اللفظ نفسه من غير تغيير اللغة"(٤١٠)، ولم يظهر لي فارقاً واضحاً بين الأقوال الثلاثة الأخيرة، ولعله خلاف لفظي، إذا ما اتفقنا على الرجوع إلى المعنى الشرعي عند توهم التعارض بين المعاني فيما يتعلق بخطاب التكليف التعبدي.

ويتبين من خلال استعراض الأقوال والمذاهب في مسألة الإيمان وبيان حقيقته الشرعية، أن مدار استدلال كثير من الفرق والطوائف على اللغة، وفق نظرية ترادف وتطابق المعنى الشرعي مع اللغوي من كل وجه، وقد سبق بيان عدم صحة هذه النظرية وتجردها عن الدقة العلمية في مطلب سابق، تناول نظرية الترادف لغة ومعنى.

وفي رد ابن حزم ما يتناول النظرية من جانب شرعي، فالإيمان في الشرع لا يرادف واحداً من معانيه اللغوية من كل وجه، على الصحيح.

وزاد ابن تيمية في ردوده الأمر وضوحاً وجلاء فقال رحمه ا : "ولجمهور أهل السنة وغيرهم عن هذا أجوبة:

---

(٤٠٨) سورة آل عمران من الآية: ٩٧.

(٤٠٩) سورة البقرة من الآية: ١٥٨.

(٤١٠) وهو اختيار ابن تيمية الذي رجحه وانتصر له ودلل عليه، وضعف غيره فقال رحمه ا : "فخطاب ا ورسوله للناس بهذه الأسماء كخطاب الناس بغيرها، وهو خطاب مقيد خاص لا مطلق يحتمل أنواعاً.
وقد بين الرسول تلك الخصائص، والاسم دل عليها، فلا يقال: إنها منقولة، ولا أنه زيد في الحكم دون الاسم، بل إنما استعمل على وجه يختص بمراد الشارع، لم يستعمل مطلقاً، وهو إنما قال: (أقيموا الصلاة) بعد أن عرفهم بالصلاة المأمور بها، فكان التعريف منصرفاً إلى الصلاة التي يعرفونها، لم ينزل لفظ الصلاة وهم لا يعرفون معناه، ولهذا كل من قال في لفظ الصلاة: إنه عام للمعنى اللغوي، أو إنه مجمل لتردده بين المعنى اللغوي والشرعي، ونحو ذلك، فأقوالهم ضعيفة"الإيمان صـ٢٨٣.

أحدها: قول من ينازعه في أن الإيمان في اللغة مرادف للتصديق، ويقول هو بمعنى الإقرار وغيره.

والثـاني: قول من يقول: وإن كان في اللغة هو التصديق، فالتصديق يكـون بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما قال النبي صلى ا عليـه وسـلم: والفـرج يصدق ذلك أو يكذبه"[٤١١].

والثالث: أن يقال: ليس هو مطلق التصديق، بل هو تصديق خاص مقيد بقيود اتصل اللفظ بها، وليس نقلاً للفظ ولا تغيراً له. فإن ا لم يأمرنا بإيمانٍ مطلق، بل إيمان خاص وصفه وبينه.

الرابع: أن يقال: وإن كان التصديق التام القائم مستلزماً لما وجب من أعمال القلب والجوارح، فإن هذه لوازم الإيمان التام، وانتفاء اللازم دليـل علـى انتفـاء الملزوم.

ونقول: إن هذه اللوازم تدخل في مسمى اللفظ تارة وتخرج عنه أخرى.

الخامس: قول من يقول: إن اللفظ باق على معناه في اللغة، ولكن الشـارع زاد فيه أحكاماً.

السادس: قول من يقول: إن الشارع، استعمله في معناه المجازي، فهو حقيقة شرعية مجاز لغوي.

السابع: قول من يقول إنه منقول: أي من اللغة إلـى معنـى حـديث فـي الشرع".أ.هـ[٤١٢].

قلت: وليس ترجيح أحد هذه الأقوال بلا مرجح أولى من ترجيح الآخر منها، ولابد في الترجيح هنا من اعتبار كلام الشـارع فـي بيـان الحقـائق الشـرعية

([٤١١]) جزء من حديث متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٦٢٤٣ كتاب الاستئذان بـاب زنـا الجـوارح دون الفرج، صـ١٠٨٧، ومسلم، (٢٠٤٦/٤)، حديث رقم٢٦٥٧، كتاب القدر باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره. واللفظ المذكور لمسلم وعند البخاري "والفرج يصدق ذلك أو يكذبه".

([٤١٢]) الإيمان لابن تيمية صـ١١٦.

وإيضاحها، ولا يصح بحال عند الترجيح اللغوي إهمال كلام علماء اللغة ونقلتهـا، وكذلك بالأولى لا يصح عند الترجيح للمعنى الشرعي هجر وإهمـال النصـوص الشرعية، المبينة الكاشفة لما يلتبس.

"فاسم الإيمان قد تكرر ذكره في القرآن والحديث أكثر من ذكر سائر الألفاظ، وهو أصل الدين، وبه يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويفرق بين السـعداء والأشقياء، ومن يوالى ومن يعادى، والدين كله تابع لهذا، وكل مسلم محتاج إلـى معرفة ذلك، أفيجوز أن يكون الرسول قد أهمل بيان هذا كله، ووكله إلـى هـاتين المقدميتين: "المقصود بهما كون الإيمان في اللغة هو التصديق، والرسول خاطـب أمته بلغة العرب ولم يغيرها، فيكون مراده بالإيمان التصديق، والتصديق عنـدهم إنما يكون بالقلب واللسان، أو بالقلب والأعمال ليست منه... فلا يجوز أن يجعـل بيان أصل الدين مبنياً على هذه المقدمات، ولهذا كثر النزاع والاضـطراب بـين الذين عدلوا عن صراط ا المستقيم، وسلكوا السبل..."[٤١٣].

ووضع ابن تيمية قاعدة مهمة في بيان معاني الألفاظ وعلاقة المعنى اللغوي بالمعنى الشرعي والعرفي كذلك، إذ اعتبر أن المعنى اللغوي أساس لغيـره مـن المعاني، ويقوم عليه المعنى الشرعي والعرفي، ويقيد إطلاقه، إذ لا يبقى اللفظ بعد استعماله في الشرع والعرف مطلقاً على معناه اللغوي الأول؛ بل يصير مقيداً فيما استعمل فيه.

قال: "ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة فـي القـرآن والحـديث، إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي صلى ا عليه وسلم، لم يحتج في ذلك الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم[٤١٤]، ولهذا قال الفقهـاء: الأسـماء ثلاثـة أنواع:

---

(٤١٣) الإيمان لابن تيمية، صـ٢٧٤.

(٤١٤) ويحمل كلامه على أن بيان الشارع باللسان العربي حجة في اللسان ووجه معتبر فيها، ولا يعـارض باستدلال لغوي، وليس مقصوده من ذلك أن اللغة لا تفسر ألفاظ القرآن والسنة، بدليل ما أورد من نقول عقب قول ذلك.

نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة، ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر، ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض، ولفظ المعروف في قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[415]، ونحو ذلك.

وروي عن ابن عباس أنه قال: **تفسير القرآن على أربعة أوجه**:

تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله، من ادعى علمه فهو كاذب.

فاسم الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك، قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ما يراد بها في كلام الله ورسوله، وكذلك لفظ الخمر وغيرها، ومن هناك يعرف معناها.

فلو أراد أحد أن يفسرها بغير ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه"[416].

فأي مقدمة من المقدمات اللغوية أو العقلية أو المنطقية إذا سارت وفق مراد الشارع ونصوصه، فهي مقبولة، أما إذا كان موردها مورد المعارضة والمضادة أو المخالفة والتباين مع بيان الشارع فلا شك في سقوط اعتبارها، ولا شك في تقديم البيان الشرعي عليها[417].

فلابد لاستقامة الأمر من استقامة أصول الاستدلال فيه، وإلا فهي مسالك زلل ودحض.

وأهل البدع إنما دخل عليهم الداخل، لأنهم أعرضوا عن هذه الطريق، وصاروا يبنون دين الإسلام على مقدمات يظنون صحتها، إما في دلالة الألفاظ، وإما في المعاني المعقولة، ولا يتأملون بيان الله ورسوله، وكل مقدمات تخالف

---

(٤١٥) سورة النساء من الآية: ١٩.

(٤١٦) الإيمان لابن تيمية صـ ٢٧١.

(٤١٧) وغالباً ما تكون هذه المقدمات المعارضة متوهمة في أذهان أصحابها، أو متصورة بصورة قاصرة أحدثت هذا التعارض.

بيان الله ورسوله، فإنها تكون ضلالاً، ولهذا تكلم الإمام أحمد في رسالته المعروفة في الرد على من يتمسك بما يظهر له من القرآن، من غير استدلال ببيان الرسول والصحابة والتابعين، وكذلك رسالته، إلى أبي عبد الرحمن الجرجاني، في الرد على المرجئة[٤١٨].

وهذه طريقة سائر أئمة المسلمين، لا يعدلون عن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً ومن عدل عن سبيلهم وقع في البدع التي مضمونها أنه يقول على الله ورسوله مالا يعلم، أو يقول غير الحق.

وهذا مما حرمه الله ورسوله وقال تعالى في الشيطان: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤١٩].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[٤٢٠].

وهذا من تفسير القرآن الكريم بالرأي الذي جاء فيه الحديث: (من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)[٤٢١].

ففي هذا بيان لأصل من أصول الاستدلال السوي، وما يعارض به من أصول للاستدلال غير السوي، ويترتب على ذلك الوفاق والافتراق بين طوائف المسلمين وفرقهم، وهذا أحد أسبابه وعوامله؛ الاختلاف في أصول الاستدلال، وضوابط الفهم، وقواعد الترجيح.

---

(٤١٨) انظر: مجموع الفتاوى، (٢٨٨/٧).

(٤١٩) سورة البقرة الآية: ١٦٩.

(٤٢٠) سورة الأعراف الآية: ١٦٧.

(٤٢١) هذا حديث مركب من حديثين ولم أجده بهذا اللفظ، الحديث الأول: عن ابن عباس: (من قال في القرآن بغير علم فليبوأ مقعده من النار)، والآخر عن جندب قال: (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) وكلاهما ضعيف.

المبحث الثاني

معنى الإيمان وحقيقته الشرعية

عند أهل السنة والجماعة من السلف

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بأهل السنة والجماعة

المطلب الثاني: الإيمان الشرعي عند أهل السنة والجماعة من السلف

المطلب الثالث: ما روي عن الصحابة دالاً على ذلك (وتحقيق أسانيده إليهم)

المطلب الرابع: ما روي عن أئمة المذاهب المتبوعين دالاً على ذلك

المطلب الخامس: ما روي عن بقية أئمة الدين من سلف هذه الأمة

المطلب الأول

المقصود بأهل السنة والجماعة

وفيه فرعان:

الفرع الأول: المستند الشرعي للتسمية

الفرع الثاني: الفرق المندرجة تحت أهل السنة والجماعة

الفرع الأول

المستند الشرعي للتسمية

لا بد من معرفة ألقاب أهل السنة والجماعة، وبيان المستند الشرعي لهذه التسمية؛ لما يترتب على ذلك من أحكام، وقد اهتم أهل العلم ببيان الأسماء والأحكام، في باب علم الكلام، اهتماماً بالغاً، بل مبالغاً فيه، لبيان أهمية ذلك وأثره وخطره، فالأسماء مرتبطة بالأحكام والأحكام تتبع التسمية، ولذلكحرص الباحث على بيان المقصود بأهل السنة والجماعة، والألقاب الأخرى المرادفة له في المعنى والمضمون، ويزيد من أهمية الأمر ما وقع من تنازع بين أهل العلم وأرباب الفرق والطوائف حول هذه الألقاب الشريفة، والتي انتسب إليها أصحاب الفرق، وجردوا المخالف منها، تمييزاً لأنفسهم عنه، وليس المقام هنا مقام تفصيل، ويكفي الإشارة إلى أن النزاع في الاسم، وفي من يدخل تحته ومن لا يدخل نزاع مؤثر في باب الاتفاق والافتراق، لذا لزم التنبيه عليه، وأهل السنة والجماعة لهم ألقاب عدة من أبرزها وأكثرها شيوعاً "أهل السنة، الجماعة، أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية"، وفيما يلي بيان موجز للمستند الشرعي لكل لقب من هذه الألقاب:

سمو بأهل السنة: لحديث: العرباض بن سارية(٤٢٢)وفيه قال العرباض: صلى بنا رسول ا صلى ا عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يارسول ا كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال:(أوصيكم بتقوى ا ، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)(٤٢٣).

---

(٤٢٢)العرباض بن سارية هو: العرباض بن سارية السلمى، أبو نجيح، من أهل الصفة، سكن الشام، ومات بها سنة خمس وسبعين، وقيل بل مات فى فتنة ابن الزبير، روى عنه جماعة من تابعى أهل الشام، انظر: الاستيعاب(١٢٣٨/٣-١٢٣٩).

(٤٢٣) أخرجه أبو داوود في سننه، بابفيلزومالسنة، (٦١٠/٢) حديث رقم(٤٦٠٧). والترمذي في سننه، بابماجاءفيالأخذبالسنةواجتنابالبدع، وقال: هذا حديث صحيح، (٤٤/٥) حديث رقم ٢٦٧٦، وابن ماجه في سننه، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، (١٥/١) حديث رقم ٤٢، ورواه غيرهم من حديث العرباض وبنحو لفظ أبي داوود، وصحح الألباني الحديث في أكثر من موضع انظر: صحيح أبي داود (٨٧١/٣) برقم ٣٨٥١، وصحيح ابن ماجة (١٣/١) حديثرقم ٤٠، والسلسلة الصحيحة (٥٢٦/٦) حديث رقم ٢٧٣٥.

قال أبو المظفر الاسفراييني[٤٢٤]: مبيناً طريق تحقيق النجـاة لأهـل السـنة والجماعة في العاقبة قال: "أعلم أن الذي حقق لهم هذه الصفة أمور منهـا قولـه تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٤٢٥]والمحبة من الله تعالى في متابعة الرسول سبب محبة الـرب للعبـد، فكل من كان متابعتة للرسول أبلغ وأتم؛ كانت المحبة له من الله أكمل وأتم، وليس في فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار الرسول وأكثـر تبعـا لسـنته مـن هـؤلاء؛ ولهذاسمواأصحابالحديثوسمواباأهلالسنةوالجماعة"[٤٢٦].

وسمو بالجماعة وبأهل السنة والجماعة: فأضيف إلى السنة الجماعة في الإطلاق فيقال أهل السنة ويقال الجماعة ويقال أهل السنة والجماعة، وذلك لحديث حذيفـة بـن اليمان رضي الله عنه قال: "كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسـلم عـن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في الجاهليـة وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال (نعم). قلت وهل بعد ذلـك الشر من خير؟ قال نعم وفيه دخن). قلت وما دخنه؟ قال (قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر). قلت فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم دعاة إلى أبواب جهـنم مـن أجابهم إليها قذفوه فيها). قلت يا رسول الله صفهم لنا؟ فقال: (هم من جلدتنا ويتكلمـون بألسنتنا). قلت فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: (تلازم جماعة المسلمين وإمامهم) قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعـض بأصـل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)"[٤٢٧].

---

(٤٢٤) أبو المظفر الإسفراييني: شاهفور بن طاهر بن محمد، العلامة الأصولي الفقيـه المفسـر، صـاحب مصنفات منها: التفسير الكبير، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهـالكين، تـوفي سـنة ٤٧١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٠١/١٨)، طبقات الشافعية الكبرى (١١/٥).

(٤٢٥) سورة آل عمران الآية: ٣١.

(٤٢٦)التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لطاهر بن محمد الإسفراييني، صـ ١٨٥، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

(٤٢٧) أخرجه البخاري في صحيحه، بابعلاماتالنبوةفيالإسلام، (١٣١٩/٣)حديث رقم ٣٤١١، ومسـلم فـي صـحيحه، بابوجوبملازمةجماعةالمسـلمينعندظهورالفتنوفيكلحالوتحريمالخروجعلىالطاعةومفارقةالجماعة، صحيح مسلم، (١٤٧٥/٣)حديث رقم ١٨٤٧، وأخرجه غيرهم من أئمة الحديث.

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من فارق الجماعة وخالف الطاعة مات ميتة جاهلية ومن اعترض أمتي برها وفاجرها لا يحتشم من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس من أمتي ومن قتل تحت راية عمية يعصب للعصبية ويقاتل للعصبية ويدعو للعصبية - أو قال: لعصبية - مات ميتة جاهلية)(٤٢٨).

ولحديث عمر بن الخطاب(٤٢٩) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد)(٤٣٠).

وورد عن ابن مسعود(٤٣١) **رضي الله عنه موقوفاً قوله: "الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك"(٤٣٢).**

---

(٤٢٨) أخرجه مسلم في صحيحه، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، (١٤٧٤/٣)حديث رقم ١٨٤٨، وأخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس بلفظ (فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية)، صحيح البخاري، بابالسمعوالطاعةللإمامالمتكنمعصية،(٢٦١٢/٦) حديث رقم ٦٧٢٤.

(٤٢٩)عمر بن الخطاب هو: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن رزاح بن قرط بن عدي بن كعب ، أبو حفص ، من أشراف قريش وإليه كانت السفارة فى الجاهلية ، أسلم بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة ، وكان إسلامه عزا ظهر به الإسلام ، وهو من المهاجرين الأولين وشهد بدرا وبيعة الرضوان وكل مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض ، ثاني الخلفاء الراشدين ، فتح الله له الفتوح بالشام والعراق ومصر ، دون الدواوين فى العطاء ورتب الناس فيه على سوابقهم ، كان لا يخاف فى الله لومة لائم ، أرخ التاريخ من الهجرة الذى بأيدى الناس إلى اليوم ، وهو أول من سمى بأمير المؤمنين ، مات سنة ثلاث وعشرين (٢٣هـ) ، التاريخ الكبير (١٣٨/٦) ترجمة رقم ١٩٥٢ ، الاستيعاب(١١٤٤/٣، ١١٤٥) ترجمة رقم١٨٧٨.

(٤٣٠) أخرجه أحمد في مسنده (١٨/١) حديث رقم ١٤، و(٢٦/١) حديث رقم ١٧٧، وقال محقق المسند شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين، ورواه غير أحمد.

(٤٣١) عبد الله بن مسعود هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن من السابقين الأولين ،ومن كبار العلماء من الصحابة ، أمره عمر الكوفة ، ومات بالمدينة سنة ٣٢هـ أو ٣٣هـ ، انظر الاستيعاب (٩٨٧/٣) ترجمة رقم ١٦٥٨، وتحرير تقريب التهذيب (٢٦٩/٢) ترجمة رقم ٣٦١٣.

(٤٣٢) رواه اللالكائي بسنده عن ابن مسعود في كتاب السنة، باب سياق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحث على اتباع الجماعة والسواد الأعظم. انظر: كاشف الغمة في اعتقاد أهل السنة للالكائي صـ٩ مخطوط، نقلاً عن القفاري في رسالته مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة صـ٢٩، ورواه أبو شامة في الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل، تحقيق: عثمان أحمد عنبر صـ٢٢، دار الهدى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

قال أبو شامة[٤٣٣]: "حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحـق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلاً، والمخالف له كثيراً، لأن الحق هو الـذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي صلى ا عليه وسـلم وأصـحابه، ولا نظرة إلى كثرة أهل الباطل بعدهم"[٤٣٤].

وسمو بالفرقة الناجية: لحديث أنسابنمالكقال:قالرسولاللهصلىاللهعليهوسلم: (إنبنيإسرائيلافترقتعلىإحدىوسـ ـبعينفرقة، وإنأمتيستفترقعلىثنتينوسـ ـبعينفرقة، كلهافيالنارإلاواحدة، وهيالجماعة)[٤٣٥].

وفي رواية عند الحاكم: (إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى و سبعين ملـة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة فقيل لـه: مـا الواحدة؟ قال: **ما أنا عليه اليوم و أصحابي**)[٤٣٦].

وهذه الرواية بين فيها الرسول صلى ا عليه وسلم منهج وسبيل هذه الفرقة التي حكم لها بالنجاة وهو لزومها ما كان عليه صلى ا عليه وسلم وما كان عليه أصحابه في عقيدتهم وعبادتهم وسائر أمور دينهم.

وقد وقع الخلاف بين أهل العلم في جملة من هذا الحديث وهي قوله " كلهـا فـي النار إلاّ واحدة "، فقد ذهب الشوكاني إلى ضعفها وابن حزم إلى أنها موضوعة، وناقش الألباني ذلك وأثبت صحة هذه الزيادة من ناحية حديثية.

---

(٤٣٣)أبو شامة هو : الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن عباس ، أبـو محمد وأبو القاسم المقدسي ، الإمام العالم الحافظ المحدث الفقيه ، المؤرخ المعروف بأبي شامة ، شـيخ دار الحـديث الأشرفية ومدرس الركنية ، وصاحب المصنفات العديدة المفيدة منها : اختصار تاريخ دمشق وشرح الشاطبية ، وله غير ذلك من الفوائد الحسان ولد سنة ٥٩٩هـ وتوفي سنة ٦٩٥هـ . انظر البداية والنهاية (٢٥٤/١٣، ٢٥٥).

(٤٣٤)الباعث على إنكار البدع والحوادث، صـ ٢٢.

(٤٣٥) أخرجه ابن ماجه في سننه(١٣٢٢/٢) حديث رقم ٣٩٩٣. وصححه الألباني في صحيح ابـن ماجـة (٣٦٤/٢) حديث رقم ٣٢٢٧، وفي غيره من كتبه. وأحمد في مسنده(١٠٢/٤)حديث رقم ١٦٩٧٩. وقال محقـق المسـند شـعيب الأرنؤوط: إسناده حسن وحديث افتراق الأمة صحيح بشواهده، وأخرجه الحاكم في المسـتدرك مـن طـرق (٢١٨/١) حديث رقم ٤٤٣، قال الذهبي في التلخيص: هذه أسانيد تقوم بها الحجة، وأخرجه غيرهم.

(٤٣٦)المستدرك (٢١٨/١)حديث رقم ٤٤٤.

الفرع الثاني
الفرق المندرجة تحت أهل السنة والجماعة

تحرير مذاهب المنتسبين إلى السنة والجماعة من الأمور المهمة في هذا الباب، لطول وشدة النزاع فيه، وسأعتمد في بحثي هذا على أن أهل السنة والجماعة بالمفهوم العام هم أهل الحديث والأثر، والأشاعرة بالجملة، والماتريدية والكلابية بالجملة أيضاً، والذين يختلفون في أصولهم عن كبريات الفرق الإسلامية الأخرى من معتزلة وشيعة وخوارج.

وذهبت إلى هذا الاختيار بسبب الخلاف في الانتساب والنسبة إلى أهل السنة، إذ يزعم كل لنفسه هذا اللقب ويسلبه عن غيره، والأمر بحاجة إلى تحرير دقيق، وتحقيق علمي عميق، ليس محله هذه الرسالة، وأستأنس في اعتبار هذه الطوائف الأربع هي أهل السنة أو من أهل السنة بالآتي:

١- أني أقصد مواضع الاتفاق في رسالتي، وقد اتفقت هذه الطوائف على نسبة نفسها إلى أهل السنة، ونازعت غيرها ممن انتسب معها إلى هذا اللقب، فأخذت بانتسابها وادعائها، ولم أحقق في صحة التزامها بأصول أهل السنة في العقائد تفصيلاً، واكتفيت باتفاقها المجمل مع أصول أهل السنة في مختلف أبواب العقيدة والإيمان.

٢- أستأنس بجملة من أقوال الأئمة تتضمن القول بما قررته هنا:

فممن حكى مذهب السلف واعتمد ابن تيمية على نقله عبدا بن تيمية:

ففي رسالة عبدا بن تيمية لأخيه زين الدين.

"وسألوه عن الظاهر هل هو موافق أم لا؟ فقال هذا ليس في "العقيدة" وأنا أتبرع بالجواب عن أكثر من حكى مذهب السلف - كالخطابي، وأبي أبكر الخطيب والبغوي، وأبي بكر، وأبي القاسم التيمي، وأبي الحسن الأشعري، وأبي

يعلى والسيف الآمدي، وغيرهم في نفي الكيفية والتشبيه عنها، وأن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات يحتذى فيه حذوه، ويتبع فيه مثاله"[٤٣٧].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: في خطبته يوم المناظرة على العقيدة الواسطية: "إن الله تعالى أمر بالجماعة والائتلاف، ونهى عن الفرقة والاختلاف، وربنا واحد ورسولنا واحد، وكتابنا واحد، وديننا واحد، وأصول الدين ليس بين السلف وأئمة الإسلام فيها خلاف؛ ولا يحل فيها الافتراق لأن الله تعالى يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾[٤٣٨]، ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[٤٣٩]، وهذا الباب قد تنازع الناس فيه؛ ويقول هذا: أنا حنبلي، ويقول هذا: أنا أشعري، وقد أحضرت كتب الأشعري، وكتب أكابر أصحابه مثل كتب: أبي بكر الباقلاني، وأحضرت أيضاً من نقل مذاهب السلف: من المالكية والشافعية والحنبلية، وأهل الحديث، وشيوخ الصوفية، وأنهم كلهم متفقون على اعتقاد واحد"[٤٤٠].

ولم يذكر قول بعضهم لبعض أنا سلفي أو أثري.. لأن كلهم معظم للسلف وللأثر، والخلاف في النقل للأثر أو النقل عن السلف؟!!

وقال في منهاج السنة: "وبالجملة؛ أهل السنة والجماعة أهل الحديث ومن انتسب إلى السنة والجماعة من أهل التفسير والحديث والفقه والتصوف، كالأئمة الأربعة، وأئمة أتباعهم، والطوائف المنتسبين إلى الجماعة؛ كالكلابية والكرامية والأشعرية

---

(٤٣٧) مجموع الفتاوى، (٢٠٧/٣).

(٤٣٨) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

(٤٣٩) سورة الأنعام الآية:١٥٩.

(٤٤٠) المجموع، (٢٠٥/٣).

والسالمية[٤٤١]؛ يقولون: إن كلام ا غير مخلوق والقرآن كلام ا غير مخلوق، وهـذا هو المتواتر المستفيض عن السلف والأئمة من أهل الحديث وغيرهم".اهـ[٤٤٢].

وقال أيضاً: "وكذلك الطوائف المنتسبون إلى السنة من أهل الكلم والرأي مثل الكلابية والأشعرية والكرامية والسالمية، ومثل طوائف الفقه من الحنفية والمالكيـة والسفيانية والأوزاعية من الشافعية والحنبلية والداوودية وغيرهم.

مع تعظيم الأقوال المشهورة عن أهل السنة والجماعة لا يوجد لطائفة مـنهم قول انفردوا به عن سائر الأمة وهو صواب بل ما مع كـل طائفـة مـنهم مـن الصواب يوجب عند غيرهم من الطوائف"[٤٤٣].

وقال في الاستقامة: "فصل فيما ذكره الشيخ أبو القاسم القشيري في رسـالته المشهورة من اعتقاد مشايخ الصوفية:

فإنه ذكر من متفرقات كلامهم ما يستدل به على أنهم كانوا يوافقون اعتقـاد كثير من المتكلمين الأشعرية وذلك اعتقاد أبي القاسم الذي تلقاه عن أبي بكر بـن فورك وأبي إسحاق الإسفراييني، وهذا الاعتقاد غالبه موافق لأصول السلف وأهل السنة والجماعة، لكنه مقصر عن ذلك، ومتضمن ترك بعض ما كانوا عليه وزيادة تخالف ما كانوا عليه..."[٤٤٤].

وقال في العقيدة الأصفهانية: "والمنتسبون إلى السنة والجماعة من الكلابيـة والأشعرية والكرامية، وسائر المنتسبين إلى السنة والجماعة يردون عليهم الأصول

---

(٤٤١) السالمية: هم أتباع الشيخ أبي الحسن بن سالم، قال ابن تيمية: "هم في غالب أصولهم على قول أهـل السنة والجماعة" منهاج السنة النبوية، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، (٤٩٩/٢)، مؤسسة قرطبة، الطبعة: الأولى ١٤٠٦هـ.

(٤٤٢) (٣٦٣/٢).

(٤٤٣) منهاج السنة، (١٧٨/٥).

(٤٤٤) الاستقامة، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم (٨١/١-٨٢)، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ.

التي فارقوا بها أهل السنة والجماعة بالتكذيب من القدر والصفات وتخليد أهل الكبائر كما يردون على المتفلسفة ما فارقوا به المسلمين".ا.هـ(٤٤٥).

وقال في الصفدية: "فكيف بالطوائف المنتسبين إلى مذهب أهل السنة والجماعة كالأشعرية والكرامية والسالمية وغيرهم؛ فإن هؤلاء مع إيجابهم دين الإسلام وتحريمهم ما خالفه يردون على أهل البدع المشهورين بمخالفتهم السنة والجماعة كالخوارج والشيعة والقدرية والجهمية، ولهم في تكفير هؤلاء نزاع وتفصيل"(٤٤٦).

وقد أطلت النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وتتبعته، لكي لا يتقول متقول أو يتأول متأول، ولما للنقل عنه من أهمية بالغة، خاصة وهو اليوم يمثل مدرسة، يرى فيها أتباعه أن من شهد له ابن تيمية بسلامة عقيدته، وصحة مناهجه فهو كما قال، ومن قدح فيه فهو كما قال، ولما لابن تيمية من تحقيقات نافعة وكتابات كثيرة في علم العقيدة، يكون من بعده تبعاً له غالباً، وهذه النقول مع كثرتها فهي متضافرة، متآزرة يشد بعضها بعضاً في الدلالة على ما سيقت لأجله.

قال ابن الوزير:"اتفق أهل السنة من أهل الأثر والنظر والأشعرية على أن الإرادة لا يصح أن تضاد العلم ولا يريد الله تعالى وجود ما قد علم أنه لا يوجد"(٤٤٧).

وعبارة ابن الوزير هذه توضح أن الأشعرية من أهل السنة، وله عبارات أخرى في مواضع عدة تبين أن الأشاعرة كفرقة تقابل أهل السنة، ولا تندرج فيها، كقوله: "فإنه قد تقدم قول الشهرستاني أن الإرادة المحضة التي ليست بمعنى المحبة لا تعلق بأفعال الغير، وإنما تعلق من كل مريد بأفعال نفسه، وأن الإرادة التي تعلق بفعل الغير هي المحبة، لكن أهل الكلام من الأشعرية والمعتزلة لا يجيزونها على الله تعالى، وأهل السنة والمتكلمون منهم كابن تيمية ومن تابعه يجيزونها مجردة

---

(٤٤٥)شرح العقيدة الأصفهانية، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني تحقيق: إبراهيم سعيداي، (١/١٦٠)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٤٤٦)الصفدية لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم (١/٢٠٧)، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

(٤٤٧)إيثار الحق على الخلق، (١/٢٥٠).

من نقائصها المختصة بالمخلوقين، كسائر الصفات -صفات الله تعالى- اتباعا منهم لنصوص الكتاب والسنة والسلف"[٤٤٨].

ولعل ذلك باعتبار موافقتهم ومخالفتهم، إذ يعدون من أهل السنة فيما وافقوا فيه أهل السنة، وخارجين عن أهل السنة فيما خالفوا فيه أهل السنة.

---

(٤٤٨)إيثار الحق على الخلق، (٢٧٧/١). وانظر: أقواله في (٢٨٢/١، ٢٨٥، ٢٨٧).

المطلب الثاني

الإيمان الشرعي عند أهل السنة والجماعة من السلف

اختلاف أهل القبلة في تعريف الإيمان شرعاً، ولبيان الحقيقة الشرعية للإيمان لابد من استعراض الأقوال ومناقشتها واختيار أرجحها بحسب قوة الدليل، وظهور الدلالة ووضوحها، وتتبع أقوال السلف رضي ا تعالى عنهم، ويلزم في بحثنا هذه المسألة تداخل بين فصلي الباب الأول من هذه الرسالة، و الفصل - الذي لابد فيه من تقرير وبيان أصول الاعتقاد وأركان الدين عند أهل القبلـة والتـي لا يسـع أحدالمخالفة فيها - والفصل - الذي لابد فيه من ضبط لمفهوم أهل القبلة - فـلا ينضبط مفهوم أهل القبلة حتى تعرف الأصول، ولا تعرف الأصول حتى تعـرف الفرق التي قالت بتلك الأصول، وبهذا يصعب الفصل بينهما لأن كلاً منهما يترتب على الآخر ترتيباً علمياً منطقياً، وهـذا الترتـب والـتلازم يسـبب دوراً بلغـة المناطقة[٤٤٩]، ولذلك رأيت هنا ذكر أقوال سائر الفرق والطوائـف فـي تعريـف الإيمان شرعاً، على فرض صحة انتسابها جميعاً لأهل القبلة، وبحسب ما تدعيـه تلك الفرق والطوائف.

---

(٤٤٩) والدور: "هوتوقفالشيءعلىمايتوقفعليهويسمىالدورالمصرحكمايتوقف" أ "على" ب" وبالعكس" التعريفات للجرجاني، (١٤٠/١)، على حد قول القائل:

جرتبينيوبينمنٌأُحبْ... لَولاَمشيبِيماجفا... لَولاَجفَاهلَمأَشب.

فالإيمان الشرعي عند أهل السنة والجماعة من السلف:

هو قول باللسان واعتقاد بالجنانوعمل بالأركان يزيد بالطاعـات و يـنقص بالعصيان.

ومن هذا التعريف يتضح أن الإيمانعند أهل السنة والجماعة هو حقيقة مركبة من قول وعمل: القول قول اللسان والعمل عمل القلب والجوارح، فقـول اللسـان المسبوق باعتقـاد وتصـديق القلـب، والمتبـوع بعمـل الجوارحهـو الإيمـان الشرعي الذي جاء به محمد صلى ا عليه وسلم عن ربه جل وعلا.

وثمرة قولهم أنه حقيقة مركبة تقومعلى ثلاثة أركان، إذا سقط أحدها وانهـدم بطل الإيمانمن أساسه وانعدم، وهذه الأركانهي: اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح.

المطلب الثالث

ما روي عن الصحابة دالاً على ما ذهب إليه السلف

(وتحقيق الإسناد إليهم)

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الإسناد وأهميته في هذه الدراسة.

الفرع الثاني: الروايات إلى الصحابة ودراسة أسانيدها.

الفرع الأول

الإسناد وأهميته في هذه الدراسة

أود أن أضع هذه المقدمة بين يدي الموضوع لتكون مبرراً كافياً لما سأقوم به من دراسة لأسانيد الروايات المنقولة في باب العقائد، بما يتيسر لي ويتوفر من مراجع ووفق ما أشترطه على نفسي في هذا البحث، ولا شك أن المروي إما مرفوع إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم، أو موقوف على الصحابة رضي ا عنهم، ومن بعدهم من التابعين، وكل ذلك مأخوذ من كتب السنة المعروفة، ودواوين الحديث وأجزائه المشهورة عند أهل الصنعة ـ علماء الحديث ـ، فما كان من الأخبار المروية مرفوعاً إلى النبي صلى ا عليه وسلم، فقد اجتهد العلماء في دراسة سنده للأخذ والاحتجاج به في باب الفروع الفقهية، وفي باب العقائد والغيبيات؛ لأنه طريق متعين لثبوت الشريعة بأصولها وفروعها، وسألتزم الصحيح من مظانه، وما لم يكن في كتب الصحاح ولا رواه من الأئمة من اشترط الصحة في النقل فسألتزم البحث عنه وأجتهد في معرفة حال سنده، وما كان من الأخبار المروية موقوفاً فقد وقع التسامح من الأئمة في دراسة أسانيد الآثار و الأخبار الموقوفة عن الصحابة والتابعين رضي ا عنهم أجمعين، والحاجة إلى تلك الدراسة الحديثية فيما يتعلق بالموقوف لا تقل أهمية عن المرفوع بل قد تكون في بعض المواضع المجملة والمبهمة والحادثة التي لم تظهر إلاّ في زمن الصحابة ومن بعدهم فتكون الحاجة إلى معرفة مذهب السلف فيها أشد وأكثر إلحاحاً؛ لأن مادة الخلاف في هذه المجملات والمبهمات والمحدثات ـ خصوصاً في باب العقيدة ـ لن تحسمها استنباطات العقول المتفاوتة المختلفة المجردة عن هدي النبي صلى ا عليه وسلم، الذي التزمه أصحابه رضي ا عنهم، وبه تعاملوا مع محدثات الفرق والطوائف التي ظهرت في زمانهم، إنما يحسم مادة الخلاف في هذه المواضع عند الاختصام الاحتكام للمرجعية المقدسة المعصومة عن الزلل قال تعالى: وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

أُنِيبُ (٤٥٠). يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٤٥١).

فهذا إرشاد إلهي للمتنازعين في أي أمر من أمور الدين، يتعلق بعبادة أو معاملة أو عقيدة أو شريعة، فمرده إلى ا أي: إلى كتابه، وإلى رسول ا صلى ا عليه وسلم مدة حياته، وبعد موته يكون المرد والمرجع إلى سنته، وجعل ا ذلك الرد والرسول دليلاً على الإيمان الحق با واليوم الآخر، بل هو من لوازم وضرورات الإيمان الصحيح، فإذا استجبنا كانت استجابتنا واستسلامنا لهذه المرجعية خير لنا من التنازع المفضي لفساد ذات البين، وكان ذلك الرجوع وتلك المرجعية المعصومة خير لنا من القول بالرأي المجرد عن هدي الوحي، والمنبت عن نور ا سبحانه وتعالى، وبهذا يكون مآل أمورنا كلها ومرجعها هو ا عز وجل الهادي إلى سبيل الرشاد والموفق عباده المخلصين إلى السداد.

وهذا نهر ا إذا ورد بطل نهر معقل، وإذا الحق لاح واتضح زهق الباطل و انفضح، ولعل الخلاف لن يكون حول النصوص إنما يكون حول فهمها وتنزيلها بعد ثبوتها، لذلك وجب التقيد بما كان عليه سلف الأمة، وقد يقع الخلاف في تحديد من هم سلف الأمة بعد الصحابة رضي ا تعالى عنهم، فأكتفي بالمتفق عليه في هذه المسألة وهم الصحابة رضي ا عنهم، فدينهم هو الدين الحق المرضي من قبل الحق ـ سبحانه وتعالى ـ، وبذلك الدين الذي ارتضاه لهم مكنهم في الأرض، وكان بذلك التمكين حفظ للدين وتزكية لناقليه الحفظة الأمناء عليه، قال ا تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٥٢).

---

(٤٥٠) سورة الشورى الآية: ١٠.

(٤٥١) سورة النساء الآية: ٥٩.

(٤٥٢) سورة النور الآية: ٥٥.

وسنتهم وطريقتهم في الدين من سنة رسول ا صلى ا عليه وسلم وطريقته، وهديهم من هديه لقوله عليه الصلاة والسلام:

كما في حديث عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قـالا: أتينـا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ (٤٥٣).

فسلمنا وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال العربـاض صـلى بنـا رسول ا صلى ا عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يارسول ا كأن هذه موعظة مـودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال:(أوصيكم بتقوى ا والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً فإنـه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفـاء المهـديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فـإن كـل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)(٤٥٤).

ولقد وجدتني في بحثي هذا المتعلق بأصول اعتقاد أهل القبلة أمام نقول منسوبة إلى الصحابة رضي ا عنهم، وإلى من بعدهم من الأئمة، والغرض من نسبتها إليهم بيان أن ما حواه مضمون هذه النصوص ملزم للمسلمين ولا يسعهم الخروج عنه، وكان من اللازم علي أن أقوم بدراسة هذه الأخبار دراسة حديثية مستفيضة حتى أبين ما الذي يعتمد عليه من هذه النصوص وما الذي لا يعتمد عليه لضعف سنده وعدم التوثق من نسبته إلى قائليه، وبنفس المنهج العلمي لا بد أن أسير حتى في المنقول عن أئمة البدع والضلال، أو أرباب الكفر والإلحاد، وهذا سيعطي الرسالة قوةً ولكنه قد يقطعني عن مرادي ومقصودي لطوله ومشقة مسالكه أحياناً، ولتعذره أحياناً أخرى، ومع هذا فلم أر لنفسي بداً من دراسة الآثار المنقولة عن الصحابة رضي ا عنهم، والاقتصار عليه وهو قدر لازم لهذه الدراسة؛ لأن ما كان عليه الصحابة في أمور العقيدة لا شك هو الذي يلزم من

(٤٥٣) سورة التوبة الآية: ٩٢.

(٤٥٤)سنن أبي داود (٢/ ٦١٠) حديث رقم (٤٦٠٧)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

بعدهم، لصفاء معتقدهم وسلامة منهجهم، ولتزكية ا ورسوله لهم فيما سبق إيراده من النصوص الشرعية الدالة على ذلك.

ولسائل أن يسأل عن أهمية دراسة أسانيد الأخبار والآثار المرفوعة أو الموقوفة أو غيرها مما ينسب إلى قائليه، وللجواب على ذلك لابد من بيان موجز تتضح به ضرورة الإسناد وأهميته ومكانته في الدين:

فقد كان الصحابة رضي ا عنهم يروي بعضهم عن بعض ما سمعوه من النبي عليه الصلاة والسلام، وكذلك من جاء بعدهم من التابعين كانوا يروون عن الصحابة، ولم يتوقفوا في قبول الحديث المروي عن صحابي عن رسول ا - صلى ا عليه وسلم -، وظل الأمر بعدوفاة رسول ا - صلى ا عليه وسلم - على هذه الحال حتى وقعت فتنةمقتل عثمان بن عفان رضي ا عنه، وتبع ذلك من الانقسامات والاختلافات، وظهور الفرق الضالة والمذاهب المبتدعة، ما كان سبباً رئيساً للدس في السنة والكذب على رسول ا صلى ا عليه وسلم، وأخذت هذه الظاهرة تكثر شيئاً فشيئاً، وبدأ كل فريق ينسب إلى النبي - صلى ا عليه وسلم – من الأخبار المختلقة المكذوبة ما يسوغ به بدعته، فأخذ العلماء من الصحابة والتابعين يتحرون في نقل الأحاديث، ويشددون في السماع والتلقي، ولا يقبلون منها إلا ما عرفوا طريقها واطمأنوا إلى ثقة رواتها وعدالتهم، وذلك عن طريق الإسناد للمتون وعدم قبولها ما لم تكن مسندة، وعظم السلف من شأن الإسناد وجعلوه من الدين، لأن ا حفظ السنة به، روى الإمام مسلم في مقدمة صحيحه:"**بابىيانأنالإسنادمنالدينوأنالروايةلاتكونإلاعنالثقاتوأنجرحالرواةبماهوفيهمجائزبلواجبوأنهليسمنالغيبةالمحرمةبلمنالذبعنالشريعةالمكرمة**" ثم ساق في ذلك جملة من الآثار عن الأئمة والمحدثين مفادها التشديد على التوثق في نقل الأخبار المروية عن رسول ا صلى ا عليه وسلم منها:

عن ابن سيرين(455) رحمه الله قوله: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينْظَر إلى أهل السنة فيؤْخذ حديثُهم، وينْظَر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم(456)".

وعن مجاهد**(457)** قال جاء بشير العدوي**(458)** إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه - أي لا يستمع - ولا ينظر إليه، فقال: " يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي، أُحدثك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا تسمع، فقال ابن عباس: "إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم

(٤٥٥) محمد بن سيرين هو: أبو بكر بن أبي عمرة البصري الأنصاري، مولى أنس بن مالك رضي الله عنه، إمام عالم ثقة ثبت، عابد، كبير القدر، توفي سنة ١١٠هـ، أخرج له الجماعة. انظر: الجرح والتعديل (٢٨٠/٧-٢٨١)، تهذيب الكمال (٣٤٤/٢٥-٣٥٥)، سير أعلام النبلاء (٦٠٦/٤-٦٢٢).

(٤٥٦) الصواب في هذه المسألة أن المحققين من علماء المصطلح يفرقون بين رواية المبتدع بدعة مكفرة والمبتدع بدعة غير مكفرة، ويفرقون بين الداعي لبدعته وغير الداعي، وبين المبتدع الذي يروي ما يخالف بدعته أو يروي ما لا يقوي بدعته، وبين من يروي ما يقوي بدعته، وهذا إذا كان لا يستحل الكذب والمسألة مبسوطة في كتب مصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل، انظر: التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، (١٤٨/١ـ ١٥٠) تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م. وانظر: الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، لإبراهيم بن موسى بن أيوب البرهان الأبناسي، صـ ٢٥٣، تحقيق: صلاح فتحي هلل، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. وانظر: رسالة في الجرح والتعديل، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبي محمد، صـ ٣٥ تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة دار الأقصى، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٤٥٧) مجاهد هو: مجاهد بن جبر الإمام أبو الحجاج مولى السائب بن أبي السائب المخزومي المكي كنيته أبو محمد، المقرئ الثقة المفسر أحد الأعلام قرأ على ابن عباس وروى عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كعائشة وأبي هريرة وسعد وعبد الله بن عمرو قرأ عليه ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن وغيرهم وحدث عنه قتادة والحكم وعمرو بن دينار وأيوب ومنصور والأعمش وابن عون وغيرهم، وجاء عنه أنه قرأ القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة والذي صح عنه أنه قال عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أوقفه عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت.وكان فقيها عابدا ورعا متقنا، مات بمكة وهو ساجد سنة ثنتين أو ثلاث ومائة وكان مولده سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يقص.انظر: تقريب التهذيب (٥٢٠/١) ترجمة رقم٦٤٨١، التاريخ الكبير (٤١١/٧) ترجمة رقم ١٨٠٥، معرفة القراء الكبار(٦٦/١) ترجمة رقم ٢٣، الثقات (٤١٩/٥) ترجمة رقم ٥٤٩٣، تذكرة الحفاظ (٩٢/١) ترجمة رقم ٨٣، لسان الميزان (٣٤٩/٧) ترجمة رقم٤٥٢١، طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي، (١١/١) ترجمة رقم١٦.

(٤٥٨) بشير العدوي: هو بشير – مصغر- بن كعب بن أبي الحميري العدوي أبو أيوب البصري، ثقة، مخضرم. انظر: تقريب التهذيب، (١٢٦/١)، ترجمة رقم ٧٢٩. والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري(٢٢٣/٧) دار صادر، بيروت.

- ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلوللم نأخذ من الناس إلا ما نعرف"[459].

وحين فشا الكذب على رسول ا - صلى ا عليه وسلم أخذ التابعون أيضاً في المطالبة بالإسناد كما فعل الصحابة رضي ا عنهم بل وأكثر لأن البعد عن رسول ا صلى ا عليه وسلم مظنة كثرة الرواة ومظنة الكذب أو الوهم والغلط وهذا يستوجب على العلماء زيادة في الفحص والنقد، عن أبي العالية قال: "كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلم فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم"[460].

قال عبد ا بن المبارك**[461]**: "الإسناد عندي من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، فإذا قيل له من حدثك؟ بقي" أي: بقي متحيراً لا يدري ما يقول، لأنه لا إسناد معه يعرف به صحة الحديث أو ضعفه، وقال أيضاً: "بيننا وبين القوم القوائم " يعني الإسناد[462].

وقال الثوري[463]: "الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن سلاح فبم يقاتل"[464].

---

(٤٥٩)صحيح مسلم، (١٢/١).

(٤٦٠)قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح.سنن الدارمي، لأبي محمد عبدا بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، (١٤٩/١) دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

(٤٦١) عبدا بن المبارك هو: عبد ا بن المبارك بن واضح شيخ الإسلام عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته. أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم، التركي ثم المروزي، الحافظ الغازي، تفقه على أبي حنيفة، مولده سنة ١١٨هـ. المتوفى سنة ١٨١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٧٨/٨-٤٢١)، الكاشف (٥٩١/١) ترجمة رقم ٢٩٤١، الثقات (٧/٧) ترجمة رقم ٨٧٦٧، طبقات ابن سعد (٣٧٢/٧)، تذكرة الحفاظ (٢٧٤/١) ترجمة رقم ٢٦٠، تاريخ بغداد (١٥٢/١٠) ترجمة رقم ٥٣٠٦.

(٤٦٢) مقدمة صحيح مسلم، (١٢/١).

(٤٦٣) سفيان الثوري هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدا أمير المؤمنين في الحديث، ولد سنة ٩٧هـ. وكان سيد أهل زمانه في العلم والتقوى وكان آية في الحفظ، توفي سنة ١٦١هـ، انظر: الأعلام (١٠٤/٣)، طبقات ابن سعد: ٢٥٧/٦، تاريخ بغداد (١٥١/٩) ترجمة رقم ٤٧٦٣،الكاشف (٤٤٩/١) ترجمة رقم ١٩٩٦، التاريخ الكبير(٩٢/٤) ترجمة رقم ٢٠٧٧، تهذيب التهذيب (٩٩/٤) ترجمة رقم ١٩٩، مشاهير الأمصار(١٦٩/١) ترجمة رقم ١٣٤٩.

(٤٦٤)جامع التحصيل في أحكام المراسيل لأبي سعيد بن خليل بن كيكلدي العلائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي،(٥٩/١)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

وكل حديث ليس فيه (حدثنا، وأخبرنا) فهو مثل الرجل بالفلاة معه البعير ليس له خطام ولا زمام.

وشبه بعضهم الحديث من غير إسناد بالبيت بلا سقفولا دعائم ونظموه بقولهم:

والعلم إن فاته إسناد مسنده كالبيت ليس له سقف لا طنب

ونتيجة لهذا التأكيد على المطالبة بالإسناد، وما حظي به من اهتمام بالغ وعناية فائقة، نجد أن كتب الحديث التي دونت منذ النصف الأول من القرن الثاني الهجري قد التزمت به، وأطلق عليها اسم المسانيد " جمع مسند "، وهو اسم ذو علاقة واضحة بقضية الإسناد، ومن أشهر هذه المسانيد، مسند معمر بن راشد(١٥٢هـ)، ومسند الطيالسي(٢٠٤هـ)، ومسند الحميدي(٢١٩هـ)،ومسند الشافعي(٢٠٤هـ)، ومسند أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، وغيرها من كتب المسانيد، وكانت هذه المسانيد هي العمدة للمؤلفين الذي جاؤوا من بعد، فعولوا عليها واعتمدوها مصادر لهم، واستمرنهج العلماء الذين كتبوا الصحاح والمسانيد والسنن والمصنفات والموطآت على هذا النهج في التزام الإسناد التزاما دقيقاً.

وهذا الاهتمام البالغ بالإسناد، يبين لنا ضرورته وأثره في علم الحديث خصوصاً، وفي علوم الشريعة على وجه العموم فالإسناد من خصائص هذه الأمة التي انفردت بها ولم تشاركها فيه أمة من أمم الأرض قال أبو على الجياني[(٤٦٥)]:"خص ا تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها، الإسناد، والأنساب، والإعراب"[(٤٦٦)].

---

(٤٦٥) أبو علي الجياني هو: الحسن بن محمد بن عبد ا بن طوق أبو علي التغلبي الجياني، روى عن وهب بن مسرة وأحمد بن زكريا بن الشامة، وقدم طليطلة مرابطاً فروى عنه الصاحبان، وكان رجلاً صالحاً تـوفي في عشر ذي الحجة وله سبع وسبعون سنة رحمه ا .انظر: تاريخ الإسلام ووفيـات المشـاهير والأعـلام، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (١٩٧/٢٧) ترجمة رقم ٤، تحقيق: د. عمـر عبـد السـلام تدمرى، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٤٦٦) الخصائص الكبرى لأبي الفضل جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السـيوطي، (٣٧٥/٢)، دار الكتـب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م. وشرف أصحاب الحديث (٤٠/١).

وقال أبو حاتم الرازي[٤٦٧]:"لم يكن في أمة من الأمم منذ خَلْق ا _ آدم، أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة"[٤٦٨]، وعن طريق الإسناد يمكن تحقيق الأحاديث والأخبار، ومعرفة الرواة، والوقوف على درجة الحديث أو الأثر ومعرفة صحته من ضعفه، وبالإسناد يحفظ الدين من الزيادة والنقصان، وتصان السنة النبوية من التحريف والوضع، وبالإسناد تُدرك الأمة كيف حفظ ا هذا الدين بما سخر له من أئمة أعلام وجهابذة أفذاذ، وثقوا النصوص المروية وغربلوها ونقحوها بأدق طرق النقد والتحقيق التي لم تعرف البشرية لها مثيلاً في تاريخها كله قال ا تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [٤٦٩].

---

(٤٦٧)أبو حاتم الرازي هو: محمد بن إدريس بن المنذر بن داود التيمي الحنظلي أبو حاتم الرازي، أحد الأئمة الحفاظ، ولد بالري سنة ١٩٥هـ، ورحل في طلب الحديث إلى العراق والشام ومصر، كان إماماً عالماً بالحديث حافظاً له متقناً ثبتاً يقول أبو حاتم (أكتب أحسن ما تسمع، واحفظ أحسن ما تكتب، وذاكر بأحسن ما تحفظ) توفي سنة ٢٧٧هـ، ببغداد، انظر: تذكرة الحفاظ (٥٦٧/٢). تاريخ بغداد،، (٧٣/٢) ترجمة رقم ٤٥٥. طبقات الحنابلة (٢٨٤/١)، سير أعلام النبلاء (٢٤٧/١٣)، طبقات الشافعية الكبرى، (٢٠٧/٢) ترجمة رقم٤٩

(٤٦٨) تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة ا بن عبد ا الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، (٣٠/٣٨)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م. شرف أصحاب الحديث لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، تحقيق: د: محمد سعيد خطي أوغلي، (٤٣/١)، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة.

(٤٦٩) سورة الحجر الآية: ٩.

الفرع الثاني

الروايات إلى الصحابة ودراسة أسانيدها.

الخبر الأول:

قال الإمام الحافظ أبي أحمدمحمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحاكم(٤٧٠):

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن زهير القيسي بطوس أخبرنا عمرو بن شبل المروزيأخبرنا بقية يعني ابن الوليد عن معاوية بن يحيىعن أبي مجاهد يعني عبدالوهاب عن أبيهعن ابن عباس قال: "الإيمان يزداد وينقص"(٤٧١).

تراجم السند ودراسته:

١) أبو الحسن: هو محمد بن أحمد بن زهير القيسي الطوسي، إمـام حـافظ محدث مصنف(٤٧٢).

٢) عمرو بن شبل المروزي: لم أجد له ترجمة بحسب بحثي عنه في كتـب التراجم، ولعله مصحف.

---

(٤٧٠) الحاكم الكبير المحدث محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق: الحافظ الحاكم الكبير النيسابوري الكرابيسي أبو أحمد صاحب التصانيف سمع بنيسابور وبغداد والكوفة وطبرية ودمشق ومكة والبصرة وحلب والثغور وروى عنه الجماعة قال أبو عبد ا : الحاكم أبو أحمد الحافظ أمام عصره في الصنعة وكان من الصـالحين الثـابتين علـى الطريق السلفية ومن المنصفين فيما يعتقده في أهل البيت والصحابة تقلد القضاء في مدن كثيرة وصنف على كتابي " البخاري ومسلم "، وعلى " جامع الترمذي "، وله كتاب الأسماء والكنى وكتاب العلل والمخرج على كتابي المزني وكتاب الشروط وكان بها عارفاً وصنف الشيوخ والأبواب وقلد قضاء الشاش وحكمبها أربع سنين ثم قضاء طوس وكان يحكم بين الخصوم وإذا فرغ أقبل على التصنيف بين يديه ثم قدم نيسابور سنة خمس وأربعين وأقبل علـى العبادة والتأليف وكف بصره سنة سبعين وكان حافظ عصره وتغير حفظه لما كف ولم يختلط قط وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وثلاث مائة وله ثلاث وتسعون سنة.انظر: الوافي في الوفيات لصلاح الدين خليـل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (١٠٧/١)،دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ -- ٢٠٠٠م. ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ، عني بتحقيقه إبراهيم صالح، (١٨٥/٢٣) ترجمة رقم ٢١٩، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

(٤٧١)شعار أصحاب الحديث لمحمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحـاكم أبـي أحمـد تحقيـق: صـبحي السامرائي، (٢٧/١) حديث رقم ٩، دار الخلفاء، الكويت.

(٤٧٢)سير أعلام النبلاء، (٤٩٣/١٤).

٣) بقية بن الوليد بن صائد بن كعب قال عنه في التقريب: صدوق كثير التدليس عن الضعفاء[٤٧٣].

قلت: ونقل العراقي في ختم المغيث عن ابن أبي حاتم عن أبيه أنه يدلس تدليس التسوية.

ولد سنة عشر ومائة وسمع من خلق كثير وروى عنه شعبة وحماد بن زيد وابن المبارك ويزيد بن هارون وفي أحاديثه مناكير إلا أن أكثرها عن المجاهيل.

قال ابن المبارك: كان ثقة صدوقاً لكنه كان يكتب عن من أقبل وأدبر.

وقال يعقوب بن شيبة: ثقة صدوق ويتقى حديثه عن مشيخته الذين لا يعرفون وله أحاديث مناكير جدا توفي بقية في هذه السنة وقيل في سنة سبع وتسعين ومائة[٤٧٤].

روى عنه الأوزاعي وسفيان بن عيينة وحماد بن زيد وشعبة ووكيع وعبد ا بن المبارك وإسماعيل بن عياش وزيد بن هارون والوليد بن عتبة وإبراهيم بن موسى الفراء... ونعيم بن حماد ومحمد بن المبارك الصوري وخلق كثير[٤٧٥].

٤) معاوية بن يحيى: هو الطرابلسي أبو مطيع، من السابعة، أصله من دمشق أو حمص صدوق له أوهام، وغلط من خلطه بالذي قبله، فقد قال بن معين وأبو حاتم وغيرهما الطرابلسي أقوى من الصدفي وعكس الدارقطني[٤٧٦].

٥) أبو مجاهد: عبد الوهاب هو ابن مجاهد بن جبر المكي روى عن أبيه وعطاء، متروك[٤٧٧].

([٤٧٣]) تقريب التهذيبلأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٤٧٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبي الفرج، (٢٩/١٠)، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ.

([٤٧٥]) انظر: تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، (٣٢٩/١٠-٣٢٨).

([٤٧٦])تقريب التهذيب، (٥٣٩/١)، ترجمة رقم ٦٧٧٣.

([٤٧٧]) تقريب التهذيب، برقم ٤٢٦٣.

قال إبراهيم بن موسى الرازي عن مهران بن أبي عمر كنـت مـع سـفيان الثوري في المسجد الحرام فمر عبد الوهاب بن مجاهد فقال سفيان هذا كذاب وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه قال وكيع كانوا يقولون إن عبد الوهـاب بـن مجاهد لم يسمع من أبيه[٤٧٨].

٦) أبوه: هو مجاهد بن جبر المكي، ثقة، إمام في التفسير والعمل[٤٧٩].

قال قتادة: أعلم من بقي في التفسير مجاهد[٤٨٠].

الحكم على الأثر:

قلت: وهذا سند ضعيف لضعف: عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر: وجهالـة عمرو بن شبل.. والله أعلم.

الخبر الثاني:

قال الإمام الحافظ أبو أحمدالحاكم أخبرنا أبو العباس محمد بن إسـحاق بـن إبراهيم الثقفي حدثنا هارون بن عبدالله حدثنا حجاج بن محمد حدثنا إسماعيل بـن عياشعن صفوان بن عمرو السكسكي عن عبدالله بن ربيعه الحضرمي عـن أبـي هريرة قال: "الإيمان يزيد وينقص"[٤٨١].

([٤٧٨]) تهذيب الكمال ليوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المـزي، (٥١٧/١٨) ترجمـة رقـم ٣٦٠٦، تحقيق: د. بشار عواد معروفمؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م، الطبعةالأولى.

([٤٧٩]) التقريب، (٥٢٠/١) ترجمة رقم٦٤٨١.

([٤٨٠]) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبي عبد الله، (٦٧/١) ترجمة رقم٢٣، تحقيق: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عبـاس، مؤسسـة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ. طبقات المفسرين للداودي لأحمد بن محمد الأدنه وي، (١١/١) ترجمة رقم ١٦، تحقيق: سليمان بن صالح الخـزي، مكتبـة العلـوم والحكـم، السـعودية، الطبعـةالأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. لسان الميزان لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضـل العسـقلاني الشـافعي، (٣٤٩/٧) ترجمة رقم٤٥٢١، تحقيق: دائرة المعرف النظامية، الهند مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعةالثالثة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

([٤٨١]) شعار أصحاب الحديث (٢٨/١)، حديث رقم ١٠.

تراجم السند ودراسته:

١) أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم الثقفي السراج، الإمام الحافظ الثقة، محدث خراسان[٤٨٢].

٢) هارون بن عبدا : وهو ابن عبد ا بن مروان البغدادي أبو موسى البزاز الحافظ المعروف بالحمال: ثقة[٤٨٣].

٣) حجاج بن محمد: هو الخولاني الحمصي أبو مسلم، لا بأس به[٤٨٤].

٤) إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي الحمصي، صدوق في روايته عن الشاميين، مخلط في غيرهم، وروايته هنا عن أهل بلده[٤٨٥].

٥) صفوان بن عمرو السكسكي الحمصي، ثقة، روى عن عبدا بن ربيعة، وعنه إسماعيل بن عياش[٤٨٦].

وهو من صالحي أهل الشام وخيارهم ومتقني أتباع التابعين وأبرارهم[٤٨٧].

---

(٤٨٢) سير أعلام النبلاء، (٣٨٨/١٤) ترجمة رقم ١٦، وتذكرة الحفاظ لأبي عبد ا شمس الدين محمد الذهبي، (٧٣١/٢) ترجمة رقم ٧٣٥. طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، (١٠٨/٣) ترجمة رقم ١١٩، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

(٤٨٣) تهذيب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، (٩/١١) ترجمة رقم ١٨، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

المعين في طبقات المحدثين لأبي عبد ا محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد،(٩١/١)، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٤٨٤)تقريب التهذيب(١٥٣/١) ترجمة رقم ١١٣٦.والجرح والتعديل لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريسالرازي التميمي، (١٦٦/٣) ترجمة رقم ٧٠٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعةالأولى، ١٢٧١ هـ - ١٩٥٢م.

(٤٨٥) تقريب التهذيب (١٠٩/١) ترجمة رقم ٤٧٣، الجرح والتعديل(١٩١/٢) ترجمة رقم٦٥٠.

(٤٨٦) تقريب التهذيب(٢٧٧/١) ترجمة رقم ٢٩٣٨. معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، لأبي الحسن أحمد بن عبد ا بن صالح العجلي الكوفي نزيل طرابلس الغرب، (٤٦٧/١) ترجمة رقم ٧٦٤، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

(٤٨٧)مشاهير علماء الأمصار، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق: م. فلايشهمر، (١٧٨/١) ترجمة رقم ١٤١٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩ م.

٦) عبد ا بن ربيعة الحضرمي: روى عنه صفوان بن عمرو السكسـكي، ذكر البخاري في التاريخ الكبير ج5 صـ٢١٣، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعـديلاً. فهو على هذا مجهول عين، يث لم يروى عنه إلا واحد، وهو صفوان بن عمـرو، ولم يوثقه معتبر.

وقد روى عبد ا بن أحمد بن حنبل هذا الأثر عن أبي هريـرة رضـي ا عنه بسنده وفيه عبدا بن ربيعة الحضرمي وهو مجهول كما بينت[٤٨٨].

الحكم على الأثر:

الأثر بهذا السند ضعيف، وهو كذلك ضعيف بالسند الثاني عند عبد ا بـن أحمد بن حنبل لجهالة عبد ا بن ربيعة الحضرمي.

الخبر الثالث:

قال الإمام الحافظ أبو أحمدالحاكم أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو مسهر حدثنا إسماعيل بن عياش عن حريـز بـن عثمان عن الحارث بن محمد عن أبـي الـدرداء[٤٨٩] قـال: " الإيمـان يـزداد وينقص"[٤٩٠].

تراجم السند ودراسته:

١) أبو العباس: محمد بن إسحاق الثقفي (تقدم).

---

(٤٨٨)السنة لعبد ا بن أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. محمد سعيد سـالم القحطـاني،(٣١٤/١)حـديث رقم٦٢٢-٦٢٣، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

(٤٨٩) أبو الدرداء:هو الإمام القدوة قاضي دمشق وصاحب رسول ا صلى ا عليه وسلم أبو الدرداء عويمر بن زيـد بن قيس ويقال عويمر بن عامر ويقال ابن عبد ا وقيل ابن ثعلبة بن عبد ا الأنصاري الخزرجي، حكيم هـذه الأمـة وسيد القراء بدمشق، وولي القضاء بها في دولة عثمان، مات في أواخر خلافة عثمان وقيل عاش بعـد ذلـك، انظـر: سيرأعلام النبلاء،(٣٣٥/٢)، ترجمة رقم ٦٨، تحرير تقريب التهذيب لابن حجر ، تأليف : د. بشار عواد معـروف ، شـعيب الأرنؤوط، (١٢٧/٣) ترجمة رقم ٥٢٢٨، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ _١٩٩٧م .

(٤٩٠) شعار أصحاب الحديث(٢٨/١) حديث رقم١١.

٢) محمد بن يحيى بن عبدا بن خالد الذهلي، ثقة، إمام، روى عنـه أبـو العباس السداج[٤٩١].

٣) أبو مسهر: هو عبدالأعلى بن مسهر الدمشقي، روى عن إسـماعيل بـن عياش وعنه عياش وعنه الذهلي ثقة[٤٩٢].

٤) إسماعيل بن عياش: تقدم وروايته هنا عن الشاميين.

٥) حريز بن عثمان بن جبر: روى عنه إسماعيل بن عياش، ثقة[٤٩٣].

٦) الحارث بن محمد: لم أجد ترجمة بهذا الاسم وغالب ظني أنها مصـحفة عن الحارث بن عبيد ا الشامي جاء في ترجمة أنـه روى عـن مجاهـد ورأى وائله، ج١ صـ٣٣٣: تهذيب التهذيب.

الحكم على الأثر:

رجال الإسناد كلهم ثقات إلا أن الحارث بن عبيد ا لم يذكروا أنه سمع من أبي الدرداء فيكون منقطعاً. وا أعلم.

الخبر الرابع:

قال الإمام الحافظ أبو أحمدالحاكم:"أخبرنا أبو العباس محمد بن إسـحاق الثقفـي حدثنا هارون بن عبد ا حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمه عـن أبـي جعفـر الخطمي أن جده عمير بن حبيب ـ وكانت له صحبه ـ قالالإيمانيزيدوينقص"[٤٩٤].

تراجم السند ودراسته:

١) أبو العباس محمد بن إسماعيل الثقفي (تقدم).

٢) هارون بن عبد ا الحمال (تقدم).

---

(٤٩١) التهذيب، صـ٧٢٨.

(٤٩٢) الديباج المذهبفي معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، (١٧٢/١) دار الكتب العلمية، بيروت، تهذيب التهذيب (٩٠/٦)ترجمة رقم ٢٠٥.

(٤٩٣) تهذيب التهذيب(٢٠٧/٢) ترجمة رقم ٤٣٦. تاريخ بغداد، (٢٦٥/٨) ترجمة رقم ٤٣٦٥.

(٤٩٤) شعار أصحاب الحديث، صـ٢٧.

٣) يزيد بن هارون: وهو:بن زادي السلمي أبو خالد الواسـطي روى عـن حماد بن سلمة وعنه هارون بن عبدا الحمال، ثقة[٤٩٥]، قال على بن المديني: ما رأيت رجلا قط أحفظ من يزيد بن هارون[٤٩٦].

٤) حماد بن سلمة: هو بن دينار البصري أبو سلمة، سني، صلب في السنة، من أوثق الناس في ثابت البناني[٤٩٧].

٥) أبو جعفر الخطمي: هو عمير بن يزيد بن عمير بن حبيب بـن خماشـة الأنصاري، روى عن أبيه وعنه حماد بن سلمة، ثقة[٤٩٨]صدوق[٤٩٩].

٦) جده: هو عمير بن حبيب بن خماشة الأنصاري الخطمي، قال البخـاري: بايع تحت الشجرة، وقال ابن السكن: مدني له صحبة[٥٠٠].

الحكم على الأثر:

السند رجاله كلهم ثقات إلا أني لم أجد من صرح بسماع عمير بن يزيد مـن جده فيكون مرسلاً، ووقع في سنده اختلاف: على حماد بن سلمة.

---

(٤٩٥) انظرالتاريخ الكبير،(٣٦٨/٨) ترجمة رقم ٣٣٥٤. تهذيب الكمال، (٢٦/٣٢)، ترجمة رقم٧٠٦١.
التعديل والتجريح التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تأليف: سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي، تحقيق: د. أبو لبابة حسين، (١٢٣٤/٣)،ترجمة رقم١٥٠٤، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. الثقات لأبي حاتم محمد بـن حبـان بـن أحمـد التميمـي البستي،تحقيق: السيد شرف الدين أحمد،(٦٣٢/٧) ترجمـة رقـم ١١٨٢٣، دار الفكـر، الطبعـة الأولـى، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

(٤٩٦)صفة الصفوة لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: محمود فاخوري، د.محمد رواس قلعه جي،(١٧/٣)، دار المعرفة، بيروت، الطبعةالثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٤٩٧) تقريب التهذيب(١٧٨/١) ترجمة رقم ١٤٩٩، التـاريخ الكبيـر (٢٢/٣) ترجمـة رقـم ٨٩، لسـان الميزان،(٢٠٣/٧) ترجمة رقم ٢٧٥١.

(٤٩٨) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لحمد بن أحمد أبو عبدا الذهبي الدمشقي، تحقيـق: محمد عوامة، (٩٨/٢) ترجمة رقم ٤٢٩٠، دار القبلة للثقافة الإسـلامية ، مؤسسـة علـو، جـدة، الطبعـة الأولى،١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م. التاريخ الكبير، (٥٤١/٦) ترجمة رقم ٣٢٥٧.

(٤٩٩) تقريب التهذيب(٤٣٢/١) ترجمة رقم ٥١٩٠.

(٥٠٠) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمـد البجاوي، (٧١٤/٤) ترجمة رقم ٦٠٣٣، دار الجيل، بيروت، الطبعةالأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. الثقـات،(٢٩٩/٣) ترجمة رقم ٩٧١. التاريخ الكبير،(٥٣١/٦) ترجمة رقم ٣٢٢٤.

فقد رواه: محمد بن علي بن الحسن بن شقيق عن أحمد بن حنبل عن الحسن بن موسى عن أبيه عن جده: عمير بن حبيب. وتابع الحسن بن موسى في حماد بن سلمة أبو نصر التمار[٥٠١].

ومحمد بن علي بن الحسن بن شقيق بن دينار المروزي، ثقة، صاحب حديث[٥٠٢]، قال الحاكم: كان محدث مرو[٥٠٣].

١) أحمد بن حنبل: هو أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني أبو عبدا المروزي:

الإمام المبجل والهمام المفضل أبو عبدا أحمد بن حنبل لزم الإقتداء وظفر بالاهتداء علم الزهاد وقلم النقاد امتحن فكان في المحنة صبورا واحتبى فكان للنعمة شكورا كان للعلم والحلم واعيا وللهم والفكر راعيا[٥٠٤].

٢) الحسن بن موسى الأشيب أبو علي البغدادي، روى عن حماد بن سلمة. وعنه أحمد بن حنبل، وقال عنه الحافظ في التقريب، ثقة[٥٠٥].

٣) حماد بن سلمة (تقدم).

٤) أبو نصر التمار: هو عبد الملك بن عبد العزيز القشيري النسوي، روى عن حماد بن سلمة، وعنه أبو القاسم البغوي، ثقة، إمام[٥٠٦].

---

(٥٠١) قال ابن حجر: وقال البغوي: حدثنا أبو نصر التمار حدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي عن أبيه عن جده عمير بن حبيب، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، (٧١٤/٤).

(٥٠٢) تقريب التهذيب (٤٩٧/١) ترجمة رقم ٦١٥٠.

(٥٠٣) تهذيب التهذيب(٣١١/٩) ترجمة رقم٥٨١.

(٥٠٤)حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد ا الأصبهاني، (١٦١/٩) ترجمة رقم ٤٥٣، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة١٤٠٥ هـ، البداية والنهاية لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء، مكتبة المعارف، بيروت (٣٢٥/١٠).

(٥٠٥) انظر: الكاشف،(٣٣٠/١) ترجمة رقم ١٠٦٩. تقريب التهذيب، (١٦٤/١) ترجمة رقم ١٢٨٨. الثقات،(١٧٠/٨) ترجمة رقم ١٢٨٠٤. المغني في الضعفاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر،(١٦٨/١) ترجمة رقم ١٤٨٨.

(٥٠٦) انظر: الكاشف (٦٦٦/١) ترجمة رقم ٣٤٦٢، تقريب التهذيب،(٣٦٣/١) ترجمة رقم ٤١٩٤، لسان الميزان (٢٩٢/٧) ترجمة رقم ٣٨٧٥.

٥) عن أبيه: أي يزيد بن عمير بن حبيب أبو أبي جعفر الخطمي: لم أجد له ترجمة بحسب بحثي وما أتيح لي من مراجع.

فيكون الأثر بهذين السندين ضعيف، إما لجهالة يزيد بن عمير والد أبي جعفر الخطمي وإما للانقطاع بين أبي جعفر الخطمي وجده عمير بن حبيب.

وأخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفي قال سمعت محمد بن علي يعني ابن الحسن بن شقيق قال سألت أحمد بن حنبل عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان فقال حدثنا الحسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمه عن أبي جعفر الخطمي عن أبيه عن جده عمير بن حبيب قال:"الإيمان يزيد وينقص فقيل له وما زيادته وما نقصانه قال إذا ذكرنا الله فحمدناه وسبحناه فذاك زيادته وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذاك نقصانه هذا لفظ حديث أحمد بن حنبل عن الحسن بن موسى"[٥٠٧].

(٥٠٧) شعار أصحاب الحديث (٢٧/١) حديث رقم ٨.

المطلب الرابع

ما روي عن أئمة المذاهب المتبوعين دالاً على ذلك

١ - قول الإمام مالك بن أنس[٥٠٨] (ت:١٧٩هـ):

قال الإمام أبو أحمد الحاكم أخبرنا أبو عمران موسى بن العباس الجـ ويني: "حدثنا أبو إسماعيل محمد ابن إسماعيل الترمذي، حدثنا إسحاق يعني الفروي قال: كنت عند مالك فقال:"الإيمان يزيد وينقص"، قال ا عز وجل:

﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾[٥٠٩].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[٥١٠].

قال: فطمأنينة قلبه زيادة في إيمانه"[٥١١].

دراسة الأثر عن مالك رحمه ا :

١) أبو عمران موسى بن العباس الجويني: محدث صاحب مسند، قال الحاكم حسن الحديث[٥١٢].

---

(٥٠٨)مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي أبو عبد ا المدني الفقيه إمـام دار الهجـرة رأس المتقنين وكبير المتثبتين حتى قال البخاري أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن بن عمر من السـابعة مات سنة تسع وسبعين بعد المائة وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وقال الواقدي بلغ تسعين سنة، التاريخ الكبير (٣١٠/٧). (١٣٢٣) ترجمة رقم ٦٤٢٥، تقريب التهذيب،(٥١٦/١) ترجمة رقم ٦٤٢٥.

(٥٠٩) سورة الفتح الآية: ٤.

(٥١٠) سورة البقرة الآية:٢٦٠.

(٥١١)شعار أصحاب الحديث (٢٩/١) برقم ١٣.

(٥١٢) طبقات الحفاظلعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (٣٤٢/١) ترجمـة رقـم ٧٧٤. وتـذكرة الحفـاظ (٨١٨/٣) ترجمة رقم ٨٠٤.

٢) أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل: بن يوسف السلمي الترمذي حافظ إمام، وثقه النسائي[٥١٣].

٣) إسحاق الفروي: هو إسحاق بن محمد بن إسماعيل بن عبدا بـن أبـي فروة الفروي: روى عن مالك وأبو إسماعيل الترمذي: قال الحافظ عنه: صـدوق كف فساء حفظه[٥١٤].

الحكم على الأثر:

السند رجاله ثقات ما عدا إسحاق الفروي فهو صدوق فالأثر حسن، وا أعلم.

٢- قول الإمام الشافعي:

قال رحمه ا في الأم: "وكان الإجماع من الصحابة والتابعين مـن بعـدهم ومن أدركناهم يقولون إن الإيمان قول وعمل ونية لا تجزيء واحدة من الثلاثة إلا بالأخرى"[٥١٥].

وروى البيهقي بسنده إلى الربيع بن سليمان قال:"سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[٥١٦].

([٥١٣])انظر: الكاشف،(١٥٨/٢) ترجمة رقـم ٤٧٢٨. تقريـب التهـذيب، (٤٦٨/١) ترجمـة رقـم ٥٧٣٦. والثقات،(١٥٠/٩) ترجمة رقم ١٥٧١٤.

([٥١٤]) تهذيب التهذيب(١٠٢/١) ترجمة رقم ٣٨١.

(٥١٥)وضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبـراهيم بـن عيسـى، تحقيق: زهير الشاويش(١٣٩/٢)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦هـ.بحثت عن النص في الأم فلم أجده ولم أقف عليه فالعهدة على ناقله، ونقله عن الشافعي بسنده إليه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨٨٦/٥- ٨٨٧).

(٥١٦)الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأحمد بن الحسين البيهقـي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، (١٨١/١)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ.

٣- قول الإمام أحمد ابن حنبل[٥١٧] (ت:٢٤١هـ):

روي عن الإمام أحمد بن حنبل قوله: "والإيمان قول وعمل يزيد وينقص كما جاء في الخبر " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهمخلقاً "[٥١٨]، ومن ترك الصلاة فقد كفر، وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة من تركها فهو كافر وقد أحل الله قتله"[٥١٩].

قال الخلال[٥٢٠]: "وأخبرني يوسف بن موسى[٥٢١] سمع أبا عبد الله يقول: الإيمان لا يكون إلاّ بعمل"[٥٢٢].

---

(٥١٧) أحمد بن حنبل هو: أحمد بن محمد بن هلال بن أسد بن ادريس بن عبد الله الشيباني المروزي، ثم البغدادي صاحب المذهب، الصابر على المحنة، الناصر للسنة، تفقه على الشافعي وقال فيه: خرجت من بغداد، وما خلفت فيها أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أعلم من أحمد. بتصرف من طبقات الشافعية الكبرى،(٢/٢٧-٣٦) ترجمة رقم ٧.وطبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى،تحقيق: محمد حامد الفقي، (٤/١-٢٠) ترجمة رقم١، دار المعرفة، بيروت.

(٥١٨) رواه بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة أبو داود في سننه، بابالدليلعلىزيادةالإيمانونقصانه، (٦٣٢/٢) حديث رقم ٤٦٨٢، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

ورواه الترمذي في سننه، بابماجاءفيحقالمرأةعلىزوجها(٤٦٦/٣) حديث رقم ١١٦٢ ـ وقال هذا حديث حسن صحيح، ووافقه الألباني في حكمه على الحديث.

ورواه أحمد بن حنبل في مسنده(٥٢٧/٢) حديث رقم ١٠٨٢٩ ـ قال شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد قوي.

ورواه الدارمي في سننه، بابفيحسنالخلق(٤١٥/٢) حديث رقم ٢٧٩٢، قال حسين سليم أسد: إسناده حسن من أجل محمد بن عجلان.

ورواه ابن حبان في صحيحه، ذكرالبيانبأنمنأكملالمؤمنينإيمانامنكانأحسنخلقاً، (٢٢٧/٢) رقم ٤٧٩، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن. والحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان(٤٣/١) حديث رقم ١، قال الذهبي في التلخيص: لم يتكلم عليه المؤلف وهو صحيح. ورواه غيرهم من أصحاب المسانيد والمصنفات.

(٥١٩)أصول السنة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (٣٤/١- ٣٥)، دار المنار، الخرج، السعودية، الطبعةالأولى، ١٤١١هـ.

(٥٢٠) الخلال: هو أبو بكر بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال، شيخ الحنابلة وعالمهم لم يسبقه إلى جمع علم الإمام أحمد أحد، من تصانيفه الجامع والعلل والسنة والطبقات، ولد سنة ٢٣٤هـ وتوفي سنة ٣١١هـ. بتصرف من سير أعلام النبلاء، (٢٩٧/١٤-٢٩٨) ترجمة رقم ٩٣. وطبقات الحنابلة، (١٢/٢-١٥)، ترجمة رقم ٥٨٢.

(٥٢١) يوسف بن موسى هو العطار الحدي، روى عن أحمد بن حنبل، وعنه الخلال لزم أحمد كثيراً، تاريخ بغداد، (٣٠٨/١٤).

(٥٢٢)السنة، لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، تحقيق: د.عطية الزهراني، (٥٦٦/٣) حديث رقم ٩٦٢، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.وقال محققه إسناده صحيح

الحكم على الأثر:

الأثر بهذا السند صحيح. والله أعلم.

وما ذهب إليه الإمام أحمد من أن الإيمان قول وعمل واعتقاد هو مذهب الشافعي ومالك قبلهما، وعليه جمهور سلف الأمة وسوادهم الأعظم.

قال ابن أبي العز الحنفي[523](ت: ٧٩٢هـ): " اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً: فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحق بن راهويه، وسائر أهل الحديث، وأهل المدينةرحمهم الله، وأهل الظاهر، وجماعة من المتكلمين: إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان. وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي رحمه الله: أنه الإقرار باللسان والتصديق بالجنان"[524].

وقال: بعد بسطه القول في المسألة وتطرقه للخلاف والمخالفين وأدلتهم:

"وحاصل الكل [يرجع] إلى أن الإيمان: إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم رحمهم الله كما تقدم"[525].

---

(٥٢٣)ابن أبي العز الحنفي هو: القاضي علي بن محمد بن أبي العز الأذرعي الدمشقي، ولد سنة ٧٣١هـ، فقيه كان قاضي القاضي بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق، وتوفي سنة ٧٩٢هـ، انظر: الدرر الكامنة لأبي الفضل الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: مراقبة/ محمد عبد المعيد ضان، (١٠٣/٤) ترجمة رقم ١٨٨، مجلس دائرة المعارف العثمانية،حيدر أباد، الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م. ومقدمة شرح الطحاوية بتحقيق الألباني صـ ١٦، حققها وراجعها: جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.

(٥٢٤)شرح العقيدة الطحاوية (٣٣١/١)، المكتب الإسلامي،بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.

(٥٢٥)شرح العقيدة الطحاوية (٣٣١/١ وما بعدها).

المطلب الخامس

ما روي عن بقية أئمة الدين من سلف هذه الأمة

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: النقل الإجمالي عن السلف بسرد أسمائهم.

الفرع الثاني: النقل التفصيلي لجملة من أقوال السلف.

الفرع الثالث: ما نقل عن أهل السنة من العلماء المعاصرين.

الفرع الأول
النقل الإجمالي عن السلف بسرد أسمائهم.

قال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حـاتم[٥٢٦]: سـألت أبـي وأبـا زرعة[٥٢٧] عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين ومـا أدركـا عليـه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك؟

فقالا: "أدركنا العلماء في جميع الأمصـار - حجازاًوعراقاًوشـاماً ويمناً فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص..."[٥٢٨].

وبعد سرد الكلام السابق وكلام بعده قال أبو محمـد: "وبـه أقـول أنا"[٥٢٩].

وقال أبو علي بن حبيش المقري: "وبه أقول"[٥٣٠].

---

(٥٢٦) بن أبي حاتم التيمي هو: عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم التيمي الحنظلي الرازي أبو محمد الحـافظ الإمام الناقد، قال عنه أبو يعلى الخليلي أخذ علم أبيه وأبي زرعة، وكان بحراً في العلوم ومعرفـة الرجـال، صنف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين، وكان زاهداً يعد من الأبدال. وقال الذهبي: كتابه فـي الجـرح والتعديل يقضي بالمرتبة المنيعة في الحفظ. اهـ. وله مصنف كبير في الرد على الجهمية، ومن كتبه "علـل الحديث" و"الكنى" و"المراسيل" توفي سنة ٣٢٧هـ، انظر: تذكرة الحفاظ، (٨٢٩/٣) ترجمة رقم ٨١٢، طبقات الحنابلة (٥٥/٢) ترجمة رقم ٥٩٦.

(٥٢٧) أبو زرعة الرازي هو: عبيد ا بن عبدالكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بـالولاء، أبـو زرعـة الرازي من أهل الرأي أحد الأئمة الحفاظ: كان من أفراد الدهر حفظاً وذكاء يقول عن نفسه: أحفظ مائة ألـف حديث كما يحفظ الإنسان قل هو ا أحد. زاد بغداد وحدث بها، قال أبو حاتم: حدثني أبو زرعة ومـا خلـف بعده مثله علماً وفقهاً وفهماً وصيانة وصدقاً، ولا أعلم في المشرق والمغرب من كان يفهم هذا الشـأن مثلـه. توفي سنة ٢٦٤هـ على الأصح، انظر: تاريخ بغداد (٣٢٦/١٠) ترجمة رقم ٥٤٦٩، تذكرة الحفاظ (٥٥٧/٢) ترجمة رقم٥٧٩، طبقات الحنابلة(١٩٩/١) ترجمة رقم ٢٧١. سير أعلام النبلاء (٦٥/١٣).

(٥٢٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(١٩٨/١).

(٥٢٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٠١/١).

(٥٣٠) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٠٢/١).

وقال ابن المظفر[٥٣١]: "وبه أقول"[٥٣٢].

قال اللالكائي: "وبه نقول"[٥٣٣].

وذهب السلف إلى أن الإيمان يزيد وينقص وهي مسألة متفرعة عن سابقتها فمن قال بتركب الإيمان من اعتقاد وقول وعمل قال بزيادته ونقصانه خلافاً للخوارج والمعتزلة، القائلين بذهابه كلية وبقائه كلية.

وممن **نقل مذهب السلف في هذه المسألة محمد بن نصر** المروزي[٥٣٤] في كتابه "تعظيم قدر الصلاة" فذكر " عن جماعة من الأئمة أن الإيمان يزيد وينقص، وما نقل عن السلف صرح به عبد الرزاق في مصنفه عن سفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي وابن جريج ومعمر وغيرهم، وهؤلاء فقهاء الأمصار في عصرهم.

وروى أبو القاسم اللالكائي بسنده الصحيح عن البخاري قال: "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[٥٣٥].

---

(٥٣١) ابن المظفر هو:الشيخ الحافظ المجود، محدث العراق أبو الحسين محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى بن محمد البغدادي، ولد ببغداد سنة ٢٨٦هـ، تقدم في معرفة الرجال، وجمع وصنف، وعمر دهراً، وبعد صيته، له شهرة ظاهرة، قال الخطيب، كان ابن المظفر فَهِماً، حافظاً، صادقاً مكثراً، توفي سنة ٣٧٩هـ، انظر: الإعلام للزركلي(١٠٤/٧)، سير أعلام النبلاء (٤١٨/١٦، ٤٢١)، تاريخ بغداد (٢٦٢/٣)، شذرات الذهب،(٩٦/٣).

(٥٣٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٠٢/١).

(٥٣٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٠٢/١).

(٥٣٤) محمد بن نصر المروزي: الإمام أبو عبدا ، الفقيه المتوفى سنة ٢٩٤هـ، له كتاب الصلاة، وكتاب القسامة، وغيرها، قال ابن حزم عنه: "أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن وأضبطهم لها، وأذكرهم لمعانيها، وأدراهم بصحتها، وبما أجمع عليه الناس مما اختلفوا فيه إلى أن قال... وما نعلم هذه الصفة بعد الصحابة أتم منها في محمد بن نصر، فلو قال قائل: ليس لرسول ا حديث، ولا لأصحابه سنة، إلا وهو عند محمد بن نصر لما بعد عن الصدق. طبقات الحفاظ (٢٨٩/١) ترجمة رقم ٦٥٠، تقريب التهذيب(٥١٠/١) ترجمة رقم ٦٣٥٢، الثقات(١٥٣/٩) ترجمة رقم ١٥٧٣٦، تاريخ بغداد (٣١٥/٣) ترجمة رقم ١٤١٦.

(٥٣٥) ونص عبارة اللالكائي بعد ذكر السند قال أبو عبد ا البخاري: =

وأطنب ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثيـر مـن الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتـابعين، وحكـاه فضيل بن عياض ووكيع[٥٣٦] عن أهل السنة والجماعة[٥٣٧].

= "لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر: لقيتهم كرات قرناً بعد قرن ثم قرناً بعد قرن، أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ستة وأربعين سنة، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين والبصرة أربع مرات في سنين ذوي عدد. بالحجاز ستة أعوام ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي أهل خراسان منهم: المكي بن إبراهيم ويحيى بن يحيى وعلي بن الحسـن بن شقيق وقتيبة بن سعيد وشهاب بن معمر.

وبالشام: محمد بن يوسف الفريابي وأبا مسهر عبد الأعلى بن مسهر وأبا المغيرة عبد القدوس بن الحجاج وأبا اليمان الحكم بن نافع ومن بعدهم عدة كثيرة.

وبمصر: يحيى بن كثير وأبا صالح، كاتب الليث بن سعد، وسعيد بن أبي مريم وأصبغ بن الفرج ونعيم بن حماد.

وبمكة: عبد الله بن يزيد المقري والحميدي وسليمان بن حرب قاضي مكة وأحمد بن محمد ألأزرقي.

وبالمدينة: إسماعيل بن أبي أويس ومطرف بن عبد الله وعبدالله ابن نافع الزبيري وأحمد بن أبي بكـر أبـا مصعب الزهري وإبراهيم ابن حمزة الزبيري وإبراهيم بن المنذر الحزامي.

وبالبصرة: أبا عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني وأبا الوليد هشام بن عبد الملك والحجاج بن المنهال وعلـي بن عبدالله بن جعفر المديني.

وبالكوفة: أبا نعيم الفضل بن دكين وعبيد الله بن موسى وأحمد بن يونس وقبيصة بن عقبة وابن نمير وعبدالله وعثمان ابنا أبي شيبة.

وببغداد: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبا معمر وأبا خيثمة وأبا عبيد القاسم بن الإسلام.

ومن أهل الجزيرة: عمرو بن خالد الحراني.

وبواسط: عمرو بن عون وعاصم بن علي بن عاصم.

وبمرو: صدقة بن الفضل وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي.

واكتفينا بتسمية هؤلاء كي يكون مختصراً وأن لا يطول ذلك فما رأيت واحداً منهم يختلف في هذه الأشياء: أن الدين قول وعمل وذلك لقول الله: ... ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ سورة البينة الآية: ٥، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٧٣- ١٧٤).

[٥٣٦] وكيع هو: وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاس أبو سفيان الكوفي، الحافظ أحد الأئمة الأعلام، أراد هارون الرشـيد توليته القضاء فامتنع وكان فقيهاً عابداً صواماً، قال عنه أحمد بن حنبل: ما رأيت أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع. وقال ابن عمار: ما كان بالكوفة في زمان وكيع أفقه منه ولا أعلم بالحديث، توفي وكيع في محرم سنة ١٩٧هـ عند رجوعه

الفرع الثاني

النقل التفصيلي لجملة من أقوال السلف

وعن مجاهد قال: "الإيمان يزيد وينقص والإيمان قول وعمل"(٥٣٨).

وعن حماد بن سلمة(٥٣٩) وحماد بن زيد(٥٤٠) قالا: "الإيمان المعرفة والإقرار والعمل إلا أن حماد بن زيد كان يفرق بينه والإسلام ويجعل الإسلام عاماً والإيمان خاصاً"(٥٤١).

وعن سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ) قال: "خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث: نقول الإيمان قول وعمل، وهم يقولون الإيمان قول ولا عمل، ونقول

من الحج. انظر: الكاشف(٣٥٠/٢) ترجمة رقم ٦٠٥٦، تذكر الحفاظ (٣٠٦/١) ترجمة رقم ٢٨٤، تهذيب التهذيب(١٠٩/١١) ترجمة رقم ٢١١، سير أعلام النبلاء (١٤٠/٩) ترجمة رقم ٤٨، شذرات الذهب (٣٤٩/١).

(٥٣٧) انظر: فتح الباري،لأبي الفضل علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب،(٤٧/١)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٥٣٨)السنة لعبدا بن أحمد (٣١١/١)، وقال محققه إسناده ضعيف.

(٥٣٩) حماد بن سلمة هو: حماد بن سلمة بن دينار البصري، أبو سلمة، مفتي البصرة كان ثقة مأموناً، ثقة عابداً أثبت الناس في ثابت، إلا أنه لما كبر ساء حفظه فتركه البخاري، وأخرج له مسلم، توفي سنة ١٦٧هـ. انظر: تقريب التهذيب (١٧٨/١) ترجمة رقم ١٤٩٩، التاريخ الكبير (٢٢/٣) ترجمة رقم ٨٩، لسان الميزان (٢٠٣/٧) ترجمة رقم ٢٧٥١، ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبيتحقيق: علي محمد معوض و عادل أحمد عبدالموجود، (٣٦٠/٢) ترجمة رقم ٢٢٥٤، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

(٥٤٠) حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، أبو إسماعيل البصري: أحد الأئمة الأعلام، كان فقيهاً حافظاً من أفقه الناس بالسنة والحديث، قال عبد الرحمن بن مهدي: أئمة الناس في زمانهم أربعة: سفيان الثوري بالكوفة ومالك بالحجاز والاوزاعي بالشام وحماد بن زيد بالبصرة، وقال ابن سعد: كان ثقة ثبتاً حجة كثير الحديث، وهو من كبار الطبقة الثامنة، توفي سنة (١٧٩هـ)، انظر: التاريخ الكبير(٢٥/٣) ترجمة رقم ١٠٠، تهذيب التهذيب (٩/٣) ترجمة رقم ١٣، والجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبي محمد الرازي التميمي، (١٣٧/٣). والطبقات الكبرى لأبي عبد ا محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري،(٢٨٦/٧) دار صادر، بيروت.التاريخ لابن معين (١٣٠/٢).

(٥٤١) رواه عبدا بن أحمد بن حنبل بسنده عنهما وعن جمع من السلف منهم: شريك وأبوبكر بن عياش وعبدالعزيز بن أبي سلمة. وقال محققه رجاله ثقات. السنة لعبدا بن أحمد بن حنبل الشيباني، (٣١١/١).

الإيمان يزيد وينقص، وهم يقولون لا يزيد ولا ينقص، ونحن نقول النفـاق، وهـم يقولون لا نفاق"[٥٤٢].

ونقل عن ابن المبارك (ت:١٨١هـ) قوله: "أصل اثنين وسبعين هوى أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة الأهواء تشـعبت الاثنـان وسـبعون هـوى، القدريـة، والمرجئة، والشيعة، والخوارج.... ومن قال الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره".

قال الفضيل بن عياض[٥٤٣](ت:١٨٧هـ): "ويقـول أهـل السـنة الإيمـان المعرفة والقول والعمل"[٥٤٤].

ويبوب الإمام أبو عمر العدني[٥٤٥](ت: ٢٤٣هـ) في كتابه الإيمان: "باب في زيادة الإيمان ونقصانه " وأورد جملة من الآثار عن السلف منها:

ما رواه بسنده إلى سفيان**١٩٨هـ**[٥٤٦] الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وقال له أخوه إبراهيم بن عيينة يا أبا محمد لا تقل ينقص فغضب وقال اسكت يا صـبي بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء"[٥٤٧].

---

(٥٤٢)صفة المنافق: لجعفر بن محمد بن الحسن الفريابي(٧٤/١)، تحقيق: بدر البدر، دار الخلفـاء للكتـاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

(٥٤٣) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي المروزي، شيخ الحرم، ولد بسـمرقند حـدث عـن عطاء السائب، وروى عنه ابن المبارك والثوري والشافعي وخلق كثير، سكن مكة مجاوراً البيت الحرام.

قال الذهبي: كان إماماً ربانياً قانتاً ثقة كبير الشأن. وقال النسائي وغيره: ثقة مأمون، توفي سنة ١٨٧هـ، يوم عاشوراء. انظر: تهذيب التهذيب:(٢٩٤/٨)، سير أعلام النبلاء:(٤٢١/٨)، تذكرة الحفاظ (٢٤٥/١) ترجمـة رقم ٢٣٢،، حلية الأولياء:(٨٤/٨) ترجمة رقم ٤٠٥، صفة الصفوة (٢٣٧/٢)ترجمة رقم ١٨، طبقـات ابـن سعد (٥٠٠/٥)، المنتظم (١٤٨/٩) ترجمة رقم١٠٢٠، طبقات الحفاظ (١١٠/١) ترجمة رقـم٢٢٠، وفيـات الأعيان وأنباء أبناء الزمان(ج٤:ص٤٧) ترجمة رقم ٥٣١.

(٥٤٤) السنة لعبد ا (٣٤٧/١)، قال محققه إسنادهضعيف.

(٥٤٥) أبو عمر العدني: هو محمد بن يحيى بن أبي عمر أبو عبدا العدني الدراوري من حفـاظ الحـديث، ولي القضاء بعدن وجاور بمكة، ويقال إنه حج سبعة وسبعين ٧٧ حجة، وكان صالحاً عابـداً لا يفتـر عـن الطواف، قال أبو حاتم: صدوق صالح وفيه غفلة، من تصانيفه "المسند" في الحديث، توفي سـنة ٢٤٣هـ، انظر: الكاشف (٢٣٠/٢) ترجمة رقم٥٢١٥، تقريب التهذيب (٥١٣/١) ترجمة رقم ٦٣٩١، التاريخ الكبيـر (٢٦٥/١) ترجمة رقم ٨٤٧، الثقات (٩٨/٩) ترجمة رقم١٥٣٩٧، تذكرة الحفاظ(٥٠١/٢) ترجمة رقم٥١٦.

وروى الإمام الحاكم أبو أحمد بسنده قال: "**حدثنا عبدالرزاق**(وهو ابن همـام الصنعاني)[٥٤٨](ت:٢١١هـ) قال: سمعت مالكاً والأوزاعي وابن جريج والثوري ومعمر(وهو ابن راشـد ١٥٤هـ) يقولـون: الإيمـان قـول وعمـل يزيـد وينقص"[٥٤٩].

وروى أبو عمرالطلمنكي[٥٥٠](ت: ٤٢٩هـ)بإسناده قال: "أملى علينا **إسحاق بن راهويه**[٥٥١]، أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، لا شك أن ذلك كما وصفنا، وإنما عقلنا هذا بالروايات الصحيحة، والآثار العامة المحكمة، وأقـوال أصـحاب

---

(٥٤٦) سفيان: هنا هو ابن عيينة كما جاء في روايات أخرى وهو: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي، أبـو محمـد، محدث الحرم المكي، ولد سنة ١٠٧هـ، وكان حافظاً ثقة ثبتاً إمام، قيل: حج سبعين سنة توفي سنة ١٩٨هـ، انظـر: الكاشف (٤٤٩/١) ترجمة رقم ٢٠٠٢، تهذيب التهذيب (١٠٤/٤) ترجمة رقـم٢٠٥، الثقـات(٤٠٣/٦) ترجمـة رقـم ٨٣٠٠، تذكرة الحفاظ (٢٦٢/١) ترجمة رقم ٢٤٩، ميزان الاعتدال ٣٩٧/١، الأعلام ١٠٥/٣،

(٥٤٧)الإيمان لأبي عمرمحمد بن يحيى بن العدني، (٩٤/١)، تحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

(٥٤٨) عبد الرزاق بن همام الصنعاني هو: بن همام بن نافع الصنعاني، أبو بكر، من أئمة الحديث، وحفظاهم الإثبات، وله "المصنف" و"التفسير" و"الجامع الكبير" وغيرها، توفي سنة ٢١١هـ، انظر: الكاشـف (٦٥١/١) ترجمة رقم ٣٣٦٢، تقريب التهذيب (٣٥٤/١) ترجمة رقم ٤٠٦٤، تذكرة الحفاظ(٣٦٤/١) ترجمة رقم ٣٥٧، لسان الميزان(٢٨٧/٧) ترجمة رقم ٣٨٢٣، الأعلام ٣٥٣/٣، وفيات الأعيـان ٣٠٣/١، ميـزان الاعتـدال ١٢٦/٢، الرسالة المستطرفة. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، صـ٤٠، دار البشائر الإسلامية، بيروت الطبعـة الرابعـة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٥٤٩)شعار أصحاب الحديث (٢٧/١)حديث رقم ١٢.

(٥٥٠)هو الإمام المقرئ المحقق المحدث الحافظ الأثري، أبو عمر أحمد بن محمد بـن عبـد ا المعـافري الأندلسي، كان من بحور العلم، سيفاً مجرداً إلى أهل الأهواء والبدع، قامعاً لهم، غيوراً على الشريعة، شـديداً في ذات ا ، توفى سنة ٤٢٩هـ، الديباج المذهب (١٠١) ترجمة رقم ٥٦، وسير أعلام النـبلاء (٥٦٦/١٧-٥٦٩) ترجمة رقم ٣٧٤، طبقات المفسرين،(٢٩/١) ترجمة رقم ٨، معرفة القراء الكبـار (٣٨٥/١) ترجمـة رقم ٣٢٢، طبقات المفسرين للداودي (١٠٧/١) ترجمة رقم ١٤١.

(٥٥١) إسحاق بن راهويه: هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التيمي، أبو يعقوب بن راهويه: من كبار الحفاظ، كان ثقة في الحديث، وهو من شيوخ البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل والترمذي والنسائي وغيـرهم، قال فيه الخطيب البغدادي: "واجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد "، له تصانيف منهـا: "المسند"، توفي عام ٢٣٨هـ، انظر: تقريب التهذيب (٩٩/١) ترجمة رقم ٣٣٢، الثقات (١١٥/٨) ترجمة رقم ١٢٥٠١، التاريخ الكبير (٣٧٩/١) ترجمة رقم ١٢٠٩، تاريخ بغـداد (٣٤٥/٦)، حليـة الأوليـاء(٢٣٤/٩) ترجمة رقم٤٥٤، الكاشف (٢٣٣/١) ترجمة رقم ٢٧٦، المنتظم (٢٥٩/١١) ترجمة رقم ١٤١١.

رسول ا صلى ا عليه وسلم والتابعين هلم جراً على ذلك، وكذلك بعد التـابعين من أهل العلم على شيء واحد لا يختلفون فيه، وكذلك في عهد الأوزاعي بالشـام، وسفيان الثوري بالعراق ومالك بن أنس بالحجاز، ومعمر باليمن، على ما فسـرنا وبينا أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[٥٥٢].

قالعلي بن المديني[553]:"... والإيمان قول وعمل على سنة وإصابة ونيـة، والإيمان يزيد وينقص وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"[554].

وقال اللالكائي: "ووجدت في بعض كتب أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي:... واختيارنا أن الإيمان: قول وعمل إقرار باللسـان وتصـديق بالقلـب وعمل بالأركان، مثل الصلاة والزكاة لمن كان له مال، والحج لمن استطاع إليـه سبيلاً وصوم شهر رمضان وجميع فرائض ا التي فرض على عباده: العمل بها من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص"[555].

قال الإمام البخاري٢٥٦هـ:"كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيـادة، ولـم أكتب إلاّ عمن قال: الإيمان قول وعمل، ولم أكتب عمن قال: الإيمان قول"[٥٥٦].

ويبوب الإمام في الصحيح: "كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى ا عليه وسـلم (بني الإسلام على خمس) ثم قال: وهو قول وفعل، يزيد وينقص قال ابن حجر في الفتح في شرح كلامه: قوله "وهو" أي الإيمان "قول وفعل يزيد وينقص"[557].

---

(552)شرح قصيدة ابن القيم (١٣٩/٢، ١٤٠).

(553)بن المديني: هو علي بن عبد ا بن جعفر بن المديني الحافظ أبو الحسن: ثقة ثبت إمام، أعلـم أهـل عصـره بالحديث وعلله، بصري الدار حدث عن الإمام أحمد وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة ويحيى بن سـعيد القطـان، قـال شيخه بن مهدي علي بن المديني أعلم الناس بحديث رسول ا صلى ا عليه وسلم وخاصة بحديث بن عيينة وقال بـن عيينة يلومونني على حب بن المديني وا لا تعلم منه أكثر مما تعلم مني وكذا قال يحيى القطان فيه وقال البخاري مـا استصغرت نفسي إلا بين يدي علي قال النسائي كأن ا خلقه لهذا الشأن. مات بسامراء في ذي القعدة سنة ٢٣٤ ولـه ثلاث وسبعون سنة. انظر: الكاشف (٤٢/٢) ترجمة رقم ٣٩٣٧، طبقات الحنابلة(٢٢٥/١) ترجمة رقم٣١٥.

(٥٥٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي (١٨٧/١).

(555) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي (٢٠٣/١).

(٥٥٦) اللالكائي ٩٥٨/٥.

(557)فتح الباري، (٤٦/١).

وروى البيهقي بسنده إلى الإمام الحافظ **محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري[558](ت:٢٥٨هـ) قال:**"السنة عندنا أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

وهو قول أئمتنا مالك والأوزاعي وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة"[559].

قال الإمام الطبري ت:٣١٠هـ: "فإن الصواب فيه من قال: هو قول وعمل يزيد وينقص وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مضى أهل الدين والفضل"[٥٦٠].

وعن الإمام أبي الحسن الأشعري(ت:٣٢٤هـ) كما في الإبانة قال: "وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[٥٦١].

وبوب الإمام الآجري[٥٦٢] ٣٦٠هـ -في كتابه الشريعة-: "باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح لا يكون مؤمنا، إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث".

([558]) محمد بن يحيى الذهلي: هو محمد بن يحيى بن عبدالله بن خالد بن فارس بن ذؤيب، الإمام الحافظ البارع، شيخ الإسلام وعالم أهل المشرف، وإمام أهل الحديث بخراسان، أبو عبدالله الذهلي مولاهم النيسابوري، كتب عن عبدالرحمن بن مهدي، وعن خلق كثير، جمع علم الزهري وصنفه وجوده، وانتهت إليه رئاسة العلم والعظمة والسؤدد ببلدته، وكانت جلالته بنيسابور كجلالة أحمد ببغداد، ومالك بالمدينة، وكان شديد التمسك بالسنة، توفي عام ٢٥٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٣/١٢-٢٨٥) ترجمة رقم١٠٤، تاريخ بغداد (٤١٥/٣) ترجمة رقم١٥٤٨، شذرات الذهب (١٣٨/٢).

(٥٥٩)كتاب مرهم العلل المعضلة(المظلة) في الرد على أئمة المعتزلة، لعبدالله بن أسعد بن علي اليافعي تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار، (١٤٣/١)، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

(٥٦٠)صريح السنة لمحمد بن جرير الطبري أبي جعفر، (٢٥/١)، تحقيق: بدر يوسف المعتوق، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.

(٥٦١)الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسنعلي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، (٢٠/١)، تحقيق: د. فوقية حسين محمود،، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

(٥٦٢) الإمام الآجري هو: محمد بن الحسين بن عبدالله، أبو بكر الآجري الشافعي، فقيه محدث نسبته إلى آجر (من قرى بغداد) ولد فيها وحدث بها ثم انتقل إلى مكة وتوفي فيها، له من التصانيف: "الشريعة" وأخلاق العلماء" و"النصيحة" و"الغرباء" و"تحريم النرد والشطرنج والملاهي" و"أخبار عمر بن عبدالعزيز" وغيرها، مات سنة ٣٦٠هـ، انظر: وفيات الأعيان (٢٩٢/٤) ترجمة رقم ٦٢٣، صفة الصفوة (٤٧٠/٢) ترجمة رقم ٣٢٨، كشف الظنون ٢٨/١، النجوم الزاهرة ٦٠/٤، تذكرة الحفاظ(٩٣٦/٣) ترجمة رقم ٨٨٨، تاريخ بغداد (٢٤٣/٢) ترجمة رقم ٧٠٧.

وقال رحمه ا : "اعلموا رحمنا ا وإياكم أن الذي عليـه علمـاء المسـلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصـديق بالقلـب، وإقـرار باللسـان، وعمـل بالجوارح، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمـان باللسان نطقا، ولا تجزيء معرفة بالقلب، ونطق باللسان، حتى يكون عمل بـالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال: كان مؤمنا دل على ذلك القرآن، والسـنة، وقـول علماء المسلمين"[٥٦٣].

وفي تقرير الإسماعيلي[٥٦٤](ت:٣٧١هـ) لعقيدة أهل السنة وبيانـه لحقيقـة الإيمان قال: "ويقولون إن الإيمان قول وعمل ومعرفـة، يزيدبالطاعـة، ويـنقص بالمعصية، من كثرت طاعته أزيد إيمانا ممن هو دونه في الطاعة"[٥٦٥].

ويبوب الإمام محمد بن إسحاق بن منده[٥٦٦] ت:٣٩٥هـ، في كتابه الإيمان وقال: " ذكر خبر يدل على أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان يزيد وينقص، ثم أورد بأسانيده جملة من الآثار منها:

"عن سليمان الأعمش عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي عن أبيه قـال أخـرج مروانالمنبر، وبدأ بالخطبة قبل الصلاة، فقام رجل فقال: يا مروان خالفت السـنة؛ أخرجت المنبر ولم يكن يخرج، وبدأت بالخطبة قبل الصلاة، فقال: أبو سعيد مـن هذا؟ فقالوا: فلان، فقال أبو سعيد الخدري: قد قضى هذا الذي عليه أن رسول ا

---

(٥٦٣)الشريعةلأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، (٦١١/٢) تحقيق: الدكتور عبد ا بن عمر بـن سـليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(٥٦٤) الإسماعيلي: هو أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسـماعيلي الشـافعي، شـيخ الإسلام، وأحد المشاهير الأعلام، له مستخرج على صحيح البخاري، مولده سنة ٢٧٧ هـ، ووفاته سنة ٣٧١ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٩٢/١٦-٢٩٦) ترجمة رقـم٢٠٨، طبقـات الشـافعيةلابن قاضـي شـهبة (١٣٦/١- ١٣٧) ترجمة رقم (٩٣).

(٥٦٥)اعتقاد أئمة الحديث لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، (٦٣/١، ٦٤)، تحقيق: محمـد بـن عبـد الرحمن الخميس، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

(٥٦٦) محمد بن إسحاق بن منده هو: محمد بن يحى بن منده العبدي، أبو عبدا ، مؤرخ من حفاظ الحـديث الثقات من أهل أصبهان، و"منده" لقب جده واسمه إبراهيم بن الوليد، و"العبدي" نسبة إلى عبدياليل كانت أمـه منهم، وهذا هو جد محمد بن إسحاق المشهور، توفي سنة ٣٠١هـ، انظر: الأعلام ١٣٥/٧، تـذكرة الحفـاظ ٢٧٦/٢، وفيات الأعيان: ٤٨٧/١.

صلى ا عليه وسلم قال: (من رأى أمرا منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).[567]اهـ

وذكـــر ابـــن منـــده الحـــديث مـــن طـــرق مختلفـــة ثـــم قـــال: "وهذهأسانيدمجمععلىصحتهاعلىرسمالجماعةأخرجهامسلموتركهاالبخاريولاعلةلها"[568].اهـ.

وقال ابن أبي زمنين[569] ت:٣٩٩هـ: "ومن قول أهل السنة والجماعة، إن الإيمان إخلاص بالقلوب وشهادة بالألسنة وعمل بالجوارح، على نيـة حسـنة وإصابة السنة"[570].

وقال الإمام اللالكائي(ت:٤١٨هـ): "والإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ولا يجوز القول إلا بالعمـل ولا يجـوز القـول والعمل إلا بالنية ولايجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة"[571].

قال ابن عبد البر(ت:٤٦٣هـ): "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمـان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة ويـنقص بالمعصـية والطاعات كلها عندهم إيمان"[572].

وقال: بعد ذكره لمذهب أبي حنيفة ومن وافقه من مرجئة الفقهاء: "وأما سـائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك بـن أنـس،

---

(٥٦٧) الإيمان لابن منده، (٣٤١/١).

(٥٦٨) الإيمان (٣٤٣/١).

(٥٦٩)ابن أبي زمنين: هو أبو عبد ا محمد بن عبد ا بن عيسى المري الأندلسي، مفسر و فقيه مالكي من الوعاظ الأدباء والمشايخ الفضلاء. ولد سنة ٣٢٤ وتوفي سنة ٣٩٩هـ.انظر: ترجمته في الـديباج المـذهب (٢٦٩/١)، طبقات المفسرين للداودي (١٦٥/٢)، والعبر في خبر من غبر،(١٩٦/٢).

(٥٧٠) أصول السنة لابن أبي زمنين ٢٠٧، تحقيق: عبد ا البخاري، الطبعة الأولـى ١٤١٥هـ ـ، مكتبـة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة.

(٥٧١)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، لهبة ا بن الحسن بـن منصور اللالكائي، (١٥١/١، ١٥٢).

(٥٧٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد ا بن عبـد البـر النمـري، تحقيـق: مصطفى بن أحمد العلوي،محمد عبد الكبير البكري(٢٣٨/٩)، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسـلامية، المغـرب، ١٣٨٧هـ.

والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وداود بن علي، وأبو جعفر الطبري، ومـن سـلك سبيلهم، فقالوا الإيمان قول وعمل قول باللسان وهو الإقرار، واعتقاد بالقلـب، وعمـل بالجوارح، مع الإخلاص بالنية الصادقة، قالوا وكل ما يطاع ا عز وجل به من فريضة ونافلة فهو من الإيمان، والإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، وأهل الـذنوب عنـدهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم وإنما صـاروا ناقصـي الإيمـان بارتكـابهم الكبائر"[٥٧٣] ثم ساق الأدلة على ذلك وليس هذا مقام ذكرها.

وقال البغوي[٥٧٤](ت:٥١٦هـ) في شرح السنة:"والإيمان بأن الإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص يزيد ما شاء ا وينقص حتى لا يبقى منه شيء"[٥٧٥].

وقال بن قدامة المقدسي[٥٧٦](ت:٦٢٠هـ): "والإيمان قول باللسان وعمل بالأركـان وعقد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان"[٥٧٧].

وقال ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "ومن أصول الفرقة الناجية أن الإيمـان والـدين قـول وعمل، يزيد وينقص، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح"[٥٧٨].

وقال الإمام ابن القيم[٥٧٩] ت:٧٥١هـ: "ومذهب أهل السـنة والجماعـة أن الإيمـان تصديق بالجنان وعمل بالأركان وقول باللسان وأنه يزيد وينقص"[٥٨٠].

---

(٥٧٣)التمهيد (٢٤٣/٩).

(٥٧٤) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر، يلقب بمحي السنة وركن الـدين، كان على منهاج السلف حالاً ومقالاً، وله القدم الراسخ في التفسير والباع المديد في الفقه، مات بخراسان سنة ٥١٦هـ، سير أعلام النبلاء (١٩٤٣٩-٤٤٣). طبقات المفسرين للداودي (١٦١/١) ترجمة رقم ١٥٤.

(٥٧٥)كتاب شرح السنة لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، تحقيق: د. محمـد سـعيد سـالم القحطـاني (٢٧/١)، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

(٥٧٦) ابن قدامة المقدسي: هو عبد ا بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي، المقدسي، ثم الدمشقي، الحنبلـي، مـن تصانيفه "المغني" و"روضة الناظر" و"الكافي" و"المقنع" و"عمدة الأحكام" و"لمعة الاعتقاد" وغيرها، مات سنة ٦٢٠هـ، انظر: الاعلام (٦٧/٤)، البداية والنهاية، المعارف بيروت، (٩٩/١٣)، شذرات الذهب (٨٨/٥)، الوفيات، تأليف: محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي،تحقيق: علي محمد بن يعوض ا /عادل أحمد عبد الموجـود، (٥٢٠/١- ٥٢١) دار الكتـب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م. طبقات المفسرين للداودي (١٧٧/١) ترجمة رقم ٢١٦.

(٥٧٧)لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لأبي محمد عبد ا بن أحمد بن قدامة المقدسي، فصل في الإيمان والدين، (١٢٩/١). الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٥٧٨)مجموع الفتاوى، (١٧٧/٣).

(٥٧٩) ابن القيم: هو شمس الدين أبو عبدا محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي الشـهير بابن قيم الجوزية ولد عام ٦٩١هـ في دمشق وتوفي ٧٥١هـ فيها. طبقات المفسرين للداودي (٩٣/٢) ترجمـة بـرقم ٤٥٦: والنجوم الزاهرة، (١٩٥/١٠).

قال ابن كثير ت:٧٧٤هـ:" فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكـون إلا اعتقـاداً وقـولاً وعملاً هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة، قد حكاه الشافعي وأحمد وأبو عبيدة وغيـره إجماعـاً: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[٥٨١].

---

(٥٨٠)شرح قصيدة ابن القيم (١٣٩/٢).

(٥٨١) تفسير ابن كثير(٤١/١).

الفرع الثالث

ما نقل عن أهل السنة من العلماء المعاصرين

قال محمد بن عبد الوهاب: "وأعتقد أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أنلا إله إلا ا وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"[582].

وقال الحكمي[583] **في معارج القبول:** "اعلم يـا أخـي وفقنـي ا وإيـاك والمسلمين بأن الدين الذي بعث ا به رسله، وأنزل به كتبـه، ورضـيه لأهـل سمواته وأرضه، وأمر أن لا يعبد إلا به، ولا يقبل من أحد سواه ولا يرغب عنـه إلا من سفه نفسه، ولا أحسن ديناً ممنالتزمه واتبعه هو قول أي بالقلب واللسـان، وعمل أي بالقلب واللسان والجوارح، فهذه أربعة أشياء جامعة لأمور دين الإسلام:

الأول: قول القلب وهو تصديقه وإيقانه... الثاني: قول اللسان وهـو النطـق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا ا وأن محمدا رسول ا والإقرار بلوازمها...

---

(٥٨٢)مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق: عبد العزيز زيد الرومـي، د.محمد بلتاجي، د. سيد حجاب، (١١/١)، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

(٥٨٣) حافظ الحكمي هو: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، أحد شيوخ عصرنا وأكابر علماء زماننا، عـالم بالتوحيد، والأصول، والفقه، وأحد الدعاة العاملين والعباد الزاهدين، نشأ فقيراً يرعي الغنم لأهلـه فنفعـه ا بالشيخ عبدا القرعاوي، فحفظ القرآن وطلب العلم حتى نبغ في فترة وجيزة فألف الكتب النافعة وتولى التعليم وإدارة المعهد العلمي في صامطة واستمر على دأبه في الدعوة والتعليم والتأليف إلى أن وافاه الأجل بمكة بعد انتهائه من الحج عام: ١٣٧٧هـ/ مشافهة من صنوه وتلميذه الشيخ حسن بن زيد النجمي القاضـي بمحكمـة أبها. انظر: الأعلام للزركلي (١٥٩/٢).

الثالث: عمل القلب وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه... الرابع: عمل اللسـان والجـوارح فعمل اللسان مالا يودى إلا به؛ كتلاوة القرآن وسائر الأذكار، من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، والدعاء والاستغفار، وغير ذلك مما يشمله حديثشعب الإيمـان والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً ليس هـذا موضـع بسـطها وإنمـا المقصود تقرير هذه الأمور من أصول الدين" ا.هـ[584].

---

(٥٨٤) بتصرف يسير واختصار من معارج القبول للحكمي عند شرحه لقول الناظم:

أعلم بأن الدين قول وعمل... فاحفظه وافهم ما عليه ذا اشتمل.. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علـم الأصول لحافظ بن أحمد حكمي، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر(٥٨٧/٢- ٥٩٣) دار ابـن القـيم، الـدمام الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

المبحث الثالث

معنى الإيمان وحقيقته الشرعية

عند أهل السنة والجماعة من المتكلمين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند الأشاعرة

المطلب الثاني: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند الماتريدية

المطلب الأول

معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند الأشاعرة

الإيمان عند الأشاعرة:

لا يمكن للدارس الوقوف على قول واحد للأشاعرة في بيانهم لحقيقة الإيمان، وذلك يرجع إلى أن الخلاف واقع بين الأشاعرة أنفسهم، حكته كتب المتقدمين منهم كالبغدادي في كتابه أصول الدين([٥٨٥])، والمتـأخرين مـنهم كاللقـاني[٥٨٦] فـي أرجوزته المسماة بـ "جوهرة التوحيد"[٥٨٧]، والبيجوري فـي شـرحه للجـوهرة المسمى بـ "تحفة المريد"[٥٨٨]، والصاوي[٥٨٩] في شرحه على الجوهرة أيضاً[٥٩٠]، كما حكى خلاف الأشاعرة من غير الأشاعرة ابن تيمية في أكثر من موضع[٥٩١].

---

(٥٨٥)(٢٤٨/١، ٢٤٩).

(٥٨٦) اللقاني هو: إبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن علي بن عبدالقدوس، أبو الأمداد المالكي، اللقاني نسبة إلى "لقانـة" قرية من قرى مصر، من علماء مصر الكبار، له مؤلفات منها، توضيح ألفاظ الآجرومية، وقضاء الـوطر فـي نزهـة النظر، وجوهر التوحيد، وهو نظم للعقيدة يعد عمدة عند متأخري الأشاعرة، توفي سنة ١٠٤١هـ. انظـر: الأعـلام (٢٨/١).

([٥٨٧])**قال في الجوهرة:فقيل شرط كالعمل وقيل بل شطر و الاسلام اشرحن بالعمل.**

وتعد جوهرة التوحيد من الكتب المعتمدة في بيان المذهب الأشعري في العقيدة، وبيان الأقوال المعتمدة وما يخالفها فـي المذهب وخارجه، وللجوهرة شروح وحواشي وتقريرات عدة زادت على خمسة عشر مؤلفاً، منها ثلاثة شـروح كبيـر ووسط وصغير لناظمها رحمه ا ، انظر: شروح جوهرة التوحيد في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعلامـة مصطفى بن عبد ا القسطنطيني الرومي الحنفي، المعروف بحاجي خليفة، دار (٦٢٠/١)، الكتب العلميـة، بيـروت، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م، وانظر: مقدمة الدكتور عبد الفتاح البزم لـ " كتاب شرح الصاوي على جوهرة التوحيد لأحمـد بن محمد المالكي الصاوي المتوفى سنة ١٢٤١هـ "صـ٢٢، دار بن كثير، دمشق وبيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.

([٥٨٨]) تحفة المريد على جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، المتوفى سنة ١٢٧٧هـ، وشرحها سنة ١٢٣٤هـ. انظر: مقدمة د/البزم صـ ٢٣.

([٥٨٩]) الصاوي هو: أحمد بن محمد المالكي الصاوي المصري، عالم مشارك، ولد في صـاء الحجـر علـى شاطئ النيل، من إقليم الغربية بمصر، من تصانيفه: "بلغة السالك لأقرب المسالك" في فروع الفقـه المـالكي، و"حاشية على شرح الدرديري على رسالته" في علم البيان المسماة تحفة الإخوان، و"حاشـية علـى تفسـير الجلالين". انظر: معجم المؤلفين لكحالة، (١١١/٢).

(٥٩٠) سبق الإشارة إلى كتاب شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، صـ ١٣٠- ١٣٦.

(٥٩١) سترد لاحقاً في هذا البحث.

ويمكن للباحث أن يخاص إلى أن الأشاعرة اختلفوا في حقيقة الإيمان على ثلاثة أقوال:

القول الأول: ذهب أصحابه إلى أن حقيقة الإيمان الشرعية هي: اعتقاد القلب وتصديقه، والنطق شرط لإجراء الأحكام الدنيوية على صاحبه.

ومقصودهم بالشرطية إخراج النطق ـ عمل اللسان ـ عن ماهية الإيمان الشرعي وحقيقته، وجعله شرط كمال للإيمان لا شرط صحة، إذ يصح الإيمان عندهم بمجرد التصديق القلبي، والنطق علامة على التصديق الخفي(٥٩٢).

وهذا القول هو أشهر قولي أبي الحسن الأشعري، وعليه جمع من أصحابه كالقاضي أبي بكر الباقلاني، وإمام الحرمين الجويني، وهو المنسوب إلى جمهور الأشاعرة والمحققين منهم.

قال البيجوري(٥٩٣) في تحفة المريد: "وقوله (شرط... الخ) أي خارج عن ماهيته، وهذا القول لمحققي الأشاعرة والماتريدية ولغيرهم، (وقد فهم) الجمهور أن مرادهم أنه شرط لإجراء أحكام المؤمنين عليه: من التوارث والتناكح والصلاة خلفه وعليه، والدفن في مقابر المسلمين، ومطالبته بالصلوات والزكوات وغير ذلك؛ لأن التصديق القلبي وإن كان إيماناً إلاّ أنه باطن خفي، فلا بد له من علامة ظاهرة تدل عليه لتناط به تلك الأحكام، فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه لا لعذر منعه ولا لإباء بل اتفق له ذلك، فهو مؤمن عند ا غير مؤمن في الأحكام

---

(٥٩٢) والعلامة على الشيء ما كان دليلاً عليه، وليست هي هو، بمعنى أن العلامة ليست هي الشيء المدلول عليه، لأن دليل الشيء ليس هو ذات الشيء، **قال الجويني**: والدليل هو المرشد الى المطلوب لأنه علامة عليه الورقات (٩/١) وانظر: المسودة. المسودة في أصول الفقه، تأليف: عبد السلام و عبد الحليم و أحمد بن عبد الحليم آل تيمية، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد،(٥١٣/١)، المدني، القاهرة.

(٥٩٣) البيجوري : هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري ، من فقهاء الشافعية المتأخرين ، ونسبته إلى الباجور من قرى المنوفية بمصر ، تخرج في الأزهر ، وتقلد مشيخته سنة ١٢٦٣هـ واستمر حتى توفي سنة ١٢٧٧هـ وشرحه على منظومة جوهرة التوحيد ـ للّقاني إبراهيم بن إبراهيم بن حسن .المتوفى سنة ١٠٤١هـ ـ المسمى بتحفة المريد على جوهرة التوحيد . انظر الأعلام للزركلي (٧١/١) ، (٢٨/١) .

الدنيوية؛ وأما الآبي بأن طلب منه النطق بالشهادتين، فأبى فهو كافر فيهما، ولـو أذعن في قلبه فلا ينفعه ذلك ولو في الآخرة.

ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فهو مؤمن في الأحكـام الدنيويـة غير مؤمن عند ا تعالى، ومحل كونه مؤمناً في الأحكام الدنيوية ما لم يطلع على كفره بعلامة كسجود لصنم، وإلاّ جرت عليه أحكام الكفر"[٥٩٤].

قال البغدادي: "فإن أصحابنا اختلفوا فيهما[٥٩٥] على ثلاثة مذاهب:

فقال أبو الحسن الأشعري إن الإيمان هو التصديق ولرسله عليهم السلام، في أخبارهم ولا يكون هذا التصديق صحيحاً إلّا بمعرفته.

والكفر عنده هو التكذيب، وإلى هذا القول ذهب ابن الراوندي[٥٩٦]، والحسين بن الفضل البجلي[٥٩٧]"[٥٩٨].

---

(٥٩٤) شرح جوهرة التوحيد المسماة تحفة المريد لإبراهيم بن محمد البيجوري، صـ ٤٥.

(٥٩٥) أي الإيمان والإسلام.

(٥٩٦) ابن الراوندي هو:أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الملحد عدو الدين، صاحب التصـانيف فـي الحط على الملة وكان يلازم الرافضة والملاحدة فإذا عوتب قال إنما أريد أن أعـرف أقـوالهم. قـال ابـن الجوزي: كنت أسمع عنه بالعظائم حتى رأيت له ما لم يخطر على قلب.

وقال ابن النجار: أبو الحسين ابن الراوندي المتكلم من أهل مرو الروذ سكن بغداد وكان معتزليا ثـم تزنـدق وقيل كان أبوه يهوديا. انظر: سير أعلام النبلاء (٥٩/١٤- ٦٠) ترجمة رقم ٣١، ولسان الميـزان (٣٢٣/١) ترجمة رقم٩٨٥.

(٥٩٧)والحسين بن الفضل البجلي هو: أبو علي الحسين بن الفضل بن عمير بن القاسم بـن كيسـان البجلـي، الكوفي الأصل، نزيل نيسابور، العلامة المفسر الأديب، قال عنه الحاكم: " كان إمـام عصـره فـي معـاني القرآن"، وعن أبي القاسم المذكر قال:"لو كان الحسين بن الفضل في بني إسرائيل لكان من عجـائبهم"، أقـام بنيسابور يعلم الناس العلم ويفتى من سنة سبع عشرة ومائتين إلى أن مات سنة اثنتين وثمانين عن مائة وأربع سنين. انظر: لسان الميزان، (٣٠٧/٢) ترجمة رقم ١٢٦٥. وطبقات المفسرين لعبد الرحمن بـن أبـي بكـر السيوطي، (٤٨/١) ترجمة رقم ٣٣. طبقات المفسرين للداودي(ت٣٧٥ هـ)(٤٠/١) ترجمة رقم ٥٨.

(٥٩٨) كتاب أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغـدادي، صـ ـ٢٤٨، دار صـادر، بيروت، الطبعة الأولى، استانبول، ١٣٤٩هـ -١٩٢٨م.

قال أبو اليسر البزدوي الماتريدي[599]: "وقال الأشعري: الإيمان هو التصديق بالقلب، وهو الاعتقاد فحسب"[600].

ولشهرة هذا القول عن الأشعري، وتمسك مشاهير أصحابه المتقدمين به، وانتصارهم له، عدهم أهل المقالات من المرجئة، **قال ابن حزم:**

"اختلف الناس في ماهية الإيمان، فذهب قوم إلى أن الإيمان إنما هو معرفة الله تعالى بالقلب فقط، وإن أظهر اليهودية والنصرانية وسائر أنواع الكفر بلسانه وعبادته[601]، فإذا عرف الله تعالى بقلبه فهو مسلم، من أهل الجنة، وهذا قول أبي محرز الجهم بن صفوان وأبي الحسن الأشعري البصري، وأصحابهما"[602].

قال ابن تيمية:"وليس الإيمان إلا مجرد التصديق الذي في القلب والمعرفة، وهذا أشهر قولي أبى الحسن الأشعري وعليه أصحابه كالقاضي أبى بكر، وأبى المعالي وأمثالهما ولهذا عدهم أهل المقالات من المرجئة"[603].

---

(٥٩٩) أبو اليسر البزدوي هو: أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى ابن مجاهد نسبة إلى بزدةأو بزدوة، ولقبه القاضي الصدر، وكان شيخ الحنفية في عصره، ومن فحول المناظرين، ولد عام ٤٢١هـ، وجده عبد الكريم من تلاميذ أبي منصور الماتريدي، وكان أبو اليسر البزدوي ينهى عن النظر في كتب الفلاسفة والمعتزلة، ويرى أنها سبب للوقوع في الشرك والشك والزيغ، وجوز النظر في كتب الأشعري لمن عرف أخطاءه، ومن أشهر كتبه: المرطب، وهو حاشية على كتابالجامع الصغير للشيباني، وكتاب: الواقعات، وكتاب: المبسوط، وهما في الفقه، وكتاب: أصول الدين، السابق الذكر، وكانت له مكانة كبيرة جداً عندالماتريدية، وتتلمذ عليه كثيرون، توفي ببخارى سنة ٤٩٣ هـ. انظر: طبقات الحنفية،(٢/٢٧٠)، سير أعلام النبلاء (١٩/٤٩)، الجواهر المضيئة: (٣/٣٢٢، ٦٤١)، مقدمة هانزبيترلنس على كتاب البزدوي" أصول الدين"صـ٩-١٢، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٤٢٤هـ.

(٦٠٠) أصول الدين صـ ١٤٨.

(٦٠١) لعل هذا من لوازم القول وليس قولاً صريحاً فيما نسب للجهم، وأما فيما نسب للأشعري أو أصحابه فلم يقله منهم أحد، فيما أعلم مما وقفت عليه في كتبهم، ولابد من الانتباه لهذه المسألة جيداً وهي اعتبار لازم القول قولاً لازماً، ولو لم يلتزمه صاحبه، ولعلنا نتناول هذه المسألة بشيء من التفصيل في موطنها المناسب في هذه الرسالة، فإلزام الخصم بلازم قوله وإن صح عند المجادلة والمناظرة، إلاّ أنه لا يصح عند حكاية أقواله إلاّ إذا التزمه قولاً له، وإلاّ يكون ذلك من البغي الذي لا ينبغي أن يكون خلقاً للمسلم فضلاً عن العالم.

(٦٠٢)الفصل في الملل والأهواء والنحل، (٣/١٠٥، ١٠٦).

(٦٠٣)كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، (٧/٥٠٩) مكتبة ابن تيمية، الطبعةالثانية.

وقال أيضاً: "والفرقة الثانية من المرجئة يزعمون أن الإيمان هو المعرفة با فقط والكفر به هو الجهل به فقط، فلا إيمان با إلا المعرفة به ولا كفر با إلا الجهل به وأن قول القائل: إن ا ثالث ثلاثة، ليس بكفر؛ ولكنه لا يظهر إلا من كافر وذلك أن ا كفّر من قال ذلك، وأجمع المسلمون أنه لا يقوله إلا كافر، وزعموا أن معرفة ا هي المحبة له، وهي الخضوع ... والقائل بهذا القول أبو الحسين الصالحي، وقد ذكر الأشعري في كتابه (الموجز) قول الصالحي هذا وغيره ثم قال والذي أختارهفي الأسماء قول الصالحي"[٦٠٤].

ومن هذه النقول يتبين أن ابن حزم هو أول من نسب إلى الأشعري مقالة جهم بصورة عامة، مما يشعر بأنه قول الأشعري الأوحد، وتبعه ابن تيمية في النسبة مع تفصيل أشار فيه إلى أن هذا المنسوب إلى الأشعري هو أحد قوليه، وهو الأشهر منها، وعليه الباقلاني والجويني من أصحاب الأشعري، وهذه مقالة المرجئة، بل مقالة جهمية المرجئة، وقد تبعهما في النسبة من تبعهما من الباحثين المتأخرين[٦٠٥]، مما يستدعي الوقوف على عباراتهم ودراستها نصاً ودلالة.

أولاً: **دراسة مذهب أبي الحسن الأشعري في أشهر قوليه**:

الكتب التي روت عن الأشعري قوله أن الإيمان مجرد التصديق أو المعرفة فقط، لم تسند تلك الروايات بالأسانيد المعروفة عن الأشعري، إلاّ ما نسبه ابن تيمية إلى كتاب الموجز للأشعري، وعنه نقل ابن تيمية، وعليه العهدة، وهذا القول المنسوب أشبه بقول جهم، فأتجاوز دراسة السند وأجعل العهدة في النقل على ناقليها، **وأقول:**

يظهر لي أن النقل عن الأشعري إن صح ففيه متقدم ومتأخر، ويمكن ترجيح قوله الذي خالف فيه الجهمية والمرجئة ووافق فيه جمهور وعامة أهل القبلة **لأسباب منها:**

---

(٦٠٤) مجموع الفتاوى، (٥٤٤/٧).

(٦٠٥) كسفر الحوالي في رسالته ظاهرة الإرجاء صـ٢٧٩، وعادل شيخان في رسالته قواعد في بيان حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة صـ١٤٦ وغيرهما.

أولاً: إن العبارة التي فيها المخالفة لعامة أهل القبلة منقولة من كتب غيره كالبغدادي[٦٠٦] فيما نقل عن الأشعري، وابن تيمية فيما نقله عن كتاب (الموجز) للأشعري[٦٠٧]، والعبارة التي فيها موافقة لعامة أهل القبلة منقولة من كتابه مقالات الإسلاميين والذي حرر فيه مذهب أهل السنة والجماعة الذي يرتضيه ويعد من آخر ما كتبه، فتقرر من هذا أنه آخر ما استقر عليه رأيه إن اعتبرنا بالمنقول عنه أمام قوله الثابت نسبته إليه تحقيقاً.

ثانياً: النقول المتأخرة عن الإمام الأشعري فيما اختاره قبل موته وارتضاه من مذهب أهل الحديث والأثر، وعقيدة أحمد بن حنبل الإمام الأغر، وعليها العمدة في الترجيح، والمعول في الاختيار، وسيأتي تفصيلها ودراسة نصها لاحقاً عند بيان القول الثالث للأشاعرة.

ثالثاً: ليست العبرة فيما اشتهر عن الإمام وإنما العبرة فيما استقر عليه قوله، ويعرف بتأخر وروده، وقول ابن تيمية:" وهذا أشهر قولي أبي الحسن الأشعري وعليه أصحابه كالقاضي أبي بكر وأبي المعالي وأمثالهما، ولهذا عدهم أهل المقالات من المرجئة"[٦٠٨] لا يعني أنه يذهب إليه ويرجحه، بل لعل العبارة بعده أقوى في بيان مذهب الأشعري الذي مات عليه وحكاه ابن تيمية عن طائفة من أصحاب الأشعري في قوله:" والقول الآخر عنه كقول السلف وأهل الحديث؛ إن الإيمان قول وعمل؛ وهو اختيار طائفة من أصحابه، ومع هذا فهو وجمهور أصحابه على قول أهل الحديث فيالاستثناءفي الإيمان"[٦٠٩].

والقول في مسألة الاستثناء في الإيمان هي فرع وأصلها القول بأن الإيمان حقيقة في التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح، ولا يتسق مع هذا الأصل ولا يتفق معه قول من ذهب من المرجئة إلى أن الإيمان تصديق القلب فقط، بل يتفق مع هذا الأصل الذي عليه جمهور الأشاعرة المذهب الذي رجحت

---

(٦٠٦) انظر: أصول الدين للبغدادي، (٢٤٨/١- ٢٤٩).

(٦٠٧) ولم أعثر على نسخة من الكتاب.

(٦٠٨)مجموع الفتاوى، (٥٠٩/٧).

(٦٠٩)مجموع الفتاوى، (٥٠٩/٧).

نسبته إلى الأشعري وفيه وافق أهل الحديث وسلف الأمة، واستقر عليه حاله قبل موته، وترجيح غيره مرجوح لعدم اطراده معه في المعنى، وعدم انسجامه في الفحوى، ولما يدخله على مذهب الأشعري من تناقض واضح.

ولابن تيمية جواب يبين فيه سبب موافقة الأشعري في أشهر قوليه لجهم في مسألة الإيمان، مع نصرته لمذهب أهل الحديث في مواضع النزاع بينهم وبين غيرهم من المتكلمين، واعتذر له ابن تيمية بأنه قد لا يسلك مسالك أهل الحديث في الرد والمناظرة، ويختص بطريقته ومسلكه الذي يخالف في مأخذه مأخذ أهل الحديث، فيقع منه التناقض قال: "وهو - أي الأشعري - ينصر دائماً في المسائل التي فيها النزاع بين أهل الحديث وغيرهم قول أهل الحديث، لكنه لم يكن خبيراً بمآخذهم، فينصره على ما يراه من الأصول التي تلقاها عن غيرهم(٦١٠)، فيقع في ذلك من التناقض ما ينكره هؤلاء وهؤلاء، كما فعل في مسألة الإيمان، ونصر فيها قول جهم مع نصره للاستثناء، وخالفه كثير من أصحابه في الاستثناء ووافقوه على نصرة قول جهم، ومن لم يقف إلاّ على كتب الكلام، ولم يعرف ما قاله السلف وأئمة السنة في هذا الباب، فيظن أن ما ذكروه هو قول أهل السنة، وهو قول لم يقله أحد من أهل السنة... ولهذا صار من يعظم الشافعي من الزيدية والمعتزلة ونحوهم يطعن في كثير ممن ينتسب إليه يقولون: الشافعي لم يكن فيلسوفاً ولا مرجئاً، وهؤلاء فلاسفة أشعرية مرجئة. وغرضهم ذم الإرجاء، ونحن نذكره عنهم لكونه مشهوراً عند كثير من المتأخرين المنتسبين إلى السنة"(٦١١).

ويتوجه كلام ابن تيمية، واعتذاره للأشعري على أوجه:

١) حمل كلام الأشعري على القول المشهور عنه والذي قال فيه بأن حقيقة الإيمان التصديق القلبي، أو المعرفة: وأنه مع ذلك يزيد وينقص، أما على القول الثاني للأشعري والذي ورد في أكثر من كتاب له، ورجحت تقديمه فيما سبق، فلا

---

(٦١٠) المعتزلة وأهل الكلام.

(٦١١) الإيمان لابن تيمية صـ ١١٥. باختصار وتصرف يسير.

يحتاج إلى مثل هذا التوجيه الذي وجه به ابن تيمية، لموافق الأشعري لمذهب أهل الحديث لفظاً ومعنى، أصلاً وفرعاً.

٢) أن يكون التصديق والمعرفة بمعنى واحد، وهما كذلك من حيث إخراج العمل عن مسمى الإيمان وحقيقته، وليسا بمعنى واحد من حيث اللغة والشرع؛ فالتصديق والمعرفة عند الإطلاق اللغوي مختلفان في المعنى، ومعرفة العلاقة بينهما من الناحية اللغوية، يسهلُ ضبط مذهب الجهمية في الإيمان ومذاهب المرجئة، فليس من معاني التصديق المعرفة وليس من معاني المعرفة التصديق، فيما وقفت عليه من كتب اللغة، فضد التصديق التكذيب، كما أن ضد المعرفة الجهل، وقد يكذّب من عرف وعلم، كما قد يصدّق من جهل[٦١٢].

وكما أن التباين حاصل في اللغة فهو كذلك في الشرع، إذ أن التصديق القلبي يختلف عن مجرد المعرفة أو العلم، فالعلم الضروري والنظري، قد يكون مصحوباً بالتصديق القلبي وقد يكون مصحوباً بالجحود والتكذيب.

والتصديق القلبي في الشرع يلزم منه العلم والمعرفة، فالعلم لازم للتصديق وسابق له، وليس التصديق لازماً للعلم.

وقد يكون الأشعري توسع في العبارة والإطلاق ومقصوده بالمعرفة القلبية التصديق، وهذا قد يرد في عبارات العلماء تسامحاً منهم في الإطلاق، عند أمن اللبس، ولا لبس في إطلاقهم إذ صرحوا بدخول الأعمال في حقيقة الإيمان، وعلى سبيل المثال:

نقل عن **الفضيل بن عياض** قوله: " ويقول أهل السنة: الإيمان المعرفة والقول والعمل"[٦١٣].

وقال الصابوني: "ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة"[٦١٤].

---

(٦١٢) وفي مسألة إيمان المقلد خلاف طويل مشهور، بسطه علماء الكلام في مباحث العقيدة فليراجع في مظانه.

(٦١٣) السنة لعبد ا بن أحمد بن حنبل، (٣٤٧/١).

وقال بن حزم حاكياً مذهب أهل الحق في الإيمان: "وذهب سـائر الفقهـاء، وأصحاب الحديث، والمعتزلة، والشيعة، وجميع الخوارج، إلى أن الإيمـان هـو المعرفة بالقلب بالدين، والإقرار به باللسان، والعمل بالجوارح، وأن كـل طاعـة وعمل خير فرضاً كان أو نافلة فهي إيمان، وكل ما ازداد الإنسـان خيـراً ازداد إيمانه وكلما عصى نقص إيمانه"[٦١٥].

فلا إشكال ولا لبس في هذه العبارات لأن المقصود من المعرفة هنـا لـيس مجرد العلم ومطلق المعرفة، بل هو علم أورث العمل والخشية والعبادة والطاعة، وهذه هي حقيقة التصديق الشرعي أنه يتبعه ويلازمه العمل، وسواء سمي معرفـة أو تصديقاً فقد اتضح المراد منه.

وإنما يقع الإشكال في عبارة من حصر الإيمـان فـي المعرفـة فقـط، أو التصديق، وأخرج العمل عن مسمى الإيمان، فهو إما موافق للجهمية، أو للمرجئة

ويقرب من المعنى الأول قول طائفة من المرجئة فيما حكـاه ابـن تيميـة: "وزعموا أن معرفة ا هي المحبة له، وهي الخضوع ... والقائل بهذا القول أبو الحسين الصالحي، وقد ذكر الأشعري في كتابه (الموجز) قـول الصـالحي هـذا وغيره ثم قال والذي أختارهفي الأسماء قول الصالحي"[٦١٦].

فجعلوا المعرفة هي المحبة والخضوع وهذا لا يكون إلاّ مـع تصـديق، ولا شك في أن هذا القول يختلف عن قول جهم أن الإيمان هو مجرد المعرفة ومطلق العلم، ومما يدل على هذا أن كثيراً من المحققين نقلوا قول جهم وحكوا انفراده به، ونقلوا مقالة الأشعري في الإيمان، كمقالة مستقلة مختلفة عن مقالة جهم، ولو كانت المقالتان بمعنى واحد لنقلتا في موضع واحد، كقول واحد تعدد قائلوه، بينما نجـد الأمر بخلاف هذا؛ إذ نقلت كل مقالة على حدة لاختلافهما في المعنى.

---

(٦١٤) عقيدة السلف، صـ٢٦٤.

(٦١٥)الفصل في الملل،(١٠٦/٣).

(٦١٦)مجموع الفتاوى،(٥٤٤/٧).

قال ابن أبي العز الحنفي: "ومما انفرد به جهم[٦١٧] أن الجنة والنار تفنيـان وأن الإيمان هو المعرفة فقط والكفر هو الجهل فقط "[٦١٨].

وقال أيضاً: "وذهب الجهم بن صفوان، وأبو الحسن الصالحي ـ أحد رؤساء القدرية ـ إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب... والكفر عند الجهـم هـو الجهـل بالرب تعالى ولا أحد أجهل منه بربه... وحاصل الكل يرجع إلى أن الإيمان إمـا أن يكون ما يقوم به القلب واللسان وسائر الجـوارح...أو بالقلـب واللسـان دون الجوارح...، أو باللسان وحده...، أو بالقلب وحده وهو:

إما المعرفة كما قاله الجهم، أو التصديق كما قاله أبو منصـور الماتريـدي رحمه ا ، وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر"[٦١٩].

وقال عضد الدين الأيجي[٦٢٠] الأشعري: ت ٧٥٦هـ: "وقيل الإيمـان هـو المعرفة با وهو مذهب جهم بن صفوان"[٦٢١].

---

(٦١٧)ويشكل على هذا الإطلاق موافقة أبي الحسن الصالحي لجهم في أن الإيمان هو المعرفة فقط، في النقل التالي للنقل الأول، من كلام ابن أبي العز، ولعل المقصود بالانفراد هنا في عبارة ابن أبي العز الانفراد فـي الجمع بين هذه المقالات الثلاث وهي: أن الجنة والنار لا تفنيان مع قوله بأن الإيمان هو المعرفة والكفر هـو الجهل فقط، أو لعل المقصود بها انفراده في السبق بالقول بهـا ثـم ممـن تبعـه أو وافقـه علـى بدعتـه الصالحي القدري.

(٦١٨)شرح العقيدة الطحاوية،(٥٢٠/١).

(٦١٩)شرح العقيدة الطحاوية، (٣٧٣/١- ٣٧٤).

(٦٢٠) الأيجي: هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، عضد الدين الأيجي الشيرازي، ولد بايج من نواحى شيراز بعد السبع مائة وأخذ عن مشايخ عصره ولازم زين الدين تلميذ البيضاوى وكان اماما فى المعقول قائما بالاصول والمعانى والبيان والعربية مشاركا فى سائر الفنون وله شرح مختصر المنتهى وقد انتفع الناس بـه من بعده وسار فى الاقطار واعتمده العلماء الكبار وهو من أحسن شروح المختصر من تدبرهعرف طول باع مؤلفه.. وأنجب تلامذة عظاما اشتهروا فى الآفاق مثل شمس الدين الكرمانى وضياء الدين العفيفى وسعد الدين التفتازانى وغيرهم ووقع بينه وبين الأبهرى منازعات وماجريات وكان كثير المال جدا كريم الـنفس يكثـر الإنعام على الطلبة وجرت له محنة مع صاحب كرمان فحبسه بالقلعة فمات مسجونا فـى سـنة ٧٥٦ أرخـه السبكى وأرخه الأسنوى قبل ذلك انظر: طبقات الشافعية الكبـرى،(٤٦/١٠) ترجمـة رقـم١٣٦٩. الـدرر الكامنة(١١٠/٣) ترجمة رقم٢٢٧٨، والبدر الطالع (٣٢٦/١)ترجمةرقم٢٥.

(٦٢١)المواقف لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د.عبـد الـرحمن عميـرة،(٥٣٣/٣) دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

ونقل ابن تيمية عن الأشعري ذكره لفرق الضلالة والبدعة، ومنها مقالة جهم، وبراءة أهل الحديث من ذلك وبراءته مما تبرأ منه أهل الحديث فقال: "وقد ذكر مقالة جهم في كتابه فقال ذكر قول الجهمية الذي تفرد بها جهم القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان وأن الإيمان هو المعرفة با فقط والكفر هو الجهل به فقط"[(٦٢٢)].

وقال يحيى بن أبي الخير العمراني اليماني[(٦٢٣)]: "وقالت الجهمية الإيمان التصديق بالقلب لا غير"[(٦٢٤)].

والخلاصة: أنه لم ينقل في كتب المقالات - على سبيل التحقيق والتحري - عن الأشعري مقالة جهم مطلقاً، ومن نقلها عنه بصورة مجملة كابن حزم، فلا بد أن يحمل نقله على ما سبق الإشارة إليه لكونه مذهباً قديماً للأشعري، ولا ينكر التطور الذي مر به مذهب الأشعري من الاعتزال[(٦٢٥)] والكلام إلى الكلام خارج

---

(٦٢٢)بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لأبي العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ.

(٦٢٣) يحي بن أبي الخير العمراني هو: يحيى بن أبي الخير بن سالم بن أسعد بن يحيى أبو الخير العمراني اليماني صاحب البيان ولد سنة تسع وثمانين وأربعمائة تفقه على جماعات منهم زيد اليفاعي كان شيخ الشافعية ببلاد اليمن وكان إماما زاهدا ورعا عالما خيرا مشهور الاسم بعيد الصيت عارفا بالفقه وأصوله والكلام والنحو من أعرف أهل الأرض بتصانيف الشيخ أبي إسحاق الشيرازي في الفقه والأصول والخلاف يحفظ المهذب عن ظهر قلب وقيل أنه كان يقرأه في كل ليلة واحدة وكان ورده في كل ليلة أكثر من مائة ركعة بسبع من القرآن العظيم رحل إليه الطلبة من البلاد قال النووي في التنقيح إنه يحكي طريقة العراقيين وفي بعض الأماكن ينقل الطريقتين توفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى، (٣٢٧/١)ترجمة رقم ١٠٣٧.

(٦٢٤) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، تأليف: يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، (٧٣٧/٣)، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

(٦٢٥) قال ابن النديم: " بن أبي بشر وهو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، من أهل البصرة وكان أولاً معتزلياً، ثم تاب من القول بالعدل وخلق القرآن، في المسجد الجامع بالبصرة في يوم الجمعة، رقى كرسياً ونادى بأعلى صوته من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه نفسي، أنا فلان بن فلان كفرت بخلق القرآن، وأن ا لا يرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع معتقد للرد على المعتزلة" الفهرست لمحمد بن إسحاق أبي الفرج النديم، صـ٢٥٧، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

إطار المعتزلة؛ بل في رد مقالتهم وعلى طريقتهم الكلامية(٦٢٦)، حتى وصل آخر حياته إلى السنة(٦٢٧)، وهذه المراحل المتدرجة لها أثرها في صياغة مذهب أبي الحسن الأشعري، وإن لم يكن هو مذهب الأشاعرة اليوم، لغلبة نزعتهم إلى المرحلة الوسطى أو الأولى للأشعري(٦٢٨).

وعلى هذا فيمكن القول بأن الأشعرية كمذهب ينتسب فيه أهله للإمام أبي الحسن الأشعري، ليست هي أقوال الإمام فحسب بل هي نتاج تراكمي من أقواله كأصل للمذهب، وأقوال المحققين من أصحابه المنتسبين لمذهبه، وترجيحاتهم وما عليه استقرت نقولهم، كابن فورك والباقلاني والجويني وغيرهم من أئمة المذهب المعتبرين، وهي أصول مرادفة أو مخالفة لما مات عليه أبو الحسن الأشعري، وبمجموعها يتكون ما يسمى بالمذهب العقدي للفرقة، ولكون المخالفة والموافقة لها أثرها على النسبة للإمام والتي قد تختلف عن النسبة للمذهب؛ ذهب بعضهم إلى التفريق بين الأشعرية والأشعري، معتمداً ما كتبه الأشعري في الإبانة عن أصول

---

(٦٢٦) قال الحافظ أبو نصر السجزي المتوفى سنة ٤٤٤هـ، في رسالته إلى أهل زبيد، المسماة " الرد على من أنكر الحرف والصوت "، رواية عن خلف بن عمر المعلم المتوفى سنة ٣٧١هـ، من فقهاء المالكية أنه قال: "أقام الأشعري أربعين سنة على الاعتزال، ثم أظهر التوبة، فرجع عن الفروع، وثبت على الأصول" الرد على من أنكر الحرف والصوت صـ ١٦٨، مطبوعة على الآلة الكاتبة.

وقال عبد الرحمن المحمود معلقاً على هذا النص: "أي أصول المعتزلة التي بنوا عليها نفي الصفات، مثل دليل الأعراض وغيره " موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن بن صالح المحمود(٣٦٣/١)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٦٢٧) وهذه الأطوار الثلاثة المنتهية بما كان عليه السلف هي ما ذهب إليه جمع من العلماء الأقدمين والباحثين المعاصرين، ونص عليه ابن كثير فيما نقله عنه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين المتقين شرح إحياء علوم الدين(٤/٢)، دار الفكر، طبعة مصورة. ومحب الدين الخطيب في حواشيه على الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لمحمد ابن الوزير، صـ١٧٤، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٨٥هـ، ومعارج القبول، (٣٤٦/١). ومحمد الصالح العثيمين في القواعد المثلى في صفات ا وأسمائه الحسنى صـ ٨٠-٨١، مكتبة الكوثر الإسلامية، ١٤٠٦هـ. ومصطفى حلمي في قواعد المنهج السلفي صـ ٣٠، دار الدعوة، الاسكندرية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، وغيرهم من أهل العلم والبحث.

ولقد أطال البحث في هذه المسألة المحمود في رسالته " موقف ابن تيمية من الأشاعرة "(٣٦١/١-٤٠٩).

(٦٢٨) انظر: رسالة المحمود " موقف ابن تيمية من الأشاعرة " في مبحث نشأة المذهب الأشعري وانتشاره (٤٩٣/٢ وما بعدها).

الديانة وما كان على غرارها من الرسائل والكتب المنسوبة إليه المشهورة عنه، والتي اختلفت في طريقتها ومادتها ومعناها عن كتبه السابقة التي كتبها مع قرب مفارقته الاعتزال، وعليه تعقب حافظ حكمي في معارجه ما نقله ابن تيمية وتابعه عليه تلميذه ابن القيم، من نسبة القول في القرآن بأنه كلام نفسي إلى الأشعري دون بيان مذهب أبي الحسن وفصله عن مذهب المنتسبين إليه فقال:

"التنبيه إلى أن الأشعرية غير الأشعري:

وأقول والحق يقال لا نشك أن ابن القيم هذا وشيخه ابن تيمية رحمهما الله تعالى من أعلم من صنف في المقالات والملل والنحل، وأدراهم بمواردها ومصادرها وأبصرهم برد الباطل منها وإدحاضه، وأوفاهم تقريراً لمذهب السلف أهل السنة والجماعة، وأشدهم تمسكاً به ونصرة له، وأكملهم تحريراً لبراهينه عقلاً ونقلاً وأكثرهم اشتغالاً بهذا الباب، وتنقيباً عن عامل البدع فيه واجتثاثاً لأصولها، **ولكن هذا الذي ذكره رحمه الله تعالى عن الأشعري** في مسألة القرآن هو الذي وجدناه عمن ينتسب إلى الأشعري، ويسمون أنفسهم أهل الحق، ويقررون ذلك ويكررونه في كتبهم، ويناظرون عليه، وأما أبو الحسن الأشعري نفسه - رحمه الله تعالى - فالذي قرره في كتابه (الإبانة) - الذي هو من آخر ما صنف على خلاف بين أهل العلم في ذلك - هو قول أهل الحديث ساقه بحروفه، وجاء به برمته، واحتج فيه ببراهينهم العقلية والنقلية، ثم نقل أقوال الأئمة في ذلك كأحمد بن حنبل، ومالك بن أنس، والشافعي وأصحابه،... وإن أخطأ في تأويل بعض الآيات، وأجمل في بعض المواضع فكلامه يدل على أنه مخالف للمنتسبين إليه من المتكلمين في مسألة القرآن، كما هو مخالف لهم في إثباته الاستواء، والنزول والرؤية، والوجه واليدين، والغضب والرضا، وغير ذلك وقد صرح في مقالاته بأنه قائل بما قال الإمام أحمد بن حنبل وأئمة الحديث معتقد ما هم عليه، مثبت لما أثبتوه، محرم ما أحدث المتكلمون من تحريف الكلم عن مواضعه، وصرف اللفظ عن ظاهره، وإخراجه عن حقيقته، وبالجملة فبينه وبين المنتسبين إليه بون بعيد،

بل هو بريء منهم وهم منه براء، والموعد الله، وكفى بالله حسيباً، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله"[٦٢٩].

وكان إيراد ابن تيمية للقول بموافقة الأشعري للجهم في الإيمان في موضع بدون تعليق عليه في نفس الموضع - وإن كان قد علق عليه في موضع آخر - هو الذي جعل الباحثين المعاصرين أو الناقلين عنه يعدون الأشعري جهمياً في الإيمان بدون تحقيق لقول ابن تيمية، وبدون نظر في بقية النقول عنه.

وقد يكون دافع النقل عند بعض الكتاب هو التشنيع على المخالف بأشنع ما نسب إليه، أو قاله ولو ثبت رجوعه عنه، من باب تنفير الناس عن مذهبه، وهذا المسلك يتنافى مع العدل والإنصاف، والواجب ذكر الخلاف وإنصاف المخالف، والاعتذار له ما أمكن خاصة إذا عرف من ظاهر الحال جهود هؤلاء العلماء في حفظ الدين، وحراسة العقيدة، والدفاع عن السنة.

ثانياً: دراسة مذهب الجويني في بيان حقيقة الإيمان

قال الجويني (ت:٤٧٨هـ) وهو يبين حقيقة الإيمان ومعناه: "وهذا مما اختلفت فيه مذاهب الإسلاميين"، ثم ساق مذاهب الفرق وأورد مقالاتهم ثم قال: "والمرضي عندنا[٦٣٠]: أن حقيقة الإيمان التصديق بالله تعالى، فالمؤمن بالله من صدقه.

ثم التصديق على التحقيق كلام النفس، ولكن لا يثبت إلاّ مع العلم، فإنا أوضحنا أن كلام النفس يثبت على حسب الاعتقاد.

والدليل على أن الإيمان هو التصديق صريح اللغة وأصل العربية وهذا لا ينكر فيحتاج إلى إثباته.

---

(٦٢٩) معارج القبول،(٣٧٧/١-٣٧٨).

(٦٣٠) في قوله (والمرضي عندنا) يحتمل أن المراد بنا المتكلمين نفسه، ويحتمل أنه أراد الأشاعرة، وهو الأقرب عندي من السياق.

وفي التنزيل: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (٦٣١). وما أنت بمصدق لنا"(٦٣٢).

وقال أيضاً: "فحقيقة الإيمان عندنا: التصديق وهو معناه في اللغة واللّسان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (٦٣٣).

والمؤمن على التحقيق: من انطوى عقده على المعرفة بصدق من أخبر عن صانع العالم وصفاته، وأنبيائه.

فإن اعترف بلسانه بما عرفه بجنانه فهو مؤمن ظاهراً وباطناً.

وإن لم يعترف بلسانه معانداً، لم ينفعه علم قلبه، وكان في حكم الله تبارك وتعالى من الكافرين به، كفر جحود وعناد، وكذلك كان فرعون وكل معاند جحود، وكذلك عرف أحبار اليهود نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وصادفوا نعته في التوراة، فجحدوا بغياً وحسداً، فأصبحوا من الكافرين.

ومن أضمر الكفر، وأظهر كلمة الإيمان، فهو المنافق الذي يتبوأ الدرك الأسفل من النار، واسم الإيمان لا يزول بالعصيان "(٦٣٤).

قال الباجوري في شرحه على الجوهرة: "وفسر جمهور الأشاعرة والماتريدية وغيرهم من المعتزلة الإيمان بالتصديق المعهود شرعاً وهو: تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به وعلم من الدين بالضرورة... والمراد بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك: الإذعان لما جاء به، والقبول له، وليس المراد وقوع نسبة الصدق إليه في القلب من غير إذعان ولا قبول حتى يلزم الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين كانوا يعرفون أحقية نبوته ورسالته صلى الله

---

(٦٣١) سورة يوسف من الآية: ١٧.

(٦٣٢) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد لإمام الحرمين الجويني، المتوفى سنة ٤٧٨هـ، تحقيق وتعليق د/محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، فصل في معنى الإيمان، صـ ٣٩٦-٣٩٧، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

(٦٣٣) سورة يوسف من الآية: ١٧.

(٦٣٤) العقيدة النظامية لإمام الحرمين الجويني، صـ ٢٥٧-٢٦٠.

عليه وسلم، ومصداق ذلك قولـه تعـالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[635]... وبالجملة فالإيمان شرعاً هو التصديق بجميع ما جاء به النبي صلى ا عليه وسلم، مما علم من الدين بالضرورة، إجمالاً في الإجمالي وتفصيلاً في التفصيلي، وأمـا لغة فهـو مطلـق التصـديق، ومنـه قولـه تعـالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[636]"[637].

وقال في حاشية الجمل: "والحاصل أن الإيمان على هذه الطريقة التي هـي طريق المتكلمين له حيثيتان النجاة في الآخرة وشرطها التصديق فقـط، وإجـراء أحكام الدنيا ومناطها النطق بالشهادتين مع عدم السجود لغير ا ورمي المصحف بقاذورة، وغير ذلك من الصور التي حكم الفقهاء بأنها كفر، فالنطق غير داخل في حقيقة الإيمان وإنما هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية، ومن جعله شطراً لم يـرد أنه ركن حقيقي وإلا لم يسقط عند العجز[638] والإكراه بل إنه دال علـى الحقيقـة التي هي التصديق إذ لا يمكن الإطلاع عليها"[639].ا.هـ.

وفي قوله: "ومن جعله شطراً لم يرد أنه ركن حقيقي؛ وإلا لم يسـقط عنـد العجز والإكراه بل إنه دال على الحقيقة التي هي التصديق".

موافقة صريحة لطريقة المتكلمين في اعتبار التصديق القلبي المجـرد عـن النطق والعمل، إيماناً منجياً لصاحبه من النار.

وفي العبارة أيضاً تمحل ظاهر في صرف اللفظ عن معناه الظاهر، ليوافق ما عليه مذهب المتكلمين، أو ليوفق بين أقوال المخالفين للمتكلمين ويجعلهـا موافقـة

---

(٦٣٥) سورة البقرة من الآية: ١٤٧.

(٦٣٦) سورة يوسف الآية: ١٧.

(٦٣٧) شرح جوهرة التوحيد، صـ ٦٧-٦٨.

(٦٣٨) وهذا ليس على إطلاقه: بل عد الشارع سبحانه العجز عذراً شرعياً تسقط به بعض الأركـان وتصـح العبادة بدونها لمن هذا حاله كمن عجز عن القيام صلى قاعداً، وصلاته صحيحة، ولم يقل أحد مـن الفقهـاء ببطلانها.

(٦٣٩)حاشية الشيخ سليمان الجمل على شرح المنهج (لزكريا الأنصاري)، لسـليمان الجمـل، (١٢٤/٥)، دار الفكر، بيروت، بلا، الطبعة: بلا، تحقيق: بلا. نسخة الجامع.

لمذهبهم بهذا التأويل البعيد الذي لا يتحمله اللفظ الصريح في اشتراط النطق وجعله شطراً للإيمان، وشطر الشيء أبلغ في التعبير عن ركنيته في ذلك الشيء.

ولعل باعثه لمثل هذا المسلك - التلفيقي لا التوفيقي – هو عدم التـزام مـا يلزم، إذ أن في إدخال النطق كشرط في الإيمان، بحسب دلالة نصوص الشرع، ما يلزم منه عقلاً وشرعاً، إدخال العمل كذلك في حقيقة الإيمان ومسـماه الشـرعي بحسب دلالة نصوص الشرع الواضحات في اعتبار ذلك.

وقد جعل البيجوري الإيمان تصديقاً شرعياً خاصاً، وليس تصديقاً لغوياً فقط، وهو ما عبر عنه بـ قوله: " وبالجملة فالإيمان شرعاً هو التصديق بجميع ما جاء به النبي صلى ا عليه وسلم، مما علم من الدين بالضرورة، إجمالاً في الإجمالي وتفصيلاً في التفصيلي، وأما لغة فهو مطلق التصديق "، فالتصـديق علـى هـذا تصديقان:

مطلق التصديق وعليه استعمال اللغة، وتصديق مخصوص وعليه اسـتعمال الشرع.

فلازم على هذا القول: أنه كما جاز إضافة النطق كمعنى جديد على المعنـى اللغوي وهو مطلق التصديق، والحجة في الإضافة هي مراد الشرع، فلا بد مـن فعل ذلك مع الأعمال التي أطلق عليها الشارع اسم الإيمـان، ووصـف فاعلهـا بالإيمان، أو سمي بالمؤمن، واستحق المدح على فعلها واتصافه بها.

ومسلك المتكلمين في إهدار ما اعتبره الشارع، مسلك باطل مردود، وعـدم التزام هذا اللازم - شرعاً وعقلاً - هو لبيان مخالفة الخوارج والمعتزلة وأهـل الحديث في مذهبهم القاضي بدخول الأعمال في حقيقة الإيمان ومسماه كما دخـل النطق في حقيقة الإيمان ومسماه.

إذ توهم الأشاعرة القائلون بأن الإيمان هو التصديق فقط، أنهم بعدم إدخـالهم الإقرار في مسمى الإيمان ينفكون عما يلزمهم شرعاً وعقلاً، من إدخال الأعمـال

في مسمى الإيمان كما دخل الإقرار، وتوهم القائلون منهم[٦٤٠] بأن الإيمـان هـو التصديق والإقرار فقط، والعمل غير داخل في حقيقتـه ومسـماه أن لازم قـول الجمهور بدخول العمل في مسمى الإيمان، هو خروج كثير من المسـلمين عـن الإسلام بتركهم لجزء من العمل الذي هو جزء الإيمان.

وهذا اللازم العقلي يلزم الخوارج والمعتزلة فيما ذهبوا إليـه؛ لأن الإيمـان عندهم ذو حقيقة واحدة مركبة من الاعتقاد والقول والعمل، وهو كلٌ لا يتجزأ ولا يزيد ولا ينقص، وذهاب بعضه ذهابه كله.

ولا يرد هذا اللازم على قول المحدثين من أهل السنة والجماعة ومن وافقهم، لأنه وإن كان لازماً عقلاً إلا أنه باطل اللزوم شرعاً، لأن الإيمان باسمه وحكمه لا يزول بزوال جزء العمل مطلقاً[٦٤١]، فهو حقيقة مركبة من أجزاء لكنه يقبل الزيادة والنقصان، وليس كل عمل يزول بزواله الإيمان وإن كان بزواله ينقص الإيمـان وبفعله يزيد الإيمان.

وبهذا يفترق أهل السنة والجماعة من أهل الحديث عن الخوارج والمعتزلة، في أصل من الأصول المتعلقة بالإيمان وزواله عن صاحبه، بعـد اتفـاقهم فـي الأصل المتعلق بحقيقة الإيمان الشرعية.

وبهذا يتبين مذهب الجويني فيما سبق، وصحة ما نسب إليه من موافقة مذهب المتكلمين، بل فيه اقتراب واضح من مذهب الاعتزال؛ لذا نسب البعض قوله إلـى قول جهم في الإيمان.

ثالثاً: دراسة مذهب الباقلاني في حقيقة الإيمان

يمكن دراسة مذهب الإمام الباقلاني من خلال مقولاته المختلفة في كتبـه، إذ لا يصح عند التحقيق أن تقطع النصوص، أو تجتزأ من سياقاتها، أو ينتقـى مـن

---

(٦٤٠)الضمير في " منهم " راجع إلى طائفة الأشاعرة الذين وافقوا مرجئة الفقهاء في جعل الإيمان اعتقاد وقول.

(٦٤١) فمن الإعمال ما بزواله يزول الاسم المطلق عن مرتكبها حال تلبسه بها، ويبقى مطلق الاسم، ومنها ما يزول عن مرتكبها الاسم المطلق ومطلق الاسم، ولا يبين ذلك سوى الشارع الحكيم، وسـيأتي تفصـيله فـي موضعه من الرسالة ـ إن شاء ا ـ .

الأقوال ما يتناسب مع مراد الدارس، ويوافق هواه، فلا بـد مـن جمـع النقـول والتأليف بينها ما أمكن ذلك، فهو الأولى، والترجيح عند عدم إمكان الجمع وفـق منهجية علمية صحيحة، وهذا ما أتمنى أن ألتزم به، فقد وردت عبارات البـاقلاني مختلفة في ألفاظها ومضمونها، على الأقل فيما يبدو للناظر أول وهلة، فإحدى هذه العبارات سار فيها الباقلاني في تقرير حقيقة الإيمـان الشـرعية علـى طريقـة المتكلمين، بعيداً عن طريقة المحدثين، وفي عبارة أخرى بدا وكأنه يوافق مـذهب المحدثين وأهل الأثر، مما يحتم على الدارس التحري والتحقيق في النقلين لمعرفة الراجح منهما والأصح رواية ودراية.

ولفهم حقيقة مذهب الباقلاني لا بد من الوقوف على دلالات ألفاظه، وسـبر كلامه ـ رحمه ا ـ والتعليق عليه بما يظهر للباحث، من تآلف في العبارات أو تخالف، فإن اتفقت العبارات في معناها ومضمونها ودلالاتها تميز مذهبه واطرد، وأمكن النسبة إليه، وإن اختلفت ولم يتميز المتقدم منها عن المتأخر ـ وهذا ما وقع لي في كتابي الباقلاني التمهيد والإنصاف ـ فلا يمكن نسبة أحد القولين المختلفين إليه كمذهب؛ لأن هذا جمع بين الضدين لا يصح ولا يستقيم؛ فيجب والحال هذا أن نؤلف ونجمع بين العبارتين بتأويل سائغ، فإن تعذر تأويل إحدى العبارات لموافقة الأخرى فالترجيح سبيل رفع التعارض ودفع الاختلاف، وتمييز المـذهب الـذي ينسب إلى قائله، ولا يخفى أن التأويل سيكون وفق ما يراه الباحث لا وفق ما تراه الأشاعرة كمدرسة ينتسب إليها الإمام الباقلاني، لأن تأويل الأشاعرة سيكون وفق ما يتفق ومذهبهم.

أولاً: عبارة الباقلاني ـ ت: ٤٠٣هـ ـ في التمهيد:

باب القول في معنى الإيمان

"فإن قال قائل: خبرونا ما الإيمان عندكم؟

قلنا: الإيمان هو التصديق با تعالى وهو العلم، والتصديق يوجد بالقلب.

فإن قال: وما الدليل على ما قلتم؟

قيل له: إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان في اللغة قبل نزول القرآن وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم هو التصديق، لا يعرفون في لغتهم إيماناً غير ذلـك، ويـدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (٦٤٢)أي: ما أنت بمصدق لنـا. ومنه قولهم فلان يؤمن بالشفاعة، وفلان لا يؤمن بعذاب القبر، أي: لا يصدق بذلك.

فوجب أنيكون الإيمان في الشريعة هو الإيمان المعروف في اللغـة؛ لأن الله عز وجل ما غير لسان العرب ولا قلبه، ولو فعل ذلك لتواترت الأخبـار بفعلـه، وتوفرت دواعي الأمة على نقله، ولغلب إظهاره وإشهاره على طيه وكتمانه.

وفي علمنا بأنه لم يفعل ذلك، بل أقر أسماء الأشياء والتخاطب بأسره على ما كان، فيها دليل على أن الإيمان في الشرع هو الإيمان اللغوي.

ومما يدل على ذلك ويـبينه قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ (٦٤٣) "وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٦٤٤).

فأخبر أنه أنزل القرآن بلغة القوم، وسمى الأشياء بتسمياتهم، فلا وجه للعدول بهذه الآيات عن ظواهرها بغير حجة وسيما مع قولهم بالعموم، وحصول التوقيف على أن الخطاب نزل بلغتهم.

فدل ما قلناه على أن الإيمان هو ما وصفناه دون ما سواه من سائر الطاعات من النوافل والمفروضات "(٦٤٥).

يمكن القول بأن هذه العبارة واضحة في بيان الأصول الاعتقادية للباقلاني وهي:

أولاً: أن الإيمان بالله محصور في التصديق القلبي.

---

(٦٤٢) سورة يوسف من الآية: ١٧.

(٦٤٣) سورة إبراهيم من الآية: ٤.

(٦٤٤) سورة الزخرف الآية:٣.

(٦٤٥) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل لمحمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيـدر، بـاب الكلام في الإيمان والإسلام والأسماء والأحكام(١/٣٨٨-٣٩٢)، مؤسسة الكتـب الثقافيـة، لبنـان، الطبعـة: الأولى١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

ثانياً: أن العمل فرضه ونفله ليس داخلاً في حقيقة الإيمان الشرعية ومسماه، وساق ـ رحمه ا ـ جملة من الأدلة على ذلك منها:

ما ادعاه من إجماع على أن الإيمان في لغة العرب هو التصديق ولا تعرف العرب غيره من المعاني، وجاء الاستعمال الشرعي كما هو عليه في اللغـة دون زيادة، فاستصحب الإجماع في اللغة واستعمالها إلى الاستعمال الشرعي.

وليس المقام مقام مناقشة أدلته، فيكفي فيه الإشارة إلى أن ما ادعاه إجماعـاً فيه نزاع طويل الذيل قريب النيل لمن أراده وكان مقصوداً له؛ فليراجـع معـاجم اللغة وكتاب الإيمان لابن تيمية ففيه غنية لطالبه.

ولو صح ما ادعاه من إجماع في اللغة على استعمال الإيمان في التصـديق فقط ـ ولا يصح كما أشرت إليه ـ فلا يصح أبداً استصحاب الإجماع في موضع متفق عليه ـ على فرض الصحة كما أسلفت ـ إلى موضع مختلف فيه[٦٤٦]، وهو غير خاف على من له نظر كالباقلاني، ودعواه أن الشرع استعمل الإيمان بمعنـى التصديق فقط، مجردة عن الدليل الذي بمثله تقوم.

ثانياً: عبارة الباقلاني في الإنصاف:

"واعلم أن حقيقة الإيمان هو: التصديق. والدليل عليه:

١) قوله تعالى إخباراً عن إخوة يوسف عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾[٦٤٧] أي بمصدق لنا.

٢) وأيضاً: أن الرسول عليه السلام لما أخبر عن كلام البقرة والذئب، فقال: "أنا أؤمن به وأبو بكر وعمر"[٦٤٨] يريد أصدق.

---

(٦٤٦) مسألة الأسماء الشرعية ونقلها عن معناها اللغوي إلى معنى شرعي جديد له علاقته بأصله اللغوي، ولا ينبت عنه كلية، فبينهما عموم وخصوص من وجه، هذه المسألة من المسائل المشهورة عند الأصوليين، ويمكن مراجعتها والخلاف الحاصل فيها في كتب أصول الفقه المشار إلى بعضها فيما سيأتي قريباً.

(٦٤٧) سورة يوسف من الآية: ١٧.

(٦٤٨) صحيح مسلم،(١٨٥٧/٤) حديث رقم ٢٣٨٨، صحيح البخاري،(١٣٤٩/٣) حديث رقم٣٤٨٧.

٣) وأيضاً: قول أهل اللغة: فلان يؤمن بالبعث والجنة والنار؛ أي يصدق به. وفلان لا يؤمن بعذاب الآخرة، أي لا يصدق به.

واعلم: أن محل التصديق القلب، وهو: أن يصدق القلب بأن ا إله واحد، وأن الرسول حق، وأن جميع ما جاء به الرسول حق.

وما يوجد من اللسان وهو الإقرار، وما يوجد من الجوارح وهو العمل، فإنما ذلك عبارة عما في القلب، ودليل عليه.

ويجوز أن يسمى إيماناً حقيقة على وجه، ومجازاً على وجه:

ومعنى ذلك: أن العبد إذا صدق قلبه بما قلنا وأقر بلسانه، وعملت جوارحه فهو المؤمن الحقيقي عند ا وعندنا.

وأما من كذب بقلبه وأقر بالوحدانية بلسانه وعمل الطاعات بجوارحه فهذا ليس بمؤمن حقيقة، وإنما هو مؤمن مجازاً(٦٤٩)، لأن ذلك يمنع دمه وماله في أحكام الدنيا، لأنه مؤمن من حيث الظاهر، وهو عند ا غير مؤمن.

والدليل على صحة ذلك:

قوله: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (٦٥٠)، فأخبر سبحانه بكذبهم، ونحن نعلم وكل عاقل أنه ما كذب إقرار ألسنتهم، وإنما كذب قلوبهم، حيث أبطنوا خلاف ما أظهروا؛ لأن الأخرس المصدق بقلبه إيمانه صحيح، وإن كان لا يقدر على النطق والإقرار بلسانه، وكذلك بالعكس من هذا، فإن المؤمن المصدق بقلبه مؤمن عند ا تعالى، وإن نطق

---

(٦٤٩) وهو المسمى عند العلماء بالإيمان الحكمي، يحكم فيه لصاحبه بالإيمان كحكم في الدنيا ولا يشترط أن يكون كما هو عليه في الآخرة.

(٦٥٠) سورة المنافقون الآية:١.

بالكفر[٦٥١]. يدلك على صحة ذلك: قوله تعـالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [٦٥٢] فأخبر أن نطق اللسان بالإيمان لا ينفـع مـع إصرار القلب على الكفر، وإقرار اللسان بالكفر لا يضر مع تصديق القلب[٦٥٣].

واعلم: أنا لا ننكر أن نطلق القول بأن الإيمان عقد بالقلب وإقـرار باللسـان وعمل بالأركان، على ما جاء في الأثر[٦٥٤]؛ لأنه صلى الله عليه وسلم إنمـا أراد بذلك أن يخبر عن حقيقة الإيمان الذي ينفع في الدنيا والآخرة، لأن من أقر بلسانه، وصدق بقلبه، وعمل (بأركانه)[٦٥٥]، حكمنا له بالإيمان وأحكامه في الدنيا من غير توقف ولا شرط، وحكمنا له أيضاً بالثواب في الآخرة وحسن المنقلب، من حيـث شاهد الحال، وقطعنا له بذلك في الآخرة، بشرط أن يكون في معلوم الله تعالى أنه يحييه على ذلك، ويميته عليه.

ولو أقر بلسانه، وعمل بأركانه، ولم يصدق بقلبه، نفعه ذلك في أحكام الـدنيا ولم ينفعه في الآخرة، وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم حيث قال: " يا معشر من آمن بلسانه ولما يدخل الإيمان في قلبه "[٦٥٦].

([٦٥١]) في هذا الإطلاق نظر لأن هذا حال وقوع الضرر الذي لا يمكن دفعه إلاّ بالكفر، وصاحبه مضطر إليه اضطراراً، فهذا حكمه، وليس الأمر يصح على إطلاقه في كل مختار قادر مستطيع، يمتنع عن النطق ويكتفي بالتصديق القلبي، فلا يصح مثل هذا إلاّ من قول المرجئة.

(٦٥٢) سورة النحل من الآية: ١٠٦.

(٦٥٣) وهذا حال الإكراه كما هو منطوق الآية وسبق التنبيه عليه قريباً.

(٦٥٤) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم (الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان) المعجـم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ،عبـد المحسـن بـن إبراهيم الحسيني، (٢٢٦/٦) دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ ـ.شعب الإيمـان (٣٨/١) بـاب الـدليلعلى أن التصديق بالقلب والإقرار باللسان أصل الإيمان.

([٦٥٥]) في المطبوع (أركانه) ولعل الصواب تعدية الفعل(عمل) بالباء فيقال (وعمل بأركانه) أي جوارحه، وهو ما أثبته في الصدر.

(٦٥٦) مسندأحمد بن حنبل،(٤٢٠/٤) حديث رقم١٩٧٩١، سنن أبي داود (٦٨٦/٢)حديث رقم ٤٨٨٠، شعب الإيمان(٢٩٦/٥).

وإذا تأملت هذا التحقيق وتدبرته وجدت بحمد الله تعالى ومنّه أن الكتاب والسنة ليس فيهما اضطراب ولا اختلاف، وإنما الاضطراب والاختلال، والاختلاف في فهم من سمع ذلك، وليس له فهم صحيح، نعوذ بالله من ذلك".ا.هـ[٦٥٧].

قرر الباقلاني في عبارته هذه جملة من الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان وحقيقته:

الأول منها: حقيقة الإيمان عنده هي التصديق ومحله القلب.

الثاني: إقرار اللسان وعمل الجوارح دليل على التصديق القلبي وشاهد له. بمعنى أن النطق والعمل ليسا من التصديق، مع تجويز إطلاق الإيمان على قول اللسان، وعمل الجوارح حقيقة ومجازاً على وجهين ومحملين مختلفين ذكر مثالاً لكل واحد منهما[٦٥٨].

الثالث: من صدق قلبه، وأقر بالوحدانية لسانه، وعملت جوارحه، فهو المؤمن حقيقة عند الله في أحكام الآخرة وعندنا في أحكام الدنيا.

الرابع: من كذّب قلبه، وأقر بالوحدانية لسانه وعمل الطاعات بجوارحه، فهو مؤمن مجازاً ـ فيما يظهر لنا ـ، لا حقيقة ـ في نفس الأمر ـ وتجري عليه أحكام المؤمنين في الدنيا وهو عند الله كافر، وهذا شأن وحال المنافقين.

الخامس: من صدق قلبه وعجز عن النطق لسانه لخرس أو نحوه، أو نطق كلمة الكفر حال الإكراه وقلبه مطمئن بالإيمان فهو مؤمن على الحقيقة عند الله

---

(٦٥٧) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به لأبي بكر بن الطيب الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ، (٥٢- ٥٤)، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٦٥٨) يحتمل قوله الآتي:

١- إن القول والعمل ليسا داخلين في التصديق اللغوي الذي محله القلب.

٢- ويحتمل أيضاً أن القول والعمل ليسا داخلين في التصديق الشرعي أيضاً.

والراجح من المعنيين حمل مفهوم كلامه على نفي دخول القول والعمل في التصديق اللغوي فقط لا الشرعي، لأن القول والعمل داخلان في مسمى الإيمان الشرعي، وهما من التصديق الذي أراده الشارع ورتب عليه الفلاح دنيا ودين. ويشهد لهذا الاختيار والمحمل الذي رجحه الباحث صريح عباراته المنقولة آنفاً في مقالته السابقة.

وعندنا، إذا علمنا منه هذا الحال وتبين لنا المانع الذي قام فيه، والعجز الحسـي أو الحكمي الذي اعتراه.

وترك الباقلاني في سياق ذكره للصور والأحوال العقلية صـورتين، فيهمـا وقع النزاع، الأولى منهما: من صدق بقلبه ولم يعمل بجوارحه ولم يقر بلسانه.

الثانية منهما: من صدق بقلبه وأقر بلسانه ولم يعمل بجوارحه.

السادس: قبوله وعدم إنكاره للقول بأن الإيمان هو عقـد بالقلـب وإقـرار باللسان وعمل بالأركان استدلالاً عليه بالأثر والنظر.

وفي هذا إطلاق للإيمان حقيقة على معناه الشـرعي الجـامع للاعتقـاد والقـول والعمل، ومن أطلق عليه المجاز فباعتبار اللغة لا الشرع، فما كان في الشرع حقيقة فهو في اللغة وفي استعمال البلاغيين مجاز، لزيادته عن معناه الأصلي في اللغة وهذا توسع في استعمال اللفظ في غير ما وضع له ابتداء في لغة العرب، ولكنه حقيقـة فـي بابـه الشرعي لاستعماله فيما وضع له شرعاً من قبل واضعه وهو الشارع، فكل لفظ استعمل فيما وضع له فهو حقيقة، وكل لفظ استعمل في غير ما وضع له لمناسبة فهـو مجـاز وتوسع، والحقائق لغوية وشرعية وعرفية كما هو مقرر في كتب الأصول[٦٥٩].

وكل حقيقة في بابها هي الأصل، وترجح على غيرها والسياق في هذا هـو الحاكم القاضي بالترجيح[٦٦٠].

---

(٦٥٩) انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، (٤٩/١)، تحقيـق: محمـد سعيد البدري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م. الإبهاج في شـرح المنهـاج علـى منهـاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاويعلي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: جماعة مـن العلمـاء، (٣١٦/١)،دار الكتـب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول لعبد الرحيم بن الحسن الأسـنوي أبي محمد، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، (٢٠٢/١)مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعـة الأولـى، ١٤٠٠هـ، القواعـد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكامعلي بن عباس البعلي الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، (١٢٣/١) مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦م.

(٦٦٠)قال في الكوكب الساطع:

اللفظ أقسـام حـقيقة فقـط أو فمجاز أو كليهما ضبـط

بجهتـين اعتُـبرا أو لا ولا وذاك اللفظ الذي ما استُعمـلا

ثم على عرف المخاطب احمل ففي خطاب الشرع للشرع اجعل =

ومن أنكر دخول العمل في مسمى الإيمان من الأشاعرة عد القائل بـه مـن المعتزلة أو الخوارج أو موافقاً لهما، وقد يقبل بعضهم دخول العمل فـي مسـمى الإيمان ولكن على سبيل المجاز اللغوي لا الحقيقة الشرعية، ويتأول ذلك الـدخول على أنه من باب إطلاق الثمرة وهي الفرع على الشجرة وهي الأصل، وإطـلاق الدليل وإرادة ما دل عليه.

قال الآمدي في غاية المرام ـ في معرض التشنيع على مذهب أهل الحديث القاضي بدخول العمل في مسمى الإيمان دخولاً شرعياً حقيقياً ـ :

"وبهذا يتبين أيضاً فساد قول الحشوية: إن الإيمان هو التصـديق بالجنـان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان.

نعم لا ننكر جواز إطلاق اسم الإيمان على هذه الأفعال، وعلـى الإقـرار باللسان، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [661]أي صلاتكم، وقوله عليه السلام:(الإيمان بضع وسبعون باباً، أولها شهادة أن لا إله إلا ا ، وآخرها إماطـة الأذى عن الطريق)[662]، لكن إنما كان ذلك لها من جهة أنها دالة على التصـديق بالجنان"[663].

= وبين الشارح لهذه الأبيات أن الألفاظ تحتمل الحقيقة والمجاز باعتبارين مختلفين، فالألفاظ في أصل وضعها اللغوي وضعت لمعنى عام، ثم جاء الشارع وخصها بمعنى خاص هو من جملة أفراد العام، كالصوم في اللغة الإمساك عموماً، فخصه الشارع بالإمساك المخصوص عن الطعام والشراب والمفطرات، فاستعماله في العام حقيقة لغوية، مجاز شرعي، واستعماله في الخاص حقيقة شرعية مجاز لغوي، وهكذا فـالعرف والاسـتعمال قاضيان ببيان الحقيقة من المجاز، ويحمل اللفظ دائماً على عرف صاحب الخطاب؛ فإن كان الخطـاب مـن الشارع، وللشارع معنى مخصوص؛ فالمحمول عليه هو المعنى الشرعي الخاص، لأنه عرفه؛ إذ النبي صلى ا عليه وسلم بعث لبيان الشرع لا اللغة، فإن تعذر حمل على المعنى العرفي العام، فإن تعـذر حمـل علـى المعنى اللغوي؛ لتعينه حينئذ وهذا رأي الجمهور.

(٦٦١) سورة البقرة من الآية: ١٤٣.

(٦٦٢)حلية الأولياء،(٢٥٥/٨) بدون لفظة آخرها.

(٦٦٣)غاية المرام في علم الكلام، لعلي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي، تحقيق: حسن محمـود عبـد اللطيف، ٣١١/١، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ.

ولا يختلف في هذا الأمر مذهب الماتريدية عن مـذهب الأشـاعرة فيقـول عبدالرحمن النيسابوري في الغنية: "عندنا حقيقة الإيمان هـو التصـديق بالقلـب والطاعات تسمى إيمان على سبيل التوسعة"(٦٦٤).

وقد يبدو للناظر فيما ذكرته مستخلصاً من كلام الباقلاني ـ في الأصل الأول والثاني ـ أنه وافق بعقيدته المرجئة، في أن حقيقة الإيمان هي: التصديق القلبـي والقول والعمل دليل عليه وثمرة من ثمراته.

وهذا الظاهر ليس بالبعيد فهماً ودلالة من عباراته المنقولة عنه سلفاً بنصها، والتي بين فيها أن نوع العلاقة بين اعتقاد القلب وعمل الجوارح كعلاقـة الـدليل بالمدلول(٦٦٥)، وهو ما يتفق لفظاً ومعناً مع ما ذكره الباقلاني في كتابـه التمهيـد المسمى بـ "تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل"(٦٦٦).

ولكن يعكر عليه ما بعده من تفصيل أورده الباقلاني يجب علـى المنصـف تأمله وفهمه وإزالة هذا الإشكال به، وهو ما ذكرته مستخلصاً مـن كلامـه فـي الأصل الثالث والرابع والخامس والسادس فتأمله.

وعليه فلا بد من تأول كلامه وحمله محمل الجمع لا التعارض، فأقول لعلـه قصد بحقيقة الإيمان المحصورة في التصديق الحقيقة اللغوية للإيمـان لا الحقيقـة الشرعية، والصور التي أوردها وبين فيها الحكم والاسم ومن يستحقه حقيقة ومـن يطلق عليه مجازاً، أظهر بها حقيقة الإيمان الشرعية، وبان مقصوده وزال الإشكال في عبارته، إذ لم ينف الباقلاني هنا أن يكون نطق اللسان وأعمال الجوارح مـن الإيمان الشرعي بل نص صراحة على عدم إنكاره هذا القول مستدلاً عليه بـالأثر الذي أشار إليه ولم يذكره في السياق، وإنما ذهبت لهذا الجمع لدلالة السياق عليه، ولأدلة أخرى من كلام الباقلاني في مواضع منها قوله: "ويجب أن يعلم: أن كـل

---

(٦٦٤)الغنية في أصول الدين، لأبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري المتولي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيـدر، ١٧٣/١، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٧م.

(٦٦٥) فلا جزئية بينهما إذ لا يدخل الدليل في المدلول ولا يكون جزءاً منه، بل المغايرة هي المتصورة بينهما، وهذا معلوم مخالفته لما عليه أهل السنة والجماعة، ولما عليه النصوص الشرعية المتكاثرة والمتواترة.

(٦٦٦) ونص كلامه في التمهيد قد سبق.

إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيماناً، لأن معنى الإسلام الانقياد، ومعنى الإيمـان التصديق، ويستحيل أن يكون مصدقاً غير منقاد، ولا يستحيل أن يكون منقاداً غير مصدق؛ وهذا كما يقال: كل نبي صالح، وليس كل صالح نبياً.

ويدل على صحة هذه الجملة قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ (٦٦٧)، فنفى عنهم الإيمان وأثبت أن ذلك منهم إسـلام لا إيمـان."(٦٦٨)، فهو يقول بضرورة تلازم الظاهر والباطن، وارتباطهما، وأن التصديق لا بـد أن يصحبه ويلازمه التسليم والانقياد، وهذا ما لا تقوله المرجئة الجهمية وغلاتهم من المرجئة المحضة، إذ يجعلون مجرد التصديق إيماناً ويطلقون على صاحبه مؤمناً، بل يغالي المغالي منهم ويقول إيمانه ولو لم ينقد بالعمل كإيمان الصديق أو كإيمان جبريل(٦٦٩)، وهذا ما تنكره الأشاعرة ولا تقول به.

وإذا كان التصديق المقصود في إطلاق الباقلاني ومن وافقه من الأشاعرة هو التصديق الجازم، والعلم القاطع، الذي لا يخالطه شك أو ريبة، وتظهر ثمرته على الجوارح دالة على صدق صاحبه فيما ادعاه من تصديق باطن، ولا يستقيم الإيمان ولا يصح التصديق إلاّ مع إذعان وانقياد واستسلام عز وجل فيما شرع من أمر ونهي، فيكون الخلاف بذلك لفظياً صورياً لا حقيقياً، إذا كانت العلاقة بينهما علاقة تلازم، ينعدم بها الملزوم إذا انعدم الـلازم، وهـو الـذي يظهـر مـن عبـارة التفتازاني(٦٧٠) في بيانه لمعنى التصديق ـ الذي يطلق في باب العقائد ـ: فيقول: "وليس حقيقة التصديق أن يقع في القلب نسبة الصدق إلى الخبر أو المخبر، مـن غير إذعان وقبول، بل هو إذعان وقبول بذلك، بحيث يقع عليه اسم التسليم، علـى ما صرح به الإمام الغزالي رحمه ا "(٦٧١).

(٦٦٧) سورة الحجرات من الآية: ١٤.

(٦٦٨)الإنصاف للباقلاني، صـ٥٦.

(٦٦٩) وسيأتي مزيد بيان عند ذكر مقالة المرجئة في الإيمان.

(٦٧٠) وهو ماتريدي العقيدة ويستشهد بتحقيقاته كثير ممن بعده من الأشاعرة لاستحسانهم إياها ورضاهم بها.

(٦٧١) شرح العقائد النسفية/للشيخ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢هـ تحقيق وتعليـق محمد عدنان درويش، صـ١٨٨، بدون رقم طبعة، وبدون دار.

قلت: وعليه فلا يقبل قول من قال إن التصديق الشرعي متصور مع انتفـاء عمل اللسان حال القدرة وعدم العذر المانع من النطق بهـا، وكـذلك لا يتصـور التصديق الشرعي مع انتفاء عمل الجوارح، من صلاة وصيام وزكاة وحج، وهي مباني الإسلام كما في الحديث عنه صلى ا عليه وسلم[٦٧٢].

وقريباً من هذا المعنى ما نبه عليه ابن تيمية من تلازم الظاهر والباطن:

فقال في بيانه للإيمان المطلق: "وقد بينا أن الإيمـان إذا أطلـق أدخـل ا ورسوله فيه الأعمال المأمور بها وقد يقرن به الأعمال، وذكرنا نظائر لذلك كثيرة، وذلك لأن أصل الإيمان هو ما في القلب، والأعمال الظـاهرة لازمـة، لـذلك لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح؛ بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذيفي القلب، فصار الإيمان متناولاً للملـزوم واللازم وإن كان أصله ما في القلب، وحيث عطفت عليه الأعمال فإنه أريد أنه لا يكتفي بإيمان القلب بل لابد معه من الأعمال الصالحة "[٦٧٣].

وقال أيضاً: "وإذا قام بالقلب التصديق به والمحبة له لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة والأعمال الظاهرة، فما يظهر على البـدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه ودليله ومعلوله، كما أن مـا يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضا تأثير فيما في القلب، فكل منهما يـؤثر في الآخر لكن القلب هو الأصل والبدن فرع له، والفرع يستمد من أصله والأصل يثبت ويقوى بفرعه، كما في الشجرة التي يضرب بهـا المثـل لكلمـة الإيمـان قالتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [٦٧٤] وهي كلمة التوحيد، والشجرة كلما قـوي

---

(٦٧٢)(بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا ا وأن محمدا رسول ا وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) صحيح البخاري،(١/١٢)، صحيح مسلم،(١/٤٥).

(٦٧٣)مجموع الفتاوى،(٧/١٩٨).

(٦٧٤) سورة إبراهيم الآيات: (٢٤-٢٥).

أصلها وعرق وروي قويت فروعها، وفروعها أيضا إذا اغتذت بالمطر والـريح أثر ذلك في أصلها.

وكذلك الإيمان في القلب والإسلام علانية، ولما كانـت الأقـوال والأعمـال الظاهرة لازمة ومستلزمة للأقوال والأعمال الباطنة؛ كان يستدل بها عليها كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾[٦٧٥].

فأخبر أن من كان مؤمنا با واليوم الآخر لا يوجدون مـوادين لأعـداء ا ورسوله؛ بل نفس الإيمان ينافي مودتهم، فإذا حصلت الموادة دل ذلك على خلـل الإيمان"[٦٧٦].

وقال أيضاً: "إذا عرف أن أصل الإيمان في القلب؛فاسم الإيمان تارة يطلـق على ما في القلب من الأقوال القلبية، والأعمال القلبية مـن التصـديق والمحبـة والتعظيم ونحو ذلك، وتكون الأقوال الظاهرة والأعمال لوازمه، وموجباته ودلائله، وتارة على ما في القلب والبدن... والأقوال والأعمال الظاهرة نتيجـة الأعمـال الباطنة ولازمها"[٦٧٧].

وقال: " فتبين أن الأعمال الظاهرة الصالحة لا تكون ثمرة للإيمان البـاطن ومعلولةله إلا إذا كان موجباً لها، ومقتضياً لها، وحينئذ فالموجـب لازم لموجبـه والمعلول لازم لعلته، وإذا نقصت الأعمال الظاهرة الواجبة كان ذلك لنقص ما في القلب من الإيمان، فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعـدم الأعمال الظاهرة الواجبة، بل يلزم من وجود هذا كاملاً وجود هذا كاملاً، كما يلزم من نقص هذا نقص هذا، إذ تقدير إيمان تام في القلب بلا ظاهر من قول وعمـل كتقدير موجب تام بلا موجبه، وعلة تامة بلا معلولها وهذا ممتنع"[٦٧٨].

---

(٦٧٥) سورة المجادلة من الآية: ٢٢.

(٦٧٦)مجموع الفتاوى،(٥٤١/٧ -٥٤٢).

(٦٧٧)مجموع الفتاوى،(٥٥١/٧-٥٥٢).

(٦٧٨) مجموع الفتاوى، (٥٨١/٧، ٥٨٢).

وبهذا التلازم بين الإيمان الباطن والإسلام الظاهر، والذي صرح به الباقلاني في قوله:" ويجب أن يعلم: أن كل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيماناً، لأن معنى الإسـلام الانقياد، ومعنى الإيمان التصديق، ويستحيل أن يكون مصدقاً غير منقاد"(٦٧٩).

يتقرر الاتفاق في المعنى والمضمون وإن وقع الخلاف اللفظي، وعلى هـذا يكون المعول في بيان حقيقة الإيمان الشرعية ودخول الأعمال في مسماه، وتضمن حقيقة الإيمان لها، حقيقة أو مجازاً مع التسليم بتلازم الظاهر مع الباطن، ووجـود أحدهما بوجود الآخر، ونقصه بنقصه، وفقده بفقده.

قال ابن تيمية: "إذا تبين هذا وعلم أن الإيمان الذي في القلب من التصـديق والحب وغير ذلك يستلزم الأمور الظاهرة، مـن الأقـوال الظـاهرة، والأعمـال الظاهرة، كما أن القصد التام مع القدرة يستلزم وجود المراد، وأنه يمتنـع مقـام الإيمان الواجب في القلب من غير ظهور موجب ذلك ومقتضاه زالت الشبه العلمية في هذه المسألة، ولم يبق إلا نزاع لفظيفي أن موجب الإيمان الباطن هل هو جزء منه داخل في مسماه؟ فيكون لفظ الإيمان دالاً عليه بالتضمن والعموم، أو هو لازم للإيمان ومعلول له، وثمرة له؟ فتكون دلالة الإيمان عليه بطريق اللزوم.

وحقيقة الأمر أن اسم الإيمان يستعمل تارة هكذا، وتارة هكذا، كما قد تقـدم فإذا قرن اسم الإيمان بالإسلام، أو العمل، كان دالاً على الباطن فقط، وإن أفرداسم الإيمان فقد يتناول الباطن والظاهر، وبهذا تأتلف النصوص، فقوله: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا ا ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)(٦٨٠)أفرد لفظ الإيمان فدخل فيه الباطن والظاهر وقوله في حديث جبريل:(الإيمان أن تؤمن با وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر)، ذكـره مـع قوله:(الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا ا ، وأن محمداً رسول ا ، وتقـيم الصـلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت)(٦٨١)فلما أفرده عن اسم الإسلام ذكر

---

(٦٧٩)الإنصاف للباقلاني، صـ٥٦.

(٦٨٠) ورد بهذا اللفظ في: المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (٢٠/٩).

(٦٨١)صحيح مسلم (٣٦/١)، صحيح البخاري (١٧٩٣/٤).

ما يخصه الاسمفي ذاك الحديث مجرداً عن الاقتران وفى هذا الحديث مقروناًباسم الإسلام"(٦٨٢).

وقال: "وقيل لمن قال: دخول الأعمال الظاهرة فياسم الإيمان مجاز، نزاعـك لفظي؛ فإنك إذا سلمت أن هذه لوازم الإيمان الواجب الذي في القلب وموجباته كان عدم اللازم موجباً لعدم الملزوم، فيلزم من عدم هذا الظاهر عـدم البـاطن فـإذا اعترفت بهذا كان النزاع لفظياً"(٦٨٣).

النسبة إلى جمهور المحققين: قال الكمال في حاشيته على جمع الجوامع:

"وإيضاح ذلك في أن يقال في التلفظ هل هو شرط لإجراء أحكام المـؤمنين في الدنيا من التوارث والمناكحة وغيرها، فيكون غير داخل في مسمى الإيمان، أو هو شطر منه أي جزء من مسماه؟ قال: والذي عليه جمهور المحققين الأول-(أي أن التلفظ شرط لا شطر)- وعليه فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه مـن الإقرار كان مؤمناً عند ا تعالى وهذا أوفق باللغة والعرف"(٦٨٤).

ولا بد أن يحمل هذا القول وما شابهه من الأقوال على التدقيق والتحقيق في معرفة المقصود بالجمهور، وحده، وجمهور من؟

فجمهور كل شيء بحسبه، والتحقيق في كل باب وعند كل إمام بحسبه، وكما تتبع الباحثون حكايات الإجماع وأعاروها اهتماماً بالغاً في الدراسة، فكذلك الأمـر هنا في نقل مذهب الجمهور، ومذهب المحققين، وما المراد به، وعلى ما يحمل.

إذ يعلم أن أهل التحقيق هم أقل في الاصطلاح الأصولي من جمهور العلماء، فأهل التحقيق في كل فن نخبة من عامة وجمهور علماء الفن، وهذه النسـبة هنـا ليست للمحققين بل لجمهورهم، بمعنى أن القلة من الجمهور العام وهم المحققـون، انقسموا في الرأي فذهب جمهور المحققين إلى أن الإيمان تصديق القلـب فقـط، والنطق شرط وليس بشطر، ومن المحققين من جعل النطق شطر الإيمان.

---

(٦٨٢)مجموع الفتاوى،(٥٧٥/٧، ٥٧٦).

(٦٨٣)مجموع الفتاوى،(٥٧٩/٧).

(٦٨٤) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشيخ عبد الوهاب بن أحمد علي الشعراني المصري الحنفي المتـوفى سنة ٩٧٣هـ، (٤٩٨/١)، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان.بدون طبعة ولا تاريخ.

وترجح لي أن ما حكته كتب الأشاعرة والماتريدية، وغيرهما من الفرق، مذهباً للجمهور فالمقصود بهم جمهور أهل المذهب الموافقين في الأصول والفروع، فقول العالم الأشعري ذهب الجمهور يعني جمهور الأشاعرة، ومثله قول أهل الحديث ونقلهم عن الجمهور يعني جمهور المحدثين من السلف.

ويلزم التنبيه أن النقل عن الجمهور ليس المقصود به جمهور الأمة ومجموعها؛ لأن هذا لم يكن مقصوداً لهم في التأليف والتصنيف، إذ ساروا في باب العقيدة والفرق سيرهم في باب المذاهب الفقهية، وحكاية المذهب والخلاف فيه والجمهور والإجماع والراجح، ونحوها من النقول التي تحكي المذهب الفقهي، ولم يكن التأليف في الفرق والعقائد بعيداً عن ذلك، وحيث أريد بالإجماع أو الاتفاق أو الجمهور عامة المسلمين من أهل القبلة تجد النص على ذلك، بالعبارات الصريحة الموضحة لمرادهم، وإلاّ فيحمل كلامهم ونقلهم الإجماع والجمهور والاتفاق على وجه مخصوص بالفرقة والطائفة التي ينتسب إليها المصنف.

وما ورد من أقوال أهل العلم لابد أن يحمل على هذا المحمل في الدراسة والنظر والتأمل.

وقد ترجح لي من خلال النظر أن المقصود بالجمهور من المحققين جمهور المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية ويدل عليه الآتي:

١- ما سيأتي بيانه من الأقوال المنسوبة إلى أئمة أشاعرة محققين ومدققين ومشهود بإمامتهم عند الموافق لهم والمخالف، ولم أجد من كلام المتقدمين قواعد لترجيح قول على قول في باب العقائد والأصول، كما هو الحال في باب الفقه والفروع.

٢- قول صاحب حاشية الجمل: "والحاصل أن الإيمان على هذه الطريقة التي هي طريق المتكلمين له حيثيتان النجاة في الآخرة وشرطها التصديق فقط، وإجراء أحكام الدنيا ومناطها النطق بالشهادتين مع عدم السجود لغير ا ورمي المصحف بقاذورة، وغير ذلك من الصور التي حكم الفقهاء بأنها كفر، فالنطق غير داخل في حقيقة الإيمان وإنما هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية، ومن جعله

شطراً لم يرد أنه ركن حقيقي وإلا لم يسقط عند العجز[٦٨٥] والإكراه بل إنـه دال على الحقيقة التي هي التصديق إذ لا يمكن الإطلاع عليها"[٦٨٦] ا.هـ.

فقد حكى مذهبين، وبين أن طريقة المتكلمين جارية على اعتبار أن الإيمـان هو التصديق فقط.

وعلى هذا فليتنبه للأمر ولا يغتر به، فبالبحـث والتتبـع لـبعض المسـائل والقضايا التي حكي فيها القول مذهباً للجمهور؛ فوجد أن الأمة بمجموعها وأغلبها على خلاف ما تحكيه الكتب مذهباً للجمهور، ومذهباً للمحققين، وليس الأمر بهـذا الإطلاق، بل هو مذهب قلة من المتكلمين إن نسبناهم إلى علماء الأمة بأسرها.

القول الثاني للأشـاعرة: ذهب أصحابه إلى أن حقيقـة الإيمـان الشـرعي هي:اعتقاد القلب وتصديقه مع إقرار اللسان، فجعلوا قول اللسان داخلاً في مسـمى الإيمان الشرعي، وهو ركن في حقيقته، بذهابه يذهب الإيمان ولا يوجد شرعاً.

قال البغدادي: "وكان عبد ا بن سعيد[٦٨٧] يقول: إن الإيمان هو الإقـرار با عز وجل، وبكتبه وبرسله، إذا كان ذلك عن معرفة وتصديق بالقلب، فإن خلا الإقرار عن معرفة بصحته لم يكن إيماناً"[٦٨٨].

فقد عد البغدادي الشافعي قول ابن كلاب ضمن أقوال الأشاعرة التي حكاهـا مذهباً لأهل السنة، مما يدل على تأثر المدرسة الأشعرية بابن كلاب، وقد كتبت في ذلك رسائل علمية متخصصة[٦٨٩].

---

(٦٨٥) وهذا ليس على إطلاقه: بل عد الشارع سبحانه العجز عذراً شرعياً تسقط به بعض الأركان وتصح العبادة بدونها لمن هذا حاله كمن عجز عن القيام صلى قاعداً، وصلاته صحيحة، ولم يقل أحد من الفقهاء ببطلانها.

(٦٨٦)حاشية الجمل على شرح المنهج (١٢٤/٥).

(٦٨٧) عبد ا بن سعيد هو: بن كلاب أبو محمد القطان، الفقيه البصري، لقب بابن كلاب لقـوة مناظرتـه، وبيانـه، وبلاغته، فكأنه يجذب إليه من ناظره كما يجذب الكلاب الشيء، ومن تلامذته أبو الحسـن الأشـعري، والجنيـد شـيخ الصوفية، وداود بن علي الظاهري، وأبو الحارث المحاسبي، وأبو العباس القلانسي، وغيرهم، قال الذهبي: "ولـم أقـع بوفاة بن كلاب، وقد كان باقياًقبل الأربعين ومائتين". انظر: أصول الدين للبغدادي صـ٣٠٩، وسـير أعـلام النـبلاء (١٧٤/١١، ١٧٥)، طبقات الشافعية الكبرى(٢٩٩/٢) ترجمة رقم ٦٥، لسان الميزان (٢٩٠/٣) ترجمة رقم ١٢٢٨.

(٦٨٨) أصول الدين للبغدادي صـ ٢٤٨.

(٦٨٩) كرسالة للباحثة هدى بنت ناصر بن محمد الشلالي، بعنوان " أراء الكلابيـة العقديـة وأثرهـا فـي الأشعرية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة" صـ ١٤٥، ٢٢٧، ٢٦٣، مكتبة الرشد بالرياض، بدون رقـم طبعة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

وقال ابن تيمية في سياق حكايته لمذهب مرجئة الفقهاء كحماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة: "يجعلون قول اللسان واعتقاد القلب من الإيمان، وهو قول أبي محمد بن كلاب، وأمثاله، لم يختلف قولهم في ذلك ولا نقل عنهم أنهـم قـالوا: الإيمـان مجرد تصديق القلب"(٦٩٠).

وقال البيجوري في تحفة المريد: " قوله (وقيل بل شـطر) أي وقـال قـوم محققون كالإمام أبي حنيفة، وجماعة من الأشاعرة: ليس الإقرار بالشهادتين شرطاً بل هو شطر، فيكون الإيمان عند هؤلاء اسماً لعملي القلب واللسان جميعاً، وهمـا التصديق والإقرار"(٦٩١).

وهذا هو مذهب أبي حنيفة، وعليه مرجئة الفقهاء، وعبد ا بن سـعيد بـن كلاب، وجماعة من الأشاعرة لم تذكر أسمائهم في الكتـب التـي نقلـت خـلاف الأشاعرة، وإنما اكتفى أصحابها ببيان وقوع الخلاف دون بيان اسـم المخـالف، تضعيفاً منهم لهذا القول، وتقليلاً من شأنه.

القول الثالث: ذهب أصحابه إلى أن حقيقة الإيمان هياعتقاد القلب وتصـديقه مع إقرار اللسان وعمل الجوارح.

فعلى هذا يكون العمل داخلاً في مسمى الإيمان شرعاً، وإن لم يـدخل فـي مسمى الإيمان لغةً، فالعبرة بالاستعمال الشرعي الذي نقل إليه معنى الإيمان.

وهذا هو مذهب السلف وجمع من المحدثين الأشاعرة كالنووي، والبيهقي، وأحد قولي أبي الحسن الأشعري، بل هو آخر أقواله ـ على خلاف سبق الإشارة إليه ـ، وعليه المعول في النسبة إليه.

قال أبو الحسن الأشعري وهو يعرض ماعليهأهلالحديثوالسنة: "ويقرون بأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق،...، فهـذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقـول، وإليـه

---

(٦٩٠) مجموع الفتاوى، (٥٠٨/٧).

(٦٩١) شرح جوهرة التوحيد المسماة تحفة المريد لإبراهيم بن محمد البيجوري، صـ ٤٦.

نذهب، وما توفيقنا إلا با وهو حسبنا ونعم الوكيل وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير"[٦٩٢].

وقال أبو الحسن الأشعري في الإبانة: "ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيماناً.... وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[٦٩٣].

قال الإمام النووي: "وأما إطلاق اسم الإيمان على الأعمال فمتفق عليه عند أهل الحق، ودلائله في الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تشهر، قال ا تعالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ [٦٩٤]، أجمعوا على أن المراد صلاتكم وأما الأحاديث فستمر بك في هذا الكتاب[٦٩٥] منها جمل مستكثرات وا أعلم.

واتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك، ونطق بالشهادتين، فإن اقتصر على أحداهما لم يكن من أهل القبلة أصلاًإلاّإذا عجز عن النطق لخلل في لسانه، أو لعدم التمكن منه لمعاجلة المنية، أو لغير ذلك فإنه يكون مؤمناً"[٦٩٦].

قال في مرقاة المفاتيح:" وأغرب النووي حيث قال الحديث نص في إطلاق اسم الإيمان الشرعي على الأعمال وتعقبه ابن حجر وقال: تمسك به القائلون بأن الإيمان فعل جميع الطاعات والقائلون بأنه مركب من الإقرار والتصديق والعمل، وليس كما زعموا لأن الكلام في شعب الإيمان لا في ذاته؛ إذ التقدير " شعب

---

(٦٩٢) مقالات الإسلاميين صـ٢٩٣ .

(٦٩٣)(١/٢٠ ـ ٢١). الإبانة، الأشعري، دار الخلفاء(١/٢٠-٢١).

(٦٩٤) سورة البقرة من الآية: ١٤٣.

(٦٩٥) الكتاب المشار إليه هو كتابه المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.

(٦٩٦)شرح النووي على مسلم (١٤٩/١).

الإيمان " حتى يصح الإخبار عنه بسبعين شعبة إذ يرجع حاصله في الحقيقة إلى أن شعب الإيمان كذا وشعب الشيء غيره"[٦٩٧] ا.هـ.

قلت: ومعلوم من لفظ الإغراب الذي نسبه علي القاري للنووي أنه تعقب لما ذهب إليه النووي وإنكار له، وعدم رضى به، وجعل موافقته لأهل الحديث أمراً مستغرباً، وفي هذا انتصار لمذهب متكلمي الأشاعرة ومن وافقهم، ممن لا يرى دخول العمل في مسمى الإيمان، وهذا الذي يستغرب ممن له انشغال بعلم الحديث ويميل عن مذهب أهل الحديث من الأشاعرة أنفسهم كالنووي والبيهقي وغيرهما.

قال البيهقي: " باب القول في الإيمان: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٦٩٨].

فأخبر أن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال التي بعضها يقع بالقلب وبعضها في باللسان، وبعضها بهما وسائر البدن، وبعضها بهما أو بأحدهما وبالمال، وفيما ذكر الله في هذه الأعمال تنبيه على ما لم يذكره.

وأخبر بزيادة إيمانهم بتلاوة آياته عليهم، وفي كل ذلك دلالة على أن هذه الأعمال وما نبه بها عليه من جوامع الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وإذا قبل الزيادة قبل النقصان.

وبهذه الآية وما في معناها من الكتاب والسنةذهب أكثر أصحاب الحديث إلى أن اسم الإيمان يجمع الطاعات فرضهاونفلها وأنها على ثلاثة أقسام:

١- فقسم يكفر بتركه وهو اعتقاد ما يجب اعتقاده والإقرار بما اعتقده.

٢- وقسم يفسق بتركه أو يعصي، ولا يكفر به إذا لم يجحده وهومفروضالطاعاتكالصلاةوالزكاةوالصياموالحجواجتنابالمحارم.

٣- وقسميكونبتركهمخطئاًللأفضلغيرفاسقولاكافر، وهومايكونمنالعباداتتطوعاً.

---

(٦٩٧)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، (١٣٦/١)، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٦٩٨) سورة الأنفال الآية:٢.

واختلفوا في كيفية تسمية جميع ذلك إيماناً، منهم من قال جميع ذلك إيمان بالله تبارك وتعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الإيمان في اللغة هو التصديق وكل طاعة تصديق؛ لأن أحداً لا يطيع من يثبته ولا يثبت أمره.

ومنهم من قال الاعتقاد دون الإقرار إيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبسائر الطاعات إيمان لله ورسوله.

فيكون التصديق به، وإثباته والاعتراف بوجوده، والتصديق له، وقبول شرائعه واتباع فرائضه، على أنها صواب وحكمة وعدل، وكذلك التصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم والتصديق له".

ثم ساق البيهقي جملة من الأدلة النقلية على أن الإيمان الشرعي يتناول الأعمال منها:

حديث ابن عباس قال: (قيل للنبي صلى الله عليه وسلم أرأيت الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (٦٩٩))(٧٠٠).

وقال البيهقي: " وفي هذا دلالة على أنه سمى صلاتهم إلى بيت المقدس إيماناً فإذا ثبت ذلك في الصلاة ثبت ذلك في سائر الطاعات.

وقد سمى رسول ا صلى ا عليه وسلم الطهور إيماناً فقال في حديث أبي مالك الأشعري: (الطهور شطر الإيمان)(٧٠١).

وسمى في حديث وفد عبد القيس كلمتي الشهادة، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج البيت، وإعطاء الخمس إيماناً.

وساق بسنده إلى ابن عباس قال: قدم وفد عبد القيس على النبي صلى ا عليه وسلم فقال: (مرحبا بالوفد غير الخزايا، قالوا: يا رسول ا إن بيننا وبينك كفار مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر نعمل به، وندعو إليه من وراءنا، قال: آمركم بالإيمان. تدرون ما الإيمان؟ شهادة أن لا إله إلا ا

---

(٦٩٩) سورة البقرة من الآية:١٤٣.

(٧٠٠)شعب الإيمان،(٣٣/٣) حديث رقم ٢٧٩٢.

(٧٠١)صحيح مسلم،(٢٠٣/١) حديث رقم ٢٢٣، مسند أحمد بن حنبل،(٣٤٢/٥) حديث رقم ٢٢٩٥٣.

وأن محمداً رسول ا ، وأن تقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتصـوموا رمضـان، وتحجوا البيت، قال: وأحسبه قال وتعطوا الخمس منالغنائم)[٧٠٢].

وسمى شعب الدين كلها إيماناً، في حديث أبي هريرة رضي ا عنهقال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: (الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شـعبة أفضلها شهادة أن لا إله إلا ا ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شـعبة من الإيمان).ا.هـ[٧٠٣].

وفيما نقله البيهقي عن الحليمي[٧٠٤] قوله: "ثم إن التصديق الذي هو معنى الإيمان با وبرسوله منقسم: فيكون منه ما يخفى وينكتم وهو الواقع منه بالقلـب، ويسمى اعتقاداً، ويكون منه ما ينجلي ويظهر وهو الواقع باللسان، ويسمى إقـراراً وشهادة.

وكذلك الإيمان ولرسوله ينقسم إلى جلي وخفي: والخفي منه: هو النيـات والعزائم، التي لا تجوز العبادات إلا بها، واعتقاد الواجب واجباً، والمبـاح مباحـاً والرخصة رخصةً، والمحظور محظوراً، والعبادة عبادةً، والحد حداً، ونحو ذلك.

والجلي منها: ما يقام بالجوارح إقامة ظاهرة، وهو عدة أمور:

منها: الطهارة، ومنها: الصلاة، ومنها: الزكاة، ومنها: الصيام، ومنها: الحج والعمرة، ومنها: الجهاد في سبيل ا ، وأمور سواها"[٧٠٥].

ومن خلال هذه النقول عن الأشاعرة يظهر بجلاء أنهم لم يتفقوا في تعريـف الإيمان وبيان حقيقته ومسماه؛ ولعل سبب الخلاف راجع إلى تطور في المـذهب

---

(٧٠٢) ورد بهذا اللفظ في: سنن البيهقي الكبرى،(١٩٩/٤)حديث رقم ٧٦٨٢.

(٧٠٣) انظر: الاعتقاد باختصار يسير (١٧٤/١- ١٧٨).

(٧٠٤) الحليمي: هو أبو عبد ا الحسين بن محمد بن حليم، المعروف بالحليمي، قال فيه الحاكم: كان شـيخ الشافعيين بما وراء النهر وآدبهم، وأنظرهم بعد أستاذيه القفال الشاشي والأودني، من أصحاب الوجـوه فـي المذهب ومن مصنفاته " شعب الإيمان " مات سنة ٤٠٣هـ.انظر: طبقات الشافعية لجمال الدين عبد الـرحيم الاسنوي صـ ١٣١، ترجمة رقم ٣٦٤،دار الفكر الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، وسير أعلام النـبلاء (٢٣١/١٧-٢٣٤) ترجمة رقم ١٣٨.طبقات الشافعية الكبرى (٣٣٣/٤) ترجمة رقم٣٨٨.

(٧٠٥)شعب الإيمان، بابحقيقةالإيمان،(٣٥/١).

يتفق مع الأطوار التي مر بها شيخ الأشاعرة وإليه ينتسب المتأخرون منهم، فمن اعتمد أقوال أبي الحسن في فترة تأثره بالكلام قال بقوله الموافق لعلماء الكلام[٧٠٦]، ومن اعتمد قوله الذي انتهى إليه مذهبه في الإبانة، قال بقوله الموافق لأهل السنة والجماعة من المحدثين، والسلف السابقين، وهذا هو الأوفق في الاختيار عند النسبة لإمام له أكثر من قول وأكثر من نقل، إذ ينظر إلى المتأخر من أقواله وتنسب إليه، ويكون ذلك بمثابة تراجع ضمني عما كان عليه في سالف أيامه، وحرره في السابق من مؤلفاته، كيف وقد صرح أبو الحسن الأشعري بأنه قد رجع عن طريقته إلى طريقة الإمام أحمد بن حنبل، فالتصريح يغني عن التلميح، والمنطوق من قوله يغني عن الأخذ بالدلالة التضمنية لرفع التعارض بين أقوال المجتهد المنسوبة إليه والثابتة عنه، وعلى من رام الحق أن يتنبه لهذا الأمر.

---

(٧٠٦) وهو أن الإيمان مجرد تصديق القلب فقط.

المطلب الثاني

معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند الماتريدية

مذهب الماتريدية في الإيمان وحقيقته:

لعل الماتريدية في الإيمان لا يتفقون مع الأشاعرة اتفاقاً كاملاً[٧٠٧]، ولكنهم في نفس الوقت لا يختلفون عنهم كثيراً، ويرى بعض الدارسين أن الماتريدية كان لها أثرها على الأشعرية، وهذا لا يستقيم لأسباب منها:

بعد مواطن الفرقتين عن بعضهما، فانتشار الأشعرية في المشرق العربي، والماتريدية في بلاد ما وراء النهر، ولم يجتمع أبو منصور الماتريدي بأبي الحسن الأشعري بصورة مباشرة ولا غير مباشرة، عبر شيوخهما مثلاً، ولم تذكر المصادر التي ترجمت لهما أنهما يلتقيان في بعض الشيوخ، ويغلب على الظن أنه لم يعرف أي واحد منهما عن الآخر شيئاً، فكل واحد منهما لم يذكر عن الآخر شيئاً في كتبه التي وصلت إلينا ووقفنا عليها، ولا يخفى أن الأشعري اعتنى بأقوال الفرق والطوائف في كتابه المقالات وليس فيه حتى مجرد إشارة، فلذلك يبدو أن سبب التقارب في مواضعه هو المنحى الكلامي في إثبات العقيدة، وقد اختلفت أراء الباحثين في هذه المسألة على أقوال:

القول الأول: ويرى أصحابه أن سبب التقارب هو التقاء الفريقين أو الإمامين على خصم مشترك وهم المعتزلة، فكان لاتحاد الخصم أثره في تقارب النتائج في مجمل أبواب العقيدة، ومن جملتها باب الإيمان[٧٠٨].

---

(٧٠٧) وعلى سبيل المثال للاختلاف بينهما: الماتريدية يرون وجوب الإيمان بالعقل، ولا يرون زيادة الإيمان ونقصانه. ويحرمون الاستثناء فيه ومن قال آمنت با   إن شاء ا   فهو كافر لأنه شاك في إيمانه. والإسلام والإيمان واحد "وممن قاله أبو بكر محمد الفضلي الكماري البخاري". بينما يرى الأشاعرة وجوب الإيمان بالشرع. والإيمان يزيد وينقص ويجوز الاستثناء فيه. ولا يرونه والإسلام شيئًا واحدا وإنما أحدهما مغاير للآخر. نظم الفرائد صـ٣٩ و٤٨ والروضة البهية صـ٦.

(٧٠٨) انظر: ما كتبه أبو زهرة في تاريخ المذاهب الإسلامية صـ ١٧٦، دار الفكر العربي، بدون رقم طبعة، ١٩٨٧م.

القول الثـاني: ويرى أصحابه أن توسط الأشاعرة والماتريدية في منهجيتهما بين العقل والنقل هو الذي سبب هذا التقارب(٧٠٩).

القول الثالث: ويرى أصحابه أن الماتريدية انبثقت مـن الكلابيـة وكـذلك الأشاعرة، ويرجع ذلك لانتشار المذهب الكلابي في بلاد ما وراء النهـر، وهـي البلاد التي عاش وتوفي فيها الماتريدي، ولما رجع الأشعري عن مذهب المعتزلـة سلك طريقة ابن كلاب وأصحابه في بادئ الأمر.

قال الشهرستاني: "حتى انتهى الزمان إلى عبد ا بن سعيد الكلابي، وأبـي العباس القلانسي، والحارث المحاسبي،...، حتى جرى بين أبي الحسن الأشـعري وبين أستاذه[الجبائي] مناظرة في مسألة من مسائل الصلاح والأصلح فتخاصـما، وانحاز الأشعري إلى هذه الطائفة، فأيد مقالتهم بمناهج كلامية..."(٧١٠).

ويمكن التطرق للإيمان عند الماتريدية ليتبين ما قلناه من توافق واخـتلاف بين المدرستين:

فقد اختلفت الماتريدية في حقيقة الإيمان الشرعية على قولين(٧١١):

القول الأول: أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقـط. وهـو المنسـوب إلـى جمهورهم والمحققين منهم.

القول الثاني: أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان.

---

(٧٠٩) انظر: ما كتبه د/على عبد الفتاح المغربي في كتابه " إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية ٤٢٤، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

(٧١٠) الملل والنحل (٩١/١)، وانظر: رسالة عبد الرحمن بن صالح المحمود " موقـف ابـن تيميـة مـن الأشاعرة " (٣٩٤/١-٤٠٩)، ورسالة هدى بنت ناصر بن محمد الشلالي (١٤٥، ٢٢٧، ٢٦٣)، ورسالة أحمد بن عوض اللهيبي الحربي " الماتريدية دراسة وتقويم "، (٤٩١-٤٩٣)، دار العاصمة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى،١٤١٣هـ.

(٧١١) لم أر فيما اطلعت عليه من أقوال الماتريدية أو مما نقل عنهم سوى قولين اثنين، وممن حكى انحصار مذهبهم في هذين القولين أحمد بن عوض ا بن داخل اللهيبي الحربي، في رسالته الموسومة بـ (الماتريديـة دراسة وتقويماً)، صـ ٤٥٣.

ومن خلال النقول المأخوذة عن أئمتهم يعرف مذهبهم:

قال الإمام أبو اليسر محمد البزدوي ت: ٤٩٣هـ، في كتابه أصول الدين، قال: أهل السنة والجماعة(٧١٢)، الإيمان هو التصديق في اللغة بلا ريب.

قال الله تعالى: "وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ"(٧١٣)، أي ما أنت بمصدق لنا.

ولما كان الإيمان تصديقاً في اللغة يجب أن يكون تصديقا في الشريعة، وهو التصديق بالقلب والتصديق باللسان، وهو الاعتقاد بالقلب، فإن الله تعالى هو المستحق للألوهية ولا إله سواه: "فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"(٧١٤).

نعتقد تعظيمه ونعتقد جميع صفاته، ونصدق الأنبياء عليهم السلام فيما جاؤا به من عند الله بالقلب، ونعتقد جميع أركان الإسلام ونُقر بذلك كله، فكان الإيمان: إقراراً باللسان واعتقاداً بالقلب. وهو تصديق كله... **وقال الشافعي وبعض أهل الحديث**: الطاعات من الإيمان حتى قالوا: الإيمان قول وعمل، ولكن مع هذا

---

(٧١٢) يقصد بهم الماتريدية، إذ أنه يحكي مذهب الشافعي وأهل الحديث كمذهب مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة، ويعرف ذلك من مواضع في كتابه أصول الدين منها حديثه عن مسألة القول في زيادة الإيمان ونقصانه، قال:

مسألة: القول في زيادة الإيمان ونقصانه:

الإيمان لا يزيد ولا ينقص عند أهل السنة والجماعة.

وقال أصحاب الحديث والشافعي: إنه يزيد وينقص.

وقال الحسين النجار: إنه يزيد ولا ينقص.

وهذا الاختلاف في الذات، أما في الصفات فإنه يزيد وينقص... وأصحاب الحديث يجعلون العبادات من الإيمان، فيتصور الزيادة والنقصان عندهم ونحن لا نجعله إلا تبعاً، وبفوت التبع لا ينتقص ذات الشيء، كفوت القرن من الشاة والثور والظبي، إنما ينقص بفوت بعضه، وهم أخطأوا فيما قالوا... فقول الحسين أقرب إلى الصواب، ونحن نقول: إنه يزداد وصفاً بالعبادات، لا ذاتاً، وكذا يزداد بمعاني أخر صفة لا ذاتاً " صـ١٥٦.

قلت: فيعلم من هذا النقل مراده بإطلاق أهل السنة والجماعة على مذهبه ومذهب شيخه أبي منصور الماتريدي.

(٧١٣) سورة يوسف الآية: ١٧.

(٧١٤) سورة الشورى الآية: ١١.

صححوا الإيمان بدون الطاعات ولم يكفروا أحداً بترك الطاعات، فكأنهم قالوا إنها من الإيمان تبعاً، وأهل السنة والجماعة قالوا ذلك أيضاً"[٧١٥].

وفي عبارة البزدوي ما يشعر بأن الشافعي ومن وافقه من أهـل الحـديث؛ ليسوا من أهل السنة والجماعة، وهذا بحسـب مفهومـه الخـاص لأهـل السـنة والجماعة، المفهوم الحصري عليه وعلى من وافق مذهبه ومشايخه.

ولا يخفى على المتخصص أن في حكاية البزدوي لمـذهب أهـل الحـديث نظراً:

إذ جعل القول بأن الطاعات من الإيمان قول الشافعي وبعض أهل الحـديث، وهذا التبعيض غير صحيح؛ بل هذا قول ومذهب عامة أهل الحديث، وقد سبق نقل مذهبهم مستفضياً.

وفي قوله حكاية عن مذهبهم: "قالوا: الإيمان قول وعمل، ولكـن مـع هـذا صححوا الإيمان بدون الطاعات، ولم يكفروا أحداً بترك الطاعات".

وليس الأمر كما أطلقه في عبارته بل فيه تفصيل وتفصيل - غـاب عنـه رحمه ا - إذ صححوا الإيمان الحكمي في الدنيا بدون طاعات إذا أظهـر مـن القول ما يوجب إسلامه، ولم يكفروا أحداً بترك الطاعات إن كان تركها عجزاً عن أدائها أو جهلاً بها، أو نحو ذلك من الأعذار المعتبرة شرعاً، ومعلوم قول طائفـة من العلماء بكفر تارك الصلاة وهي إحدى الطاعات، وكذلك الزكاة، على خـلاف في المسألتين وتفصيل بين الترك جحوداً أو تكاسلاً أو مطلقاً دون الحاجـة إلـى التفريق، و ليس هذا موضع بسط المسألة والترجيح فيها، ولكن لزم التنبيه علـى قول البزدوي بما يزول معه الإيهام.

وقال البزدوي في بيانه لمسألة الإيمان والإسلام وعلاقة كل منهما بالآخر: "قال أهل السنة والجماعة: الإيمان لا ينفصل عن الإسلام، والإسلام عن الإيمـان،

---

[٧١٥] أصول الدين، لأبي اليسر محمد البزدوي، تحقيق د/هانز بيترلنس، ضبطه وعلق عليه د/أحمد حجـازي السقا، صـ١٤٨ الأزهرية للتراث، بدون رقم، طبعة ١٤٢٢هـ.

ومن كان مؤمناً كان مسلماً ومن كان مسلماً كان مؤمناً، وإن كان الإيمـان غيـر الإسلام لغةً، كالبطن لا تتصور بدون ظهر والظهر بدون بطن.

وإن كانا غيرين، فإن الإيمان هو التصديق، والإسلام: هو الانقياد، فمن كان مصدقاً ا تعالى ورسوله كان مسلماً منقاداً تعالى ولرسوله، ومن كان منقاداً له ولرسوله كان مصدقاً"[716].

وقال أبو البركات النسفي[717](ت: ٧١٠هـ): "والإيمان الصـحيح أن يقـر باللسان، ويصدق بالجنان، والعمل ليس بداخل في الإيمان"[718].

وقال التفتازاني[719] (ت: ٧٩٢هـ): "وإذا عرفت حقيقةً معنـى التصـديق فاعلم أن الإيمان في الشرع هو:" التصديق بما جاء النبي صلى ا عليه وسلم بـه من عند ا "([720]).

أي تصديق النبي صلى ا عليه وسلم بالقلب في جميع ما علم بالضـرورة مجيئه به من عند ا إجمالاً، وأنه كاف في الخروج من عهدة الإيمان، ولا ينحط

---

(٧١٦) أصول الدين للبزودي مسألة رقم ٤١ صـ ١٥٦.

(٧١٧) أبو البركات النسفي هو: عبدا بن أحمد بن محمود، حافظ الدين أبو البركات النسفي، أحـد الزهـاد المتأخرين، صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والأصول، من مؤلفاته: "المستصفى" و"شرح المنافع" و"الكافي في شرح الوافي" و"كنز الدقائق"، توفي ليلة الجمعة، سنة ٧٠١هـ، ودفن في بلدة أيـدج. انظـر: الجـواهر المضية في طبقات الحنفية (٢٧٠/١-٢٧١)، ترجمة رقم ٧١٩. وطبقات المفسـرين للـداوودي (٣٣٦/١)، ترجمة رقم ٣١٧.

(٧١٨) تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبدا بـن أحمـد بـن محمـود النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، مراجعة: محيي الدين ديب مستو، (٤١/١)، دار الكلم الطيب، بيـروت، الطبعة الاولى: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٧١٩) التفتازاني هو: مسعود بن القاضي فخر الدين عمر بن المولى الاعظم برهان الدين عبدا ، ابن الإمام شمس الحق القاري، سعد الملة والدين والتفتازاني الهروي الخراساني، فقيه حنفي، أديب يعرف بسعد الـدين التفتازاني، ولد عام ٧١٢هـ في قرية تفتازان وهي قريته من نسافي خرسان، رحل لطلب العلم إلى دمشـق، واشتهر بغزارة علومه وتنوع مؤلفاته في العربية، والمنطق، والنحو والتصريف والفقه، وأصوله، والكالم ومن مصنفاته التلويح إلى كشف حقائق التنقيح في أصول الفقه، وكتاب المقاصد وشرحه في علوم الكلام وغيرهـا انظر: شذرات الذهب (٣١٩/٦)، والأعلام (٢١٩/٧).

(٧٢٠) شرح العقائد النسفية صـ١٨٩.

درجته عن الإيمان التفصيلي، فالمشرك المصدق بوجود الصانع وصفاته لا يكون مؤمناً إلا بحسب اللغة دون الشرع لإخلاله بالتوحيد.

وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (٧٢١).

"والإقرار به" أي باللسان، إلاّ أن التصديق ركن لا يحتمل السقوط أصلاً، والإقرار مذهب بعض العلماء، وهو اختيار الإمام شمس الأئمة(٧٢٢)، وفخر الإسلام(٧٢٣)، وفي حكاية التفتازاني للقول الثاني في مذهب الماتريدية يقول:

وذهب جمهور المحققين إلى أنه التصديق بالقلب وإنما الإقرار شرط لإجراء الأحكام في الدنيا؛ لما أن التصديق بالقلب أمر باطن لابد له من علامة، فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند ا وإن لم يكن مؤمناً في أحكام الدنيا، ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فبالعكس، وهذا هو اختيار الشيخ أبي منصور، والنصوص معاضدة لذلك" (٧٢٤).

ومقصوده بجمهور المحققين أي في المذهب الماتريدي، وغالباً ما يكون مقصوده به مذهب المتكلمين، وفي هذا النقل ما يدل على خلاف الماتريدية في مسمى وحقيقة الإيمان الشرعي على القولين الذين سبق ذكرهما أول هذا المطلب.

وهنا لا بد من تحقيق مسألة مهمة وتحرير محل النزاع فيها لبيان هل الخلاف فيها حقيقي أو لفظي؟

---

(٧٢١) سورة يوسف الآية: ١٠٦.

(٧٢٢) شمس الأئمة هو: السرخسي محمد بن أحمد بن أبي سهيل أبو بكر شمس الأئمة أحد الائمة الكبار، كان إماماً، علامة، متكلماً، فقهياً، أصولياً، توفي سنة ٤٨٢هـ. صاحب المبسوط. انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، (٢٨/٢)، ترجمة رقم٨٥.

(٧٢٣) فخر الإسلام هو: علي بن محمد عبدالكريم بن موسى البزدوي، هو الإمام الكبير نسبه إلى بزده وهي قلعة حصينة على ستة فراسخ من نسف، وهو أخو صدر الإسلام البزودي تلميذ عمر النسفي، وحفيد عبدالكريم البزدوي، ويقال ابن حفيده، له شرح الجامع الكبير، وشرح الجامع الصغير، وكتاب في أصول الفقه مشهور بأصول البزدوي، ولد سنة ٤٠٠هـ وتوفي سنة ٤٨٢هـ، ودفن بسمر قند، انظر: ترجمته في تاج التراجم ٣٠-٣١، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٣٧٢/١) ترجمة رقم ١٠٢٤، تاريخ الإسلام،(٩٣/٣٣).

(٧٢٤) شرح العقائد النسفية، ص١٨٩، ١٩٠.

وهي مسألة التصديق وحقيقته عند القائلين به في بيان الإيمان الشرعي

والذي يظهر من عبارة التفتازاني[٧٢٥] في بيانه لمعنى التصديق ـ ـ الـذي يطلق في باب العقائد ـ: فيقول: "وليس حقيقة التصديق أن يقع في القلـب نسـبة الصدق إلى الخبر أو المخبر، من غير إذعان وقبول، بل هو إذعان وقبول بـذلك، بحيث يقع عليه اسم التسليم، على ما صرح به الإمام الغزالي رحمه ا "[٧٢٦].

فيعلم من عبارته هذه أنه ليس كل من علم بصدق النبي صلى ا عليه وسلم، يصير بذلك العلم مؤمناً، إذ لابد وأن يظهر من عمله ما يدل على تصديقه الباطن:

قلت: وعليه فلا يقبل قول من قال بأن التصديق الشرعي متصور مع انتفـاء عمل اللسان حال القدرة وعدم العذر المانع من النطق بهـا، وكـذلك لا يتصـور التصديق الشرعي مع انتفاء عمل الجوارح، من صلاة وصيام وزكاة وحج، وهي مباني الإسلام كما في الحديث عنه صلى ا عليه وسلم[٧٢٧].

قال القاري في مرقاة المفاتيح:"قد سبق في أول الكتاب[٧٢٨] ما هـو فصـل الخطاب في هذا الباب، من أن القول الصواب هو أن الأعمال ليست مـن أصـل الإيمان بل من كماله، وأن حقيقة الإيمان وهو التصـديق، غيـر قابـل للزيـادة والنقصان نعم قد يحصل له قوة بحسب معرفة الدليل وضعف بفقـده وقـد يثمـر ثمرته من ظهور الطاعات وقد لا يثمر فيقع صـاحبه فـي السـيئات وا أعلـم بالحالات والمقامات"[٧٢٩].

([٧٢٥]) وهو ماتريدي العقيدة ويستشهد بتحقيقاته كثير ممن بعده من الأشاعرة لاستحسانهم إياها ورضاهم بها.

([٧٢٦]) شرح العقائد النسفية ١٨٨.

(٧٢٧)من حديث ابن عمر رضي ا عنهما قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم (بني الإسلام علـى خمـس شهادة أن لا إله إلا ا وأن محمدا رسول ا وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) رواه البخاري في صحيحه، بابالإيمانوقولالنبيصلىاللهعليهوسلم (بنيالإسلامعلىخمس) (١٢/١) حديث رقم ٨، ومسلم في صـحيحه، بابيبانأركانالإسلامودعائمهالعظام (٤٥/١) حديث رقم ١٦، ورواه غيرهما.

(٧٢٨) الكتاب المشار إليه هنا هو شرح القاري على مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي، المسـمى مرقـاة المفاتيح لمشكاة المصابيح.

(٧٢٩) (٥٥/٩).

فالإيمان مجرد التصديق، ولا يزيد ولا ينقص، بل يقوى ويضعف[٧٣٠]، وله ثمار من الطاعات، وإذا لم يثمر وقع المكلف في السيئات.

ويقول في موضع آخر من المرقاة: "فإن حقيقة الإيمان وهو التصديق ليس قابلاً للزيادة والنقصان، فقول الطيبي فيه إشعار بأن الإيمان قابل للزيادة والنقصان؛ صدر من غير شعور بحقيقة الإيقان والإتقان، فإن الإيمان لا يتجزأ إلاّ باعتبار تعدد المؤمن به، ولا شك أن الإيمان ببعض ما يجب الإيمان به كلاً إيمان، نعم له شعب كثيرة خارجة عن حقيقته وماهيته، كالصلاة والزكاة وسائر أحكام الإسلام الظاهرة، وكالتواضع والتراحم وسائر الأخلاق الباطنة الباهرة، ومنه الحديث:(الإيمان بضع وسبعون شعبة)[٧٣١] ويدل على ما ذكرناه قوله: (والحياء شعبة من الإيمان)[٧٣٢]، فإن الإجماع على أنه غير داخل في مفهوم الإيمان[٧٣٣]"[٧٣٤].

فهذه العبارات واضحة في بيان مقصوده بأن الإيمان حقيقة هو التصديق القلبي، مع نفي دخول عمل الجوارح في الإيمان إلاّ على وجه الكمال، ولم يتطرق للإقرار باللسان ودخوله في مسمى الإيمان وحقيقته الشرعية أو عدم دخوله، ولكنه أورد عبارة تشبه كون الإقرار باللسان عنده داخل في مسمى الإيمان وحقيقته الشرعية وهي قوله: "لأن حقيقة الإيمان الذي هو التصديق الخاص قلبي، وكذا إقرار المقر لساني لا يدخلها التجزيء والتبعيض، ولا الزيادة ولا النقصان **على ما**

---

(٧٣٠) ولا يظهر لي فارق أساس بين القوة والضعف من جهة والزيادة والقوة من جهة أخرى، ويكون الخلاف لفظياً بهذا التقدير والله أعلم.

(٧٣١) سبق تخريجه.

(٧٣٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب أمور الإيمان (١٢/١) حديث رقم ٩، ومسلم في صحيحه باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان (٦٣/١) حديث رقم ٣٥.

(٧٣٣) قلت: هذا الإجماع الذي يحكيه القاري عمن يحكيه؟ لا شك أن ما ذهب إليه دعوى عريضة بلا برهان منه ولا مستند، خاصة والخلاف مشهور واضح في دخول العمل في مسمى الإيمان، سواء عمل القلب أو عمل الجوارح.

(٧٣٤) مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح (٢٩٤/٩).

عليه المحققون، وحملوا ما قاله غيرهم على الاختلاف اللفظي والنزاع الصوري. كيف يكون نزاعاً لفظياً؟"[٧٣٥].

قال الكاساني[٧٣٦]**:** في التفريق بين صحة إيمان المكره، وعدم صحة كفره حال الإكراه مع اطمئنان القلب:" والفرق بينهما من وجهين: أحدهما أن الإيمان في الحقيقة تصديق، والكفر في الحقيقة تكذيب، وكل ذلك عمل القلب.

والإكراه لايعمل على القلب، فإن كان مصدقاً بقلبه كان مؤمناً؛ لوجود حقيقة الإيمان؛ وإن كان مكذباً بقلبه كان كافراً لوجود حقيقة الكفر، إلا أن عبارة اللسانجعلت دليلاً على التصديق والتكذيب ظاهراً حالة الطوع، وقد بطلت هذه الدلالة بالإكراه فبقي الإيمان منه والكفر محتملاً"[٧٣٧].

قال ابن عابدين: "قوله: "هو تصديق الخ" معنى التصديق: قبول القلب وإذعانه لما علم بالضرورة أنه من دين محمد؛ بحيث تعلمه العامة من غير افتقار إلى نظر واستدلال كالوحدانية والنبوة والبعث والجزاء ووجوب الصلاة والزكاة وحرمة الخمر ونحوها".اهـ[٧٣٨].

قوله:"وهل هو فقط" أي: وهل الإيمان التصديق فقط، وهو المختار عند جمهور الأشاعرة، وبه قال الماتريدي.

قوله: "أو مع الإقرار" قال في المسايرة: وهو منقول عن أبي حنيفة، ومشهور عن أصحابه، وبعض المحققين من الأشاعرة...

قلت: وقد حقق في المسايرة أنه لا بد في حقيقة الإيمان من عدم - ظهور - ما يدل على الاستخفاف من قول أو فعل ويأتي بيانه.

---

(٧٣٥)مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح (٢٣٦/١٠).

(٧٣٦) الكاساني هو: أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، علاء الدين، فقيه حنفي من أهل حلب، له مصنفات منها، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، والسلطان المبين في أصول الدين، الجواهر المضية (٢٤٤/٢)، الأعلام (٧٠/٢).

(٧٣٧)بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني، (١٧٨/٧)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٢هـ.

(٧٣٨) نقله بن عابدين عن شرح المسايرة، بحسب إحالته.

قوله:"والإقرار شرط" هو من تتمة القول الأول.

أما على القول الثاني **فهو شطر لأنه جزء من ماهية** الإيمان، فلا يكون بدونه مؤمناً لا عند الله تعالى ولا في أحكام الدنيا، لكن بشرط أن يدرك زمناً يتمكن فيه من الإقرار؛ وإلا فيكفيه التصديق اتفاقاً، كما ذكره التفتازاني في شرح العقائد..... قال في شرح المسايرة" واتفق القائلون بعدم اعتبار الإقرار على أنه يلزم المصدق أنه يعتقد أنه متى طولب به أتى به، فإن طولب به فلم يقر به فهو أي كفه عن الإقرار كفر عناد، وهذا ما قالوا إن ترك العناد شرط وفسروه به أي فسروا ترك العناد بأن يعتقد أنه متى طولب بالإقرار أتى به".ا.هـ.

أقول الظاهر أن المراد بالاشتراط المذكور نفي اعتقاد عدمه أي لا يعتقد أنه متى طولب به لا يقر وفي شرح المقاصد وشرح التحرير ما يفيده ونصه: ثم الخلاف فيما إذا كان قادراً وترك التكلم لا على وجه الإباء إذ العاجز كالأخرس مؤمن اتفاقاً، والمصر على عدم الإقرار مع المطالبة به كافر وفاقاً؛ لكون ذلك من أمارات عدم التصديق ولهذا أطبقوا على كفر أبي طالب".ا.هـ.

فظهر أن خالي الذهن لو أتى به عند المطالبة مؤمن؛ لعدم الإصرار على عدم الإقرار، ومن اعتقد عدم الإتيان به عندها ليس مؤمناً فلو أتى به عندها كان ذلك إيماناً مستأنفاً هذا ما ظهر لي"[٧٣٩].

قال كمال الدين السيواسي[٧٤٠]: "فلو ارتد بعد البلوغ أجبر على الإسلام بالحبس لا بالقتل بخلاف المسلم بالغاً. وعند احمد ومالك يقتل إن لم يعد إلى الإسلام.

---

[٧٣٩] حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار لابن عابدين، باب المرتد، (٢٢١/٤، ٢٢٢).

(٧٤٠) كمال السيواسي هو: محمد بن عبدالواحد بن عبدالحميد السيواسي، الفقيه الحنفي الأصولي المتكلم النحوي، ولد سنة تسعين وسبعمائة، ونشأ في بيت علم وفضل، حفظ القرآن وهو صغير وجد في طلب العلم حتى برع في المنقول والمعقول، ومن مصنفاته: كتاب: "التحرير" في أصول الفقه، وكتاب "فتح القدير وزاد الفقير" في الفقه، وكتاب: "المسيارة" في التوحيد، توفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وستين وثمانمائة. انظر: الفتح المبين في طبقات الأصوليين للشيخ/ عبدالله مصطفى المراغي (٣٦/٣-٣٩)، الناشر: محمد أمين دمج وشركاه، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

قال المصنف:ولأنهأتى بحقيقة الإسلام وهـو التصـديق والإقـرار معـه، والتصديق الباطني يحكم به للإقرار الدال عليه على ما عرف من تعليق الأحكـام المتعلقة بالباطن به، وإذا كان قد أتى به فقد دخلت حقيقة الإيمان قائمـة بـه فـي الوجود، فكيف يصح أن يقال: لم تدخل ولم يتصف مع الدخول والاتصاف، فـإن قال: الإيمان الذي أنفيه عنه هو المعتبر، فما دخل في الوجود لا أنفيه"[(٧٤١)].

فهذه النصوص تبين وقوع الخلاف بين الماتريدية أنفسهم، بين مخالف غـال جرد الإيمان من العمل والإقرار، وهو مذهب أبي منصور وتبعه عليه جمهورهم، كما رأيت في المنقول آنفاً، وبين مخالف قريب من أهل السنة لموافقته أبا حنيفـة ومرجئة الفقهاء، وسيأتي مزيد بيان له عند كلامنا عن إرجاء الفقهاء.

---

(٧٤١) شرح فتح القدير لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، (٩٥/٦)، دار الفكر، بيروت، الطبعـة: الثانية.

المبحث الرابع
معنى الإيمان وحقيقته الشرعية
عند بقية الفرق والطوائف

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيد: وفيه بيان أن الكلام سيشمل كبريات الفرق التي لها حضور في واقعنا المعاصر.

المطلب الأول: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند المرجئة (مرجئة الفقهاء أنموذجاً).

المطلب الثاني: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند الخوارج (الأباضية أنموذجاً).

المطلب الثالث: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند المعتزلة (الزيدية أنموذجاً).

التمهيد:

سأقتصر في معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند بقية الفرق والطوائف على كبرياتها، دون تعريج على مقالات الفرق المتفرعة عنها؛ لصعوبة الحصر والتقصي في مثل هذه الدراسة، والتي تحتاج إلى كتابة موسوعية لمن رام تقصياً.

وقد اخترت من كل فرقة كبرى أهم فرقها التي تمثل أبرز الاتجاهات التي لها حضور في الماضي والحاضر، ولها أثرها في الفكر الإسلامي المعاصر على وجه الخصوص، وكان هذا الاقتصار هو ما تفرضه طبيعة البحث، وما لا يدرك كله لا يترك جله.

واخترت من الفرق ما أرى أن لها شأناً وقوة وسعة انتشار، وأثراً على المجتمع المسلم، وأن لها مدارسها وأتباعها ومفكريها؛ لتكون الدراسة النظرية واقعية، وفيها حافز لعلماء ومفكري هذه الفرق أن يسهموا اليوم إسهاماً جاداً في تحري مواضع الاتفاق، وتوسيع دوائرها، وتجاوز مواضع الخلاف، وتقليل آثاره، والتواصل مع المخالف لهم تواصلاً علمياً إيجابياً بناء، يحفظ للغير حقوق الإسلام المهدرة - في واقع المسلمين اليوم بسبب القطيعة الإسلامية - ويحفظ لكل فريق خصوصيته الفكرية والعقدية، في الإطار الأوسع الذي يسع الجميع، وهو إطار أهل القبلة، وأهل الإسلام.

فاخترت من فرق الإرجاء المتنوعة المختلفة - اختلاف تضاد ملموس واضح - مرجئة الفقهاء، كنموذج للدراسة؛ لقرب هذه الفرقة من السلف، وللوفاق الذي وجدته، ولجلالة قدر الأئمة الذين وقعوا في هذا النوع من الإرجاء، وممثلوا مدرسته في الفكر الإسلامي، وفي هذا الاتجاه العقدي فرق غالية ذات شطط، أهملتها في الدراسة لضعف حضورها وتأثيرها أو انعدامه، واكتفيت بالإشارة إليها، دون الحاجة إلى بسط القول في مناقشة أقوالها.

واخترت فرقة الإباضية لما لها من حضور وتمثيل إسلامي في واقع أمتنـا، ولأثر الإباضية كفكر وكدولة في محيطها الإقليمي على وجه الخصوص.

وقد صنفهم كتاب الفرق ضمن الخوارج وهو السائد في كتب الفرق، وعامة الأمة ما زالت تصنفهم ضمن فرق الخوارج، وأتحفظ على نسبتهم إلى الخوارج؛ لأنهم لا يحبون هذه النسبة، ولا يعترفون بها ودافع كتابهم دفاعاً مريراً للتخلص من هذا الوصف، وتبناه بعض الباحثين المعاصرين كالدكتور مسلم بن سالم بن علي الوهيبي في كتابه الفكر العقدي عند الإباضية(٧٤٢) وغيره(٧٤٣)، ونقل فيه نقولاً تبين الفروق بين الخوارج والإباضية، وبراءة علماء الإباضية مما نبزوا به من لقب (الخوارج) اللقب البغيض الذي لا يرتضونه، وختم المبحث بقوله: "وأقوال أخرى كثيرة، تؤكد على براءة الإباضية من الخوارج، ومن ثم أصبح البون شاسعاً والشقة بعيدة، والعداوة مستحكمة بين الإباضية والخوارج، بقدر ما أصبح التقارب والتوافق بين الإباضية وبقية المذاهب الإسلامية الحالية على وشك الاتحاد والاتفاق في كل شيء من الأصول"(٧٤٤).

ولم أقف على المسألة بالتحقيق الذي يجعلني أطمئن إلى أحد الاتجاهين، فأتجوز في نسبتهم إلى الخوارج باعتبار ما شاع وظهر، وبان واشتهر، مع التنبيه أن جميع من كتب في الفرق بين أنها أقرب الفرق إلى أهل السنة، وأجمع الكل على أنها من فرق أهل القبلة.

---

(٧٤٢) المبحث الخامس الفرق بين الإباضية والخوارج صـ٧٢-٨٦. مكتبة الضـامري للنشـر والتوزيـع، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م

(٧٤٣) كعلي ابن يحي معمر، في كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث، والذي أطال فيه المناقشة والملاحظة والاستدراك والنقد، لكل من تناول الإباضية كفرقة خارجية ونسب إليهـا من شنايع الأقوال ما لم تقله ولم يثبت عنها - بحسب زعم صاحب الكتاب - فعقد فصولاً ناقش فيها الأشعري والبغدادي وابن حزم الظاهري، والاسفراييني والشهرستاني، ومن المعاصرين أبا زهرة وعبد القـادر شـيبة الحمد، والدكتور فهمي هويدي وغيرهم من المستشرقين. انظر: كتابه صـ ٧-١٩٣، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الثانية بدون رقم ولا تاريخ.

(٧٤٤) الفكر العقدي عند الإباضية صـ٨٦.

واخترت من مدرسة الاعتزال الزيدية أنموذجاً؛ بسبب الواقع الذي تعيشه بلد الباحث ـ اليمن ـ إذ تمثل المدرسة الزيدية فرقة من فرق أهل القبلـة، لابـد أن يفقه الناس عموماً، والزيدية خصوصاً أوجه الوفاق بينهم وبينها.

المطلب الأول

معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند المرجئة

(مرجئة الفقهاء أنموذجاً)

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تحرير أقوال فرق المرجئة وطوائفها.

الفرع الثاني: مواطن اتفاق المرجئة مع أهل القبلة.

الفرع الثالث: خلاف مرجئة الفقهاء مع أهل القبلة لفظي أو حقيقي.

الفرع الأول
تحرير أقوال فرق المرجئة وطوائفها

تعددت فرق المرجئة وطوائفها، ولما لم يكن لهذه الطائفة كتب معتبرة مشهورة يمكن من خلالها الوقوف على تفاصيل مذهبهم، وتحقيق أقوالهم، ومعرفة المتقدم منها من المتأخر، فكان أهل العلم في نقل أقوالهم بين متوسع يذكر كل قول شاذ ولو لم يعرف قائله وينسبه للإرجاء، بجامع ترك العمل وتأخيره عن مسمى الإيمان وحقيقته، وأطلت البحث عن مراجع أسند إليها ما نسب إليهم، فلم أجد لها ذكراً عند علمائنا الذين ألفوا وصنفوا في الفرق، وغاية ما يقف عليه الدارس لأقوالهم ما نقله عنهم أهل التصنيف والتأليف في الفرق والمذاهب، فهي نقول خصومهم في تقرير مذهبهم، وقد يحكى لازم القول على أنه قول منصوص عليه عندهم، ولا أدري من أراد التحقيق ماذا عساه أن يفعل؟! سوى جمع ما قيل عنهم، من أكثر من مرجع، ومن أكثر من إمام، ومن أكثر من مذهب عقدي، حتى يتميز موطن اتفاقهم في النقل عن خصومهم من الكرامية ومن وافقهم من غلاة المرجئة.

وقد بلغ هؤلاء العلماء المتوسعون بفرق المرجئة اثنتي عشرة فرقةً، وفصلوا قول كل فرقة منها على حدة، كالإمام أبي الحسن الأشعري[٧٤٥]، وابن حزم الظاهري[٧٤٦]، وغيرهما.

ومن أهل العلم من جعل فرق المرجئة على فرقين:

الأول منهما: من وقع في الإرجاء وأضاف إليه بدعاً أخرى، وهؤلاء مرجئة قدرية ومرجئة جهمية، لموافقتهم القدرية والجبرية في مقالاتهم، فجمعوا بين الإرجاء والقدر وبين الإرجاء والجبر(التجهم).

---

(٧٤٥) في مقالات الإسلاميين، (١٣٢/١).

(٧٤٦) في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل، (٨٨/٢).

والثاني منهما: من كان على الإرجاء المحض فحسب، وبلغ بهـا العلمـاء خمس فرق هي:

اليونسية: وهم أتباع يونس بن عون.

والغسانية: وهم أتباع غسان المرجيء.

والتومنية: وهم أصحاب أبي معاذ التومني.

والثوبانية: وهم أصحاب أبي ثوبان المرجيء.

المريسية: وهم أصحاب بشر المريسي ومرجئة بغداد من أتباعه.

وممن ذهب إلى هذا التقسيم طاهر بـن محمـد الإسـفراييني[(٧٤٧)]،وأبـي منصورعبد القاهر بن طاهر البغدادي[(٧٤٨)]، ونقله ابن تيمية وارتضاه[(٧٤٩)]،ولـيس بين التقسيمين خلاف في المضمون، وإنما فيه اخـتلاف فـي ظـاهر التصـنيف والتأليف، فالتقسيم الثاني أكثر تفصيلاً وأدق تصنيفاً، ومضمونهما واحد.

قال الاسفراييني:في تفصيل مقالات المرجئة وبيـان فضـائحهم: "**وجملـة المرجئة ثلاث فرق** يقولون بالإرجاء في الإيمانغير أن فريقاً منهم وافقوا القدريـة في القول بالقدر مثل: غيلان الدمشقي، وأبي شمر المرجيء، ومحمد بـن شـبيب البصري،... ووافق فريق منهم الجهمية في القول بالجبر فجمعوا بين دعوى الجبر والإرجاء وانفرد فريق منهم بالإرجاء المحض لا يقولون بالجبر ولا بالقدر.

واعلم أن الإرجاء في اللغة هو التأخير، وإنما سموا مرجئة لأنهم يـؤخرون العمل من الإيمان؛ على معنى أنهم يقولون: لا تضر المعصية مع الإيمان كمـا لا تنفع الطاعة مع الكفر، وقولهم بالإرجاء خلاف قول المسـلمين قـبلهم، وهـؤلاء افترقوا خمس فرق..."[(٧٥٠)]، ثم عد الفرق المذكورة سابقاً وقول كل فريق منها.

---

(٧٤٧) في كتابه التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، (٩٩/١ وما بعدها).

(٧٤٨) في كتابه الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، (١٩٠/١) وما بعدها، دار الآفاق الجديدة، بيـروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

(٧٤٩) مجموع الفتاوى لابن تيمية، (١٩٥/٧).

(٧٥٠)الباب السادس(٩٧/١).

ومن أهل العلم من ضبط أصول مقالات المرجئة، وجماعها في ثلاثة مذاهب معروفة مشهورة، كل الفرق والأقوال مهما اختلفت في تفاصيلها ترجع في أصولها إلى هذه الاتجاهات الكلية رجوع الفروع للأصل والجزئي للكلي ولا تخـرج فـي الجملة عن أحدها:

المذهب الأول: مذهب من جعل الإيمان هو المعرفة القلبية المجردة عن عمل الجوارح ونطق اللسان وهم طائفة من المرجئة**:**

"يزعمون أن**الإيمان با هو المعرفة** با وبرسله وبجميع ما جاء من عنـد ا فقط، وأن ما سوى المعرفة من الإقرار باللسان، والخضوع بالقلب، والمحبة ولرسوله والتعظيم لهما، والخوف منهما، والعمل بالجوارح، فليس بإيمان، وزعموا أن الكفر با هو الجهل به، وهذا قول **يحكى**[751] عن جهم بن صفوان، وزعمـت الجهمية أنالإنسانإذاأتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه أنه لا يكفر بجحده، وأن الإيمان لا يتبعض، ولا يتفاضل أهله فيه، وأن الإيمان والكفر لا يكونان إلا في القلـب دون غيره من الجوارح "[752].

فمدار الإيمان والكفر عندهم على معرفة القلب وجهله به، وأول من قـال الإيمان هو المعرفة فقط دون الإقرار والعمل بسائر الطاعـات هـو الجهـم بـن صفوان، رأس الجهمية المعطلة، قال الأشعري: "الذي تفرد به جهم القـول بـأن

(751) قول الأشعري "وهذا قول يحكى عن جهم بن صفوان"، يشعر بأنه لم يسمعه منه ولا ممن سمعه منه، ولا أخذه من كتاب له، أو من كتاب من أخذ عنه، وهذا القول المنسوب لجهم بن صفوان تحكيه جميع كتـب الفرق والعقائد انظر: الفرق بين الفرق(١٩٠/١)دار الآفاق**.** الفصل في الملل، (٨٨/٢)، الإيمان للعدني، باب أقوال المرجئة والجهمية في الإيمان، (٩٦/١) حديث رقم ٢٩، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبـي الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، تحقيـق: محمـد زاهـد بـن الحسـن الكـوثري، (١٤٩/١)المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، مجموع الفتاوى لابن تيميـة، (٥٤٣/٧)، معارج القبول للحكمي، (٦٠١/٢)**.**

(752) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١٣٢/١)، وانظر: الإيمان لابن منده، (٣٣١/١).

الجنة والنار تبيدان وتفنيان وأن الإيمان هو المعرفة با فقط والكفر هو الجهل به فقط"[753].

ويحمل التفرد هنا على الأولية والسبق إلى هذا الضلال، وتابعه بعده خلـق آخرون، من فرق المرجئة التي دار اتفاقهم على هذا ثم ميز بعضهم عـن بعـض خلافهم في مسائل أخرى[754].

قال ابن تيمية: "وعند الجهمية إذا كان العلم في قلبـه فهـو مـؤمن كامـل الإيمانإيمانهكإيمان النبيين، ولو قال وعمل ماذا عسى أن يقول ويعمل، ولا يتصور عندهم أن ينتفي عنه الإيمانإلاإذ زال ذلك العلم من قلبه"[755].

فنواقض الإيمان عندهم ليست بنواقض، ولا ناقض إلاّ زوال العلم وذهـاب المعرفة عن القلب، وكل ما عده السلف ناقضاً لا يعدونه شيئاً.

ومعنى قولهم أن من عرف بقلبه وصدق فهو مؤمن، ويكفيه مجرد التصديق لثبوت وصف الإيمان، ولازم قولهم هذا أن من أظهر الكفر بلسانه مختـاراً وقـد صدق بقلبه فلا يزال متصفاً بالإيمان، فالشيطان، وفرعون، وقـارون، وهامـان، وقادة الكفر وأرباب الإلحاد على هذا المذهب مؤمنون.

ولغرابة هذا القول وبعده عن الإسلام حكم جمع من السلف بكفر القائـل بـه والمعتقد له:

ونقل البخاري في خلق أفعال العباد جملة من الآثار المختلفة تقضـي بكفـر الجهمية منها:

"وقال بن الأسود سمعت بن مهدي يقول ليحي بن سعيد: لو أن جهمياً بينـي وبينه قرابة ما استحللت من ميراثه شيئا".

---

(753)مقالات الإسلاميين، (279/1).

(754) ففرق المرجئة متعددة، ونسبت إلى الإرجاء لهذا الاتفاق في أصل البدعة، ثم انقسامهم لخلافات أخرى تفصيلية بينهم، وتفاوتت فرقهم في الغلو فليسوا على سواء، انظر: المقالات، (132/1-154).

(755) مجموع الفتاوى، (143/7).

"وقال وكيع: أحدثوا هؤلاء المرجئة الجهمية والجهمية كفار والمريسي جهمي، وعلمتم كيف كفروا قالوا: يكفيك المعرفة وهذا كفر"[756].

قال ابن تيمية: "وأما جهم فكان يقول إنالإيمان مجرد تصديق القلب وإن لم يتكلم به، وهذا القول لا يعرف عن أحد من علماء الأمة وأئمتها، بل أحمد ووكيع وغيرهما كفّروا من قال بهذا القول"[757].

والقائلون بهذا القول اختلفوا في دخول أعمال القلوب في مسمى الإيمان أو عدم دخولها، فذهب الجهم والصالحي إلى عدم دخولها، وذهب جمهور المرجئة إلى دخول أعمال القلوب في الإيمان مسمى وحقيقة.

قال ابن تيمية: "جماهير المرجئة على أن عمل القلب داخل في الإيمان، كما نقله أهل المقالات عنهم"[758].

وقال:" والمقصود هنا أن عامة فرق الأمة تدخل ما هو من أعمال القلوب، حتى فرق المرجئة تقول بذلك... وإنما نازع في ذلك من اتبع جهم بن صفوان من المرجئة، وهذا شاذ"[759].

ويكون هذا موضع اتفاق بين أهل القبلة لا يعتبر فيه شذوذ قول جهم ومن وافقه ممن لا ذكر لهم ولا كتب ولا تلاميذ، وقد لا يكون لهذا المسلك كبير نفع أو فائدة عملية اليوم؛ لأن هذه العقائد قد اندرست وذهبت مع ذهاب أصحابها، فصارت أقوالاً شاذة لا يعول عليها، ولا يلتفت إلى مثلها، وتحكى في كتب العقائد على سبيل السرد والنقد، والتحذير من الأخذ بها.

---

(٧٥٦)خلق أفعال العباد لأبي عبد ا محمد بن إبراهيم بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د.عبدالرحمن عميرة،(٣٤/١)دار المعارف، السعودية، الرياض، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

(٧٥٧)مجموع الفتاوى،(٤٧/١٣).

(٧٥٨) مجموع الفتاوى، (١٩٥/٧).

(٧٥٩) مجموع الفتاوى، (٥٥٠/٧).

المذهب الثاني: مذهب من جعل الإيمان مجرد الإقرار باللسان دون عقد القلب، وهم طائفة من المرجئة والكرامية[٧٦٠].

"وكان سفيان الثوري يقول: خالفنا المرجئة في ثلاث نحن نقول الإيمان قول وعمل، وهم يقولون قول بلا عمل، ونحن نقول يزيد وينقص، وهم يقولون لا يزيد ولا ينقص"[٧٦١].

"قال أبو عمر: سألت وكيعاً عن المرجئة فقال الذين يقولون الإيمان قول"[٧٦٢].

وقال ابن منده وهو يحكي أقوال المرجئة: "وقالت طائفة منهم الإيمان فعل اللسان دون القلب وهم أهل الغلو في الإرجاء".ا.هـ[٧٦٣].

"والمرجئة أثنتا عشرة فرقة، صنف منهم زعموا أن من شهد شهادة الحق دخل الجنة وإن عمل أي عمل، كما لا ينفع مع الشرك حسنة كذلك لا يضر مع التوحيد سيئة، وزعموا أنه لا يدخل النار أبداً وإن ركب العظائم وترك الفرائض وعمل الكبائر، كذب من قال هذا **والله عز وجل يقول:** ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[٧٦٤]

وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾[٧٦٥]"[٧٦٦].

---

(٧٦٠) معارج القبول للحكمي، (٦٠٢/٢).

(٧٦١)الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأحمد بن الحسين البيهقي، (١٨٣/١).

(٧٦٢)الاعتقاد،(٢٣٨/١).

٧٦٣)الإيمان لابن منده، (٣٣١/١).

(٧٦٤) سورة البينة الآية:٥.

(٧٦٥) سورة المؤمنون الآيات: (١-١٠).

وقرر ابن تيمية أن هذا القول من آخر الأقوال حدوثاً في باب الإيمـان، ولا يعرف لأحد قبل الكرامية[٧٦٧].

"وقالت الكرامية هو القول فقط، فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان، لكـن إن كان مقراً بقلبه كان من أهل الجنة، وإن كان مكذباً بقلبه كان منافقاً مؤمناً مـن أهل النار، وهذا القول هو الذي اختصت به الكرامية وابتدعته ولم يسبقها أحد إلى هذا القول، وهو آخر ما أحدث من الأقوال في الإيمان، وبعض الناس يحكي عنهم أن من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة، وهو غلط عليهم بل يقولون إنه مؤمن كامل الإيمان وأنه من أهل النار"[٧٦٨].

ومن إنصاف ابن تيمية في نقله عن الكرامية أن بين ما وقع عليهم من غلط في نسبة من نسب إليهم القول بأن من قال بلسانه، ولم يعتقد قلبه ما قالـه، فهـو عندهم من أهل الجنة.

وبين أن الصواب من مذهبهم أن من هذا حاله في القول والاعتقاد فهو مـن أهل النار، ولكنهم يطلقون عليه اسم الإيمان ويصفونه بكماله. وهذا من غرائـب القول البعيد عن الحق، ومع بعده عن الحق إلاّ أن الغلط عليهم لا يقبل، من بـاب الأمانة في النقل عن المخالف، ولعل هذا الغلط وقع عليهم باعتبار لازم قولهم قولاً لهم[٧٦٩]، إذ قد صح عنهم في المنسوب إليهم، إطلاق اسم الإيمان على من نطـق بلسانه ولم يؤمن قلبه، بل أكثر من ذلك أنه قد كمل إيمانه، ومعلوم من ضرورات الشرع أن أهل الإيمان مصيرهم إلى الجنان وأهل الكفر والعصيان مصيرهم إلـى النار، فكان من بعدهم وشذوذ قولهم ونكارته أن قضوا بأهل الإيمان إلـى النـار

---

(٧٦٦)التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع،باب المرجئة وفرقها ومذاهبها،(١٤٦/١).

(٧٦٧) مجموع الفتاوى، (١٩٥/٧).

(٧٦٨)مجموع الفتاوى، (٥٦/١٣).

(٧٦٩) نقل لازم القول كأنه قول مما يتنافى مع الأمانة في النقل العلمي والدقة في الرواية.

بل كيف ينقل لازم المذهب دون بيان من ناقله أنه لازم للمذهب وليس هـو منطـوق المـذهب، ثـم تـورد المناقشات الطويلة والردود المسهبة، فكأن من هذا صنيعه هو الذي أحدث قولاً جديداً في المسألة، لا يلتزمـه القائل وأحدث ثانية في نقاشه له كقول. متى يكون لازم القول لازماً؟ يكون لازماً بـالتزام صـاحبه لـه، أو انقطاع حجته عند تقرير ذلك لازماً ملازماً لمذهبه، ويبلغه اللازم وتنقطع حجته عن رده بالدليل.

واقعين في تناقض بين واضح لا يحتاج إلى تفنيد، وأمكن إسقاط مقالتهم، وإزهاق باطلهم، بإلزامهم بالآتي:

"أن يكون المؤمن الكامل الإيمان معذباًفي النار، بل يكون مخلداً فيها، وقـد تواتر عن النبي صلى ا عليه وسلم، أنه يخرج منها من كان في قلبه مثقـال ذرة من إيمان.

وإن قالوا لا يخلد وهو منافق؛ لزمهم أن يكون المنافقون يخرجون من النـار والمنافقون قـد قـال ا فـيهم: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً [770].

وقد نهى ا نبيه عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم وقال له: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ [771].

وقال: وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ [772]، وقد أخبر أنهم كفروا با ورسوله"[773].

فهل بعد هذه النصوص الصريحة من مقال لمن كان الوحي هاديه، والحق سبيله.

هذا هو إرجاء الكرامية ومن وافقهم على هذا القول، ولم يرد تفصيل ذكرهم ولـو ورد ما كان لِيعدو أعداداً قليلة محصورة، لن يكون لها ذكر ولا وزن، ولا تأثير علـى وحدة الأمة الفكرية والعقدية؛ إن أضيفت إلى سواد الأمة الأعظم.

وليس لهذا الفكر امتداد إسلامي معروف في يومنا هذا، فكأنه فكر انقرض ولـولا حكايته في كتب الفرق لما بقي له ذكر.

---

(٧٧٠) سورة النساء الآية: ١٤٥.

(٧٧١) سورة التوبة الآية: ٨٠.

(٧٧٢) سورة التوبة الآية: ٨٤.

(٧٧٣)مجموع الفتاوى،(٥٦،٥٧/١٣).

وممن كتب في الإرجاء كظاهرة وفكر وأصول، وأشار إلى اندراس مذهب الكرامية الشيخ سفر الحوالي في رسالته([٧٧٤]) ويقول: "الكرامية: لم يعد لهم وجود ولا لفكرهم إلاّ في كتب المخالفين، مع أنها آخر المذاهب المبتدعة في الإيمان ظهوراً - ونسب القول بهذا إلى شيخ الإسلام ابن تيمية - وانقراضهم قديم نسبياً، يقول الذهبي -في القرن الثامن-: وكان الكرامية كثيرين بخراسان ولهم تصانيف، ثم قلّوا وتلاشوا، نعوذ با من الأهواء"[٧٧٥].

هذا مع أنه كان لهم وجود ظاهر حتى نهاية القرن السادس ومطلع السابع، فإن المؤرخين ذكروا مناظرات بينهم وبين أئمة الأشاعرة كالرازي في القرن الخامس، وقبله الباقلاني، ونقل عن شيخ الإسلام قوله: "وقد رأيت لابن الهيصم فيه مصنفاً في أنه قول اللسان فقط، ورأيت لابن الباقلاني فيه مصنفاً أنه تصديق القلب فقط، وكلاهما في عصر واحد، وكلاهما يرد على المعتزلة والرافضة"[٧٧٦] "[٧٧٧].

ومما لاحظته في هذه الدراسة البسيطة أن من نسبت إليهم الأقوال لا يعرفون إلاّ ببدعهم هذه وضلالاتهم، ومقالاتهم الشاذة، وليس لهم ذكر غالباً سوى في هذه المواضع، ومع ذلك عدهم الأئمة فرقاً متفرعة من فرقة المرجئة، وليست هذه النكارة التي تعتريهم فحسب، بل لا يكاد يذكر لهم مؤلف يجمع أقوالهم ولا تلاميذ يحيون مذاهبهم إن صح تسميتها بمذاهب، وهي كما ترى طرق ضلال وهوى وزيغ لبعدها عن الوحي والتنزيل.

وتجد في كتابات أهل العلم عن الفرق من كتب عن بدعة الإرجاء، فذكر المرجئة كفرقة وأقوال، ومنهم من أشار إلى الإرجاء كقول دون أن يسمي القائلين به؛ إما لعدم معرفتهم أو لعدم إظهارهم وإشهارهم والاكتفاء برد باطلهم دون التعريج على أسمائهم، وهذا منهج عملي للسلف لا بد من دراسته والاستفادة منه في إماتة الأقوال الشاذة، وعدم

---

(٧٧٤) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي.

(٧٧٥) سير أعلام النبلاء، (٥٢٤/١١)، ترجمة محمد بن كرام المؤسس.

(٧٧٦) مجموع الفتاوى، (٥٨/١٣).

(٧٧٧) بتصرف واختصار من ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي للدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي، صـ٢٧٨،٢٧٩، دار الكلمة، الطبعة الأولى.

إحيائها في أوساط الأمة بالمناظرة والمجادلة، مادام أمرها خاف على عامة المسلمين، ولا بأس من مجادلة من هذا شأنه إذا لم يعظم أمره ويستفحل شره؛ فلا بأس من مناصحته ومحاججته بصورة خاصة محصورة بين المتخصصين من أهل العلم.

المذهبالثالث:الذين ذهبوا إلى أن الإيمان هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان ويعرف بإرجاء الفقهاء:

وهو المشهور عن أهل الفقه والعبادة من علماء الأمة، كحماد بن أبي سليمان، وأبي حنيفة[٧٧٨]، وغيرهما من فقهاء الكوفة، وقول أبي محمد بن كلاب، وطائفة من أهل الكلام، واختاره بعض محققي الأشاعرة كالقاضي عياض، (والباقلاني والجويني) وقد تناولت مذهب الأشاعرة في مطلب سابق، وبينتُ فيه حقيقة مذهبهم بعد الفحص والدراسة لأقوالهم من كتبهم وإنما أفردت أقوالهم لأنهم فرقة كبيرة وكتبهم موجودة، وخلافهم ووفاقهم مؤثر.

ولا بد من تحرير محل النزاع ومناقشة ما ذهب إليه بعض أهل العلم كابن عبد البر وابن أبي العز من كون الخلاف مع مرجئة الفقهاء لفظي لا حقيقي، وهذا ما سأفرده بحثاً في الفرع الثالث.

---

(٧٧٨) ولا بد من تحقيق نسبة الأقوال إلى أبي حنيفة النعمان من مراجع موثقة في النقل عنه.

الفرع الثاني
مواطن اتفاق المرجئة مع أهل القبلة

مواطن الاتفاق بين المرجئة وعامة أهل القبلة:

عامة فرق الأمة بما فيها المرجئة تدخل أعمال القلوب في الإيمان:

قال ابن تيمية بعد ذكره لكلام أبي الحسن الأشعري في المرجئة: "وبالجملة فلا يستريب من تدبر ما يقول في أن الرجل لا يكون مؤمناً بمجرد تصديق في القلب، مع بغضه ولرسوله واستكباره عن عبادته ومعاداته له ولرسوله، ولهذا كان جماهير المرجئة على أن عمل القلب داخل في الإيمان كما نقله أهل المقالات عنهم منهم الأشعري فإنه قال في كتابه في المقالات اختلاف المرجئة في الإيمان ما هو وهم اثنتا عشرة فرقة..."[(٧٧٩)].

و"وافقت طوائف المرجئة أهل السنة في أن الإيمان الكامل الذي ينفع في الدارين لابد فيه من اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، وهو الإيمان الحقيقي:

قال القاضي أبو بكر الباقلاني: "واعلم أن حقيقة الإيمان هو: التصديق. والدليل عليه قوله تعالى إخباراً عن إخوة يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾[(٧٨٠)] أي بمصدق لنا وأيضاً: أن الرسول عليه السلام لما أخبر عن كلام البقرة والذئب، فقال: أنا أومن به وأبو بكر وعمر"[(٧٨١)] يريد أصدق.

وأيضاً: قول أهل اللغة: فلان يؤمن بالبعث والجنة والنار؛ أي يصدق به. وفلان لا يؤمن بعذاب الآخرة، أي لا يصدق به.

---

(٧٧٩)مجموع الفتاوى، (٥٤٣/٧).

(٧٨٠) سورة يوسف من الآية: ١٧.

(٧٨١)صحيح البخاري، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي ا عنه،(١٣٤٩/٣) حديث رقم ٣٤٨٧، صحيح مسلم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي ا عنه،(١٨٥٧/٤)حديث رقم١٣.

واعلم: أن محل التصديق القلب، وهو: أن يصدق القلب بأن الله إله واحد، وأن الرسول حق، وأن جميع ما جاء به الرسول حق، وما يوجد من اللسان وهو الإقرار وما يوجد من الجوارح وهو العمل، **فإنما ذلك عبارة عما في القلب، ودليل عليه.**

ويجوز أن يسمى إيماناً حقيقة على وجه، ومجازاً على وجه: ومعنى ذلك: أن العبد إذا صدق قلبه بما قلنا وأقر بلسانه، وعملت جوارحه فهو المؤمن الحقيقي عند الله وعندنا.

وأما من كذب بقلبه، وأقر بالوحدانية بلسانه، وعمل الطاعات بجوارحه، فهذا ليس بمؤمن حقيقة، وإنما هو مؤمن مجازاً، لأن ذلك يمنع دمه وماله في أحكام الدنيا، لأنه مؤمن من حيث الظاهر، وهو عند الله غير مؤمن.

والدليل على صحة ذلك قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [782] فأخبر سبحانه بكذبهم، ونحن نعلم وكل عاقل أنه ما كذب إقرار ألسنتهم، وإنما كذب قلوبهم، حيث أبطنوا خلاف ما أظهروا، لأن الأخرس المصدق بقلبه إيمانه صحيح، وإن كان لا يقدر على النطق والإقرار بلسانه، وكذلك بالعكس من هذا، فإن المؤمن المصدق بقلبه مؤمن عند الله تعالى، وإن نطق بالكفر؛ يدلك على صحة ذلك: قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [783] فأخبر أن نطق اللسان بالإيمان لا ينفع مع إصرار القلب على الكفر، وإقرار اللسان بالكفر لا يضر مع تصديق القلب"[784].

قال القاضي أبو بكر الباقلاني:"واعلم: أنا لا ننكر أن نطلق القول بأن الإيمان عقد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان، على ما جاء في الأثر؛ لأنه صلى الله

---

(782) سورة المنافقون الآية: ١.

(783) سورة النحل من الآية:١٠٦.

(784)الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، (١/١٧).

عليه وسلم إنما أراد بذلك أن يخبر عن **حقيقة الإيمان الـذي ينفـع فـي الـدنيا والآخرة،** لأن من أقر بلسانه، وصدق بقلبه، وعمل بأركانه حكمنا لـه بالإيمـان وأحكامه في الدنيا من غير توقف ولا شرط، وحكمنا له أيضاً بالثواب في الآخرة وحسن المنقلب، من حيث شاهد الحال، وقطعنا له بذلك في الآخـرة، بشـرط أن يكون في معلوم الله تعالى أنه يحييه على ذلك، ويميته عليه... وإذا تأملـت هـذا التحقيق وتدبرته وجدت بحمد الله تعالى ومنه: أن الكتاب والسـنة لـيس فيهمـا اضطراب ولا اختلاف، وإنما الاضطراب: والاختلال، والاختلاف في فهـم مـن سمع ذلك، وليس له فهم صحيح، نعوذ بالله من ذلك"[785].

ويمكن القول إن الإيمان النافع على ثلاث مراتب:

١. المرتبة الأولى: مرتبة الإيمان النافع لصاحبه في الدارين:

وهو ما كان اعتقاداً في الجنان وقولاً باللسان وعملاً بالجوارح والأركان.

وكلما زاد اليقين والعمل، زاد نفع الإيمان لصاحبه ورفعه الله به في مـدارج السالكين في الدنيا، ومنازل الصديقين والشهداء والصالحين في الآخرة.

٢. المرتبة الثانية: مرتبة الإيمان النافع لصاحبه في الآخرة دون الدنيا:

كإيمان من أبطن التصديق ومنعه من القول والعمل مانع، ولم يسعه الوقت للعمل.

"لأن الأخرس المصدق بقلبه إيمانه صحيح، وإن كان لا يقدر علـى النطـق والإقرار بلسانه، وكذلك بالعكس من هذا، فإن المؤمن المصدق بقلبه مؤمن عند الله تعالى، وإن نطق بالكفر. يدلك على صحة ذلك: قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾[786] فأخبر أن نطق اللسان بالإيمان لا ينفع مع إصرار القلب على الكفر، وإقرار اللسـان بـالكفر لا يضر مع تصديق القلب"[787].

---

(785) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (٥٢- ٥٤).

(٧٨٦) سورة النحلمن الآية:١٠٦.

(٧٨٧)الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، (١/١٧).

٣. المرتبة الثالثة: مرتبة الإيمان النافع لصاحبه في الدنيا دون الآخرة:

كمن آمن بلسانه وجوارحه و كذب بقلبه فهو مؤمن من حيث الظاهر، غير مؤمن عند ا ،وهذا الإيمان ينفع صاحبه في أحكام الدنيا فيمنع دمه وماله.

كإيمان المنافقين فهو وإن صح إطلاق اسم الإيمان عليه فمن باب التوسع في الإطلاق، والمجاز في العبارة، وصاحبه مؤمن فيما يظهر لنا من أقواله وأفعاله، التي صدرت مع تكذيبه القلبي، وباعث القول والعمل فيها ليس الإيمان الحق با تعالى ووعده ووعيده، بل الباعث لها النفاق والتقية خوفاً على النفس والمال، وطلباً لسلامتهما، فهذا الإيمان على هذه الصورة المخصوصة ينفع صاحبه في جريان أحكام الدنيا عليه، أما في الآخرة فهم في الدرك الأسفل من النار.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني:"وأما من كذّب بقلبه، وأقر بالوحدانية بلسانه، وعمل الطاعات بجوارحه، فهذا ليس بمؤمن حقيقة، وإنما هو مؤمن مجازاً، لأن ذلك يمنع دمه وماله في أحكام الدنيا، لأنه مؤمن من حيث الظاهر، وهو عند ا غير مؤمن.

والدليل على صحة ذلك قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[(٧٨٨)].

فأخبر سبحانه بكذبهم، ونحن نعلم وكل عاقل أنه ما كذب إقرار ألسنتهم، وإنما كذب قلوبهم، حيث أبطنوا خلاف ما أظهروا"[(٧٨٩)].

وقال أيضاً: "ولو أقر بلسانه، وعمل بأركانه، ولم يصدق بقلبه، **نفعه ذلك في أحكام الدنيا ولم ينفعه في الآخرة،** وقد بين ذلك صلى ا عليه وسلم حيث قال: " يا معشر من آمن بلسانه ولما يدخل الإيمان في قلبه"[(٧٩٠)]"[(٧٩١)].

---

(٧٨٨) سورة المنافقون الآية: ١.

(٧٨٩)الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، (١٧/١).

(٧٩٠)الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، (١٨/١).

(٧٩١)سنن أبي داود باب في الغيبة،(٦٨٦/٢) حديث رقم ٤٨٨٠، مسند أحمد بن حنبل،(٤٢٠/٤) حديث رقم ١٩٧٩١، المعجم الكبير،(١٨٦/١١) حديث رقم ١١٤٤٤.

ومما اتفقت فيه المرجئة مع أهل السنة والجماعة وسائر فرق الأمة أنهم لا ينفون الوعيد عن أهل التوحيد بالكلية:

وهذا هو المذهب الحق في أن أهل الإيمان قد تصدر عنهم المعاصي فيستحقون عليها الوعيد، ونصوص الشرع متواترة قاطعة بذلك، ولأن غلاة المرجئة القائلين بأنه لا يضر مع الإيمان معصية، نسب إليهم القول بأن أحداً من أهل التوحيد لن يدخل النار مطلقاً، وهذا القول المنسوب إليهم أشبه بمقالتهم وأليق بها، ولعله يصلح أن يكون من لوازم قولهم، إلاّ أن شيخ الإسلام ابن تيمية حقق عدم صحة ذلك إليهم، وأنصفهم بدفع ما نسب إليهم وليس هو من مقالتهم فقال:

"وأما ما يذكر عن غلاة المرجئة أنهم قالوا لن يدخل النار من أهل التوحيد أحد فلا نعرف قائلا مشهورا من المنسوبين إلى العلم يذكر عنه هذا القول"(٧٩٢).

وقال أيضاً: "ويذكر عن غلاتهم أنهم نفوا الوعيد بالكلية، لكن لا أعلم معيناً معروفاً أذكر عنه هذا القول، ولكن حكي هذا عن مقاتل بن سليمان(٧٩٣) والأشبه أنه كذب عليه"(٧٩٤).

وقال أيضاً: "وإن قالوا إنه لا يضره ترك العمل فهذا كفر صريح، وبعض الناس يحكى هذا عنهم، وأنهم يقولون إن الله فرض على العباد فرائض ولم يرد منهم أن يعملوها،ولا يضرهم تركها وهذا قد يكون قول الغالية الذين يقولون لا يدخل النار من أهل التوحيد أحد؛ لكن ما علمت معيناً أحكى عنه هذا القول وإنما الناس يحكونه في الكتب، ولا يعينون قائله، وقد يكون قول من لا خلاق له فإن كثيراً من الفساق والمنافقين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب أو مع التوحيد، وبعض كلام الرادين على المرجئة وصفهم بهذا "(٧٩٥).

---

(٧٩٢)مجموع الفتاوى، (٤٨٦/٧).

(٧٩٣) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي، كبير المفسرين، توفي عام ١٥٠هـ، قال الشافعي: الناس عيال في التفسير على مقاتل، وقال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، انظر: تهذيب الكمال، (٤٣٤/٢٨) ترجمة رقم ٦١٦١، سير أعلام النبلاء،(٢٠١/٧) ترجمة رقم ٧٩، تقريب التهذيب، (٥٤٥/١) ترجمة رقم ٦٨٦٨.

(٧٩٤)العقيدة الأصفهانية، (١٨٢/١).

(٧٩٥)مجموع الفتاوى، (١٨١/٧).

وغاية ما نقل عن الغلاة من المرجئة والجهمية ومن وافقهم في شـذوذ مـن القول[٧٩٦] عدم الجزم بنفوذ الوعيد في أهل التوحيد، والتوقف في ذلك، فهم الواقفة في الوعيد، قالوا: "لا ندري هل يدخل من أهل التوحيد النار أحد أم لا"[٧٩٧].

"وكثير من متكلمة المرجئة تقول لا نعلم أن أحداً من أهل القبلة مـن أهـل الكبائر يدخل النار، ولا أن أحداً منهم لا يدخلها؛ بل يجوز أن يدخلها جميع الفساق ويجوز أن لا يدخلها أحد منهم، ويجوز دخول بعضهم، ويقولون من أذنب وتاب لا يقطع بقبول توبته؛ بل يجوز أن يدخل النار أيضاً، فهم يقفون في هذا كلـه ولهـذا سمو الواقفة "[٧٩٨].

ويقرر ابن تيمية أن نزاع المرجئة ومن وافقهم من الجهمية نزاع في الاسم لا في الحكم: "وأما الجهمية والمرجئة فنازعوا في الاسم لا في الحكم فقالوا يجوز أن يكون مثاباً معاقباً محموداً مذموماً لكن لا يجوز أن يكون معـه بعـض الإيمـان دون بعض"[٧٩٩].

ووضح ذلك في موضع آخر فقال: وأما أهل السنة والجماعة، والصـحابة، والتابعون لهم بإحسان، وسائر طوائف المسلمين؛ من أهل الحديث، والفقهاء، وأهل الكلام من مرجئة الفقهاء، والكرامية والكلابية، والأشعرية، والشيعة مرجئهم وغير مرجئهم؛ فيقولون أن الشخص الواحد قد يعذبه الله بالنار ثم يدخله الجنة كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة، وهذا الشخص الذي له سيئات عذب بها، وله حسـنات دخل بها الجنة، وله معصية وطاعة،باتفاق فإن هؤلاء الطوائف **لم يتنازعوا فـي حكمه لكن تنازعوا فياسمه** فقالت المرجئة جهميتهم وغير جهميتهم هـو مـؤمن كامل الإيمان، وأهل السنة والجماعة على أنه مؤمن ناقص الإيمان، ولولا ذلك لما عذب كما أنه ناقص البر والتقوى باتفاق المسلمين.

---

(٧٩٦) قال بقول المرجئة الواقفة طوائف من الشيعة والأشعرية كالقاضي أبى بكر وغيره كما نقله عنهم ابـن تيمية في مجموع الفتاوى، (٤٨٦/٧)، ومنهاج السنة النبوية، (٢٨٤/٥).

(٧٩٧)مجموع الفتاوى، (٤٨٦/٧).

(٧٩٨)منهاج السنة النبوية، (٢٨٤/٥).

(٧٩٩)العقيدة الأصفهانية، (١٨٢/١).

وهل يطلق عليه اسم مؤمن؟

هذا فيه القولان، والصحيح التفصيل:

فإذا سئل عن أحكام الدنيا كعتقه في الكفارة قيل هو مؤمن، وكذلك إذا سـئل عن دخوله في خطاب المؤمنين.

وأما إذا سـئل عـن حكمـه فيـالآخرة قيـل لـيس هـذا النـوع مـن المؤمنينالموعودين بالجنة، بل معه إيمان يمنعه الخلود في النار، ويدخل به الجنة بعد أن يعذب في النار إن لم يغفر ا له ذنوبه.

ولهذا قال من قال هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أو مؤمن ناقص الإيمان.

ويرد على المرجئة والجهمية بأنه " قد **تواترت الأحاديث** عن النبيفـي أنـه يخرج أقوام من النار بعد ما دخلوها، وأن النبي يشفع في أقوام دخلوا النار، وهذه الأحاديث حجة على الطائفتين الوعيدية الذين يقولون من دخلها من أهل التوحيد لم يخرج منها، وعلى المرجئة الواقفة الذين يقولون لا ندرى هل يـدخل مـن أهـل التوحيد النار أحد أم لا كما يقول ذلك طوائف من الشيعة والأشعرية كالقاضي أبى بكر وغيره[(٨٠٠)].

فبعد عرضه للأقوال ونسبتها إلى عامة فرق أهل القبلة، مـن أهـل السـنة وغيرهم، بين رحمه ا ، مستند هذا الاتفاق من السنة النبوية والأحاديث المتواترة في الشفاعة لأهل الكبائر، وإخراج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمـان وهـي أحاديث كثيرة.

وهذه المسألة التي عرضت فيها لخلاف الجهمية والمرجئة مع سائر أهـل القبلة في تسمية العاصي مؤمناً بإطلاق، وإن كانت من مسائل الخلاف من وجه، إلاّ أنها يمكن أن تعد من مسائل الاتفاق من وجه آخر، فالخلاف في إطلاق اسـم الإيمان على العاصي، والاتفاق في أنه ممن يدخل النار بمعصيته.

---

(٨٠٠)مجموع الفتاوى، (٣٥٤/٧ - ٣٥٥).

الفرع الثالث
خلاف مرجئة الفقهاء مع أهل القبلة
في باب الإيمان لفظي أو حقيقي

مسألة الخلاف مع المرجئة الفقهاء في مسمى الإيمان ودخول الأعمال في حقيقة الإيمان هل هو من قبيل الخلاف الحقيقي المؤثر على المعنى أو الخلاف اللفظي غير المؤثر على المعنى؟

وللجواب على هذا ومعرفة طبيعة الخلاف في المسألة لابد من تصورها تصوراً صحيحاً، والبحث في حقيقة الإيمان، ودخول الأعمال في حقيقته ومسماه الشرعي، كجزء منه وركن من أركانه، أو كون الأعمال ثمرة من ثمرات الإيمان تعقبه في الوجود، وتأتي إثره، فإن وجد الإيمان ظهرت الأعمال على الجوارح كثمرة من ثمار الإيمان الباطن، ويكون هذا الترابط بين الظاهر والباطن محكوماً إما بالشرطية واللزوم، عند من جعل العمل الظاهر شرط صحة للإيمان الباطن، أو بالشرطية مع عدم اللزوم عند من جعل العمل الظاهر شرط كمال لا شرط صحة وهم عامة المرجئة من الفقهاء.

ويمكن تلخيص الأمر في صور للإيمان وعلاقة العمل به كالتالي:

الصورة الأولى:

ويقال فيها إن الأعمال هي ركن من أركان الإيمان فلا يكون وجود للحقيقة الشرعية للإيمان بدون الأعمال، وبذهابها يذهب الإيمان؛ لأن الركن جزء الماهية الذي بذهابه تذهب الماهية وينعدم بانعدامه الوجود الذهني والمعنوي، وكذلك الوجود الشرعي والوجود الحسي الواقعي.

الصورة الثانية:

ويقال فيها إن الأعماليست جزء من ماهية الإيمان وحقيقته ولكنهـا شـرط صحة للإيمان، فلا يصح الإيمان بدونها كما لا تصح الصـلاة بـدون الوضـوء كشرط من شروط صحتها، وبذهاب الأعمال وانتفائها يذهب الإيمان وينتفي عـن صاحبه، لأن ذهاب الشرط وانعدامه يؤثر في ذهاب المشروط وانعدامه.

وهذه الصورة تتفق مع الصورة السابقة مضموناً ومعناً وإن اختلفـت معهـا لفظاً وشكلاً؛ لأن الثمرة فيهما واحدة وهي أن الإيمان المجرد عن الأعمال ليس له حقيقة شرعية معتبرة، بل هو إيمان لغوي أو مجازي.

الصورة الثالثة:

ويقال فيها أن الأعمال ليست جزء من ماهية الإيمان ولا شـرطاً لصـحته ولكنها شرط لكماله، فبدون الأعمال يوجد الإيمان وتكون له حقيقة شرعية ناقصة، لا يكملها إلاّ وجود الأعمال وهذا مذهب عامة الفقهاء ولهم فيه تفصيل:

١- أعمال القلوب من تعظيم وخوف منه وخشية لـه، واعتقـاد كمالـه سبحانه في ذاته وأسمائه وصفاته، واعتقاد صدق رسله، وصحة ما جاءوا به مـن كتب منزلة، وغيرها من الأعمال كلها من الإيمان وعدمها يقتضي عدم الإيمان.

٢- أعمال الجوارح منها ما يؤثر عدمه في عدم الإيمان ومنها ما لا يـؤثر وجوده وعدمه إلاّ في كمال الإيمان.

وبعد تصوير المسألة يمكن الإجابة من خلال البحث عن الأسئلة المطروحـة كاستشكالات علمية:

هل الخلاف في حقيقة الإيمان بين القائلين بأنه اعتقاد وقول وعمـل، وهـم جمهور وعامة السلف، ووافقهم على ذلك الخوارج والمعتزلة.

وبين القائلين بأنه اعتقاد القلب وقول اللسان، والأعمال مظهر من مظاهره وثمرة من ثمراته ولا تدخل في مسماه وحقيقته، وهم مرجئة الفقهاء أو مرجئة الكوفة الحنفية، ومن وافقهم، فهل الخلاف بين الطائفتين حقيقي له أثر أو لفظي لا أثر له؟!!

وهل بهذا الخلاف يخرج مرجئة الفقهاء عن دائرة أهل السـنة، أو أن هـذا الخلاف محتمل في دائرة أهل السنة؟؟

من أهل العلم من ذهب إلى أن الخلاف حقيقي ومنهم مـن ذهـب إلـى أن الخلاف لفظي، ومنهم من جعله حقيقياً من وجه ولفظياً من وجه.

فيمكن تقسيم احتمالات الخلاف في هذه المسألة إلى ثـلاث صـور عقليـة تفصيلها كالتالي:

١- قول من قال إن الخلاف بين الطائفتين حقيقي له أثر.

٢- قول من قال إن الخلاف بين الطائفتين لفظي لا أثر له.

٣- قول من قال إن الخلاف بين الطائفتين حقيقي من وجه وباعتبار ولفظي من وجه وباعتبار آخر.

ولم أجد من أهل العلم ـ فيما عرفت وعلمت ـ من ذهـب إلـى الصـورة الأولى وجعل الخلاف حقيقي من كل وجه.

ونسب بعض الباحثين[٨٠١]، للآلوسي المفسر أنه يـرى الخـلاف حقيقيـاً، وبالرجوع لكلام الآلوسي في الموضع المشار إليه موطن الإحالة، وجدته يقرر أن الخلاف حقيقي في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، وهي ذات ارتباط أكيد بمسـألة العمل ودخوله في مسمى الإيمان وتعتبر من فروعهـا، ولكـن الفـرع لا يعنـي ضرورة الدلالة على الأصل من كل وجه.

أما الصورة الثانية:

فقد ذهب إلى كونه خلافاً لفظياً لا أثر له من الناحية العملية، شارح العقيـدة الطحاوية الإمام ابن أبي العز الحنفي ونسبه بعض الباحثين إلى الإمام أبي حامـد الغزالي[٨٠٢].

(٨٠١) كعلي بن عبد العزيز بن علي الشبل في كتابه مسألة الإيمان دراسة تأصيلية.

(٨٠٢) انظر: مسألة الإيمان دراسة تأصيلية لعلي بن عبدالعزيز الشبل، صـ٢٦٤.

قال ابن أبي العز الحنفي: "والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة البـاقين من أهل السنة - اختلاف صوري فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أو جزءاً من الإيمان، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان؛ بـل هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه -: نزاع لفظي لا يترتب عليـه فساد اعتقاد... والقائلون بتكفير تارك الصلاة ضموا إلى هذا الأصل أدلة أخـرى، وإلا فقد نفى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان عن الزانـي والسـارق وشـارب الخمر والمنتهب، ولم يوجب ذلك زوال اسم الإيمان عنهم بالكلية اتفاقاً.

ولا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل وأعني بالقول: التصديق بالقلب والإقرار باللسان وهذا الذي يعنى به عند إطلاق قـولهم: الإيمان قول وعمل... وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه وامتنع عن العمل بجوارحه -: [أنه] عاص لله ورسوله مستحق للوعيد"[٨٠٣].

وترتب على خلاف أبي حنيفة للجمهور وموافقة الطحاوي، وابن أبي العـز الحنفي، له على ذلك خلافهم في زيادة الإيمان ونقصانه، فالنصـوص الشـرعية قاضية بالزيادة والنقصان وتأولها الأحناف على أن الزيادة في الإيمان بزيادة ثماره وهي الأعمال أما أصله فلا يزيد ولا ينقص؛ لأن التصديق عندهم لا يتجزأ و ضده التكذيب، ولا يتصور في التصديق القلبي عندهم زيادة ولا نقص لأن ذلك يعنـي تبدل الإيمان إلى الشك والريبة والتكذيب والجحود.

قال ابن أبي العز: "ولهذا ـ والله أعلم ـ قال الشـيخ رحمـه الله -يعنـي الطحاوي-: وأهله في أصله سواء يشير إلى أن التساوي إنما هو في أصـله ولا يلزم منه التساوي من كل وجه بل تفاوت [درجات] نور لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يحصيها إلا الله تعالى: فمن الناس من نور [لا إلـه إلا الله] فـي قلبـه كالشمس ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري وآخر كالمشعل العظيم وآخـر كالسراج المضيء وآخر كالسراج الضعيف ولهذا تظهر الأنـوار يـوم القيامـة

(٨٠٣)شرح العقيدة الطحاوية (٣٣١/١).

بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علما وعملاً"[٨٠٤].

وذهب أكثر المتكلمين إلى إنكار الزيادة والنقصان عموماً وقالوا: متى قبل الزيادة كان شكاً وكفراً وإلى مثل ما ذهب إليه الطحاوي ذهب المحققون من المتكلمين الأشاعرة، **كما نقله النووي قال:** "فإذا تقرر ما ذكرناه من مذاهب السلف، وأئمة الخلف، فهي متظاهرة متطابقة على كون الإيمان يزيد وينقص، وهذا مذهب السلف والمحدثين وجماعة من المتكلمين، وأنكر أكثر المتكلمين زيادته ونقصانه؛ وقالوا متى قبل الزيادة كان شكاً وكفراً، قال المحققون من أصحابنا المتكلمين: نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص،والإيمانالشرعي يزيد وينقص؛ بزيادة ثمراته وهي الأعمال، ونقصانها قالوا: وفي هذا توفيق بين ظواهر النصوص التي جاءت بالزيادة، وأقاويل السلف وبين أصل وضعه في اللغة، وما عليه المتكلمون، وهذا الذي قاله هؤلاء وإن كان **ظاهراً حسناًفالأظهروا أعلم**: أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة، ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم، بحيث لا تعتريهم الشبه، ولا يتزلزل إيمانهم بعارض؛ بل لا تزال قلوبهم منشرحة نيرة وإن اختلفت عليهم الأحوال، وأما غيرهم من المؤلفة ومن قاربهم ونحوهم فليسوا كذلك، فهذا مما لا يمكن إنكاره، ولا يتشكك عاقل في أن نفس تصديق أبى بكر الصديق رضي ا عنه لا يساويه تصديق آحاد الناس"[٨٠٥].

وقرر الطحاوي في باب الزيادة والنقصان كلاماً قريباً مما قرره النووي فجعل الإيمان والتصديق المجمل يزيد بالتفصيل، وجعل الإيمان مع العمل أكمل من الإيمان بلا عمل: "وأما زيادة الإيمان من جهة الإجمال والتفصيل -: فمعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله، ولا يجب على كل أحد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره، كما في حق النجاشي وأمثاله.

---

(٨٠٤)شرح العقيدة الطحاوية، (٣٣١/١).

(٨٠٥)شرح النووي على مسلم، (١٤٨/١- ١٤٩).

وأما الزيادة بالعمل والتصديق المستلزم لعمل القلب والجوارح -: [فهـو] أكمل من التصديق الذي لا يستلزمه، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلـم الذي لا يعمل به، فإذا لم يحصل اللازم دلّ على ضعف الملزوم؛ ولهذا قال النبـي صلى ا عليه وسلم: (ليس المخبر كالمعاين)(٨٠٦)، وموسى عليه السلام لما أخبـر أن قومه عبدوا العجل لم يلق الألواح، فلما رآهم قد عبدوه ألقاها، وليس ذلك لشك موسى في خبر ا ؛ لكن المخْبر وإن جزم بصدق المخبِر فقد لا يتصور [المخبـر به نفسه كما يتصوره] إذا عاينه، كما قال إبراهيم الخليل صلوات ا علـى نبينـا محمـد وعليـه: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(٨٠٧).

وأيضا: فمن وجب عليه الحج والزكاة مثلا يجب عليه [مـن] الإيمـان أن يعلم ما أمر به، ويؤمن بأن ا أوجب عليه ما لا يجب على غيره [الإيمان بـه] إلا مجملاً، وهذا يجب عليه فيه الإيمان المفصل، وكذلك الرجل أول ما يسلم إنمـا يجب عليه الإقرار المجمل، ثم إذا جاء وقت الصلاة كان عليه أن يؤمن بوجوبهـا ويؤديها، فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الإيمان"(٨٠٨).

ثم بعد هذا يقرر ابن أبي العز أن النزاع في هذه المسألة بين أهل السنة نزاع لفظي، ولا محذور فيه سوى ما يحصل من عدوان إحدى الطائفتين على الأخـرى والافتراق بسبب ذلك، وأن يصير ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام والمـذموم مـن أهل الإرجاء ونحوهم، وإلى ظهور الفسق والمعاصي؛ بأن يقول أنا مؤمن مسـلم حقاً كامل الإيمان والإسلام، ولي من أولياء ا فلا يبالي بمـا يكـون منـه مـن المعاصي.

---

(٨٠٦) لايوجد حديث بهذا النص، ولفظه في مسند أحمد بن حنبل،(ليس الخبر كالمعاينة) (٢١٥/١)، وكـذلك في صحيح ابن حبان، (٩٦/١٤).

(٨٠٧) سورة البقرة من الآية: ٢٦٠.

(٨٠٨)شرح العقيدة الطحاوية، (٣٣١/١).

وبهذا المعنى قالت المرجئة: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله ! وهذا باطل قطعا.

فالإمام أبو حنيفة رضي الله عنه نظر إلى حقيقة الإيمان لغةً مع أدلة من كلام الشارع، وبقية الأئمة رحمهم الله نظروا إلى حقيقته في عرف الشارع فإن الشارع ضم إلى التصديق أوصافاً وشرائط كما في الصلاة والصوم والحج ونحو ذلك"[٨٠٩].

ونجد ابن أبي العز الحنفي لم يخرج أبا حنيفة من دائرة أهل السنة بسبب خلافه في هذه المسألة.

كما أن من الأئمة من جعله من مرجئة أهل السنة، بمعنى أنه وقع في شيء من الإرجاء، لا يخرج به عن السنة:

قال الآمدي: "ومع هذا فأصحاب المقالات قد عدوا أبا حنيفة وأصحابه من مرجئة أهل السنة، ولعل ذلك لأن المعتزلة في الصدر الأول كانوا يلقبون من خالفهم في القدر مرجئاً أو لأنه لما قال الإيمان هو التصديق، ولا يزيد ولا ينقص، ظُن به الإرجاء بتأخير العمل عن الإيمان، وليس كذلك إذعرف منه المبالغة في العمل والاجتهاد فيه"[٨١٠].

وقال الشهرستاني:لعمري كان يقال لأبي حنيفة وأصحابه مرجئة السنة، وعده كثير من أصحاب المقالات من جملة المرجئة؛ ولعل السبب فيه أنه لما كان يقول:

الإيمان: هو التصديق بالقلب، وهو لا يزيد ولا ينقص، ظنوا أنه يؤخر العمل عن الإيمان، والرجل مع تخريجه في العمل[٨١١] كيف يفتي بترك العمل!!

---

(٨٠٩)شرح العقيدة الطحاوية، (٣٣١/١).

(٨١٠)المواقف لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، (٧٠٨/٣).

(٨١١) يعني انشغاله في فقه الفروع والأحكام العملية وتفصيلاتها.

وله سبب آخر: وهو أنه كان يخالف القدرية والمعتزلة، الذين ظهـروا فـي الصدر الأول، والمعتزلة كانوا يلقبون كـل مـن خـالفهم فـي القـدر مرجئـاً، وكذلكالوعيدية من الخوارج، فلا يبعد أن اللقب إنما لزمه مـن فريقـي المعتزلـة والخوارج وا أعلم"[٨١٢].

قلت بل لا يبعد أن يكون أبو حنيفة بقوله في الإيمان قد شكل قولاً جديداً في الإرجاء، ولو أن درجة مخالفته ليست مؤثرة كخلاف الجهمية والكرامية؛ إلاّ أنـه قد خالف النصوص وتأولها على غير تأويل السلف، بأدلة رأى رجحانها، وسيأتي تحقيقه قريباً، وليس اعتباره من المرجئة من قول الخوارج الوعيديـة والمعتزلـة القدرية فقط؛ بل عده من جملة فرق المرجئة غير واحد ممن كتـب فـي الفـرق كالأشعري[٨١٣] وابن حزم[٨١٤].

وذهب إلى الصورة الثالثة وهي كونه خلافاً حقيقياً من وجه ولفظياً من وجه جمع من أهل العلم المتقدمين وجمع من الباحثين المعاصرين.

على خلاف بينهم في درجة هذا الخلاف وأثره، فالمتقدمون من أهـل العلـم جلهم على أنه خلاف واقع ولكنه يسير في نفسه، ويسير في آثاره، ولا يصح معه النزاع المؤدي للعدوان والبغي في الحكم، والتعسف في الاستدلال، والمتأخرين من الباحثين على أنه خلاف معتبر وكبير غير يسير، ويكون بعداً في ظاهرة الإرجاء وسلماً للغلو فيه؛ بل الوصول إلى التجهم من خلاله.

ولعل أبرز من تبنى ذلك هو الشيخ/ سفر الحـوالي فـي رسـالته ظـاهرة الإرجاء.

ويقول فيها: "فما حقيقة الخلاف بين مذهب السلف ومذهب الحنفية؟

قبل الإجابة المباشرة يجب أن نتذكر ما سبق في فصل (المرجئة الفقهاء) من نقل ذم علماء السلفللمرجئة وأنهم هم هؤلاء، وبيان ضلالهم وبدعتهم، وهـو مـا

---

(٨١٢)الملل والنحل،(١/١٤٠-١٤٢).

(٨١٣) في مقالات الإسلاميين، (١٣٨/١).

(٨١٤)الفصل في الملل، (٨٨/٢).

تنضح به كتب العقيدة الأثرية عامة، **فهل يعقل أن يكون هذا كله والخلاف لفظـي فقط؟!**

والذي تبينته من خلال الدراسة والتتبع أن سبب اللبس الواقع أحياناً هـو أن للمسألة جانبين:

الأول: ما يتعلق بحقيقة الإيمان أو ماهيته التصورية -إن صح التعبير-:

والخلاف فيها حقيقي قطعاً، وله ثمراته الواضحة وأحكامه المترتبة مثل:

١- فـالسلف يقولون: بزيادته ونقصانه، وهؤلاء يقولون بعدمها.

٢- إطلاقه على الفاسق أو عدمه، فـالسلف لا يطلقونه علـى الفاسـق إلا مقيداً، وهؤلاء بعكسهم.

٣- هل يقع تاماً في القلب مع عدم العمل أم لا؟ عند السلف لا يقع تاماً فـي القلب مع عدم العمل، وعند هؤلاء يقع.

٤- وعند السلف أعمال القلب هي من الإيمان، وعند هؤلاء خشية وتقوى لا تدخل في حقيقته.

٥- وعند السلف الإيمان يتنوع باعتبار المخاطبين به...فيجب على كل أحـد بحسب حاله وعلمه ما لا يجب على الآخر من الإيمان، وعند هؤلاء لا يتنوع.

٦- السلف يقولون: إنه يستثنى فيه باعتبار، وهؤلاء يقولون لا يجوز ذلـك لأنه شك.

٧- إطلاق نصوص الإيمان على العمل أهو حقيقـة أم مجـاز؟ فـ ـالسلف يقولون: حقيقة، وهؤلاء يقولون: مجاز.

٨- وهؤلاء يقولون: يجوز أن يقول أحد: إن إيماني كإيمان جبريل، والسلف يقولون: لا يجوز بحال[٨١٥].

(٨١٥) هذا محكي عن الجهمية، وهو من لازم قولهم، أو قولهم، ولم يحكى مثل هذا القول عن مرجئة الفقهـاء فيما وقفت عليه، إلاّ أن يكون لازم قولهم، أو باعتبار أصل التصديق اللغوي لا الشرعي، على تفصيله.

الثاني: ما يتعلق بالأحكام والمآلات وأهمها:

١- حكم مرتكب الكبيرة عند ا ، وأنه لا يطلق عليه الكفر في الـدنيا، ولا يخلد في النار في الآخرة، بل هو تحت المشيئة.

٢- كون الأعمال مطلوبة، لكن أهي أجزاء من الإيمان أم مجرد شرائع لـه وثمرات؟ فمن نظر إلى هذا فقط قال: إن الخلاف صوري، أو إن النزاع لفظي.

ولكن مما يرد به على أصحاب هذا المذهب في هذا القول نفسه - فضلاً عن القسم الأول:

١- أن إخراج الأعمال من مسمى الإيمان بدعة لم يعرفها السلف.

٢- أن ذلك اتخذ ذريعة لإرجاء الجهمية -كما سبق- بل أدى إلـى ظهـور الفسق كما ذكر شَيخ الإِسلام.

٣- أنه تكلف وتعسف في فهم الأدلة ورد ظواهرها الصريحة.

٤- أن كل شبهة لهم في ذلك منقوضة بحجة قوية.

على أن القضية المهمة في الموضوع والتي ترتب عليها خلافهم فـي حكـم تارك الصلاة -وقولهم: إنه يقتل حداً- هي قضية ترك جنس العمل بالكلية.

فقولهم: إنه مؤمن يجعل الخلاف حقيقياً بلا ريب، بل هـم يجعلونـه كامـل الإيمان على أصلهم المذكور.

فالخلاف فيها لا يقتصر على التسمية والحكم في الدنيا بل في المآل الأخروي أيضاً، هذا ما أخطأ فيه شارح الطحاوية حين قال: " وقـد أجمعـوا -أي السـلف والحنفية- على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه وامتنع عن العمل بجوارحـه أنـه عاص ورسوله، مستحق للوعيد ".

واستدل بهذا على أن الخلاف صوري، والواقع أن مجـرد الاتفـاق علـى العقوبة لا يجعل الخلاف كذلك.

بل مذهب السلف أن تارك العمل بالكلية كافر؛ إذ انعقد إجماع الصحابة - عليهم رضوان ا - على تكفير تارك الصلاة، ولم يخالف في ذلك أحد حتى ظهرت المرجئة وتأثر بها بعض أتباع الفقهاء الآخرين، دون علم بأن مصدر الشبهة وأساسها هو الإرجاء)[٨١٦].

ويمكن للباحث أن يستشف من هذا النص المنقول من رسالة سفر ما يجعل الخلاف في نظره مع التفصيل الذي أورده خلافاً ذا بال، وذا أثر كبير، وهذا يستحق النظر فيه والمناقشة له، والتي أحبذ أن تكون أولاً:

بإيراد أقوال المحققين من الأئمة الراسخين في علم العقيدة لمعرفة حكمهم على الخلاف ودرجته وأثره، وأما تقرير كونه خلافاً فلا نزاع في ذلك حتى عند من عده لفظياً - كابن أبي العز- فالخلاف واقع وحاصل وإنما القول هنا في تقديره وبيان درجته وأثره.

ثم بعد إيراد أقوالهم وبيان وإيضاح مرادهم، أنتقل إلى مقالة سفر لمناقشته فيما ذكر.

أولاً:أقوال الأئمة الذين عدوا خلاف مرجئة الفقهاء لفظياً لا معنوياً:

ذهب ابن حزم في بيانه لقرب الفرق المقرة بملة الإسلام وبعدها عن أهل السنة إلى تقرير أن خلاف مرجئة الفقهاء قريب فقال:

"فرق المقرين بملة الإسلام خمسة وهم أهل السنة والمعتزلة والمرجئة والشيعة والخوارج ثم افترقت كل فرقة من هذه على فرق وأكثر افتراق أهل السنة في الفتيا ونبذ يسيرة من الاعتقادات سننبه عليها إن شاء ا تعالى ثم سائر الفرق الأربعة التي ذكرنا ففيها ما يخالف أهل السنة الخلاف البعيد وفيهم ما يخالفهم الخلاف القريب فأقرب فرق المرجئة إلى أهل السنة من ذهب مذهب أبي حنيفة

---

(٨١٦) ظاهرة الإرجاء، ص-٢٨٣-٢٨٥.

الفقيه إلى أن الإيمان هو التصديق باللسان والقلب معا وأن الأعمال إنما هي شرائع الإيمان وفرائضه فقط"[817].

فالخلاف بين أهل السنة والمرجئة وسائر طوائف أهل القبلة الذين عبر عنهم ابن حزم بالمقرين بملة الإسلام، واقع لا يمكن إنكاره من هذه الجهة وإن أمكن إنكار خلافهم من جهة بعده عن الحق ومخالفته لنصوص الشرع الصحيحة الصريحة، مع بيان درجة هذا الخلاف، وهو الأمر الذي أشار إليه ابن حزم في عبارته السابقة. فمن الفرق من مخالفته بعيدة ومنهم من مخالفته قريبة، كما قرره في مخالفة مرجئة الفقهاء - دون بقية طوائف المرجئة - القائلين بأن الأعمال فرائض وشرائع الإيمان وليست جزءاً منه.

ويزيد من بيان ذلك، وتوضيح قُرب خلافهم أقوال لابن تيمية - رحمه ا - وهو يحرر محل النزاع في الإيمان وحقيقته وما يدخل في مسماه بوجه عام بين سائر فرق القبلة، و بوجه خاص بين أهل السنة وبين المرجئة، وفي أكثر من كتاب من كتبه ورسائله، وفي أكثر من موضع ومنها قوله:

"... تنازعهم في مسائل الأسماء والأحكام والوعد والوعيد، فالخوارج والمعتزلة يقولون صاحب الكبائر الذي لم يتب منها مخلد في النار، ليس معه شيء من الإيمان، ثم الخوارج تقول هو كافر، والمعتزلة توافقهم على الحكم لا على الاسم، والمرجئة تقول هو مؤمن، تام الإيمان، لا نقص في إيمانه؛ بل إيمانه كإيمان الأنبياء والأولياء، وهذا نزاع في الاسم ثم تقول فقهاؤهم ما تقوله الجماعة في أهل الكبائر، فيهم من يدخل النار، وفيهم من لا يدخل، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، واتفق عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

فهؤلاء لا ينازعون أهل السنة والحديث في حكمه في الآخرة؛ وإنما ينازعونهم في الاسم، وينازعون أيضا فيمن قال ولم يفعل، وكثير من متكلمة المرجئة تقول لا نعلم أن أحداً من أهل القبلة من أهل الكبائر يدخل النار، ولا أن أحداً منهم لا يدخلها، بل يجوز أن يدخلها جميع الفساق، ويجوز أن لا يدخلها أحد

---

(٨١٧)الفصل في الملل، (٨٨/٢).

منهم، ويجوز دخول بعضهم، ويقولون من أذنب وتاب لا يقطع بقبول توبته؛ بـل يجوز أن يدخل النار أيضاً، فهم يقفون في هذا كله ولهذا سمو الواقفة "(٨١٨).

وقال في شرح العقيدة الأصفهانية: "المرجئة خلافهم مع الجماعـة خـلاف يسير، وبعضه لفظي، ولم يعرف بين الأئمة المشهورين بالفتيا خلاف إلا في هذا، فإن ذلك قول طائفة من فقهاء الكوفيين كحماد بن أبي سـليمان، وصـاحبه أبـي حنيفة، وأصحاب أبي حنيفة....

فالأقوال في ذلك ثلاثة:

الخوارج والمعتزلة نازعوا في الاسم والحكم؛ فلم يقولوا بـالتبعيض لا فـي الاسم ولا في الحكم، فرفعوا عن صاحب الكبيرة بالكلية اسم الإيمان، وأوجبوا لـه الخلود في النيران، وأما الجهمية والمرجئة فنازعوا في الاسم لا في الحكم، فقالوا يجوز أن يكون مثاباً معاقباً محموداً مذموماً، لكن لا يجوز أن يكون معـه بعـض الإيمان دون بعض"(٨١٩).

أشار ابن تيمية في عبارته هذه إلى يسير الخلاف بين المرجئة وأهل السـنة والجماعة، ولعله في بيان إطلاق الاسم والحكم على مرتكب الكبيرة، وأشار إلـى الخلاف اللفظي ولعله فيما يتعلق بزيادة الإيمان ونقصانه، وهو ما نص عليه ابـن أبي العز فيما سبق النقل عنه؛ إذ اعتبره اختلافاً صورياً ونزاعاً لفظياً لا يترتـب عليه فساد اعتقاد عنده.

وفي قول ابن تيمية: "ولم يعرف بين الأئمة المشهورين بالفتيا خلاف إلا في هذا".

ما يبين ضرورة معرفة قائل القول، وأهمية الوقوف على ترجمتـه ليعـرف حاله في علمه وعبادته وصلاحه، وأهليته للحديث والقول في عقائد المسـلمين، إذ وجدتُ في بحثي هذا من الأقوال المنكرة الشاذة، بل من أقوال الإلحاد ما يـذكرها علماء المقالات دون نسبة، أو مع نسبة منكرة إلى قائل مجهول لا يعرف صـلته

(٨١٨)منهاج السنة النبوية، (٢٨٤/٥).

(٨١٩)العقيدة الأصفهانية، (١٨٢/١).

بالعلم والفقه، وهذا مما يجب تصفية الكتب عن مثله، أو إفراد مقالات الملاحدة والزنادقة بمؤلف مستقل ليعرف أن ما قيل اليوم على لسان الفساق والملاحدة والحداثيين الجدد قد قيل في السابق، فأصول الأهواء والبدع والضلالات واحدة وإن اختلفت صور وصيغ التعبير عنها.

وفي نفس سياق بيانه لخلاف مرجئة الفقهاء يقول ابن تيمية: " وأما المرجئة فليسوا من هذه البدع المعضلة؛ بل قد دخل في قولهم طوائف من أهل الفقه والعبادة وما كانوا يعدون إلا من أهل السنة، حتى تغلظ أمرهم بما زادوه من الأقوال المغلظة.

ولما كان قد نسب إلى الإرجاء والتفضيل قوم مشاهير متبعون؛ تكلم أئمة السنة المشاهير في ذم المرجئة المفضلة؛ تنفيراً عن مقالتهم كقول سفيان الثوري من قدم علياً على أبي بكر والشيخين فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، وما أرى يصعد له إلى ا عمل مع ذلك. أو نحو هذا القول قاله لما نسب إلى تقديم علي بعض أئمة الكوفيين.

وكذلك قول أيوب السختياني من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، قاله لما بلغه ذلك عن بعض أئمة الكوفيين، وقد روى أنه رجع عن ذلك، وكذلك قول الثوري ومالك والشافعي وغيرهم في ذم المرجئة لما نسب إلى الإرجاء بعض المشهورين"[٨٢٠].

أثبت ابن تيمية الخلاف، وبين أن القائل به واقع في بدعة غير مغلظة، وأنه لا يخرج عن أهل السنة بقوله هذا، وكأنه يجيب على من تساءل من الباحثين، وقال إن كان خلاف مرجئة الفقهاء يسيراً فلماذا اشتد النكير بل والتكفير على المرجئة.

والأمر واضح لمن تتبع كلامهم في سياقه العام والخاص، أما من أخذ الكلام على إطلاقه فيلتبس عليه الأمر، وهنا لابد من حمل كلام العلماء على محمله الصحيح الذي أرادوه، فالتكفير لم يكن لهذه الفئة التي هي من أهل السنة ولا يخرجها خلافها في هذا الباب عن السنة، وإن كان خلافهم قد أوقعهم في بدعة لفظية، بسببها تمحلوا في تأويل

---

(٨٢٠)مجموع الفتاوى، (٣٥٧/٣).

النصوص الصريحة الصحيحة، وبسببها اشتد نكير السلف عليهم لما أحدثوه من قول، ترتبت عليه أقوال كلها خارجة عن هدي السلف، والعبارات التي أطلقها السلف على تكفير المرجئة فالمقصود بها الغلاة من الجهمية، الذين غالوا في الإرجاء حتى توقفوا في كفر المنافقين وغيرهم ممن كفر ا ورسوله، وليس المقصود به مرجئة الفقهاء من أهل العلم والدين والفقه والورع.

وعد ابن تيمية بدعة مرجئة الفقهاء هذه من بدع الأقوال والأفعال، لا من بدع العقائد فقال في كتابه الإيمان: "...إنه لم يكفر أحد من السلف مرجئة الفقهاء، بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال، لا بدع العقائد، فإن كثيراً من النزاع فيها لفظي، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب"[(٨٢١)].

"ثم إن السلف والأئمة اشتد إنكارهم على هؤلاء وتبديعهم وتغليظ القول فيهم، ولم أعلم أحداً منهم نطق بتكفيرهم؛ **بل هم متفقون على أنهم لا يكفرون في ذلك**، وقد نص أحمد وغيره من الأئمة على عدم تكفير هؤلاء المرجئة، ومن نقل عن أحمد أو غيره من الأئمة تكفيراً لهؤلاء أو جعل هؤلاء من أهل البدع المتنازع في تكفيرهم فقد غلط غلطاً عظيماً، والمحفوظ عن أحمد وأمثاله من الأئمة إنما هو تكفير الجهمية المشبهة، وأمثال هؤلاء، ولم يكفر أحمد الخوارج، ولاالقدرية، إذا أقروا بالعلم وأنكروا خلق الأفعال، وعموم المشيئة، لكن حكي عنه في تكفيرهم روايتان، وأما المرجئة فلا يختلف قوله في عدم تكفيرهم"[(٨٢٢)].

وروى الخلال بسنده عن الإمام أحمد وقد سئل عن المرجئة: هل تخاف أن يدخل الكفر على من قال الإيمان قول بلا عمل؟ فقال: لا يكفرون بذلك[(٨٢٣)].

---

(٨٢١) صـ ٣٣٧.

(٨٢٢)توحيد الألوهية (٥٠٧/٧).

(٨٢٣)السنة للخلال(٥٧٤/٣) حديث رقم ٩٨٨. قال الخلال وأخبرني موسى بن سهل ثنا محمد بن أحمد الأسدي قال: ثنا إبراهيم بن يعقوب عن إسماعيل بن سعيد قال: " سألت أحمد هل تخاف أن يدخل الكفر على من قال الإيمان قول بلا عمل؟ فقال: لا يكفرون بذلك"قال محققه د. عطية الزهراني: في إسناده موسى بن سهل، لعله يشير إلى ضعفه أو مقال فيه.

وقيل له المرجئة يقولون الإيمان قـول فـأدعو لهـم؟ قـال: أدعـو لهـم بالصلاح[٨٢٤].

وفي سياق مناظرات أهل السنة للمرجئة وتناول لوازم أقوالهم للوقوف علـى حقيقة مقالتهم في الإيمان يقول ابن تيمية: "هل دخل هذا العمل في هذا الاسم وقال ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [٨٢٥] فألزم الاسم العمل والعمل الاسم.

والمقصود هنا أنه لم يثبت المدح إلاّ على إيمان معه العمل، لا على إيمـان خالٍ عن عمل،فإذا عرف أن الذم والعقاب واقع في ترك العمل كـان بعـد ذلـك **نزاعهم لا فائدة فيه بل يكون نزاعاً لفظياً؛** مع أنهم مخطئون في اللفظ مخـالفون للكتاب والسنة، وإن قالوا إنه لا يضره ترك العمل فهذا كفر صريح[٨٢٦]، وبعـض الناس يحكى هذا عنهم، وأنهم يقولون:إن الله فرض على العباد فرائض ولم يـرد منهم أن يعملوها، ولا يضرهم تركها،**وهذا قد يكون قول الغالية**، الذين يقولون لا يدخل النار من أهل التوحيد أحد، لكن ما علمت معيناً أحكي عنه هذا القول،وإنمـا الناس يحكونه في الكتب، ولا يعينون قائله، وقد يكون قول من لا خلاق لـه فـإن كثيراً من الفساق والمنافقين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنـب أو مـع التوحيـد وبعض كلام الرادين على المرجئة وصفهم بهذا"[٨٢٧].

وهذا منه رحمه الله إنصاف للمخالف، بالتثبت في النقل عنه والنسبة إليه، مع التفريق بين مذهب العامة منهم والغلاة، فلا يصح تجاوز هذا المنهج في تحريـر

---

(٨٢٤)السنة للخلال، (٥٧٤/٣) حديث رقم ٩٨٩ ونصه:

قال الخلال وأخبرنا أبو بكر المروذي قال: قيل لأبي عبدالله المرجئة يقولون الإيمان قول فادعو لهـم، قـال: أدعو لهم بالصلاح. قال محققه د. عطية الزهراني: إسناده صحيح.

(٨٢٥) سورة الإسراء من الآية:١٩.

(٨٢٦) وعلى هذا يجب أن تحمل أقاويل العلماء في إطلاق حكم التكفير، كقول الآجري في كتابه الشـريعة: "فأذكر ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من أصحابه وعن كثير من التابعين: أن الإيمـان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح ومن لم يقل عندهم بهذا فقد كفر" صـ١٣٢.

(٨٢٧)مجموع الفتاوى، (١٨١/٧).

أقوال الفرق والطوائف، وجعل الشاذ منها هو المذهب، وإسقاط الأحكام على المجموع بناء على أقوال لا يعرف قائلها.

وقد أطلتُ النقل في هذه المسألة عن شيخ الإسلام بن تيمية لدقته في النقل وقوته في النقد وشدة إنصافه وعدله، ولكي يعلم ضعف قول القائل:" فالخلاف فيها لا يقتصر على التسمية والحكم في الدنيا بل في المآل الأخروي أيضاً، هذا ما أخطأ فيه شارح الطحاوية".

وليتبين ضعف مذهب من ذهب إلى تهويل خلاف المرجئة الفقهاء، ولا أقصد بذلك تحسين مقالتهم أو تقوية مذهبهم، بل المقصود القسط والعدل في بيان درجة المخالفة وقدرها ودرجة الاتفاق وقدره، وهذا مقصود أصلي في بحثي هذا. أحرص على إظهاره من خلال أقوال أهل العلم الثقات الأثبات، ولا أحرص على إيجاده وإنشاءه من عدم، بل من واقع وعلمية ألتزم بها.

ثانياً: مناقشة سفر فيما ذهب إليه:

ذم السلف للمرجئة لا يعني أن الخلاف ليس لفظياً بإطلاق ولا أنه لفظي بإطلاق.

فعبارات السلف مختلفة باختلاف أقوال المرجئة، و متفاوتة بتفاوت طوائفهم، فلو صح القول - ولا يصح عند المتخصصين أمثال الشيخ سفر - أنهم فرقة واحدة، ومقالتهم واحدة، لصح إنزال أقوال وعبارات السلف - التي اشتد فيها النكير، الذي بلغ أحياناً حد التكفير - على مرجئة الفقهاء.

وذلك لا يكون ولم يكن،بل عند التحقيق يلزم الفصل بين فرق الإرجاء وإنزال كل حكم على قائله، لكي لا نأخذ النصوص ونضعها في غير مواضعها، ولا بد هنا من معرفة تفصيلية للمناسبات التي قيلت فيها تلك المقالات ومن المقصود بها، والحال الذي قيلت فيه؛ لأن هذا يقرب لنا واقع السلف وواقع فتاواهم، فالفتوى التي يقولونها في بدعة معينة وينسبونها إلى قائلها، وينزلون فيها الحكم ليست كالفتوى التي تقال بعموم، ولا تَرِد على معين.

وأما تمسك سفر بإنكار السلف مقالة الإرجاء فجوابه:

أن لإنكارهم درجات مختلفة، بينتها عباراتهم المتنوعة، والتي تختلف باختلاف المنكر الظاهر زماناً ومكاناً وأشخاصاً، إذ يختلف الإنكار من شخص إلى آخر بحسب الأحوال والأقوال، فقد يقع الفاضل في موافقة لأهل البدع، لفظية كانت موافقته أو معنوية، كلية أو جزئية، فيقع الإنكار عليه على وجه يختلف عن وجه الإنكار على غيره، وتفريق علماء الجرح في قبول الرواية وردها بين الداعي وغير الداعي لبدعته، وبين البدع المكفرة وغير المكفرة، يدل على ذلك.

فإنكار السلف على كل صاحب بدعة دليل حرصهم على الحق والهدى، ولا يعني ذلك أكثر من تشنيعهم على البدعة وعلى قائلها، سواء كانت بدعة غليظة أو خفيفة؛ لكي لا يظهر هذا القول على السنة، وتندرس بذلك الظهور معالم السنة، ولكنهم عند الحكم على البدعة وعلى صاحبها يلزمهم البيان والتفصيل والتحري، وذلك نهجهم، إذ يفرقون بين البدع من حيث الكفر وعدمه، و القائل بها من حيث دعوته إليها من عدمه، ويختلف بهذا حكمهم بحسب كل حال، فالداعية إلى بدعته ليس حكمه حكم غير الداعية، وحكم البدعة الكفرية ليس حكم البدعة غير الكفرية، والكل يستحق التشنيع والتشهير والإنكار، ومع ذلك فالتشنيع غير الحكم، ولا تلازم بينهما دوماً، فليس كل من شنع عليه لمخالفته يحكم عليه بالكفر أو بالبدعة والضلال كما سيأتي في بابه من هذه الرسالة - إن شاء ا تعالى -.

وعبارات السلف وردت بألفاظ محددة، فلابد أن ندقق فيها ونقف عندها؛ لنعطيها معانيها الحقيقية الظاهرة دون توسع، ويمكننا أن نعرض أقوال السلف على الأصول الثابتة الجامعة، وندرسها دراسة إسناد ومتن، رواية ودراية، ونخضعها للنقد العلمي على منهج " كل يؤخذ من قوله ويرد إلاّ المعصوم صلى ا عليه وسلم"، ويكون هذا الفحص في غير مواضع الإجماع، وخاصة إذا تضاربت الروايات، واختلفت النقول عنهم، بل قد تختلف الرواية عن واحد منهم بعينه، والآثار الواردة عن السلف كثيرة جداً وينقصها الفحص والدراسة الحديثية التوثيقية.

المطلب الثاني

معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند الخوارج

(الأباضية أنموذجاً)

في تحرير قول الأباضية في الإيمان وحقيقته اللغوية والشرعية

قال أبو يعقوب الوارجلاني[(828)]**:** "اعلم أن قولنا في الإيمان: إنه جميع ما أمر الله به من قول واعتقاد وفعل، والكفر هو جميع ما توعد الله تعالى عليه النار، فمن أتى كبيرة عندنا فهو كافر.

وأما قول المرجئة فهو: أن الإيمان في الضمير واللسان، ولا يسمى شيء من أفعال الجوارح إيماناً، وقولنا أيضاً: إن النفاق في الأفعال، وقالوا: إن النفاق في الضمير لا غير، فالمؤمن: الموفي عندنا، والمؤمن: الموحد عندهم.

واعلم أن اسم المؤمن قد ورد في القرآن على وجهين، ورد على التسمية لمن ادعى الإيمان وانتحله، وورد على التحقيق بالقول والفعل وله الجزاء في الآخرة غداً.

فأما المؤمن على المجاز والانتحال، فقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾[(829)].

وقد دخل في هذا الاسم كل من انتحل اسم الإيمان وأقر بالشهادتين.

وقال أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً﴾[(830)].... فهذا على الانتحال والتسمية.

---

(828) الورجلاني: هو العلامة أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني، من أهل ورجلان وادي في المغرب الأقصى، أباضي، عالم بأصول الفقه، ومن كتبه : "العدل والإنصاف في أصول الفقه" في أصول الفقه، و"الدليل والبرهان" في عقائد الأباضية، و"مرج البحرين في المنطق والهندسة والحساب" وله نظم، توفي سنة ٥٧٠. انظر: الأعلام (٢١٢/٨) .

(829) سورة النساءمن الآية:٩٣.

وأما المؤمن الحقيقي الذي له الجزاء عند ا تعـالى فـي الآخـرة فـالمقر بالشهادتين والعمل بالأركان، أعني أركان الإسلام، على اجتناب أركان المعاصي.

قال ا عز وجل: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً)(٨٣١) وغيرهم المؤمنون باطلاً.

والكفر نقيض الإيمان، والإيمان قول وعمل، والكفر قول وعمل، بدليل قوله ا ـ عزوجـل ـ: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٨٣٢).

ومن لا يحج فإن ا تعالى غني عنه، ومن أقر وأبى أن يحج فما فائدته وهو مستطيع ولهذا قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: (ولو قلت نعـم لوجبـت، ولـو وجبت ما قدرتم عليه، ولو لم تفعلوا إذاً لكفرتم)(٨٣٣).

وقوله عليه السلام: (من لم يحج حجة الإسلام فليمـت إن شـاء يهوديـاً أو نصرانياً)(٨٣٤). وقال: (ليس بين العبد والكفر إلا تركه الصلاة)(٨٣٥). وقال: (مـن

(٨٣٠) سورة النساء من الآية:٩٢.

(٨٣١) سورة الأنفال الآيات: (٢-٤).

(٨٣٢) سورة آل عمران من الآية: ٩٧.

(٨٣٣)سنن الترمذي، (١٧٨/٣)حديث رقم٨١٤. مسند أحمد بن حنبل، (١١٣/١) حديث رقـم ٥٠٩. سـنن الدارقطني،(٢٧٨/٢)، حديث رقم ١٩٦. بدون قوله "ولو لم تفعلوا إذاً لكفرتم".

(٨٣٤) لم أجد الحديث بهذا النص ولفظه في المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبد ا بن محمد بـن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت،(من مات ولم يحج حجة الإسلام لم يمنعه مـرض حـابس أو حاجة ظاهرة أو سلطان جائر فليمت على أي حال شاء يهوديا أو نصرانيا)(٣٠٥/٣) حـديث رقـم ١٤٤٥٠، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعةالأولى ١٤٠٩هـ.

(٨٣٥)سنن البيهقي الكبرى،(٣٦٦/٣) حديث رقم ٦٢٨٨.

ترك الصلاة فقد كفر)[٨٣٦]، وقال عليه السلام: (سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر)[٨٣٧].

وقال: (الرشا في الحكم كفر)[٨٣٨]، وقال عليه السلام: (من أتى امرأة في دبرها أو حائضاً كفر)[٨٣٩].ا.هـ[٨٤٠].

قرر الوارجلاني من عقيدة الأباضية في الإيمان: أن الإيمان هو جميع ما أمر الله به من قول واعتقاد وفعل، وأنكر قول المرجئة أن الإيمان في الضمير وعلى اللسان، وقولهم أن أفعال الجوارح لا تسمى إيماناً وليس منها نفاق، إذ قرر أن أفعال الجوارح منها ما يكون من الإيمان ومنها ما يكون من النفاق ومنها ما يكون من الكفر.

ولا يصح إطلاق مسمى الإيمان واسم المؤمن إلا على من وفّى هذه الثلاثة الاعتقاد والقول والفعل.

وجعل استعمال القرآن وإطلاقه لاسم المؤمن ولمسمى الإيمان على وجهين أحدهما: مجازي والآخر: حقيقي.

---

(٨٣٦)صحيح ابن حبان،(٣٢٣/٤) حديث رقم ١٤٦٣.

(٨٣٧)مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، (٣٤/١) حديث رقم ٢٥٨، دار المعرفة، بيروت. مسند أبي يعلى، (٤٤١/١٠) حديث رقم٦٠٥٢، مصنف ابن أبي شيبة، (١٧٩/٣) حديث رقم١٣٢٣٥.

(٨٣٨) لم أجد له تخريجاً في دواوين السنة بهذا اللفظ مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وروى الطبراني في المعجم الكبير بسنده إلى ابن مسعود قال: "الرشوة في الحكم كفر، وهي بين الناس سحت" (٢٢٦/٩) حديث رقم ٩١٠٠، وصحح الألباني سنده موقوفاً وقال: صحيح لغيره،انظر: صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني،(٢٦٢/٢) حديث رقم٢٢١٣، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة.

(٨٣٩) ولفظه كما في سنن البيهقي الكبرى: (فقد بريء مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم) (١٩٨/٧) حديث رقم ١٣٩٠٢.

(٨٤٠) الدليل والبرهان لأبي يعقوب يوسف إبراهيم الوارجلاني، تحقيق الشيخ سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث والثقافة العمانية، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

وأهل الإيمان الحق هم من أتوا به كاملاً بأركانه الثلاثة مع اجتناب أركان المعاصي. وكأنه ركن رابع لا تصح التسمية الحقيقية إلا به.

ومن أخل بأحد هذه الأركان فهو من أهل الإيمان المجازي المنْتَحل الذي يزعمه أصحابه لكنه لا يثبت لهم به نجاة في الآخرة.

واستدل على ذلك بظواهر النصوص التي أطلقت اسم الكفر ووصفه على من ترك شيئاً من الأعمال، أو اقترف كبيرة من الكبائر، فقضى بكفره، وعدم صحة تسميته مؤمناً على سبيل الحقيقة بل إن ورد إطلاق الإيمان مع اقتراف كبيرة من الكبائر فهو إطلاق مجازي فقط إذ لا تجتمع الكبيرة مع الإيمان عندهم.

قال الدكتور مسلم الوهيبي: في بيانه لعلاقة العمل بالإيمان عند الأباضية: "تأسيساً على ما سبق يصبح العمل جزء[841] لا يتجزأ من الإيمان"[842] وساق الآيات الدالة على ذلك والأحاديث، وقال: "واستناداً على هذه الأدلة وأمثالها اعتبرت الأباضية العمل جزءاً من الإيمان، بل عدوه شرط صحة في الإيمان، وردوا على كل من خالف في هذا الأمر، مبينين وجهة نظرهم، ومدافعين عمن يخطئهم"[843].

ثم أشار إلى أهم مؤلفاتهم التي تناولت الأمر[844]، ونقل عنها آثاراً لأئمة الأباضية تدل على أن الإيمان عندهم اعتقاد وعمل، منها:

قول جابر بن زيد[845]: وإن نقض العمل القول كان ذلك غاية الفساد[846].

---

(٨٤١) هكذا وردت في الأصل، والصواب: جزءاً ، خبر كان منصوب وعلامة نصبه الفتحة على آخره.

(٨٤٢) الفكر العقدي عند الأباضية، ١٧٧.

(٨٤٣) الفكر العقدي عند الأباضية، ١٧٨.

(٨٤٤) كسيرة شبيب بن عطية العماني، وسيرة خلف بن زياد البحراني.

(٨٤٥) جابر بن زيد هو: جابر بن زيد اليحمدي الأزدي العماني البصري، المتوفى سنة ٩٣هـ، إمام المذهب الإباضي، روى العلم والحديث عن ثلة من مشاهير الصحابة، كعائشة وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وغيرهم، وتتلمذ عليه عدد من الأئمة كقتادة بن دعامة شيخ البخاري، وعمرو بن دينار، وجعفر السماك وغيرهم، مات وضاعت جل مؤلفاته ولم يبق سوى أسمائها ضمن كتب السير، ومنها ما بقي مخطوطاً لم يطبع، انظر: معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، لجنة البحث العلمي لجمعية التراث (٢١٧/٢)، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

وقول حاجب الطائي[٨٤٧]:" ولن ينالوا ثوابهم بالإقرار إن أضاعوا العمل"[٨٤٨].

ثم أورد الوهيبي أوضح وأصرح من هذين القولين، في بيان ارتباط العمل واتصاله بمسمى الإيمان وحقيقته الشرعية فنقل قول خاف بن زياد البحراني[٨٤٩]، وهو يناقش القائلين بفصل العمل عن الإيمان:

"واسألوهم عن الإيمان الذي فرضه الله على خلقه وأخذ عليه ميثاق الإسلام وأتباعهم المؤمنين، أقول كان لا عمل معه؟ أو قول ومعه العمل؟ فإن قالوا: هو قول وعمل فذلك الحق كتاب الله تبيانه، وسنن المرسلين، وإن قالوا: الإيمان قول ولا عمل معه فذلك الكذب على الله، فرقوا بين القول والعمل الذي في كتاب الله، وميثاقه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا كذّاب أكذب من كذّاب فرق بين التوحيد ومعرفة أن الله إله واحد، وبين فرض الله مع التوحيد من الصلاة والزكاة والحج، وما شرع الله من معرفة الحق والعمل به، وما فرض الله من إنكار المنكر وتحريمه،...، إذ يقول تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٨٥٠].

---

(٨٤٦) رسائل الإمام جابر، رسالة رقم ١٠. نقلاً عن الوهيبي في كتابه الفكر العقدي عند الإباضية ١٧٩.

(٨٤٧) حاجب الطائي هو: أبو مودود حاجب بن مودود الطائي، تابعي أدرك كثيراً من الصحابة، نشأ وعاش بالبصرة، وكان من تلامذة الإمام جابر بن زيد ومن طبقة الإمام أبي عبيدة، واشتهر بالزهد وعرف بالورع، وتوفي سنة ١٤٥هـ. انظر: طبقات المشايخ بالمغرب لأحمد بن سعيد الدرجيني،تحقيق إبراهيم طلاّي، (٢٤٨/٢). وكتاب تاريخ الإسلام وشرائع الدين لأبن سلاّم الإباضي المتوفى عام٢٧٣هـ،، تحقيق فيريز شفارتز، سالم بن يعقوب، صـ١٣٤، دار صادر، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، وانظر: الفكر العقدي عند الإباضية، صـ١٤٨.

(٨٤٨) أبو مودود حاجب الطائي: سيرة أبي مودود (ضمن مخطوطة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي) صـ٦٦. نقلاً عن الوهيبي في كتابه الفكر العقدي عند الإباضية ١٧٩.

(٨٤٩)خاف بن زياد البحراني، ولد بالبحين وفيها نشأ، ورحل في طلب العلم وتلقاه على أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي في البصرة ولازمه حتى مات، ثم انتقل إلى عمان في دولة الجلني بن مسعود ١٣٢هـ-١٣٤هـ، له سيرة حملت اسمه " سيرة خاف بن زياد البحراني " مازالت مخطوطة، انظر: الفكر العقدي عند الإباضية صـ ١٣٩-١٤٠.

(٨٥٠) سورة البينة من الآية:٥.

فهذا ميثاق العمل أخذه ا لنفسه إذ أمر به مع توحيده، فجعل مع فرائضه من التوحيد العمل بما فرض من طاعته..."[851].

ثم قال الإيمان اصطلاحاً:

اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان.

وقد يطلق الإيمان ويراد به التصديق، كما يظهر في حديث جبريل عليه السلام.

وقد يطلق الإيمان ويراد به العمل، كما يظهر في آيات كثيرة مثل قوله تعالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ [852]. فقد سمى عمل الصلاة إيماناً.

وفي قوله: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. . . [853] الآيات... وحديث الرسول صلى ا عليه وسلم عندما قال لوفد عبد القيس: (أتدرون ما الإيمان؟ ففسره بالشهادتين وذكر الصلاة والصوم والزكاة والحج)[854].

ثم نقل عن مفتي سلطنة عمان الشيخ الخليلي أحمد بن حمد قوله:

ومن هنا يظهر أن الإيمان في الشرع له استعمالان هما:

١) يطلق الإيمان على التصديق بأركان الإيمان التي جاءت في حديث جبريل عليه السلام، وهي (أن تؤمن با وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره من ا تعالى).

٢) يطلق الإيمان على الاستقامة في العقيدة، والاستقامة في العمل، يعني ذلك أن الإيمان يطلق على العقيدة الصحيحة مع العمل الصالح، والقول الصادق.

---

(٨٥١) زياد بن خلف البحراني: سيرة خلف بن زياد (ضمن مخطوطة السيد) صـ١٣٣. نقلاً عن الـوهيبي في كتابه الفكر العقدي عند الإباضية ١٧٩.

(٨٥٢) سورة البقرةمن الآية:١٤٣.

(٨٥٣) سورة المؤمنون الآيات: (١-١٠).

(٨٥٤) البخاري باب أداء الخمس من الإيمان، (٢٩/١) حديث رقم ٥٣،سنن أبي داود باب في رد الإرجاء (٦٣٠/٢)، مسند أحمد بن حنبل،(٢٢٨/١) حديث رقم ٢٠٢٠.

وبهذا التقسيم ينتفي الإشكال الذي يطرأ على النفس أحياناً، فهناك آيـات مـن كتاب ا تعالى تدل على أن المؤمن من جمع بين العقيدة الصحيحة، والعمل الصالح، وآيات تدل على أن المؤمن من آمن بما يجب الإيمان به، أي بما يجب التصديق به.

وقد جمع ابن تيمية بين هذه الآيات بقوله: "إن الآيات التي يذكر فيها الإيمان من غير ذكر العمل الصالح، فالإيمان فيها بمعنى القول والعمل، والآيـات التـي يذكر فيها الإيمان مقروناً بالعمل الصالح، فالإيمـان فيهـا بمعنـى العقيـدة، أي التصديق بأركان الإيمان التي جاء بها حديث جبريل عليه السلام"(٨٥٥).

وقال أبو محمد عبدا بن حميد السالمي(٨٥٦) في مشارق أنـوار العقـول: "وذهب آخرون وهم سلف الأشعرية وأهل الحديث إلى أن الإيمان تصديق بالجنان، وقول باللسان وعمل بالأركان. (أقول) وهذا هو عين مذهب الأصحاب لكنهم لـم يعمموا هذا التعميم بل فصلوا وجعلوا من الإيمان التصديق بالجنان والقول باللسان إذا لزم القول، والعمل بالأركان إذا لزم العمل وربما وقع في آثارهم مجملاً هكذا.

ففصله أهل التحقيق منهم كالإمام أبي سعيد رضوان ا تعالى عليـه فـي معتبره، وقطب الأئمة في هيمانه".ا.هـ(٨٥٧).

وهذا الكلام المنقول عن المذهب الأباضي موافـق لمـذهب أهـل السـنة والجماعة من وجوه ومخالف من وجوه أخرى.

أوجه الموافقة بين ما نقله الوارجلاني عن الأباضية وما نقله السلف عـن أهل السنة:

---

(٨٥٥) من كتابه الموسوم (جواهر الإيمان) طبـع مكتبـة الاسـتقامة، سـلطنة عمـان، الطبعـة الأولـى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٨٥٦) أبو محمد عبدا بن حميد السالمي انتهت إليه الرئاسة العملية بعمان، كتب في فنون مختلفة ومن كتبه: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، وفي التاريخ " طلعة الشمس على الألفية "، وفي الأصول" مدارج الكمـال "، وشرح مسند الإمام الربيع في كتاب " شرح الجامع الصحيح "، وغيرها من الكتب، توفي سـنة ١٣٣٢هـ ـ، انظر: معجم أعلام الإباضية قسم المشرق، نسخة رقمية، ترجمة رقم ٧٧٦، بإشراف د/محمد صالح ناصر.

(٨٥٧) مشارق أنوار العقول لأبي محمد عبدا بن حميد السالمي، تعليق سماحة مفتي سلطنة عمان: أحمد بن حمد الخليني، تحقيق: عبدالمنعم العاني، صـ ٤٣٠، مكتبة الاستقامة، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١- الإيمان حقيقة مركبة من ثلاثة أركان: اعتقاد وقول وعمـل، ولا يصـح إيمان أحد بدونها، والعمل داخل في حقيقة الإيمان ومسماه.

٢- الإيمان والكفر والنفاق يتعلق بالعمل وأفعال الجوارح كما يتعلق بالقلـب وأعمال الباطن.

أوجه المخالفة بين ما نقله الوارجلاني عن الأباضية وما نقله السلف عنـد أهل السنة:

١- في تسمية مرتكب الكبيرة مؤمناً، فلا تصح هذه التسـمية عنـدهم ولـو وردت في القرآن فيؤولونها بأنها إيمان مجازي، ويطلقون على صاحبها اسم الكفر ومستندهم في ذلك أن إخلاله بركن العمل يعد إخلالاً بالإيمان وذهاباً له، واستندوا في استدلالهم على ظواهر النصوص التي أطلقت وصف الكفـر علـى مرتكـب الكبائر، وسيأتي تفصيل أدلتهم في موضعه من الرسالة إن شاء ا تعالى.

أما أهل السنة والجماعة فيطلقون اسم الكفر حيـث وردت بـه النصـوص، ولكنهم يفسرون ذلك ويحملونه على المستحل لارتكاب هذه الكبيرة.

أو على كفر النعمة، ويقولون هذا كفر دون كفر جمعاً بين النصوص التـي أثبتت مسمى الإيمان ووصفه لمرتكب الكبيرة كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ [858].. وقوله صلى ا عليه وسلم: (...وإن زنى وإن سرق...)[859] الحديث.

وغيرها من الأحاديث والوقائع التي وقعت في زمنه صلى ا عليه وسـلم، فقد زنى ماعز رضي ا عنه[860]، وزنت الغامدية[861]، وأجري عليهما الحد ولا

---

(٨٥٨) سورة النساء: من الآية٩٢.

(٨٥٩)صحيح البخاريباب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا ا ،(٤١٧/١) حديث رقم ١١٨٠، صحيح مسـلم باب من مات لا يشرك با شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار (٩٣/١) حديث رقم٩٤.

(٨٦٠)صحيح البخاري،بابهليقولالإماماللمقرلعلكلمسـتأوغمزت، (٢٥٠٢/٦) حـديث رقـم٦٤٣٨، صـحيح مسلمبابمناعترفعلىنفسهبالزنى، (١٣١٩/٣) حديث رقم١٦٩٢.

(٨٦١)صحيح مسلم بابمناعترفعلىنفسهبالزنى،(١٣٢١/٣) حديث رقم١٦٩٥.

يقال في هذا أنهما قدما توبة بين يدي الحد، لأن هذا معلوم ضـرورة أن التوبـة تجب ما قبلها، وترفع وصف الكفر اتفاقاً عند الأباضية وعند الخوارج والمعتزلة.

لأن محل الشاهد في هذه الوقائع وغيرها من الوقائع المماثلة بعد رسول ا صلى ا عليه وسلم هو أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يحكم عليهم بالكفر قبـل إظهار التوبة، بل شهد لشارب خمر بالإيمان وحكى لازماً من لوازمه وهو حـب ا وحب رسوله صلى ا عليه وسلم.

عن عمر بن الخطاب: أن رجلاً على عهد النبي صلى ا عليه وسلم كـان اسمه عبد ا ، وكان يلقب حماراً، وكان يضـحك رسـول ا صـلى ا عليـه وسلم،وكان النبي صلى ا عليه وسلم قد جلده في الشراب، فأتي به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به ؟ فقال النبي صـلى ا عليه وسلم: (لا تلعنوه فوا ما علمت إلا أنه يحب ا ورسوله)[٨٦٢].

٢ ـ تجزؤ الإيمان: ذهبت الإباضية إلى أنه كل لا يتجزأ يذهب جملة ويثبت جملة، وعلى ذلك كان المؤمن عندهم الموفّي لجميع الأركان، مع عـدم تصـور إخلاله بجزء منها لأن ذهاب الجزء يعني ذهاب الكل، وذهاب جزء مـن الـركن يعني ذهابه عندهم.

وجاء في النظم عندهم:

في وجهه الشرعي ليس ينقص   لكن يزيد هكذا قد خصصوا
لأنـه إن هدم البعض انهـدم   جميعهن وذا هو القول الأتم

"أي الإيمان بالمعنى الشرعي الذي هو أداء الواجبات ليس ينقص نظراً إلـى إيمان كل مؤمن، فإنه في ذاته غير متفاوت وإن تفاوت بالنسبة إلى إيمان غيره.

(٨٦٢)صحيح البخاري باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملـة، (٢٤٨٩/٦) حـديث رقم٦٣٩٨.

بيانه: أن إيمان زيد مثلاً التصديق والقول، لوجوبهما عليه بقيام الحجة عليه فيهما، ولم تقم عليه حجة العمل، فإنه يجب عليه أن يأتي بما قامت عليه به الحجة، ولا يجوز له أن يترك القول مثلاً اعتماداً على التصديق.

ولا ينقص عنه بمعنى أنه لا ينحط عنه فرض القول، فإن قامت علي حجـة شيء من العمليات وجب عليه الإتيان وزاد عليه إيمانه حيث زاد عليـه واجـب عملي، فإن زاد عملي آخر زاد الإيمان أيضاً وهكذا.

ولا ينقص الإيمان بالنسبة إلى الشخص الواحد فإنه وإن انحط عنه فرضـه يصير معه في حكم النفل وهكذا.

ونقصان الإيمان الذي نفاه أصحابنا هو الإخلال بشيء من الواجبات لا رفع بعض المفترضات، ولا يعتبرون نفس الإيمان من حيث هو هـو، أي مـع قطـع النظر عن محله الذي هو المكلف، وعن عوارضه التي هـي زيـادة الفـرائض ورفعها، فإنه لا شك أن الإيمان بهذا الاعتبار متفاوت، فإن إيمان زيد مثلاً ناقص بالنسبة إلى إيمان عمرو إذا كان زيد كلف بفرائض دون فرائض عمرو، وهكـذا إيمان عمرو زائد بالنسبة إلى إيمان زيد.

قوله (لكن يزيد): أي الإيمان الشرعي لا ينقص لكن يزيد؛ لأنه عنـدنا هـو نفس فعل الواجبات فهي تزيد على المكلف ولا تنقص، بمعنى أنها إذا وجبـت لا يصح تنقيص شيء منها لا بمعنى أنها إذا وجبت على العبد لا يرفع.

فإن سمي رفع بعض الواجبات عن بعض المكلفين نقصاناً في الإيمان، فـلا ضير، **فإنه خلاف لفظي،** وقد صرح حديث ذم النساء بذلك في قوله عليه الصلاة والسلام (ناقصات عقل ودين) مسلم وأبو داود وأحمد.

وبين نقصان الدين بترك الصلاة شطر دهرها بسبب الحيض.

قوله: (هكذا قد خصصوا) أي أصحابنا رحمهم ا تعالى، قوله: لأنه إن هدم البعض انهدم جميعه) هذا تعليل لتخصيص أصحابنا بأن الإيمان يزيد ولا يـنقص، وصورة التعليل أن هدم بعض الإيمان الذي هو مطلق الواجبات هدم لجميعه؛ لأنه

يخرج من الإيمان إلى الكفر، إما شركاً وإما نفاقاً فهما منزلتان، وهذا معنى هـدم جميعه لأنه يخرج من الإيمان إلى الشرك كما ذهب إليه الأزارقة.ا.هـ[٨٦٣].

وهذا ما لا يقول به أهل السنة والجماعة فالإيمان عندهم يتجزأ، فهـو يزيـد بالطاعات والقربات وترك المنهيات، وينقص بالمعاصـي والسـيئات والإخـلال بالواجبات.

ولهذا انتظمت عندهم جميع النصوص التي ظاهرها التعارض عند غيـرهم ممن سلك مع نصوص الوحي مسلك الإعمال والإهمال.

فعملوا ببعضها وتركوا البعض الآخر وتمحلوا فـي تأويلـه ورده، أو فـي صرفه عن دلالته.

والعجب من مذهب الأباضية في زيادة الإيمان ونقصانه، فقـد ذهبـوا إلـى الزيادة دون النقصان، وقولهم بالزيادة يصلح دليلاً لتجزؤ الإيمان بل والترقي فيه، ويمكن مع هذا القول بأن الإخلال بالفرائض يمنع زيادة الإيمـان ولا يـذهب بـه جملة، لكنهم أنكروا نقص الإيمان حال التقصير والإخلال وأثبتوا الكفر لمن هـذا حاله.

---

(٨٦٣) مشارق أنوار العقول صـ٤٣٢-٤٣٤.

المطلب الثالث

معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند المعتزلة

(الزيدية أنموذجاً)

كان اختياري للزيدية أنموذجاً لدراسة عقائد المعتزلة لأسباب منها: وجود الزيدية في اليمن، وكثرة إسهاماتهم العلمية، ولقربهم من أهل السنة، وللارتباط الوثيق بين المعتزلة والزيدية منذ النشأة، قرر الباحث أحمد محمود صبحي في كتابه الزيدية استمرار ذلك الارتباط إلى أفول نجم الاعتزال، عندئذ قامت الزيدية بحفظ تراث المعتزلة ومؤلفاتها(٨٦٤). وأرجع الباحث هذا الارتباط لأسباب عدة منها:

١- أخذ الإمام زيد عن واصل بن عطاء أصول الكلام، رغم عتاب أخيه الباقر له؛ لأن واصل كان يجوز الخطأ على علي بن أبي طالب في حروبه.

٢- انفتاح المذهب الزيدي في الأصول والفروع، كان له أثره على تقارب الزيدية مع أهل السنة خاصة في فروع الفقه المتأثرة بأبي حنيفة الذي أيد زيداً في خروجه، وأخذ التقارب والتأثر المشترك والارتباط الزيدي المعتزلي مظاهر على مستوى الفكر والأشخاص، فتبنت الزيدية أصولاً أربعة من الأصول الخمسة للمعتزلة، هذا على المستوى الفكري، وعلى مستوى الأشخاص والرجال، فقد كان أئمة الزيدية البارزين على صلة وثيقة بمن يعاصرونهم من المعتزلة كصلة زيد بواصل بن عطاء،

---

(٨٦٤)أرجع صبحي في كتابه "الزيدية" الفضل في إبقاء آثار المعتزلة العقدية، وتراثهم الفكري للإمام المنصور با عبد ا بن حمزة، المتوفى سنة ٦١٤هـ، من أئمة الزيدية في اليمن، وحفظت مكتبات اليمن جملة كبيرة من مخطوطات فكر المعتزلة التي كانت عرضة للانقراض، انظر: ص٢٦٢، ٢٦٣.

والهادي يحيى، والناصر الأطروش بأبي القاسم البلخي. وتشير المصادر التاريخية إلى أن جماعة المعتزلة على رأسهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وحفص بن سالم قد قصدوا جعفر الصادق بعد مصرع الخليفـة الأموي الوليد بن يزيد عام ١٢٦هـ، يطلبون منه موافقته على مبايعـة الإمام الزيدي محمد النفس الزكية، وقد أثبت هذا الارتبـاط عـدد مـن الباحثين(٨٦٥).

وقد أطبقت كتب الفرق التي تحكي مذهب المعتزلة فـي الإيمـان علـى أن الإيمان عندهم - قولاً واحداً - هو التصديق بالقلب والقـول باللسـان والعمـل بالجوارح.

ولقد واجهت الباحث صعوبة الحصول على مراجع المعتزلـة التـي كتبهـا محرري مذهب الاعتزال أنفسهم، بالوفرة التي عند غيرهم، ولعل البيئـة العلميـة التي أعيش في أوساطها لها دور كبير في ذلك، ومع هذا فقد تيسرت بعض مراجع المعتزلة عموماً دون تفصيل بين مدارسـهم المتفقـة أو المختلفـة، البصـرية أو البغدادية، القديمة منها والحديثة، ومن خلال المتاح من المراجع المعتمدة نسـتطيع الوقوف على مذهب المعتزلة في الإيمان وحقيقته الشرعية عندهم، والتي توافـق إلى حد كبير ما كان عليه السلف وعامة أهل الحديث - ممن ليسوا ماتريديـة ولا أشاعرة ولا مرجئة - وهو اتفاق إجمالي لا تفصيلي تقرر مـن خلالـه - عنـد المعتزلة - أن الإيمان شرعاً له حقيقة مركبة من التصديق القلبي والقول باللسـان والعمل بالجوارح، وهذه النقول تزيد الأمر إيضاحاً وبياناً:

قال الشرفي القاسمي(٨٦٦) وهو يحكي عقيدة أهل البيت ومذهبهم في الإيمان:

---

(٨٦٥)انظر: كتاب الزيدية لصبحي، الفصل الأول "بين الزيدية والمعتزلة"، صـ٢٥٥-٢٥٩. والشهرسـتاني في الملل والنحل، (٢٣٢/١). وأصول الاتفاق في القضايا الكلامية بين الزيدية والمعتزلة، صـ٣٨٠، رسـالة ماجستير لأحمد عبد ا عارف، إشراف: د. مصطفى حلمي، المكتبة المركزية، جامعة أم درمان الإسـلامية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٨٦٦)هو أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي القاسمي الحسني من أئمة الزيدية والاعتزال المتأخرين ، تـوفي سنة١٠٥٥هـ انظر:طبقات الزيدية الكبرى لإبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد با ، (٧٩/١-١٨٢) ترجمـة

"والإيمان لغة التصديق" كما قال الله تعالى حاكياً [عن أولاد يعقوب]، ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [٨٦٧] أي بمصدق لنا....

"وديناً" أي في دين الإسلام بنقل الشارع له إليه: "الإتيان بالواجبات واجتناب المقبحات"... وليس مشتقاً من التصديق بمعنى أنه لا يلزم إذا حصل تصديقاً ما أن يسمى صاحبه مؤمناً، بل من فعل الواجبات واجتنب المقبحات فهو مؤمن عند هؤلاء المذكورين كلهم[٨٦٨]"[٨٦٩].

ثم ذكر أن خلافهم واقع فيمن أخل بشيء من الواجبات أو فعل شيئاً من المحرمات: "فعند أئمتنا عليهم السلام وجمهور المعتزلة والشافعي: لا يكفر بذلك إلاّ أن تكون المعصية مما دلّ الدليل القطعي على كفر صاحبها... فالمؤمن عندهم: هو من اعتقد بقلبه وأقر بلسانه وعمل بجارحته، فإن أخل بالأول فقط كان منافقاً، وإن أخل بالثاني كان كافراً، وإن أخل بالثالث كان فاسقاً.

والإيمان عندهم[٨٧٠] يزيد وينقص"[٨٧١].

قال: "لنا" حجة على قولنا: "قوله تعالى": ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ. . . أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [٨٧٢].

رقم٨١، والبدر الطالع لمحمد بن علي الشوكاني صـ١٣٦ ، ترجمة رقم ٧٤، تحقيق : د. حسين عبد الله العمري ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

(٨٦٧) سورة يوسف من الآية: ١٧.

(٨٦٨)المقصود بهم أئمة آل البيت من الزيدية الهادوية، وجمهور المعتزلة والشافعي وبعض الخوارج كما سبق في نص عبارته "وقد اختلف في الإيمان في الشرع على عشرة أقوال الأول والثاني والثالث قول" أئمتنا عليهم السلام وجمهور المعتزلة والشافعي وبعض الخوارج"... عدة الأكياس في شرح معاني الأساس لأحمد بن محمد بن صلاح الشرفي القاسمي ٢٤٨، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٨٦٩) عدة الأكياس، صـ٢٤٨-٢٤٩،

(٨٧٠)يقصد عند أئمة آل البيت من الزيدية وجمهور المعتزلة والشافعي.

(٨٧١) عدة الأكياس، صـ٢٤٩.

(٨٧٢) سورة الأنفال من الآية: (٢-٤).

فأخبر ا سبحانه أنه لابد في حقيقة الإيمان من العمل وأنه لا يسمى مؤمنـاً من لم يضم العمل [الصالح] إلى التصديق والمعرفة بالجنان والإقرار باللسان بقوله (إنما) وهي موضوعة للحصر، أي لا يسمى مؤمناً من لم يصل ولم ينفـق ممـا رزقه ا تعالى.

"ونحوها" كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (٨٧٣).

وقوله عز وجل: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (٨٧٤).

والمراد الشرائع لأنه صلى ا عليه وآله وسلم مصدقٌ با تعالى عارف به من قبل بعثته صلى ا عليه وآله وسلّم.

"و"لنا أيضاً من السنّة: "قوله صلى ا عليه وسلم: الإيمان بضـع وسـبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان، وأفضلها قول: لا إله إلا ا وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"(٨٧٥).

وهذا نص صريح في أن الأعمال داخلة في مفهوم الإيمان وأن له شـعباً أي أعمالاً كثيرة بعضها أفضل من بعض.

"ونحو هذا الخبر كثير" نحو: ما رواه علي بن موسى الرضى عليهما السلام في صحيفته(٨٧٦) عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى ا عليه وآله وسلم أنـه قال: (الإيمان إقرار باللسان، ومعرفة بالقلب، وعملٌ بالأركان)(٨٧٧).

---

(٨٧٣) سورة البقرة من الآية: ١٤٣.

(٨٧٤) سورة الشورى من الآية: ٥٢.

(٨٧٥)صحيح مسلم باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحيـاء وكونـه مـن الإيمـان، (٦٣/١) حديث رقم ٣٥. صحيح ابن حبان،(٤٢٠/١) حديث رقم ١٩١.

(٨٧٦) صحيفة الإمام الرضا لعلي بن موسى الرضا ، ص٤١ ، الباب الأول في الذكر بـرقم (٦) بتحقيـق: عبدالكريم أحمد جدبان، منشورات مكتبة التراث الإسلامي، الجمهورية اليمنية ـ صـعدة ، الطبعـة الأولـى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٨٧٧)صحيح ابن حبان،(٤٤٠/١) حديث رقم ٢١٠. المعجم الأوسط،(٢٢٦/٦).

وما رواه في السفينة[٨٧٨] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (الإيمان ثلاثة: فقه بالقلب ونطق باللسان، وعمل بالجوارح).

وما رواه الناصر للحق عليه السلام[٨٧٩] في كتاب البساط[٨٨٠] بإسناده إلى جندب بن عبدالله البجلي قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن فتيان حزاورة[٨٨١] فيعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن فازددنا إيماناً) رواه ابن ماجه[٨٨٢]، وعبدالله بن أحمد في المسند بسند صحيح[٨٨٣].

قال الناصر عليه السلام: أراد: يعلمنا شرائع الإيمان من الصلاة والصيام وغيرها.

وساق عن الناصر عليه السلام بسنده إلى جعفر بن محمد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أسبغ وضوءه، وأحسن صلاته، وأدى زكاة ماله، وخزن لسانه، وكفّ غضبه، وأدى النصيحة لأهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فقد استكمل حقائق الإيمان، وأبواب الجنة مفتّحة له)[٨٨٤].

وما رواه البخاري بإسناده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب

---

(٨٧٨) لم أعثر عليه في كتاب السفينة المنجية، وهو كتاب في العقائد.

(٨٧٩) هو الإمام الحسن بن علي بن عمر أبو محمد الملقب بالأطروش، يعود نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، سيطر على الجيل والديلم وتوفي سنة (٣٠٤)هـ، انظر: الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية لحميد المحلي (٥٥/٢ – ٧٩) مطبوعات مركز بدر، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٨٨٠) البساط للإمام الناصر للحق الحسن بن علي الأطروش ص٧١-٧٢ ، بتحقيق: عبدالكريم جدبان، منشورات: مكتبة التراث الإسلامي ـ الجمهورية اليمنية ـ صعدة ـ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٨٨١)حزاورة: جمع حزورة وحزور وهو الذي قارب البلوغ، والتاء لتأنيث الجمع. النهاية. وفي الصحاح: الجزور: الغلام إذا اشتد وقوي. انظر: النهاية في غريب الأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري،(٣٨٠/١).

(٨٨٢) سنن ابن ماجه، باب الإيمان، (٢٣/١) حديث رقم ٦١.

(٨٨٣) لم أجده في مسند أحمد، وهو في: السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل (٣٧٩/١)، حديث رقم٨٢٥.

(٨٨٤) البساط صـ٧٢-٧٣.

وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نُهبة يرفع الناس إليـه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)[885] وغيره ذلك كثير" أ.هـ.[886].

وقال القاضي عبد الجبار: وقد اتصل بهذه الجملة الكلام في حقيقة الإيمان.

وجملة ذلك أن الإيمان عند أبي علي، وأبي هاشم، عبارة عن أداء الطاعات، الفرائض دون النوافل، واجتناب المقبحات.

وعند أبي الهذيل عبارة عن أداء الطاعات الفرائض منها والنوافل واجتنـاب المقبحات، وهو الصحيح من المذهب الذي اختاره قاضي القضاة.

والذي يدل على صحته هو أن الأمة اتفقت على أن ركعتي الفجر من الدين، وإذا ثبت أنه من الدين ثبت أنه من الإيمان، لأن الدين والإيمان واحد.

وقد احتج أبو علي وأبو هاشم لما ذهبا إليه بأن قالا: لو كانت النوافـل مـن الإيمان لكان يجب إذا ترك المرء نافلة وأخل بها أن يكون تاركاً لبعض الإيمـان، ويصير بذلك ناقص الإيمان غير كامله، وقد عرف خلافه.

وجوابنا عن ذلك أن هذا لا يصح، لأنه إنما لم يجب أن يجري عليـه هـذا الاسم ويقال تارك للإيمان أو أنه غير تارك الإيمان أو أنه غير كامل الإيمان، لأنه يوهم الخطأ ويقتضي أن يكون مستحقاً للذم، حتى أنه لو لم يقتضي ذلك جـاز أن يوصف به تارك النوافل، فسقط ما قالاه.

يبين ذلك ويوضحه، أن البر والتقوى يقعان على الطاعات جملة الفـرائض منها والنوافل، ثم ليس يجب إذا أخل المرء بالنافلة أو تركها أن يقال إنه غير كامل التقوى وأنه ناقص البر، لا لوجه سوى ما أشرنا إليه من أن ذلك يوهم اسـتحقاقه للذم واللعن، كذلك هاهنا؛ فهذا هو حقيقة الإيمان عندنا.

وقد ذكر رحمه ا بعد ذلك ما يقوله المرجئة وغيرهم في حقيقة الإيمان:

وجملة ذلك، أن كلام المخالفين في حقيقة الإيمان مختلف:

---

(٨٨٥) كتاب الحدود، باب ما يحذر من الحدود الزنا وشرب الخمر، (٢٤٧٨/٦)، حديث رقم ٣٦٩٠.

(٨٨٦) عدة الأكياس صـ ٢٥١-٢٥٢.

فعند النجارية وجهم، أن الإيمان هو المعرفة بالقلب وذلك مما لا يصح؛ لأنه لو كان كذلك لكان يجب في من علم الله تعالى وجحده أو لم يجحده ولم يأت بشيء من الفرائض، وتعدى حدود الله تعالى أن يكون مؤمناً، وقد عرف خلاف ذلك.

وعند الكرامية أن الإيمان إنما هو الإقرار باللسان، وهذا يوجب عليهم أن يكـون المنافق الذي يظهر الإسلام بلسانه ويقر به مؤمناً، ومعلوم من دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودين الأمة خلافه ضرورة.

وقد ذهبت الأشعرية إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب، وهذا كما أنه فاسد من حيث الاعتقاد فهو خطأ من طريق العربية لأن التصديق هو قول القائل لغيره صدقت، وهذا إنما يتصور باللسان دون القلب، وبعد فلو كان كذلك لوجب فيما لا يقر بالله تعالى وبرسوله ولا عمل بالجوارح أن يكون مؤمناً بأن يكون قد صدق بقلبه، وذلك خلاف من القول.

وإنما بنى القوم كلامهم هذا على مذهبهم في الكلام أنه معنى قائم بذات المـتكلم، وأنه ليس يرجع به إلى ما نعقله من الحروف المنظومة والأصوات المقطعة..."[٨٨٧].

المذهب الثاني للزيدية: مذهب مشابه لقول طائفـة مـن الأشـاعرة والمحـدثين المتأخرين:

قال الإمام محمد بن القاسم[٨٨٨] المتوفى سـنة (٢٨٤هـ): "والإيمـان: فهـو التصديق بالله ولرسوله بالقلب ثم يعتقده ويقول به ويدعو إليه. والعمل بالصالحات، واتقاء الفاحشات كمال الإيمان وتمام الإحسان، ورحم الله من حاط دينه عن الاختلاط والفساد.

فأما الإيمان فينقسم على ما نوضحه بعد، وهو التصديق بالقلب واللسان.

والإسلام: فهو التسليم لأوامر الله بالصالحات ونواهيه عن الفاحشات، فمن آمـن صدق، ومن أسلم لأوامر الله ونواهيه ولم يخالفه، فهذه جمل لا بد لـك مـن معرفتهـا وبالله التوفيق.

---

(٨٨٧) شرح الأصول الخمسة لقاضي القضاة عبدالجبار بن أحمد، صـ٧٠٧.

(٨٨٨) محمد بن القاسم هو: محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن، عم الهادي، أقام ببغداد والبصرة والشام ومصر والمغرب، واستقر في الحجاز، وخرج مودعاً الهادي إلى اليمن، من مؤلفاتـه: "الأصول الثمانية"، و"تفسير القرآن الكريم" و"الشرح والتبيين في أصول الدين"، و"الهجرة والوصـية"، تـوفي سنة (٢٨٤هـ). انظر: أعلام المؤلفين الزيدية، صـ٩٧٨.

ثم ذكر رحمه ا باب في الفروض وقال: الأول منها: من الإيمان فهو معرفة ا عز وجل، ومعرفة ا سبحانه تنقسم إلى ثلاثة أوجه: "التوحيد والعدل والتصديق"[889].

---

(889) الأصول الثمانية للإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن، تحقيق عبدا بن حمود العزي، صـ36، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الأردن، الطبعة الأولى، 1421هـ.

المبحث الخامس

حكاية الإجماع في أن الإيمان اعتقاد و قول وعمل

والتحقق من وقوعه وبيان المراد به

وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

التمهيد:

المطلب الأول: حكاية الإجماع.

المطلب الثاني: التحقق من صحة حكاية الإجماع ووقوعه.

المطلب الثالث: الترجيح في صحة حكاية الإجماع ووقوعه.

المطلب الرابع: مواضع الاتفاق في الإيمان بين أهل القبلة.

التمهيد:

الإجماع حجة شرعية قاطعة والجدل في حجيته شاذ والخلاف فيه غير معتبر على الصحيح، ومما يستند إليه الدارس أو المناظر في الاستدلال الإجماع كدليل تنقطع به الخصومة بعد ثبوته، ولابد لثبوته وسلامة الاستدلال به من قبل المستدل من بيان صحة نقل الإجماع أولاً، والتحقق من وقوعه ثانياً، وإلا فتظل دعوى الإجماع دعوى عارية عن دليلها المعتبر للثبوت، فإذا صحت النقول التي ادعى أصحابها فيها الإجماع وحكوه صراحة يبقى التحقق من وقوعه بصورته الصحيحة المستوفية لشروطها[890].

والنظر في الإجماع المراد به التحقق منه، ومن ثبوته، والبحث في المقصود به هل هو الإجماع المطلق، أو مطلق الإجماع، وبمعنى آخر هل هو إجماع الأمة كافة بمختلف فرقها وطوائفها فيكون هو الإجماع المطلق، أو إجماع مخصوص كإجماع أهل السنة والجماعة ومن وافقهم في هذا الباب من أصحاب المقالات والطوائف والفرق، ويكون هو المقصود بمطلق الإجماع؛ لأن هناك فرقاً بين الإجماعين المذكورين.

ولأهمية تحقيق هذه المسألة لزم الآتي:

أولاً: جمع النصوص وترتيبها ترتيباً زمنياً يتضح به أقدم النقول التي حكت الإجماع، والصيغ التي نقل بها الإجماع، وأصرحها وأوضحها، ودراستها دراسة تحليلية موضوعية.

ثانياً: التحقق مما نقل والوقوف على سلامة النقل وسلامة مصادره وسلامة الفهم للمنقول.

ثالثاً: الاستبانة من الإجماع المحكي في المسألة والمقصود منه، ومعرفة ما إذا كان المقصود منه الإجماع الصريح أو الاتفاق، وما إذا كان إجماع أهل القبلة من أهل الإسلام عامة أو إجماع أهل السنة أو إجماع غيرهم من الفرق.

وهذا ما سيتم الوقوف عليه من خلال مطالب هذا المبحث.

---

(٨٩٠) وأهم تلك الشروط عدم ظهور مخالف معتبر من أهل العلم في الزمن الذي ادعي فيه الإجماع، هذا إذا كان المقصود من الإجماع الإجماع الاصطلاحي المعروف. أما إذا كان المقصود به غيره من حكاية الاتفاق أو نحوه فالأمر بخلافه.

المطلب الأول

حكاية الإجماع

حكى جمع من أهل العلم الإجماع بعبارات صريحة على أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، ولا بد من استعراض أقوالهم وبيان الوجه الذي أرادوه من الإجماع في هذه المسألة:

قال الإمام اللالكائي٤١٨هـ: "قال الشافعي ـ رحمه الله ـ " في كتاب الأم"، في باب النية في الصلاة: نحتج بأن لا تجزي صلاة إلاّ بنية؛ لحديث عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم:(إنما الأعمال بالنيات): ثم قال: **وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم**: أن الإيمان قول وعمل ونية ولا يجزي واحد من الثلاثة إلاّ بالآخر"[٨٩١].

قال أبو عمر الطلمنكي(٤٢٩هـ): "أجمع أهل السنة على أن الإيمان قول وعمل ونية وإصابة السنة"[٨٩٢].

قال ابن عبد البر ٤٦٣هـ: "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم إيمان، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانا قالوا إنما الإيمان التصديق والإقرار، ومنهم من زاد والمعرفة"[٨٩٣] ثم ساق رحمه الله أدلة لهذا القول المخالف حتى قال على لسانهم:

قالوا فالطاعات لا تسمى إيمانا كما أن المعاصي لا تسمى كفراً... فهذا هو الإيمان المعروف في اللغة وصريح السنة الإقرار والتصديق، وأما فرائض

---

(٨٩١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٥٦/٥-٩٥٧) تحقيق د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي. دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة.

(٨٩٢) الإيمان لابن تيمية ٢٦٠، لوامع الأنوار للسفاريني (٣١٥/٢).

(٨٩٣)التمهيد،(٢٣٨/٩ - ٢٣٩).

الأعمال فلا تسمى إيماناً كما لا تسمى الذنوب كفراً، قالوا ولما لم تكن المعصية كفراً لم تكن الطاعة إيماناً هذا يحمله ما عولوا عليه فيما ذهبوا من ذلك إليه"[٨٩٤].

وقال رحمه الله: " وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام وداود بن علي وأبو جعفر الطبري ومن سلك سبيلهم فقالوا:

الإيمان قول وعمل قول باللسان وهو الإقرار،واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، مع الإخلاص بالنية الصادقة، قالوا وكل ما يطاع الله عز وجل به من فريضة ونافلة فهو من الإيمان، والإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر"[٨٩٥]. ثم ساق رحمه الله أدلة لهذا القول الذي عليه سلف الأمة ليس هذا مقام بيانها تفصيلاً.

قال الحافظ أبو الحسن ابن القطان[٨٩٦] **٦٢٨هـ:** وهو يحكي **إجماعات أهل السنة من السلف والخلف**: "وأجمعوا أن الإيمان قول وعمل ونية مع إصابة السنة"[٨٩٧].

قال ابن كثير ٧٧٤هـ: عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[٨٩٨]: "**فالإيمان الشرعي المطلوب** لا يكون إلا اعتقاداً

---

(٨٩٤) المرجع السابق.

(٨٩٥)المرجع السابق.

(٨٩٦) أبو الحسن بن القطان هو: علي بن محمد بن عبدالملك بن يحيى بن محمد بن إبراهيم بن حضلة ابن سماحة الحميري الكتامي الفاسي أبو الحسن. ولد بمدينة فاس سنة ٥٦٢هـ، وبدأ دراسته الأولى بالقرويين ثم انتقل إلى مراكش فنهل من علومها وعلمائها ومكتباتها، له مؤلفات عديدة في الفقه وأصوله، والحديث ورجاله، توفي رحمه الله تعالى في ربيع سنة ٦٢٨هـ. انظر: مقدمة المحقق حسن بن فوزي الصعيدي على كتاب الإقناع في مسائل الإجماع.

(٨٩٧) الإقناع في مسائل الإجماع لأبي الحسن بن القطان المتوفى سنة ٦٢٨هـ، تحقيق بن فوزي الصعيدي، (٣٤/١)، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

(٨٩٨) سورة البقرة الآية: ٣.

وقولاً وعملاً، هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة؛ بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيدة وغير واحد إجماعاً: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث أفردنا الكلام فيها في أول شرح البخاري و الحمد والمنة"[899].

قال الحافظ بن حجر: "وروى[900]بسنده الصحيح عن البخاري قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص. وأطنب بن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين **وكل من يدور عليه الإجماعمن الصحابة والتابعين**، وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة والجماعة"[901].

وقول بن حجر - رحمه ا - "وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة والجماعة" بعد قوله" **وكل من يدور عليه الإجماعمن الصحابة والتابعين** "، هل المقصود به أنهما حكيا هذا القول مذهباً لأهل السنة والجماعة، أو المقصود حكاية الإجماع على ذلك من قبل أهل السنة والجماعة، فالعبارة تحتمل الأمرين، بحسب عود الضمير في " حكاه " على ما قبله:

الاحتمال الأول: عود الضمير في الحكاية إلى الإجماع، فيكون المعنى من قوله أن الفضيل ووكيع - رحمهما ا تعالى - قد حكيا نقل الإجماع على ذلك القول من أهل السنة والجماعة، فيكون حكاية عن نقل الإجماع، وهذا بعيد.

الاحتمال الثاني: أن الضمير يعود إلى القول المحكي، والمعنى أن هذا القول الذي ذهب إليه أكثر أهل العلم، وذهب إليه كل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين؛ هو مذهب أهل السنة والجماعة، كما حكى ذلك عنهم الفضيل ووكيع، لا أن أهل السنة هم الذين حكوا الإجماع على ذلك.

---

(٨٩٩) تفسير ابن كثير، (١/٤١- ٤٢).

(٩٠٠) أي الإمام اللالكائي أبو القاسم في كتاب السنة، فتح الباري، (١/٤٧).

(٩٠١)فتح الباري، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى ا عليه وسلم "بني الإسلام على خمس"(١/٤٧).

وهذا هو الأقرب والأرجح، وعليه فتكون حكاية الإجماع هنا من قول الحافظ بن حجر، وحكاية مذهب أهل السنة والجماعة من قول الفضيل بن عياض ووكيع.

قال محمد بن عبد الوهاب: "مثل ما ذكر في فتح الباري في مسألة الإيمان على قول البخاري وهو قول وعمل ويزيد وينقص، فذكر إجماع السلف على ذلك، وذكر عن الشافعي أنه نقل الإجماع على ذلك وكذلك ذكر أن البخاري نقله"(٩٠٢).

قال: "قوله: وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً استدل الصحابة رضي ا عنهم والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه، وقال مجاهد: الإيمان يزيد وينقص وهو قول وعمل، رواه ابن أبي حاتم.

وحكى الإجماع على ذلك الشافعي وأحمد وأبو عبيد وغيرهم رحمهم ا تعالى"(٩٠٣).

قال سفر الحوالي:" وممن نقل الإجماع على ذلك شَيخ الإِسلامِ ابن تيمية في كتاب الإيمان، وقبل ذلك نقله الإمام الكبير الحجة الإمام الشافعي رحمه ا تعالى، فقد نقل ذلك في كتابه الأم في باب النية: فقال: " أجمع الصحابة والتابعون على أن الإيمان قول وعمل "، ونقل مثل ذلك أيضاً الإمام محمد بن جرير الطبري، فذكر إجماع الصحابة ومن بعدهم على أن الإيمان قول وعمل، ونقل ذلك أيضاً الحافظ ابن كثير في أول تفسير سورة البقرة الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ (٩٠٤) أن هذا إجماع من السلف الصالح(٩٠٥)، ونقل ذلك أيضاً الإمام أحمد رحمه ا تعالى، ونقله عن الفضيل بن عياض وعن سفيان بن عيينة، وعن غيرهم من الأئمة والعلماء، كما نقل ذلك الحافظ ابن رجب في أول كتابه جامع العلوم والحكم في شرح حديث جبريل.

---

(٩٠٢)مؤلفات ابن عبد الوهاب،(٢٦٣/١).

(٩٠٣) فتح المجيد (٣٤١/١).

(٩٠٤) سورة البقرة الآية:٣.

(٩٠٥)قال ابن كثير:عند تفسير قوله تعالى: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ سورة البقرة الآية:٣ "فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً، هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيدة وغير واحد إجماعاً: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث أفردنا الكلام فيها في أول شرح البخاري و الحمد والمنة "تفسير ابن كثير، (٤١/١-٤٢).

فالنقول كثيرة ومتوافرة و الحمد، وقد ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه ا أسماء هؤلاء العلماء الذين أجملهم الآخرون، وذكر ذلك أو بعضاً منهم وغيرهم، وذكره الإمام عبد ا بن أحمد في كتابه السنة.

وذكر مثل ذلك ابن بطة في الإبانة، والآجري في الشريعة، وسائر الكتب التي ألفت في العقيدة كلها تنقل الإجماع على ذلك، والشاهد أن الإجماع منقول وثابت على أن الإيمان قول وعمل ".

فخلاصة من حكي عنهم نقل الإجماع على أن الإيمان الشرعي المطلوب هو ما توفرت فيه الأركان الثلاثة: اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، هم:

الإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، والفضيل بن عياض، وسفيان بن عيينة، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ومحمد بن جرير الطبري، والحافظ بن رجب، وابن بطة، والآجري، وابن القطان، وابن تيمية، ونسب الحوالي نقل الإجماع إلى سائر الكتب التي ألفت في العقيدة.

وفي المطلب التالي دراسة لهذا النقل المنسوب إلى الأئمة، ومناقشة للأقوال والعبارات التي حكت الإجماع، للوصول إلى أمر مقطوع به في هذه المسألة، وإن لم يتيسر القطع فلا أقل من الظن الراجح، من خلال تتبع النقول عن أصحابها ودراسة ثبوتها من عدمه، وما ثبت منها يحتاج إلى فهمه فهماً يتفق مع ظاهر النص المنقول، وأن لا يحمل النص من فهم الناقل ما لا يحتمله، أو ما يحتمل جملة من المعاني ويكون الترجيح لأحدها بلا ظهور المرجح تحكم لا يصح.

المطلب الثاني

التحقق من صحة حكاية الإجماع ووقوعه

الصواب في مثل هذا البحث والأكمل أن تدرس عبارات الأئمة الذين نسب إليهم القول بالإجماع، ولا يخلو ما سبق ذكره عن الأئمة أن تكون أقوالهم، حكاية عن غيرهم أو أن تكون أقوال لهم، فما كان منها حكاية عن الغير فلا بد فيها من تتبع مظان هذا القول عن الغير ودراسة سنده، خاصة إذا كان النقل من متأخر عن متقدم، كما نقل ابن تيمية عن الشافعي وأحمد وغيرهم ممن تقدمه دون سوقه للسند إليهم، بل أحال على مواضع في الرسالة للشافعي وسكت عن الإحالة الموضوعية في النقل عن أحمد وغيره ممن نقل الإجماع عنهم ونسبه إليهم، ومن تمام التحقيق في البحث العلمي أن يقال أين حكى الشافعي الإجماع وأين حكاه أحمد وأين حكاه غيرهما، ليقف الباحث على نص العبارة ويفهم منها كما فهم العلماء، أو يخالفهم عن دليل في فهم النص الذي سيقف عليه.

وبالتتبع للموضع الذي أحال عليه ابن تيمية في كتاب الرسالة لم أجد النص المحال، في الموضع المحال عليه، وقد تابع بن تيمية في النقل للإجماع وأخذ عنه كافة المتأخرين[٩٠٦]، الذين اعتمدوا في نقلهم عليه - رحمه الله - ثقة منهم بضبطه وقوة حفظه وتحقيقه، وهذا لا يمنع الباحث أن يستوثق بالرجوع والعودة إلى المصادر الأصلية التي أحيل عليها، لأن الوهم والغلط جائز على كل أحد لم يعصمه الله. وبرجوعي وبحثي لم أجد نقلاً صريحاً واضحاً عن الشافعي في الرسالة ولا غيرها فيما علمت ووسعني الإحاطة به في بحثي المتواضع، وكذلك لم أجد نصاً على الإجماع للفضيل بن عياض، ولا لسفيان بن عيينة، ولا لأبي عبيد القاسم بن سلام.

التحقق من نقل الإجماع عن الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام ٢٢٤هـ:

---

(٩٠٦)كابن كثير الشافعي، وابن رجب الحنبلي، ومحمد بن عبد الوهاب والحوالي فيما نقلته عنهم في هذه الرسالة.

نص عبارة أبي عبيد القاسم بن سلام، المنقولة عنه والمنسوبة إليه ليس فيها ما يحكي الإجماع المطلق صراحة، وإن كان فيها ما يدل على أن هذا القول في الإيمان هو قول أهل السنة والجماعة باتفاق، إذ جمع أبو عبيد في المنقول عنه أساطين العلم الذين لا يلتفت معهم إلى قول غيرهم ممن خالف بل يقطع بشذوذ المخالف لهم، ولا يطْلِقُ الإجماع بل يقيد لئلا يفهم منه أنه إجماع أهل الإسلام من أهل القبلة.

نقل ابن تيمية عنه قوله: "هذه تسمية من كان يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص".

ثم عد خلقاً كثيراً من العلماء والفقهاء الذين هم مدار الفتوى والعلم والديانة والمحافظة على السنة، من أهل مكة والمدينة واليمن، ومصر والشام، والكوفة والبصرة، والمشرق وواسط، وغيرها من الأمصار، إلى أن قال: "هؤلاء جميعاً يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وهو قول أهل السنة المعمول به عندنا"[٩٠٧].

قال الحوالي بعد سوقه لهذا النص بتمامه: وهو ليس في كتاب الإيمان المطبوع لأبي عبيد، فإما أنه طبع على نسخ غير كاملة، أو أن أبا عبيد ذكر هذا في مصنف غيره(٩٠٨).

التحقق من نقل الإجماع عن الإمام أحمد بن حنبل٢٤٢هـ:

عن الحسن بن إسماعيل الربعي[٩٠٩] أنه قال: قاللي أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والصابر عز وجل تحت المحنة، **أجمع تسعون رجلاً من التابعين وأئمة**

---

(٩٠٧) راجع النص كاملاً وأسماء الأئمة، في كتاب الإيمان لابن تيمية، صـ٢٩٣-٢٩٥.

(٩٠٨)صـ٢٧٩.

(٩٠٩)هو الحسن بن إسماعيل الربعي روى عن إمامنا أشياء منها هذه الرسالة ومنها قيل لأبي عبد ا أحمد بن حنبل وأنا أسمع كم يكفي الرجل من الحديث حتى يمكنه أن يفتي؟ يكفيه مائة ألف؟ قال: لا، قيل: أربعمائة ألف؟ قال: لا، قيل: خمسمائة ألف؟ قال: أرجو.انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى(١٣٠/١) ترجمة ١٦٠، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد صـ٣٨٧ ترجمة رقم١٣٨٦.

المسلمين وأئمة السلف، وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أولها الرضى بقضاء الله تعالى، والتسليم لأمره، والصبر تحت حكمه، والأخذ بما أمر الله به، والنهي عما نهى الله عنه، وإخلاص العمل لله، والإيمان بالقدر خيره وشره، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين والمسح على الخفين، والجهاد مع كل خليفة بر وفاجر، والصلاة على من تاب من أهل القبلة، والإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية"(٩١٠).

هذا النقل للإجماع، عن تسعين من أئمة التابعينوأئمة المسلمين وأئمة السلف، وفقهاء الأمصار، يبين للباحث أن الإمام أحمد بن حنبل لا يرى الإجماع المطلق بل هو إجماع مخصوص بهذا العدد الذي تيسر له الوقوف على أقوالهم في مسألة الإيمان، وهو عدد يشمل علماء التابعين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار، ومعلوم أن عددهم أكبر من هذا العدد بكثير، فكيف يقال عن مثل هذا أن الإمام أحمد قصد به الإجماع المطلق، بل لا يصح القول إلاّ أنه إجماع مخصوص ويدل على هذا القول الذي أراه وأختاره هنا في هذه المقولة المنقولة عن الإمام أحمد الآتي:

أولاً: أنه لم يتعرض للإجماع في زمن الصحابة ولم يذكرهم وكأن المسألة لم تثر إلاّ بعد زمنهم، مع أن غيره من الأئمة عد المسألة مجمع عليها عند الصحابة.

ثانياً: تقييده للإجماع بعدد - وهو تسعين - من أئمة المسلمين وفقهاء الأمصار والتابعين، مع أن عدد العلماء المجتهدين الذين يدور عليهم أمر الفتوى في الدين كثير لا ينحصر بهذا العدد البسيط، كيف وقد ذكر البخاري ألفاً من مشايخه الذين أخذ عنهم وكلهم يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فعلى هذا يكون مقصوده بالإجماع إجماع أهل السنة والجماعة دون غيرهم، وليس ذلك أيضاً بإجماع بالمعنى الاصطلاحي، فيحمل على الاتفاق أولى من حمله على الإجماع.

---

(٩١٠) انظر: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن مفلح، تحقيق د.عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، (٣١٦/١)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. وطبقات الحنابلة (١٣٠/١).

التحقق من نقل الإجماع عن ابن جرير الطبري ٣١٠هـ:

قال ابن جرير: "وأما القول في الإيمان هل هو قول وعمل؟ وهل يزيد وينقص؟ أم لا زيادة فيه ولا نقصان.

فإن الصواب فيه قول من قال: هو قول وعمل، يزيد وينقص، وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وعليه مضى أهل الدين والفضل"[٩١١].

ونص عبارته واضح في النسبة إلى جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن مضى من أهل الدين والفضل، وليس فيها ما يشعر بالإجماع أو يشير إليه، مع بيانه أنه هو الصواب الراجح من الأقوال، وعلى هذا لا يصح أن يقال أن ابن جرير حكى الإجماع الصريح إلاّ على سبيل التجوز في العبارة والتساهل في الإطلاق.

التحقق من نقل الإجماع عن الآجري ٣٦٠هـ:

ونص عبارته في الموضع الذي أحال عليه الحوالي: قال محمد بن الحسين الآجري في كتابه الشريعة: "باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمناً إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث: اعلموا - رحمنا الله تعالى وإياكم -: أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح.

ثم اعلموا: أنه لا تجزىء المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزىء معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث: كان مؤمناً، دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين"[٩١٢].

---

(٩١١) صريح السنة، باب القول في الإيمان زيادته ونقصانه،(٢٥/١).

(٩١٢) الشريعة للآجري، صـ ١٢٠.

ثم ساق رحمه ا أدلة من القرآن الكريم حتى قال: "وأما بعد هذا فأذكر ما روي عن النبي صلى ا عليه وسلم وعن جماعة من أصحابه وعن كثير من التابعين: أن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح ومن لم يقل عندهم بهذا فقد كفر"[(٩١٣)].

هذا نص عبارته وليس فيها حكاية للإجماع، وإن كان فيها ما يشعر بأن المخالف في أن الإيمان قول واعتقاد وعمل خارج عن الكتاب والسنة وما عليه علماء المسلمين، بل فيه إطلاق التكفير، وهذا مما يحتاج إلى تحقيق، ولا يؤخذ قول الآجري مجرداً عن الدليل، ومن أبسط ما يرد به إطلاقه هذا لحكم التكفير على المخالف؛ أن يقال خالف في هذه المسألة من اتفقت الأمة على إمامته في الدين، وهو أبو حنيفة رضي ا عنه وجمع من أئمة وفقهاء المسلمين، والإجماع منعقد على فضلهم وإمامتهم والقول بتخطئتهم فيما تأولوه في باب الإيمان مقبول، ومجاوزة ذلك إلى غيره من التفسيق والتكفير مردود، وسبق نقل ابن تيمية لاتفاقهم على عدم تكفير مرجئة الفقهاء.

وقول الآجري في عبارته السابقة: "ما روي عن النبي صلى ا عليه وسلم وعن جماعة من أصحابه، وعن كثير من التابعين" لا يدل على الإجماع صراحة لسببين:

الأول: كون الرواية عن جمع أو جماعة من الصحابة، وعن كثير من التابعين، فذلك لا يعني أنه قول جميعهم، وإن كان المخالف في الصحابة لا يعرف على سبيل التعيين، إلاّ أن المخالف في التابعين قد عرف وظهر أمره واشتهر.

الثاني: لأن مخالفة المخالف كأبي حنيفة وغيره، وهو من علماء المسلمين تمنع من أن يكون مثل هذا القول إجماعاً، إلاّ أن يحصر ذلك النقل في زمن انعقد فيه الإجماع، قبل ظهور المخالف، وتحققنا من وقوعه، مما يجعلنا نجزم بأن المخالف خرج عن الإجماع بعد انعقاده، ونقول في الرد على المخالف: أنت محجوج بإجماع متقدم فلا يقبل قولك في ذلك.

---

(٩١٣) الشريعة للآجري، صـ ١٣٢.

التحقق من نقل الإجماع عن ابن بطة ٣٨٧هـ(٩١٤):

ونص عبارته في الموضع الذي أحال عليه الحوالي: "وأما اختلاف أهل الشريعة الذي يئول بأهله إلى الإجماع والألفة والتواصل والتراحم، فإن أهل الإثبات من أهل السنة يجمعون على الإقرار بالتوحيد وبالرسالة بأن الإيمان قول وعمل ونية"(٩١٥).

عبارة ابن بطة هنا واضحة في أن الإجماع هو إجماع أهل السنة والجماعة، وليس إجماعاً لسائر أهل الإسلام من أهل القبلة، ولعل هذا لا ينازع فيه من يحكيه، إنما النزاع أن يقصد بالإجماع المحكي إجماع الأمة كافة، كإجماعها على القطعيات الكليات الثابتات التي لا تتبدل ولا تتحول ولا يقبل فيها عذر لمخالف.

وروى ابن بطة بسنده إلى الإمام الزهري(٩١٦) قال:« ما ابتدع في الإسلام بدعة هي أضر على أهله من هذه، يعني الإرجاء » **قال الشيخ** -يعني ابن بطة-: فاحذروا رحمكم الله مجالسة قوم مرقوا من الدين، فإنهم جحدوا التنزيل، وخالفوا الرسول، وخرجوا عن إجماع علماء المسلمين، وهم قوم يقولون: الإيمان قول بلا عمل، ويقولون: إن الله عز وجل فرض على العباد الفرائض، ولم يرد منهم أن يعملوها، وليس بضائر لهم أن يتركوها، وحرم عليهم المحارم، فهم مؤمنون، وإن ارتكبوها، وإنما الإيمان عندهم أن يعترفوا بوجوب الفرائض، وأن يتركوها، ويعرفوا المحارم وإن استحلوها،ويقولون: إن المعرفة بالله إيمان يغني عن الطاعة،

---

(٩١٤) ابن بطة: هو عبيد الله بن محمد بن عمر، أبو عبد الله العكبري، ولد بعكبرا وإليها ينسب، المعروفبابنبطةالفقيهالحنبلي، رحل في طلب العلم إلى البصرة والشام ومكة، ثم انقطع للتأليف والتدريس في موطنه، له تصانيف نافعة ومنها:" الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة"، وهو الإبانة الصغرى، ورسالة في إبطال الحيل، وغيرها. توفي سنة ٣٨٧هـ، انظر:، تاريخ دمشق،(١٠٥/٣٨)ترجمة رقم ٤٤٨٨، سيرأعلامالنبلاء،(٥٢٩/١٦).

(٩١٥)الإبانة الكبرى لابن بطة، باب التحذير من استماع كلام قوم يريدون نقض الإسلام، ومحو شرائعه(٢١٢/٢).

(٩١٦) الزهري هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب، أبو بكر الزهري القرشي المدني، إمام تابعي فقيه حافظ، متفق على جلالته وإتقانه، مات بأطراف الشام سنة ١٢٤هـ. انظر: الجرح والتعديل (٧١/٨-٧٤)، تقريب التهذيب، صـ ٤٤٠، وسير أعلام النبلاء (٣٢٦/٥-٣٥٠).

وإن من عرف ا تعالى بقلبه فهو مؤمن، وإن المؤمن بلسانه والعارف بقلبه مؤمن كامل الإيمان كإيمان جبريل، وإن الإيمان لا يتفاضل ولا يزيد ولا ينقص، وليس لأحد على أحد فضل، وإن المجتهد والمقصر والمطيع والعاصي جميعا سيان.

قال الشيخ: وكل هذا كفر وضلال، وخارج بأهله عن شريعة الإسلام، وقد أكفر ا القائل بهذه المقالات في كتابه، والرسول في سننه، وجماعة العلماء باتفاقهم ".

وفي هذه العبارة حكم ابن بطة بكفر المرجئة، لمخالفتهم القطعي من نصوص الوحي، وخروجهم عن الإجماع، وهو نص صريح واضح على أن المقصود به إجماع سائر المسلمين، وعلم هذا من قوله: "فاحذروا رحمكم ا مجالسة قوم مرقوا من الدين" ثم بين سبب مروقهم وخروجهم من الإسلام بقوله: "فإنهم جحدوا التنزيل، وخالفوا الرسول، وخرجوا عن إجماع علماء المسلمين".

ولا بد أن يعلم أن هذا التكفير لا يقصد به ولا يدخل فيه كل من قال بقول من أقوال المرجئة، وإنما يقصد به غلاتهم ممن وصفهم الإمام بن بطة بالكفر لما وقعوا فيه من موجباته التي ذكرها في عبارته السابقة وهي **قولهم:**

١- إن الإيمان قول بلا عمل. واعتراف بالفرائض وإن تركت، وبالمحارم ولو استحلت،ويقولون: إن المعرفة با إيمان يغني عن الطاعة، وإن من عرف ا تعالى بقلبه فهو مؤمن، وإن المؤمن بلسانه والعارف بقلبه مؤمن كامل الإيمان كإيمان جبريل، وإن الإيمان لا يتفاضل ولا يزيد ولا ينقص.

٢-وإن ا عز وجل فرض على العباد الفرائض ولم يرد منهم أن يعملوها، وليس بضائر لهم أن يتركوها.

٣-وإن ا حرم عليهم المحارم، فهم مؤمنون، وإن ارتكبوها.

فمن جمع هذه الأصول البدعية، الخارجة عن القطعي من النصوص الشرعية، فقد جاء بما يوجب كفره عند الأئمة ومنهم ابن بطة.

التحقق من نقل الإجماع عن الحافظ أبي الحسن ابن القطان٦٢٨هـ:

قوله: "وأجمعوا أن الإيمان قول وعمل ونية مع إصابة السنة"[917].

من وقف على هذا النقل دون أن يعود إلى أول كلام الحافظ يمكنه حمل الإجماع على أنه إجماع مطلق لأهل القبلة مثلاً، أو إجماع مخصوص كإجماع الصحابة، أو إجماع التابعين أو من دونهم، ولكن بالرجوع إلى أول عبارته في كتابه الموسوم بـ: "**الإقناع في مسائل الإجماع** "، يتبين حكايته لإجماعات أهل السنة من السلف والخلف.

وهذا نقل صريح للإجماع عن أهل السنة والجماعة من ابن القطان رحمه الله، وهذا هو الأقرب الذي تحمل عليه نقول الإجماع المطلقة.

التحقق من نقل الإجماع عن ابن كثير٧٧٤هـ:

ونص عبارته في الموضع الذي أحال عليه الحوالي:

قال ابن كثير: عند تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[918]: "فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً، هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعاً: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث أفردنا الكلام فيها في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة"[919].

قرر ابن كثير رحمه الله أن الإيمان المطلوب تحقيقه شرعاً، لا يكون إلاّ اعتقاداً وقولاً وعملاً، وأردف ذلك بقوله" هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة "، فنسبه إلى أكثر أهل العلم، ثم أضرب عن ذلك بقوله: "بل حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعاً".

وفي عبارته ما يدل على أنه لا يرى تحقق وقوع الإجماع وإن حكاه هؤلاء الأئمة، إما لأنه لم يقف عليه بنفسه بحثاً وتحقيقاً، أو لأنه وجد من السلف من

---

(٩١٧) الإقناع في مسائل الإجماع لأبي الحسن بن القطان، (٣٤/١).

(٩١٨) سورة البقرة الآية:٣.

(٩١٩) تفسير ابن كثير، (٤١/١-٤٢).

خالف في ذلك ومال إلى مذهب المرجئة، أو وافقهم في شيء من مذهبهم، ولو كان ابن كثير رحمه الله معتمداً صحة ما حكوه من إجماع لظهر ذلك من عبارته ولجزم به دون الحاجة إلى نسبته للأكثر ثم الإضراب عن ذلك والنقل للإجماع حكاية عن غيره.

ومع هذا فيمكن القول أن ابن كثير ما دام وقد حكاه مذهباً للأكثر ثم أضرب وحكى الإجماع عن الشافعي وأحمد وأبي عبيد فقد أحال على مليء، وعلينا أن نحقق في نسبة الإجماع إلى من أحال عليهم الإمام ابن كثير؛ فهو ناقل عمن سبقه.

التحقق من نقل الإجماع عن الإمام بن رجب ٧٩٥هـ:

نص ما وجدته من كلام بن رجب في الموضع الذي أحال عليه الحوالي، في شرح حديث جبريل:

قال بن رجب ـ رحمه الله ـ: "فإن قيل: فقد فرق النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث بين الإسلام والإيمان، وجعلَ الأعمالَ كلها من الإسلام، لا من الإيمان، والمشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان: قولٌ وعملٌ ونيةٌ، وأن الأعمالَ كلها داخلةٌ في مسمى الإيمان. وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم"[(٩٢٠)].

وقال" قال أبو بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل: **قال كثير من أهل السنة والجماعة**: إن الإيمان قولٌ وعملٌ"[(٩٢١)].

ولم أجد[(٩٢٢)] في هذا الموضع ولا غيره من المواضع في هذا الكتاب المحال عليه من قبل الحوالي، ما يدل أن ابن رجب نقل الإجماع عن السلف، إلاّ ما كان

---

(٩٢٠)جامع العلوم والحكم،.جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لأبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس، (٢٧/١) مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٩٢١)جامع العلوم والحكم، (٢٨/١).

(٩٢٢) عدت في البحث إلى الكتاب المطبوع المشار إليه، واستعنت بأقراص البرامج الإلكترونية، ووضعت لها مختلف أصول وجذور كلمات البحث عن هذه المسألة، ثم وصلت إلى هذه النتيجة بعد أن لم أجد شيئاً.

من عبارته التي نقلها عن الشافعي في حكايته الإجماع عن الصـحابة والتـابعين ومن بعدهم ممن أدركهم الشافعي، وعبارة الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل، فيها ذكر الأكثرية من أهل السنة والجماعة، وليس فيها تصريح بالإجماع، كما هي عبارة الشافعي رحمه ا ، وكلا العبارتين نقلهما ابن رجب في هذا الموضـع دون أن يبين موقفه من الإجماع الذي حكاه الشافعي، ولم يجزم به الإسماعيلي، وبهذا لا يصح أن يقال أن ابن رجب رحمه ا يرى انعقاد الإجماع لنقله عـن الشـافعي، ويقوي هذا الرأي أنه لا ينسب لساكت قول، وابن رجب هنا ليس بساكت صراحة بل هو ناقل، ولكني أحمل نقله للإجماع عن الشافعي ونقله عن غير الشافعي وهو الإسماعيلي أن مذهب كثير من أهل السنة والجماعة، أن الإيمان قول وعمل، مـع عدم ترجيحه لأحد القولين، فأحمله محمل الساكت الذي لا ينسب لـه قـول فـي الإجماع من عدمه، ويكون الحوالي قد تسامح في النقل عنه والنسبة إليه، ولا يقال أن الحوالي أراد الإحالة على ما حكاه الشافعي، لأنه قد سبق في نقله ذكـر كـلام الشافعي وتحديد موضعه بالكتاب والباب، وسيكون في عبارته تكرار، في اللفـظ والمعنى.

التحقق من نقل الإجماع عن ابن تيمية:

قال ابن تيمية: "فإن الشافعي كان من أئمة السنة، وله في الرد على المرجئة كلام مشهور، وقد ذكر في كتاب الطهارة من الأم إجمـاع الصـحابة والتـابعين وتابعيهم على قول أهل السنة"(٩٢٣).

وقال أيضاً: " وقال الشافعيرضي ا عنه في كتاب الأم في باب النيـة فـي الصلاة يحتج بأن لا تجزئ صلاة إلا بنية بحديث عمر بن الخطاب رضي ا عنه عن النبي إنما الأعمال بالنيات، ثم قال وكان الإجماع من الصحابة والتابعين مـن بعدهم ومن أدركناهم يقولون الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الـثلاث إلا بالآخر"(٩٢٤).

---

(٩٢٣)مجموع الفتاوى، (٥١١/٧).

(٩٢٤)مجموع الفتاوى، (٢٠٩/٧).

وقفت في البحث على هذه الإحالة في كتاب الأم، باب النية في الصلاة، فلم أعثر عليها بنصها ولا معناها، وهي معتمد من نقل الإجماع عن الشافعي من المتأخرين، وعليه يكون مرد قول ابن تيمية إلى الشافعي، ومرد النقل عن الشافعي إلى الكتاب المذكور، أو إلى غيره من الكتب يفتقر في صحة نسبته إلى دليل، إما بالنسبة إلى الشافعي بواسطة تلامذته الذين أخذوا عنه، ويعرف ذلك بالسند إليهم المتصل إلى الشافعي، أو إلى كتاب من كتب الشافعي المعتمدة المعروفة بنسبتها إليه، ولم يتيسر لي الوقوف على شيء من ذلك، ولا أرى صحة نقل مثل هذا الإجماع، رغم جلالة قدر ابن تيمية، إلاّ أن الإجماع لم يتحقق بمثل هذا النقل، وا أعلم.

ولقائل أن يقول إما أن ابن تيمية اطلع على نسخة من الأم فيها هذا النص فنقله، أو أنه وهم في النقل عن الإمام الشافعي، وهذا التردد والاحتمال لا يمكن معه الجزم بنقل الإجماع المطلق عن الإمام الشافعي.

وقال ابن تيمية: "وروى أبو عمرو الطلمنكي بإسناده المعروف عن موسى بن هارون الحمال قال: أملى علينا إسحاق بن راهويه،أنالإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، لا شك أن ذلك كما وصفنا،وإنما عقلنا هذا بالروايات الصحيحة،والآثار العامة المحكمة، وآحاد أصحاب رسول ا ـ صلى ا عليه وسلم ـ والتابعين وهلم جراً على ذلك، وكذلك بعد التابعين من أهل العلم على شيء واحد لا يختلفون فيه، وكذلك في عهد الأوزاعي بالشام وسفيان الثوري بالعراق ومالك بن أنس بالحجاز ومعمر باليمن على ما فسرنا وبينا أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"(٩٢٥).

في عبارته هذه ما يشعر أنه لا يقطع بالإجماع المطلق وإن كان في قوله: "وإنما عقلنا هذا بالروايات الصحيحة والآثار العامة المحكمة وآحاد أصحاب رسول ا والتابعين وهلم جراً على ذلك، وكذلك بعد التابعين من أهل العلم على شيء واحد لا يختلفون فيه" ما يشعر بالاتفاق والإطباق على مذهب أهل السنة

---

(٩٢٥)مجموع الفتاوى، (٣٠٨/٧).

والجماعة، إلاّ أن هذا لا يعد إجماعاً بالمعنى الاصطلاحي، ولأنـه لـم يصـرح بالإجماع وإن كانت عبارته فيها جزم بعدم اختلافهم، وأن الأمر مـن محكمـات الشريعة وبه جاءت الآثار العامة، وكان على ذلك آحاد الصحابة.

وذهبت للقول بعدم جزمه بالإجماع مع جزمه بالاتفاق؛ لقوله " آحاد الصحابة "ولم يقطع بالجميع أو الجمع منهم.

وقوله "والتابعين" تحتمل العطف على آحاد الصحابة فيكون ذلك ممـا يـدل أيضاً على عدم الجزم بالإجماع، ويحتمل الابتداء فيكون المعنـى: وعقلنـا ذلـك بالرواية عن التابعين أي بجملتهم ومجموعهم لا جميعهم لأنه قـد ظهـر القـول بخلاف مذهب السلف في زمن التابعين، وكان ذلك الخلاف من أئمة حكم علـيهم السلف بالضلال في هذا الباب والموافقة لأهل السنة والجماعة في سائر الأبـواب، فهم وإن كانوا من السلف فباعتبار باقي أبواب العقيدة،إلاّ أنهم في هذا الباب مـن أبواب العقيدة قد خرجوا فيه عن أقوال أهل السنة والجماعة كما تبين ذلـك مـن خلال بيان مذاهب المخالفين لأهل السنة سابقاً.

ونفيه للخلاف في المسألة يقصد به الخلاف المعتبر، والاتفاق دون الإجماع؛ لأنه من المعلوم وجود خلاف فيها لطوائف من أهل القبلة، خالفت ما عليه عامـة أهل الإسلام، كالمرجئة والماتريدية، ومن وافقه.

ويتلخص من هذا أن ابن تيمية ناقل عمن قبله، واكتفى بالنقل عنهم، دون أن يطيل في التدليل على حصول الإجماع، لأنـه متعـذر بـالمعنى الاصـطلاحي المعروف عند علماء الأصول.

التحقق من نقل الإجماع عن ابن حجر ودراسة عبارة البخاري:

قال ابن حجر: "وروى[٩٢٦] بسنده الصحيح عن البخاري قال: لقيت أكثر مـن ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول

(٩٢٦) أي الإمام اللالكائي أبو القاسم في كتاب السنة، فتح الباري، (٤٧/١).

وعمل، ويزيد وينقص. وأطنب بن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين **وكل من يدور عليه الإجماعمن الصحابة والتابعين**، وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة والجماعة"[(٩٢٧)].

في قول الحافظ:" وكل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين " ما يبين صراحة نقله للإجماع عن الصحابة والتابعين، وفي قوله بعد ذلك: " وحكاه فضيل بن عياض، ووكيع عن أهل السنة والجماعة"، ما يبين أن مذهب أهل السنة والجماعة هو مذهب الصحابة والتابعين المجمع عليه بينهم.

ويمكن القول أن نقل الحافظ ابن حجر للإجماع هو أوضح وأصرح نقل عن الصحابة والتابعين، وعليه يكون الاعتماد في هذه المسألة محاجة للمخالف وإلزاماً له.

وأما قول البخاري:" لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص "، فهي عبارة قوية في بيان الحق في تعريف الإيمان الشرعي، وبيان ما كان عليه سائر أهل العلم المعتبرين من شيوخه الذين أخذ عنهم العلم، ولكنها ليست صريحة في نقل الإجماع المطلق وحكايته، لأن شيوخاً عدة لم يلقهم البخاري ولا شك أن أقوالهم مؤثرة في الإجماع، وإن لم نقف عليها تفصيلاً، إلاً أن عدم ظهورها يدل على عدم تأثيرها، وإن كان عدم العلم بالشيء لا يعني عدم وجوده.

ومع ذلك فيمكن القول أن هذا العدد الذي ذكره البخاري، وهو الألف من علماء الأمصار التي رحل إليها البخاري وأخذ العلم على أهلها، لا يعني لزاماً الإجماع كما لا يمنع وقوعه بهذا العدد، إن كان المقصود أن البخاري أراد حكاية الإجماع عن أهل السنة والجماعة الذين نقل عنهم الحديث.

---

(٩٢٧)فتح الباري، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى ا عليه وسلم "بني الإسلام على خمس"(٤٧/١).

المطلب الثالث

الترجيح في صحة حكاية الإجماع ووقوعه

هناك جملة من الإيرادات التي يمكن الوقوف عليها واستحضارها قبل الاختيار والترجيح في هذه المسألة فمن خلال العرض السابق لأقوال الأئمة والعلماء يمكن القول إجمالاً قبل التفصيل أن حكاية الإجماع ليست على درجة واحدة من القوة في العبارة والوضوح في الدلالة، ولا هي كذلك من حيث سلامة النسبة ودقة الإسناد فمن العلماء من جزم بالإجماع ومنهم من لم يجزم به، ومنهم من نقل الاتفاق، ومنهم من أطلق فيما نقله وأبهم فيما حكاه، ومنهم من كانت عبارته محتملة إجماع عموم الأمة وسائر أهل القبلة من الفرق والطوائف، ومنهم من فهم من عبارته الإجماع المخصوص بالصحابة أو التابعين أو أكثر أهل العلم، ومنهم من كانت عبارته صريحة في ذلك وحكايته للإجماع منسوبة لطائفة بعينها، ومن العلماء من ترك ذلك كله وبين مذهب أهل السنة والجماعة فقط، دون تعريج على الإجماع أو الاتفاق.

وفي هذا كله نجد من الأئمة من نقل الإجماع أصالة، ومنهم من نقله تبعاً تقليداً لغيره ممن سبقه، سواء أسند إلى من نقل عنهم أو لم يسند، أحاله أو لم يحل، تحقق أو لم يتحقق، ومنهم من كانت عبارته صريحة وألفاظه واضحة في الدلالة على مراده ومنهم من لم تكن عبارته كذلك، فهذه مجمل الإيرادات التي يلزم الإشارة إليها وتفصيلها باختصار يتناسب مع مقصود البحث في الآتي:

بعد سبر ودراسة أقوال الأئمة ومناقشتها يمكن تلخيصها في أربعة أقسام:

القسم الأول: ما كان فيه التصريح بإجماع أهل السنة والجماعة:

وهو المنقول عن أبي عمر الطلمنكي وابن القطان وابن بطة، وسبق ذكره ودراسته، وقد كان النقل صريحاً في نسبة الإجماع لأهل السنة، وورد في سياق

تقرير هؤلاء الأئمة لعقائدهم، وليس في أقوالهم ونص عباراتهم ما يؤخذ منه الإجماع المطلق لأهل القبلة من مختلف أهل المقالات وأصحاب الفرق وأرباب الطوائف، بل هو في سياق واضح يتبين به الوجه الذي أورد فيه هؤلاء الأئمة الإجماع.

القسم الثاني: ما كانت عبارته دالة على إجماع مقيد لا إجماع مطلق:

وهو ما نقل من عبارات الإمام أحمد بن حنبل وابن عبد البر وما حكاه ابن رجب الحنبلي عن الإسماعيلي، فقد كانت عباراتهم تحكي إجماعاً بعدد أو بفئة من أهل العلم كأهل الحديث أو الفقهاء، ولم ترد بالإجماع المطلق، كما سبق بيانه ومناقشته في المطلب السابق، ويمكن إلحاق هذا القسم بالقسم الأول.

القسم الثالث: ما كانت عبارته محتملة للاتفاق غير صريحة في بيان الإجماع:

وهو ما نقل من عبارات منسوبة إلى أبي عبيد القاسم بن سلام في كتابه الإيمان وما ذهب إليه البخاري فيما نقله عنه اللالكائي وغيره.

وما نقل عن الآجري، وما قرره ابن كثير وفهم ميله إليه، وما قرره ابن رجب وفُهم ميله إليه أيضاً، وقد سبق مناقشة وتحليل الأقوال، وغاية الأمر أن يقال أن عباراتهم تدل على الاتفاق دون إرادة الإجماع ودلالتها عليه بعيدة، ويكون المنقول عن هؤلاء مشعراً بما عليه سواد الأمة الأعظم من عظيم المعتقد في باب الإيمان وحقيقته الشرعية، ويوضح هذا النقل شذوذ من خالف من أصحاب المقالات من المرجئة المتكلمين، ويبين خطأ من خالف من مرجئة الفقهاء لخروجهم عما جرى عليه الاتفاق وحصل به الوفاق.

القسم الرابع: ما كانت عبارته تحكي مطلق الإجماع وفيه الجزم بذلك:

وهو المنقول عن الإمام الشافعي والمنسوب إليه في كتابه الأم كما حكاه ونسبه إليه اللالكائي وابن تيمية وابن رجب وابن كثير وزاد هذا الأخير حكايته عن الإمام أحمد وأبي عبيد، وأسنده ابن بطة إلى الإمام الزهري، وقطع به ابن حجر عن الصحابة والتابعين.

وقد وردت عبارات الأئمة صريحة واضحة في دلالتها على مقصودهم ومرادهم ولا تخلو من تعقيب قد سبق إيراده في المطلب السابق.

والذي يترجح لي أنه عند التحقيق وطلب التوثيق فلن يعدم طالب الصواب في توثيق الإجماع المحكي جواباً يقوم على برهان علمي يؤخذ من أقدم هذه النقول وأقواها وأصرحها عبارة، وأوضحها وأبينها دلالة على أن هذا الإجماع المحكي عن الأئمة والعلماء إما أنه كان في الزمن الأول زمن الصحابة والتابعين، كما حكاه الحافظ ابن حجر وقطع به فيكون قبل ظهور المقالات والفرق والطوائف من أهل القبلة الذين خالفوا في أصول من العقيدة معلومة ومسائل موسومة، قضت بخروجهم عن نهج السنة ومخالفتهم السلف، مع بقائهم في دائرة الإسلام، وبذلك يكون من خالف منهم محجوجاً بالإجماع المتقدم ويكون خلاف المخالف خروجاً عن الهدى والرشاد ومجانبة لسبيل الحق والسداد.

وبهذا يكون الاتفاق حاصلاً بين أهل القبلة ومتقدماً على الخلاف الذي أحدثه أهل المقالات دون سند لهم فيه ولا سلف، ولم يثبت عن صحابي أو تابعي قولاً يصلح أن يكون مستنداً لهؤلاء في خلافهم وخروجهم عما حصل فيه اتفاق جازم وإجماع ظاهر محتمل، وعلى هذا يحمل نقل المتقدمين للإجماع كالزهري ومن في طبقته.

وإذا كان هذا الإجماع المحكي بعد ظهور هذه الفرق فلابد وأن يحمل النقل الصريح فيه على الإجماع المخصوص لفرقة مخصوصة وطائفة مخصوصة هي أهل السنة والجماعة، والتي وافقت فيما أجمعت عليه ما كان عليه سلفها من الصحابة في الاعتقاد الصحيح، وما كانوا عليه من الدين المرضي سبحانه وتعالى وبه مكّن لهم في الأرض وسودهم على العالمين في زمانهم قال تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ (٩٢٨).

ولا يصح أن يكون معنى الإجماع المنقول عن الأئمة هنا إجماع عموم أهل القبلة لأن مخالفة الفرق في حقيقة الإيمان ظاهرة وأقوالهم مشتهرة، وكتبهم

---

(٩٢٨) سورة النور من الآية: ٥٥.

المعتمدة تحكي ذلك الخلاف، وتسوق الأدلة عليه والردود على مخالفيهم من أهل السنة والجماعة أو غيرهم.

وبهذا يترجح صحة حكاية الإجماع على هذا الوجه وبهذه الصورة المخصوصة.

خلاصة التوجيه للنقول والترجيح بينها:

يمكن توجيه أقوال العلماء ونقولهم للإجماع بالآتي:

من جزم منهم بالإجماع وحكاه أصالة عن نفسه أو تبعاً ونقلاً عن غيره فمقصوده بذلك إجماع أهل السنة والجماعة على ما كان عليه الصدر الأول من سلف هذه الأمة.

ومن لم يجزم به فيكون قد جعل في حسبانه خلاف من خالف من مرجئة الفقهاء واعتبره مؤثراً على الإجماع.

ومن لم يحك الإجماع فإن عدم علمه به لا يعني عدم حصوله ووقوعه، كما أن مجرد دعوى الإجماع أيضاً لا تعني وقوعه، فالأمر يعرف بالتتبع والنظر وظهور أقوال المخالفين المعتبرة من عدم ظهورها؛ فيكون الظهور المعتبر بشروطه المعتبرة قادحاً للإجماع، وعدم ظهور الأقوال المعتبر قادحاً في دعوى عدم الإجماع، ليست موجودة عند من نفاها بغير دليل.

ويتلخص للباحث أن من حكى الاتفاق فهو كما حكاه اتفاق السواد الأعظم من الأمة، والذي لا يصح معه اعتبار مخالفة المخالف من شرذمة قليلة من غلاة أهل الإرجاء - المنقرض نظرياً[٩٢٩] بحسب نظرية بعض الدارسين[٩٣٠] التي سبق الإشارة إليها.

وبهذا يكون الإجماع المحكي هو إجماع خاص لا عام، ومقيد لا مطلق.

---

(٩٢٩) مع الأخذ بعين الاعتبار أن الإرجاء العملي موجود في أوساط المسلمين اليوم ويسير واقعهم السياسي والحياتي أو جانباً كبيراً من واقعهم.

(٩٣٠) سفر الحوالي في ظاهرة الإرجاء صـ٢٧٩.

وهو إجماع الصحابة إجماعاً سكوتياً؛ إذ لم يظهر لي من خلال البحث مخالف من الصحابة في أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل.

وهو إجماع أهل السنة والجماعة، ومن وافقهم من الفرق والطوائف.

ويؤيد هذا التوجيه ويقوي الترجيح ما قاله البغوي في شرح السنة:"اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان، لقوله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٩٣١].

فجعل الأعمال كلها إيماناً، وكما نطق به حديث أبي هريرة[٩٣٢]، ثم قال: وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، على ما نطق به القرآن في الزيادة، وجاء في الحديث بالنقصان في وصف النساء[٩٣٣]"[٩٣٤].

---

(٩٣١) سورة الأنفال الآية: (٢-٣).

(٩٣٢) يشير إلى حديث الإيمان بضع وسبعون شعبة وورد بألفاظ مختلفة ومنها:

(الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان) رواه بهذا اللفظ: مسلم في صحيحه،(٦٣/١) حديث رقم ٥٧، والنسائي في سننه (١١٠/٨) حديث رقم ٥٠٠٤، وصححه الألباني.

وورد بلفظ: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا ا وأوضعها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) رواه النسائي في سننه (١١٠/٨) حديث رقم ٥٠٠٥، وصححه الألباني.

(٩٣٣) يشير إلى حديث ناقصات عقل ودين ونصه:(خرج رسول ا صلى ا عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار. فقلن وبم يا رسول ا ؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن. قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول ا ؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل. قلن بلى.قال:فذلك من نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم. قلن بلى قال: فذلك من نقصان دينها. رواه البخاري ومسلم.

(٩٣٤) شرح السنة الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، (٣٨/١-٣٩)، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

ويؤيده ما قاله الحافظ أبو الحسن ابن القطان: وهو يحكي إجماعات أهـل السنة من السلف والخلف: "وأجمعوا أن الإيمان قول وعمل ونيـة مـع إصـابة السنة"[٩٣٥].

والاتفاق بين سائر طوائف أهل القبلة في أن الإيمان الصحيح الكامل هو مـا جمع هذه الأركان، أو شروط الصحة على قول، أو شروط الكمال علـى قـول، ووقع الخلاف بين أهل القبلة فيمن أتى ببعض هذه الأوصاف وترك بعضها، مـن غير جحود، فهل مجرد الترك يدل على الجحود.

وسبب الخلاف بين الفرق اختلافهم في هذه الأوصاف الثلاثة:

الاعتقاد والقول والعمل، أهي أركان داخلة فـي ماهيـة الإيمـان وحقيقتـه الشرعية، وفوات جزء الشيء إن كان ركناً فيه فوات له.

أم أن منها ما يفوت بفواته الإيمان، وينعدم بانعدامه، ومنهـا مـا لا يفـوت الإيمان بفواته بل يفوت كمال الإيمان بفواته؛ لأنه عند هؤلاء شرط كمال لا شرط صحة.

---

(٩٣٥) الإقناع في مسائل الإجماع، (٣٤/١).

المطلب الرابع

مواضع الاتفاق في الإيمان بين أهل القبلة

مع تقليل الفرق الإسلامية من شأن الاتفاق وتجاوزه بسهولة إلى محل الخلاف؛ فإن من المتفق عليه في باب الإيمان الذي يجب الاهتمام به وبيانه وإيضاحه، وتمييزه عن نقاط الاختلاف -المشبعة بالأدلة والجدل، والإيضاح لأوجه الاستدلال لكل طائفة وفرقة من أهل القبلة- الآتي:

١- أن المسلم حكماً هو من أظهر وأعلن كلمة الشهادتين.

٢- أن المؤمن حكماً هو من أظهر الإسلام أيضاً ولم يرتكب ما يناقضه.

٣- من اعتقد الكفر وأظهر الإسلام فهو المنافق باتفاق، ولكن تجري عليه في الدنيا أحكام الإسلام بحسب ظاهره.

٤- من أظهر الكفر بلا عذر فهو الكافر في الدنيا والآخرة، ومن أظهر الكفر بعذر ظاهر مع اعتقاده الإيمان وتصديقه با ورسوله فهو المؤمن أيضاً في أحكام الدنيا والآخرة.

٥- لم ينازع أحد في أن من جمع الاعتقاد بقلبه والقول بلسانه والعمل بجوارحه أنه يستحق الإيمان اسماً وحكماً.

وأن هذا هو الإيمان الكامل المنجي، وقد نقل الاتفاق بصيغة نفي الخلاف أبو البقاء الكفوي في الكليات[٩٣٦].

---

(٩٣٦) (٢١٣/١).

الباب الثاني

أصول الاعتقاد كما وردت

في حديث جبريل

وفيه تمهيد وفصلان:

الفصل الأول: توحيد الله.

الفصل الثاني: بقية أركان الإيمان.

التمهيد:

عن عمر بن الْخَطابِ -رضي ا عنه- قال: بينَما نَحن عنْـد رسـول الـلـه صلى ا عليه وسلم، ذَاتَ يومٍ؛ إِذْ طَلَع علَينَا رجلٌ، شَديد بياضِ الثيـابِ، شَـديد سواد الشعرِ، لَا يرى عليه أَثَر السفَرِ، ولا يعرِفُه منا أَحد، حتى جلَس إلـى النبـي صلى ا عليه وسلم، فَأَسنَد ركْبتَيه إلى ركْبتَيه، ووضع كَفيه على فَخذَيه، وقـال: (يا محمد أَخْبِرني عن الْإِسلَامِ. فقال رسول الله صلى ا عليه وسلم: الْإِسـلَام أَن تَشْهد أَن لَا إِلَه إلا ا وأن محمدا رسول الله صلى ا عليه وسلم، وتُقيم الصـلَاةَ، وتُؤْتي الزكَاةَ، وتَصوم رمضان، وتَحج الْبيتَ إن اسـتَطَعتَ إليـه سـبِيلًا، قـال: صدقْتَ. قال: فَعجِبنَا له يسأَلُه ويصدقُه. قال: فَأَخْبِرني عن الْإِيمانِ، قال: أَن تُؤْمن بِالله، وملَائِكَته وكُتُبِه، ورسله، والْيومِ الْآخرِ، وتُؤْمن بِالْقَدرِ خَيرِه وشَـره. قـال: صدقْتَ. قال: فَأَخْبِرني عن الْإِحسانِ، قال: أَن تَعبد الله كَأَنك تَراه، فَإِن لم تَكُن تَراه فإنه يراك، قال: فَأَخْبِرني عن الساعة. قال: ما الْمسئُولُ عنها بِأَعلَم من السـائِلِ. قال: فَأَخْبِرني عن إمارتها، قال: أَن تَلد الْأَمةُ ربتَها، وأَن تَرى الْحفَاةَ الْعراةَ الْعالَةَ رِعاء الشاء يتَطَاولُون في الْبنْيانِ، قال: ثُم انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مليا، ثُم قال لي: يا عمـر أَتَدرِي من السائِلُ؟ قلت: ا ورسولُه أَعلَم، قال: فإنـه جِبرِيـلُ أَتَـاكُم يعلمكُـم دينَكُم)[937].

في الحديث دلالة واضحة صريحة في أن أركان الإيمان التي لا يصح بدونها هي الستة المذكورة، والتي سيتناولها الباحث فيما يلي من فصول، خروجـاً مـن الخـلاف المشهور بين علماء الكلام حول أصول وفروع الإيمان، وأصول وفروع الدين، وهـذا الحديث محل تسليم واتفاق، ولم ينازع أحد في ما دل عليه الحديث مـن بيـان أركـان الإيمان، التي تمثل أركان الدين، التي بعث ا جبريل معلماً الصحابة إياها.

(٩٣٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٣٧/١).

الفصل الأول

توحيد الله سبحانه وتعالى

وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى، وتوحيده في ربوبيته وألوهيته.

المبحث الثاني: توحيد الله في الأسماء والصفات.

التمهيد: وفيه بيان مشروعية التقسيم

مشروعية تقسيم التوحيد إلى أنواع:

يقول د. صلاح الصاوي في بيانه لموارد الاجتهاد في قضية التوحيد.

"أما المتشابهات أو مواضع الاجتهاد المتعلقة بتفاصيل هذه القضية، فهي كثيرة نذكر منها:

التقسيم المعهود للتوحيد إلى توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

فإن هذا التقسيم اصطلاحي، الهدف منه تقريب القضية وتنظيم دراستها، كما اصطلح أهل العلم على أسماء اصطلاحية للعلوم، كعلم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث،... وعلى هذا فلا مشاحة في الاصطلاح"[٩٣٨].

قلت: بل أكثر من هذا اصطلاح علماء الشريعة على تقسيمها إلى عبادات ومعاملات، وأخلاق، فهل هذا يعني أن المعاملات والأخلاق ليست من العبادة ؟! لا يوجد عالم يقول بمثل هذا القول لأن الغاية من ذلك بيان ما غلب على العبادات من حق خالص يتعلق بعلاقة العبد بربه. وما ليس فيه من حقوق للبشر ولا اختيار في فعله أو تركه سمي عبادة، في التقسيم الاصطلاحي – وما غلب فيه حقوق المخلوقين وتعلق بعلاقة العبد بما حوله ومن حوله من العباد سمي معاملة.

والأخلاق مع لزومها للمعاملات والعبادات، وتداخل الأقسام الثلاثة، وعدم وجود حدود فاصلة بينها على وجه الجزم؛ إلاّ أن العلماء درجوا على هذا التقسيم الاصطلاحي.

وعلى هذا فلا مشاحة في الاصطلاح هنا وهناك، ويمكن قبول هذا التقسيم خاصة وقد درج عليه جمع من العلماء، وتتابع في نقله الأثبات من أهل العلم الثقات، وغايتهم التقريب والتفنن في التصنيف والتبويب، وتسهيل الفن على

---

(٩٣٨) الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، د/ صلاح الصاوي، صـ١٥٤، دار الإعلام الدولي، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

المتعلمين، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الأمر فيه سعة اجتهادية ولا نص فيه، ويجب في هذه المسألة أن يتنبه لأمرين خطيرين في مآلاتهما:

الأول: إنكار القائلين بهذا التقسيم على غيرهم ممن لم يلتزمه، أو ذهب إلى التشنيع على القائلين به والتشهير بهم(٩٣٩)، فيكون رد فعل المقابل، الإنكار إلى درجة قد يصل بها إلى حد الخصومة والقطيعة، بل الموالاة والمعاداة، واعتبار الأمر مما لا يسع فيه الخلاف، ولا يحتمل الأمر سوى قول شيخه، وهذا من المغالاة التي سببت خلافاً وأظهرت نزاعاً لا مبرر له شرعاً.

الثاني: أن يجنح التعصب بالقائلين بهذا التقسيم إلى التهوين من نوع من أنواع التوحيد، والتقليل من شأنه بحجة أو بأخرى، فهذه جهالة كبرى، إذ أن مراد ا تعالى من عباده توحيده بالعبادة ذاتاً وصفات وأسماء، ألوهية وربوبية، وكل واحد منها يدل على الآخر دلالة واضحة صريحة ولا يفرق بينها ولا يفصل؛ إذ لا يصح إيمان العبد ولا توحيده بدون واحد منها، والتوحيد من هذه الجهة واحد لا يتعدد لوحدانية ا تعالى وتفرده سبحانه.

يقول د. صلاح الصاوي: "وليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الربوبية، وبين ما يدخل في توحيد الألوهية، وبين ما يدخل في توحيد الأسماء والصفات، بل إن هذا التقسيم على هذا النحو لم يرد به فيما نعلم آية محكمة، أو سنة متبعة، والعبرة كما يقولون بالمقاصد والمعاني، وليس بالألفاظ والمباني" (٩٤٠).

وعليه وجدنا من العلماء الأقدمين من يعتمد تقسيماً خماسياً للإيمان با تعالى كالإمام الرازي فقال: "أما القسم الأول: وهو الإيمان با ، فاعلم أنه يشتمل على خمسة أقسام؛ معرفة الذات، والصفات، والأفعال، والأحكام، والأسماء" (٩٤١).

---

(٩٣٩) كقول بعضهم أن هذا التقسيم الثلاثي كتقسيم النصارى للثلاثة الأقانيم، وهذا فيه بغي عظيم، وتجاوز في حد الإنكار لا يجوز أن يصدر مثله من مسلم فضلاً عن طلبة العلم.

(٩٤٠) الثوابت والمتغيرات للصاوي، صـ ١٥٤.

(٩٤١) التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، (٢٣٣/٢٦).

ومن المعاصرين من يفرد الحاكمية ويجعل التقسيم رباعياً بإضافة توحيد ا تعالى في الحاكمية كعبد الرحمن عبد الخالق في كتابه الصراط بمراجعة وتقـديم ابن باز(٩٤٢).

ومنهم من يجعل الحاكمية تعالى وحكمه سـبحانه راجـع إلـى توحيـد الألوهية؛ لتعلقه بالعبادة التي لا يجوز صرفها لغير ا تعالى، وهو اختيار الشاذلي عبد المجيد(٩٤٣) مستدلاً بمثل قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾(٩٤٤).

ومنهم من يجعل الحاكمية راجعة إلى توحيد الربوبية مسـتدلاً بمثـل قولـه تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(٩٤٥)، وما ورد في تفسيرها من حديث عدي بن حاتم(٩٤٦).

فسمى ا المتبوعين أرباباً؛ حيث جعلوا أنفسهم مشرعين مـع ا تعـالى، وسمى المتبعين عباداً؛ لأنهم ذلوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم ا تعـالى(٩٤٧)، وهو اختيار ابن عثيمين(٩٤٨).

---

(٩٤٢) انظر: الصراط أصول منهج أهل السنة والجماعـة فـي الاعتقـاد والعمـل /١٢، الطبعـة الثانيـة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م بدون دار نشر.

(٩٤٣) في كتابه " حد الإسلام " نقلاً عن صلاح الصاوي في الثوابت صـ ١٥٥.

(٩٤٤) سورة يوسف من الآية:٤٠.

(٩٤٥) سورة التوبة من الآية:٣١.

(٩٤٦) قال: (أتيت النبي صلى ا عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال يا عدي اطرح عنـك هـذا الوثن، وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قال: أما إنهم لـم يكونـوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه) رواه الترمذي في سـننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول ا صلى ا عليه وسلم، باب "ومن سورة التوبـة"،(٢٧٨/٥) حـديث رقـم ٣٠٩٥، وقال الشيخ الألباني: حسن.

(٩٤٧) انظر الثوابت والمتغيرات لصلاح الصاوي، صـ١٥٥.

(٩٤٨) أبو عبد ا محمد بن صالح بن محمد عثيمين الوهيبي التميمي ، ولد سنة ١٣٤٧هـ بمدينـة عنيـزة السعودية ، وتوفي سنة ١٤٢١هـ ودفن بمكة ،وهو من كبار علماء وفقهاء العصر أفرد له حمود بن عبد ا المطر ترجمة حافلة سماها" صفحات مشرقة من حياة الإمام محمد بن صالح عثيمين " ، وانظر مجلة البيـان في عددها الـ ١٦٦ الصادر في ذي الحجة ١٤٢١هـ .

ويقول الصاوي معلقاً: "وقد لا يبعد من يقـول بإلحاقهـا بتوحيـد الأسـماء والصفات باعتبار أن من أسمائه تعالى الحكم، ومن صفاته أن له الخلق والأمـر، وأنه هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

و يمكن الجمع بين هذه الثلاثة بأن يقال: إنها من حيث تفرد ا بها كتفـرده بالخلق، هي من توحيد الربوبية، ومن ناحية وجوب الانقياد لها والالتزام بها ديانـة وعبادة فهي من قبيل توحيد الألوهية أو توحيد العبادة ومن حيث وجوب إثباتها صفة جل وعلا، وعدم تعطيلها، فهي من جنس توحيد الصـفات والأمـر فـي ذلـك واسع"(٩٤٩).

والخلاصة: أن التقسيم الثلاثي للتوحيد باعتبار أنواعه نظرة اجتهادية لا نصـية، ونظير هذا التقسيم تقسيم الأشاعرة وعلماء الكلام لأصول الدين إلى تقسيمات عدة مـن أشهرها وأظهرها:

١) **الإلهيات**: وتبحث فيما يتعلق با تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وما يجب على المكلف أن يعتقده في هذه القضايا الكلية، وما يلحقها من قضايا جزئية.

٢) **النبوات**: وتبحث في كل ما يتعلق بالأنبيـاء صـلوات ا وسـلامه علـيهم وصفاتهم، وعصمتهم، ودلائل رسالتهم، ومعجزاتهم، والحاجة إليهم، وإلى ما أرسلوا به من كتب هداية وأنوار.

٣) **الروحانيات**: وتبحث فيما يتعلق بالعالم غيـر المنظـور، أو غيـر المـادي كالملائكة عليهم السلام، والجن، والروح.

٤) **السمعيات**: وتبحث فيما يتعلق بالحياة البرزخية، والأخرويـة، وأحـوال أهل القبور، وأحوال يوم القيامة، وما فيها من بعث، وموقف، وحسـاب، وجـزاء وجنة، ونار(٩٥٠).

---

(٩٤٩) الثوابت والمتغيرات، صـ ١٥٥.

(٩٥٠) بتصرف من رسالة السنة النبوية وأثرها في إثبات الأحكام العقدية، صـ١٧. رسالة ماجستير لمحمود عبد الفتاح أحمد محمد، إشراف د. جمـال الـدين محمـد علـي تبيـدي، جامعـة أم درمـان الإسـلامية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

المبحث الأول

الإيمان بوجود اللّه سبحانه وتعالى، وتوحيده في ربوبيته و ألوهيته

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإيمان بوجود اللّه تعالى

المطلب الثاني: توحيد اللّه في الربوبية والألوهية

المطلب الأول

الإيمان بوجود اللّه تعالى

وفيه تمهيد أربعة فروع:

الفرع الأول: الإيمان بوجـــود الله عند سائر البشر.

الفرع الثانـي: الإيمـان بوجود الله تعالى عند أهل القبلة.

الفرع الثالث: أدلة وطرق إثبات وجوده سبحانه وتعالى.

الفرع الرابع: منهج القرآن في الاستدلال بالآيات الكونية لإثبات وجود الله.

تمهيد:

الإيمان بالله تعالى هو ركن الإيمان الأساس، وإليه ترجع بقية الأركان، وعودها إليه بهاء الضمير دال على ذلك؛ فالملائكة رسله وما أرسلهم به من الوحي كلامه ووحيه، والكتب المنزلة كتبه سبحانه، والأنبياء والرسل رسله إلى خلقه، واليوم الآخر يوم الدين والجزاء والحساب عنده وهو مالكه ومرجع الأمر كله إليه قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ (951)، ومقاليد السماء والأرض وما يجري فيهما قضاؤه وقدره، أمضاه بإرادته المطلقة في خلقه، لا راد لأمره ولا معقب على حكمه.

والإيمان بأركانه الستة مرده إلى ركن الإيمان بالله تعالى، ولا ينفع الإيمان صاحبه إذا لم ينبثق من ركن الإيمان بالله جل جلاله، وينطلق من عمق التوحيد الخالص له سبحانه رباً خالقاً وإلهاً مالكاً ومعبوداً متفرداً.

والإيمان بالله تعالى يتضمن الإيمان بأمور كلية مرد سواها إليها كما رد الفروع إلى أصولها، والأشباه إلى نظائرها، وهذه الأمور الكلية في هذا الركن الأعظم في رأى الباحث أنها تتناول إثبات وجوده سبحانه وجود الغني الصمد الواجب الوجود لذاته سبحانه.

وإثبات ما أثبته لنفسه من صفات الجلال والكمال وأسماء الحسن والبهاء والجمال، وما يستحق سبحانه من توحيد في عبادته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

ويمكن تناولها فيما يلي:

---

(951) سورة العلق الآية: 8.

الفرع الأول

الإيمـان بوجـود الله عند سائر البشر

الإيمان بوجود ا تعالى أساس مسائل العقيدة كلها، وعنه تتفرع بقية الأمور الاعتقادية التي يجب إنهاض العقل للتأمل فيها ثم الإيمان بها.

وهذه القضية الأساس ليس فيها خفاء ولا التباس على جميع أهـل القبلـة بمختلف فرقهم، بل على جميع الناس بمختلف مللهم ونحلهم، وإن اختلفت بعد ذلك معبوداتهم؛ فالكل يؤمن بوجود قوة كبرى، وسلطة عليا تحكم هذا الكون وتسـيطر على هذا الوجود الحادث ـ بإرادة خالقه وموجده سبحانه ـ وتشرف عليه، وتدير جزئياته قبل كلياته، وتُصرف أحداثه، وتتصرف فيه حياة وموتًـا، بنـاء وفنـاء، حركة وسكوناً، تغييراً وتطويراً، بحكمة فائقة ونظام دقيق.

وبعيداً عن نهج الوحي الإلهي والهدي الرباني، اختلفت تسمية الإنسان لهـذه القوة المهيمنة الغالبة، النافذة إرادتها على كل شيء موجود فـي هـذا الوجـود، فسماها بعضهم " بالعلة الأولى" وسماها البعض الآخر " بالعقـل الأول " وسـماها فريق ثالث " بالمحرك الأول "، حتى جاء الوحي من السماء إلى رسـل ا فـي الأرض بالاسم الأعظم الجامع لصفات الجمال والجلال، والتعظيم والكمال "ا ".

إن وجود ا تعالى هو أعظم قضايا الوجود ظهوراً، وأعظم الحقائق تحققاً وثبوتاً، وما تراه من حقائق الكون كلها إنما هو فيض عن تلك الحقيقـة الكبـرى، ومحال إدراك بقية الحقائق المحدثة قبل إدراك حقيقة محدثها.

فكل وجود وكل حقيقة لا تعتمد على وجوده سبحانه فثبوتها في الواقع محال، وإثباتها في المعقول وهم وخيال. فمطلق الوجود، ومطلق الحقائق، وعمومها مرده إليه سبحانه وتعالى خلقاً وإيجاداً وتكويناً.

قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (٩٥٢) أي الذي لا يخفى إثبات وجـوده على أي عاقل، ويتجلى الأمر في تفسير العلماء لاسمه "الحق".

قال الإمام القشيري(٩٥٣): "الحق من أسمائه تعالى ، وهو بمعنـى الموجـود الكائن الذي ليس بمعدوم ولا منتف" (٩٥٤).

وقال ابن الأثير(٩٥٥): "في أسماء ا تعالى (الحق) هـو الموجـود حقيقيـة المتحقق وجوده وإلهيته والحق: ضد الباطل"(٩٥٦).

وقال ابن منظور(٩٥٧):"والحق من أسماء ا عز وجل وقيل من صـفاته ... وفي التنزيل "ثم ردوا إلى ا مولاهم الحق" وقوله تعـالى : "ولـو اتبـع الحـق أهوائهم" **قال ثعلب:** الحق هنا ا عز وجل"(٩٥٨) .

---

(٩٥٢)سورة النور من الآية: ٢٥.

(٩٥٣) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي ، المولود سـنة ٣٧٦هـــ ، ونسبته إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، قرأ الأدب والعربية والفقـه والكـلام ، تـوفي بنيسابور سنة ٤٦٥هـ بتصرف من طبقـات المفسـرين للـداوودي (٣٤٤/١ــ٣٥٢). البدايـة والنهايـة (١١٧/١٢).

(٩٥٤) في كتابه "شرح أسماء ا الحسنى" للقشيري ص١٨٦ .

(٩٥٥) ابن الأثير هو: المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد مجد الدين أبـو السـعادات الشيباني الجزري الشافعي المعروف بابن الاثير، سمع الحديث الكثير، وقرأ القرآن وأتقن علومه، وحررهـا، جمع في سائر العلوم كتبا مفيدة منها جامع الأصول الستة الموطأ والصحيحين وسـنن أبـي داود والنسـائي والترمذي، وله كتاب النهاية في غريب الحديث ، مات سنة ٦٠٦هـ . البداية والنهاية (٥٥/١٣-٥٦) وفيات الأعيان(٣٤٩/٣).

(٩٥٦) النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابـن الأثيـر (٥٤٤هـ-٦٠٦هـ) (٤١٣/١) ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، دار إحياء التـراث العربي – بيروت – بدون.

(٩٥٧) ابن منظور هو: محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن منظـور الأنصـاري الأفريقـي المصري ،جمال الدين أبو الفضل ، اختصر كتباً كثيرة من كتب الأدب المطولة كالأغاني والعقـد وغيهـا ، وروى عنه السبكي والذهبي ، توفى سنة ٧١١هـ ، انظر بغية الوعاة (٢٤٨/١) ترجمة رقم ٤٥٧.

(٩٥٨) لسان العرب (٢٥٦/٣) .

وقوله صلى ا   عليه وسلم في الحديث (أنت الحق) :

أي واجب الوجود[٩٥٩] بمعنى لا يفتقر وجوده سبحانه إلى شيء . ووجـود غيره وكل ما سواه مفتقر إليه في الكينونة والثبوت ولولاه ما ثبت وجود موجود .

وقال ابن حجر: "أنت الحق" أي المتحقق الوجود الثابت بلا شك فيـه. قـال القرطبي: هذا الوصف له سبحانه وتعالى بالحقيقة خاصة به لا ينبغي لغيـره ، إذ وجوده لنفسه فلم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم بخلاف غيره.[٩٦٠] اهـ.

قال قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني: "الحق هو المتحقق كونه ووجـوده ، وكل شيء صح وجوده وكونه فهو حق " وهو قول الخطابي وزاد عليه ومنه قول ا سبحانه: ﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ﴾ [٩٦١]. معناه وا أعلم : الكائنة حقاً لا شـك فـي كونها ، ولا مدفع لوقوعها" [٩٦٢] .

قال البيهقي: "الحق هو الموجود حقاً ، وهذه صفة يستحقها بذاته" [٩٦٣].

وقال أيضاً: "ومنها ـ أي الأسماء الحسنى ـ الحق المبين قال ا جل ثناؤه: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [٩٦٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [٩٦٥]فاسمه الظـاهر ولا أظهـر وجوداً منه سبحانه.

---

(٩٥٩) قاله السندي في شرحه لسنن النسائي (٢١٠/٣) كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، باب ذكر ما يستفتح به القيام . حاشية السندي على النسائي لنور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي المتـوفى سـنة ١١٣٨، تحقيق:عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ، الطبعة الثانية،١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .

(٩٦٠) فتح الباري (٧/٣) كتاب التهجد ، باب التهجد بالليل وقوله عز وجل" ومن الليل فتهجد به نافلة لـك" سورة الإسراء الآية:٧٩.

(٩٦١) سورة الحاقة الآيات: (١-٢).

(٩٦٢)شأن الدعاء لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، صـ٧٦، دار المأمون للتراث، دمشق وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

(٩٦٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (٥٣) .

(٩٦٤) سورة النور من الآية:٢٥ .

(٩٦٥)سورة الحديد من الآية: ٣.

قال الإمام الرازي: "وقلما توجد في الدنيا طائفة ينكرون وجود الإله تعـالى، ولذاك قال تعالى في صـفة الكفـار: وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ (٩٦٦).

وقال: دخلت بلاد الهند فرأيت أولئك الكفار مطبقين على الاعتراف بوجـود الإله وأكثر بلاد الترك أيضاً كذلك، وإنما الشأن في عبادة الأوثان فإنها آفة عمـت أكثر أطراف الأرض.

وهكذا الأمر كان في الزمان القديم، أعني: زمان نوح، وهود، وصالح، عليهم السلام، فهؤلاء الأنبياء صلوات ا وسلامه عليهم كانوا يمنعون من عبادة الأصنام فكان قوله اعْبُدُوا اللَّهَ (٩٦٧) معناه: لا تعبدوا غير ا ، والدليل عليه أنه قال عقيبه: مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ (٩٦٨) وذلك يدل على أن المقصود من هذا الكلام مـنعهم عـن الاشتغال بعبادة الأصنام" (٩٦٩).

فلم ينكر وجود ا عاقل سوي الفطرة، وإنما أنكر ذلك شذاذ قلائـل لا وزن لهم يذكر ولا نسبة تظهر إذا نسبتهم إلى أمم الأرض قاطبة في مختلـف الأزمنـة الغابرة والحاضرة ومختلف الاصقاع والبلدان.

وهم الدهرية الذين حكى ا فريتهم فقال عنهم: وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٩٧٠)، وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ... (٩٧١).

---

(٩٦٦)سورة لقمان من الآية: ٢٥.

(٩٦٧) سورة الأعرافمنالآية:٥٩.

(٩٦٨) سورة الأعرافمنالآية:٥٩.

(٩٦٩) التفسير الكبير، (٩/١٨).

(٩٧٠) سورة الأنعام الآية: ٢٩.

(٩٧١) سورة الجاثية من الآية: ٢٤.

وفي الرد عليهم وإقامة الحجة يقول تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٩٧٢).

قال الزمخشري(٩٧٣)**:** "أدخلت همزة الإنكار على الظرف: لأن الكلام ليس في الشك، إنما هو في أن وجود الله تعالى لا يحتمل الشك" (٩٧٤).

وقال ابن عاشور(٩٧٥)**:** "الاستفهام هنا استفهام إنكاري، ومورد الإنكار هو وقوع الشك في وجود الله، فقدم متعلق الشك للاهتمام به، ولو قال: أشك في الله لم يكن له هذا الوقع، وعلق اسم الجلالة بالشك، والاسم العلم يدل على الذات، والمراد إنكار وقوع الشك في أهم الصفات الإلهية وهي صفة التفرد بالإلهية أي صفة الوحدانية.

وأتبع اسم الجلالة بالوصف الدال على وجوده وهو وجود السموات والأرض الدال على أن لهما خالقاً حكيماً لاستحالة صدور تلك المخلوقات العجيبة من غير فاعل مختار وذلك معلوم بأدنى تأمل"(٩٧٦).

تلك دهرية الأمس وذلك إنكارها وجحودها ورد خالقنا وبيانه فيها و دهرية اليوم لا تختلف كثيراً عن سلفها المشئوم، وتمثلت باتجاهين معاديين للإسلام وهما

---

(٩٧٢) سورة إبراهيم من الآية: ١٠.

(٩٧٣) الزمخشري هو: محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، جار الله أبو القاسم لقب بجار الله لملازمته مكة زمناً، من أئمة اللغة والاعتزال، توفي سنة ٥٣٨هـ. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (١٦٨/٥) ترجمة رقم ٧١١، تحقيق د. إحسان عباس، دار صار بيروت، شذرات الذهب (١١٨/٤) .

(٩٧٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (٥١٠/٢) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٩٧٥) ابن عاشور هو: محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبدالقادر بن محمد بن عاشور، نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، ولي القضاء والفتيا ونقابة الأشراف في عهد الباي محمد الصادق باشا، له كتب منها: "شفاء القلب الجريح" في شرح البلدان، و"هدية الأريب" حاشية على القطر لابن هشام في النحو، و"حاشية على المحلى على جمع الجوامع"، مات بتونس عام ١٢٨٤هـ. انظر: الأعلام للزركلي، (١٧٣/٦).

(٩٧٦) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، (٥١٠/١٢)، مؤسسة التاريخ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

الإلحاد والمادية، وعنه تتفرع العلمانية اللادينية وليس المقام مقـام بسـط لبيـان ماهيتهما وحقيقتهما، وأكتفي بالإشارة إليهما.

والدهرية المعاصرة لن يطول بقاؤها ولن يغلب أثرها لأن شـعوب الأرض بأسرها تختلف مع هذا التوجه المنتكس في فطرته، المنطمس في إنسانيته.

يقول معجم (لاروس) للقرن العشرين: "إن الغريزة الدينية مشتركة بين كـل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية... وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي، وبما فوق الطبيعـة هـو إحـدى النزعـات العالميـة الخالـدة للإنسانية"(٩٧٧).

ويقول: "إن هذه الغريزة الدينية لا تختفي، بل لا تضعف ولا تـذبل إلا فـي فترات الإسراف في الحضارة وعند عدد قليل جداً من الأفراد"(٩٧٨).

ويقول هنري برجسون: "لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علـوم وفنون وفلسفات،(٩٧٩) ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة " (٩٨٠).

ويقول الدكتور (ماكس نوردوه): عن الشعور الديني: "هذا الإحساس أصيل يجده الإنسان غير المتمدن، كما يجده أعلى النـاس تفكيـراً، وأعظمهـم حدسـاً، وستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية، وستتطور بتطورها، وستتجاوب دائمـاً مـع درجة الثقافة العقلية التي تبلغها الجماعة" (٩٨١).

---

(٩٧٧)Laresusse duxxeme siecle, article: Religion نقلاً عن كتاب "الدين" للدكتور محمد عبـد ا دراز، صـ ٨٢، دار القلم، الكويت، بدون طبعة، ١٤٠٠هـ.

(٩٧٨) المرجع السابق، صـ ٨٣.

(٩٧٩) وجود جماعات إنسانية بلا علوم ولا فنون ولا فلسفات صحيح من حيث التدوين لتلك العلوم والفلسفات والفنون وإضافتها إلى رصيد التراث الحضاري للمجاميع البشرية، أما من حيث الواقع فلا أظن ذلـك يصـح خاصة وأن لكل مجموعة بشرية خصوصيتها في حياتها، وطريقة عيشها، وتفسيرها لما حولها، ولو كان رديئاً أو بدائياً، إلا أنه يمثل فلسفة ورؤية لهذه المجموعات التي بادت وباد تاريخها ولم يدون ولم يحفظ.

(٩٨٠B.S.t. Hilaire, Mahomet et le Coran, P xxxiv) نقلاً عن "الدين" لدراز، صـ ٨٣.

(٩٨١Max Nodau, Reponse au Mercure de France, Paris, 1908) نقلاً عن "الدين" لدراز، صـ٨٧.

ويقول أرنست رينان Renan في تـاريخ الأديـان: "إن مـن الممكـن أن يضمحل كل شيء تحبه، وأن تبطل حرية استعمال العقل والقلم والصناعة، ولكـن يستحيل أن ينمحي التدين، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المـذهب المـادي، الذي يريد أن يحصر الفكر الإسلامي في المضايق الدنيئة للحياة الأرضية" [(٩٨٢)]

إن أصحاب النظرية المادية الإلحادية يتلقون أقصى الضـربات القاضـية ببطلان ما هم عليه لخروجه عن الفطرة السـوية، ومخالفتـه بـدهيات العقـول المرضية.

وبهذا العرض الموجز يتبين إجماع الأمم والشعوب على التدين وعلى وجود إله تتعلق به النفوس بالعبادة والتعظيم، و الافتقار والعجز.

---

(٩٨٢) "الدين" لدراز، صـ ٨٧.

الفرع الثانـي

وجود الله تعالى عند أهل القبلة

سبق في المطلب الأول بيان ما عليه البشرية جمعاء؛ من الإيمان بوجود ا تعالى، وسائر طوائف أهل الإسلام مجمعة على وجوده عز وجل وثبوت ذلك وتحققه، وليس من خلاف في هذا بين الفرق الإسلامية؛ لأن المخالف في هذا يكفر بالإجماع.

قال السيوطي(٩٨٣)**:** "المطالب التي في القرآن معظمها الأصول الثلاثة، التي بها يصح الإسلامويحصل الإيمان، وهي: معرفة ا ، والاعتراف بصدق رسوله، واعتقاد القيام بين يدي ا تعالى، فإن من عرف أن ا واحد، وأن النبي صادق، وأن الدين واقع صار مؤمناً حقاً، ومن أنكر شيئاً منها كفر قطعاً"(٩٨٤).

والوجود المقصود به هنا ما ينافي العدم، وينقسم الوجود إلى وجود ذاتي، ووجود تبعي.

"**فالوجود الذاتي**: ما كان المتصف به غير مفتقر في الاتصاف به إلى علة تؤثر فيه الوجود.

والوجود التبعي: ما كان المتصف به مفتقراً في الاتصاف به إلى علة تؤثر فيه الوجود.

ووجود ا تعالى في القسم الذاتي: أي: أنه سبحانه لا يفتقر في وجوده إلى علة تؤثر فيه الوجود، وهذا الوجود المتعلق به سبحانه هو الوجود الكامل، وهو لا

---

(٩٨٣) السيوطي هو: عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ، أديب، له نحو ستمائة مصنف، من كتبه: "الإتقان في علوم القرآن" و"الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، و"الأشباه والنظائر" في العربية، و"الأشباه والنظائر" في الفروع، مات سنة ٩١١هـ. انظر: شذرات الذهب (٥١/٨)، الضوء اللامع (٦٥/٤).

(٩٨٤) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي تحقيق: سعيد المندوب،(٤٢٤/٢)، دار الفكر، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. وانظر: أحكام القرآن لابن العربي، (٤٧٤/٢).

يكون إلا   وحده، وأما ما عداه فوجوده في القسم التبعي، فما من موجود غير ا تعالى إلا وهناك علة لوجوده ويفتقر في وجوده إلى شيء آخر" [(٩٨٥)].

قال الإمام الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: " اعلم أن الموجود إما أن يكون واجباً لذاته وإما أن يكون ممكناً لذاته. أما الواجب لذاته فهو ا   تعالى فقط، وأما الممكن لذاته فهو كل ما سوى ا   تعالى وهو العالم" [(٩٨٦)].

وساق الشنقيطي في أضواء البيان كلاماً للقاضي عياض رأى وجاهته فـي بابه فقال: " ومراده بالعقليات في العقائد أي إثبات وجود ا ، وأنه واحد لا شريك له، وهو المعروف عندهم بقانون الإلزام، الذي يقال فيه إن الموجود إمـا جـائز الوجود أو واجبه، فجائز الوجود جائز العدم قبل وجوده، واستوى الوجود والبقـاء في العدم قبل أن يوجد، فترجح وجوده على بقائه في العدم، وهذا الترجح لابد لـه من مرجح وهو ا   تعالى.

وواجب الوجود لم يحتج إلى موجد، ولم يجز في صفته عدم، وإلاّ لاحتـاج موجده إلى موجد ومرجح وجوده إلى موجد. وهكذا فاقتضى الإلزام العقلي وجوب وجود موجب واجب الوجود، وهذا من حيث الوجود فقط"[(٩٨٧)].

فهو سبحانه الغني الذي لا يفتقر إلى أحد، ولا يحتاج في وجوده سبحانه إلى غيره، وغناه صفة ذاتية له، وهو غنى مطلق، إليه وحده يفتقر كل الوجود ومنـه وإليه يعود" ولا معنى للواجب لذاته إلاّ الموجود الذي لا حاجة به إلى غيره، وإن لم يكن غنياً عن المؤثر فهو محتاج، والمحتاج لا بد له من المحتاج إليه وذلك هو الصانع المختار"[(٩٨٨)].

---

(٩٨٥) العقيـدة الإسـلامية أركانهـا: حقائقهـا.. مفسـداتها لمصـطفى الخـن، محـي الـدين ديـب مستو،صـ١٢٥،١٢٦. دار الكلم الطيب، بيروت، ودار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.

(٩٨٦) التفسير الكبير (١/١٨٦).

(٩٨٧) أضواءالبيانفيإيضاحالقرآنبالقرآن،لمحمدالأمينبنمحمدبنالمختارالجكنيالشـــــــــنقيطي،تحقيق: مكتبالبحوثوالدراسات،(١٤٨/٨)،دارالفكرللطباعةوالنشر،بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٩٨٨) التفسير الكبير، (٧٣/١٩).

و لابد من التطرق لمسألة قد يبدو للناظر فيها خلاف بين أهل القبلة، وليس من خلاف حقيقي فيها، وهي مسألة إطلاق اسم الموجود على الله عز وجل **قـال ابن الزاغوني**[989]: " **فصل: الباري تعالى موجود:** وهو قول عامة أهل الإثبـات، وذهبت نفاة الصفات إلى أنه لا يوصف بأنه موجود. بل يقال ليس بمعدوم" [990].

ثم ساق ابن الزاغوني ردوده على المعتزلة ومن وافقهم من جهمية الصفات، وليس هذا موطن تحريرها. ولكن لابد من استبانة ووضوح مراد المعتزلة في عدم وصف الباري سبحانه وتعالى بأنه موجود، فهم قطعاً لا ينكرون وجوده سـبحانه ولا يختلفون مع سائر أهل القبلة في ثبوت وجوده سبحانه، وإنما خلافهم من حيث اللفظ المستعمل لإثبات صفة الوجود وجواز إطلاقه علـى الله عزوجـل لإثبـات الصفة، فوجوده عندهم ثابت ولكنهم لا يعبرون عنه بلفظ (الموجود) بل يعبـرون عنه بلفظ (ليس بمعدوم) وسبب ذلك المنع أنهم قالوا: "إنما منعنا من إثبات وصـفه بأنه موجود من جهة أن الوجود كون، ويكون مشبه للفعل، بل هو الفعـل بعينـه، ولهذا يتصرف تصرف الفعل فيقال: وجد يوجد فهو موجود. والفاعـل: الموجِـد، والمفعول الموجد، وإذا ثبت أنه فعل أوجب ذلك أن يقتضي فاعلاً، فيفتقـر إلـى موجد ثبت وجوده به، وهذا محال قطعاً ويقيناً فنفينا عنـه أن يوصـف بـالوجود لذلك"[991].

---

(989) ابن الزاغوني: هو أبو الحسن علي بن عبد الله الزاغوني المتوفى سنة ٥٢٧هـ فقيه محدث، واعـظ متكلم، من أعيان المذهب الحنبلي. ونسبته إلى زاغون وهي قرية من أعمال بغداد قال عنه الذهبي: "كان إماماً فقيهاً متبحراً في الأصول والفروع، متفقهاً واعظاً، مناظراً، فقيهاً مشهوراً بالصلاح والديانة والورع والصيانة كثير التصانيف"، ومن مؤلفاته في الفقه الإقناع والواضح والخلاف الكبير، ومناسك الحـج، وغيرهـا، وفـي الفرائض التلخيص، وجزء في عويص المسائل الحسابية، وله تآليف في مختلف الفنون، انظر: سـير أعـلام النبلاء للذهبي، (٦٠/١٩)، والـذيل علـى طبقـات الحنابلـة لابـن رجـب، (١٨٠/١)، مطبعـة السـنة المحمدية،١٣٧٢هـ.

(990) الإيضاح في أصول الدين لأبي الحسن علي بن عبيد الله بن الزاغوني، المتوفى ٥٢٧هــ، تحقيـق عصام السيد محمود صـ ٢٥٣، مركز الملك فيصل للبحـوث والدراسـات الإسـلامية. الطبعـة الأولـى ١٤٢٤هـ.

(991) الإيضاح في أصول الدين صـ ٢٥٣.

ويجاب عن استشكال المعتزلة: بأن وجود الباري سبحانه وتعـالى وصـف ذاتي له ولم يثبت لعلة، ولا لسبب مما تشاهدونه في عالم المشـاهدة والحضـور. وكما أن ذاته موصوفة بالأولية المطلقة التي لم يسبقها سابق، ولم يتقدمها متقـدم، ولم يشاركها في كونها ثابتة لنفسها غيرها، فلا يصح قياس غيرهـا عليهـا، ولا قياسها على غيرها من المحدثات المفتقرة في وجودها إلى سبب وعلة تؤثر في إيجادها.

ويقال أيضاً: " وإذا كان وجوده واجباً لنفسه موجوداً بوجود نفسه، ولم يسبقه سابق ولم يتقدمه سواه بطل أن يكون وجوده مما يضاف إلى موجِـد، وأن يكـون وجوده فعلاً يضاف إلى فاعل" (٩٩٢)؛ لأن هذه الإضافة دليل الافتقار وعدم الغنـى وهو سبحانه منزه عن هذا النقص فقد وصف نفسه بالصمدية فقال: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٩٩٣).

ولابن تيمية كلام لطيف في حل استشكال المعتزلة يقول فيه: "لفظ الوجـود في أصل اللغة مصدر وجدت الشيء أجده وجوداً، ويراد به تارة المصدر الذي هو الأصل، ويراد به تارة المفعول أي الموجود، وكذلك لفظ الفعل، فإنهم يقولون وجد هذا، وهذه صيغة فعل مبني للمفعول، فقد يريدون بذلك أنه وجـده واجـد، وقـد يريدون بذلك أنه كان وحصل حتى صار بحيث يجده الواجد، ثم لما صـار هـذا المعنى هو الغالب في قصدهم صار لفظ الموجود عندهم والوجود يراد به الثبوت والكون والحصول من غير أن يستشعر فيـه وجـود واجـد لـه لا بالفعـل ولا بالاستحقاق" (٩٩٤).

وإذا كان هذا التجرد عن المعنى الزائد عن الكون والوجود المقابل للعدميـة حاصلاً في الإطلاق، وجرى به الاستعمال، ولم يحصل بـه استشـكال، زال مـا يتوهم من نقص في حق الله تعالى من هذا الوجه.

---

(٩٩٢) المرجع السابق صـ ٢٥٤.

(٩٩٣) سورة الإخلاص الآيات: (٢-٣).

(٩٩٤) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية، (٣٢٨،٣٢٩/١).

ومن وجه ثان: وهو أن وجود الموجودات افتقاري أما وجود ا تعالى فذاتي منه سبحانه على غير مماثلة بينه وبين خلقه.

وإطلاق القول بأن ا تعالى موجود هو من باب حكاية الصفة التي لا تشعر بالنقص، ومؤدى الخلاف في هذا الباب لفظي كما تراه إذ لو قيل للمعتزلة تثبتـون وجوداً أو عدماً لقالوا: بل نثبت له وجوداً و نعبر عنه في إطلاقنا بالقول: ليس بمعدوم.

وهذا كما بينته من الخلاف اللفظي لا الحقيقي، والخلاف حول الأولـى فـي الإطلاق لا يعني المخالفة في المعنى والمضمون، وعدم الاتفاق في أصل المسألة، بل الاتفاق على أصل المسألة واقع قطعاً بلا خلاف.

الفرع الثالث
أدلة وطرق إثبات وجوده سبحانه وتعالى

أولاً: بيان عدم انحصار أدلة وجود الباري عز وجل

اعتنى علماء الأمة من مختلف الفرق والطوائف بإثبات وجـود ا تعـالى بالأدلة القاطعة، والبراهين والحجج الساطعة، وعملوا على إظهارهـا، وشـرحها وتفصيل القول فيها تارة، وإجماله أخرى، وبحسب اختلاف الأحوال اختاف المقال وكله يدور في فلك الاستدلال على وجوده تعالى، ثم على معرفته عز وجل، ولـم ينازع أحد في وجوب معرفته سبحانه وتعالى، ووجـوب معرفـة أدلـة وجـوده ووحدانيته وهذا هو محل اتفاق الفرق والطوائف، وهو أصل عظيم مـن أصـول الاعتقاد في هذا الباب.

والآيات الدالة على وجود ا سبحانه وتعالى كثيرة لا حصر لها في العدد، ولا يمكن الإحاطة بها تفصيلاً؛ ولذلك درج العلماء على نظمها في أدلة كلية إجمالية وتحت كل دليل يوردون بعض الأمثلة التفصيلية تدليلاً وتمثيلاً لإثبات صحة ما أرادوه، وتحقيق مرادهم الذي قصدوه؛ وبالتتبع تجد اختلاف عباراتهم وتقسيماتهم التي تنتهي إلى مؤدى واحد، وهو أن آيات ا الدالة على وجوده لا يعدها عاد ولا يحصرها حاصر، وصدق القائل:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

فالأشياء من خلقه وإيجاده سبحانه، وتسير وفق أمره وإرادته وتنتهي بمقتضى حكمه وتبقى بمقتضى حكمته سبحانه، فلا شك أن فيها من دلائل إثبات وجوده سبحانه، ووحدانيته و ربوبيته ما يعجز عن الإحاطة به أو عن إدراكه على سبيل التفصيل بشر وفي هذا المعنى **يقول الفخر الرازي** عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾[٩٩٥]: "مشتمل على أسرار عالية

---

(٩٩٥) سورة الأنعام الآية:٥٤.

وذلك لأن ما سوى ا تعالى فهو آيات وجود ا تعالى، وآيات صفات جلاله وإكرامه، وكبريائه، وآيات وحدانيته، وما سوى ا فلا نهاية له[996]، وما لا نهاية له فلا سبيل للعقل في الوقوف عليه على التفصيل التام، إلا أن الممكن هو أن يطلع على بعض الآيات، ويتوسل بمعرفتها إلى معرفة ا تعالى ثم يؤمن بالبقية على سبيل الإجمال، ثم إنه يكون مدة حياته كالسائح في تلك القفار، وكالسابح في تلك البحار، ولما كان لا نهاية لها فكذلك لا نهاية لترقي العبد في معارج تلك الآيات، وهذا مشروع جملي لا نهاية لتفاصيله"[997].

ولذلك يمكن اعتبار مجمل طرق الاستدلال لا تفصيلها، وهي طرق كلية تنـدرج تحتها سائر الأدلة التفصيلية، وتنتظم في شكلها البراهين التي لا حصر لها ولا عد.

وهذه الطرق الإجمالية عدها بعضهم أربعاً وهي: طريق الفطـرة، وطريـق النقل، وطريق العقل، وطريق الحس، ويمكن رجوع الحس إلى المعقـول فتكـون الطرق بهذا ثلاثاً، ويمكن إرجاع الفطرة إلى النقل فتكون الطرق اثنتـين عقليـة ونقلية ولا مشاحة في التقسيم.

ثانياً: طريقة المتكلمين في الإثبات لوجود الله تعالى (العقل)

وفي مسألة وجود ا تعالى وإثباتها لا تجد أن المتكلمين ينكرون وجود براهين قرآنية على ذلك، إلا أنهم يرونها جاءت تخاطب العقل بطريقة منطقية، **يقول ابن رشد**[998]: "معرفة الطريق التي تفضي إلى وجود ا هي أول معرفة

---

(996) في هذا الإطلاق إشكال فلا بد من حمله على أن ما سوى ا من حيث الحصر والإدراك بالنسبة لنا لا يمكن الوقوف عليه كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة النحل الآية:18.وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ سورة المدثرمنالآية: 31. وكذلك يمكن القول أن ما سوى ا من مخلوقاته التي كتب لها البقاء والخلود كالجنة والنار، فهي خالدة بأمره ولا نهاية لها.

(997) التفسير الكبير، (3/13) عند تفسيره للآية (54) من سورة الأنعام.

(998) ابن رشد هو: محمد بن أحمد بن رشد أبو الوليد ـ الحفيد ـ قاضي الجماعة، فقيه مالكي، وفيلسـوف عالم، مات بمراكش سنة 595هـ. انظر: الديباج المذهب (378-379)، والأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للتعارجي المراكشي، المتوفى سنة 1378هـ، راجعه: عبدالوهاب بن منصور، (4/127-134) المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، 1413هـ - 1993م. تاريخ قضاة الأندلس، للنباهي المتوفى بعد 793هـ ـ،

يجب أن يعرفها المكلف، ويتضح هذا بالنظر في آيات القرآن الكريم، إذ ورد في عدد ليس بقليل منها، ودعوة الناس إلى التصديق بوجود الباري بأدلة عقلية"[(999)].

ولبيان منطلقات المتكلمين في معرفة الله تعالى عن طريق العقل ومقصودهم به النظر والاستدلال على طريقة القرآن، نقف على بعض عباراتهم الدالة على ذلك:

قال الإمام الإيجي: "فالطريق التي نصبها الشرع للجميع مفضية إلى معرفة وجود الله تعالى بالنظر، ولقد اتفق المسلمون جميعاً على أن النظر في معرفة الله تعالى واجب"[(1000)].

ويقول التفتازاني: "إذ لا خلاف بين أهل الإسلام في وجوب النظر في معرفة الله تعالى؛ لكونه مقدمة مقدورة للمعرفة الواجبة مطلقاً"[(1001)].

ويقول الشهرستاني: "قالوا - المتكلمين- الطريق الموصل لمعرفة الله ليس إلا وجود الحادثات، لضرورة افتقارها إلى مرجح ينتهي الأمر عنده، وهي لا تدل على أكثر من واحد"[(1002)].

وتقول د.رابحة -الدراسة المتخصصة في فكر القاضي عبد الجبار-: "الدلالات عند القاضي أربع: الأولى هي صحة العقل، والثانية: هي الكتاب، والثالثة، السنة، والرابعة: هي الإجماع.

ولكنه أوضح أن معرفة الله تعالى لا تنال إلا بحجة العقل، وما عداها فهو فرع عليها، فالمستدل بشيء منها كالمستدل بفرع الشيء على أصله[(1003)].

تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، صـ111، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة 1400هـ-1980م.

(999) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة صـ 47، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، 1399هـ-1979م.

(1000) المواقف (28/1).

(1001) شرح المقاصد (290/1).

(1002) نهاية الإقدام في علم الكلام للإمام عبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه الفرد جيوم، صـ151، مكتبة المتنبي، القاهرة.

ويقوم رأي القاضي عبد الجبار على أساس الرفض التام لاعتماد أي طريق، أو مبدأ في معرفة الله تعالى غير التفكر والنظر، إذ يعتبر النظر هو الطريق الوحيد لمعرفة الله تعالى؛ لذلك رفض كل ما عداها من الطرق، كالضرورة أو المشاهدة، والطرق الاتباعية كالتقليد والنقل، وساق القاضي لإثبات نظريته الحاصرة جملة من الحجج الكلامية والمقدمات والنتائج المنطقية ورد على مخالفيه**(١٠٠٤)**.

وكما ذهب المتكلمون من المعتزلة إلى هذا ذهب كذلك متكلموا الشيعة الإمامية إلى مثله:**قال الخنيزي الإمامي في سياق بيانه لأصول العقائد وطريق إثباتها عندهم:**

" **وأصول العقائد أقسام ثلاثة:**

قسم لا يثبت إلاّ بالدليل العقلي، كوجود الصانع، وتوحيده... وإثباته بالنقل يستلزم الدور الصريح، وما وجد من أدلة على وجود الصانع، ووحدانيته وعدالته ووجوب بعث الرسل، فهو تعليم وإرشاد"**(١٠٠٥)**.

ويقول الحلي(١٠٠٦): " الحق أن وجوب معرفة الله تعالى مستفاد من العقل، وإن كان السمع قد دل عليه بقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾(١٠٠٧)"**(١٠٠٨)**.

(١٠٠٣) مشكلة الذات الإلهية عند القاضي عبد الجبار، صـ١٢٣، د. رابحة نعمان توفيق عبد اللطيف، جامعة الكويت، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م. بتصرف يسير. وانظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل، (٥١٣/١٢)، الدار المصرية للتأليف والنشر.

(١٠٠٤) انظر مشكلة الذات الإلهية عند القاضي عبد الجبار، صـ١١٥، شرح الأصول الخمسة صـ ٥٦-٦٠.

(١٠٠٥) الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية صـ ١٧، بتصرف واختصار، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

(١٠٠٦) الحلي هو: الحسين بن يوسف مطهر الحلي، عالم الشيعة وإمامهم، كان آية في الذكاء، ولازم النصير الطوسي، واشتغل في العلوم العقلية، من مؤلفاته: "الكرامة في الإمامة" و"نهج الحق وكشف الصدق" وغيرها في الفقه الإمامي. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر، (٢٠٨/١)، ولسان الميزان (٣١٧/٢).

(١٠٠٧) سورة محمد من الآية:١٩.

(١٠٠٨) نهج الحق وكشف الصدق للحلي، صـ٥١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

ويقول القزويني: "أجمع العقلاء كافة على أن معرفة ا تعالى واجبة بالعقل لا بالنقل، ودلالة السمع عليه بقوله تعالى: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [(١٠٠٩)]، ومؤكدة لدلائل العقول... **وقد أخطأ من يزعم** أن معرفة ا تعالى واجبة بالنقل لا بالعقل وذلك لاستلزامه الدور الباطل"[(١٠١٠)].

ومن المناسب هنا أن نعرج على الدليل العقلي على وجود ا على طريقة المتكلمين وعلى الدليل الشرعي والعقلي على وجود ا على طريقة السلف عقب ذلك.

الدليل على وجود ا على طريقة المتكلمين:

أوجب المتكلمون على كل مكلف الوصول إلى معرفة ا تعالى، ومعرفة وجوده ووحدانيته، عن طريق النظر والاستدلال، المؤدي إلى الإيمان، لقوله تعالى: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [(١٠١١)]، ولأن هذا السبيل هو الذي سلكه الأنبياء والرسل للوصول إلى ا تعالى، وخاصموا بهذا السبيل ـ العقل ـ كل منكر وجاحد أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [(١٠١٢)].

وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا

(١٠٠٩) سورة محمد من الآية:١٩.

(١٠١٠) أصول المعارف لمحمد الموسوي القزويني صـ٨، بيروت الطبعة الأولى.

(١٠١١) سورة محمد من الآية:١٩.

(١٠١٢) سورة البقرة الآية: ٢٥٨.

أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠١٣).

فكان اليقين والإيمان طريقه النظر، وكان جدال إبراهيم لقومه بالحجة العقلية، وبها وصل إلى البراءة من شركهم مع ا ما لا ينفع ولا يضر ولا يثبت على حال بل هو متغير متقلب ينتهي إلى الزوال والحدوث والتبدل والانتقال.

وليس في هذه المسألة خلاف لا في الدليل الذي استدلوا به، ولا في المدلول الذي وصلوا إليه، ولا في وجه الاستدلال، إذا يسلم لهم بهذا كله وإنما يقع النزاع والخلاف معهم في أمور منها:

الأول: جعل هنا النظر والاستدلال على طريقة عقلية جدلية تبدأ بالمقدمات وتنتهي بالنتائج، بصيغ كلامية فيها من التعقيد ما لا يدركه كثير من العامة وبعض الخاصة من العلماء وطلبة العلم، وتكليف الأمة بما لم يكلفها ربها سبحانه واعتبار المغالين -في الاتجاه العقلي والاعتداد به- أن النقل فرع عن العقل؛ لأنه الأساس.

قال ابن رشد: "إن مشكلة البرهنة على وجود ا لأكثر يسراً من أن ينتحل المتكلمين(١٠١٤) لحلها طريقة الجوهر الفرد، ولو رجع هؤلاء إلى المصدر الأول لديهم – أي القرآن- لوجدوا في أدلته غناء، ولرحموا عقول العامة، ولما كلفوهم ما لا يطيقون"**(١٠١٥).**

قال الإمام محمد جمال الدين القاسمي(١٠١٦): "لهذا كانت العقيدة الإسلامية غنية كل الغنى بالمنهج الصحيح عن أساليب البشر ووسائلهم في إثبات الحقائق الاعتقادية، فتلك طريقة الفلاسفة في البحث عن القضايا طريقة عقلية بحتة، تخضع العينات لقياس

(١٠١٣) سورة الأنعام الآيات: (٧٥ – ٧٩).

(١٠١٤)هكذا وردت والصواب " المتكلمون" .

(١٠١٥) مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد الحفيد، تقديم وتحقيق: د/ محمود قاسم، ص ـ١٥، مكتبة الإنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م.

(١٠١٦) القاسمي هو: محمد جمال الدين بن قاسم الحلاق، إمام الشام في عصره، سلفي العقيدة، من مصنفاته دلائل التوحيد، والفتوى في الإسلام، وموعظة المؤمنين، ولد في دمشق سنة ١٢٨٣هـ، وتوفي بها سنة ١٣٣٢هـ، انظر: الأعلام للزركلي (١٣٥/٢).

المحسوسات، ولهذا جاءت أبحاثهم متناقضة، متنافرة متناكرة، لا يقر لها قرار، وتلك طريقة المتكلمين في البحث عن قضايا العقيدة، ومسائل الاعتقاد، وهي أيضاً تأثرت كثيراً بالفلسفة وقياساتها، فجاءت مسائلهم الكلامية مختلفة ومتباينة، فكل مذهب كلامي له تصوراته و توهماته ما ليس للمذهب الآخر، وهكذا إلى أن شحنوا كتب علم الكلام بالأقاويل التي يحار لها العاقل البصير في فهمها، فكيف الحال بغيرهم إذا وقفوا أمام متاهاتها"[١٠١٧].

الثاني: حصرهم للأدلة في النظر فقط.

حصر المتكلمون الأدلة على وجود ا في النظر والبرهان الكلامي الذي يبدأ فيه المتكلم من أقوال الخصوم كمقدمات اتفق عليها الطرفان، ثم يبرهن على تناقضها وتضمنها للوزام باطلة وهي النتائج، فيصل بفساد النتيجة إلى فساد المقدمات، وتسمى عندهم طريقة التمانع[١٠١٨].

والثالث: حصرهم أدلة النظر في دليلين عقليين:

الدليل الأول: دليل الأعراض وحدوث الأجسام ويتلخص فـي أن الأجسـام تنقسم إلى جواهر وأعراض، فالجواهر ما قامت بنفسها والأعراض لا تقوم بنفسها بل بالجواهر، وهذه الأعراض متغيرة متحولة، ومن ثـم فهـي حادثـة، وهـذه الأعراض ملازمة للجواهر، وما لازمه الحادث لابـد أن يكـون حادثـاً مثلـه، والأجسام تتألف من الجواهر والأعراض وهما حادثان، فالأجسام حادثـة، وكـل حادث لابد له من محدث يحدثه، وهذا المحدث هو ا تعـالى لاسـتحالة وجـود حادث بلا محدث[١٠١٩].

(١٠١٧) دلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي، تعليق خالد عبد الرحمن العك، دار النفـائس، بيـروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩١م.

(١٠١٨) انظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، د. محمد علي أبـو ريـان، صـ ـ١٣٢، دار الجامعـات المصرية، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.

(١٠١٩) انظر: شرح المقاصد في علم الكلام لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد ا التفتا زانـي (٣٢٧/١)، دار المعارف النعمانية – باكستان الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل لمحمد بن الطيب الباقلاني (٤١/١).

الدليل الثاني: دليل الإمكان والوجوب

ويتلخص في تقسيم الموجودات إلى ما هو ممكن الوجود، وواجب الوجود لذاته، والممكن يفتقر إلى غيره في الإيجاد؛ والواجب يفتقر إليه غيره في الإيجاد، وليس في الوجود سوى ا المستحق لوصف واجب الوجود لذاته لأنه كان ولم يكن قبله شيء، ووجوده الذاتي غير مسبوق بالعدم، وما سوى ا وهو العالم كان بعد أن لم يكن، ووجوده الحادث بعد عدمه يدل على أن هناك من رجح وجوده الكائن بعد أن لم يكن، ولا مرجح لوجوده إلا ا [١٠٢٠].

ثالثاً: طريقة السلف في إثبات وجود الله تعالى (النقل)

ويرى السلف ومن نهج نهجهم من الخلف، أن القرآن اشتمل على مخاطبة الفطرة، ومخاطبة الحس بالدعوة المتكررة إلى التفكر والنظر، والدعاء عند الشعور بالحاجة والخطر؛ والاستجابة العاجلة منه سبحانه للمضطرين من عباده الداعين، وكذلك تضمن القرآن الكريم مخاطبة العقل؛ لإثبات قضايا الإيمان، وعبر العلماء عنها بأدلة الإيمان الفطرية، والحسية، والعقلية، وكلها ضمن الأدلة الشرعية لتقرير كبرى الحقائق الإيمانية، حقيقة وجود ا وتوحيده سبحانه وتعالى.

والمقصود بطريق الفطرة في الاستدلال على وجود ا تعالى، أن كل مخلوق قد فُطر على الإيمان بخالق، من غير سبق تفكير أو تعليم. ولا يصرف عن مقتضى هذا الشعور الفطري العميق المتأصل في النفس البشرية إلا ما يطرأ عليها من اجتيال شيطاني، أو صارف شهواني، دافعه الكبر وبطر الحق، والجحود بالمعبود مكابرة وإعراضاً.

(١٠٢٠) انظر: غاية المرام في علم الكلام، لعلي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي (٢٢/١)، الإشارات والتنبيهات، لأبي علي بن سينا تحقيق: د. سليمان دنيا (٢٣٥/١)، دار المعارف، القاهرة الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م. الملل والنحل (١٧٢/١، تلبيس إبليس، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: د. السيد الجميلي، ص ٦٠، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

مصداق ذلك في قوله صلى ا   عليه وسلم فيما يرويه عـن ربـه: (خلقـت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم مـا أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)[١٠٢١].

(١٠٢١) رواه مسلم في صحيحه، من حديث عياض بن حمار المجاشعي، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلهـا، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (٢١٩٧/٤)، حديث رقم٢٨٦٥.

وقوله صلى ا عليه وسلم: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[١٠٢٢].

ويقول تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٠٢٣].

هذه هي الفطرة: إحساس قهري يجده الإنسان في أعماق نفسه، لا يستطيع أن يتجاهله، ولا يحتاج إلى أدلة وبراهين لالتماسه في نفسه، وقد لا يستطيع الإفصاح عنه بالأحرف المجردة والكلمات المنطوقة.

وهذا الشعور الفطري من أقوى الأدلة الصادقة على وجود ا تعالى إن لم يكن أقواها.

"وإن كثيراً من علومنا ومعارفنا ليس لها من دليل في أنفسنا غير شعورنا الفطري بها، ومهما تقدمت العلوم والمكتشفات فإنها لا تزيدنا شيئاً غير ما توصلنا إليه بفطرتنا.

إن الأم لتشعر بعاطفة الأمومة، دون أن تتطلب البرهان على وجودها، وسواء أعلمت أن السر في ذلك حفظ الطفل بالرعاية والتربية حتى يصبح قادراً على الاستقلال بنفسه أم لم تعلم.

وإننا نحس بالجوع فنأكل، سواء علمنا: أن الأكل وسيلة من وسائل حياتنا أم لم نعلم، ونحس بالبرد فنتخذ الوقاية منه، سواء أعرفنا أن البرد عامل من عوامل الهدم في بناء جسدنا أم لم نعرف.

(١٠٢٢) رواه البخاري في صحيحه، من حديث أبي هريرة، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام(٤٥٦/١) حديث رقم ١٢٧٠، ورواه مسلم في صحيحه، من حديث أبي هريرة، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٠٤٧/٤) حديث رقم٢٦٥٨.

(١٠٢٣) سورة الروم الآية: ٣٠.

وإننا نشعر بوجود روح فينا فندافع عنها، ونحرص علـى بقائهـا، دون أن نحس بها بإحدى حواسنا الظاهرة، وقد لا يستطيع الكثيـر مـن النـاس أن يقـيم البرهان على وجودها، وعلى الرغم من ذلك فهو يشعر بها، ونعتقد بوجودها ثـم ألسنا نشعر في قرارة نفوسنا بالعواطف والوجدانيات، كالحب والبغض والرغبـة والكراهية ؟!.

فما الدليل على وجودها فينا وهي متغلغلة في داخلنا ؟

هل نستطيع أن نقيم عليها دليلاً أكثر من أننا نشعر بها، وهي حق لا شك فيه؟!

إن إحساس الإنسان بوجود الخالق، وتلهفه دائماً لمعونته وإمداده، وشـعوره بحاجة هذا الكون الكبير إلى قدرته وعلمه وحكمته، هو إحساس فطـري صـادق وهو من أكبر الأدلة على وجوده سبحانه" (١٠٢٤).

والدليل الفطري محل تسليم جميع الفرق الإسلامية، بمختلف مدارسها ولـم ينازع فيه أحد من المسلمين.

وغياب الفطرة أحياناً، واختفاء ندائها في ساعات الغفلة واللهو والرخـاء لا يعني ذهابها بالكلية، لأنها أصيلة في النفس البشرية، سرعان ما تبدو وتظهر عند الشدائد والمخاطر التي تُحدق بالإنسان أحياناً؛ فيطبق عليه اليأس من كل شيء خلا ا تعالى، لإحساسه بعجز جميع الكائنات وافتقاره في هذه اللحظات لربه عز وجل القادر على كل شيء القاهر فوق عباده، وهنا يسمع الإنسان صوت الفطرة ينبعث من نفسه ويلازم أنفاسه اللاهثة وراء بصيص أمل بالنجاة.

قال تعالى: هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٠٢٥)

(١٠٢٤) العقيدة الإسلامية أركانها – حقائقها – مفسداتها صـ ١٢٧، ١٢٨.

(١٠٢٥) سورة يونس الآية:٢٢.

قال الإمام الرازي: "إن الإنسان إذا وقع في محنة شديدة، وبلية قوية، لا يبقى في ظنه رجاء المعونة من أحد؛ فكأنه بأصل خلقته، ومقتضى جبلته، يتضرع إلى من يخلصه منها ويخرجه عن علائقها وحبائلها، وما ذاك إلاّ شهادة الفطرة بالافتقار إلى الصانع المدبر"[١٠٢٦].

والمشرك منحرف في فطرته ومع ذلك الانحراف الطارئ على أصل الفطرة إلاّ أن رياح العواصف عند هبوبها، تجعله بالإلجاء والاضطرار يعود إلى أصل فطرته السليمة، في موضع يوقن فيه بالهلاك؛ فيتضرع إلى الواحد الديان سبحانه، وينسى ما سواه ممن أشركهم معه، فهذا هو حال المشرك إذا أصابه البلاء الذي لا يقدر أحد على دفعه، والشدة التي لا يقدر أحد على رفعها، والغمة التي لا كاشف لها من دون ا ، فيقبل على مولاه موحداً له في الالتجاء والدعاء.

قال تعالى: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً [١٠٢٧].

قال الألوسي: عند تفسير هذه الآية: "من اللطائف أن بعض الناس قال لبعض الأئمة، أثبت لي وجود ا تعالى ولا تذكر لي الجوهر والعرض[١٠٢٨] فقال له:

هل ركبت البحر؟ قال: نعم، قال فهل عصفت الريح؟ قال: نعم. قال: فهل أشرفت بك السفينة على الغرق؟ قال: نعم. قال: فهل يئست من نفع من في السفينة

(١٠٢٦) التفسير الكبير(٧٣/١٩).

(١٠٢٧) سورة الإسراء الآية:٦٧.

(١٠٢٨) الجوهر والعرض من اصطلاحات المتكلمين في علم الكلام **والمقصود بالجوهر عندهم**: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهو مختصر في خمسة:هيولي، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل.

وينقسم الجوهر إلى: بسيط روحاني: كالعقول والنفوس المجردة، و إلى بسيط جسماني: كالعناصر، و إلى مركب في العقل دون الخارج: كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والفصل، و إلى مركب منهما: كالمولدات الثلاث. التعريفات للجرجاني(١٠٨،١٠٩/١).

والمقصود بالعرض عندهم:الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به، والأعراض على نوعين:

قار الذات: وهو الذي يجتمع أجزاؤه في الوجود كالبياض والسواد، وغير قار الذات: وهو الذي لا يجتمع أجزاؤه في الوجود كالحركة والسكون. التعريفات للجرجاني(١٩٢/١).

ونحوهم من المخلوقين لك، وإنجائهم مما أنت فيه إياك[1029]؟ قال: نعم قال ذلـك هو ا عز وجل. فاستحسن ذلك"[1030].

وإذا قيل: الدلالة على وجود ا شرعية، فالمقصود به ما أنزل من وحي ا على رسل ا إلى أهل الأرض وأممها؛ لهدايتهم وإرشادهم، ومخاطبتهم بما تعقله ألبابهم، وتنشرح به صدورهم، وتتبدد به شبهاتهم، وتنوعت أدلة الشرع في إثبات وجود ا ؛ بتنوع الناس واختلاف مستوياتهم، وتباين قدراتهم، ولم يغفـل الرسـل والأنبياء العقل، ولا الفطرة، ولا الحس، وما من نبي من الأنبياء إلا وقد أيـده ا بآيات بينات واضحات، تقوم بمثلهن الحجة البالغة تعالى على خلقه، وما إيمان أمم الأرض برسلها وحفظها لموروث الكتاب المنزل، والتعاليم الإلهية التي ذهـب منها ما ذهب وبقي منها ما بقي إلا دليل على وجود ا تعالى الذي بعث هـؤلاء الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب والميزان بالقسط، وأيدهم بـالحجج القاطعة والبراهين الساطعة، والمعجزات الباهرة التي قهرت جحـود المنكـرين، وظهرت ظهور الشمس في رابعة النهار، وكانت سبب تحولٍ في سلوك المعـادين للرسل المتحدين لهم المحاربين لأتباعهم، فنقلتهم بينات الرسالة من كفار متحـدين إلى أتباع موحدين.

وباستعراض شيء مما جرى بين رسل ا وأقوامهم، نقف على براهين التوحيد تعالى وإثبات وجوده، والتعريف به على طريقة الرسل والأنبياء من خلال قصتي أبينا إبراهيم مع قومه، وموسى عليه السلام مع فرعون.

قال تعالى في قصة إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا

(١٠٢٩) هكذا وردت في الأصل ولعل الأقرب (وإنجائهم إياك مما أنت فيه).

(١٠٣٠) روح المعاني (١١٥/١٥).

مُدْبِرِينَفَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَقَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُقَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْأُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَقَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَقُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَوَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (١٠٣١).

وقال تعالى في قصة موسى مع فرعون: ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَوَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَحَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائيلَقَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَفَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌوَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌيُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَيَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍوَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَقَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَقَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَقَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَفَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَفَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَوَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٠٣٢).

هكذا نجد القرآن الكريم يخاطب العقل السليم، والفطرة البشرية السوية، خطاباً مباشراً، واضحاً سهلاً، خالٍ من التعقيدات الكلامية، والمقدمات والنتائج

(1) سورة الأنبياء الآيات: (٥١ - ٧٠).

(٢) سورة الأعراف الآيات: (١٠٣ – ١٢٠).

الجدلية، ليحسم الأمر مع الفطرة إن هي بقيت على صفائها ونقائها، ولم تكدرها شوائب الإعراض كبراً وجحوداً.

فإن لم تستجب الفطرة لنداء القرآن، وتذعن لخطاب الإيمان، خاطب القرآن في الإنسان عقله بقوة إقناع دامغة، وحجج للريبة قاطعة، وللشك مانعة، ولأنوار الهدى مشرقة ساطعة، تستنير بها العقول، وتهتدي بها النفوس.

كل ذلك في القرآن بعبارات الجزالة والإيجاز بعيداً عن الإطالة والإلغاز، فما علي المرء إلا أن ينظر ويتأمل ويتدبر في طريقة القرآن وأسلوبه البديع ليستفيد منه في تثبيت إيمانه وتقوية إيمان الأمة، وإقناع المعاندين الجاحدين وإقامة الحجة البالغة عليهم.

قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٠٣٣).

في هذه الآية بيان من ا أنه قد تكفل سبحانه بإقامة الحجة الكاملة التامة على خلقه، البالغة إليهم دون لبس أو غموض أو تعقيد، المفهمة لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد، المفحمة لمن تأبى واستكبر وأعرض عن الحق وأدبر.

وسمى ا تعالى أدلة إثبات وجوده ووحدانيته وتوحيده بالبينات من البيان والوضوح، وسماها بالحجة البالغة لما فيها من الدليل والبرهان القاطع للجدل والخصومة، ووصفها بالبالغة لبيان أنها قد بلغت مراد ا تعالى في ثبوتها على الخلق فيما جعلت حجة فيه، وسيقت لأجله وبها انقطعت أعذار من بلغتهم هذه الحجة.

قال الشوكاني: "ثم أمره ا سبحانه بأن يخبرهم أن الحجة البالغة على الناس: أي التي تنقطع عندها معاذيرهم، وتبطل شبههم وظنونهم وتوهماتهم، والمراد بها الكتب المنزلة، والرسل المرسلة، وما جاءوا به من المعجزات"(١٠٣٤).

فالكتب المنزلة والرسل المرسلة المؤيدة بالوحي المعجز، والخوارق الخارجة عن العادة فيها أكبر دلائل الوحدانية وإثبات وجوده سبحانه وتعالى.

(١٠٣٣) سورة الأنعام الآية:١٤٩.

(١٠٣٤) فتح القدير(٢/٢٥٦).

ويمكن الاستدلال على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: تواترت الأمم والشعوب على الإقرار بالديانات والرسالات السماوية، في غابر الأزمنة وأقاصي الأمكنة، مصداقاً لقول ا تعالى: وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ (١٠٣٥).

وأخذت أمم الأرض تعمل بتشريعات وأحكام تتفق وتفترق مصداقاً لقوله تعالى: لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً (١٠٣٦).

الوجه الثاني: مجيء هؤلاء الرسل لم يكن بالأمر الاعتباطي العبثي؛ بل كان لمهمة يؤدونها، أرادها ا عز وجل منهم، وهي تبليغ رسالته، ويتفق العقلاء أن وجود الرسول المبلغ دليل على وجود من أرسله، فكيف إذا تعددت الرسل واتفقت مضمون رسالتهم، وجميعهم يحكي عمن أرسله رسالة واحدة في أصلها ثابتة في مضمونها، لا تختلف باختلاف شعوب الأرض المبثوثة على أرجاء البسيطة، رسالة الوحدانية تعالى ووجوب الإيمان به وإفراده بالعبادة وحده دون سواه قال تعالى: أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٠٣٧).

وقال تعالى: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ (١٠٣٨).

الوجه الثالث: إن وجود الشرك في الأرض ومجيء الرسل بالتوحيد، يدل دلالة قاطعة على أن البشرية عاجزة عن تفسير وجودها بعيداً عن إله معبود ولو

(١٠٣٥) سورة فاطر من الآية: ٢٤.

(١٠٣٦) سورة المائدة من الآية:٤٨.

(١٠٣٧) سورة البقرة الآية:١٣٣.

(١٠٣٨) سورة النحل من الآية:٣٦.

كان وثناً من حجر أو شجر أو عجوة أو نحو ذلك، فكان إرسال ا عز وجل للرسل للقيام بتصحيح مسار العبودية الذي انحرف من التوحيد إلى الشرك.

وكانت وحدة الرسالة دليلاً عن وحدة المرسل سبحانه وتعالى، فتعاقب الرسل والأنبياء الذين بلغوا مائة ألف ونيف، كما في حديث أبي ذر[(١٠٣٩)] -رضي ا عنه- عن النبي صلى ا عليه وسلم أنه قال: (قلت كم وفى عدة الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، والرسل؟ قال: ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً)[(١٠٤٠)].

ومجيئهم في فترات مختلفة متراخية ومتعاقبة، وفي بقاع متدانية ومتباعدة وجميعهم يحمل لأمته رسالة ربه الواحد سبحانه، في هذا دليل بين على وجود ا تعالى ووحدانيته سبحانه.

الوجه الرابع: تأييد هؤلاء الرسل من ا عز وجل بالمعجزات الباهرات، والبينات الظاهرات، ونصرهم على أعدائهم رغم ضعفهم وقلة أتباعهم، وجعل العاقبة لهم غلبة منه سبحانه لسلطان الجبابرة، وقهراً منه لسطوتهم، إن في ذلك من البيان الواضح ما يجعل العقول تذعن لمن أرسلهم وبالحجة والبرهان المعجز أيدهم، وبالقوة والغلبة والجبروت له سبحانه قهر عدوهم وعليه أظهرهم قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾[(١٠٤١)].

(١٠٣٩) أبو ذر هو: أبو ذر الغفاري، مختلف في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن، الزاهد المشهور، الصادق اللهجة وكان من السابقين إلى الإسلام كان إسلامه بعد أربعة، وانصرف إلى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم رسول ا المدينة، كانت وفاته بالربذة سنة ٣١هـ وقيل: في التي بعدها وعليها الأكثر، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، (١٢٥/٧).

(١٠٤٠) الحديث أخرجه أحمد في مسنده من حديث أبي ذر (٢٦٥/٥) حديث رقم ٢٢٣٤٢، وأخرجه الحاكم في المستدرك، من حديث أبي ذر كذلك وفيه أن عدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر (٦٥٢/٢) حديث رقم ٤١٦٦، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٢٦/٣) حديث رقم ٥٧٣٧.

(١٠٤١) سورة الأعراف الآية: ١٠١.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(١٠٤٢).

لقد كان تأييد الله لرسله بالمعجزات من أقوى براهين الإيمان وأدلة القرآن على وجود الواحد الديان، وذلك أن رسل الله تعالى بعد مجيئهم بما يناقض موروث أممهم الشركي الطارئ على التوحيد، بدأت المجابهة والمواجهة بينهم وبين أقوامهم، الذين سلّطوا قوتهم لإطفاء نور الحق وإيذاء حملته، وتسلطوا بما لديهم من وسائل البطش والنفوذ والتأثير على الأنبياء والرسل وأتباعهم؛ لإسكات صوت الحق وداعي الإيمان الذي لا يملك قوة مادية، ولا سنداً بشرياً في الغالب؛ لأن أتباع الرسل عادةً هم من الضعفاء البسطاء المغلوبين على أمرهم قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾(١٠٤٣).

فيزداد عنفوان الملا المتنفذ بالكفر والشرك المدجج بوسائل البطش والفتك، إلى درجة الإيقاع بهؤلاء الرسل وأتباعهم كيداً وطرداً، إبعاداً وقتلاً وفي الساعة الحرجة ومع ظهور العجز البشري الكامل يأتي النصر الإلهي وتتدخل العناية الربانية قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾(١٠٤٤).

وقال تعالى في قصة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(١٠٤٥).

(١٠٤٢) سورة الحديد من الآية: ٢٥.

(١٠٤٣) سورة هود الآية:٢٧.

(١٠٤٤) سورة إبراهيم الآية:١٣.

(١٠٤٥) سورة العنكبوت الآية:٢٤.

وكان مرادهم بهذا ليس التنكيل به فحسب بل الانتصار لما توهموه إلهاً من دون ا : ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (١٠٤٦).

فهل انتصروا أم غُلبوا وانكسروا ؟!!

قال تعالى عقب الآية الأولى مباشرة: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٤٧).

ومع كل ما يلقاه الرسل والأنبياء إلا أن ا عز وجل ثبتهم بالصبر على الأذى في ذات ا عز وجل، والثبات على الإيمان، والتوكل عليه سبحانه، والثقة بوعده ونصره قال تعالى على لسان رسله: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (١٠٤٨).

وقال تعالى في شأن خاتم المرسلين ﷺ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (١٠٤٩).

وكان مكر ا بهم مقابل مكرهم برسوله ﷺ وعاقبة الأمر له سبحانه ولأوليائه نصراً وعلى أعدائه خزياً وقهراً قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١٠٥٠).

(١٠٤٦) سورة الأنبياء الآية:٦٨.

(١٠٤٧) سورة الأنبياء الآيات: (٦٩-٧١).

(١٠٤٨) سورة إبراهيم الآية:١٢.

(١٠٤٩) سورة الأنفال الآية:٣٠.

(١٠٥٠) سورة التوبة الآية:٤٠.

رابعاً: التوفيق بين الطريقتين(طريقة السلف وطريقة المتكلمين)

في إثبات وجود الباري سبحانه اتجاهان رئيسان، وطريقتان أساسيتان:

الأولى: طريقة السلف (النقل).

الثانية: طريقة الفلسفة وعلم الكلام (العقل).

ويتمثل الاتجاه النقلي بمناهج علماء السلف ومن تبعهم وارتضى طريقتهم.

كما يتمثل الاتجاه العقلي بمناهج الفلاسفة من المسلمين والمتكلمين منهم.

وهذا التقسيم الشائع أحدث إشكالية وخلافاً قد يكون في مؤداه وثمرته لفظيـاً وقد يكون معنوياً، ولا يتضح إلا بالدراسة الفاحصة الشاملة المختلفـة الجوانـب، والمتناولة لآحاد المسائل للخروج بنتيجة مستقلة في كل مسألة.

وفيما يتعلق بإثبات وجود الله تعالى، هل هنالك تعارض بين المنهجين المشار إليهما في المطلبين السابقين؟

نجيب عن هذا التساؤل عقب هذا المثال:

لو أن رجلاً خال الذهن عن إله معبود يعتقد وجوده، فما هو السبيل لإقناعه أن يصدق بوجود إله خالق لهذا الكون يستحق العبادة وحده دون سواه؟

مما تتفق فيه الإجابة بين أصحاب الطريقتين العقلية و النقلية القول بأنه لابد قبل مخاطبته بآيات القرآن المتلوة المقروءة التي تقرر وجوب الإيمان بالله تعالى وتوحيده سبحانه؛ لا بد قبل ذلك من الإيمان والتصديق بأن هذا كلام الخالق وتلك تعاليمه وأوامره، وذلك لا بد أن يكون مسبوقاً بالتصديق بوجوده ثم التصديق برسالة من أرسله الله بهذا القرآن المنزل والآيات المتلوة، فلا بد إذاً من الوقوف أولاً على صدق الرسول المخبر عن الله لتصديقه فيما أخبر به، وهنا يأتي دور العقل في فهم وإدراك الآيات والأدلة والبراهين الدالة على وجود إله خلق ثم أرسل الرسل المبلغة، وأنزل الكتب الهادية إليه سبحانه وتعالى.

فأساس إثبات وجود ا تعالى عقلي جاء به النقل ودل عليه وأرشد إليه؛ لأنه لا يمكن فصل دليل العقل عن النقل؛ لما قد يتوهم من أن النقل مجرد عن البراهين العقلية، أو أن العقل يستغني بذاته عن هداية ا له بإرسال الرسل وإنزال الكتب. ويمكن القول بعبارة أخرى أن أدلة وجود ا عقلية وردت في النقل، وليس في هذه المسألة فيما يظهر لي من خلاف بين مدرسة المتكلمين أصحاب الاتجاه العقلي ومدرسة السلف أصحاب الاتجاه النقلي، ولا بد أن يعلم ضرورة أن كلا الاتجاهين يأخذ بالعقل والنقل، ولا يصح بحال أن ينسب إلى أحدهما تركه للعقل أو النقل مطلقاً في قواعد ومناهج الاستدلال؛ خاصة فيما يتعلق بإثبات وجود ا ووحدانيته.

يقول الكرمي(١٠٥١)**:** "والدليل النقلي ليس قسيماً - كما قد يظن - للدليلين العقلي والفطري، إنما هو مشتمل عليهما، فكل دليل نقلي هو في ذاته عقلي، وإنما سمي نقلياً باعتبار وروده في الشرع منقولاً إلينا، أو هو لافت إلى الفطرة المركوزة في أنفسنا، مثير لها.

في حين ليس كل دليل عقلي نقلياً، فضلاً عن أن يكون دليلاً صحيحاً أو على الأقل نافعاً"(١٠٥٢).

ولكم طال الجدل واحتدت الخصومة بين هاذين الاتجاهين العاملين للإسلام الساعيين للذب عنه، وإن اختلفت طرائقهم، وتنوعت أساليبهم إلا أن أحدهما لم يعذر الآخر فيما أخطأ فيه، بل تجد أن المتكلم ينبز الأثري السلفي بإهماله العقل وعدم إعماله، والأثري السلفي ينبز المتكلم بإهماله النقل وعدم العمل بالنص، وليس الأمر صحيحاً بهذا الإطلاق، بل لا بد من إنصاف كل للآخر، ولا بد من تقييد الكلام في مواضعه التي تجاوز فيها أحدهما العقل وجمد على ظاهر النص

(١٠٥١) مرعي الكرمي هو: مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي، المقدسي، الحنبلي، فقيه بارع في التاريخ والأدب، من كتبه: "أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات" و"غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى"، توفي سنة ١٠٣٣هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٢٠٣/٧).

(١٠٥٢) رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق ودراسة/ الوليد بن مسلم، صـ٣٢٩، مكتبة ابن عباس، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

المرجوح دلالة، وتجاوز فيها الآخر النص الظاهر الراجح في دلالته واشتط في استعمال العقل فيما لا مجال للعقل فيه.

يقول الأستاذ / د. حسن محمود الشافعي: "ويقرر أكثر المتكلمين من متقدمين ومتأخرين، وخاصة الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة، أن الدليل العقلي مقبول في مسائل العقيدة إلى جانب الدليل السمعي، وأن المعارف الكلامية تستمد من العقل والنقل جميعاً، وربما بالغ البعض منهم في الاعتماد على الدليل العقلي"**(١٠٥٣)**.

وجل علماء الأمة من المتأخرين**(١٠٥٤)**، اشتغلوا بعلم الكلام وسخروه للدفاع عن الإسلام رغم ذم السلف لهذا العلم؛ إلا أن الخلف اجتهدوا ورأوا ضرورة الخوض فيه لإزالة الشبهات التي انتقلت مع الفتوحات الإسلامية، والانفتاح الحضاري على الفرس والروم، وحركة الترجمة الواسعة التي أدخلت على المسلمين علوماً جديدة وكانت هذه العوامل من أهم الأسباب التي دفعت بالأعلام من المتأخرين للخوض في علم الكلام.

والعالم المتكلم هو الذي يتخذ القواعد الإيمانية أصولاً في منطلقاته الكلامية، ثم يبني عليها الأدلة العقلية، وقد ينضبط سيره، وقد يتعثر في خطاه، بحسب منهجه في السير وارتباطه بالنص وتمسكه بالوحي؛ فالبحوث الكلامية الإسلامية تختلف عن البحوث الكلامية الفلسفية المجردة عن الوحي.

يقول د. الشافعي: "البحوث الكلامية بدأت معتمدة على العقل والنقل معاً، وإن كانت نتائج الاستدلال العقلي لا تعتمد أفكاراً نهائية إلا إذا صادق عليها الشرع"**(١٠٥٥)**.

بهذا الضابط الذي أشار إليه الشافعي في عبارته يمكن القول بأن هذا يوفق ويؤلف ويضيق دوائر الاختلاف.

(١٠٥٣) المدخل إلى دراسة علم الكلام، صـ١٣٨، المطبعة الفنية، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

(١٠٥٤) بعد القرن الثاني الهجري.

(١٠٥٥) المدخل إلى دراسة علم الكلام صـ١٣٧.

وتفرع عن هذه المسألة القول في أول واجب على المكلف هل هو النظر أو معرفة ا ، ويكون مقصود من قال معرفة ا أي بالفطرة، **فقال ابن تيميـة** فـي بيان الخلاف في هذه المسألة: "ومما يبين أصل الكلام في هذا المقام، أنه قد تنازع الناس في أصل المعرفة با ، هل تحصل ضرورة في قلب العبد ؟ أو لا تحصـل إلا بالنظر، أو تحصل بهذا تارة وهذا تارة.

فذهب كثير من أهل الكلام من المعتزلة، والأشـعرية، ومـن وافقهـم مـن الطوائف من أصحاب أحمد، ومالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وغيرهم إلى أنهـا لا تحصل إلا بالنظر، وهؤلاء يقولون في أول واجب على العبد هـل هـو النظـر والاستدلال المؤدي إلى معرفة ا ، أو المعرفة، وقد تنازعوا في ذلك على قـولين ذكرهما هؤلاء الطوائف من أصحاب أحمد وغيرهم،**والنزاع لفظي** فـإن النظـر واجب وجوب الوسيلة، من باب ما لا يتم الواجب إلا به، والمعرفة واجبة وجوب المقاصد، فأول واجب وجوب الوسائل هو النظر، وأول واجب وجوب المقاصد هو المعرفة"[١٠٥٦].

(١٠٥٦) درء التعارض (٣٥٢/٧-٣٥٣).

الفرع الرابع

منهج القرآن في الاستدلال بالآيات الكونية لإثبات وجود الله

ولما كان هذا القرآن الكريم هو آخر كلمة ا إلى أهل الأرض، فقد جمع من الدلائل ما يكفي لإثبات وجود ا تعالى وتوحيده، ولما كان الإنسان متغير النظرة إذا ترك يفكر فكر بلا ضوابط وأخذته الحيرة، وتعتريه حالات الضعف والقصور، وحالات من التأثر بالموروث الذي قد يجري فيه مجرى الدم، لأجل ذلك "كان لابد للمنهج القرآني من أن يضع الأساس المتين للتفكير السليم الموجه إلى ما يهدي العقل البشري وينير سبيله، ويفجر طاقته"(١٠٥٧).

فإعمال العقل وعدم إهمال النظر والتأمل في الكون منهج قرآني، أما النظر والتأمل في المنطقيات الجدلية المتباينة المحتملة للنقض فهذا هو المذموم.

وقد "جاء الأسلوب القرآني بأقوى البراهين إقناعاً وأشدها رسوخاً في النفس مع مراعاة أحوال الناس زماناً ومكاناً، وإمكانات وقدرات عقلية وذهنية فعرض صحائف الكون كلها على الإنسان، ثم طالب العقول بقراءتها، وتأملها وتدبر ما فيها من آيات القدرة، بالاعتماد على القضايا الواضحة الجلية، المؤلفة من المقدمات البديهية الفطرية التي تعرض نفسها على عقول العامة، ولا يزداد الخاصة بإمعانهم فيها إلا تصديقاً وقوة إيمان، ثم يوجه المنهج القرآني النظر العقلي وجهة مستقيمة صالحة بما وضع له من القواعد والحدود، فيتجنب أسباب الانحراف، ونوازع الجموح، ثم إنه يحرك المشاعر ويستجيش في الإنسان ما كمن من عواطف الخير وبواعث الرغبة في الحق"(١٠٥٨).

(١٠٥٧) انظر: علاقة صفات ا بذاته، د. راجح عبد الحميد الكردي، صـ٢٨، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(١٠٥٨) مدخل نقدي لدراسة علم الكلام، د. محمد الأنور السنهوري، صـ٩٤-٩٦ بتصـرف، دار الثقافـة العربية، القاهرة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

ومن خلال آيات القرآن المسطورة[١٠٥٩]، المرشدة إلى آيات ا المنظورة في هذا الكون الفسيح، نجد القرآن يأخذ بزمام العقل والفطرة في جولات وجولات، يرتاد بها آفاق السماء، وجنبات الأرض، وأعماق البحار، يصعد بنا إلى النجوم في مداراتها وإلى الأفلاك في مساراتها، يفتح أبصارنا ويغذي بصائرنا، فيرينا قدرة ا الفاعلة في هذا الكون، ويكشف لنا أسرار وعجائب الخلق والتكوين[١٠٦٠] الدالة على وجود ا سبحانه ووحدانيته، وأكتفي هنا بالإشارة إلى جملة منها:

قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [١٠٦١].

وقوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [١٠٦٢].

(١٠٥٩) والتي قد تصل إلى تسعمائة آية أو كثر.

(١٠٦٠) انظر: العقيدة في ا لعمر سليمان الأشقر صـ٩٨، دار النفائس – الطبعة ١٤ – ١٤٢٢هـ - .

(١٠٦١) سورة الأنعام الآيات: (٩٥-٩٩).

(١٠٦٢) سورة النور الآيات: (٤٣-٤٥).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾ (١٠٦٣).

ولا يكتفي القرآن بأن يرينا قدرة الله الفاعلة في هذا الكون، الدالة عليه سبحانه بل يصل بنا إلى الغاية التي من أجلها خلق هذا الوجود قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (١٠٦٤).

وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ (١٠٦٥).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ

(١٠٦٣) سورة الفرقان الآيات: (٤٥-٤٩).

(١٠٦٤) سورة تبارك الآيات: (٢٣-٢٤).

(١٠٦٥) سورة الزخرف الآيات: (١٠-١٣).

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَوَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [١٠٦٦].

ودليل النظر والتأمل في الآيات الكونية المرئية محل اتفاق وتسليم بين أهل القبلة بمختلف طوائفهم وفرقهم، ولم ينازع في دلالته ولا في الاستدلال به أحد، وكان هذا الدليل هادياً للعلماء الأقدمين والمعاصرين إلى إعجاز القرآن الكريم فيما أخبر به من دقائق الخلق وعجائب الصنع والتركيب الإلهي البديع.

(١٠٦٦) سورة الزخرف الآيات: (١٠- ١٥).

المطلب الثاني

توحيد اللّه في الربوبية والألوهية

وفيه ثلاثة فروع :

الفرع الأول: توحيد الربوبية تعريفه وأدلة إثباته.

الفرع الثاني: توحيد الألوهية تعريفه وأدلة إثباته.

الفرع الثالث: موقف أهل القبلة من التوحيد بنوعيه.

الفرع الأول
توحيد الربوبية تعريفه وأدلة إثباته

أولاً: تعريف توحيد الربوبية لغة وشرعاً

١ ـ تعريفه باعتبار مفردية: (توحيد) (ربوبية)

التوحيد في اللغة: مصدر وحد، يوحد، وهو جعل الشيء واحداً [(١٠٦٧)].

وفي الاصطلاح: الإيمان بوجود ا وإفراده بالربوبية والألوهية والإيمان بجميع أسمائه وصفاته[(١٠٦٨)].

وإنما سمي بتوحيد الربوبية لإضافته إلى "الرب" سبحانه وتعالى: والرب هو اللّه عز وجل،وهو رب كل شيء أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك[(١٠٦٩)].

ولا يقال: الرب في غير اللّه إلاّ بالإضافة، وإذا أُطلق على غيره أُضيف فقيل رب كذا، ويقال الرب بالألف واللام لغيراللّه وقد قالوه في الجاهلية للملك.

ويطلق الرب في اللغة على ثلاث إطلاقات:

١- الرب المالك المتصرف بالشيء: ورب كل شيء مالكه ومستحقه وقيل: صاحبه، ويقال فلان رب هذا الشيء أي ملكه له وكل من ملك شيئاً فهو ربه يقال هو رب الدابة ورب الدار وفلان رب البيت وهن رباتُ الحجال ويقال: رب مشدد، ورب مخفف.

وفي حديث إجابة المؤذن: (اللهم رب هذه الدعوة) أي صاحبها.

(١٠٦٧) انظر: لسان العرب مادة (وحد)، صـ، والتعريفات صـ ٩٦.

(١٠٦٨) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، مطبعة الإمام، مصر، صـ١١، تسهيل العقيدة الإسلامية لـ أ.د عبد ا بن عبدالعزيز الجبرين، صـ ٣٥، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(١٠٦٩) انظر: لسان العرب مادة (ربب) (٣٩٩/١-٤٠١).

وفي حديث ضالة الإبل:(حتى يلْقاها ربها)[١٠٧٠] فإن البهائم غير متَعبدة ولا مخاطَبة فهي بمنزلة الأموال التي تَجوز إضافةُ مالكيها إليها وجعلُهم أرباباً لها.

٢- الرب السيد المطاع، ملك أو لم يملك، ومنه قولـه تعـالى: ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً﴾[١٠٧١]أي سيده، وقوله تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[١٠٧٢] فإنه خاطبهم على المتَعارف عندهم وعلى ما كانوا يسمونَهم به.

وفي حديث أشراط الساعة (وأن تَلد الأمةُ ربها أو ربتَها)[١٠٧٣]، وأراد به في هذا الحديث المولى أو السيد يعني أن الأمةَ تَلد لسيدها ولَداً فيكون كالمولى لها لأنه في الحسب كأبيه.

٣- الرب المصلحوالمدبر والمربي والقَيم،و رب الشيء إذا أصلَحه وقام على شؤونهورعاها ومنه: المطر يرب النباتَ والثرى وينَميه.

ورب ولده والصبي، يربه رباً وربببه تَرييباً وتَربةً، بمعنى: رباه وقام علـى مصلحته، ورباه تَربِيةً أحسن القيام عليه ووليه.

وفي الحديث: (هل لك عليه من نعمةٌ تَربها)[١٠٧٤] أي تَحفَظُهـا وتُراعيهـا وتُربيها كما يربي الرجلُ ولده.

والجمع أرباب وربوب، والربيب الملك، وربه يربه رباً ملَكه وطالَتْ مربتُهم الناس ورِبابتُهم أي مملَكتُهم.

(١٠٧٠) أخرجه البخاري في صحيحه، من حديث زيد بن خالد الجهني،كتاب اللقطة، باب إذا لم يجد صاحب اللقطة بعد سنة فهي لمن وجدها (٨٥٦/٢) حديث رقم٢٢٩٧، ورواه مسلم في صحيحه، من حديث زيد بـن خالد الجهني،كتاب اللقطة (١٣٤٦/٣) حديث رقم١٧٢٢.

(١٠٧١) سورة يوسف من الآية:٤١.

(١٠٧٢) سورة يوسف من الآية: ٤٢.

(١٠٧٣) أخرجه البخاري في صحيحه، من حديث أبي هريرة، بلفظ "ربها"، كتاب العتـق، بـاب أم الولـد، (٨٩٥/٢)، وأخرجه بهذا اللفظ أحمد في مسنده، من حديث أبي هريرة (٣٩٤/٢)، حديث رقم ٩١١٧.

(١٠٧٤) أخرجه مسلم في صحيحه، من حديث أبي هريرة، كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في ا (١٩٨٨/٤) حديث رقم ٢٥٦٧، وابنحبانفي صحيحه(٣٣١/٢) حديث رقم ٥٧٢.

وإنه لمربوب بين الربوبة أي: لمملوك.

والعباد مربوبون لله عز وجلأي مملوكون.

وربيتُ القوم سستُهم أي: كنت فوقهم، هو من الربوبية، والعرب تقـول: لأن يربني فلان أحب إلي من أن يربني فلان، يعني: أن يكون ربـاً فـوقي، وسـيداً يملكني[(١٠٧٥)].

٢ـ تعريفه باعتباره مركباً إضافياً: (**توحيد الربوبية**):

و" توحيد الربوبية: هو الإيمان بوجود ا ، واعتقاد تفرده في أفعاله.

ومنهم من عرفه بأنه: الاعتقاد بأن ا هو الخالق الرازق المدبر لكل شيء وحده لا شريك له" [(١٠٧٦)].

فتوحيد الربوبية يشتمل على الإيمان بوجود ا تعالى، والإقرار بأنه خالق كل شيء، ومالكه ورازقه، وأنه المحيي، المميت، النافع، الضار، المتفرد بإجابة الدعاء، الذي له الأمر كله.

وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، المقدر لجميع الأمور، المتصرف فيها، المدبر لها، ليس له في ذلك من شريك[(١٠٧٧)].

(١٠٧٥) انظر: لسان العرب مادة (ربب) (٣٩٩/١-٤٠١).

(١٠٧٦) انظر: تسهيل العقيدة الإسلامية صـ ٤١.

(١٠٧٧) انظر: شرح الطحاوية صـ٧٦، مـدارج السـالكين بينمنازلإياكنعبدوإياكنسـتعين لأبـي عبـد ا محمـ ـ ـ دبنأبيبكرأيوبالزرعي،تحقيق: محمدحامـ ـ ـ دالفقي، بـ ـ ـاب التوحيـ ـ ـ د (٢٨/١) ومـ ـ ـا بعدها،،دارالكتابالعربي،بيروت،الطبعةالثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، تيسير العزيز الحميد فـي شـرح كتـاب التوحيد، لسليمان بن عبدا بن محمد بن عبد الوهاب،تحقيق: محمد أيمن الشبراوي، صـ٢٦، عالم الكتـب، بيروت، الطبعةالأولى، ١٩٩٩م، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصـول، لحـافظ بـن أحمـد حكمي، (٩٩/١)، تسهيل العقيدة الإسلامية صـ٤١.

ثانياً: الأدلة على توحيد الربوبية (وإثبات الوحدانية لله تعالى)

١ـ الأدلة على توحيد الربوبية على طريقة السلف

تكاثرت الأدلة في القرآن والسنة لإثبات الربوبية له سبحانه وتعـالى، فكـل نص ورد فيه اسم "الرب" أو ذكر فيه صفة من صفات الربوبية التي يختص بهـا سبحانه كالخلق والرزق، والملك والتقدير، والتدبير وغيرها فهو دليل على الربوبية ، فهو سبحانه وتعالى الفاعل المطلق في هذا الكون، والمتصرف فيه نفعاً وضـرأ خلقاً ورزقاً، إيجاداً وعدماً، لا يشاركه في ذلك أحد.

وأدلة الربوبيةكثيرة في القرآن لا يتسع المقام لحصرها تفصيلاً، وعلى الإجمال يمكن القول: **إن من أدلة الربوبية** الإجمالية **دليل الملك والتصرف:**

فا تعالى مالك كل شيء ولا شريك له في ملكه، **ومن الآيات الدالة على ذلك:**

١. قوله سبحانه وتعالى: قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ [١٠٧٨].

قال ابن جرير الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى ا عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالآخرة من قومك: لمن ملك الأرض ومن فيها مـن الخلق إن كنتم تعلمون من مالكها، ثم أعلمه أنهم سيقرون بأنها ملكاً دون سائر الأشياء غيره"[١٠٧٩].

وقال القرطبـي: في تفسير قوله لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا : " يخبـر بربوبيتـه ووحدانيته وملكه الذي لا يزول وقدرته التي لا تحول"[١٠٨٠].

(١٠٧٨) سورة المؤمنون الآية: ٨٨.

(١٠٧٩) تفسير الطبري (٩/ ٢٣٨).

(١٠٨٠) تفسير القرطبي (١٢/١٣٠).

٢. و قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١٠٨١].

وملكوت وملكوتي في كلام العرب بمعنى ملك[١٠٨٢].

٣. و قوله تعالى:
﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٠٨٣].

ولا يقدر أحد على دفع ضر أراده ا أو منع نفع قضى به قال تعالى:
﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[١٠٨٤].

وقال تعالى:
﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[١٠٨٥]

ولإثبات ربوبيته المطلقة وعجز من سواه وافتقاره إلى مولاه قال تعالى:
﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ **[١٠٨٦].**

وقال تعالى:
﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾[١٠٨٧].

(١٠٨١) سورة يس الآية:٨٣.
(١٠٨٢) تفسير القرطبي (٥٦/١٥).
(١٠٨٣) سورة المائدة الآية: ١٧.
(١٠٨٤) سورة الفتح الآية:١١.
(١٠٨٥) سورة الرعد الآية:١٦.
(١٠٨٦) سورة يونس الآية:١٨.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة مـن دون ا ، الخالق لكل شيء المالك لأزمة الأمور، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ومع هذا عبدوا معه من الأصنام ما لا يقدر على خلق جناح بعوضـة؛ بـل هـم مخلوقون لا يملكون لأنفسـهم ضـراً ولا نفعـاً، فكيـف يملكـون لعابـديهم ؟ ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [1088]، أي ليس لهم من ذلك شيء بل ذلـك كلـه مرجعه إلى ا عز وجل الذي هو يحيي ويميت وهو الذي يعيـد الخلائـق يـوم القيامة أولهم وآخرهم ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [1089]" [1090].

وقال تعالى في بني إسرائيل وقد عبدوا العجل مع عجزه وعجـزهم علـى السواء: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [1091].

وقـــــــــــــــال تعـــــــــــــــــــــالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [1092].

قال ابن كثير:"يقول تعالى منكراً على من عبد غيره من الأصـنام والأنـداد والأوثان ومبيناً له أنها لا تستحق شيئاً من الإلهية، فقال تعالى: "قل" أي يا محمـد لهؤلاء العابدين غير ا من سائر فرق بني آدم ودخل في ذلك النصارى وغيرهم ﴿أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي لا يقدر على دفع ضـر عـنكم ولا إيصال نفع إليكم ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أي: السميع لأقوال عباده العليم بكل شـيء فلم عدلتم عنه إلى عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئا ولا يملك ضـراً ولا نفعاً لغيره ولا لنفسه ؟" [1093].

(١٠٨٧) سورة الفرقان الآية:٣.

(١٠٨٨) سورة الفرقانمنالآية: ٣.

(١٠٨٩) سورة لقمانمنالآية: ٢٨.

(١٠٩٠)تفسير ابن كثير:(٤١٢/٣).

(١٠٩١) سورة طـه الآية:٨٩.

(١٠٩٢) سورة المائد الآية:٧٦.

(١٠٩٣) تفسير ابن كثير (١١٣/٢).

ولتأكيد عظيم عجز المخلوقين وافتقارهم للخالق العظيم المالك المتصرف.

قال تعالى:

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٠٩٤)

وقال تعالى:

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (١٠٩٥)

ومن أدلة الربوبية الإجمالية دليل الخلق والتفرد به ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٠٩٦).

وقوله تعالى: أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (١٠٩٧).

وقوله تعالى:

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (١٠٩٨).

ومن أدلة الربوبية الإجمالية دليل الإحياء والإماتة ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩٩)

(١٠٩٤) سورة العنكبوت الآية: ١٧.

(١٠٩٥) سورة سبأ الآية: ٢٢.

(١٠٩٦) سورة لقمان الآية:١١.

(١٠٩٧) سورة الطور الآية:٣٦.

(١٠٩٨) سورة النمل الآية: ٦٠.

(١٠٩٩) سورة فصلت الآية: ٣٩.

وقوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١١٠٠)

هذه جملة من الأدلة القرآنية على سبيل الإجمال لا التفصيل، ومما استدل به السلف رضوان ا عليهم على ربوبية ا ، هذا الكون الواسع الفسيح وما فيه مـن دلائل الوحدانية والربوبية والألوهية، وما فيه من آيات الجمال والكمال والإعظام.

الكون يشهد بالربوبية ويُقر بالوحدانية:

جعل ا من أدلة ربوبيته آياته الكونية العظمى التي تدل بعظمتها على عظمة خالقها وموجدها وقد أمر ا العباد بالنظر والتفكر في آياته الظاهرة و الباطنة في العوالم السفلية والعلوية ليكون ذلك سبيلاً للاستدلال على ربوبيته تعالى فقال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (١١٠١)

إن هذا الكون الفسيح بصفحاته المتنوعة ليشهد بالوحدانية تعالى ويقر بها خاضعاً مذعناً، ومن أعمل نظره وأمعن فكره في نسق الكون الواحد، وجد وحدة في نظامه من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة، في كل نواحيه وكل جزء من أجزائه، دون خلل أو اضطراب أو فساد قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (١١٠٢)

وحدة نظام الكون تدل على وحدانية الخالق:

طف بعين البصر وأنوار البصيرة، مستعيناً با الهادي، فستجد كل جامد ومتحرك، كل نام وذو حياة، أخذ موقعه الصحيح ويعمل وفق الحكمة التي من أجلها خلق في ترابط وتكامل بديع مذهل تام، لا نقصان فيه، كلٌ يؤدي وظيفة مختلفة عن وظيفة غيره دون تعارض أو فساد في عمل أي جزء من الأجزاء، بل

(١١٠٠) سورة الطور الآية: ٣٦.

(١١٠١) سورة الذاريات الآيات: (٢٠-٢١).

(١١٠٢) سورة الملك الآية:٣.

هو مختص بنفسه، متكامل متوافق مع غيره، تنقطع الأعمار وتطوى الآجال ولا يتسع المجال لتفصيل وسرد ذلك النظام المحكم – وبدراسة الكون وظواهره التي فطر عليها تجده خاضعاً لقوانين واحدة سائدة في الأرض والسماء، وفق نظام شامل يسيير ويسيطر على كل ما في الوجود:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾(١١٠٣). وقال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾(١١٠٤).

وقال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(١١٠٥).

إن وحدة النظام الكوني ناطقة بوحدانية الخالق المهيمن المتصرف المدبر لهذا الكون الذي يسير وفق إرادة خالقه المتفرد بالوحدانية دون ند أو شريك، بل إن وجود شركاء له في ربوبيته مع استحالته شرعاً فهو مستحيل واقعاً وممتنع عقلاً، وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في الآيات التالية:

الآية الأولى: في الدلالة العقلية على استحالة وجود شريك له في الربوبيـة والوحدانيـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـة، **قولـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـه تعـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـالى:** ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(١١٠٦)

.

تقرر الآية بالاستفهام الإنكاري أن الآلهة التي عبدت من دون ا عاجزة عن الإحياء أو الإماتة، ثم تقرر برهاناً عقلياً لا يقبل النقض أو الكسر وهو: "أنـه لـو

(١١٠٣) سورة فصلت الآية:١١.

(١١٠٤) سورة الرحمن الآية:٥.

(١١٠٥) سورة يـس الآيات: (٣٧-٤٠).

(١١٠٦) سورة الأنبياء الآيات: (٢١-٢٢).

تعددت الآلهة الأرباب في الكون لفسد نظام السماوات والأرض، ولاختل تماسكها القائم على وحدة نظام، ووحدة تسيير، وهذا من الأمـور البدهيـة المشـاهدة لأن الإرادات الحرة إذا توجهت على مخلوق واحد فلابد أن تتعارض، ومتى تعارضت تنازعت، ومتى تنازعت فسد نظام المخلوق، والكون كله مخلوق مترابط بوحـدة نظام وتسيير – كما هو مشاهد – فلو كان آلهة أرباب غير الله لفسد نظامه، واختل وجوده وبقاءه. وقد تضمنت هذه الآية في استدلالها برهاناً قاطعاً على نفي فكـرة تعدد الآلة الأرباب"[1107].

الآية الثانيـة: قولـه تعـالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[1108].

والمعنى: "لو كان مع الله آلهة تحكم وتتصرف، وتحـي وتميـت، وتـرزق وتشفي، ومن أجل ذلك تستحق أن تعبد ـ كما يقول المشركون ـ للزم أن تتخـذ هذه الآلهة سبيلاً لمنافسة ومقاتلة إله العرش، الذي يعترفون به ربـاً خالقـاً، ولا ينكرون وجوده وقدرته ولكنهم يشركون معه آلهة أخرى لأن الربوبية المتضـمنة لكمال التصرف وكمال القدرة، لا تقبل الخضوع والاستسلام لربوبية فوقها.

أما وإنها لم تتخذ هذا السبيل لإله العـرش، ورضـيت بضـعفها وإلهيتهـا المزعومة في نطاق الأرض، فإن ضعفها هذا من أكبر الأدلة على أنهـا مخلوقـة كسائر المخلوقات، وقد انتُحلت لها الإلهية انتحالاً باطلاً، لا يصاحبه دليـل تقبلـه العقول[1109].

فتعالى الله وتنزه عن الشريك سبحانه الواحد في ربوبيته وألوهيتـه وذاتـه وصفاته.

(١١٠٧) العقيدة الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حنبكة الميداني صـ ١٥٧، دار القلم الطبعة العاشـرة ١٤٢٢هـ ـ – ٢٠٠٢م.

(١١٠٨) سورة الإسراء الآية: ٤٢.

(١١٠٩) العقيدة الإسلامية وأسسها صـ ١٥٧.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١١١٠)

إن من أهم مقتضيات الألوهية نفاذ الإرادة وتمام السيطرة على المألوهين المربوبين والتصرف فيهم وفق مراد الخالق، وإذا تعددت الآلهة والأرباب تعارضت إرادتهم وإذا تعارضت فإما أن تنفذ جميعها وهذا لا يكون، وإما أن تبطل جميعها وهذا لا يكون، وإما أن ينفذ بعضها ويبطل بعضها وهذا كله قادح في صدق ألوهية الأرباب المزعومة من دون الله تعالى فاستحال وجود رب سواه تألهه المخلوقات سبحانه.

٢- الأدلة على توحيد الربوبية على طريقة المتكلمين

لا تختلف أدلة المتكلمين في إثبات الوحدانية لله تعالى، والوصول إلى ربوبيته المطلقة لهذا الوجود، لا تختلف أدلتهم عن أدلة سائر علماء المسلمين من السلف والخلف؛ بل هي نفس الأدلة لفظاً ومعنى، إلا أن طريقة صياغتها وسوق أوجه الدلالة فيها وتوجيه قواعد الاستدلال أخذت أشكالاً كلامية تخص علماء الكلام دون غيرهم وزادوا على هذه الطريقة الحصر أحياناً للدليل في هذا الذي صاغوه، وجعلوه محكماً مقدماً على غيره في الاستشهاد لأن طريقه استدلالي نظري كما يقولون ويفيد اليقين عندهم والقطع.

قال الإمام الرازي الحنفي:"الباب الأول في حجج أهل التوحيد على وحدانية الله عز وجل من القرآن المجيد، وذلك في **ثلاثة مواضع:**

في سورة الأنبياء: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١١١١).

(١١١٠) سورة المؤمنون الآية: ٩١.

(١١١١) سورة الأنبياء الآية:٢٢.

وفي سورة قد أفلح: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١١١٢).

وفي سورة بني إسرائيل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (١١١٣)"(١١١٤).

فانحصرت أدلة الوحدانية عنده بهذه الثلاث الآيات التي بنى عليها المتكلمون دليلهم المسمى بدليل التمانع، وشرحوه بألفاظ وعبارات متقاربة، **قال الشهرستاني موضحاً له:** "إذا فرضنا الكلام في جسم وقدرنا من أحدهما إرادة تحريكه، ومن الثاني إرادة تسكينه في وقت واحد، لم يخل الحال من ثلاثة أمور:

إما أن تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى اجتماع الحركة والسكون في محل واحد في حالة واحدة، وذلك بين الاستحالة.

وإما أن لا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجز وقصور في إلهية كل واحد منهما، وخلو المحل عن الضدين وذلك أيضاً بين الاستحالة.

وإما أن تنفذ إرادة أحدهما دون الثاني فيصير الثاني مغلوباً على إرادته ممنوعاً من فعله، مضطراً إلى إمساكه وذلك ينافي الإلهية".

ويقول أيضاً: "ولو قدرنا وجود إلهين، فإما أن يكونا مختلفين في الصفات الذاتية أو متماثلين، والمختلفان يستحيل أن يكونا إلهين، لأن الصفة الذاتية التي بها تقدس الإله عن غيره، إذا كانا مختلفين فيها كان الذي اتصف بها هو الإله، والمخالف له ليس بإله، وإما أن يكون متماثلين في الصفات الذاتية فالمتماثلان ليس

(١١١٢) سورة المؤمنون الآية: ٩١.

(١١١٣) سورة الإسراء الآية: ٤٢.

(١١١٤) حجج القرآن لأبي الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي، تحقيق: أحمد عمر المحمصاني الأزهري، (١٢/١)، دار الرائد العربي، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

يتميز أحدهما عن الثاني فإن حقيقتهما واحدة، وذلك ينافي الإلهية، فدل ذلك علـى أن التماثل في الألهة لن يتصور بوجه"[(١١١٥)].

وأشار ابن كثير إلى هذا الدليل عند تفسيره لقول ا تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[(١١١٦)]

الطريق الثاني عند المتكلمين لإثبات الوحدانية: النظر إلى المحدثات

"قالوا: الطريق الموصول لمعرفة ا ليس إلا وجود الحادثـات، بضـرورة افتقارها إلى مرجح ينتهي الأمر عنده، وهي لا تدل على أكثر من واحد"[(١١١٧)].

والمقصود هو النظر والتفكر في هذه المحدثات للوصل إلى وحدانية محدثها سبحانه وتعالى، وهذا الدليل الكوني الهائل كماً وكيفاً، عظمة ودقة ونظاماً وإبداعاً، هو محل اتفاق جميع أهل القبلة كطريق موصل إلى توحيد ا تعالى في ربوبيتـه وألوهيته وأسمائه وصفاته، ولا يعرف مخالف فيه لا في الاحتجاج والاستدلال ولا في قوة دلالته وقطعية حجيته، وقد امتلأت به كتب الأقدمين والمعاصرين كـ دليل عقلي حسي شرعي ليس منه محيص في إزهاق أنفاس الشرك وروح الهوى.

(١١١٥) نهاية الإقدام صـ٩٣.

(١١١٦) سورة المؤمنون الآية: ٩١.

(١١١٧) نهاية الإقدام صـ ١٥١.

الفرع الثاني

توحيد الألوهية تعريفه، وأدلة إثباته

أولاً: تعريف توحيد الألوهية لغة وشرعاً

١ـ توحيد الألوهية لغة:

معنى الألوهية في اللغة:

" الإلاهة والألوهة والألوهية العبادة وقد قرىء:(ويذرك وآلهتك)، وقرأ ابن عباس:(ويذرك وإلاهتك) بكسر الهمزة، أي: وعبادتك"[(١١١٨)].

"والتأله التنسك والتعبد، والتأليه التعبيد"[(١١١٩)].

"التأليه: القول بوجود إله مدبر للكون.

والإله: كل ما اتخذ معبوداً، وجمعه آلهة.

ا : علم على الإله المعبود بحق، أصله إله دخلت عليه أل ثم حذفت همزته وأدغم اللامان.

والإلهيات: كل ما يتعلق بذات الإله و صفاته"[(١١٢٠)].

ا : أخص أسماء الرب لم يتسم به غيره " هَلْتَعْلَمُلَهُسَمِيّاً [(١١٢١)]، تسمى باسمه أو شبيهاً.

وهو علم إذ لا بد للذات من اسم علم يتبعه أسماء الصفات، أو هو مشتق من ألوله لأنه يأله إليه العباد، أي يفزعون إليه في أمورهم، فالمألوه إليه إله كمـا أن

(١١١٨) لسان العرب (٤٦٨/١٣).

(١١١٩) لسان العرب (٤٧٠/١٣).

(١١٢٠) المعجم الوسيط (٢٥/١).

(١١٢١) سورة مريم الآية: ٦٥.

المأموم به إمام، أو اشتق من التأله وهو التعبد؛ تأله فلان: تعبد، واشتق من فعـل العبادة أي من استحقاقها للباري سبحانه(١١٢٢).

٢ـ توحيد الألوهية شرعاً: (**هو إفراد الله بالعبادة**)(١١٢٣)

ويسمى باعتبار إضافته إلى ا تعالى بـ"توحيد الألوهية" ويسمى باعتبار إضافته إلى الخلق بـ " توحيد العبادة" وتوحيد العبودية، وتوحيد ا بأفعال العباد، و"توحيد العمل" و"توحيد القصد"، "و" توحيد الإرادة والطلب"، لأنه مبني على الإخلاص في القصد في جميع العبادات، وإرادة وجه ا بها. (١١٢٤)

وهذا التوحيد من أجله خلق ا الجن والإنس قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١١٢٥). ومن أجله قامت الخصومة بين الأنبياء وأممهم، ومن أجله جردت سيوف الجهاد في سبيل ا . وهو متضمن لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات(١١٢٦).

قال ابن الأمير: "أعلم أن ا تعالى بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفراد ا تعالى بالعبادة، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه، إذ هم مقرون بذلك، كما قررناه وكررناه، ولذا قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ (١١٢٧) أي لنفرده بالعبادة، ونخصه بها من دون آلهتنا؟ فعبدوا مع ا غيره، وأشركوا معه سواه، واتخذوا له أنداداً"(١١٢٨).

(١١٢٢) انظر: تفسير العز بن عبد السلام،تحقيق: الدكتورعبـداللهبنإبراهيمالوهبي، (٨٨/١)، دارابنحـزم – بيروت،الطبعةالأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(١١٢٣) انظر: تطهير الاعتقاد لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: د. ناصر بن علي بن عايض بن حسن الشيخ، صـ٧٩، مطابع التوحيد، مكة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، شرح الطحاوية صـ٢٤.

(١١٢٤) انظر: شرح الطحاوية صـ ٢٤، تفسير العزيز الحميد صـ ٢٢، تسهيل العقيد الإسلامية صـ ٥٣.

(١١٢٥) سورةالذاريات الآية: ٥٦.

(١١٢٦) انظر: شرح الطحاوية صـ ٢٩، ٣٢، ٤١، تيسير العزيز الحميد صـ ٢٣، تسهيل العقيـد الإسـلامية صـ٥٤.

(١١٢٧) سورة الأعراف الآية: ٧٠.

(١١٢٨) تطهير الاعتقاد صـ٩٤.

وهذا التوحيد تدل عليه كلمة التوحيد (لا إله إلاّ ا)، والتي جعلت شعاراً للدخول في الإسلام بعد الانخلاع من ربقة الشرك والطغيان؛ بقول القائل: (أشهد أن لا إله إلا ا وأشهد أن محمداً رسول ا) أي: أقر وأعترف عن علم ويقين بأنه لا معبود بحق إلا ا .

ونسبة توحيد الألوهية لكلمة التوحيد "لا إله إلا ا " تبين نفي الأنداد والكفر بالشركاء الذين اتخذهم الجاهلون آلهة من دون ا ، ثم بعد تخلية القلب مما أصابه من أدران الشركة والندية الباطلة، تكون تحليته وتألهه بالحق سبحانه الأحد الصمد.

ولإيضاح معاني العبودية له لابد من الوقوف على بعض معاني كلمة التوحيد وكلمة الإخلاص والإسلام "لا إله إلا ا ".

" معنى "لا إله إلا ا " أي لا معبود بحق إلا ا [١١٢٩].

وهو في غير موضع من القرآن بهذا المعنى قال تعالى: وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ [١١٣٠]. وقال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ [١١٣١]، وقال تعالى: وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ [١١٣٢]، فأجابوه رداً عليه بقولهم: قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [١١٣٣]، وقال تعالى: ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ [١١٣٤].

(١١٢٩) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، مراجعة وتصحيح وتعليق عبد العزيز بن باز، صـ ٣٤، دار العاصمة، الرياض، طبعة بدون رقم ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. وانظر: مجموعة فتاوى ورسائل ابن عثيمين، المجلد الثالث، فتاوى العقيدة صـ ٢٢٩، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن ١٤١٣هـ.

(١١٣٠) سورة البقرة الآية:١٦٣.

(١١٣١) سورة الأنبياء الآية: ٢٥.

(١١٣٢) سورة هود الآية: ٥٠.

(١١٣٣) سورة الأعراف الآية: ٧٠.

(١١٣٤) سورة الحج الآية: ٦٢.

فتضمن ذلك نفي الإلهية عما سوى ا ، وهي العبادة، وإثباتها وحده لا شريك له والقرآن من أوله إلى آخره يبين هذا ويقرره ويرشد إليه.

فالعبادة بجميع أنواعها إنما تصدر عن تأله القلب بالحب والخضوع والتذلل رغباً ورهباً، وهذا كله لا يستحقه إلا ا تعالى، كما تقدم في أدلة هذا الباب وما قبله، فمن صرف من ذلك شيئاً لغير ا فقد جعله نداً.

الإله هو المعبود المطاع، وهو المألوه الذي يستحق العبادة، تألهه القلوب بحبها، وتخضع له وتذل، وتخافه وترجوه،(١١٣٥) وتنيب إليه في الشدائد، وتدعوه في المهمات وتستنجده في الملمات، وتتوكل عليه في مصالحها والحاجات، وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وأصدق كلام قيل ما تضمنه (لا إله إلا ا)، إذا صحت صح بها كل مسألة وحال، وإذا فسدت فسد كل فعل ومقال.

قال ابن رجب: "الإله" هو الذي يطاع فلا يعصى، هيبة له وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاء، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه ودعاء له، ولا يصلح هذا كله إلا عز وجل. فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول (لا إله إلاّ ا) وكان في عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك"(١١٣٦).

ثانياً: الأدلة على توحيد الألوهية

اقتضت منهجية البحث الشكلية التي سرت عليها مثل هذا التقسيم، والذي لم يلتزم به عامة من كتب في التوحيد عدا مدرسة ابن تيمية ومن وافقه، ولذلك يصل الجميع في نهاية المطاف إلى تقرير أن أدلة التوحيد الواردة في نصوص الشرع؛ التي قررها وأقرها واستسلم لها العقل، هي أدلة واحدة تمثل وحدة في الاستدلال يصعب تجزئتها دون تداخل بين قضاياها – محل الاستدلال – ويرجع السبب في

(١١٣٥) انظر: تجريد التوحيد المفيد لأحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي، ت: ٨٤٥هـ، صـ ٣٨، اعتنى به على بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

(١١٣٦) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: زهير الشاويش، صـ ٢٣، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة: ١٣٩٧هـ.

رأي الباحث إلى أن القضية المدروسة واحدة ذات ارتباط وثيق بكل جزيئاتها وتقسيماتها الشكلية المترابطة في وحدتها الموضوعية، فهي تمثل مضموناً واحداً التوحيد عمودها، ويتناولها العلماء من جوانب متعددة لا باعتبار أن كل جانب يمثل قضية مستقلة، تحتاج في التدليل عليها والبرهنة إلى تأسيس، بل هو البناء المترابط المحكم على ما سبق ذكره من النصوص الشرعية والبراهين العقلية.

ولذلك جعل المتكلمون أدلتهم في باب الربوبية دالة على الألوهية ومستلزمة لها كما جعل غيرهم توحيد الربوبية مستلزماً لتوحيد الألوهية،[1137] وهو الحق الذي يلتقي فيه أهل القبلة بمختلف مناهجهم السلفية الأثرية والكلامية الجدلية.

توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية[1138]:

قال صاحب التسهيل: "فمن أقر بأن ا خالقه من العدم، ومالكه، ورازقه، والمنعم عليه بأنواع النعم، التي لا يستطيع العبد إحصائها، والتي هي مستمرة في جميع الأوقات والأحوال منذ أن يولد إلى أن يموت بل وفيما قبل ذلك، وأنه تعالى المصرف لجميع أموره المدبر لها، يلزمه أن يشكر ا تعالى على ذلك بأن يعبده سبحانه وتعالى، وأن يطيع أوامره، ويجتنب نواهيه، ويحرم عليه أن يشرك معه في عبادته أحداً من خلقه"[1139].

(١١٣٧) انظـــر: شــرح الطحاويـــة صـــ ـ ٤٦، الوابـــل الصـــيب الوابلالصـــيبمنالكلمالطيب،لأبي عبداللهشمسالدينمحمدبنأبيبكربنأيوببنسعدالزرعيالدمشـ ـ ـقي،تحقيق: محمدعبـ ـ ـدالرحمنعوض صـ ـ ـ ـ ٤٦،دارالكتابالعربي،بيروت،الطبعـةالأولى ١٤٠٥هـ ـ - ١٩٨٥م،إغاثةاللهفانمنمصائدالشـيطان،لأبي عبـد اللهمحمـ ـ ـ ـدبنأبيبكرأيوبالزرعي،تحقيق: محمدحامـ ـ ـ ـدالفقي، البـ ـ ـ ـاب السـ ـ ـ ـادس، (٣٠/١)، دارالمعرفة،بيروت،الطبعةالثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، معارج القبول (٣١٥/١)، تسهيل العقيـدة الإسـلامية صـ ٤٦،٤٧.

(١١٣٨) شرح الطحاوية صـ ٤٦، الوابل الصيب صـ٤٦، إغاثة اللهفان الباب السـادس(٣٠/١)، معـارج القبول (٣١٥/١)، تسهيل العقيدة الإسلامية صـ ٤٦، ٤٧.

(١١٣٩) انظر تسهيل العقيدة الإسلامية صـ ٤٧.

ولذلك عاب ا تعالى على المشركين الذين يقرون بتوحيد الربوبية؛ ثم يشركون في عبادة ا بصرف بعض أنواع العبادة، كالدعاء، والذبح، وغيرهما لمعبوداتهم من الأصنام وغيرها[(١١٤٠)].

ومعنى القول بأن الربوبية تستلزم الألوهية أي:

إذا كان ا تعالى هو المنفرد في الربوبية فلابد من توحيده في الألوهية وتفرده دون سواه بالعبادة بكل أنواعها ومختلف أشكالها، من صلاة وصيام وحج وزكاة ودعاء، وخوف ورجاء... قال تعالى في بيان ذلك والإلزام به:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ [(١١٤١)].

قال ابن كثير: " شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته؛ بأنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة؛ بأن جعل لهم الأرض فراشاً، أي: مهداً كالفراش مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات، والسماء بناء وهو السقف كما قال في الآية الأخرى وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ [(١١٤٢)]، وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً [(١١٤٣)] والمراد به السحاب ههنا في وقته عند احتياجهم إليه، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد رزقاً لهم"[(١١٤٤)].

(١١٤٠) مدارج السالكين (٨٨/١)، لوامع الأنوار (٣٥٣/١)، تسهيل العقيدة الإسلامية صـ٤٧.

(١١٤١) سورة البقرة الآيات: (٢١–٢٢).

(١١٤٢) سورة الأنبياء الآية:٣٢.

(١١٤٣) سورة النمل من الآية: ٦٠.

(١١٤٤) تفسير ابن كثير(٨٨/١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(1145).

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾(1146).

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾(1147).

وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً﴾(1148).

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾(1149).

(1145) سورة فصلت الآية: ٩.

(1146) سورة الأحقاف الآيات: (٤-٥).

(1147) سورة الأنعام الآيات: (٦٣-٦٤).

(1148) سورة الإسراء الآية: ٦٨.

(1149) سورة النساء الآية: ١٧١.

ثالثاً: موقف عامة المشركين من توحيد الربوبية والألوهية

كان معظم المشركين الذين بعث فيهم الرسل عامة والرسول عليه الصلاة والسلام خاصة كانوا ممن يؤمن ويعترف بوحدانية الربوبية، فيعتقد أحدهم بأن ا هو وحده الخالق الرزاق المحي، المميت، وأن بيده كل شيء، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (١١٥٠).

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (١١٥١).

وقال تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (١١٥٢).

وأما بالنسبة لتوحيد الألوهية – وهو استحقاقه وحده العبادة – فقد كانوا يشركون معه غيره في العبادة، مع اعتقادهم أن ما يتخذونه إلهاً من دون ا لا يخلق ولا يرزق ولذلك حاجهم القرآن بقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ (١١٥٣).

وقال ا سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١١٥٤)(١١٥٥)

(١١٥٠) سورة الزخرف الآية:٩.

(١١٥١) سورة العنكبوت الآية:٦١.

(١١٥٢) سورة يونس الآيات: (٣١ – ٣٢).

(١١٥٣) سورة النحل الآية: ١٧.

(١١٥٤) سورة الحج الآيات: (٧٣-٧٤).

(١١٥٥) العقيد الإسلامية للخن ومستو صـ ١٧٢ بتصرف يسير.

وجاءت الآيات القرآنية ملزمة لهم إفراد ا بالعبادة دون سواه؛ إذ لا يستحق العبادة إلاّ الخالق الرازق المحي، المميت، القادر على ذلك وحده دون سواه، فهو المستحق للعبادة دون سواه.

قال ابن الأمير الصنعاني: "الأصل الرابع: أن المشركين الذين بعث ا الرسل إليهم مقرون أن ا خالقهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (١١٥٦).

وأنه خالق السموات والأرض ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (١١٥٧)، وأنه الرزاق الذي يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي وأنه الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، وأنه الذي يملك السمع والأبصار والأفئدة:

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ (١١٥٨).

﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ (١١٥٩).

وهذا فرعون مع غلوه في كفره، ودعواه أقبح دعوى، ونطق بالكلمة الشنعاء، يقول ا في حقه، حاكياً عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُوراً﴾ (١١٦٠).

(١١٥٦) سورة الزخرف الآية: ٨٧.

(١١٥٧) سورة الزخرف الآية: ٩.

(١١٥٨) سورة يونس الآية:٣١.

(١١٥٩) سورة المؤمنون الآيات: (٨٤ – ٨٩).

وقال إبليس: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٦١)، وقال ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١١٦٢)، وقال: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١١٦٣).

وكل مشرك مقر بأن ا خالقه وخالق السموات والأرض، وربهن ورب ما فيهما ورازقهم، ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١١٦٤) بقولهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (١١٦٥)، والمشركون مقرون بذلك لا ينكرونه"(١١٦٦).

(١١٦٠) سورة الإسراء الآية: ١٠٢.

(١١٦١) سورة الحشر الآية:١٦.

(١١٦٢) سورة الحجر الآية: ٣٩.

(١١٦٣) سورة الحجر الآية: ٣٦.

(١١٦٤) سورة النحل الآية: ١٧.

(١١٦٥) سورة الحج الآية: ٧٣.

(١١٦٦) تطهير الاعتقاد صـ ٨٥-٨٨.

الفرع الثالث

موقف أهل القبلة من التوحيد بنوعيه

فيما يتعلق بإثبات وجود ا تعالى:

الاتفاق حاصل بين أهل القبلة، بل وسائر أهل الملل والأديان على إثبـات وجود الباري سبحانه وتعالى، ووقع الإجماع بين أهل الإسلام على وجوب معرفة ا سبحانه وتعالى[١١٦٧].

وعلى أن الأدلة الموصلة إلى ذلك لا حصر لها في العدد، واتفقوا على أن طريق العقل والنقل والفطرة والحس كلها طرق صحيحة، موصلة إلـى معرفتـه سبحانه وتعالى، وهذا بالجملة.

وفي توحيد ا تعالى: اتفق أهل القبلة على إفراد ا سبحانه وتعالى بالعبادة وبمعاني الكمال والجلال المطلقين، وعلى نفي الشريك عنه سبحانه وتعالى، وتنزيهه عن النقائص، وتوحيده جل في علاه إلهاً معبوداً، ورباً سيداً لهذا الكون.

ووقع خلافهم في التفصيل في أولوية الاستدلال بالعقل أو بالنقل، بناء على اختلافهم في الدلالة القطعية لكل منهما، فيما يتعلق بإثبات وجود ا تعـالى، وأول واجب يجب على المكلف تجاه ذلك، هل هو الإيمـان المجـرد عـن النظـر؟ أو المسبوق به[١١٦٨]، فيكون النظر أول الواجبات للوصول إلى الإيمان.

وقد أحسن ابن تيمية في جمعه بين الأمرين واعتبار الخلاف لفظياً إذ عد النظر واجباً وجوب الوسائل، والإيمان والمعرفة واجبة وجوب المقاصد، ولا تعارض[١١٦٩].

(١١٦٧) انظر: الإقناع في مسائل الإجماع لابن القطان، ص٣٦ .

(١١٦٨) يعتبر طريق النظر والتأمل في الآيات الكونية المرئية، محل اتفاق وتسليم بين أهـل القبلـة بمختلـف طوائفهم وفرقهم، ولم ينازع في دلالته ولا في الاستدلال به أحد، وقد كان هذا الدليل العقلي والنقلـي هاديـاً للعلماء الأقدمين والمعاصرين إلى إعجاز القرآن الكريم، فيما أخبر به من دقائق الخلق، وعجائـب الصـنع، والتركيب الإلهي البديع، ولم تخل كتب الفرق جميعاً من إثباته والاستدلال به، فيما وقفت عليه من خلال بحثي هذا.

(١١٦٩) درء تعارض العقل والنقل، لتقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميـة، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن (٣٥٣/٧)، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

المبحث الثاني

توحيد الله في الأسماء والصفات

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية معرفة الأسماء والصفات وبيان المراد بها.

المطلب الثاني: أقسام الصفات عند أهل القبلة.

المطلب الثالث: مناهج أهل القبلة في الأسماء والصفات.

المطلب الرابع: مواضع الاتفاق بين أهل القبلة في الأسماء والصفات.

المطلب الأول

أهمية معرفة الأسماء والصفات

وبيان المراد بها

وفيه فرعان:

الفرع الأول: أهمية معرفة الأسماء والصفات

الفرع الثاني: المقصود بتوحيد الأسماء والصفات

الفرع الأول
أهمية معرفة الأسماء والصفات

مما اتفق عليه أهل القبلة قاطبة وجوب معرفة ا والإيمان به، ومن طـرق معرفة ا تعالى العلم بما يليق بجلاله من الأسماء الحسنى، والصفات العلى التـي تسمى بها ربنا جل جلاله واتصف بها، ومن خلال هذه الأسماء الحسنى والصفات العلى يتعرف العبد على ربه سبحانه وتعالى، فيعتقد الكمال المطلـق سـبحانه وتعالى وتفرده بالجلال والحسن في الأسماء والأفعال والأوصاف، فكـان العلـم بالأسماء والصفات سبيلاً لمعرفة ا والعلم به، وكان العلم بـه سـبيلاً للإيمـان والخوف والخشية، فالأعلم با هو الأخشى له والأتقى قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (١١٧٠) فالعلماء هم أكثر خشية ، وماعلمهم إلاّ من علمه صـلى ا عليه وسلم، فهم وارثو النبوة بالعلم والعمل، يغترفون من فيض بحور علمه صلى ا عليه وسلم، وهو إمام العارفين بربه جل وعلا، أكمل المـؤمنين علمـاً بـا وأكملهم تقى وأكملهم خشية له سبحانه، وليس أحد أعلم با من رسوله صلى عليه وسلم، ولا أحد أخشى وأتقى له منه صلى ا عليه وسلم و وماكمال خشيته إلاّ لكمال علمه بربه سبحانه وتعالى. قال صلى ا عليه وسلم: (أما وا أني لأخشاكم وأتقاكم له)(١١٧١).

وتوحيد ا في أسمائه وصفاته تزكو به النفس وترتقي في مدارج العبوديـة للواحد الأحد سبحانه، لأن استحضار معاني الأسماء والصفات يملأ القلب بأجـل المعارف والألطاف، التي لايحيط العلماء بها علماً فمثلاً: العلم بأسماء ا وصفاته الدالة على عظمته تورث القلوب هيبة وإجلالاً وعظمة سبحانه وتعالى. والعلـم بأسماء ا وصفاته الدالة على بره سبحانه بخلقه وإحسانه إليهم ورحمته وجـوده

---

(١) سورة فاطرمن الآية:٢٨.

(١١٧١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالـك، كتـاب النكـاح، بـاب الترغيـب فـي النكاح،(١٩٤٩/٥) حديث رقم٤٧٧٦.

لهم، تورث القلب حباً ، وشوقاً إليه، ورغبة بما عنده من فضل، وحمداً وشـكراً له وثناء عليه. والعلم بأسماء ا وصفاته الدالـة علـى عزتـه سـبحانه وقوتـه وجبروته، وكمال قدرته تورث القلب خضوعاً وخشية منه، وذلاً وانكساراً بين يديه سبحانه، وكمال الذل مع كمال المحبة يعنى تمام العبودية وتحققهـا، وثبـوت التوحيد وتعمقه في النفس. والعلم بأسماء ا وصفاته الدالة على علمـه وخبرتـه وقدرته، تورث القلب مراقبة ا تعالى، في السر والعلن، والحركات والسـكنات، والخلوات والجلوات وتورثه الحذر من خواطر الأفكار الردئية والنوايـا الفاسـدة، والإرادات والمقاصد المنحرفة. والعلم بأسماء ا وصفاته الدالة على غناه ولطفه، تورث القلب افتقاراً واضطراراً إليه سبحانه، والتجاء إليه في كل وقـت وحـين، وفي كل ظرف وحال.

وهكذا تجد آثار العلم بالأسماء والصفات، على السلوك البشري والذي جسده الأنبياء والرسل، وحواريهم وأصحابهم، ومن استن بسنتهم واهتدى بهداهم.

ومن انفتح له باب للعلم بالأسماء والصفات، فقد انفـتح لـه بـاب التوحيـد الخالص، الذي لا يحصل إلاّ للكُمل من الموحدين، المخْلَصين صفوة ا المختـارة من خلقه. وزيادة العلم بأسماء ا وصفاته؛ تعني زيادة الإيمان، ومن هدي للعلـم با فقد آتاه ا التقوى وكتب في قلبه الإيمان قال تعـالى: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١١٧٢).

لذلك يتعين على كل مسلم أن يستزيد من هذا العلم ما يكون سبباً لزيادة إيمانه وقوة يقينه با تعالى.

(١١٧٢) سورة محمد الآية:١٧.

الفرع الثاني

المقصود بتوحيد الأسماء والصفات

المقصود بتوحيد ا تعالى في أسمائه وصفاته، أي إفراده بها دون سواه.

واختلفت العبارات في بيان المقصود بتوحيد الأسماء والصفات، مع اتفاقها في المعنى، فقيل في تعريف توحيد الأسماء والصفات جملة من التعاريف المتقاربة المتماثلة منها قولهم: هو الإيمان بما وصف ا به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله صلى ا عليه وسلم، من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وإمرارها كما جاءت على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى(١١٧٣).

أوهو اعتقاد انفراد ا عزوجل بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال، والجمال، وذلك بإثبات ماأثبته ا لنفسه، أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة بالكتاب والسنة(١١٧٤).

ومعنى توحيد ا في الأسماء والصفات، أي: مجانفة الشرك، ومجانبة الإلحاد فيها، والإشراك با تعالى مضاد للتوحيد، وصوره مختلفة، ومنها في باب الأسماء والصفات، أن تجعل مع ا نداً أو شريكاً له في اسم من أسمائه أو صفة من صفاته، تعتقد له من الكمال شيئاً مما هو تعالى.

والإلحاد المنافي للتوحيد في باب الأسماء والصفات هو الميل بها عن مقصود الشارع ومراده إلى معنى يقتضي النقص وعدم الكمال.

والإلحاد في أسماء ا وصفاته منه ماهو موجب للكفر مخرج عن ملة الإسلام، وهوما اقتضى نقصاً نفاه ا عن نفسه صراحة، أوسلب كمالاً أثبته لنفسه صراحة، ولا يقبل فيه التأويل، كإلحاد اليهود والنصارى والمشركين؛ فقد ألحد

(١١٧٣) انظر: مجموع الفتاوى(٦/٥)، ولمعة الاعتقاد لموفق الدين بن قدامة المقدسي، ص ٧، ٨، محمد إبراهيم الحمد، توحيد الأسماء والصفات.

(١١٧٤) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد شرح محمد بن صالح بن عثيمين، (١٧،١٦/١)، طبعة دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤٢١هـ.

اليهود ونسبوا الفقر، وقالوا عنه بأنه تعب من خلق السماواتوالأرض، إذ خلقها في ستة أيام ثم استراح يوم السبت، - سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً -.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (١١٧٥).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١١٧٦).

وألحد النصارى ونسبوا الصاحبة والولد فرد ا عليهم ذلك بقوله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ (١١٧٧).

وألحد المشركون فاشتقوا من أسمائه الحسنى أسماء لأصنامهم، كاشتقاق "اللات" من "الإله" واشتقاق "العزى" من "العزيز"، فرد ا عليهم ذلك بقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ (١١٧٨).

(١١٧٥) سورة آل عمران الآية: ١٨١.

(١١٧٦) سورة المائدة الآية:٦٤.

(١١٧٧) سورة النساء الآية:١٧١.

(١١٧٨) سورة النجم الآية:٢٣.

وألحد الفلاسفة فسموه سبحانه بـ"العلة الفاعلة"، وبـ"العقل المدبر"،وبـ"العقل الأول"، وغير ذلك مما لم يسم به نفسه.

وهذا الإلحاد الصريح يوجب الكفر البواح الذي لاعذر لصاحبه فيه.

وهناك نوع آخرمن الإلحاد يوجب لصاحبه الضلال والبدعـة، ولايقتضـي كفره مع التأويل؛ إذكان التأويل مانعاً من موانع تكفيره كمعين حكماً وقضاء؛ حتى تقوم عليه الحجة، بمن يصلح لإقامتها.

وجملة ما وقع فيه أهل القبلة من هذا القبيل، إذ حرصوا علـى توحيـد ا ، وسعوا لتحقيقه، فمنهم من هدي إليه ومنهم من ضل عن السبيل، وهذا النوع مـن الإلحاد على مراتب في الغلظ، وعلى درجات في الحكم متفاوته كتفاوت مراتـب غلظه، واختلفت فيه أقوال أهل العلم تسمية وحكماً، وليس المقام مقام بسط لـذلك، بل يكفي فيه الإشارة، وتقرير أن الحكم فيه وعليه اجتهادي، ويحتاج إلـى ضـبط وتتبع واستقصاء، ودراسة مستفيضة محققة، تعطي الأمر حقه وحظه من النظـر والتحقيق.

ومن إلحاد أهل البدع:

أ- **التعطيل:**

وهو في اللغة: مأخوذ من العطل، وهو الخلو والفراغ والترك. ومنه قولـه تعالى: وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ [(١١٧٩)]، أي: أهملها أهلها، وتركوا وردها[(١١٨٠)].

وفي الاصطلاح: قيل هو إنكار مـا يجـب – تعـالى – مـن الأسـماء والصفات، أو إنكار بعضه.

ويمكن الاستدراك على هذا التعريف بأن هذا يوجب كفر وردة صـاحبه لأن التعريف اقتصر على الفعل الموجب للكفر، وهو إنكـار القطعـي مـن أسـمائه

(١١٧٩) سورة الحج من الآية:٤٥.

(١١٨٠) انظر: لسان العرب (٤٥٣/١١)، كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (٩/٢)، دار ومكتبة الهلال.

الحسنى، وصفاته العلى، وكان من اللائق ذكر باعث هذا الإنكار للكل أو للجـزء من الأسماء والصفات، ليكون ذلك عذراً بمثله يمتنع المسلم عن تكفير من وقع في شيء من هذا النوع من البدعة المغاظة، عن تأويل غير سائغ قطعـاً كمـا هـو معروف عند المحققين من علماء الأمة والدين.

والتعطيل نوعان:

النوع الأول: تعطيل محض: كتعطيل غُلاة الجهمية، والفلاسفة، والباطنيـة، فمنهم من يصف ا بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون له إلاّ وجوداً مطلقاً لا حقيقة له عند التحصيل، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان، يمتنع تحققه في الأعيان[(١١٨١)] فهؤلاء وصفوه بالسلوب والإضـافات دون صـفات الإثبـات، وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وقد علم بصريح العقـل أن هـذا لا يكون إلاّ في الذهن، لا فيما خرج عنه من الموجودات[(١١٨٢)].

ومن هؤلاء المعطلة[(١١٨٣)]من سلب عنه سبحانه وتعـالى النقيضـين فقـال لاموجود ولامعدوم، ولاحي ولاميت، ولاعالم، ولاجاهل، لأنهم يزعمون أنهـم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات، وإذا وصفوه بالنفي شـبهوه بالمعـدومات؛ فسلبوا النقيضين، وهذا ممتنع في بداهة العقول، وحرفوا ما نزل ا من الكتـاب، وماجاء به الرسول صلى ا عليه وسلم، فوقعوا في أشر مما فروا منـه، فـإنهم شبهوه بالممتنعات إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين، كلاهما ممتنع[(١١٨٤)].

وهذه المقالات كفرية إلحادية، وأصحابها على التحقيق كفـرهم السـلفو إن انتسبوا إلى القبلة**قال ابن تيمية**:"والتحقيق أن التجهم المحض، وهو نفي الأسـماء

(١١٨١) انظر: شرح الأصفهانية لابن تيمية (٥١، ٥٢).

(١١٨٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣، ٨)، مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات، د/ محمـد خليفـة التميمي صـ٧٥، أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(١١٨٣) وهم الباطنية القرامطة المتفلسفة.

(١١٨٤) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٣- ٨)، شرح العقيدة الاصفهانية صـ٧٦.

والصفات، كما يحكى عن جهم والغالية من الملاحدة ونحوهم، من نفي أسـماء ا الحسنى، كفر بين مخالف لما علم بالاضطرار من دين الرسول"(١١٨٥).

وإنما وقع في هذا النوع من التعطيل من لاخلاف على خروجه عـن أهـل القبلة من الغلاة من الفرق والطوائف ذات الشطحات، والأقوال الكفرية.

النوع الثاني: تعطيل جزئي، وأصحابه على مراتب في التعطيل

فالغلاة منهم في التعطيل الجزئى، هم من أثبت الأسماء الحسنى له سـبحانه وتعالى، بالجملة ونفى اشتقاق الصفة منها، ونفى عن ا تعالى الصفات، ونسـبه بعض الدارسين(١١٨٦) مذهباً للمعتزلة ومن وافقهم في هـذا البـاب، كـابن حـزم الظاهري، والزيدية، والرافضة الإمامية،والإباضية، فالمعتزلة يجمعون على تسمية ا بالاسم ونفي الصفة يقول ابن المرتضى المعتزلي: " فقد أجمعت المعتزلة على أن للعالم محدثاً قديماً قادراً عالماً حياً لالمعان"(١١٨٧).

ب- **التمثيل والتشبيه(١١٨٨) والتجسيم:**

ومن الإلحاد في أسماء ا وصفاته تمثيلها بصـفات المخلـوقين،أو تمثيـل صفات المخلوقين بها.

والتمثيل لغة: ذكر مماثل للشيء.

ومثّله به: شبهه به، وتمثّل به: تشبه به،ومثل الشيء بالشيء: سوي به(١١٨٩).

(١١٨٥) النبوات لابن تيمية صـ١٩٨، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

(١١٨٦) كالدكتور محمد بن خليفة التميمي.

والأمر بحاجة إلى زيادة تحر وبحث يحسن إفراده عند التحقيق، ومقام البحث هنا لا يتسع لمثل هذا الأمـر، فاكتفيت بالنقل والعهدة على من أسندت إليه، وا أعلم.

(١١٨٧) مقالة التعطيل والجعد بن درهم د/ محمد خليفة التميمي صـ ٢٤، دار أضـواء السـلف، الطبعـة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

(١١٨٨) ويفرق ابن تيمية بين التمثيل والتشبيه، ويبين أن المنفي مطلقاً ومن كل وجه تمثيله سبحانه بخلقه، أو تمثيل خلقه به سبحانه وتعالى، لأن المماثلة تقتضي المساواة والشركة المنافية للتوحيد، أما المشـابهة عنـده، فيرى أنه ما من شيئين إلاّ و بينهما نوع مشابهة واشتراك من حيث الجملة، لا التفصيل، فمثلاً تعـالى ذات وللمخلوق ذات فهذا تشابه، وإن كانت ذات الباري ليست كالذوات. انظر: مجموع الفتاوى (١١٣/٦).

واصطلاحاً: إثبات مثيل عزوجل في ذاته أوفي صفاته(١١٩٠).

قال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١١٩١).

هذا نهى صريح عن جعل شبيه تعالى أو مثيل له في أسمائه أو صـفاته، وخرجت المشبهة عن الأمر وألحدت في الصفات.

ومن الإلحاد في الأسماء والصفات،تكييفها في الأذهان، وتوهم كيفيات لها في العقول، أو محاولة إدراك ذلك، أو التعمق في البحث عـن حقائقهـا وكنههـا، أو السؤال عنذلك.

وماسبق ذكره من التعطيل متفق على أنه من الإلحاد المتبدع المضلل صاحبه عند السلف رضي ا تعالى عنهم.

(١١٨٩) مختار الصحاح صـ٢٥٦.

(١١٩٠) انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين صـ ٢٥- ٢٨.

(١١٩١) سورة النحل الآية:٧٤.

المطلب الثاني

أقسام الصفات عند أهل القبلة

وفيه تمهيد وفرعان:

الفرع الأول: أقسام الصفات الإلهية عند النفاة

الفرع الثاني: أقسام الصفات الإلهية عند الصفاتية المثبتة للصفات

تمهيد:

ذهبت الفرق الإسلامية في باب صفات الباري سبحانه إلي تقسيم الصـفات الإلهية إلي أقسام، ليس لها دليل توقيفي شرعي علي ذلك، وكل التقسيمات في هذا الباب اصطلاحية، واستدل كل فريق على ما ذهب إليه من التقسـيم بالاسـتقراء للنصوص الشرعية، مع التوفيق بينها وبين الأصول الاعتقادية لكل طائفة في هذا الباب المهم من أبواب التوحيد، فكل يزعم أن تقسيمه استقرائي حاصـر، ولـذلك يرى الباحث صعوبة في اعتماد تقسيم من تلك التقسيمات الاصطلاحية، ويـذهب إلي بيان أقسام الصفات بحسب تقسيم الفرق والطوائف لها، فيمايلي ملخص لذلك:

الفرع الأول

أقسام الصفات الإلهية عند النفاة

الأول: تقسيم الجهمية ومن وافقهممن لايرى الصفات الثبوتية[1192]

فهم يصفون ا بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولايثبتون له إلاّ وجوداً مطلقاً لاحقيقة له عند التحقيق، وإنما يرجع إلي وجود في الأذهان، يمتنع تحققه في الأعيان، وقد وصفوه تعالى بالسلوب والإضافات دون صفات الإثبات، وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وقد علم بصريح العقل أن هذا لايكـون إلاّ فـي الذهن لا فيما خرج عنه من الموجودات [1193].

والصفات عندهم على أقسام هي:

١. صفات سلبية محضة:

"وهذا النوع إذا وصف به واجب الوجود – على حد تعبيرهم – أفاد أن المقصود به نفس وجوده مع سلب ما يؤدي إليه، وهو ما يستلزمه مفهوم واجب الوجود"[1194].

فإذا قيل واحد: لم يعن به إلاّ الوجود الواجب وسلب الشريك عنـه أوسـلب الكثرة من كل وجه.

فإذا قيل قديم: لم يعن به إلاّ هذا الوجود مع سلب العدم عنه أولاً.

وإذا قيل باق: لم يعن به إلاّ هذا الوجود الواجب مـع سـلب العـدم عنـه آخراً[1195].

٢. صفات إضافية محضة:

وهى الأمور المتضايفة التي لايعقل الواحد منها إلاّ بتعقل مقابله[1196].

---

(١) وعليه طائفة من الفلاسفة كابن سينا والفارابي.مجموع الفتاوى (٣/٧-٨) الصفدية (٢٩٩-٣٠٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوي (٣/٧،٨)، مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات للتميمي صـ٧٥.

(١١٩٤) انظر: الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها صـ ٧٥ أضواء السلف، الطبعـة الأولـى ١٤٢٢هـ ـ - ٢٠٠٢م.

(١١٩٥) انظر: علاقة صفات ا بذاته لراجح الكردي صـ ١٢١، دار العدوي، عمان الأردن.

فهي عبارة عن ماهيتين تَعقل كل واحدة لا يتم إلاّ مع تعقل الأخرى كـ الأبوة والبنوة ونحو ذلك، ومن خواص الإضافة أنه إذا عرف أحـد المضـافين عـرف الآخر أيضاً[1197] مثال:

كونه سبحانه أولاً(مبدأ) إضافة له إلى معلوماته، بمعنى إشارة إلـى وجـوده وإلى أن وجود غيره إنما هو منه.

وصفة كونه (خالقاً): هي نفس وجود ا تعالى مع الإضافة؛ لأن علة الإيجاد هي علم واجب الوجود أو تعلقه للنظام الفائض منه على مقتضى علمه[1198].

٣. صفات مركبة من سلب وإضافة:

وهذا النوع من الصفات إذا وصف به واجب الوجود أفاد أن ذلك لـه علـى وجه السلب، وعلى وجه النسبة والإضافة أيضاً.

فإذا قيل واجب الوجود: أي موجود لاعلة له وهذا سلب.

وهوعلة لغيره وهذه إضافة، فالسلب والإضافة مجتمعان معاً[1199].

ثانياً: تقسيم المعتزلة ومن وافقهم[1200]

اختلاف المعتزلة فيما بينهم حول عدد الصفات التي ينسبونها إلي ا تعـالي والصفات عندهم على **أقسام ثلاثة:**

القسم الأول: صفات الذات

وهي التي ترجع إلي الذات وتنسب إليها، وتكون الذات مستحقة لها استحقاقاً لازماً لا لمعنى سواها، ولا يصح خلو الذات منها، ويتفرد ا بها ولا يشاركه فيها أحد من المخلوقين[1201].

(١١٩٦) انظر: التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية لفالح بن مهدي آل مهـدي (٤٤/١)، طبعـة الجامعـة الإسلامية بالمدينة المنورة. الصفات الالهية تعريفها وأقسامها صـ ٧٦.

(١١٩٧) انظر: المواقف في علم الكلام لعضد الدين الإيجي صـ ١٧٩ - ١٨٠، عالم الكتب، بيروت لبنان.

(١١٩٨) انظر: علاقة صفات ا بذاته صـ ١٢٠.

(١١٩٩)انظر: الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها صـ ٧٧.

(١٢٠٠) كالزيدية والرافضة الإمامية، والنجارية، والضرارية، والإباضية، وابن حزم، ممن لا يثبت الصفات الثبوتية للذات الإلهية. انظر: الصفات الإلهية تعريفها و أقسامها د/محمد بن خليفة التميمي صـ ٧٥.

ولا يزال ا مستحقاً لصفات الذات ولم يزل كذلك في الأزل، ولا توصف ذاته العلية بضد هذا النوع من الصفات، فيوصف ا تعالى قادراً، عالماً، حياً، ولا يوصف بضدها من العجز والجهل والموت.

القسم الثاني: **صفات الأفعال**

"فإنها الصفات التي يتصف ا تعالى بها وبأضدادها، كما يوصف بالقدرة عليها وعلى أضدادها، وهي في مقابل صفات الذات(١٢٠٢) وتشتق من الفعل مثل الخالق، والمحيي، والمميت والرازق، والمعطي(١٢٠٣) فهو سبحانه قادر على فعلها وفعل أضدادها إذا أراد خلق و إذا أراد لم يخلق، ومثله في الإحياء وعدمه، والإماتة وعدمها، والرزق وعدمه والإعطاء وعدمه.

القسم الثالث: **صفات السلب**

وهى الصفات التي يجب أن يتنزه ا تعالى عن الاتصاف بها(١٢٠٤) لما تقتضيه من النقص المنفي عنه تعالى، وسميت سلبية لأنها سلبت أمراً لا يليق با سبحانه وتعالى(١٢٠٥).

ومن أبرزها: نفي أن يكون ا تعالى جسماً أو جوهراً، أو عرضاً، أو في مكان أو في زمان، أو يدرك بالأبصار(١٢٠٦)، ونفي الشريك عنه.

(١٢٠١) انظر: أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية، د/عائشة يوسف المناعي صـ ١٦٢. ومشكلة الذات الإلهية والصفات عند القاضي عبد الجبار المعتزلي صـ ٦٢.

(١٢٠٢) انظر: أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية صـ ١٦٤.

(١٢٠٣) انظر: مشكلة الذات الإلهية والصفات عند القاضي عبد الجبار المعتزلي صـ ٦٣.

(١٢٠٤) انظر: أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية صـ ١٦٤.

(١٢٠٥) حاشية الدسوقي على أم البراهين للشيخ/محمد الدسوقي صـ٩٣. مطبعة عيسى الحلبي، بدون تاريخ ولارقم طبعة.

(١٢٠٦) انظر: مختصر أصول الدين، ضمن رسائل العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار (١/ ١٨٢– ١٩٢) دراسة وتحقيق: د/ محمد عمارة، دار الهلال – القاهرة ١٩٧١ م.

الفرع الثاني

أقسام الصفات الإلهية عند الصفاتية المثبتة للصفات

أولاً: تعريف الصفة والوصف والمقصود بالصفاتية

أ- المقصود بالصفاتية ليس طائفة واحدة أو فرقة؛ بل عدة فرق وطوائف من طوائف أهل القبلة، وهي التي أثبتت الصفات بمعانيها تعالى ولم تقل بنظرية الأغيار عند المعتزلة و الجهمية، **قال ابن تيمية:** " الإثبات في الجملة مذهب الصفاتية، من الكلابية والأشعرية والكرامية، وأهل الحديث، وجمهور الصوفية، والحنبلية، وأكثر المالكية، والشافعية - إلاّ الشاذ منهم - وكثير من الحنفية أوأكثرهم، وهو قول السلفية، لكن الزيادة في الإثبات إلى حد التشبيه هو قول "الغالية" من الرافضة، ومن جهلة أهل الحديث وبعض المنحرفين"(١٢٠٧).

ب- تعريف الصفة والوصف: قال الإمام الباقلاني في تعريف الصفة:"هي الشيء الذي يوجد بالموصوف أو يكون له، ويكسبه الوصف الذي هو النعت الذي يصدر عن الصفة"(١٢٠٨).

وتعريف الوصف: "هوقول الواصف تعالى ولغيره بأنه عالم حي قادر..."(١٢٠٩).

وقد فرق المتكلمون من الصفاتية بين الصفة والوصف، فالصفة قائمة بذات ا تعالى، والوصف هو إخبار عن الصفة، ويكون من قول الواصفين، وكانت غاية التفريق عندهم الرد على مخالفيهم من المعتزلة الذين لايرون ثمة فرق بين الصفة والوصف، بل جعلوا الصفة هي الوصف(١٢١٠).

(١٢٠٧) مجموع الفتاوى (٥١/٦).

(١٢٠٨) التمهيد صـ٢١٣.

(١٢٠٩) التمهيد صـ ٢١٣، ٢١٤، وغاية المرام في علم الكلام لسيف الدين الآمدي صـ١٤٥.

(١٢١٠) انظر: الصفات الخبرية بين المثبتين والمؤولين بياناً وتاصيلاً للدكتور جابر زايد عيد السميري صـ٥٣، الدار السودانية للكتب – الخرطوم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

ثانياً: تقسيم الصفات

قال الشهرستاني:" اعلم أن جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبون تعـالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة...ولايفرقون بين صفات الـذات وصـفات الفعل،بل يسوقون الكلام سوقاً واحداً،وكذلك يثبتون صفات خبريـة مثـل اليـدين والوجه"[1211].

وقال القاسمي: "والذي كان عليه سلف هذه الأمة إثبات جميع مـا ورد بـه الكتاب والسنة من الصفات لا فرق بين صفات الذات وصفة الفعل"[1212].

فلم يكن عند السلف من التقسيمات ما وجد عند الخلف،وذلك لعدم الحاجة إليه وعدم ظهور دواعيه،وعدم استقلالية الفنون والعلوم في التصنيف، على خلاف ما هو عند الخلف من هذه الأسباب، وغيرها من الدواعي؛ كظهور الفرق وانتشـار المقالات الكلامية،والمناظرات الجدلية،وهو مادفع متأخري علماء السـلف كـابن تيمية، وابن القيم، وابن أبي العزالحنفي،إلى مجـاراة الآخـرين مـن المتكلمـين الصفاتية وغيرهم، في ثنائيات التقسيم للصفات الإلهية،أو غيرها مـن التقسـيمات مما يدل على اصطلاحية الأمر،وقبولـه مـن حيـث المبدأ،فالصـفاتية عمومـاً يتفقون[1213] في تقسيم الصفات الإلهية من حيث الجملة.إلى صفات متعلقـة بـا تعالي وهي **علي قسمين:**

القسم الأول: صفات ذاتية:

وهي التي لاتنفك عن الذات[1214]ولم يزل ولايزال ا متصفاًبها.

(١٢١١) الملل والنحل صـ٩٢.

(١٢١٢) دلائل التوحيد (٥٨/١)، وانظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي صـ٦٢-٦٣.

(١٢١٣) نقل الاتفاق التميمي في الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها صـ٧٩.

(١٢١٤) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية لعبد العزيـز المحمـد السـلمان صـ ـ٤٢٩ الطبعـة ١٨-١٤١٣هـ، بدون دار النشر.

القسم الثاني: **صفات فعلية**:

وهي التي تنفك عن الذات؛ لتعلقها بالمشيئة الإلهية، وقيل هي ما يجـوز أن يوصف ا بضده كالرضا والرحمة والسخط والغضب ونحوها[(١٢١٥)].

وهي بمعنى أن اللهإن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها.

ويمكن تقسيم الصفات **من حيث أدلة ثبوتها إلى قسمين:**

صفات عقلية دل الشرع عليها، وصفات خبرية نقلية يفتقر العقل إلى الـنص في الدلالة عليها[(١٢١٦)].

فمن هذه الصفات ما دل العقل على ثبوته سبحانه وتعالى مع ورود النص به، ومنها ما كان طريق إثباته الأدلة النقلية فحسب **قال البيهقي:** "ثم صـفات ا عز اسمه قسمان أحدها: صفات ذاته: وهي ما استحقه فيما لم يزل ولا يزال.

والآخر: صفات فعله: وهي ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل.

ثم منه ما اقترنت به دلالة العقل كالحياة، والقدرة، والعلم، والإرادة، والسمع والبصر والكلام، ونحو ذلك من صفات ذاتـه، وكـالخلق، والـرزق والإحيـاء، والإماتة، والعفو والعقوبة، ونحو ذلك من صفات فعله، ومنه ما طريق إثباته ورود خبر الصادق به فقط، كالوجه واليدين، والعين، من صفات ذاته وكالاستواء علـى العرش والإتيان والمجيء والنزول ونحو ذلك من صفات فعله[(١٢١٧)].

(١٢١٥) انظر: التعريفات (١٧٥/١).

(١٢١٦) انظر: الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها صـ٧١، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة فـي ضـوء الإثبات والتنزيه لمحمد أمان الجامي صـ ٢٠٧، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعـة الأولى ١٤٠٨هـ.

(١٢١٧) انظر: الأسماء والصفات لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: عماد الـدين أحمـد حيـدر، صـ١٣٧– ١٣٨، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

قال ابن أبي العز الحنفي: "مازال بصفاته قـديماً قبـل خلقـه.. وفقـدها صـفة نقص"[1218].

وقال حافظ حكمي: " فصفات ذاته تعالى من الحياة والعلـم، والسـمع والبصـر، والقدرة والإرادة وغيرها، وكذلك صفات أفعاله من الاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء لفصل القضاء بين عبـاده، وغيـر ذلـك، كلهـا حـق علـى حقيقتها"[1219].

وقال القاسمي: "يراد بصفة الذات ما تكون لازمة للذات أزلاً و أبداً، لا يتصـور انفكاكها عنها، وذلك كصفة الحياة، والقدرة، والعلم، والعـزة، والعظمـة، والكبريـاء، والجلال...ويراد بصفة الفعل ما يفعله سبحانه بذاته ومشيئته وقدرته من أفعال على وفق علمه وحكمته كالخلق والرزق والإحياء والإماتة، والحب والرضى، والكراهية والمقت، والنزول والاستواء، والقول والتكلم، والمجيء والإتيان"[1220].

وقال ابن رشد: "إن صفات الأفعال هي تلك التي تحدد الصلة بـين الخـالق والمخلوق"[1221].

وهذه التقسيمات تجدها أو قريباً منها عند الصفاتية بمختلف درجاتهم وفـروعهم، فهم مع اتفاقهم على إثبات معاني الصفات للباري سبحانه وتعالى، إلاّ أنهم في الإثبـات على درجات يتبين تفصيلها عند الحديث عن مناهجهم في الإثبات؛ لأن طريقة متكلمـي الصفاتية من أشاعرة و ماتريدية وكلابية ومن وافقهم تختلف عن طريق السلف الصفاتية في الإثبات، وإن كانوا متفقين في التقسيمات والتعريفات.

ولعل التقسيم السابق هو الذي درجت عليه الصفاتية من غير أهل الكـلام وكـان للمتكلمين من الصفاتية تقسيم آخر: درجوا فيه على **تقسيم الصفات إلى أربعة أقسام:**

١. **صفات المعاني:** وهي مادل على معنى وجودي قائم بالذات[1222].

(١٢١٨) شرح الطحاوية صـ٦٢-٦٣.

(١٢١٩) انظر: معارج القبول (٢١٢/١).

(١٢٢٠) دلائل التوحيد للعلامة محمد جمال الدين القاسمي صـ٥٧.

(١٢٢١)مناهج الأدلة في الكشف عن عقائد الملة، لابن رشد، صـ٤٦، تقديم وتحقيق د. محمود قاسم، الطبعة الثانية ١٩٦٤م، مكتبة الأنجلو المصرية.

(١٢٢٢) الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها صـ ٧٩.

أوهي كل صفة قائمـة بموصـوف، زائـدة علـى الـذات، موجبـة لـه حكماً[(١٢٢٣)] وعدوها سبعاً:

العلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والحياة، والكلام، و إنما سـميت بذلك لأن كل صفة منها تدل على معنى زائد على ذاتـه تعـالى، وتسـمى هـذه الصفات عند البعض بالصفات الوجودية[(١٢٢٤)].

٢. **الصفات المعنوية:** وهي الحال الواجبة للذات، مادامت المعاني قائمة بها[(١٢٢٥)].

أو هي الأحكام الثابتة للموصوف بها معللة بعلة قائمة بالموصوف[(١٢٢٦)].

فكانت لازمة للسبع الأولى ـ صفات المعاني ـ وكان الاتصاف بها فرعـاً عن الاتصاف بالسبع الأولى، وصارت صفات المعاني عللاً لهذه الصفات المعنوية عند القائلين بها، ولهذا نسبت هذهإلى تلك وقيل فيها: (صفات معنوية)، وهي كونه تعالى: (حياً، عليماً، قادراً،مريداً، سميعاً، بصيراً، متكلماً)[(١٢٢٧)][(١٢٢٨)].

الصفات السلبية: وهي التي سلبت أمراً لايليق با سبحانه[(١٢٢٩)].

(١٢٢٣) انظر: حاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية للشيخ/ أحمد بن محمد الصاوي المالكي صـ ٧٦، مطبعة الاستقامة، مصر، بدون رقم، ولا تاريخ.

(١٢٢٤) انظر: الصفات الخبرية بين المثبتين والمؤولين بيانأو تاصيلاً صـ٥٥.

(١٢٢٥) انظر: حاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية صـ٥٩، الشامل لأبي المعالي الجويني صـ ـ ٣٠٨، تحقيق د/ على سامي النشار، د/ فيصل بدير عون، وسهير محمد مختار، منشأة المعارف – الإسكندرية ١٩٦٩م.

(١٢٢٦) الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها صـ٨٠.

(١٢٢٧) انظر: شرح أم البراهين للسنوسي مع حاشية محمد الدسوقي صـ ٣٣، المطبعة الخيريـة بمصـر، الطبعة الأولى ١٣٠٥هـ، والصفات الإلهية تعريفها وأقسامها صـ ـ ٨٠، والصـفات الخبريـة للسـميري صـ٥٥.

(١٢٢٨) يلاحظ على هذا التقسيم أو التفريع الذي عده المتكلمون لازماً لمازوم وهي الصـفات السـبع التـي سموها صفات معاني، أنه تخيلي أكثر منه عقلي علمي، لأن ما أثبتوه من صفات معنوية لا يمكـن تصـور انفكاكه عن صفات المعاني، ولا يعقل القول - في باب صفة المخلوقين فضلاً عن صفة الخالق-، إن فلانـاً يتصف بالحياة وليس حياً، وبالعلم وليس عليماً، و بالإرادة وليس مريداً.

ومن جهة أخرى نجد أن الصفات المعنوية التي أثبتوها فرعاً عن أصل صفات المعاني، هي في الحقيقة أسماء حسنى تعالى باستثناء المتكلم فلم يرد اسما له تعالى بل ورد صفة كمالية.

(١٢٢٩) انظر: حاشية الدسوقي على أم البراهين، صـ ٩٣.

من غير دلالتها على معنى وجودي قائم بالذات[١٢٣٠].

وهي عندهم خمس صفات:

١. القدم: ويقصدبها نفي الحدوث عنه تعالى.

٢. البقاء: ويقصد بها نفي الفناء والزوال عنه تعالى.

٣. الوحدانية: ويقصدبها نفي النظير المساوي له أوالأنداد والشركاء.

٤. قيامه بنفسه: وتعني غناه وعدم افتقاره لغيره من مخصص أو محل أو نحوه.

٥. مخالفته للحوادث: وتعني سلب المثلية بينه وبين خلقه.

والمقصود العام من صفات السلب هو نفي كل نقص عنه سبحانه وتعـالى، وهذه الخمس الصفات هي أصول النقائص، التي تعود سائر أوصاف النقص إليها، فنفيها نفي لما سواها مما يندرج تحتها ويردإليها عند النظر والتحقيق[١٢٣١].

٣. **الصفات النفسية:** وهي كل صفة دل الوصف بها على الذات دون معنى زائد عليه كالوجود[١٢٣٢].أوهي: الحال الواجبة للذات، مادامت الذات غيـر معللة بعلة[١٢٣٣].

فالصفة النفسية لاتدل على شئ زائد على الذات، وهي عندهم صفة واحـدة هي الوجود.

قال اللقانى في شرحه لجوهرة التوحيد:" واعلم ان الوجود صـفة نفسـية، وإنما نسبت للنفس أي الذات؛ لأنها لاتتعقل إلاّ بها، فلا تتعقل نفس إلاّ بوجودهـا، والمراد بالصفة النفسية: صفة ثبوتية يدلاوصف بها على نفس الذات دون معنـى

(١٢٣٠) الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها صـ ٨٠.

(١٢٣١) انظر: تحفة المريد بشرح جوهرة التوحيد – إبراهيم اللقاني، صـ ٥٤، دار الكتب العملية، بيـروت بدون.

(١٢٣٢) الشامل صـ ٣٠٨، وانظر: المحيط بالتكليف للقاضي عبدالجبار، تحقيق: عمر السيد عزمي، صـ ـ ١٣٩، مصر، الدار المصرية للتأليف والنشر.

(١٢٣٣) شرح أم البراهين للسنوسي صـ ٢٠٥، وانظر: المحيط بالتكليف صـ ١٤٠، ١٤١.

زائد عليها. فقولنا: (صفة) كالجنس، وقولنا: (ثبوتيـة) يخـرج السـلبية كالقـدم والبقاء.وقولنا: (يدل الوصف بها على نفس الذات) معناه أنها لاتدل على شئ زائد على الذات.وقولنا: (دون معنى زائد عليها) تفسير مراد لقولنا(على نفس الـذات)، ويخرج بذلك المعاني؛ لأنها لاتدل على معنى زائد على الذات وكذلك "المعنويـة" فإنها تستلزمها المعاني، فهي تدل على معنى زائـد علـى الـذات لاسـتلزامها المعاني"(١٢٣٤).

ويرى الباحث أن منشأ تقسيم المتكلمين للصفات له علاقة وطيدة بمنهجهم في التعامل مع الصفات، كما أن منشأ تقسيم السلف وأهل الأثر من الصفاتية للصفات كان مستنده الاستقراء لنصوص الكتاب والسنة، والنظر فـي معانيهـا ودلائلهـا وإثبات ما أثبتته النصوص وفق اجتهاد يستند إلى النص والاستقراء الاسـتدلالي، وأوضح ذلك الإمام ابن القيم رحمه ا (١٢٣٥) وتبعه من بعـده ممـن هـم علـى طريقته(١٢٣٦).

(١٢٣٤) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد صـ٥٤.

(١٢٣٥) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢٩٦/٢).

(١٢٣٦) من عامة أصحاب المنهج السلفي من المتأخرين والمعاصرين كابن عثيمين في كتابه القواعد المثلى، ومحمد خليل هراس في شرح العقيدة الواسطية (١٠٥،١٠٦).

المطلب الثالث

مناهج أهل القبلة في الأسماء والصفات

وفيه فرعان:

الفرع الأول: مناهج النفاةفي الصفات

الفرع الثاني: مناهج المثبتة في الصفات

الفرع الأول
مناهج النفاة في الصفات

أولاً: منهج الجهمية ومن وافقهم

هو تعطيل الأسماءوالصفات عن معانيها الشرعية لما توهموه من أن القـول بها مشابهة عزوجل بخلقه، وقدسبق الإشارة إلى منهجهم عنـد الحـديث عـن الإلحاد في أسماء ا وصفاته، وعند بيان أقسام الصفات عند النفاة أهل التعطيـل، ويمكن زيادة الإيضاح هنا لمذهب غلاة النفاةالذين ذهبوا إلى نفي جميع الأسـماء والصفات وهم الجهمية ومن وافقهم من الفلاسفة.

فقد ظهرت عقيدة الجهمية الداعية لنفي جميع الأسماء والصفات على يد جهم بن صفوان[١٢٣٧] في أوائل القرن الثاني للهجرة، بعد قرن من أفضل القرون التـي عرفتها الدنيا، ظهر هذا الداعي ليعلن عن عقيدته الفاسدة التـي قوامهـا تعطيـل الأسماء والصفات عن البارى سبحانه وتعالى، **قال العلامة المقريزي**[١٢٣٨]**:**

"ثم حدث بعد عصر الصحابة – رضى ا تعالى عنهم – مذهب جهـم بـن صفوان ببلاد المشرق، فعظمت الفتنة، فإنه نفى أن يكون تعالى صـفة، وأورد على أهل الإسلام شكوكاً أثرت في الملة الإسلامية آثاراً قبيحة، تولد عنهـا بـلاء كبير، وكان قبيل المائة من سني الهجرة، فكثر أتباعه على أقواله التي تؤول إلـى التعطيل، فأكبر أهل الإسلام بدعته، وتمالؤا على إنكارها وتضليل أهلها، وحذروا من الجهمية، وعادوهم في ا ، وذموا من جلس إليهم، وكتبوا في الرد عليهم، على

(١٢٣٧) جهم بن صفوان: هو أبومحرز بن صفوان الراسبي قال الذهبي عنه: "الضال المبتدع، رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين ١٣٨هـ، وماعلمته روى شيئاً لكنه زرع شراً عظيماً" انظر: ميزان الاعتـدال في نقد الرجال (١٥٩/٢) ترجمة رقم ١٥٨٦.

(١٢٣٨) المقريزي: أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر، تقي الدين المقريزي، مؤرخ مصر، وولي فيهـا الحسبة والخطابة والإمامة لمرات، من مؤلفاته: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ"خطـط المقريزي" توفي سنة ٨٤٥هـ. انظر: البدر الطالع (٧٩/١).

ماهو معروف عند أهله"[1239][1240]. وقد عرف عن الجهم بن صفوان في أسـماء الله عز وجل مسلكان:

الأول: نفيه جميع الأسماء الحسنى عن الله تعالى، **قال شـيخ الإسـلام ابـن تيمية:** "جهم كان ينكر أسماء الله تعالى فلا يسميه شيئاً، لاحياً ولاغيـر ذلـك، إلاّ على سبيل المجاز"[1241].

الثاني: أن الله يسمى باسمين فقط هما "الخالق" و"القادر"، **قال بن تيمية:** "كان الجهم وأمثاله يقولون: إن الله ليس بشيء، وروي عنه أنه قال: لا يسـمى باسـم يسمى به الخلق، فلم يسمه إلاّ "بالخالق"و"القادر" لأنه كان جبرياً يرى أن العبـد لا قدرة له"[1242].

وأما في صفات الله عز وجل فالجهمية ينفون عنه سبحانه وتعـالى جميـع الصفات، ولايصفون الله إلاّ بالصفات السلبية على وجه التفصيل ويثبتون له وجوداً مطلقا لاحقيقة له ويقتصر على الأذهان مع امتناع تحققه في الأعيان[1243].

ثانياً: منهج المعتزلة ومن وافقهم

لايختلف منهج المعتزلة في معرفه صفات الله وأسمائه عن منهجهم العام في الاستدلال على الإلهيات؛ إذ يقدمون العقل على النقل ويجعلونه ميزان قبـول أورد وتأويل النصوص " وكما يثبت لديهم أن العلم بذات الله تعالى ليس إلاّ بالاسـتدلال على أفعاله، فكذلك صفاته تعالى، فالعلم بها إنما يكون بالاستدلال واعتمـد هـذا الاستدلال على شرطين أساسين هما:

(١٢٣٩) الخطط للمقريزي المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار – لتقي الدين أحمد بن على بـن عبدالقادر بن أحمد بن على المعروف بالمقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ، (١٨٢،١٨٣/٤) مطبعة النيل بمصر سنه ١٣٢٥هـ، ، وانظر: الملل والنحل للشهرستاني(٨٦/١).

(١٢٤٠) الصفات الخبرية للسميري صـ٢٢.

(١٢٤١) مجموع الفتاوى (٣١١/١٢).

(١٢٤٢) منهاج السنة (٥٢٦،٥٢٧/٢).

(١٢٤٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٣)، مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات د/محمد بـن خليفـة التميمي صـ١٠١،١٠٢.

١- كمال العقل وتمامه، إذ لا يصح الاستدلال إلاّ من كامل العقل.

٢- أن تكون هذه الصفات معقولة من نفس المستدل وغيـره؛ إذ أن إيـراد الدلالة على ما لا يعقل لا يصح"[(١٢٤٤)] وهكذا جعل المعتزلة أفعال الله عزوجل في خلقه دالة على ذاته وسبيلاً لمعرفة صفاته.

ومعلوم أن هذا المنهج لا يستقيم دوماً لأن من الصـفات مـا لا يـدرك إلاّ بالنص، ولا سبيل للعقل أن يدركها ابتداًء، كصفات الأفعـال الاختياريـة المتعلقـة بمشيئة الله تعالى وإرادته، ولذلك فرق أهل الفرق بين الصفات الذاتية التي سموها بالعقلية، والصفات الخبرية، التي لايهتدي العقل لإثباتها ابتداء بل لابد من إرشـاد النص له إليها.

وقررت الباحثة دكتورة/ عائشة المناعي:اتفاق المعتزلة على إثبـات كونـه سميعاً بصيراً مدركاً للمدركات، ويختلفون في إرجاع هذه الصفات إلى واحدة من الصفات الأربع، وهي كونه قادراً عالماً حياً موجوداً.

فيرجعها معتزلة بغداد إلى كونه حياً **قال القاضي عبد الجبار:**" إذا ثبت هـذا فاعلم أن هذه مسألة خلاف بين الناس، فعند شيوخنا البصريين أن الله سميع بصير مدرك للمدركات، وأن كونه مدركاً صفة زائدة على كونه حياً، أما عند مشـايخنا البغداديين هو أنه تعالى مدرك للمدركات على معنى أنه عالم بها، وليس له بكونه مدركاً صفة زائدة على كونه حياً"[(١٢٤٥)].

هكذا يثبت البصريون لله تعالى صفة مستقلة هي كونه مدركاً، غيـر صـفة كونه حياً، وغير صفة كونه عالماً، وأن البغداديين لا يثبتون صفة مستقلة وإنمـا يرجعون بها إلى كونه عالماً وكونه حياً.

ولهذا اختلفت مدرسة المعتزلة في تفسير صفة (سميع)، و(بصير)، فالـذين رأوا ارتباط معنى (سميع) و(بصير) بضرورة وجود مسموع ومبصر لا يجيزون

(١٢٤٤) انظر: مشكلة الذات الإلهية عند القاضي عبدالجبار المعتزلي صـ ١٤٣.

(١٢٤٥) انظر: شرح الأصول الخمسة، صـ١٦٨.

أن يقال إن ا سميع وبصير في الأزل، لأنه لا يوجـد فـي الأزل مسـموع ولا مبصر[١٢٤٦].

أما الذين فسروا معنـى (سـميع) و(البصـير) بأنـه يعلـم المسـموعات والمبصرات، فإنهم بهذا التفسير يعودون بصفتي سميع وبصير إلى: عالم، وعلـى ذلك ينطبق عليهما حكم الوصف بعالم، أي يوصف بهما في الأزل[١٢٤٧].

وقد يرى لأول وهلة ان المعتزلة لا يمانعون من إثبات الصـفات الأزليـة، ولكن لهم في فهم معناها منهج خاص بهم، وليس الأمر كذلك، إذ أنهم مع إثبـات اللفظ نفوا المعاني الحقيقية، وسلبوا اللفظ معناه المقصود شرعاً، وذلك قولهم سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، بل هو سميع بسمع هو هو، وبصير ببصر هو هـو، فجعلوا الصفات عين الذات، ونفـوا أن يكـون لـه سـمع أو بصـر سـبحانه وتعالى[١٢٤٨].

وظن المعتزلة أن إثباتهم الصفات الأزلية له سبحانه وتعالى، يعنـي إثبـات قدماء مع ا ، والاشتراك في القدم يؤدي إلى الاشتراك في الإلهية وهـو محـال، ولذلك كان من أثبت معنى وصفة قديمين، فقط أثبت إلهين عند المعتزلـة **يقـول القاضي عبد الجبار:** " لأنه تعالى لو كان حياً لا يصح الإدراك إلاّ بهـا، و بعـد استعمال محلها في الإدراك لوجوب أن يكون القديم تعالى جسماً، وذلـك محـال فالقديم لو استحق هذه الصفات لمعان قديمة لوجب أن يكون مثلاً تعالى"[١٢٤٩].

ونفى القاضي عبد الجبار صفة الإرادة عن ا تعالى وقال بحدوثها في غير محل فقال:" واعلم أنه مريد عندنا بإرادة محدثة موجودة لا في محل"[١٢٥٠].

(١٢٤٦) حكاه الأشعري عن أبي الهذيل وعباد بن سليمان، واستبعد الأشعري نسبة القول إلى أبـي الهـذيل وظن الغلط في الحكاية عنه. انظر: المقالات صـ ١٧٣.

(١٢٤٧) انظر: أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية صـ ١٦٢.

(١٢٤٨) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٤٤،٤٥/١).

(١٢٤٩) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار صـ ٢٠٠ – ٢١٠.

(١٢٥٠) شرح الأصول الخمسة صـ ٤٤٠.

وسبب هذا النفي للإرادة الإلهية كون مريد الخير خير ومريد الشر شـرير، ومريد العدل عادل، ومريد الظلم ظالم، فلو كانت الإرادة قديمة، وكانـت متعلقـة بالكائنات كلها لكان ا موصوفاً بالخيرية والشرية والعدل والظلم، وذلك قبيح في حقة تعالى، فلا يبقى إلاّ أن تكون الإرادة حادثة، ولكن لا وجه لإثبات إرادة حادثة قائمة بذاته تعالى؛ لأن ذاته ليست محلاً للحوادث، ولا وجه لإثبات كونها في ذات أخرى؛ لأنها تكون منسوبة إلى تلك الذات دون ا ، فتعين أن الإرادة حادثة لا في محل، وكذلك سائر صفاته الأزلية[(١٢٥١)].

منهج المعتزلة في صفات الأفعال:

وهي الصفات التي يتصف ا بها وبأضدادها، فهي توجد في حالة وتنعـدم في حالة أخرى[(١٢٥٢)]، وبحسب مشيئة ا وإرادته.

كالكلام والكراهة والرضى، والنزول ونحوها، فهي عندهم حادثة، لأنه تعالى يتصف بها حيناً دون حين – وذلك بالنظر إلى متعلقها - فقرر المعتزلـة امتنـاع وصف ا تعالى بهذه الصفات في الأزل، لأن متعلقها هو الحـوادث وهـذا مـا وضحه **الأشعري بقوله:** "أنكرت المعتزلة بأسرها أن يكون ا لم يـزل متكلمـاً راضياً، ساخطاً محباً، مبغضاً، منعماً، رحيماً، موالياً، معاديـاً، جـواداً، حليمـاً، عادلاً، محسناً، صادقاً، خالقاً، رازقاً، بارئاً، مصوراً، محيياً، مميتاً، آمراً، ناهيـاً، مادحاً، ذاماً، وزعموا بأجمعهم أن ذلك أجمع من صفات ا التـي يوصـف بهـا لفعله)[(١٢٥٣)].

فخلاصة منهجهم: يقوم على عدم قيام الصفات بالذات، وهي مضافة إلى ا تعالى إضافة وصف باعتبار قول القائلين، وإضافة ملك أو تشريف، لا إضـافة صفة إلى موصوف فاثبتوا تعالى ذاتاً مجردة عن الصفات، زاعمـين أن ا لا

(١٢٥١) انظر: طرق إثبات العقيدة ووسائل معرفتها عند السلف والمتكلمين – رسالة ماجستير – مقدمة مـن فضل ا حمدان أبكر قادم، بإشراف د/ جمال تبيدى، جامعة أم درمـان الإسـلامية، صـ ـ ٢٤٧، المكتبـة المركزية، برقم ٦٣٠١، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

(١٢٥٢) انظر: أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية صـ١٦٤.

(١٢٥٣) مقالات الإسلاميين (١٨٦/١).

تقوم به صفة ولا أمر يتعلق بمشيئته واختيـاره خوفـاً مـن حلـول الحـوادث والأعراض به سبحانه وتعالى[١٢٥٤].

وذلك راجع لمشكلة كبيرة تناولها عدد من الباحثين المتخصصين[١٢٥٥]

حول علاقة الذات الإلهية، بالصفات الكمالية له سبحانه وتعالى. وكان عـدم تفريقهم بين الوصف والصفة هو المدخل للتأويل والنفي، فالوصف عندهم كالصفة ولافرق، والوصف: هو قول الواصف تعالى ولغيره بأنه عالم حي قادر[١٢٥٦]، والصفة ليس لها معنى أكثر من الوصف، فالعلم عندهم بمعنـى عـالم، والقـدرة بمعنى قادر[١٢٥٧].

وكما نفى المعتزلة الصفات العقلية، أولوا الصفات الخبرية، سـواء كانـت صفات ذات خبرية، أوصفات فعل وتأويل المعتزلة ينتهي إلى النفـي والتعطيـل لمعاني الصفات[١٢٥٨].

(١٢٥٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٧/٦، ١٤٨، ٥٢٠، ٥٢١).

(١٢٥٥) كالباحث المتخصصة المجازة من الأزهر في رسالة علمية نالت بها مرتب الشرف الأولى د/ رابحة نعمان في كتابها (مشكلة الذات الإلهية عند القاضي عبد الجبار المعتزلي)، والباحث/ فضل ا حمدان أبكـر قادم، في رسالته المجازة من جامعة أم درمان الإسلامية – قسم أصول الدين، إشراف العالم الفاضل د/جمـال تبيدي والموسومة بـ(طرق إثبات العقيدة ووسائل معرفتها عند السلف والمتكلمين).

(١٢٥٦) انظر: المحيط بالتكليف صـ ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤.

(١٢٥٧) انظر: التمهيد للباقلاني صـ ٢١٤، وأصول الدين ١٢٨.

(١٢٥٨) انظر: طرق إثبات العقيدة ووسائل معرفتها فضل ا قادم صـ٢٤٩ ومابعدها.

الفرع الثاني
مناهج المثبتة في الصفات

اختلفت مناهج الفرق التي أثبتت الأسماء والصفات في درجات الإثبات وكان لهذا الاختلاف أثره على تنوع مناهجهم في إثبات الصفات، وذلك بعد اتفاقهم المجمل على إثبات الصفات اللائقة با تعالى، بمعانيها الكمالية والجلالية له سبحانه، وإنما وقع الخلاف فيما يعد صفة كمال وما يعد صفة نقص في حقه تعالى، إذ الكمال في حق ا يختلف عن الكمال في حق غيره، كاختلاف ذاته عن سائر الذوات، فكذلك صفاته تختلف عن سائر الصفات، وهو جل جلاله لا يماثل المخلوقات.

وقد واجهت الباحث صعوبة بالغة فيما يتعلق بدعاوى الفرق الإسلامية سلامة مناهجها، وعطب مناهج مخالفيها؛ وليس مقام البحث مقام تحرير للتحقق مما قالوا والوقوف على صحة ما ادعوا؛ وحسب الباحث في رسالته هذه أن يشير إلى المناهج التي ظهرت وساد القول بها، مع التنبه للتنازع في نسبة المناهج إلى بعض الطوائف والفرق؛ إذ قد لا تُسلم الطائفة نفسها بما نُسبتْ إليه من منهج، أو لا يسلم البعض بنسبة هذا المنهج إلى تلك الطائفة، وهذا مجال اجتهاد ونظر متفاوت، تختلف فيه أنظار الدارسين والباحثين بحسب مشاربهم الفكرية، واتجاهاتهم العقدية، ولعلي أشير إلى هذه المسألة في موضعها من الدراسة ممثلاً ومدللاً على مانبهت عليه هنا، وليست العبرة في نفي النافي ولا في إثبات المثبت، بل العبرة في واقع الأمر وحقيقة الحال، وفصيح المذهب والمقال، إذ قد ينْسب إلى التجسيم من هو منه براء، ويتبرأ من التعطيل من هو واقع فيه.

وبالنظر إلى موقف الصفاتية من الصفات ومعانيها وعلاقتها بالذات؛ يمكن تلخيص مناهج الفرق إلى ثلاثة مناهج كلية، تندرج تحتها تفريعات مختلفة في تفاصيلها ومضمونها، ومن المناسب إفراد كل منهج بالحديث عنه بما يوضح ضوابطه عند القائلين به، وسبب قولهم به، مع الإشارة ما أمكن إلى من أخذ به من السلف والخلف، والفرق المنتسبة إلى أهل القبلة.

أولاً: منهج الإثبات للصفة مع التفويض

١- تعريف التفويض لغة واصطلاحاً

أ- **معنى التفويض لغة:**

قال ابن فارس: " الفاء والواو والضاد أصل صحيح يدل على اتكال في الأمر على آخر، ورده عليه، ثم يفرع فيرد إليه ما يشبهه: من ذلك: فوض إليه أمره، إذا رده قال الله تعالى في قصة من قال: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾[١٢٥٩]. ومن ذلك قولهم باتوا فوضى، أي مختلطين، ومعناه: أن كلا فوض أمره إلى الآخر"[١٢٦٠].

وجاء في لسان العرب:"فوض إليه الأمر أي صيره إليه، وجعله الحاكم فيه، وفي حديث الدعاء: (فوضت أمري إليك)[١٢٦١].أي: رددته إليك، يقال: فوض أمره إليه إذا رده إليه، وجعله الحاكم فيه"[١٢٦٢].

ب- **معنى التفويض في الاصطلاح:**

قال الباجوري:" والمراد من التفويض صرف اللفظ عن ظاهره مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه، بل يترك ويفوض علمه إلى الله تعالى بأن يقال الله أعلم بمراده"[١٢٦٣][١٢٦٤].

فهو رد للعلم بالنصوص الموهمة للتشبيه إلى الله تعالى، وعدم التعرض لمعانيها، وإمرارها كما جاء من غير تحريف، ولاتكييف، ولازيادة، و لا نقصان،

(١٢٥٩) سورة غافر الآية:٤٤.

(١٢٦٠) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس(٤/٤٦٠).

(١٢٦١) أخرجه البخارى في صحيحه من حديث البراء بن عازب، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء، (٩٧/١) حديث رقم٢٤٤.

(١٢٦٢) انظر: مادة فوض (٢١٠/٧).

(١٢٦٣) شرح الجوهرة: ص-١٤٩.

(١٢٦٤)هذا التعريف للتفويض عند المتأخرين أما مراد السلف بالتفويض فالمقصود به تفويض الكيف مع قبول المعنى اللائق بالله تعالى وإمراره كما جاءت به النصوص دون تعمق فيه أو اجتراء على الحديث في تفاصيل سكت عنها الشارع.

مع تنزيه الله واعتقاد أن الظاهر الذي يـوهم مشـابهة الله تعـالى لخلقـه غيـر مراد[1265].

٢ـ مسالك التفويض:

مما اتفقت عليه الصفاتية وسائر طوائف أهل القبلة خلافاً للمشبهة المجسـمة هو عدم جواز الخوض في كيفيات الصفات، لاستحالة إدراك ذلك عقـلاً وشـرعاً قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[1266].

ولذلك لم يقع خلاف بين عموم فرق أهل القبلة في وجوب تفويض الكيف لله تعالى، فهو من العلم الذي استأثر الله به، ولم يتعبدنا بمعرفته والوقوف عليه، بـل تعبدنا بالإيمان والتسليم والانقياد، كما اتفقت الفرق على اعتبار آيات الصفات من هذا الوجه من قبيل المتشابه الذي لايعلم تأويله وحقيقة تفسيره المطابق لواقعـه إلاّ الله تعالى القائل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1267].

فمسالك التفويض تجمتع في تفويض الكيف اتفاقاً، وتفتـرق فـي تفـويض المعنى، **وهي ثلاثة مسالك:**

أ- المسلك الأول: تفويض الكيف وإثبات المعنى الظاهر اللائق بالذات الإلهية:

وهذا المسلك هو الذي أخذ به السلف ودرجوا عليه، ومرادهم بالمعنى الظاهر أي الذي أراده الله من مخاطبتنا به، لا المعنى الظاهر فـي عقـول المـؤولين أو المعطلين، الذين توهموا التشبيه المحال عليه سـبحانه وتعـالى اسـتحالة عقليـة

(١٢٦٥) انظر: التفويض في صفات الله بين السلف والخلف للباحث علي عايد إبـراهيم إشـراف شـيخنا د/ محجوب أحمد طه، عام ٢٠٠٠م، صـ٣٦، قسم الرسائل الجامعية أم درمان الإسلامية برقم ٢٨٦٩.

(١٢٦٦) سورة طه من الآية: ١١٠.

(١٢٦٧) سورة آل عمران الآية:٧.

وشرعية؛ بل إن الظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهة أو المعطلة[1268]، بمشابهة ا تعالى للحوادث أو مماثلته لخلقه منفي عن ا تعالى قطعاً بقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1269].

وانطلق السلف في باب الأسماء والصفات من قواعد عامة مجملة، وخاصة مفصلة، لا يجدها الباحث مجموعة في كتاب من كتبهم، وإنما يقف عليها بالبحث والتحري والاستقراء والاستنباط، كما فعل ذلك جمع من أهل العلم الأقدمين[1270] والمعاصرين[1271][1272].

ومن جملة ما ذكر من الضوابط والقواعد الآتي:

١- تنزيه ا سبحانه وتعالى عن مشابهة المخلوقات لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1273].

٢- اليأس من إدراك كيفية هذه الصفات لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[1274].

ولأن الشيء لا تدرك كيفيته عقلاً إلاّ بأحد أمور ثلاثة:

أ – رؤية ذلك الشيء ب- رؤية نظيره ج- الخبر الصادق الذي ينقل لنا كيفية ذلك الشيء[1275]؛ كل ذلك منتف في حق ا تعالى إذ يستحيل على الأبصار

(١٢٦٨) التعطيل للصفة أو التأويل لها سببه توهم التشبيه، ثم طلب التنزيه بطريق غير طريق الشرع، فالمؤول و المعطل شبه أولاً ثم خرج من التشبيه ليدخل في التأويل أو التعطيل.

(١٢٦٩) سورة الشورى الآية:١١.

(١٢٧٠) كابن تيمية في رسالته التدمرية.

(١٢٧١) كابن عثيمين في كتابه القواعد المثلى في صفات ا وأسمائه الحسنى، ود/ محمد خليفة التميمي في كتابه الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها ص ٥٨- ٦٤.

(١٢٧٢) ولم تكن كتاباتهم محل تسليم عند جميع المنتسبين إلى السنة، أو السلف، بل دار الجدل في المنسوب إلى السلف من تلك القواعد، ووقع خلاف أيضاً في المنقول عنهم إذا صح النقل إليهم وثبت بطرق السماع والأداء المعتبرة في توثيق الأخبار المنقولة، وهذا من أهم أسباب وعوامل الخلاف، التي لابد من مراعاتها، ومعالجتها للوصول إلى مواضع الاتفاق وليس مقام البحث هنا مقام تفصيل لها.

(١٢٧٣) سورة الشورى من الآية:١١.

(١٢٧٤) سورة طه من الآية: ١١٠.

في الدنيا أن تدركه لقوله تعـالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [(١٢٧٦)]، وليس له من مثيل سبحانه وتعالى عن ذلك وتقدس ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [(١٢٧٧)].

ولم يرد في الوحي بيان ولا تفصيل للماهية والكيفية، فلـزم قبـول الخبـر الصادق كما هو عليه، وإمرار الآيات والنصوص الواردة في الأسماء والصـفات كما وردت، مثبتين ما أثبتت نافين ما نفت، متوقفين فيما لم يرد فيه إثبات ولا نفي، إذا كان يحتمل نقصاً من وجه وكمالاً من وجه، لأن في نفيه جملة نفي للكمال عن ا عز وجل، وهو ثابت له في نصوص شرعية محكمة في معانيها؛ إذ لم يعوزنا ا عز وجل لغيره في الثناء عليه، أو في مدحه ووصفه بما يستحق سبحانه.

والنفي لما لم يرد به نص لا يجوز إلاّ بنص؛ إذا تردد معنـاه بـين نقـص وكمال، أما إذا لم يحتمل سوى النقص فنفيه واجب؛ لعموم الأدلة على تنزيـه ا سبحانه وتعالى عن كل إلحاد في أسمائه ونقص في صفات كماله سبحانه.

ويقال في الإثبات للألفاظ والمعاني التي لم ترد في الشرع ماقيل في النفـي من وجوب التوقف، والاستفصال في المعنى، وقبول المعنى المتضمن للكمال ورد المعنى المتضمن للنقص، دون الإقرار على صحة الإطلاق أو نفيـه بـل سـبيل التوقف أصح وأسلم قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [(١٢٧٨)].

وهذه جملة من النقول يتبين بها منهج السلف في باب الأسماء والصفات:

(١٢٧٥) المفسرون بين الإثبات والتأويل في آيات الصفات رسالة ماجستير لعبد الرحمن بن سعد بـن سـالم الكشي الجهني صـ٤٠٥. إشراف فضيلة أ. د. شوقى بشير عبد المجيد، مكتبة جامعة أم درمان المركزية برقم ٨٨٩٢، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(١٢٧٦) سورة الأنعام من الآية:١٠٣.

(١٢٧٧) سورة الشورى من الآية:١١

(١٢٧٨) سورة الإسراءمن الآية:٣٦.

لما سئل نجدة الخارجي[1279] ابن عباس فقال له: كيف معرفتك بربك، لأن من قبلنا اختلفوا علينا؟ فقال: من ينصب دينه للقياس لا يزال الدهر في التباس، مائلاً عن المنهاج طاعناً[1280] في الاعوجاج، أعرفه بما عرف به نفسه من غير رؤية، وأصفه بما وصف به نفسه)[1281].

ونقل عن أبي زرعة عبد الله بن عبد الكريم الرازي، وأبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر قولهما:"وأن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، بلا كيف أحاط بكل شئ علماً"[1282].

وقال ابن خزيمة[1283] **(ت:٣١١هـ):**" فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن، والعراق والشام ومصر، مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبت الله لنفسه نقر بذلك بألسنتنا ونصدق ذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين"[1284].

وقال أبو القاسم الأصبهاني[1285]**:**" إن الأخبار عن صفات الله عز وجل جاءت متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم، موافقة لكتاب الله عز وجل، فنقلها الخلف عن السلف قرناً بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا؛ على

(١٢٧٩) نجدة الخارجي: هو نجدة بن عامر الحروري من رؤوس الخوارج، قتل بعد ابن عباس بزمن يسير سنه٧٠هـ. انظر: لسان الميزان (٦/ ٢١٢).

(١٢٨٠) هكذا وردت ولعل الصواب ضاعناً في الاعوجاج بمعنى مقيماً فيه.

(١٢٨١) رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع وموقف السلف منها د/ ناصرالعقل، ص ـ٤٥، دار الوطن، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

(١٢٨٢) درء تعارض العقل والنقل (٩/٤).

(١٢٨٣) ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، أبو بكر، إمام الأئمة، فقيه مجتهد محدث بارع، طاف البلدان والأمصار، وأكثر من الشيوخ، تزيد مصنفاته عن مائة وأربعين مؤلفاً، منها "التوحيد" و"صحيح ابن خزيمة" توفي سنة ٣١١هـ. انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (٣٤٥/١). وطبقات السبكي (١٣٠/٢).

(١٢٨٤) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب (٢٦/١).

(١٢٨٥) أبو القاسم الأصبهاني: إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، الملقب بقوام السنة من الأعلام الحفاظ، إمام مفسر محدث لغوي، من كتبه: "الجامع" في التفسير، و"الإيضاح" في التفسير، و"الحجة في بيان المحجة" وغيرها، توفي سنة ٥٣٥هـ. انظر: الأعلام (٣٢٣/١)، شذرات الذهب (١٠٥/٤).

سبيل إثبات الصفات والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر ا به في تنزيله، وبينه الرسول عن كتابه[1286] مع اجتناب التأويـل والجحـود، وتـرك التمثيـل والتكييف، وأنه عز وجل أزلي بصفاته وأسمائه التي وصف بها نفسـه ووصـفه الرسول صلى ا عليه وسلم، غير زائلة عنه ولا كائنه دونه"[1287].

وقال الشيخ عبدالقادر الجيلاني[1288]:" انفوا ثم أثبتوا، انفوا عنه ما لا يليق به، وأثبتوا له ما يليق به؛ وهو ما رضيه لنفسه، و رضيه له رسـوله صـلى ا عليه وسلم، إذا فعلتم هذا زال التشبيه والتعطيل من قلوبكم"[1289].

وقال الإمام الآجري:" اعملوا - وفقنا ا وإياكم للرشاد من القول والعمـل– أن أهل الحق يصفون ا - عز وجل– بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسول ا صلى ا عليه وسلم، وبما وصفه به الصحابة رضي ا عنهم، وهذا مـذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له والإيمان به"[1290].

وقال شيخ الصوفية في زمانه بأصفهان أبو منصور معمر بن أحمـد[1291] في بيان عقيدته: "وأن ا عز وجل استوى على عرشه بلا كيف، ولا تشـبيه ولا تأويل، فالاستواء معقول، والكيف فيه مجهول، والإيمان به واجب، والإنكـار لـه كفر، وأنه جل جلاله بائن من خلقه والخلق بائنون منه... وأن السنة هـي اتبـاع الأثر والحديث، والسلامة والتسليم، والإيمان بصفات ا عز وجل من غير تشبيه،

(١٢٨٦) هكذا وردت العبارة في الأصل، ولعل الضمير راجع لكتاب ا تعالى.

(١٢٨٧) الحجة في بيان المحجة للأصفهاني.الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لأبـي القاسـم إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي،(١٠١/١-١٠٢) دار الراية، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(١٢٨٨) عبد القادر الجيلاني هو: عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست، أبوعبد ا الزاهد، وقيـل أبو محمد لقب بشيخ الإسلام، وإمام الحنابلة، توفي سنة٥٦١هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (٤٣٩/٢٠).

(١٢٨٩) الشيخ عبد القادر الجيلانى وآراؤه الاعتقادية د/ سعيد القحطاني، صـ١٦٢.

(١٢٩٠) الشريعةلأبي بكر محمد بن الحسين الآجري (١٠٥١/٢).

(١٢٩١) أبو منصور هو: معمر بن أحمد بن محمد بن زياد أبو منصور الأصبهاني الزاهد، شيخ الصوفية في زمانه بأصبهان، روى عن الطبراني، مات سنة ٤١٨هـ. انظر: شذرات الذهب (٢١١/٣).

ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل... فهذا مذهب أهل السنة والجماعة والأثر، فمن فارق مذهبهم فارق السنة، ومن اقتدى بهم وافق السنة)(١٢٩٢).

ويوضح ابن تيمية طريقة ومنهج السلف في الأسماء والصفات فيقول: " أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفياً وإثباتاً، فيثبت ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف، ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه مانفاه عن نفسه... فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١٢٩٣)"(١٢٩٤).

ويؤكد ابن القيم ماذهب إليه شيخه من بيان منهج السلف في توحيد الأسماء والصفات، فيقول:

"فلم يصفوه إلاّ بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً ولا معنى؛ بل أثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات"(١٢٩٥).

قال حافظ حكمي: "وجل عن أن يشبه الأنام في ذاته، أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله، لأن الصفات تابعة لموصوفها، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقات"(١٢٩٦).

فالذات ليست كالذوات وكذلك الصفات، فتسمية الله "عالماً" لا توجب مماثلة علم الله لعلم العبد(١٢٩٧).

(١٢٩٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢٤٨/١، ٢٥٩، ٢٦٠).

(١٢٩٣)سورة الشورى الآية:١١.

(١٢٩٤)التدمرية لابن تيمية، تحقيق د/محمد السعوي صـ٦-٨، مكتبة العبيكان الرياض١٤٠٥هـ.

(١٢٩٥)مختصر الصواعق المرسلة (٢١٥/١ -٢١٧).

(١٢٩٦)معارج القبول (٢٠٩/١).

(١٢٩٧)انظر: دلائل التوحيد للقاسمي صـ٥٤، وطرق إثبات لفضل الله قادم صـ٢٤٩.

ولا تجد في منهج السلف في إثبات الصفات بمعانيها الكمالية اللائقة بجـلال الله وعظمته تفريقاً بين صفات الباري سبحانه من حيث الإثبات، كما يفرق غيرهم من أهل الكلام النفاة للصفات، والمثبتين لبعضها؛ بل يعتقدون ثبوت كل ما أثبـت الله لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم؛ على الوجه المـراد لله تعـالى كمالاً لا نقص فيه.

وينفون كل ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسول صلى الله عليـه وسـلم، لأنه نقص يتنزه الله عنه، وفي نفيه إثبات لكمال في ضده، ويسكتون عما سكت الله عنه ورسوله، وهذا هو المنهج التوقيفي في تلقي التوحيد **يقول ابن عثيمين:**"ونرى أن السير على هذا الطريق فرض لابد منه، وذلك لأن ما أثبته الله لنفسه، أو نفـاه عنها سبحانه فهو خبر أخبر الله به عن نفسه، وهو سبحانه أعلم بنفسه، وأصـدق قيلاً، وأحسن حديثاً، والعباد لا يحيطون به علماً.

وما أثبته له رسوله، أو نفاه فهو خبر أخبر به عنه، وهو أعلم الناس بربه، وأنصح الخلق، وأصدقهم وأفصحهم، ففي كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليـه وسلم كمال العلم والصدق، والبيان، فلا عذر في رده، أو التردد في قبوله"(١٢٩٨).

وقد سار على هذا المسلك السلفي جمهور أهل الحديث، وقـدماء الأشـاعرة كأبي الحسن الأشعرى والباقلاني والإمام الجـويني علـى اخـتلاف فـي النقـل عنه(١٢٩٩)، والإمام البيهقى وغيرهم(١٣٠٠).

ب- المسلك الثاني: تفويض الكيف ونفي المعنى الظاهر

وأصحاب هذا المسلك نظروا في الصفات الإلهية على قاعدة التنزيه ونفـي النقص عنه تعالى، وإثبات معاني الكمال والجلال، فأشكلت عليهم نصوص الوحي التي تحدثت عن الذات الإلهية و أوصافها العلية، فقسموها إلى أقسام سبق الإشارة

(١٢٩٨)مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين المجلد الثالث فتاوى العقيدة صـ٢٣٦.

(١٢٩٩) ذكر ذلك ابن تيمية وأحال على الإرشاد إلى قواطع الاعتقاد للجويني. انظر: درء تعـارض العقـل والنقـل (٢٤٩/٥). وكتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني، صـ١٥٥، طبعة خانجي، ١٣٦٩هـ.

(١٣٠٠) انظر: رسالة " التفويض في صفات الله تعالى بين السلف والخلف" لعايد إبراهيم صـ٣٨.

إليها، منها صفات ذات و صفات فعل، أو صفات نفسية وصفات معنويـة...الـخ التقسيمات.

ثم بعد هذه التقسيمات ذهب أصحاب هذا المسلك في الإثبات إلـى أن مـن الصفات ما يوهم التشبيه وهي ماعدا الصفات السبع الذاتية العقلية، مـن صـفات الذات أو الفعل الخبرية، فطلبوا التنزيه بطرق كلامية وعقليـة، مخالفـة لمـنهج السلف(١٣٠١).

وكان التفويض مع نفي المعنى الظاهر(١٣٠٢)، هو أحد هذه الطـرق، وعـد هؤلاء الآيات التي نفوا ظاهر معاينها، ثم فوضوا المراد بها إلى ا تعالى، عـدوا آيات و أحاديث الصفات الخبرية الذاتي منها والفعلي الاختياري، من قبيل المتشابه الذي استاثر ا بمعناه، ولا يعلمها سواه، وجمهور المتكلمين عموماً من أشـاعرة وماتريدية ومن وافقهم ينهجون هذا النهج، ويسلكون هذا السـبيل فـي نصـوص الصفات، ومن أبرز من نصر هذا المسلك وقعد وأسهب في التأصيل لـه الفخـر الرازي في تفسيره(١٣٠٣)، وفي كتابه أساس التقديس(١٣٠٤)، والذي خصصه لمناقشة نصوص الصفات وتأويلها، وناقش بإسهاب موضوع المحكم والمتشـابه، جـاعلاً

(١٣٠١) قال المقريزي: "ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي، ووقف على الآثار السلفية؛ علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضي ا عنهم على اخـتلاف طبقـاتهم وكثـرة عددهم، أنه سأل رسول ا صلى ا عليه وسلم عن معنى شيئ مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمـة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه صلى ا عليه وسلم، بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكـلام فـي الصفات، نعم ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات، أو صفة فعل، وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية، من العلم والقدرة والحياة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والجلال والإكـرام، والجـود والإنعـام، والعـز والعظمة، وساقوا الكلام سوقاً واحداً، وهكذا أثبتوا رضي ا عنهم، ما أطلقه ا سبحانه على نفسه الكريمـة من الوجه واليد ونحوذلك، مع نفي مماثلة المخلوقين، فأثبتوا رضي ا عنهم بلا تشبيه، ونزهوا مـن غيـر تعطيل، لم يتعرض مع ذلك أحد منهم إلى شيئ من هذا. ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية ا تعالى وعلى إثبات نبوة محمد صلى ا عليه وسلم سوى كتـاب ا ، ولا عرف أحد منهم الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة" الخطط والآثار، (٣٥٦/٢) مطبعة بولاق.

(١٣٠٢) وهذا من التأويل بمعنى صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر قريب يحتمله اللفظ لغة.

(١٣٠٣) الموسوم بـالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (١٥٠/٧) وما بعدها.

(١٣٠٤) أساس التقديس في علم الكلام (٦٧/١-١٣٠) مؤسسة الكتب الثقافية، بيـروت، الطبعـة الأولـى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

الدليل العقلي القاطع هو معيار الإحكام والتشابه في الآيات، وهو القانون الأصلي لمعرفة الصفات؛ وبيان كونها من المتشابه – فيما عدا السبع العقلية - وكانت خلاصة رأيه أن الآية والخبر تصير متشابهة، ويجب عدم اعتقاد ظاهرها بتأويل أو تفويض – إذا عارضها الدليل العقلي القاطع(١٣٠٥)، ومن عبارته الموضحه لمذهبه الذي قرر آنفاً قوله:

"فثبت بما ذكرنا أن صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح لا يجوز إلّا عند قيام الدليل القاطع على أن ظاهره محال ممتنع، فإذا حصل هذا المعنى فعند ذلك يجب على المكلف أن يقطع بأن مراد الله تعالى منه ذا اللفظ ليس ما أشعر به ظاهره، ثم عند هذا المقام من جوز التأويل عدل إليه، ومن لم يجوزه فوض علمها إلى الله تعالى وبالله التوفيق"(١٣٠٦).

وزعم الرازي في كتابه التقديس أن التفويض على هذه الطريقة هو مذهب السلف(١٣٠٧) فقال: "حاصل هذا المذهب أن هذه المتشابهات يجب القطع فيها بأن مراد ا تعالى منها شئ غير ظواهرها، ثم يجب تفويض معناه إلى ا تعالى، ولايجوز الخوض في تفسيرها لإجماع الصحابه على عدم التأويل لها، ولزوم الوقف على ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾(١٣٠٨)"(١٣٠٩).

(١٣٠٥) انظر: أساس التقديس في علم الكلام(١٣٧/١)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (٣/ ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦).

(١٣٠٦) أساس التقديس في علم الكلام(١٣٧/١).

(١٣٠٧) وليس هذا محل تسليم، بل تعقبه ابن تيمية في كتاب كامل موسوم بـ "نقض أساس التقديس" ويسمى " بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية" أو "نقض تأسيس الجهمية" والمطبوع منه جزآن بتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة – مكة المكرمة – ١٣٩١هـ، وأجزاء الكتاب الباقية مازالت مخطوطة.

ويظهر لي وا أعلم أن تفويض السلف في معاني الصفات كان مرادهم به عدم تجويز الخوض في تفاصيل المعنى، والتعمق فيها على طريقة المتكلمين وأهل الجدل، التي لا دليل لهم فيها سوى التقول دون نص أو أثر، ومستندهم فيها العقل، فالإمساك عن هذا وتفويضه تعالى هو الأسلم، فكان تفويضهم مع إثبات ما أثبت ا لنفسه من صفات لها معاني لائقة به سبحانه وتعالى، لا كما فوض الإمام الرازي ومن وافقه من المؤولة والمتكلمين؛ تفويضاً نفوا فيه إرادة ا للمعاني الظاهرة في نصوص الصفات والتي توهموها مشابهة للمخلوقات والمحدثات، ثم فوضوا بعد أن خاضوا في النفي بلا دليل سوى معقولاتهم هم، التي جعلوها أصولاً حاكمة في هذا الباب، وفي المسلك الثالث للمفوضة مزيد بيان.

(١٣٠٨) سورة آل عمران من الآية:٧.

(١٣٠٩) أساس التقديس(١٣٨/١،١٣٧).

ووافق الرازى على اعتبار هذا النوع من الصفات، والأخبار الواردة فيها من قبيل المتشابه جمع من أهل العلم المحققين كالإمام ابن قدامة المقدسـي الحنبلـي موفق الدين[١٣١٠]، والإمام السيوطي الشافعي[١٣١١]، والإمام الكرمي مرعـي بـن يوسف الحنبلي[١٣١٢]، والإمام الزركشي[١٣١٣]، وغيرهم[١٣١٤].

وإن كانت طريقتهم في فهمها والتعامل معها مختلفـة عـن طريقتـه، كمـا سيوضحه الباحث من خلال نقولات مفصلة عنهم عند الحديث على المسلك الثالث من مسالك التفويض.

قال مرعي بن يوسف الكرمي: "اعلم أن من المتشابهات آيات الصفات التي التأويل فيها بعيد، فلا يؤول ولايفسر، وجمهور أهل السنة، وأهل الحـديث علـى الإيمان بها، وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها"[١٣١٥].

ج – المسلك الثالث: تفويض الكيف والمعنى دون نفي الظاهر

(١٣١٠) روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي (٦٤- ٦٥)، دار الكتاب العربى – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

(١٣١١) انظر: الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (١٣/٢).

(١٣١٢) في كتاب أفرده لهذا الخصوص بعنوان " أقاويل الثقات في تأويـل الأسـماء والصـفات والآيـات المحكمات والمتشابهات" انظر: صـ(٥٥، ٥٩، ٦٥، ٦٧) تحقيق شعيب الأرنـاؤوط، مؤسسـة الرسـالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

(١٣١٣) انظر: البرهان في علوم القران لبدرالدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمـد أبوالفضـل إبراهيم، (٧٦/٢- ٨٩) طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة – الطبعة الثانية.

(١٣١٤) كالزرقاني في مناهل العرفان (٢/ ١٧٠ ومابعدها) دار إحيا الكتب العربية، عيسى البابي الحلبـي– القاهرة. وصبحي الصالحي في مباحث في علوم القران (٢٨٣ – ٢٨٦)، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الثامنة.

(١٣١٥) وإلى هذا ذهب جمع من المعاصرين كالبوطي في كتابه كبرى اليقينيات الكونية، د/ محمـد سـعيد رمضان البوطي، صـ١٣٧، دار الفكر المعاصر، الطبعة التاسعة ١٤١١هـ. وعبد الرحمن بن حسن حبنكـة الميداني في كتابه العقيد الإسلامية وأسسها صـ ٢٤٦ ومابعدها دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعـة، ١٩٨٦م. ود/فاروق الدسوقي في كتابه محاضرات في العقيدة الإسلامية صـ٨١، دار الدعوة، الاسكندرية.

وأصحاب هذا المسلك يرون إمرار الصفات كما وردت بها النصوص، مع التسليم الإجمالي دون خوض أو تعمق أو تعرض لمعناها ولا يجوز صرف ظواهرها بالتأويلات، وينسب كثير من العلماء الأقدمين كالنووي وغيره(١٣١٦) وكثير من الباحثين المعاصرين(١٣١٧) هذا المسلك للسلف(١٣١٨) وذهب إليه الأشاعرة والماتريدية في قول معتبر عندهم(١٣١٩).

ونقف على بعض أقوال الأئمة الذين يرون صحة وسلامة هذا النهج في الصفات المختلف فيها بين طوائف أهل القبلة سلفهم وخلفهم، محدثيهم والمتكلمين منهم:

قال علي بن المديني: " ثم تصديق بالأحاديث والإيمان بها، لا يقال كيف؟ ولم؟ وإنما هو التصديق بها والإيمان بها، وإن لم يعلم تفسير الحديث ويبلغه عقله، فقد كفي (وأحكم عليه الإيمان)(١٣٢٠) به التسليم"(١٣٢١).

وقال الإمام الترمذي في سننه:" والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سيفان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع، وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء، ثم قالوا نروي هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف.

(١٣١٦) كالإمام الجويني في العقيدة النظامية صـ ٣٢- ٣٣، والذهبي في سير أعلام النبلاء(٥٥٨/١٧).

(١٣١٧) انظر: رسالة ماجستير بعنوان "التفويض في صفات الله بين السلف والخلف للباحث علي عايد إبراهيم".

(١٣١٨) مع ممانعة المدرسة السلفية المعاصرة لمثل هذه النسبة تبعاً في ذلك لشيخ الإسلام بن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وتحتاج المسألة إلى مزيد عناية، وبحث استقرائي تحليلي للنصوص، إذ اختلفت قراءات الباحثين لعبارات السلف، التي بينوا فيها مواقفهم من تفسير وتأويل نصوص الصفات الواردة فيما يتعلق بأفعال الله تعالى الاختيارية وصفاته الذاتية الخبرية – لا العقلية – التي لم تدركها عقول المؤولة، وتوقفت عندها مع الإيمان بها والتصديق لها عقول المفوضة، ورأت أن الخوض فيها تمحل لا طائل من ورائه، ومحاولة لإدراك ما لا يمكن إدراكه، ولم يسمح لنا الشارع به، بل يرى أصحاب هذا التوجه أن مدرسة ابن تيمية ومن وافقه وتابعه قد وقعت فيما عابه السلف على المتكلمين من الخوض في تفاصيل مسكوت عنها شرعاً، ونيلها بطريق الجدل ضرب من الكلام المذموم الذي عابه السلف على المتكلمين، والإمساك عنه أولى من الخوض فيه.

(١٣١٩) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد عند شرحه لقول الناظم:

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها.

ونسبه ابن تيمية قولاً أخيراً للجويني، وطريقة للرازي والآمدي انظر: درء تعارض العقل مع النقل(٢٤٩/٥).

(١٣٢٠) هكذا وردت العبارة في الأصل المطبوع ولعل فيها سقط لارتباك صياغتها والله أعلم.

(١٣٢١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٦٥/١).

وهذا الذي اختاره أهل الحديث، أن تروى هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها. ولا تفسر، ولا تتوهم، ولا يقال كيف، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه"(١٣٢٢)

وقال ابن قدامة المقدسي: "وما أشكل من ذلك، وجب إثباته لفظاً، وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله، إتباعاً لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(١٣٢٣).

ثم روى عن الإمام أحمد بن حنبل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا"(١٣٢٤)، (وإن الله يرى في القيامة)(١٣٢٥)، وما أشبه هذه الأحاديث، نؤمن بها، ونصدق، ولا كيف، ولا معنى ولا نرد شيئاً منها، ونعلم أن ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حق، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين...)(١٣٢٦).

روى البيهقي: بسنده إلى سفيان بن عيينة قال:" كل ماوصف الله تعالى من نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته، والسكوت عليه"(١٣٢٧). **وفي رواية عنه عند**

(١٣٢٢) الجامع الصحيح سنن الترمذي، (٤ -٦٩١).

(١٣٢٣) سورة آل عمران من الآية:٧.

(١٣٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (٣٨٤/١) حديث رقم١٠٩٤، وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، (٥٢١/١) حديث رقم٧٥٨.

(١٣٢٥) لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث، وفي معناه أحاديث أخرى متواترة منها حديث جرير بن عبد الله قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنكم سترون ربكم عياناً)، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ سورة القيامة الآيات: (٢٢-٢٣). (٢٧٠٣/٦) حديث رقم ٦٩٩٨.

(١٣٢٦) انظر: متن لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد للإمام ابن قدامة المقدسي(٦،٥)، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الأول، ١٩٩٦م.

(١٣٢٧) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي (١١٨/١).

الدارقطني قال:" كل ما وصف الله به نفسه فى القرآن فقراءته تفسيره لا كيف ولا مثل"(١٣٢٨).

قال الذهبي:"وقد بث هذا الإمام – يعنى ابن عيينة – الذي لانظير له في عصره شيئاً كثيراً من أحاديث الصفات، ومذهبه فيها الإقرار والإمرار والكف عن تأويلها"(١٣٢٩).

وقال أيضاً:" قد صنّف أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي المتوفى سنه ٢٢٤هـ، كتاب "غريب الحديث"، وما تعرض لأخبار الصفات الإلهية بتأويل أبداً ولا فسر منها شيئاً، وقد أخبر بأنه ما لحق أحداً يفسرها، فلو كان والله تفسيرها سائغاً حتماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بذلك فوق اهتمامهم بأحاديث الفروع والآداب، فلما لم يتعرضوا لها بتأويل، وأقروها على ما وردت عليه علم أن ذلك هو الحق الذي لاحيدة عنه"(١٣٣٠).

وقال أيضاً:" فهذا المنهج – أي التفويض الإجمالي– هو طريق السلف، وهو الذي أوضحه أبو الحسن وأصحابه، وهو التسليم لنصوص الكتاب والسنة، وبه قال ابن الباقلاني، وابن فورك(١٣٣١) والكبار إلى زمن أبي المعالي(١٣٣٢).

وقال الماتريدي عند كلامه على صفة الاستواء:" و أما الأصل عندنا في ذلك أن الله تعالى قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١٣٣٣). فنفى عن نفسه شبه خلقه، وقد بينا أنه في فعله وصفته متعال عن الأشباه، فيجب القول بـ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

(١٣٢٨) الصفات لعلي بن عمر الدارقطني، تحقيق: عبد الله الغنيمان،(٤١/١)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

(١٣٢٩) مختصر العلو للإمام الذهبي ص١٣٩، إختصار الألباني، المكتب الإسلامى بيروت.

(١٣٣٠) سير أعلام النبلاء (٥٥٨/١٧).

(١٣٣١) ابن فورك هو: أبو بكر محمد بن فورك الأصبهاني، زاهد عابد شافعي المذهب، أصولي متكلم، توفي سنة ٤٠٦هـ. انظر: العبر (٢١٣/٢)، شذرات الذهب (١٨١/٣).

(١٣٣٢) سير أعلام النبلاء (٥٥٨/١٧).

(١٣٣٣) سورة الشورى من الآية:١١.

اسْتَوَى [١٣٣٤].على ماجاء به التنزيل، وثبت ذلك في العقل ثم لا نقطع تأويله على شيء لاحتماله غيره مما ذكرنا، واحتماله أيضاً مالم يبلغنا مما يعلم أنه غيـر محتمـل شـبه الخلق، ونؤمن بما أراده ا به، وكذلك في كل أمر ثبت التنزيل فيه"[١٣٣٥].

(١٣٣٤) سورة طـه الآية:٥.

(١٣٣٥) التوحيد لأبي منصور الماتريدي، تحقيق: د. فتح ا خليف، صـ٧٤، دار الجامعات المصرية – الإسكندرية.

وهؤلاء الأئمة دفعهم نقص العلم، ومحدودية الإدراك، وخوف الخطـأ فـي جانب خطاب الوحي إلى هذا التسليم، والتفويض **قال الخطابي(١٣٣٦) عند حديثـه عن قوله صلى ا عليه وسلم: (يكشف ربنا عن ساقه)(١٣٣٧):** "هذا الحديث مما تهيب القول فيه شيوخنا، فأجروه على ظاهر لفظه، ولم يكشفوا عن باطن معنـاه، على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لايحيط العلـم بكنهـه مـن هـذا الباب"(١٣٣٨).

وقال عند حديثه عن حديث أنس: (لاتزال جهنم تقول: هل من مزيـد حتـى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط...)(١٣٣٩).

فيشبه أن يكون من ذكر القدم و الرجل أو ترك الإضافة إنما تركها تهيباً لها وطلباً للسلامة من خطأ التأويل فيها، وكان أبوعبيدة وهو أحد أئمة أهل العلم يقول: "نحن نروي هذه الأحاديث ولا نُزيغ لها المعاني".

قال الخطابي معلقاً: ونحن أحرى بأن لا نتقدم فيما تأخر عنه، هو أكثر علماً، وأقدم زماناً وسناً"(١٣٤٠).

قال البيهقي: "أما المتقدمون من هذه الأمة فإنهم لم يفسـروا ماكتبنـا مـن الآيتين(١٣٤١) والأخبار في هذا الباب، مع اعتقادهم بأجمعهم أن ا تبارك وتعـالى واحد لايجوز عليه التبعيض"(١٣٤٢). وعند حديثه عن حديث النزول قـال:"وهـذا

(١٣٣٦) هو أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي ، الحافظ اللغوي الفقيه المحدث ، المتوفى سنة ٣٨٨هـ .سير أعلام النبلاء (٢٣/١٧ـ ٢٨) ، طبقات الشافعية للاسنوي ترجمة رقم ٤٢٠/ ،صـ ١٥٠.

(١٣٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب التفسير، باب (يوم يكشف عن ساق) (١٨٧١/٤) حـديث رقـم ٤٦٣٥.

(١٣٣٨) الأسماء والصفات للبيهقي (٨٠/٢).

(١٣٣٩) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك، كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة ا وصفاته وكلماته (٢٤٥٣/٦) حديث رقم٦٢٨٤.

(١٣٤٠) الأسماء والصفات للبيهقي (٨٦/٢).

(١٣٤١) ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سـورة الزمـر الآية:٦٧ ، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ سورة الحاقة الآيات: (٤٤-٤٦) .

(١٣٤٢) الأسماء والصفات (٦٢/٢).

حديث صحيح رواه جماعة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم... ولم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله"(١٣٤٣).

وقال الإمام الجويني: "وقد اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة، وامتنع على أهل الحق اعتقاد فحواها، وإجراؤها على موجب ماتبتدره أفهام أرباب اللسان منها، فرأى بعضهم تأويلها والتزام هذا المنهج في آي الكتاب، وما يصح من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب تعالى، والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقلاً: اتباع سلف الأمة، فالأولى الاتباع، وترك الابتداع، والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة.

وقد درج صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي عنهم: على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها وهم صفوة الإسلام، والمستقلون بأعباء الشريعة.

وكانوا لايألون جهداً في ضبط قواعد الملّة، والتواصي بحفظها وتعليم الناس مايحتاجون إليه منها. فلوكان تأويل هذه الآي والظواهر مسوغاً، ومحتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة.

وإذا انصرم عصرهم، وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك قاطعاً بأنه الوجه المتبع، فحق على ذي دين: أن يعتقد تنّزه الباري عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويكلَ معناها إلى الرب تبارك وتعالى"(١٣٤٤).

(١٣٤٣) الأسماء والصفات صـ٤١٦.

(١٣٤٤) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية لعبد الملك الجويني، تحقيق أحمد حجازي السقا صـ ٣٢-٣٣، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة – الطبعة الأولى بدون رقم.

وقال الإمام أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري(١٣٤٥) المعروف بالمتولي الشافعي في معرض رده على المجسمة والمشبهة: " فإن استدلوا بظواهر الكتاب والسـنة مثـل قوله سبحانه وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (١٣٤٦)، وقوله تعالى في قصـه عيسـى عليه السلام: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (١٣٤٧). وقوله سبحانه وتعـالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ (١٣٤٨)، ومثل قوله عليه الصلاة والسلام:"ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلـى السماء الدنيا"(١٣٤٩)، وغير ذلك من الآيات والأخبار، فلأصحابنا فـي ذلـك طريقـان: أحدهما: الإعراض عن التأويل والإيمان بها كما جاءت، والإيمان بها صحيح وإن لـم يعرف معناها، كما أن إيماننا بجميع الأنبياء والملائكة صلوات الله عليهم والكتب المنزلة من الله تبارك وتعالى صحيح؛ وإن لم يعرف شيئاً من ذلك، وإيماننا بالحروف المقطعـة في أوائل السور صـحيح؛ وإن لـم نعـرف معناهـا وهـذا الطريـق أقـرب إلـى السلامة..."(١٣٥٠).

وقال أبو المعين النسفي:"... فإما أن نؤمن بتنزيلها ولا نشتغل بتأويلها على ماهو اختيار كثير من كبراء الأمة وعلماء أهل الملة، وإما أن تصرف إلى وجـه من التأويل يوافق الاية..."(١٣٥١).

وقال الإمام النووي: عند كلامه على حديث الجاريـة:"هـذا الحـديث مـن أحاديث الصفات، وفيها مذهبان تقدم ذكرهما مرات في كتاب الإيمان:

(١٣٤٥) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد، واسمه مأمون بن علي، وقيل إبراهيم المعروف بالمتولي، الفقيه الشافعي النيسابوري، ولد سنة ٤٢٦هـ، أو ٤٢٧ هـ، جمع بين العلم والدين وحسن السيرة وقوة المناضـرة، توفي سنة ٤٧٨هـ ببغداد، انظر: طبقات الشافعية للسبكي(١٠٦/٥- ١٠٩)، شذات الذهب (٣٥٨/٣)، سـير أعلام النبلاء(٢٨٢/١١).

(١٣٤٦) سورة طـه الآية:٥

(١٣٤٧) سورة آل عمران من الآية:55

(١٣٤٨) سورة النحل من الآية:٥٠.

(١٣٤٩) سبق تخريجه.

(١٣٥٠) الغنية في أصول الدين صـ ٧٥-٧٦.

(١٣٥١) التمهيد لقواعد التوحيد لأبي المعين ميمون بن محمد النسفي، تحقيـق: حبيـب الله حسـن أحمـد، صـ١٦٣،١٦٢، دار الطباعة المحمدية القاهرة، بدون رقم ولا تاريخ.

أحدهما: الإيمان به من غير خوض في معناه مع اعتقاد أن الله تعالى ليس كمثله شيء، وتنزيهه عن سمات المخلوقين.

والثاني: تأويله بما يليق به، فمن قال بهذا قال: كان المراد إمتحانها هل هي موحدة تقر بأن الخالق المدبر الفعال هو الله وحده، وهو الذي إذا دعاه الداعي استقبل السماء، كما إذا صلى المصلي استقبل الكعبة، وليس ذلك لأنه منحصر في السماء كما أنه ليس منحصراً في جهة الكعبة، بل ذلك لأن السماء قبلة الداعين، كما أن الكعبة قبلة المصلين.أو هي من عبدة الأوثان العابدين للأوثان التي بين أيديهم، فلما قالت في السماء علم أنها موحدة، وليست عابدة للأوثان"(١٣٥٢).

وقال في موضع آخر:"اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين، أحدهما: وهو مذهب معظم السلف أو كلهم، أنه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها، ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله وعظمته، مع اعتقادنا الجازم أن الله ليس كمثله شيء، وأنه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة، وعن سائر صفات المخلوق، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين، واختاره جماعة من محققيهم، وهو أسلم"(١٣٥٣).

وقال ابن حجر: "وقال ابن دقيق العيد:"نقول في الصفات المشكلة إنها حق وصدق على المعنى الذي أراده الله، ومن تأولها نظرنا: فإن كان تأويله قريباً على مقتضى لسان العرب لم ننكر عليه، وإن كان بعيداً توقفنا عنه، ورجعنا إلى التصديق مع التنزيه"(١٣٥٤).

وقال ابن حجر أيضاً:"المنزهون إما ساكت - أي مفوض – وإما مؤول"(١٣٥٥).

ونقل الذهبي في السير عن مالك قوله في أحاديث الصفات:" أمرها كما جاءت بلا تفسير".

(١٣٥٢) صحيح مسلم بشرح النووي(٢٤/٥).

(١٣٥٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٩/٣).

(١٣٥٤) فتح الباري (٣٨٣/١٣).

(١٣٥٥) فتح الباري (١٣/ ٣٩٩).

وقال الذهبي:"فقولنا في ذلك وبابه الإقرار، والإمرار، وتفويض معناه إلى قائله الصادق المعصوم"(١٣٥٦).

ثانياً: منهج الإثبات للصفة مع التأويل

أشكلت آيات الصفات الخبرية المتعلقة بذات الله تعالى وصفاته على طوائف من أهل القبلة، ويرى أصحاب التأويل أن السبيل إلى التوفيق بين نصوص الوحي القاطعة بالتنزيه لله تعالى عن مثلية خلقه والتنزيه له عن سائر النقائص وبين نصوص الوحي التي يوهم ظاهرها التشبيه لا يكون له سبيل إلا التفويض أو التأويل ومسلك التأويل أسلم عند هؤلاء الذين توهموا التشبيه في أخبار الصفات - محل التأويل - ونهجوا نهجاً عقلياً قدموا فيه دلالات العقل التي يرونها قطعية - على دلالات نصوص الوحي التي يرونها مترددة بين القطع وبين الظن، فما وافق العقل أخذوا به وما تعارض مع العقل أولوه بما يتفق والمعقول عندهم وكانت عقولهم هي مرجع التعارض ومرجع التوافق وما من شك أن أصحاب هذا النهج وهم عامة المتكلمين كانت لأقوال الفلاسفة وطرقهم أثر بارز على تأويلاتهم وطريقتهم في التعامل مع النص الشرعي وفق موازين عقلية وضعوا قواعدها وافترضوا قطعيات هي محل خلاف بينهم أنفسهم.

ونتناول التأويل بمعانيه اللغوية والاصطلاحية في الآتي:

١ - **التأويل لغة:** من آل الشيء يؤول أولاً، بمعنى: يرجع ويصير، فالأول بهذا المعنى هو الرجوع(١٣٥٧).

ويأتي بمعنى الصيرورة ومنه قولهم: آل القطران(١٣٥٨) يؤول أولاً إذا خثُر(١٣٥٩) وكل استعمالات مادة"أول" تفيد معنى الرجوع والعود(١٣٦٠).

(١٣٥٦) سير أعلام النبلاء (١٠٥/٨).

(١٣٥٧) انظر: لسان العرب، باب الألف مع اللام، (٣٢/١١ وما بعدها)، مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، باب الهمزة، (١٣/١)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(١٣٥٨) والقطران: مادة تطلى بها الإبل لمداواتها، وهو عصارة شجر معروف، وفيه خثورة، يداوى به دبر البعير، ولا يطلى به الجرب، وشجره ينبت في جبال الشام يقال له العرعر.لسان العرب (١٤٤/٧).

(١٣٥٩) الخثور ضد الرقة وقد (خثر اللبن) بالفتح يخثر بالضم وقال الفراء: خثر بالضم لغة فيه قليلة، قال: وسمع الكسائي خثر بالكسر انظر: لسان العرب (٢٣٠/٤)، مختار الصحاح صـ٧٢.

ويطلق التأويل في الاصطلاح على ثلاثة معاني:

الأول: التأويل بمعنى التفسير، أي تفسير ألفاظ القرآن الكريم وبيان معانيها كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه لابن عباس: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)(١٣٦١).

الثاني: التأويل بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كحدوث المخْبر عنه ووقوعه في وقته الخاص، كما في قول يوسف عليه السلام فيما يحكيه عنه الله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (١٣٦٢) وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ (١٣٦٣) أي: وقوعه وحدوثه وحصوله.

الثالث: التأويل عند المتكلمين وعلماء الأصول: هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى لغوي محتمل بدليل(١٣٦٤).

وهذا الأخير من المعاني هو الذي وقع فيه الخلاف في باب الأسماء والصفات؛ لأن القائلين به جعلوا منه السائغ، وهو المبني على دليل راجح، ومنه الفاسد الذي بني على دليل مساو أو مرجوح(١٣٦٥).

ثم بعد هذا التقعيد حصل الخلاف الشديد في الأدلة ذاتها إذ رأت كل فرقة أخذت بمسلك التأويل أن ما هي عليه من أدلة صارفة موجبة للتأويل هي أدلة قوية راجحة حتى بلغ الأمر من الفساد أن دخل التفسر الباطني الكفري على نصوص

(١٣٦٠) انظر: تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، (٣١٤/١٥)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.

(١٣٦١) أخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن عباس (١ /٢٦٦) حديث رقم ٢٣٧٩، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم. وأخرجه الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس، وعلق الذهبي في التلخيص وقال: صحيح، (٣ /٦١٥) حديث رقم ٦٢٨٠.

(١٣٦٢) سورة يوسف من الآية: ١٠٠.

(١٣٦٣) سورة الأعراف من الآية: ٥٣.

(١٣٦٤) انظر: الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانية (٣٧٤/١).

(١٣٦٥) انظر: حاشية العلامة التفتازاني على مختصر المنتهى، للإمام ابن الحاجب المالكي، (٢/ ١٦٩) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ.

الشريعة ولم تتنزه عنه إلا بسد ذريعة التأويل للنصوص الشرعية إلا بموجب شرعي قاطع متفق عليه وهو لا يخرج عن الدليل العقلي الصريح القطعي وهذا عند أصحابه لا يعتبر صرفاً للظاهر لأن السياق دل على عدم إرادته ابتداء ولم يبتدر إلى العقول أي معنى فاسد ولذلك يعد هذا تفسيراً لا تأويلاً(١٣٦٦).

وكثير من النصوص التي وردت وفي ظاهرها ما يوهم النقص وأولها السلف بحسب سياقها، هي ليست من آيات الصفات ابتداء وتأويل السلف لها هو تفسير للمراد بها(١٣٦٧) كحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟!)(١٣٦٨) فهذا الحديث صريح في دلالته على مراد الله به من أن المرض أصاب عبداً من عباد الله، والجوع والاستطعام والظمأ والاستسقاء كذلك صادر من العبد كما وضحه منطوق الحديث وإنما كانت الإضافة الأولى إلى الله تعالى للترغيب والحث على فعل القربة والطاعة على حد قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾(١٣٦٩).

وبهذا يكون التأويل عبارة عن قاعدة من قواعد درء التعارض المتوهم - عند القائلين بوقوعه - بين نصوص الشرع وأدلة العقل وفيه توجيه للنصوص الشرعية بما يتفق ومدارك عقول المؤولين الذين أشكلت عليهم نصوص الصفات المتعلقة بالذات الإلهية، ولا تختلف طريقة المتكلمين في التقعيد وإن اختلفت في

(١٣٦٦) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لابن عثيمين، ص٤٢، وما بعدها.

(١٣٦٧) انظر: القواعد المثلى ص٦٠، مجموع الفتاوى (٦/ ١٣-١٥)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/١١٤٦-١١٦٣) وقد أطال من النقل عن ابن تيمية في بيان النصوص التي ليست دالة على الصفات وإن كان ظاهرها الصفة، بل السياق قاض بأنها لا تدل على صفة الله تعالى لأن صفات الباري كمالية جلالية لا نقص فيها.

(١٣٦٨)أخرجه مسلم في صحيحه، من حديث أبي هريرة، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض،(٤/١٩٩٠) حديث رقم٣٥٦٩.

(١٣٦٩) سورة الحديد من الآية:١١.

التطبيق والتمثيل، فالتأويل يعد قانوناً كلياً عند عامة المتكلمين من معتزلـة ومـن وافقهم وأشاعرة وماتريدية بل حتى غلاة الفلاسفة.

قال القاضي عبد الجبار من المعتزلة:"وإذا ورد في القرآن آيـات تقتضـي بظاهرها التشبيه وجب تأويلها لأن الألفاظ معرضة للاحتمال ودليل العقل بعيد عن الاحتمال"[(١٣٧٠)].

وهذا المسلك عند المعتزلة في نصوص القرآن الكريم وهو فـي نصـوص السنة أولى؛ إذا يقدمون دلالات عقولهم على النقل، ويأخذون بالتأويل إذا ساعدتهم اللغة وإن لم فقواعدهم في هذه قاضية برد النص إلى مقررات المعقول لديهم.

ولم يفرق المعتزلة بين نصوص القرآن الكريم من حيث المحكم والمتشـابه في دلالتها على مسائل العقيدة عموماً والأسماء والصفات خصوصاً لأن الجميـع محمله في الفهم على أدلة العقول.

يقول القاضي عبد الجبار:"...لأن محكمه ومتشابهه سواء في أنهما لا يدلان وفي أن الواجب على المكلف عرضهما على دليل العقول، وإذا وجب ذلك فيهمـا حملنا ما يمكن إيفاء الحقيقة حقها على حقيقته، وما لا يمكن أن نوفيه حقه حملنـاه على مجازه المعروف"[(١٣٧١)].

التأويل عند الأشاعرة والماتريدية:

قال الجويني في الإرشاد:" ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين والعين والوجـه صفات ثابتة للرب تعالى والسبيل إلى إثباتها السمع دون قضية العقل، والذي يصح

(١٣٧٠) المحيط بالتكليف صـ ٢٠٠، وانظر: المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين محمد بن علي بن علـي بن الطيب البصري المعتزلي، (١/ ١٥٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ.

(١٣٧١) المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي أبي الحسن بن أحمد بن الخليل المعروف بعبـد الجبـار ت:٤١٥هـ، قدم نصه إبراهيم الإبياري بإشراف طه حسين، (٣٩٥/١٦)، مطبعة دار الكتب العلمية، الطبعـة الأولى، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

عندنا حمل اليدين على القدرة وحمل العينين على البصر وحمل الوجه على الوجود"[1372].

وهذا أول قولي الجويني، وعليه درج المتأخرون من الأشاعرة، وكثير من أهل التحقيق عليه[1373].

قال أبو المعين النسفي الماتريدي: "إن هذه الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة المروية، التي يوهم ظاهرها التشبيه، وكون الباري تعالى جسماً متعبضاً متجزئاً، كانت كلها محتملة لمعاني وراء الظاهر، والحجج المعقولة غير محتملة، والعقول من أسباب المعارف، وهي حجة الله تعالى، وفي حمل هذه الآيات على ظواهرها... إثبات المناقضة بين الكتاب والدلائل المعقولة، وهي كلها حجج الله تعالى، ومن تناقضت حججه فهو سفيه جاهل... والله تعالى حكيم لا يجوز عليه السفه... فحمل تلك الدلائل السمعية على ظواهرها كان محالاً ممتنعاً"[1374].

ويقول النسفي في موضع آخر:"إن حمل الآيات علي ظواهرها والامتناع عن صرفها إلى ما يحتمله من التأويل يوجب تناقضاً فاحشاً في كتاب الله تعالى... فلا يجوز أن يفهم مما أضيف من الألفاظ إلى الله تعالى ما يستحيل عليه، ويجب صرفه إلي ما لايستحيل عليه، أو تفويض المراد إليه"[1375].

وهذا المنقول عن النسفي يعتبر اتجاهاً عند الماتريدية، ولهم اتجاه آخر حكاه النسفي وسبق بيانه ونقله في مسلك التفويض، الذي يراه جمع من أشياخ الماتريدية

(١٣٧٢) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للإمام الجويني صـ ١٥٥.

(١٣٧٣) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد صـ ٥٤، الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانية (٢٦٢/١)، والصفات الخبرية للسميري في الفصل الثاني الذي بين فيه منهج متأخري الأشاعرة في الصفات الخبرية من صـ١٩٣- ٢١٩، وأفاض فيها من النقول التفصيلية لتأويلات الجويني والغزالي كنموذج لما عليه المتأخرون من الأشاعرة في التقعيد والتمثيل، فليراجع.

مع التنبه أن الباحث لم يشر إلى ما انتهى إليه الجويني في آخر أقواله المثبتة في الرسالة النظامية، والتي نقل فيها إجماع السلف على أن التأويل ليس بسائغ ولا واجب.

(١٣٧٤) تبصرة الأدلة مخطوط لوحة رقم (٧٧-٧٨) نقلاً عن د/ عبد الفتاح أحمد فؤاد، في كتابه الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانية (٣٧٥/١).

(١٣٧٥) تبصرة الأدلة لوح رقم (١١٠) وما بعدها، نقلاً عن الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانية (٣٧٥/١).

هو الأليق والأسلم عموماً، ويفصل بعضهم ويقول: إن التاويل أليق بالعلماء مـن أهل النظر والاستدلال، والتفويض أليق بالعوام(١٣٧٦).

ثالثاً: منهج الإثبات للصفة مع التشبيه

وأصحاب هذا المنهج هم الذين شبهوا صفات ا تعالى بصـفات خلقـه أو شبهوا ذاته العلية بذواتهم.

وتقوم عقيدة أهل التمثيل على دعوى أن ا عز وجل لا يخاطبنـا إلا بمـا نعقل، فإذا أخبرنا عن اليد فنحن لا نعقل إلا هذه اليد الجارحة، فشـبهوا صـفات الخالق بصفات المخلوقين، وخاضوا فيما تشابه من آيات القرآن الكريم، فاستوقفتهم ظواهرها وحرفيتها، وأعرضوا عن المحكم، وفهم السلف، وأدى بهم عدم المعرفة بحسن التأويل وجهلهم بمعاني الآيات والأحاديـث، إلـى التشـبيه بـين الخـالق والمخلوقفي الصفات، وقاسوا ما ألفوه من صفاتهم على صـفات ا تعـالى فمـا شاهدوه في أنفسهم وما عرفوه من أحوالهم أطلقوه على ا تعالى(١٣٧٧).

ومع ما وقع فيه المشبهة من بدعة مغلظة وزلل واضح إلا أنهم لا يمثلـون الخالق بالمخلوق من كل وجه، بل قالوا بالتماثل من وجه والاختلاف من وجه،

قال ابن تيمية:"مع أن مقالة المشبهة الـذين يقولـون: يـد كيـدي، وقـدم كقدمي،وبصر كبصري،مقالة معروفة، وقد ذكرها الأئمة كيزيد بن هارون وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه وغيرهم، وأنكروها وذموها ونسبوها إلى مثـل داود الجواربي البصري وأمثاله ولكن مع هذا صاحب هذه المقالة لا يمثله بكل شـيء من الأجسام بل ببعضها، ولا بد مع ذلك أن يثبتوا التماثل من وجه، لكن إذا أثبتوا من التماثل ما يختص بالمخلوقات كانوا مبطلين على كل حال"(١٣٧٨).

(١٣٧٦) انظر: تبصرة الأدلة لوح رقم (١٠-١١)، نقلاً عن الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانية(٣٧٧/١).

(**١٣٧٧**) انظر: مشكلة الذات الإلهية والصفات عند القاضى عبدالجبار صـ ٤٥، مواقف الطوائف من توحيد الاسماء والصفات صـ ١١٧.

(**١٣٧٨**)درء تعارض العقل والنقل (١٤٥/٤).

وقد تعددت مقاله المشبهة،وباختلاف المقالات اختلفـت الفـرق والأصـناف فمنهم من شبه وأقل ومنهم من شبه وأكثر وغالى حتى بلغ به الحال أن جعـل الله تعالى متصفاً بكل صفات الجسم(١٣٧٩).

الفرق القائلة بالتشبيه

١ـ طوائف من الشيعة الرافضة(١٣٨٠):

وهم أول من تكلم في التشبيه،وأظهره وأشهره، وحكت كتب الفرق والمقالات عن قدماء الشيعة ما يخالف العقل والنقل في التشبيه والتجسيم، بما لا يعرف لـه نظير عن أحد من سائر الطوائف(١٣٨١).

وقدماء الشيعه هم:

أ-**البيانية**: من غلاة الشيعة، وهم أتباع بيان بن سمعان التيمي الـذي كـان يقول:إن الله على صوره الإنسان وإنه يهلك كله إلا وجهه، وادعى بيان أنه يـدعو الزهرة فتجيبه وأنه يفعل ذلك بالاسم الأعظم، فقتله خالد بن عبد الله القسري(١٣٨٢).

ب-**المغيرية**: وهم أصحاب المغيرة بن سعيد ويزعمون أنه كأن يقـول أنـه نبي، وأنه اسم الله الأكبر،وأن معبودهم رجل من نور على رأسه تاج، ولـه مـن الأعضاء والخلق مثل ما للرجل، وله جوف وقلب تنبع منه الحكمة، وأن حـروف (أبي جاد) على عدد أعضائه، قالوا: والألف موضع قدمه لاعوجاجها، وذكر الهاء فقال: لو رأيتم موضعها منه لرأيتم أمراً عظيماً يعرض لهم بالعورة بأنه قـد رآه، لعنه الله وأخزاه(١٣٨٣).

ج-**الهشامية**: نسبة إلى هشام بن الحكم الرافضـي، أو هشـام بـن سـالم الجواليقى، وكلاهما من الإمامية المشبهة.

(**١٣٧٩**) انظر: مشكلة الذات الإلهية عند القاضى عبد الجبار صـ٤٥.

(**١٣٨٠**) بلغ بها الاشعرى ست فرق سمى بعضها ووصف بعضها انظر: المقالات صـ٥ وما بعدها.

(١٣٨١) انظر: نقض تأسيس الجهمية (١/ ٥٤)، منهاج السنة (١٧/٢، ٢٤٢ – ٢٤٣).

(**١٣٨٢**) انظر: مقالات الإسلاميين صـ٥، منهاج السنة(٥٠٢/٢).

(**١٣٨٣**)مقالات الإسلاميين صـ ٧، منهاج السنة (٥٠٣،٥٠٤/٢).

د-**الجواربية**: أتباع داود الجواربي الذي وصف معبوده بأن له جميـع أعضـاء الإنسان إلا الفرج واللحية[١٣٨٤]، وقال: اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك[١٣٨٥]، وقال الأشعري في المقالات:" قال الجواربي: إنا جسم، وإن له جثة، وإنـه على صورة الإنسان، له لحم ودم وشعر وعظم، وله جوارح وأعضاء من يـد ورجـل ولسان ورأس وعينين، وهو مع هذا لايشبه غيره ولايشبهه غيره"[١٣٨٦].

٢ـ غلاه المتصوفة

قال الأشعري: وفي الأمة قوم ينتحلون النسك، يزعمون أنه جائز علـى ا تعالى الحلول في الأجسام، وإذا رأوا شيئاً يستحسنونه قالوا: لا ندري، لعله ربنـا ومنهم من يقول: أنه يجوز على ا تعالى المعانقة والملامسة والمجالسة في الدنيا، ومنهم من يزعم أن ا تعالى ذو أعضاء وجوارح وأبعاض: لحم ودم على صورة الإنسان له ما للإنسان من الجوارح.

وفي النساك قوم يزعمون أن العبادة تبلغ بهم إلى منزلة تزول عـنهم فيهـا العبادات، وتكون الأشياء المحظورات على غيرهم ـ من الزنا وغيره ـ مباحات لهم. ومنهم من يزعم أن العبادة تبلغ بهم إلى أن يروا ا ، ويأكلوا من ثمار الجنة، ويعانقوا الحور العين في الدنيا ويحاربوا الشياطين.

ومنهم من يزعم أن العبادة تبلغ بهم إلى أن يكونـوا أفضـل مـن النبيـين والملائكة المقربين"[١٣٨٧].

وعلق ابن تيمية على قول الأشعري بقوله: "قلت: هذه المقـالات التـي حكاهـا الأشعري – وذكروا أعظم منها – موجودة في الناس قبل هذا الزمان وفي هذا الزمان، منهم من يقول بحلوله في الصور الجميلة، ويقول إنه بمشاهدة معبوده أو صفات معبوده أو مظاهر جماله، ومن هؤلاء من يسجد للأمرد، ثم من هـؤلاء مـن يقـول بـالحلول والاتحاد العام، لكنه يتعبد بمظاهر الجمال لما في ذلك من اللذة له، فيتخذ إلهـه هـواه،

(**١٣٨٤**)الفرق بين الفرق (٢٢٨)، مقالات الإسلاميين (١٨٣/١).

(١٣٨٥)الملل والنحل للشهرستاني (١٠٥/١).

(**١٣٨٦**)المقالات للأشعري (٢٠٩/١).

(١٣٨٧)مقالات الإسلاميين صـ ٢٨٨- ٢٨٩.

وهذا موجود في كثير من المنتسبين إلى الفقر والتصـوف... ومـنهم مـن يقـول إن المواضع المخضرة خطا عليها، وإنما اخضرت من وطئه عليها، وفي حكايات متعـددة يطول وصفها"[1388].

قلت: لقد أغرق كتاب الفرق والمقالات في ذكر الأقـوال الكفريـة الشـاذة منسوبة إلى فرق وطوائف تعد نفسها من أهل القبلة، وتنتسب إلى الإسلام وليست منه في شيء وليست هي من الدين والحق في شيء، ولولا مقام البحث لما وسعني هنا أن أورد هذه الأقوال، وتلك الزندقات منسوبة إلى أهل القبلة، إذ معلـوم مـن الدين ضرورة تنزه المولى عز وجل عن ذلك كله، ومعلوم مخالفة تلـك الأقـوال لقطعيات نصوص الشرع النافية للنقص المثبتة للكمال له سبحانه كقولـه تعـالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [1389] وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [1390]، وهي من محكمات الآيات المتعلقة بالأسماء والصفات، والذات العلية له سـبحانه، وحري بهذه الأقوال أن تورد قرينة بأقوال عباد الصليب من النصارى الضالين، لا أن تكون كتب الفرق الإسلامية محلاً لها، وعلى المجامع العلمية الفقهية ومراكـز الدراسات والبحوث، أن تسعى لإعادة النظر في هذا الإرث المـدون والمخطـوط والمطبوع من كتب الفرق، لإعادة الصياغة والتعليق والشـرح والإيضـاح لهـذه المقولات الكفرية الواضحة والتي وقع فيها غلاة الشيعة من الـروافض، وغـلاة المتصوفة من الحلولية الملاحدة وهم على التحقيق ليسوا من أهل الإسلام ولا مـن أهل القبلة على الحقيقة، ولا يشفع لهم مجرد توجههم ومطلق انتسابهم إلى القبلـة، وهم قد نقضوا عرى الإسلام، وهدموا أسس العقيدة.

ولو طهرت مقالات الإسلاميين عن هذا الكفر وأفردت في كتب مقالات أهل الزندقة لكان أولى وأفضل، وأتقى ، وأنقى لتراث الأمة الإسلامي ولقد أحسـن وأجاد من أفردهم في تأليفاته بفصول متميزة منفصلة،موسومة بعناوين تبين كفرهم

(١٣٨٨)منهاج السنة (٢/ ٦٢٢- ٦٢٤).

(١٣٨٩) سورة الشورى الآية:١١.

(١٣٩٠) سورة النحل من الآية:٧٤.

وزندقتهم، كما فعل الإمام الغزالي في كتابه فيصل التفرقة، والإمام أبـو عبـد ا الرازي في كتابه: " اعتقادات فرق المسلمين والمشركين" والذي أفرد فيه باباً فـي الذين يتظاهرون بالإسلام وإن لم يكونوا مسلمين، وذكر الباطنية بمختلف فرقها.

وقد أحسن العالم الشيعيهاشم معرف الحسنى، في بيانـه الواضـح لموقـف الشيعة من الفرق التي نسبت إلى التشيع، وليست منه كما نسـبت إلـى الإسـلام وليست منهفيقولفي كتابه الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة: بعد أن عد فرقاً تنسـب إلى الشيعة:"والشيعة الزيدية والإمامية لا يرونها من فرق التشيع بل ليسـت مـن فرق الإسلام: كالسبئية(١٣٩١)والبيانية(١٣٩٢) والمغيريـة(١٣٩٣) والمنصـورية(١٣٩٤) والجناحية(١٣٩٥).

والخطابية(١٣٩٦)، الغرابية(١٣٩٧)النميرية(١٣٩٨)، الشيعة الإسماعيلية(١٣٩٩)"(١٤٠٠).

(١٣٩١) نسبة إلى عبد ا بن سبأ اليهودي القائل بألوهية علي رضي ا عنه. انظر: التبصير فـي الـدين صـ١٢٣،١١٩.

(١٣٩٢) نسبة لبيان بن سمعان الذي ادعى أصحابه ألوهيته، انظر: التبصير في الدين صـ١٢٤،١١٩.

(١٣٩٣) نسبة للمغيرة بن سعيد العجلي مدعي النبوة لنفسه، انظر: التبصير في الدين صـ١٢٥،١١٩.

(١٣٩٤) أتباع أبي منصور العجلي، انظر: التبصير في الدين صـ١٢٥،١٢٠.

(١٣٩٥) أتباع عبد ا بن معاوية بن عبد ا بن جعفر الطيار المعروف بذي الجناحين والمنسوب إلـيهم أن روح الإله تحل في الأنبياء وتنتقل إلى الأئمة واحداً بعد واحد، إنكار المعاد والجنة والنار واسـتحلال الزنـا والخمر واللواط وجميع المحرمات وترك الواجبات، انظر: التبصير في الدين صـ١٢٦.

(١٣٩٦) أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الملقب بالأجدع ويقولون بأن الأئمة كانوا آلهة، وادعى أبـو الخطاب الألوهية لنفسه، انظر: التبصير في الدين صـ١٢٦،١٢٠.

(**١٣٩٧**) القائلون بأن جبريل أعطى الرسالة لمحمد صلى ا سلم بالخطأ لشبهه بالإمام علـى شـبه الغراب بالغراب وأن ا فوض أمر تدبير الخلق لمحمد صلى عليه وسلم، ومحمد صـلى ا عليـه وسلم فوض علياً. انظر: التبصير في الدين صـ١٢٨.

(**١٣٩٨**)أتباع محمد بن نصير النميري الذي ادعى أن أبا لحسن علي الهادي عليه السلام قـد بعثـه نبياً،وأظهر القول بالتناسخ وإباحة المحرمات، وادعى الربوبية لأبي الحسن العسكري عليه السـلام. انظر: التبصير في الدين صـ١٢٩.

(**١٣٩٩**)يقولون بانتقال الإمامة من إسماعيل بن جعفر الصادق إلى ولده محمد بـن إسـماعيل، وأن أولي العزم سبعة منهم محمد بن إسماعيل وأن شريعة الإسلام قد نسخت وهؤلاء هم أصل القرامطـة

ثم قال الحسني معقباً: "لقد أوردنا هذه الأمثلة من الفرق التي يدعي الكتـاب أنها فرق شيعية ويحملون الشيعة أوزارهم وتبعاتهم، مع أنه لو صح وجـود هـذه الفرق في التاريخ فالآراء والأقوال المنسوبة إليهم تدل بصدق وصراحة تامين على أنهم يبعدون عن الإسلام فضلاً عن التشيع، ولو صح أنهم كانوا في عداد الشـيعة فذاك لكي يتستروا بالتشيع لترويج أرائهم ومقترحاتهم على الإسلام.

على أن هنالك أمر لابد من النظر إليه بعـين الاعتبـار، وهـو أن حكـام الأمويين والعباسيين كانوا يبذلون كل ما في وسعهم للتشويه على الأئمة من أهـل البيت وإضعاف مركزهم في نفوس المسلمين، فدسوا بين صفوفهم جماعة للتشويش عليهم، ونشر البدع والخرافات بين معتقداهم وآراهم في الأصول والفروع"(١٤٠١).

ويرى الحسني أن موقف علماء الشيعة الإمامية من هؤلاء هو البراءة والتكفيـر لمخالفة القطعيات، ويقول عن ذلك:" فلقد كفروهم منذ أن سمعوا بوجودهم في التـاريخ، ولا يزالون في كل مناسبة يعلنون في الصحف والكتب والمنابر عقائدهم وأصول دينهم ومذهبهم، وينادون بتكفير كل من يخالف الأصول الإسلامية التي اتفق عليها جمهـور المسلمين المستوحاة من كتاب ا وسنة نبينا الكريم صلى ا عليه وسلم.ولاسيما مـن يجعل خصائص الخالق للمخلوقين، وتواترت عن أئمتهم النصوص بتكفير أصحاب هذه المقالات، والبراءة منهم ولعنهم على المنابر في جميع المناسبات"(١٤٠٢).

وقول الحسني في غلاة المنتسبين للتشيع يصلح حكماً على غلاة المتصـوفة الحاولية ؛إذ الأصول المنهجية للفريقين واحدة، وهي الشطط والغلو الباطني الـذي أجمع علماء الإسلام على كفر صاحبه.

وقد قرر كفرهم عامة من كتب في الفرق، ولا خلاف في ذلك بـين عامـة المسلمين، **قال البغدادي:** " فرق الروافض منها ثـلاث زيديـة، وفرقتـان مـن

الباطنية.انظر: التبصير في الدين صـ٣٨، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع صـ٣٢، والملـل والنحل للشهرستاني (١٩٠/١).

(١٤٠٠) انظر: الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة للحسني، صـ٦١-٦٣، مطابع سيما – بيروت – ١٩٦٤م.

(**١٤٠١**) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة للحسني صـ ٦١-٦٢.

(**١٤٠٢**) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة للحسني، صـ ٦١- ٦٣.

الكيسانية، وخمس عشر فرقة من الإمامية، فأما غلاتهم الذين قالوا بإلهية الأئمـة، وأباحوا محرمات الشريعة، وأسـقطوا وجـوب فـرائض الشـريعة؛ كالبيانيـة، والمغيرية، والجناحية، والمنصورية، والخطابية، والحلولية، ومن جرى مجـراهم، فماهم من فرق الإسلام وإن كانوا منتسبين إليه"[1403].

وقال الاسفراييني: " فأما البيانية، والمغيريـة، والمنصـورية، والجناحيـة، والخطابية، والحلولية منهم؛ فلا يعدون في زمرة المسلمين؛ لأنهم كلهـم يقولـون بإلهية الأئمة"[1404].

وحري بالبحث تناول مناهج كتاب المقالات والفرق للاستفادة منهـا، وبيـان صوابها وخطئها، ومواطن قوتها وضعفها، وغثها وسمينها، والتعليق عليهـا بمـا يتناسب وهذا ما يضعه الباحث لمن يأتي من الباحثين.

٣ـ الكرامية[1405]

وهم أتباع محمد بن كرام بن عراق بن حزبة السجسـتاني المتـوفى سـنة (٢٥٥هـ)، وهم مع إثباتهم للصفات إلا أنهم قد ضلوا في هذا الباب في أمرين:

الأول: مبالغتهم في الإثبات إلى حد التشبيه وخوضهم فيما لا تطيقه العقـول، ولم تكلف به شرعاً من التعمق في الكيفيات فأطلقوا ألفاظاً مبتدعة غيـر شـرعية كلفظ(الجسم) و (المماسة) وزعموا أن المعبود جسم لا كالأجسام[1406].

ومن بدعهم في هذا الباب قولهم إن ا جسم قديم أزلي، وإنه لم يزل سـاكناً ثم تحرك لما خلق العالم، والرب عندهم واحد لا يقبل الاجتماع والافتراق، ولكنـه ساكن والسكون عندهم أمر عدمي وهو عدم الحركة فيما من شـأنه أن يتحـرك،

(١٤٠٣) الفرق بين الفرق صـ١٧، دار الآفاق الجديدة.

(١٤٠٤) التبصير في الدين صـ٢٣.

(١٤٠٥) وبلغ عدد طوائف الكرامية اثنتي عشرة فرقة، وأصولها ست فرق هي: العابدية والنونية والزرينيـة والإسحاقية والواحدية والهيصمية. انظر: الفصل لابن حزم(٤/٢٠٥،٢٠٤،٤٥)، ولسان الميـزان(٥/ ٣٥٣-٣٥٦)، والفرق بين الفرق(١٣٠-١٣٧)، والملل النحل(١/ ١٨٠-١٩٣).

(١٤٠٦) لسان الميزان(٣٥٤/٥).

ويقولون: لم يزل الباري خالياً من الحوادث حتى قامت بـه، بخـلاف الأجسـام المركبة من الجواهر المفردة، فإنها لا تخلـو مـن الاجتمـاع والافتـراق(١٤٠٧)، ويقولون: إن الصفات والأفعال لا تقوم إلا بجسم ويجوزون وجود جسم ينفك مـن قيام الحوادث به ثم يحدث فتقوم به بعد ذلك(١٤٠٨).

وقال ابن كرام(١٤٠٩):"إن ا   مماس للعرش من الصفحة العليا"(١٤١٠). **ويقـول كذلك:**"له حد من الجانب الذي ينتهي إلى العرش ولا نهاية له"(١٤١١).

وقد غالى في الكيفية أتباع ابن كرام حتى زعم بعضهم أنه تعالى على بعض أجزاء العرش(١٤١٢).

وادعى بعضهم أن العرش امتلأ به بحيث لا يزيد على عرشـه مـن جهـة المماسة ولا يفضل منه شيء على العرش(١٤١٣).

ويثبت الكرامية   صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته، وذلـك عنـدهم حادث بعد أن لم يكن، فيصير موصوفاً بما يحدث بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكـن كذلك، ونفوا لزوم الصفات دون حدوثها(١٤١٤).فعندهم أن ا   يتكلم بأصوات تتعلق بمشيئته وقدرته، وأنه تقوم به الحوادث المتعلقة بمشيئته وقدرته وذلك حادث بعـد أن لم يكن، فا   لم يكن متكلماً في الأزل إلا بمعنى القدرة على الكـلام، ويصـير موصوفاً بما يحدث بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن كذلك(١٤١٥).

(١٤٠٧) درء تعارض العقل والنقل(٢٢٧/٧).

(١٤٠٨)درء تعارض العقل والنقل(٢٤٦/٥).

(١٤٠٩)ابن كرام هو: محمد بن كرام السجستاني، العابد، المتكلم، شيخ الكرامية، ساقط الحديث على بدعتـه أكثر، قال ابن حبان: خذل حتى التقط من المذاهب أردأها ومن الأحاديث أوهاها، ومات بالشام سنة255هـ ـ. انظر: ميزان الاعتدال للذهبي، (٣١٤/٦).

(١٤١٠) الفرق بين الفرقصـ١٩٨، والملل والنحل(١٠٨،١٠٩/١).

(١٤١١) التبصير في الدينصـ١١٢.

(١٤١٢) الملل والنحل(١٠٩/١).

(١٤١٣) الفرق بين الفرقصـ١٩٩، وأصول الدين للبغدادي(٧٣،١١٢)، والملل والنحل(١٠٩/١).

(١٤١٤) انظر: مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات صـ ١٣٤.

(١٤١٥)انظر: مجموع الفتاوى(٦/ 524 ـ 525).

ومن خلال العرض السابق لمقالات المشبهة المتفاوتة في التشبيه، نلاحظ الآتي:

١. أن التشبيه والتمثيل مخالف لقطعيات النقل والعقل، أما مخالفتها لقطعيات النقل فقال تعالى واصفاً نفسه منزها لها من النقص: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ (١٤١٦)، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١٤١٧)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (١٤١٨)، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (١٤١٩).

ومخالفة التشبيه والتمثيل لقطعيات العقول، في أن المماثلة لا تصح إلا بين متماثلين مشهودين، ولا تماثل ولا تشبيه بين الغيب والمشاهدة، ولا بين الخالق والمخلوق، كما لا تماثل بين الصانع والمصنوع، إذ أحدهما فاعل والآخر مفعول، وأحدهما محلٌ لإرادة الآخر، فكيف يستقيم القياس والتمثيل، ولا وجه يجمع بينهما؟ إذ قضت العقول بأن الباب ليس كالنجار، والثوب المخيط ليس كالإنسان الخائط، هذا في عالم المشاهدة والمحسوسات، فكيف بعالم الغيب المتعلق بالله سبحانه وتعالى، ذي الجلال والكمال والعظمة والإكرام؟

٢. وقع هؤلاء المشبهة في هذه البدعة النكراء لأنهم تحدثوا في ذات الله تعالى وصفاته، بعيداً عن نور الوحي، والبيان الإلهي الصادق، والآيات المحكمات، وتكلموا بمقتضى الحس والمشاهدة، وقياس الغائب على الشاهد، بمقاييس متناقضة فاسدة.

٣. تأثر أهل التشبيه بالديانات والعقائد السابقة، كاليهودية والمسيحية، وديانة أهل فارس الزرادشتية، وغيرها، وقد تبنى هذا الرأي عدد من العلماء والمفكرين

(١٤١٦) سورة النحل من الآية:٧٤.

(١٤١٧) سورة الشورى من الآية:١١.

(١٤١٨) سورة مريم من الآية ٦٥.

(١٤١٩) سورة الإخلاص الآية:٤.

والمستشرقين، وإن لم يكن هذا هو السبب الوحيد أو الرئيس، لكنـه مـؤثر مـن المؤثرات الفكرية والعقدية على أصحاب هذا التوجه[(١٤٢٠)].

٤. للتشبيه درجات منه ما يبلغ بصاحبه الكفر، لما فيه من نقص بين واضح يتنزه عنه البشر، فضلا عن رب وخالق البشر، ومنه تشبيه الزنادقة من الفلاسـفة وغلاة الرافضة والمتصوفة الحلولية، فهذا النوع من التشبيه لا يختلف عن تشـبيه النصارى والوثنيين.

ومن التشبيه ما يعد خروجاً عن الهدى والرشاد إلى الضلالة والبدعة، وهـو ما كان عن تأويل غير سائغ للخلاف، ولكنه سبب لدرء حكم الكفر عن صـاحبه، مع وقوعه في البدعة للخوض بغير دليل فيما لا يصح إطلاقه على ا إلا بنص، ومنه تشبيه الكرامية ومن وافقهم؛ إذ جمعوا بين الضدين فـي النسـبة تعـالى بقولهم ما لا يصح في حقه، ثم براءتهم من التمثيل بعد أن أثبتوه ووقعـوا فيـه، وقولهم: هو جسم لا كالأجسام من تناقض مذهبهم، ولم يكفر السـلف الكراميـة، ولكن أشتد نكيرهم عليهم.

(١٤٢٠) انظر: البغدادي في الفرق بين الفرق صـ٢٢٢، والأشعري فـي مقـالات الإسـلاميين (٢٨٣/١)، والشهرستاني في الملل والنحل (٤/١-٦)، دي بور في تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمـة د. عبـد الهـادي أبوريدة صـ٤٩، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨م، وزهدي جار ا في المعتزلـة (٢٥-٢٧)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٢م.

المطلب الرابع

مواضع الاتفاق بين أهل القبلة في الأسماء والصفات

اتفق أهل القبلة على إثبات الكمال المطلق له سبحانه وتعالى في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، ووجوب تنزيهه عن النقائص.

واتفقوا على أن الأسماء الحسنى البالغة كمال وتمام الحسن، والصفات العليا البالغة كمال وتمام الجلال والجمال.

واتفقوا على قصور علم الإنسان عن الإحاطة بذات ا أو صفاته أو منتهى حسن أسمائه، واستحالة إدراك كنهه؛ لعظمته سبحانه، ولعجز العقول وقصور مداركها.

واتفقوا على أن الإحكام والتشابه ثابت في نصوص الوحي، وقد جرى الاتفاق على أن من آيات الصفات المحكمة القطعية في دلالتها قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.. وقوله تعالى: فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ... وهي الآيات المتضمنة لصفات السلب المنفية عنه سبحانه وتعالى، القاضية بتنزيهه عنها، وإثبات كمال ضدها له سبحانه وتعالى.

وكذلك اتفق الجل على إثبات الصفات الذاتية اللازمة، والتي تسمى عندهم بالعقلية التي ورد بها النص، ودلت عليها العقول.

وكانت هذه هي المقاصد الكبرى في باب توحيده سبحانه وتعالى، لا يسع المسلم الخروج عنها، ومن جاء بها وآمن وصدق ثبت له عقد الإسلام.

ووقع الخلاف بعد ذلك في مفهوم وحقيقة التوحيد والتنزيه، والكمال الشرعي المطلوب اعتقاده في الأسماء والصفات، ومعاني ذلك، والتحقيق أن مواضع الخلاف لا توجب تكفير القائلين بها.

لأن من نصوص الكتاب والسنة ما هو قطعي وهو الأكثر، ومنها مـاهو ظني، ومنها ما يشتبه فيه الأمر على العلماء فضلاً عمن سواهم، وذلك في أبواب التوحيد المختلفة، وأخصها باب الأسماء والصفات، وهو الذي توسعت فيه الفرق، وأفرطت في التكفير للمخالف بسببه، إذ جعلت الآيات فيه قطعية غيـر محتملـة للتأويل ولا تقبل الخلاف، والصحيح بخلاف ذلك، **قال ابن تيمية:** "والصواب فـي كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع،...، كالآيات والأحاديث الدالة على أن ا سبحانه وتعالى فوق عرشه، ويعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتـاب والسنة والإجماع على ذلك، دلالة لا تحتمل النقيض **وفى بعضها قد يغلبعلى الظن** ذلك مع احتمال النقيض، وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتـاه مـن العلـم والإيمان، ومن لم يجعل ا له نوراً فما له من نور،**ومن اشـتبه عليـه** ذلـك أو غيره، فليدع بما رواه مسلم في صحيحه، عن عائشة رضى ا عنها قالت: كـان رسول ا إذا قام يصلى من الليل قال: (اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسـرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون،أهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك،إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم)[١٤٢١]"[١٤٢٢].

وقد ذكر ابن تيمية أقسام الناس من أهل القبلة في ظواهر الصفات، وعـد مذاهب السلف، والمشبهة، والنفاة، والمفوضة، والمؤولة، وخطّأ من خـرج عـن السلف ولم يكفره[١٤٢٣]، بل صرح بإيمانهم بعد اعتذاره لهـم بتبـاين واخـتلاف القدرات العقلية والذهنية في فهم نصوص الصفات، فقال:

" بل الخلق في إيمانهم با وكتابه ورسولهمتنوعون، فلكل منهم فـي قلبـه للكتاب والرسول مثال علمي بحسب معرفته، مع اشتراكهم في الإيمان با وبكتابه وبرسوله، فهم متنوعون في ذلك متفاضلون، وكذلك إيمـانهم بالمعـاد، والجنـة، والنار، وغير ذلك من أمور الغيب، وكذلك ما يخبر به الناس بعضهم بعضاً مـن

(١٤٢١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، (٥٣٤/١) حديث رقم ٧٧٠.

(١٤٢٢) مجموع الفتاوى (١١٧/٥).

([١٤٢٣]) انظر: مجموع الفتاوى (١١٣/٥-١١٧).

أمور الغيب هو كذلك، بل يشاهدون الأمور، ويسمعون الأصوات، وهم متنوعون في الرؤيةوالسماع، فالواحد منهم يتبين له من حال المشهود ما لم يتبـين للآخـر، حتى قد يختلفون فيثبت هذا ما لا يثبت الآخر، فكيف فيما أُخْبِروا به من الغيـب، والنبىصلى ا عليه وسلم أخبرهم عن الغيب بأحاديث كثيرة، وليس كلهم سمعها مفصلة، والذين سمعوا ما سمعوا ليس كلهم فَهِم مراده، بل هـم متفاضـلون فـي السمع والفهم كتفاضل معرفتهم وإيمانهم بحسب ذلك، حتى يثبت أحـدهم أمـوراً كثيرة، والآخر لا يثبتها، لا سيما من تعلق بقلبه شبه النفاة، فهو ينفـي مـا أثبتـه الكتاب والسنة وما عليه أهل الحق،**وهذا يبين لك أن هؤلاء كلهم مؤمنـون بـا وكتابه، ورسوله، واليوم الآخر،** وإن كانوا متفاضلين في الإيمان؛إلاَّ مـن شـاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، واتبع غير سبيل المؤمنين، ثم هم يتفاضلون في العلم والإرادة،فإذا كان أحدهم أكثر محبة وذكراً وعبادة كان الإيمان عنده أقوى وأرسخ من حيث المحبة والعبادة ، وإن كان لغيره من العلم بالأسماء والصـفات ما ليس له"[١٤٢٤].

فاختلفوا فيما يعد كمالاً مطلقاً وتنزيهاً من كل وجه، وما يعد كمالاً من وجه ونقصاً من وجه آخر.

(١٤٢٤) مجموع الفتاوى (٢٥١/٥، ٢٥٢).

الفصل الثاني

الإيمان ببقية الأركان

(الملائكة والكتب والرسل، واليوم الآخر، والقدر)

ومواضع الاتفاق عند أهل القبلة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة والكتب والرسل

المبحث الثاني: الإيمان باليوم الآخر

المبحث الثالث: الإيمان بالقدر

المبحث الأول

الإيمان بالملائكة والكتب والرسل

وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بالملائكة عليهم السلام.

المطلب الثاني: الإيمان بالكتب السماوية.

المطلب الثالث: الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

المطلب الرابع: مواضع اتفاق أهل القبلة في الأركان الثلاثة.

التمهيد:

آثر الباحث الجمع بين هذه الأركان الثلاثة لشدة ارتبـاط بعضـها بـبعض، ولتعلقها بالنبوة تعلقاً يشعر بالوحدة الموضوعية التي تعين على حسن التصـنيف والتأليف. ويتسق الأمر مع تقسيم من قسم العقيدة إلى: إلهيات ونبوات وسمعيات.

وكان المقصود بالسمعيات الغيب الذي لم يقع بعد وقوعاً كلياً، وهو خـارج عن الحس والمشاهدة، وكان العلم به سماعياً يتوقف على النص الوارد عن طريق الوحي.

وليس المقصود به أن يستقل العقل في معرفة ما يتعلق بالإلهيات أو النبوات، وإنما يقف العقل فيها على الوحي والحس والمشاهدة معاً، فإثبات وجود ا بالحس والمشاهدة والآيات المنظورة أمر غير منكور عند جميع العقلاء وسبق استفاضـة القول فيه، وكذلك إثبات نبوة الأنبياء والرسل بالأدلة العقلية المشاهدة بما أيدهم ا به من المعجزات والآيات والخوارق الجارية على خلاف السنن المعهودة، وكذلك الملائكة والإيمان بهم ومشاهدة آثار أفعالهم والتحقق من وجودهم بالحس وبالنقـل الصحيح الصريح المتواتر؛ لذلك رأى الباحث الجمع بين الأركان الثلاثة في فصل واحد.

المطلب الأول

الإيمان بالملائكة عليهم السلام

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف الملائكة لغة وشرعاً، وحكم الإيمان بهم

الفرع الثاني: أصول الاعتقاد المتعلقة بالملائكة

الفرع الأول

تعريف الملائكة لغة وشرعاً، وحكم الإيمان بهم

أولاً: تعريف الملائكة لغة وشرعاً

الملائكة لغة: جمع الملَك بفتحتين، وهو واحد الملائكة، قيل: مخفّف من مالك، قالالكسائي[1425]: أصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك وهي الرسالة، ثم قلبت وقدمتاللّام وقيل: أصله الملْك بفتح ثم سكون: وهو الأخذ بقوة، وأصل وزنه مفعل فتركتالهمزة لكثرة الاستعمال وظهرت في الجمع، وزيدت الهاء إما للمبالغة وإما لتأنيثالجمع[1426].

وفي الاصطلاح الشرعي: الملَك جسم لطيف نوراني يتشكّل بأشكال مختلفة، ومسكنها السماوات[1427].

ثانياً: الإيمان بهم و حكمه

الإيمان بالملائكة وحكمه:

"وأما الإيمان بالملائكة: فهو أن تصدق بوجودهم وأنهم عباد مكرمون خلقهم ا لعبادته فلا يعصون ا ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولا يفترون عن عبادته ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[1428].

والإيمان بأوصافهم وأعمالهم التي يقومون بها كما جاء في الكتاب والسنة.

(١٤٢٥) الكسائي هو: علي بن حمزة بن عبدا بن بهمة بن فيروز أبو الحسن الكوفي، توفي بني أسد، شيخ القراءة والعربية، وأحد القراء السبعة المشهورين لقب بالكسائي لكساء أحرم فيه، أو أنه كان يلتف في كساء أيام تلاوته على حمزة الزيات، مات بالري سنة ١٨٩هـ على الصحيح، انظر: الجرح والتعديل (١٨٢/٦) طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر بن الحسن الزبيدي الأندلسي، المتوفى سنة ٣٩٧هـ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، صـ١٢٧-١٣٠، دار المعارف، بمصر، الطبعة الثانية.

وسير أعلام النبلاء (١٣١/٩-١٣٤).

(١٤٢٦) الموسوعة الفقهية الكويتية (٦/٣٩)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م. وأحال على شرح العقيدة الطحاوية (٤٠١/٢)، وفتح الباري (٣٠٦/٦).

(١٤٢٧) الموسوعة الفقهية الكويتية (٥/٣٩).

(١٤٢٨) سورة الأنبياء الآية:٢٠.

والإيمان بمن ورد النص بتسميتهم على وجـه الخصـوص مثـل جبريـل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ونقول إن من قال بأنهم إناث فقد كفر لمخالفتـه كتاب ا ، ولا يقال إنهم ذكور إذ لم يرد في ذلك نص صحيح(١٤٢٩).

حكم الإيمان بهم:

والإيمان بالملائكة واجب وجوباً قطعياً، لأنه ركن من أركان الإيمـان مـن جحده أو أنكره كفر بالإجماع بين أهل القبلة قاطبة.

قال ا تعالى: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (١٤٣٠).

وفي حديث عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنهعندما سأل جبريل عليه السـلام عن الإيمان، قال صلى ا عليه وسلم: (أن تؤمن باللّه وملائكته وكتبـه ورسـله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيرهوشره)(١٤٣١).

ومن أنكر وجود الملائكة، كان إنكاره كفراً وضلالاً لأنه أنكر ما هو ثابـت ثبوتاً صريحاً في القرآن الكريم والسنة المتواترة وقال اللّه تعالى: وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيداً (١٤٣٢).

(١٤٢٩) انظر: عالم الملائكة الأبرار لـ د.عمر سليمان الأشقر، صـ١٦، ١٧، دار النفائس، الأردن، الطبعة السابعة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(١٤٣٠) سورة البقرة الآية: ٢٨٥.

(١٤٣١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجـوب الإيمـان بإثبات قدر ا سبحانه وتعالى (٣٦/١) حديث رقم ٨.

(١٤٣٢) سورة النساء من الآية: ١٣٦.

يقول محمد رشيد رضا: "إن الإيمان بالملائكة أصل للإيمانبالوحي، ولـذلك قـدم ذكـر الملائكـة علـى ذكـر الكتـاب والنبيـين، قـال تعـالى: وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ (١٤٣٣).

فالملائكــة همالــذين يؤتــون النبيــين الكتــاب، قــال تعــالى: تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (١٤٣٤)، وقالسـبحانه: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٤٣٥)، فيلزم من إنكـار الملائكـة إنكار الوحي والنبوةوإنكار الأرواح، وذلك يستلزم إنكار اليوم الآخر"(١٤٣٦).

وعليه أن يؤمن بمن ورد ذكرهم في القرآن والسنة علـى وجـه الإجمـال ابتداء، ثم على التفصيل بعد العلم بما ورد في النصوص الصـحيحة الصـريحة القاطعة في دلالتها، كما يجب الإيمانبصفاتهم الخلقية والخلقية، والأعمـال التـي يقومون بها، وما ورد في ذلك من طريق القطع كان إنكاره كفراً، ومـا ورد مـن طريق الظن فلا تكفير لمنكره.

(١٤٣٣) سورة البقرة الآية: ١٧٧.

(١٤٣٤) سورة القدر الآية:٤.

(١٤٣٥) سورة الشعراء الآيات : (١٩٣ – ١٩٥).

(١٤٣٦) تفسير المنار لحمد رشيد رضا (١١٣/٢)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثاني.

الفرع الثاني

أصول الاعتقاد المتعلقة بالملائكة

ومن خلال التعريف بهم يمكن اعتبار أصول الاعتقاد المتعلقة بالملائكة كـل ما ورد في القرآن الكريم، وتواتر النقل به في السنة النبوية المطهرة، وإجمال ذلك في الآتي:

أولاً: التصديق الجازم بوجودهم

فوجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي الّذي لا يمكن أنيلحقه شك، ومـن هنـا كان إنكار وجودهم كفراً بإجماع المسلمين، بل ينص على ذلكالقرآن الكريم كمـا دلّت عليه الآية السابقة[١٤٣٧].

ثانياً: التصديق بحقيقتهم وأوصافهم وأسمائهم التي علمناها

الملائكة عالم غيبي لا نراه بأعيننا، وإن أدركنـا بـالحواس بعـض آثـار وجودهم، إلاّ أن تفاصيل أوصافهم وحقائق أعمالهم تظل غيباً محجوبـاً عنـا، لا تكشف حقائقه سوى نصوص الوحي التي يجب علـى المسـلم الوقـوف عليهـا والتوقف عندها فيما يعتقده عن الملائكة.

وللملائكة أوصاف خَلْقية وخُلُقية وردت بها النصوص الشرعية، ويتبين من مجموعها حقيقتهم وخصائصه، و المقطوع به من هذه الأوصاف ما كـان ثابتـاً بالقرآن وبالسنة المتواترة صراحة ودلالة، وعلى مقتضى هذه النصـوص انعقـد إجماع الأمة قاطبة.

أ- ومن أهم أوصافهم الواردة في نصوص الوحي المتواتر:

١- أن الملائكة مخلوقات تعالى بذوات نورانية وحقائق جسمانية، تختلف عنا بني البشر، وعن الجن المخلوقين من مارج من نار، وأن ا خلق أجسـامهم

(١٤٣٧) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٦/٣٩).

من نور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلقت الملائكة من نـور، وخلـق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم)[1438].

٢- لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، قال الله تعـالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَانِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[1439].

٣- ليسواكالبشر فلا يـأكلون ولا يشـربون ولا ينـامون ولا يتزوجـون، مطهرون من الشّهواتالحيوانية، ومن زعم أن الملائكة عبارة عـن قـوى الخيـر الكامنة في المخلوقات، فقد كذّب القرآن والسنة وخرج عن إجماع الأمة.

٤- والملائكة عقلاء ولهم حياة مستقرة ووفاة،فقد كلموا الله تعالى وكلمهـم، وكلموا آدم وغيره من الأنبياء، ويتوفاهم الله يوم القيامة عند النفخ بالصور، ويبقى حملة العرش، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[1440].

ويؤمر ملك الموت بقبض روح نفسه فيفعل امتثالاً وعبودية لمـولاه، ثـم يبعث الله الملائكة للقيام بأعمالهم التي وكلها الله إليهم.

٥- لا يرون على هيئتهم الأصلية الملائكية في الدنيا لعظمتهم، ولعـدم القـدرة البشرية العادية على إدراك حقيقتهم النورانية، ويستثنى من ذلك ما ورد به النص[1441].

٦- ولهم القدرة على التشكل والتمثل بالأشكال الجسمانية الحسنة، ويرون حـال تمثلهم بالآدميين قال تعالى في قصة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ

(١٤٣٨)أخرجه مسلم في صحيحه،كتابالزهدوالرقائق، باب في أحاديث متفرقة (٢٢٩٤/٤)، حديث رقم٢٩٩٦.

(١٤٣٩) سورة الزخرف الآية: ١٩.

(١٤٤٠)سورة الزمر الآية:٦٨.

(١٤٤١) من رؤيته صلى الله عليه وسلم جبريل له ستمائة جناح، كما في البخاري من حديث عبـد الله بـن مسعود، كتاب بدء الخلق، وروى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قـال: (رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح، وكل جناح منها قد سد الأفق).

بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا [(١٤٤٢)]، **وقال تعالى في قصة أضياف إبراهيم عليه السلام:** قال الله تعالى: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ [(١٤٤٣)]، وفي قصة لوط عليه السلام ونزولهم على هيئة شبان مردان حسان: فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ [(١٤٤٤)].

وفي حديث عمر بن الخطاب المشهور بحديث جبريل الطويل وفيه: (هذا جبريل جاء يعلمكم أمور دينكم)[(١٤٤٥)].

وكان دحية الكلبي يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته، وفي حديث ابن عمر:(كان جبريل يأتي النبي على

(١٤٤٢) سورة مريم الآيات: ١٦-١٩.

(١٤٤٣) سورة الذاريات الآيات: ٢٤-٢٨.

(١٤٤٤) سورة الحجر الآيات: ٦١- ٧٣.

(١٤٤٥) بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فأخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال فأخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال فأخبرني عن أمارتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم.أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، (٣٦/١) حديث رقم ٨.

صورة دحية الكلبي)[١٤٤٦]، وفي حديث أنس: (أن النبي صلى ا عليه قال: كـان جبريل يأتيني على صورة دحية الكلبي)[١٤٤٧] والأدلة في هذا كثيرة.

٧- ولهم من القدرة العظيمة ما يتناسب مع وظيفتهم التي خلقهم ا لها، وما يعجز عنها البشر كحمل الجبال وقلبها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١٤٤٨].

ومن حديث عروةُ أن عائِشَةَ رضي ا عنها زوج النبي صلى ا عليـه وسـلم حدثَتْه أنها قالت لِلنبي صلى ا عليه وسلم هل أتى علَيك يوم كان أَشَد من يومِ أُحـد قال لقد لَقيتُ من قَومك ما لَقيتُ وكان أَشَد ما لَقيتُ منهم يوم الْعقَبة إِذْ عرضتُ نَفْسـي على بن عبد يا ليل بن عبد كُلَالٍ فلم يجِبني إلى ما أَردتُ فَانْطَلَقْتُ وأنا مهمـوم علـى وجهي فلم أَستَفقْ إلا وأنا بِقَرنِ الثعالِبِ فَرفَعتُ رأْسي فإذا أنا بِسحابة قد أَظَلَتْني فَنَظَرتُ فإذا فيها جِبرِيلُ فَنَاداني فقال إِن الله قد سمع قَولَ قَومك لك وما ردوا علَيك وقد بعـثَ ا إِلَيك ملَك الْجِبال لِتَأْمره بِما شئْتَ فيهم فَنَاداني ملَك الْجِبال فَسلم علَي ثُم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئْتَ إن شئْتَ أَن أُطْبِقَ عليهم الْأَخْشَبين فقال النبي صلى ا عليه وسلم بلْ أَرجو أَن يخْرِج ا من أَصلَابِهِم من يعبد الله وحده لَا يشْرِك بِه شيئاً)[١٤٤٩].

٨- والملائكة خلق لا يحصي عددهم إلا ا عز وجل لكثرتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[١٤٥٠].

ولحديث: (أطت السماء وحق أن تَئِط، ما فيها موضع قدم إلا وفيـه ملـك ساجد وراكع)[١٤٥١].

(١٤٤٦) أخرجه النسائي عن يحيى بن معمر، كتاب الإيمان وشرائعه، باب نعت الإسـلام (١٠١/٨) حـديث رقم ٤٩٩١، بإسناد صححه ابن حجر في الإصابة (١٦٢/٢).

(١٤٤٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير،باب نظر عائشة إلى جبريل عليه السلام (٣٤/٢٣) حديث رقـم ٨٤.

(١٤٤٨) سورة الأعراف الآية: ١٧١.

(١٤٤٩) صحيح البخاري (١١٨٠/٣).

(١٤٥٠) سورة المدثر من الآية: ٣١.

(١٤٥١) سيأتي تخريجه .

ب- أسماء الملائكة:

يجب الإيمان بمن سمى الله لنا في القرآن أو سماه لنا رسوله **صلى الله عليه وسلم** في السنة من الملائكة، لأن نكران ذلك كفر بالقرآن وتكذيب به، وممن سمى الله:

الأول: جبريل، وقد يسمى جبرائيل، وهو روح القدس الذي ينـزل بـالوحي الذي به حياة القلوب على الرسل عليهم السلام.

الثاني: ميكائيل، وقد يسمى ميكال. وهو موكل بالمطر الذي به حياة الأرض يسوقه حيث أمره الله.

الثالث: إسرافيل. وهو موكل بالنفخ في الصور إيذانا بانتهاء الحيـاة الـدنيا وابتداء الحياة الآخرة، والذي به حياة الأجساد.

وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم فـي دعائه من صلاة الليل، في حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن أنـه قـال: (سـألت عائشة رضي الله عنها: بأي شيء كان رسول الله صلى الله عليـه وسـلم يفتـتح الصلاة إذا قام الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبريـل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهـدي من تشاء إلى صراط مستقيم)(١٤٥٢).

الرابع: مالك خازن النار.

قال تعالى في بيان حال من أحوال أهل النار: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾(١٤٥٣).

(١٤٥٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليـل وقيامـه، (٥٣٤/١) حديث رقم٧٧٠. وأبي داود في سننه باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، (٢٦٣/١) حديث رقـم ٧٦٧. قال الشيخ الألباني:حسن.

(١٤٥٣) سورة الزخرف الآية: ٧٧.

ثالثاً: التصديق الجازم بأعمالهم:

أ- **أعمالهم المتعلقة بعبادتهم:**

والملائكة في عبادة دائمة تعالى، ومن أجل عبـادتهم أنهـم يشـهدون بالألوهية والوحدانية قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (1454).

فعلاقتهم با العبودية الخالصة،والطّاعة والامتثال التـام، والخضـوع المطلـق لأوامره عز وجلّ،ولا يعصون ا ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (1455)، وقد وصفهم اللّه بأنّهم لا يستكبرون عن عبادته،فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (1456).

ومن عبادتهم عمرانهم للبيت المعمور(1457) بالصلاة قال عليه الصلاة والسـلام عن رحلة الإسراء والمعراج: (فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقـال: هـذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألـف ملـك، إذا خرجـوا لـم يعـودوا إليه)(1458).

ومن عبادتهم السجود رب العالمين قال عليه الصلاة والسلام: (إنـي أرى مالا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضـع أربع أصابع إلا ملك واضع جبهته ساجداً)(1459).وعن جابر رضي ا عنه قال: قال رسول اللّهصلى ا عليه وسلم: (ما في السماوات السـبع موضـع قـدم ولا

(1454) سورة آل عمران الآية:18.

(1455) سورة التحريم من الآية: 6.

(1456) سورة الأنبياء الآيات: 26-27.

(1457) البيت المعمور: قال علي وابن عباس: هو بيت في السماء حيال الكعبة. انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (59/17).

(1458) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكـة علـيهم السـلام، (1173/3)، حـديث رقم3035.

(1459) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب 9 في قول النبي صلى ا عليه وسلم لو تعلمـون مـا أعلـم لضحكتم قليلا (556/4) برقم 2312.

شبرولا كف إلّا وفيه ملك قائم أو ملك راكع أو ملك ساجد، فإذا كان يوم القيامـة قالواجميعاً: سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك إلّا أنا لم نشرك بك شيئاً)[١٤٦٠].

ومن عبادتهم الخوف والخشية تعـالى والإشـفاق منـه سـبحانه قـال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[١٤٦١] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[١٤٦٢].

ب- أعمالهم المتعلقة بما وكله ا إليهم من تصريف الكون وأحوال الخلق:

تقوم الملائكة بأعمال جليلة عظيمة، وكلها ا إليهم، لتسيير شؤون الخلق في هذا الكون، ومن أبرز أعمالهم وأهمها، مختصرة[١٤٦٣]:

يحملون العرش[١٤٦٤]، ويؤمنون بـا ، ويسـبحون بحمـده، ويسـتغفرون للمؤمنين[١٤٦٥]، ومنهم الملك الموكل بإنزال الوحي على الرسل، وهـو أشـرفهم قدراً، وأعظمهم مكانة، جبريل عليه السلام، أمين وحي ا تعـالى[١٤٦٦]، ومـنهم

(١٤٦٠)المعجم الأوسط (٤٤/٤) حديث رقم٣٥٦٨.

(١٤٦١) سورة النحل الآية: ٥٠.

(١٤٦٢) سورة الأنبياء الآية: ٢٨.

(١٤٦٣)من أراد الوقوف عليها مفصلة بأدلتها من الكتاب والسنة فليراجع ما كتبـه الحكمـي فـي معـارج القبول(٦٥٨/٢- ٦٧١).

(١٤٦٤) قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ سورة الحاقة الآية:١٧.

(١٤٦٥) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ سورة غافر الآية:٧.

(١٤٦٦) قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ سورة الشعراء الآية:١٩٣. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة البقرة الآية:٩٧.

وفي تفسير قولـه تعـالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ سورة سبأ الآية:٢٣. قال النبي صلى ا عليه وسلم: (فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه ا تعالى من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل بأهل السموات، كلما مر بسماء سأله ملائكتها، ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقـول جبريـل عليه السلام: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقول كلهم مثل ما قال جبريل، ثم ينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمـره ا عز وجل) أخرجه حلية الأولياء (١٥٣/٥)، مسند الشاميين لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانـي، تحقيـق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، (٣٣٦/١)، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

الموكلون بالسحابوالقطر والنبات[1467]،ومنهم الموكلون بالنطفة في الـ رحم[1468]، ومنهم الموكلون بالجبال[1469].

ومنهم الموكلون بكتابة أعمال بني آدموحفظها وهـ م الكـ رام الكـ اتبون[1470]، ومنهم الموكل بحفظ العبد في حلهوارتحاله، وفي نومه ويقظته، وفي كل حالاته وهم

(١٤٦٧) قال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً فَالْحَامِلاتِ وِقْراً فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً﴾ سورة الذاريات الآيـ ات: (١-٤)، قال تعالى: ﴿والْمُرْسَلاتِ عُرْفاً فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً﴾ سورة المرسلات الآيـ ات: (١-٤).

(١٤٦٨) كما في حديث ابن مسعود رضي ا عنه قال:(حدثنا رسول ا صلى ا عليه وسلم، وهو الصادق المصدوق،إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمة أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات بكتـ ب رزقهوأجلـ ه، وعملـ ه، وشـ قي أو سعيد،...) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجلـ ه وعمله وشقاوته وسعادته (٢٠٣٦/٤) حديث رقم ٢٦٤٣.

(١٤٦٩) وقد ثبت ذكره في حديث عائشة رضي ا عنها أنها قالت للنبي صلى ا عليه وسلم: هل أتى عليكم يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال صلى ا عليه وسلم: "لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيتُ مـ نهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ليل ابن عبد كُلالٍ، فلم يجبني إلى ما أردتُ فانطلقت وأنا مهمـ وم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقَرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني، فنظرت فيها فإذا فيهـ ا جبريل فناداني، فقال إن ا قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث ا إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد ذلك فيما شئت - إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين - فقال النبي صلى ا عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج ا من أصلابهم من يعبد ا وحده لا يشرك به شـ يئاً" أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه (١١٨٠/٣) حديث رقم ٣٠٥٩.

أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى ا عليه وسلم من أذى المشـ ركين والمنافقين (١٤٢٠/٣) حديث رقم ١٧٩٥.

(١٤٧٠) قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ سـ ورة قّ الآيـ ة:١٨، وقـ ال تعـ الى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ يَعلمون ما تفعلون﴾ سورة الانفطار الآيات ١٠-١٢.

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي ا عنه قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: (قال ا عز وجل: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة) صحيح مسلم (١١٧/١)، كتاب الإيمان، بابإذاهمالعبدبحسنةكتبتوإذاهمبسيئةلمتكتب، حديث رقم ٢٠٣.

الحفظة والمعقبات[١٤٧١]،ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه[١٤٧٢]، ومنهم الموكلون بفتنة القبر، وهم منكر ونكير[١٤٧٣]، ومنهم الملك الموكل بالنفخ في الصور إسرافيل عليه السلام،ينفخ فيه ثلاث نفخاتبأمر ربه عز وجل، الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين[١٤٧٤]، ومنهم ملائكة الرحمة المبشرون للمؤمنين عند وفاتهم وفي يوم

(١٤٧١) قال ا تعالى: سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ سورة الرعد الآيات: (١٠-١١).=

= وفي ذكر المعقبات والحفظة روى البخاري رحمه ا تعالى فيباب قول ا عز وجل: (تعرج الملائكة والروح إليه) قال: حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي ا عنه:أن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم، فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء ا الملائكة (٢٧٢١/٦) حديث رقم ٧٠٤٨.

(١٤٧٢) قال ا تعالى: قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ سورة السجدة الآية:١١، وقال تعالى: حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ سورة الأنعام من الآية: ٦١.

(١٤٧٣) وقال رسول ا صلى ا عليه وسلم: "إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما - المنكر وللآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد ا ورسوله، أشهد أن لا إله إلا ا وأن محمداً عبده ورسوله فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم. فيقول: ارجع إلى أهلي فأخبرهم! فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه ا من مضجعه ذلك. وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون قولاً، فقلت مثله، لا أدري فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال معذباً حتى يبعثه ا تعالى من مضجعه ذلك". أخرجه الترمذي في سننه سنن الترمذي، باب ما جاء في عذاب القبر (٣٨٣/٣) حديث رقم١٠٧١. وقال: حديث غريب، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، ذكر الإخبار عن اسم الملكين اللذين يسألان الناس في قبورهم ثبتنا ا بتفضله لسؤالهما في ذلك (٣٨٦/٧) حديث رقم ٣١١٧.

(١٤٧٤) قال تعالى: وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً سورة الكهف الآية:٩٩.وقال تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (سورة الزمر الآية:٦٨)، وفي حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي ا عنه قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته، وانتظر أن يؤذن له؟ قالوا: كيف نقول يا رسول ا ؟ قال: قولوا حسبنا ا ونعم الوكيل، على ا توكلنا) أخرجه أحمد في المسند (٣٢٦/١) حديث رقم ٣٠١٠،

القيامة[١٤٧٥]، وملائكة العذاب[١٤٧٦]، ومنهم خزنة الجنة ومقدمهم رضـوان علـيهم السلام[١٤٧٧]، ومنهم خزنة جهنم عياذاً با منها وهم الزبانية[١٤٧٨]، ورؤساؤهم تسعة عشر ومقدمهم مالك عليهم السلام[١٤٧٩].

والترمذي في السنن، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول ا صلى ا عليه وسلم، باب ٨ ما جاء في شأن الصور (٦٢٠/٤) حديث رقم٢٤٣١.

(١٤٧٥) قال تعالى في شأن نزول ملائكة الرحمة على أهل الإيمان: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ سورة فصلت الآية: ٣٠.

(١٤٧٦) وقال تعالى في شأن نزول ملائكة العذاب على أهل الكفر والظلم والعصـيان: وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ سورة الأنفال الآية: ٥٠.

وقال سبحانه: وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ سورة الأنعام من الآية:٩٣، وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ سورة التحريم الآية:٦.

(١٤٧٧) قال ا تعـالى: وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ سورة الزمر الآية:٧٣.

(١٤٧٨) قال تعالى: سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ سورة العلق الآية:١٨.

(١٤٧٩) قال ا تعالى: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ سـورة الزمر الآية: ٧١، وقال تعالى: وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً سـورة المـدثر الآيـات: (٢٧-٣١). وقـال تعالى: وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ سورة الزخرف الآية:٧٧.

وفي صحيح مسلم:(يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام كل زمام في يد سبعين الف ملك يجرونها)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعـذبين (٢١٨٤/٤) حـديث رقم٢٨٤٢.

المطلب الثاني

الإيمان بالكتب السماوية المنزلة

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: المقصودبالإيمان بالكتب

الفرع الثاني: مكانة الإيمان بالكتب السماوية

الفرع الثالث: حكم الإيمان بالكتب السماوية

الفرع الرابع: علاقة الكتب السماوية بعضها ببعض

الفرع الأول

المقصود بالإيمان بالكتب

التصديق الجازم بأن ا تعالى أنزل كتباً على رسله عليهم الصلاة والسلام، وهي من كلامه حقيقة، وأنها نور وهدى، وأن ما تضمنته قبل تحريفها، حق وصدق وعدل يجب اتباعه والعمل به، ولا يعلم عددها إلا ا [(١٤٨٠)].

قال تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ [(١٤٨١)].

قال تعالى: وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً [(١٤٨٢)].

وقال تعالى: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ [(١٤٨٣)].

(١٤٨٠) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١٧/١)، (١٧٢/١٢)، مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، لعبدالعزيز المحمد السلمان، صـ١٠، الطبعة العاشرة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(١٤٨١) سورة البقرة الآية:٢٥٣.

(١٤٨٢) سورة النساء من الآية:١٦٤.

(١٤٨٣) سورة التوبة الآية:٦.

الفرع الثاني
مكانة الإيمان بالكتب السماوية

الإيمان بكتب ا المنـزلة على رسل ا عليهم الصلاة والسلام، هو الركن الثالث من أركان الإيمان، فإن ا تعالى قد أرسل رسله بالبينات وأنزل معهم الكتب لتحقيق مقاصد شرعية عظيمة من أهمها: هداية الخلق ودلالتهم على ا سبحانه وتعالى، وبيانالمنهج الرباني المطلوب لتحقيق العبودية في هذه الأرض زماناً ومكاناً، ورسم سبيل النجاة وطريق الفلاح في الدنيا والآخرة؛ باحتكام الأنام فيما اختلفوا فيه تعالى الحكم العدل سبحانه:

قال تعالى عن التوراة المنزلة على موسى عليه السلام: إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [١٤٨٤].

وقال تعالى عن الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام: وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ [١٤٨٥].

وقال تعالى عن القرآن المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ [١٤٨٦].

(١٤٨٤) سورة المائدة الآية:٤٤.

(١٤٨٥) سورة المائدة الآية:٤٦.

(١٤٨٦) سورة فصلت الآية:٤٤.

وقـال تعـالى عـن الكتـب الثلاثـة، القـرآن، والتـوراة، والإنجيـل: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (١٤٨٧).

وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٤٨٨).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١٤٨٩).

(١٤٨٧) سورة آلعمران الآيات: ٣-٤.

(١٤٨٨) سورة البقرة الآية:٢١٣.

(١٤٨٩) سورة الحديدالآية: ٢٥.

الفرع الثالث

حكم الإيمان بالكتب السماوية

يجب الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها ا على رسله عليهم الصلاة السلام، وأنها منزلة من عند ا ، ومن جحدها أو جحد شيئاً من ذلك فقد كفر بإجماع المسلمين، ولا مخالف.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾(1490).

قال ابن كثير: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه... وقوله: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾، وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة"(1491).

وقال الشوكاني: " ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ هو القرآن واللام للعهد، أو هو كل كتاب واللام للجنس"(1492).

وقال الآلوسي: "والكتاب أي: جنسه، فيشمل جميع الكتب الآلهية؛ لأن البر الإيمان بجميعها وهو الظاهر الموافق لقرينه، ولما ورد في الحديث:(أن تؤمن با وملائكته وكتبه ورسله)(1493)...، والإيمان به الإيمان بجميع الكتب؛ لكونه مصدقاً

(1490) سورة النساء الآية:136.

(1491) تفسير ابن كثير (752/1).

(1492) انظر: فتح القدير (791/1).

(1493) سبق تخريجه.

لما بين يديه ...،والإيمان بالكتب أن يؤمن بأنها كلام الرب جل شأنه منزهة عن الحدوث، منزلة على ذويها ظاهرة لديهم حسبما اقتضته الحكمة من اللغات"[١٤٩٤].

وقال ابن تيمية: "دين الإسلام يتضمن الإيمان بجميع الكتب وجميع الرسل"[١٤٩٥].

والإيمان بكتب ا إجمالي وتفصيلي[١٤٩٦]:

فالإيمان الإجمالي: فهو أن تؤمن بأن ا أنزل كتباً على رسله عليهم الصلاة والسلام، وهذه الكتب كلها جاءت لتحقيق توحيد ا بإفراده بالعبادة دون سواه، وعمل الصالحات، والنهي عن الشرك والإفساد في الأرض، وفيها هداية وإرشاد وتزكية للنفوس[١٤٩٧]، وفيها شرائع وأحكام أوجب ا على من أنزلت عليهم العمل بها قال تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[١٤٩٨]. وقال تعالى:

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١٤٩٩].

فدلت الآيتان على وجوب أن يحكم أهل التوراة من اليهود، وأهل الانجيل من النصارى، وأهل كل كتاب منزل بما أنزل ا عليهم، وذلك قبل أن يطرأ النسخ على تلك الكتب[١٥٠٠].

(١٤٩٤) روح المعاني (٤٥/٢).

(١٤٩٥) مجموع الفتاوى (١٥٠/٢٧).

(١٤٩٦) انظر: معارج القبول (٢٧٥/٢).

(١٤٩٧) انظر: العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية رواية محمد الصالح رمضان، لعبد الحميد بن باديس، تحقيق: محمد الصالح رمضان (٨٢/١)، دار الفتح – الشارقة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

(١٤٩٨) سورة المائدة الآية:٤٤.

(١٤٩٩) سورة المائدة الآية:٤٧.

(١٥٠٠) انظر: معارج القبول (٦٧٣/٢).

وأن نؤمن أن القرآن خاتمة الكتب المنزلة، ومهيمن عليها، ومحفوظ من التحريف الذي دخل على بقية الكتب[١٥٠١]، قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ[١٥٠٢].

وأما الإيمان التفصيلي: فهو الإيمان بما سمى الله من كتبه في القرآن الكريم، قبل تحريفها، وهي التوراة[١٥٠٣]، والإنجيل[١٥٠٤]، والزبور[١٥٠٥]، وصحف إبراهيم

(١٥٠١) **والقرآن الكريم:** وهو كلام الله الذي أنزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل والأنبياء؛ للهداية والإعجاز.

وهو آخر الكتب المنزلة، وقد تكفل الله بحفظه من التحريف والتبديل وجعله ناسخاً للكتب الأخرى ومهيمناً عليها، قال تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ سورة الحجر الآية:٩. وقال تعالى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ سورة المائدة من الآية:٤٨.

وقد امتاز القرآن عن الكتب السابقة بأمور أهمها : أنه معجز بلفظه ومعناه، وبما فيه من الحقائق الكونية والعلمية، وأنه آخر الكتب السماوية، فقد ختمت به الكتب كما ختمت الرسالات بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم،وأن الله قد تكفل بحفظه من كل تحريف أو تبديل، خلافاً لغيره من الكتب التي أوكل الله حفظها للأحبار والرهبان فقد وقع فيها التحريف والتبديل، وأنه مصدق لما قبله من الكتب ومهيمن عليها، وناسخ لجميعها.

(١٥٠٢) سورة فصلت الآية:٤٢.

(١٥٠٣) **التوراة:** وهي الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام، وجعلها هدى ونوراً يحكم بها أنبياء بني إسرائيل وأحبارهم. والتوراة التي يجب على المسلم الإيمان بها هي التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، وليست التوراة المحرفة الموجودة عند أهل الكتاب اليوم . قال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ سورة المائدة من الآية:٤٤.

(١٥٠٤) **الإنجيل:** وهو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام بالحق مصدقاً لما قبله من الكتب السماوية.

والإنجيل الذي يجب الإيمان به هو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام، وليست الأناجيل المحرفة الموجودة اليوم عند أهل الكتاب، قال تعالى: وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ سورة المائدةالآية ٤٦.

ومما تضمنته التوراة الصحيحة، والإنجيل الصحيح، البشارة برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم امتدت يد التحريف والتبديل إلي التوراة والإنجيل، وكان فيما كان من التحريف، إخفاء دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وطمس البشارات التي جاءت مبشرة به، واصفة مكانه، وزمانه، وقومه، وما سيكون من أمره، قال تعالى: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ سورة الأعراف الآية:١٥٧. وقال تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ سورة البقرة الآية:١٤٦.

وموسى[١٥٠٦]، والإيمان بأن الله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها سبحانه وتعالى[١٥٠٧]، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[١٥٠٨].

وأن أصل دعوة الأنبياء واحد، وأن شرائعهم والأحكام التي فرضت عليهم متفقة في مقاصدها العامة، مختلفة في تفاصيلها وصورها وكيفياتها وحدودها، قال تعالى:
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[١٥٠٩].

وأن نعلم يقيناً أن أصول تلك الكتب، وما جاء فيها من الأخبار التي أوحاها الله إلى رسله عليهم الصلاة والسلام حق لا شك فيه، وأن الكتب الموجودة الآن بين أيدي أهل الكتاب حرفت وبدلت، فلم تبق على أصولها التي أنزلها الله على رسله عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى:

(١٥٠٥) **الزبور:** وهو الكتاب الذي أنزله الله على داود عليه السلام والزبور الذي يجب الإيمان به هو ما أنزله الله على داود عليه السلام وليس ما دخل عليه التحريف من عمل اليهود. قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ سورة النساء من الآية: ١٦٣.

(١٥٠٦) **صحف إبراهيم وموسى:** وهي الصحف التي آتاها الله إبراهيم وموسى عليهما السلام، وهي مفقودة ولا يعرف منها شيء إلا ما جاء ذكره عنها في القرآن الكريم والسنة النبوية، بهذا العموم والإجمال.
قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ سورة النجم الآيات: ٣٦-٤١.
وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ سورة الأعلى الآيات: (١٦-١٩).

(١٥٠٧) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٩٧/١).

(١٥٠٨) سورة البقرة من الآية: ٢٨٥.

(١٥٠٩) سورة المائدة من الآية: ٤٨.

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٥١٠).

ومما علمناه يقيناً من تلك الكتب ما أخبرنا ا به في كتابه من أنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى .

قال تعالى : أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (١٥١١).

وقال تعالى: بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٥١٢).

(١٥١٠) سورة البقرة الآية:٧٥.

(١٥١١) سورة النجم الآيات :٣٦-٤١.

(١٥١٢) سورة الأعلى الآيات:١٦-١٩.

الفرع الرابع

علاقة الكتب السماوية بعضها ببعض

ونعتقد أن جميع الكتب السماوية يصدق بعضها بعضاً ولا يكذبه، فكلها من عند ا سبحانه، فالإنجيل مصدق لما تقدمه من كتب كـالتوراة، قـال تعـالى: وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ [(١٥١٣)].

والقـرآن مصـدق لجميـع الكتـب السـماوية السـابقة قـال تعـالى: وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ [(١٥١٤)].

وما حصل من الاختلاف في التوراة والإنجيل فبسبب التحريف الذي دخلهما.

ونعتقد بأن النسخ حاصل بين الكتب السماوية وما فيها من شرائع، مع ثبات أصول التوحيد، ووحدة مقاصد التشريع العامة،فاللاحق من الكتب السماويةمصدق لغيره من الكتب السابقة في أصول التوحيد والمقاصد، وما توافقت فيه الشرائع التفصيلية، وناسخلما لم تتوافق فيه الشرائع التفصيلية، كما نسخت بعض شـرائع التوراة بالإنجيل، قال ا تعالى: في حق عيسى عليه السلام: وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ [(١٥١٥)]، وكما نسخ القرآن كثيراً من شرائع التوراة والإنجيل[(١٥١٦)]، قال تعالى: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [(١٥١٧)].

(١٥١٣) سورة المائدة الآية:٤٦.

(١٥١٤) سورة فاطر الآية:٣١.

(١٥١٥) سورة آل عمران الآية: ٥٠

(١٥١٦) انظر: معارج القبول (٦٧٤/٢).

(١٥١٧) سورة الأعراف الآية:١٥٧.

وكلما في القرآن يلزمنا التعبد به إلى يوم القيامة، بخلاف ما في الكتب السابقة، فإننا ننظر في موافقته ومخالفته لشريعتنا، فإن كان مخالفاً لشريعتنا فإننا لا نعمل به؛ لأنه إن لم يطرأ عليه التحريف والتبديل وخالف شريعتنا فلا شك أنه حق في زمنه و لا يلزمنا العمل به؛ لأنه منسوخ بشريعتنا، فإن وافق شريعتنا فإنه حق دلت شريعتنا على صحته.

"ومن الإيمان بكتاب الله أن نؤمن بأن كلما ثبت عن النبي صلى ا عليه وسلم فهو حق من عند ا، وبيان لكتاب ا، وأن الأخذ به أخذ بالقرآن، وأن الترك له ترك للقرآن؛ لقوله تعالى:
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١٥١٨)، ولقوله تعالى:
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٥١٩)"(١٥٢٠).

ونعتقد أن كل من كذّب بهذه الكتب، أو بشيء منها بعد ثبوته لديه، فقد كفر (١٥٢١)، لعموم قوله تعالى:
﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٥٢٢).

ولقوله تعالى:
﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٥٢٣).

(١٥١٨) سورة الحشر من الآية:٧.

(١٥١٩) سورة النحل من الآية :٤٤ .

(١٥٢٠) العقائد الإسلامية لابن باديس (٨٣/١).

(١٥٢١) انظر: معارج القبول (٦٧٣/٢).

(١٥٢٢) سورة الأعراف الآية:٣٦ .

(١٥٢٣) سورة البقرة الآية:٨٥.

المطلب الثالث

الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام

وفيه فرعان:

الفرع الأول: مكانة الإيمان بهم والمقاصد والحكم الشرعية من إرسالهم عليهم السلام

الفرع الثاني: المقصود بالإيمان بالرسل عليهم السلام

الفرع الأول
مكانة الإيمان بهم والمقاصد والحكم الشرعية
من إرسالهم عليهم السلام

أولاً : مكانة الإيمان بهم ووظائفهم

١- مكانة الإيمان بالرسل عليهم السلام

الإيمان بالرسل الكرام، عليهم الصلاة والسلام، هو أحد أركان الإيمان التـي لا يتحقق إيمان العبد إلا بها، بل هو أهم أركان الإيمان بعد الإيمان بـا تعـالى، لأن بقية الأركان مبنية على هذا الركن، فلن يستقيم إيمان العبـد إن كـان غيـر مصدق، ولا موقن بالرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إذ بهم عرفنـا ربنـا وهدينا لعبادته وتوحيده، وبهم عرفنا بقية أركان الإيمان الغيبيـة مـن الملائكـة والبعث، واليوم الآخر، وما فيه من أحوال وأهوال، وقد بعث ا رسله إلى خلقـه لدلالة الناس وإرشادهم إليه تعالى، وبيان ما يقربهم منه، وما يباعدهم عنه.

٢- وظائف الرسل عليهم السلام

للرسل عليهم السلام وظائف جليلة منها:

أ ـ تبليغ الشريعة ودعوة الناس إلى عبادة ا وحده وخلع عبادة ما سواه. قـال تعـالى: الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً (١٥٢٤).

ب ـ تبيين ما أنزل من الدين. قال تعالى: بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٥٢٥)

(١٥٢٤) سورة الأحزابالآية:٣٩.

(١٥٢٥) سورة النحلالآية: ٤٤.

ج - دلالة الأمة إلى الخير وتحذيرهم من الشـر، وتبشـيرهم بـالثواب وإنذارهم بالعقاب. قال تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (١٥٢٦).

د - إصلاح الناس بالقدوة الطيبة والأسوة الحسنة في الأقوال والأفعال.

هـ - إقامة شرع الله بين العباد وتطبيقه.

و - شهادة الرسل على أممهم يوم القيامة بأنهم قد بلغوهم البلاغ المبـين. قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً﴾ (١٥٢٧).

ثانياً: المقاصد والحكم الشرعية من إرسالهم عليهم السلام

من المقاصد العظمى لإرسال الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام الآتي:

١- تعبيد الخلق للخالق سبحانه وتعالى، بهداية النـاس ودلالـتهم إلـى الله، وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وإرشادهم إلى الصراط المسـتقيم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (١٥٢٨).

وقال تعالى في شأن خاتم الأنبياء والرسل عليه الصلاة والسلام: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ (١٥٢٩).

٢- تعريف الخلق بالغاية التي خلقوا من أجلها، وهـي عبـادة الله تعـالى وتوحيده، ولا يمكن للخلق الاهتداء إليها بدون هداية الله لهم، ولا تعرف الغاية من

(١٥٢٦) سورة النساءالآية: ١٦٥.

(١٥٢٧) سورة النساءالآية: ٤١.

(١٥٢٨) سورة إبراهيم الآية:٥.

(١٥٢٩) سورة الأحزاب الآيات : (٤٥-٤٦).

الخاق إلاّ ببيان من الخالق سبحانه، ولا بيان إلا عن طريق الرسل الذين اصطفاهم ا من خلقه وفضلهم على العالمين.

قـال تعـالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ (1530).

وقال تعالى: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (1531).

٣- إقامة الحجة على البشر بإرسال الرسل، قـال تعـالى: رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (1532)

وقـال تعالى: وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (1533).

ومن حكم ا تعالى في إرسال الرسل:

أولاً: رحمة بعباده جميعاً برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، قال تعـالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (1534).**ثانياً:** جعل ا الرسل قدوة حسنة، كملهـم بالأخلاق الفاضلة، وعصمهم من الشبهات والشهوات، لنتأسى بهم، في ضـوء التكليف بما يطاق، إذ كان أمره لنا باتباع نبي بشري وصـل إلـى الكمـالات

(١٥٣٠) سورة الأنبياء الآية:٢٥.

(١٥٣١) سورة النحلالآية:٣٦.

(١٥٣٢) سورة النساءالآية:١٦٥.

(١٥٣٣) سورة طـه الآية:١٣٤.

(١٥٣٤) سورة الأنبياء الآية:١٠٧.

البشرية بتوفيق الله واصطفائه، ويمكن لمن حذا حذوه أن يلتمس من كمالاته صلى الله عليه وسلم، بقدر اقتدائه واتباعه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥٣٥).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ (١٥٣٦).

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ (١٥٣٧).

ولتظهر حكمة الله من إرسال الرسل، وتبين المقاصد الشرعية، وتتحقق المصالح المرعية، الدنيوية والأخروية، قام الرسل بوظائفهم حق القيام ومن أهم وظائف الرسل:

١. تعريف الخلق بالخالق سبحانه وتعالى، ببيان عظمته وأسمائه وصفاته، وما ينبغي في حقه، وما لاينبغي، وما يريده سبحانه ويرضاه، وما يكرهه ويأباه(١٥٣٨).

لأن الإنسان عاجز عن الوصول إلى تفاصيل ذلك والاهتداء إليه، لأنه غيب محجوب عنه، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (١٥٣٩).

٢. تعليمهملأقوامهم، ودلالتهم إلى ما فيه نجاحهم في الدنيا، وفلاحهم في الآخرة، وإصلاح نفوسهم وتزكيتها والارتقاء بها، وتهذيبها وتربيتها على الفضائل، قال

(١٥٣٥) سورة الممتحنةالآية:٦.

(١٥٣٦) سورة الأنعام الآية:٩.

(١٥٣٧) سورة الإسراء الآية:٩٥.

(١٥٣٨) انظر العقيدة الإسلامية للخن ومستو ص٢٦٥،٢٦٤.

(١٥٣٩) سورة الجن الآيات:٢٦-٢٨.

تعالى: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (١٥٤٠).وورد في الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدلّ أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم)من حديث طويل أخرجه مسلم(١٥٤١).وقال صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)(١٥٤٢).

٣. بيان المغيبات الدينية التي لا يدركها الناس بعقولهم، مثل أسماء الله وصفاته، ومعرفة الملائكة والجن، واليوم الآخر والبعث والحساب وغير ذلك، من تفاصيل الغيب، ومن العوالم التي لاتقع تحت مشاهدات الإنسان المادية المحسوسة، ولها علاقة بحياته ومصيره، ولا تدرك بالجهد الفكري، ولا بالتأمل العقلي، البعيد عن هداية ونور الوحي، فكان إرسال الرسل لبيان هذه الحقائق الثابته عن تلك العوالم، ولغرس الإيمان بها والتصديق الذي لايخالجه أدنى شك(١٥٤٣).

٤. تبليغ الشريعة الربانية، والأوامر الإلهية؛ فالشريعة الربانية لابد لها من مبلغ، وكان المبلغون للشريعة من البشر هم الرسل عليهم السلام.قال تعالى: مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (١٥٤٤)

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٥٤٥).

(١٥٤٠) سورة آلعمران الآية:١٦٤.

(١٥٤١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث زيدبنوهب عنعبدالرحمنبنعبدربالكعبة،كتاب الإمارة، بابوجوبالوفاءببيعةالخلفاءالأولفالأول، (١٤٧٢/٣) حديث رقم ٣٤٣١.

(١٥٤٢) السننالكبرىللبيهقي (١٩٢/١٠).

(١٥٤٣) انظر العقيدة الإسلامية للخن ومستو ص٢٦٥،٢٦٦.

(١٥٤٤) سورة الأحزاب الآية: ٣٨- ٣٩.

(١٥٤٥) سورة المائدة الآية:٦٧.

٥. توضيح وتبيين معاني ما أنزل من نصوص الوحي: فالنصـوص التـي تنزل على الرسل تتسم بالعموم، وتحمل ألفاظها المعاني الشاملة، والقواعدوالكليات الدستورية، فكان الرسول مبيناً للناس تلك النصوص المنزلة، وشارحاً لمـدلولاتها وإشاراتها.

قـال ا تعـالى: وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٥٤٦)تذكير الناس باليوم الآخر والإيمان بالمعاد، وما يتعلق بما بعـد الموت من حياة برزخية، وحياة أخروية، فيها شدائد وأهوال،وتذكير الناس بالحياة الباقية في الآخرة، وتقليل انغماسهم في الدنيا الفانية، وبيان حقيقة وجودهم فيها.

قال تعالى: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٥٤٧).

وقال تعالى: وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٥٤٨).

وقال تعالى: اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٥٤٩).

(١٥٤٦) سورة النحل الآية: ٤٤.

(١٥٤٧) سورة الأنعام الآيات:١٣٠-١٣١.

(١٥٤٨) العنكبوت الآية:٦٠.

(١٥٤٩) سورة الحديد الآية:٢٠.

الفرع الثاني

المقصود بالإيمان بالرسل عليهم السلام

المقصود بالإيمان بالرسل: هو الاعتقاد الجازم بـأن رسـلاً اصـطفاهم بالوحي لتبليغ رسالاته.

فمن اتبعهم فقد اهتدى، ومن عصاهم فقد غوى، وأنهم قد بلغوا ما أنزل ا إليهم من ربهم البلاغ المبين، وأدوا الأمانة ونصحوا الأمة، وجاهدوا في ا حـق جهاده، وأقاموا الحجة ولم يبدلوا أو يغيروا أو يكتموا شيئاً مما أرسلوا به، ونؤمن بمن سمى ا لنا على التفصيل، ومن لم يسم على الإجمال، وكل رسول يبشر بمن يأتي بعده، والمتأخر منهم يصدق من قبله،قال تعالى: قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٥٥٠).

فمن كذب رسولاً فقد كذب بهم جميعاً، ومن عصاه فقد عصاهم جميعـاً، لأن دينهم واحد ورسالتهم واحدة،. قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً (١٥٥١).

والإيمان بالرسل أمر كلي تتعلق به عدة أصول، ومسائل، يجب على المسلم اعتقادها كما أراد ا منه ومن أعظمها في باب الإيمان بالرسل الآتي:

(١٥٥٠) سورة البقرةالآية:١٣٦.

(١٥٥١) سورة النساءالآيتان:١٥٠-١٥١.

أولاً: **الإيمان بحقيقة النبوة**

النبوة: واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه، يمن ا بها على من يشاء من عباده، ويختار لها من شاء من خلقه، فما كانت الخيـرة لأحـد غيـره سبحانه.قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١٥٥٢).

والنبوة: توهب ولا تكتسب، لا تدرك بكثرة طاعـة أو عبـادة، ولا تـأتي باختيار النبي أو طلبه، وإنما هي اجتباء واصطفاء من ا عز وجل.

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (١٥٥٣).

ثانياً: **الإيمان بالإسلام ديناًلجميع الأنبياء والمرسلين**

الإسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين. قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٥٥٤).

فكلهم يدعون إلى عبادة ا وحده ونبذ عبادة ما سواه، وإن اختلفت شرائعهم وأحكامهم فإنهم متفقون على الأصل وهو التوحيد. قال صـلى ا عليـه وسـلم: (الأنبياء إخوة لعلات)(١٥٥٥).

(١٥٥٢) سورة الحجالآية: ٧٥.

(١٥٥٣) سورة الشورىالآية:١٣.

(١٥٥٤) سورة آل عمرانالآية: ١٩.

(١٥٥٥) أخرجه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة (٤٤٥/١٨) حديث رقم ٨٩٠٢، أخرجه الحـاكم فـي مستدركه، وقال: هذاحديثصحيحعلىشرطالشيخين، باب ذكرنبياللهورحهعيسىابنمريمصلواتاللهوسـلامهعليهما (٤٢٧/٩)، حديث رقم ٤١١٨.

ثالثاً: الإيمان ببشريتهم وعدم علمهم للغيب

علم الغيب من خصائص الألوهية وليس من صفات الأنبياء ؛ لأنهـم بشـر كغيرهم من البشر، يأكلون ويشربون ويتزوجون وينامون ويمرضون ويتعبون.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ (١٥٥٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (١٥٥٧).

ويصيبهم ما يصيب البشر من الحزن والفـرح والجهـد والنشـاط، وإنمـا اصطفاهم ا لتبليغ دينه ولا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم ا عليه. قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ (١٥٥٨).

رابعاً: الإيمان بعصمتهم

اصطفى ا سبحانه وتعالى لرسالته وتبليغها أفضل خلقـه، وأكملهـم خَلقـاً وخُلقاً، وعصمهم من الكبائر وبرأهم من كل عيب حتى يؤدوا وحي ا إلى أممهم، فهم معصومون فيما يخبرون به عن ا سبحانه وتعالى في تبليغ رسالاته باتفـاق الأمة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٥٥٩). وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ

(١٥٥٦) سورة الفرقانالآية: ٢٠.

(١٥٥٧) سورة الرعدالآية:٣٨.

(١٥٥٨) سورة الجن الآيتان:٢٦-٢٧.

(١٥٥٩) سورة المائدةالآية:٦٧.

اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً [١٥٦٠].وقال تعالى: لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً [١٥٦١].

وإذا صدرت من أحدهم الصغائر التي لا تعلق لها بالتبليغ فإنـه يبـين لهـم، وسرعان ما يتوبون إلى ا وينيبون إليه فتكون كأن لم تكن، وينالون بـذلك منزلـة أعلى من منزلتهم السابقة ؛ وذلك لأن ا قد خص أنبياءه صلوات ا وسلامه عليهم بكمال الأخلاق وصفات الخير ونزههم عن كل ما يحط من أقدارهم ومكانتهم.

خامساً: الإيمان مجملاً وتفصيلاً بعددهم وتفاضلهم

ثبت أن عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام ثلاثمائة وبضعة عشر، لقولـه صلى ا عليه وسلم لما سئل عن عدد الرسل: (ثلاثمائة وخمس عشـرة جمـاً غفيراً)[١٥٦٢]. والأنبياء أكثر من ذلك، منهم من قص ا علينا في كتابه، ومنهم من لم يقصص علينا. وقد سمى ا في كتابه مـنهم خمسـة وعشـرين نبيـاً ورسولاً.

قال تعالى: وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً [١٥٦٣].

وقال تعالى: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلّاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى

(١٥٦٠) سورة الأحزابالآية: ٣٩.

(١٥٦١) سورة الجنالآية: ٢٨.

(١٥٦٢) مسندالطيالسي من حديث أبي ذر(٦٥/١) حديث رقم ٤٧٨، أحاديثأبيذرالغفاريرضياللهعنه.

(١٥٦٣) سورة النساء الآية:١٦٤.

وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٥٦٤).

وقد فضل الله النبيين بعضهم على بعض. قال تعالى: وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً (١٥٦٥).

وفضل الله الرسل بعضهم على بعض. قال تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٥٦٦).

وأفضلهم أولوا العزم من الرسل. وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد عليهم السلام. قال تعالى: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (١٥٦٧).

وقال تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً (١٥٦٨).

ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل وخاتم النبيين وإمام المتقين، وسيد ولد آدم وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا وخطيبهم إذا وفدوا، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون، وصاحب لواء الحمد والحوض

(١٥٦٤)سورة الأنعامالآيات:(٨٣-٨٧).

(١٥٦٥) سورة الإسراءالآية: ٥٥.

(١٥٦٦) سورة البقرةالآية: ٢٥٣.

(١٥٦٧) سورة الأحقافالآية: ٣٥.

(١٥٦٨) سورة الأحزابالآية: ٧.

المورود، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة، بعثه ا بأفضل شرائع دينه، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم وهم آخر الأمم خَلْقاً وأولهم بعثاً.

قال صلى ا عليه وسلم: (فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون)[١٥٦٩].

وقال صلى ا عليه وسلم: (قال رسول الله أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع)[١٥٧٠].

والذي يلي الرسول صلى ا عليه وسلم بالفضيلة منهم إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، فالخليلان هما أفضل أولي العزم من الرسل ثم الثلاثة بعدهما.

سادساً: الإيمان بآيات الأنبياء عليهم السلام (المعجزات)

أيد ا رسله عليهم السلام بالآيات العظيمة والمعجزات الباهرة لتكون حجة أو حاجة، كالقرآن الكريم وانشقاق القمر، وانقلاب العصا حية، وخلق الطير من الطين وغيرها.

فالمعجزة الخارقة للعادة دليل على النبوة الصادقة، والكرامة دليل على صدق الشاهد بالنبوة الصادقة.

قال تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ [١٥٧١]. وقال صلى ا عليه وسلم: (ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي

(١٥٦٩) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣٧١/١)، حديث رقم ٥٢٣.

(١٥٧٠) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق، كتاب الفضائل، (١٧٨٢/٤)، حديث رقم ٢٢٧٨.

(١٥٧١) سورة الحديد الآية: ٢٥.

من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)[1572].

سابعاً: الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنها الخاتمة

الإيمان بنبوته صلى ا عليه وسلم أصل عظيم من أصول الإيمان، ولايتحقق الإيمان إلا به، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً﴾ [1573].

وقال صلى ا عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا ا وإني رسول ا)[1574].

ولا يتم الإيمان به صلى ا عليه وسلم إلا بأمور منها:

أ- معرفة نبينا محمد صلى ا عليه وسلم، وهو محمد بن عبد ا بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون سنة نبياً ورسولاً.

ب- تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد ا إلا بما شرع.

ج- الاعتقاد بأنه رسول ا إلى عموم الثقلين من الجن والإنس فلا يسع أحد منهم إلا اتباعه. قالتعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ

(١٥٧٢) أخرجهالبخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة،كتابفضائلالقرآن، بابكيفنزولالوحيوأولمانزل،(١٩٠٥/٤)حديث رقم٤٦٩٦.وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة،كتاب الإيمان، بابوجوبالإيمانبرسالةنبينامحمدصلىاللهعليهوسلمإلىجميعالناسونسخالمللبملة (١٣٤/١)حديث رقم٢٣٩.

(١٥٧٣) سورة الفتحالآية:١٣.

(١٥٧٤)أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر،كتابالإيمانباب { فإنتابواوأقاموالصلاةوآتواالزكاةفخلواسبيلهم }(١٧/١) حديث رقم٢٥، أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب الإيمان، بابالأمربقتالالناسحتىيقولوالاإلهإلااللهمحمدرسولا (٥١/١) حديث رقم ٣٢.

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٧٥).

د- الإيمان برسالته، وأنه أفضل الأنبياء وخاتمهم. قال تعالى: مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (١٥٧٦)، وأنه خليل الرحمن، وسيد ولد آدم، وصاحب الشفاعة العظمى المخصوص بالوسيلة والتي هي أعلى الدرجات في الجنة، وصاحب الحوض المورود، وأمته خير الأمم.

قال تعالى: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١٥٧٧).

وأكثر أهل الجنة، وأن رسالته ناسخة لجميع الرسالات السابقة.

هـ- أن ا أيده بأعظم معجزة وأظهر آية، وهي القرآن العظيم كلام ا المحفوظ من التغيير والتبديل. قال تعالى: قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (١٥٧٨).

وقال تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٥٧٩).

(١٥٧٥) سورة الأعرافالآية:١٥٨.

(١٥٧٦)سـورة الأحزاب الآية:٤٠.

(١٥٧٧)سورة آل عمرانالآية: ١١٠.

(١٥٧٨) سورة الإسراءالآية: ٨٨.

(١٥٧٩) سورة الحجرالآية: ٩.

و- الإيمان بأن الرسول صلى ا عليه وسلم قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، فما من خير إلا ودل الأمة عليه، ورغبها فيه، وما من شر إلا ونهى الأمة عنه وحذرها منه.

قال تعـالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٥٨٠).

(١٥٨٠) سورة التوبةالآية: ١٢٨.

وقـــــال صـــــــلى ا عليـــــــه وســـــــلم: (إنهلميكننبيقبليإلاكانحقاعليهأنيدلأمتهعلىخيرمايعلمهلهموينذرهمشرمايعلمهلهم)[١٥٨١] .

ز- محبته صلى ا عليه وسلم، وتقديم محبته على النفس وسائر الخلـق، وتعظيمه وتوقيره، وإجلاله، واحترامه وطاعته، فإن هذا من حقوقه التي أوجبهـا ا في كتابه لنبيه صلى ا عليه وسلمفإن محبته من محبة ا ، وطاعته من طاعة ا .قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١٥٨٢].

وقوله صلى ا عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولـده ووالده والناس أجمعين)[١٥٨٣].

ح- الصلاة والتسليم عليه صلى ا عليه وسلم والإكثار مـن ذلـك، فـإن البخيل من ذُكر عنده فلم يصل عليه. قال ا تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[١٥٨٤]. قال صلى ا عليه وسلم: (من صـلى علي واحدة صلى ا عليه بها عشراً)[١٥٨٥].

(١٥٨١) أخرجـه مسـلم فـي صـحيحه مـن حـديث عبـدا لرحمنبنعبدربالكعبـة،كتاب الإمـارة، بابوجوبالوفاءببيعةالخلفاءالأولفالأول (١٤٧٢/٣)حديث رقم ١٨٤٤.

(١٥٨٢) سورة آل عمرانالآية: ٣١.

(١٥٨٣) أخرجهالبخاريفي صحيحه من حديث أبي هريرة،كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى ا عليه وسلم مـن الإيمـان(١٤/١) حـديث رقـم ١٤،وأخرجـه مسـلم فـي صـحيحه مـن حـديث أنـس بـن مالك،كتـاب الإيمان،بابوجوبمحبةرسولاللهصلىاللهعليهوسلمأكثرمنالأهلوالولدوالوالدوالناس أجمعين(٦٧/١) حديث رقم٤٤.

(١٥٨٤) سورة الأحزابالآية: ٥٦.

(١٥٨٥) أخرجـــه مســـلم فـــي صـــحيحه مـــن حـــديث أبـــي هريرة،كتـــاب الصـــلاة، بابالصلاةعلىالنبيصلىاللهعليهوسلمبعدالتشهد(٣٠٦/١) حديث رقم ٤٠٨.

وتتأكد الصلاة عليه في مواطن، منها في التشهد في الصلاة، وفـي القنـوت وصلاة الجنازة، وخُطبة الجمعة وبعد الأذان، وعند دخول المسجد والخروج منـه والدعاء، وعند ذكره عليه الصلاة والسلام وغير ذلك من المواطن.

ط- أن النبي صلى ا عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم الصـلاة والسـلام أحياء عند ربهم، حياة برزخية أكمل وأعلى من حياة الشهداء، لكنها ليست كحياتهم على وجه الأرض، وهي حياة لا نعلم كيفيتها، ولا تزيل عنهم اسم المـوت. قـال صلى ا عليه وسلم: (إن ا حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبيـاء)[(١٥٨٦)]. وقال صلى ا عليه وسلم: (ما من مسلم يسلم علي إلا رد ا علي روحي كي أرد عليه السلام)[(١٥٨٧)].

ي- من احترام النبي صلى ا عليه وسلم أن لا تُرفع الأصوات عنده فـي حياته، وكذا عند السلام عليه في قبره.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ [(١٥٨٨)].

فحرمته صلى ا عليه وسلم بعد دفنه كحرمته في أيام حياته، فيجب أن نحترمـه صلى ا عليه وسلم كما فعل الرعيل الأول رضوان ا عليهم، إذ كانوا أشـد النـاس موافقة له عليه السلام، وأبعد الناس عن مخالفته وابتداع ما ليس من دين ا .

ك- محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه، وموالاتهم جميعـاً والحـذر مـن تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء، فإن ا قد رضي عنهم واختارهم لصحبة نبيه صلى ا عليه وسلم وأوجب على هذه الأمة موالاتهم.

(١٥٨٦) أخرجه النسائي في سننه من حديث أوس بن أوس،كتاب الجمعـة، بابذكرفضـليومالجمعة (٩١/٣) حديث رقم ١٣٧٤.قالالشيخالألباني: صحيح.

(١٥٨٧) أخرجهأبيداودفي سننه من حـديث أبـي هريرة،بابزيـارةالقبور، (٦٢٢/١) حـديث رقـم ٢٠٤١، قالالشيخالألباني: حسن.

(١٥٨٨) سورة الحجرات الآية: ٢.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٥٨٩).

وقال صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لـو أنفـق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)(١٥٩٠).

وندب من جاء بعدهم إلي الاستغفار لهم وسؤال الله أن لا يجعل في قلـوبهم غلاً لهم. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٥٩١).

ل- تجنب الغلو فيه صلى الله عليه وسلم فإنه من أعظم الأذية له صلى الله عليه وسلم، إذ حذّر عليه الصلاة والسلام أمته من الغلو فيه والتجاوز في إطرائـه ومدحه، وإنزاله فوق منزلته التي أنزله الله مما يختص به الرب عز وجل.

قال صلى الله عليه وسلم: (إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله، لا أحـب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزوجل)(١٥٩٢). وقال: (لا تطرونـي كمـا أطرت النصارى ابن مريم)(١٥٩٣). ولا يجوز دعاؤه ولا الاستغاثة به، ولا الطواف بقبره أو النذر والذبح له فكل هذا شرك بالله، وقد نهي الله عـن صـرف العبـادة لغيره.

(١٥٨٩) سورة التوبةالآية: ١٠٠.

(١٥٩٠) أخرجهالبخـاري فـي صـحيحه مـن حـديث أبـي سـعيد الخدري،كتابفضائلالصحابة،بابقولالنبيصلىاللهعليهوسلم (لوكنتمتخـذاخليلا (١٣٤٣/٣)حـديث رقـم٣٤٧٠، وأخرجـه مسـلم فـي صـحيحه مـن حـديث أبـي هريرة،كتابفضائلالصحابةرضياللهتعالىعنهم،بابتحريمسبالصحابةرضياللهعنهم (١٩٦٧/٤) حديث رقم ٢٥٤٠.

(١٥٩١) سورة الحشرالآية: ١٠.

(١٥٩٢) أخرجه أحمد في مسنده من حـديث أنـس (٢٤٩/٣) حـديث رقـم ١٣٦٢١.قالشـعيبالأرنؤوط: إسنادهصحيحعلىشرطمسلم.

(١٥٩٣) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب، كتابالأنبياء، بـاب ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً﴾ (سورة مريم الآية:١٦)، (١٢٧١/٣) حديث رقم ٣٢٦١.

وكذلك بالمقابل فإن عدم احترام النبي صلى ا عليه وسلم المشعر بـالغض منه، أو تنقيصه صلى ا عليه وسلم أو الاستخفاف به، أو الاستهزاء به ردةعـن الإسلام وكفر با . قال تعالى: وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (١٥٩٤).

فالمحبة الصادقة لرسوله صلى ا عليه وسلم هي التي تبعث على الإقتـداء بهديه والإتباع لسنته وترك ما يخالف سبيله عليه الصلاة والسلام. قال تعالى: قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٩٥).

فيجب عدم الإفراط والتفريط في تعظيم الرسول صلى ا عليه وسلم، فـلا يعطى صفات الألوهية، ولا ينقص قدره وحقه من الاحترام والمحبـة التـي مـن أبرزها الإتباع لشرعه، والسير على هديه،والإقتداء به عليه الصلاة والسلام.

م- الإيمان بالنبي صلى ا عليه وسلم لا يتحقق إلا بتصديقه والعمل بمـا جاء به، وهذا معنى الانقياد له صلى ا عليه وسلم، فطاعتـه هـي طاعـة ا ، ومعصيته هي معصية .

وبتحقيق تصديقه واتباعه صلى ا عليه وسلم يتحقق الإيمان به عليه الصلاة والسلام.

(١٥٩٤) سورة التوبةالآية: ٦٥-٦٦.

(١٥٩٥) سورة آل عمرانالآية: ٣١.

المطلب الرابع

مواضع اتفاق أهل القبلة في الأركان الثلاثة

(الملائكة- الكتب- الرسل)

لا يوجد خلاف معتبر يذكر حول الإيمان بالملائكة، والكتب والرسل.

ولم أقف فيما وقفت عليه من كتب الفرق التي أطالت النقـول فـي قضـايا الخلاف صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها، وبسطت أدلـة المـذاهب الإسـلامية وردود بعضهم على بعض، واعتنت اعتناء كبيراً بمواضـع الخـلاف المتعلقـة بأصول وفروع قضايا الاعتقاد، إلا أنها خلت أو كادت تخلو من حكايـة خـلاف ينْسب إلى طوائف أهل القبلة حول الإيمان بالملائكة والكتب والرسـل وأصـول الاعتقاد في هذه الأركان، التي سلّم بها الجميع، وآمنوا بالنصوص القطعية الواردة فيها سواء كانت في الكتاب أو في السنة، أو ثبتت بالإجماع.

ومما يؤكد ما ذهب إليه الباحث، النظر في كتب الفرق ذاتها، التي حـررت المسائل وحققت الأدلة، وانتصر فيها كل لفئة وطائفته مـدافعاً منافحـاً مؤصـلاً مستدلاً على صحة ما قرره أئمته من مذهب، ومجادلاً ومحاجاً غيره وراداً علـى المخالفين ما ذهبوا إليه.

فبالنظر فيها لا تكاد تجد خلافاً ذا بال يتعلق بهذه الأركان الثلاثة -الإيمـان بالملائكة والكتب والرسل- وقد وقف جميع المسلمين من أهل القبلة على مـوارد النصوص القطعية في دلالتها، وكان اتفاقهم وإجماعهم على ذلك إجمالاً في مواطن الإجمال، وتفصيلاً في مواطن التفصيل[١٥٩٦].

(١٥٩٦) انظر: عقيدة الإباضية في مشارق أنوار العقول الباب الثالث، صـ ٢٨٤-٣٢٥، والفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثاني الهجري، للوهيبي صـ ٢٦٨- ٢٩٦.

قال ابن تيمية: "والإقرار بالملائكة والجن عام في بني آدم، ولم ينكر ذلك إلاّ شواذ من بعض الأمم"(١٥٩٧).

قال ابن بطة: " وكذلك وجوب الإيمان والتصديق بجميع ما جاءت به الرسل من عند ا ، وبجميع ما قاله ا عز وجل فهو حق لازم، فلو أن رجلاً آمن بجميع ما جاءت به الرسل إلاّ شيئاً واحداً، كان برد ذلك الشـيء كـافراً عنـد جميـع العلماء"(١٥٩٨).

وممن كتب في أصول الإيمان عند الفرق الإسلامية الباحـث المتخصـص د.عبدالفتاح أحمد فؤاد في كتابه المعروف: "الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانيـة"، ولم يعرج على خلاف بين الفرق الإسلامية في هذه الأركان الثلاثة.

(١٥٩٧) النبوات لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، صـ٢٤، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ .

(١٥٩٨) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، لابن بطة، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، صـ٢١١، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

المبحث الثاني

الإيمان باليوم الآخر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مكانة الإيمان باليوم الآخر، والمقصود به، وإطلاقاته الاصطلاحية وأسماؤه الشرعية

المطلب الثاني: الإيمان بما يقع في اليوم الآخر من المشاهد والمواقف والأحوال والأهوال

المطلب الأول

مكانة الإيمان باليوم الآخر، والمقصود به، وإطلاقاته الاصطلاحية وأسماؤه الشرعية

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: مكانة الإيمان باليوم الآخر

الفرع الثاني: المقصود بالإيمان باليوم الآخر

الفرع الثالث: اليوم الآخر وإطلاقاته الاصطلاحية

الفرع الرابع: أسماؤه الشرعية كما وردت في القرآن

الفرع الأول
مكانة الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان التي لا يتم إيمان العبد المكلف إلاّ بعد تحقيقه والإقرار به والعمل بمقتضياته، فمن أنكره فقد كفر بإجماع المسلمين.

قال ا تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[(١٥٩٩)].

وقال **صلى ا عليه وسلم** كما جاء في حديث جبريل (فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن با ، وملائكته وكتبه، ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[(١٦٠٠)].

(١٥٩٩) سورة البقرة الآية: ١٧٧.

(١٦٠٠) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، (٣٦/١) حديث رقم ٨.

الفرع الثاني

المقصود بالإيمان باليوم الآخر

المقصود بالإيمان باليوم الآخر هوالتصديق الجازم بوقوعه وبما يدخل فيه من الأحوال، وما يقع فيه من الأهوال، والاعتقاد بنهاية الحياة الدنيا الفانية، والانتقال بعدها إلى الدار الأخرى الباقية.

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر: التصديق بالساعة وقيامها، والإيمان بأشراطها(١٦٠١)، وبالموت وما بعده من حياة البرزخ، وفتنة القبر ونعيمه وعذابه،

(١٦٠١)**قسم العلماء هذه العلامات إلى قسمين:**

أ - صغرى: وهي التي تدل على اقتراب الساعة، وهي كثيرة جداً، وكثير منها قد وقع إن لم يكن أغلبها.

ومنها: بعثة النبي **صلى الله عليه وسلم**، وضياع الأمانة، وزخرفة المساجد والتباهي بها، وتطاول الرعاة في البنيان، ومقاتلة اليهود وقتلهم، وتقارب الزمن، ونقص العمل، وظهور الفتن، وكثرة القتل، وكثرة الزنا والفسوق. قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ سورة القمرالآية: ١.

ب -كبرى: وهي التي تكون بين يدي الساعة وتنذر ببدء وقوعها، وهي عشر علامات، ولم يظهر منها شيء.

ومنها: خروج المهدي، وخروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام من السماء حكماً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الدجال والخنزير، ويضع الجزية، ويحكم بشريعة الإسلام، ويظهر يأجوج ومأجوج فيدعو عليهم فيموتوا، وخسوفات ثلاث، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب، والدخان وهو انبعاث دخان عظيم من السماء يغشى الناس ويعمهم، ورفع القرآن من الأرض إلى السماء، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وخروج نار عظيمة من عدن تسوق الناس إلى أرض الشام، وهي آخر العلامات العظام.

روى مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: أطلع النبي **صلى الله عليه وسلم** ونحن نتذاكر فقال: (ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات. فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري، كتابالفتنوأشراطالساعة، بابفيالآياتالتيتكونقبلالساعة،(٢٢٢٥/٤) حديث رقم ٢٩٠١. وقال **صلى الله عليه وسلم**: (يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً ، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً، أو ثمانياً، يعني حججاً) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أبي سعيد الخدري (٦٠١/٤) وقال:هذاحديثصحيحالإسنادولميخرجاه، ووافقه الذهبي. وقد ورد أن هذه الأمارات متتابعة كتتابع الخرز في النظام، فإذا ظهرت إحداهما تبعتها الأخرى، فإذا انقضت هذه العلامات قامت الساعة بإذن الله تعالى. والمقصود بالساعة: هو يوم يخرج الناس من قبورهم بأمر ربهم ليحاسبوا، فينعم محسنهم ويعذب مسيئهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ سورة المعارجالآية: ٤٣.

وبالنفخ في الصور، وبعث الخلائق من القبور، وحشرهم، وما يجري بعد الحشـر من نشر الصحف، ونصب الموازين، والإيمان بالصراط، وبالحوض، وبالشفاعة، والجزاء بالجنة للمحسنين وبالنار للكفار والعصاة المسيئين.

والإيمان باليوم الآخر إجمالي وتفصيلي:

أما الإجمالي: فهو أن نؤمن بأن هناك يوماً يجمع ا فيه الأولين والآخـرين فيجازي كلاً بعمله، فريق في الجنة، وفريق في السعير. قال تعـالى: قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ [1602].

وأما التفصيلي:فهو الإيمان بتفاصيل ما يكون بعد الموت ويشمل ذلك أموراً تبـدأ بالموت وتنتهي بالمستقر الأخير في الجنة أو النار،ويأتي بيان تفصيلها بالأدلة الشرعية في المبحث التالي.

(١٦٠٢) سورة الواقعةالآيتان: ٤٩-٥٠.

الفرع الثالث

اليوم الآخر وإطلاقاته الاصطلاحية

لليوم الآخر في الاصطلاح الشرعي إطلاقان:

الإطلاق الأول:

يوم القيامة: وهو يوم الآخرة؛ الذي تنتهي فيه الدنيا، وتبدل الأرض غير الأرض، والسماوات.

وذهب إلى هذا الرأي جماعة من العلماء والمفسرين، قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾(١٦٠٣)

وسميت آخرة لتأخرها عن الخلق، كما سميت الدنيا دنيا، لدنوها من الخلق.

ويقول الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾(١٦٠٤).

"السؤال الثالث: ما المراد باليوم الآخر؟ الجواب: يجوز أن يراد به الوقت الذي لا حد له، وهو الأبد الدائم، الذي لا ينقطع له أمد، ويجوز أن يراد به الوقت المحدود، من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة، وما بعده فلا حد له"(١٦٠٥).

واليوم الآخر هو يوم القيامة، وأوله من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى على الصحيح.

وقيل: إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

(١٦٠٣) سورة البقرة الآية:٤.

(١٦٠٤) سورة البقرة الآية:٨.

(١٦٠٥)التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، (٥٦/٢).

الإطلاق الثاني:

يذهب بعض العلماء إلى أن يوم القيامة يبدأ بالموت بالنسبة إلى الإنسان، ويستدلون بقوله صلى ا عليه وسلم: (إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه)[١٦٠٦]، وقولهم: "من مات فقد قامت قيامته"[١٦٠٧].

وقد أجمع المسلمون قاطبة على ثبوت البعث والنشور والجزاء والحساب، بالأدلة الشرعية والعقلية القطعية[١٦٠٨]، وكان مقتضى الحكمة الإلهية أن يجعل ا تعالى لهذه الخليقة معاداً يجزيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله. قال عز وجل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[١٦٠٩]. ويقول تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[١٦١٠].

(١٦٠٦) أخرجه الترمذي في سننه من حديث هانئ مولى عثمان، باب ما جاء في ذكر الموت (٥٥٣/٤) حديث رقم ٢٣٠٨، وأخرجه الحاكم في المستدرك من حديث هانئ مولى عثمان، (٣٦٦/٤) حديث رقم ٧٩٤٢، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١٦٠٧) وهذا القول لا يصح حديثا مرفوعا إلى النبي صلى ا عليه وسلم بل هو من الأقوال المأثورة عن السلف كالمغيرة بن شعبة وغيره، انظر: تفسير البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، (٤٢١/٤)، دار المعرفة - بيروت، السلسلة الضعيفة (٤٦٤/١١).

(١٦٠٨) سيأتي توثيق الإجماع في نهاية هذا المطلب إن شاء ا تعالى، وثنايا البحث ببسط في العبارة.

(١٦٠٩) سورة المؤمنون الآية: ١١٥.

(١٦١٠) سورة الحج الآية: ٥.

الفرع الرابع
أسماؤه الشرعية كما وردت في القرآن

ذكر اليوم الآخر بأكثر من اسم في القرآن الكريم ومن أشهرها:

يوم القيامة، ويوم البعث، ويوم الفصل، ويوم الخروج، ويوم الحسرة، ويـوم الخلود، يوم الحساب، يوم الدين، ويوم الآزفة، ويوم الجمع، ويوم التنـاد، ويـوم التلاق، ويوم التغابن، القارعة، الطّامة،الواقعة، الحاقّة، الصاخة، الغاشية، وغيـر ذلك مما دل عليه الشرع وبيانه فما يلي:

يوم القيامة: قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [١٦١١].

وقـــــــــــــال تعـــــــــــــالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [١٦١٢].

ويـــــوم البعـــــث: قـــــال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [١٦١٣].

وسمي بيوم البعث لأن ا عز وجل يبعث الموتى من قبـورهم، ويحيـيهم للحساب والجزاء.

ويوم الفصل: قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [١٦١٤]، وقال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [١٦١٥].

(١٦١١) سورة القيامةالآية: ١.

(١٦١٢) سورة الإسراء منالآية:٩٧.

(١٦١٣) سورة الروم الآية:٥٦.

(١٦١٤) سورة الصافات الآية:٢١.

وسمي بذلك لأن الله يفصل بين العباد فيما كانوا فيه مختلفين، متخاصمين: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٦١٦)

ويوم الخروج: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ (١٦١٧).

سمي بذلك لأن الناس يخرجون فيه من قبورهم، ويتوجهون إلى أرض المحشر، عند نفخ الصور نفخة البعث والنشور.

ويوم الحسرة: قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٦١٨)، وسمي بذلك لتحسر أهل الإيمان على عدم استزادتهم من الخير، وتحسر أهل الكفر على عدم إيمانهم.

ويوم الخلود: قال تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ (١٦١٩)، وسمي بذلك لأن الله عز وجل كتب على أهل الجنة الخلود فيها، وعلى أهل النار الخلود فيها قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٦٢٠).وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٦٢١).

ويوم الحساب: قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (١٦٢٢).

(١٦١٥) سورة المرسلات الآية:٣٨.

(١٦١٦) سورة السجدة الآية:٢٥.

(١٦١٧) سورة ق الآية:٤٢.

(١٦١٨) سورة مريم الآية:٣٩.

(١٦١٩) سورة ق الآية:٣٤.

(١٦٢٠) سورة البقرة الآية:٣٩.

(١٦٢١) سورة البقرة الآية:٨٢.

(١٦٢٢) سورة صالآية:٢٦.

وسمي بذلك لأن الله تعالى يحاسب الخلائق جميعاً على أعمالهم صغيرها وكبيرها، سيئها وحسنها.

ويوم الدين: قال تعالى: وإن الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين [١٦٢٣].

ويوم الآزفة: قال تعالى: وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع [١٦٢٤].

ويوم الجمع: قال تعالى: وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير [١٦٢٥].

ويوم التناد: قال تعالى: ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد [١٦٢٦].

ويوم التلاق: قال تعالى: رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق [١٦٢٧].

ويوم التغابن: قال تعالى: يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم [١٦٢٨].

والقارعة: قال تعالى: القارعة ما القارعة [١٦٢٩].

(١٦٢٣)سورة الانفطار الآيتان: (١٤-١٥).

(١٦٢٤)سورة غافر الآية:١٨.

(١٦٢٥) سورة الشورى الآية:٧.

(١٦٢٦) سورة غافر الآية:٣٢.

(١٦٢٧) سورة غافر الآية:١٥.

(١٦٢٨) سورة التغابن الآية:٩.

(١٦٢٩) سورة القارعة الآيات:(١-٢).

والغاشية: قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾[١٦٣٠].

(١٦٣٠) سورة الغاشيةالآية: ١.

والصاخة: قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [1631].

والطّامة: قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [1632].

والحاقّة:قال تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [1633].

والواقعة:قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [1634].

وغير ذلك، من الأسماء التي استفادها العلماء من وصف ا تعـالى لـ ذلك اليوم، بأوصاف كثيرة محيطة بما يجري فيه[1635]، وكثرت أسماء اليـوم الآخـر وتعددت أوصافه؛ لعظم أمره وكثرة أهواله.

(١٦٣١) سورة عبسالآية: ٣٣.

(١٦٣٢) سورة النازعاتالآية:٣٤.

(١٦٣٣) سورة الحاقة الآيات:(١-٢).

(١٦٣٤) سورة الواقعةالآية: ١.

(١٦٣٥) انظر: " القيامة الكبرى " للدكتور عمر سليمان الأشقر، صـ ٢٠- ٢٩، دار النفـائس - الكويـت، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

المطلب الثاني

الإيمان بما يقع في اليوم الآخر من المشاهد والمواقف والأحوال

وفيه فرعان:

الفرع الأول: المشاهد والمواقف والأحوال في اليوم الآخر

الفرع الثاني: اتفاق أهل القبلة في الإيمان باليوم الآخر

الفرع الأول

المشاهد والمواقف والأحوال في اليوم الآخر

أولاً: فتنة القبر

وتكون بنزول ملكين يسألان الميت بعد دفنه،من ربه؟ ومن نبيه؟ وما دينـه؟ فيثبت ا   الذين آمنوا بالقول الثابت، ويهتدون للصواب في الجواب، أما أهل الكفر والنفـاق فـلا يهتـدون للجـواب، قـال تعـالى: يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ [(١٦٣٦)]. وفـي صحيح مسلم من حديث البراء بن عازب[(١٦٣٧)] قال: (نزلت في عذاب القبر، يقال له:من ربك؟ فيقول: ربي ا)[(١٦٣٨)].

وفي حديث أنس بن مالك في الصحيحين: أن رسول ا   صلى ا   عليه وسلم قـال: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا)[(١٦٣٩)].

فيجب الإيمان بما دلت عليه الأحاديث من سؤال الملكين وكيفية ذلك، ومـا يجيب به المؤمن، وما يجيب به المنافق.

(١٦٣٦) سورة إبراهيم الآية:٢٧.

(١٦٣٧) البراء بن عازب هو: البراء بن عازب بن حارث بن عدي بن جشم، أبو عمارة وقيل أبو عمر، أنصاري أوسي له ولأبيه صحبة، أول مشاهده مع النبي صلى ا   عليه وسلم أحد، وقيل الخندق، غزا أربع عشرة غـزوة، مات سنة ٧٢هـ في الكوفة. انظر: الاستيعاب لابن عبدالبر (١٥٥/١-١٥٧) أسد الغابة (٢٠٥/١-٢٠٦).

(١٦٣٨) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عـازب، كتـاب الجنـائز، باب ما جاء في عـذاب القبر، (٤٦١/١) حديث رقم ١٣٠٣، أخرجه مسـلم فـي صـحيحه مـن حـديث، كتاب الجنة وصـفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٢٢٠١/٤) حديث رقم ٢٨٧١.

(١٦٣٩) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، (٤٦٢/١) حديث رقم ١٣٠٨، وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنـس بـن مالـك، كتاب الجنة وصـفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه،(٢٢٠٠/٤) حديث رقم٢٨٧٠.

"والمراد من سؤال القبر السؤال في البرزخ بين الموت والبعث، سواء أكان ذلك في القبر أو في غيره، وقد أضيف السؤال إلى القبر بـالنظر إلـى أن أكثـر الموتى من الناس يقبرون"(١٦٤٠).

ثانياً: عذاب القبر ونعيمه

يجب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وأنه إما حفرة من حفر النار أو روضـة من رياض الجنة، وأن القبر أول منازل الآخرة، فمن نجا منه فما بعده أيسر منـه ومن لم ينج فما بعده أشد منه، ومن مات قامت قيامته.

ويقع النعيم والعذاب في القبر، وعذابه يكون للظـالمين ونعيمـه للمـؤمنين الصادقين.

والميت يعذب في البرزخ أو ينعم، سواء قُبر أو لم يقبر. فلو أُحرق أو أغرق أو أكلته السباع أو الطيور فلابد أن يناله ذلك العذاب أو النعيم(١٦٤١).

قال تعالى: النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (١٦٤٢).

وقال **صلى ا عليه وسلم**: (فلو لا أن لا تدافنوا لدعوت ا أن يسمعكم من عذاب القبر)(١٦٤٣).

ولم يختلف أهل القبلة في فتنة القبر ووقوعها للموتى، ولا في عذاب القبـر ونعيمه، في الجملة، ولا يصح إطلاق وقوع الخلاف في هذا الأصل الثابت بالأدلة المتواترة، بل لا بد من التفصيل، إذ أنكر المنكر من الفرق والطوائف وجود حياة

(١٦٤٠)العقيدة الإسلامية للخن ومستو صـ ٣٨١، ٣٨٢.

(١٦٤١)على الروح والجسد جميعاً وقد تنفرد الروح بهذا أحياناً، وهذا هو الصحيح الراجح، خلافاً لمن ذهب من المعتزلة إلى أن العذاب في البرزخ يقع على الروح دون البدن لفنائه عندهم.

(١٦٤٢) سورة غافر:الآية ٤٦.

(١٦٤٣) أخرجهمسـلم فـي صـحيحه مـن حـديث أبـي سـعيد الخـدري عـن زيـد بـن ثابـت، كتابالجنةوصفةنعيمهاوأهلها، بابعرضـمقعدالميتمنالجنةأوالنارعليهوإثباتعذابالقبروالتعوذمنه (٢٢٠٠/٤) حـديث رقم٢٨٦٧.

برزخية في القبور، وذهبوا إلى أن العذاب والنعيم يقع على الأبدان والأرواح بعد بعثها وليس في قبورها(١٦٤٤)، وقد أخطأ من نسب المعتزلة إلى إنكاره مطلقاً دون تفصيل، ورد ذلك الإمام المقبلي اليماني، وجعله من الكذب والبهت على المعتزلة، ومن تجني الخصوم من الأشاعرة، دون تثبت، وجعل ورود القول بإنكار عـذاب القبر على وجه الشذوذ منسوباً إلى بشر المريسي وضرار، وهو مـن الإغـراب الذي لا يمكن نسبته إلى المعتزلة كمذهب، ومن الإنصاف بيان قائله كفرد شذ في القول، ولا تخلوا المذاهب من أقوال شاذة خارجة عن قواعدها(١٦٤٥).

ولا يسلم استدراك المقبلي من استدراك، إذ يلاحظ عـدم وضـوح مـذهب المعتزلة من خلال تضارب النقول عنهم أحياناً، وإجمالها أحيانـاً أخـرى، بينمـا الملاحظ في مذهب أهل السنة والجماعة سلفيهم، ومتكلمهم، التفصيل والوضـوح في الأمر.

فقد أجمع أهل السنة على وقوع العذاب في القبور، وعلى وجود حيـاة فـي البرزخ، كما حكاه ابن القطان وغيره(١٦٤٦).

واختلفت الرواية عن المعتزلة والمدارس المتأثرة بها، أو الموافقة لها فـي أغلب أصولها، كالزيدية، والإباضية، محل الدراسة هنا.

(١٦٤٤) أجمع أهل السنة على وقوع العذاب في القبور، وعلى وجود حياة في البرزخ، كما حكاه ابن القطان في كتابه الإقناع، صـ٥٠،٥١. واختلفت الرواية عن المعتزلة والمدارس المتأثرة بها، أو الموافقة لهـا فـي أغلب أصولها، كالزيدية، والإباضية، محل الدراسة هنا، فنقل الأمير الحسين بن بدر الدين اليمـاني الزيـدي اختلاف أهل البيت في ثبوت عذاب القبر وثوابه، على قولين، ثم رجح وقوعه بقوله: "والعقل يجـوزه، فإنـه مقدور تعالى، وجائز في الحكمة؛ إذ لا وجه يقتضي قبحه، فجاز وقوعه"، ثم ساق طرفـاً مـن الأخبـار المأثورة في ذلك ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة للأمير/ الحسين بن بدر الدين، تحقيق: د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني، صـ٥٠١، مكتبة بدر للطباعة والنشر- صنعاء، الطبعـة الثانيـة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(١٦٤٥) انظر: العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ مع كتاب الأرواح النوافخ، للعلامة صالح بن المهدي المقبلي اليمني صـ٤١٧، مكتبة دار البيان - دمشق.

(١٦٤٦)انظر: كتاب الإقناع في مسائل الإجماع لابن القطان، صـ٥٠،٥١، شرح العقيدة الطحاوية صـ٤٤٧، ٤٥٠.

فنقل الأمير الحسين بن بدر الدين اليماني الزيدي[١٦٤٧] اختلاف أهل البيـت في ثبوت عذاب القبر وثوابه، على قولين، ثم رجح وقوعه بقوله: "والعقل يجوزه، فإنه مقدور تعالى، وجائز في الحكمة؛ إذ لا وجه يقتضي قبحه، فجاز وقوعه"، ثم ساق طرفاً من الأخبار المأثورة في ذلك[١٦٤٨].

وحكى أحمد بن سـليمان[١٦٤٩]– من علماء الزيدية - الخلاف فـي عـذاب القبر، وأورد الأدلة على عدم وقوعه، وتأول أدلة المخالفين من أهل السنة ومـن وافقهم في الإثبات، ورجح حصوله في البعث لا في القبر، وكانت عباراته مرتبكة في تقرير ذلك مذهباً له و للزيدية[١٦٥٠].

أما الإباضية: فقد نقل عنهم الإثبات لعذاب القبر والحيـاة البرزخيـة، دون تعرض للكيفية التي بها تكون، وإنكارهم على منكري ذلك[١٦٥١].

ولعل المعتمد من قول المعتزلة كمذهب هو ما مال إليه القاضي عبد الجبار المحقق في المذهب، والمحرر له؛ إذ أثبت سؤال منكر ونكيـر، وعـذاب القبـر بالسمع، ومنع من محاولة العقل إدراك كيفية ذلك، وساق الأدلة الشرعية، والحجج العقلية التي رد بها على شبهات المخالفين[١٦٥٢].

(١٦٤٧) الحسين بن بدر الدين هو: الحسين بن بدر الدين بن محمد بن أحمد بن يحيـى اليحيـوي الهـادوي الحسني اليمني، ولد عام ٥٨٢هـ، وتوفي ٦٦٢هـ. نشأ في صعدة، من مؤلفاتـه: "شـفاء الأوام لأحاديـث الأحكام" و"الإرشاد في أصول الدين" و"العقد الثمين في معرفة رب العالمين" و"ينابيع النصيحة فـي أصـول الدين". انظر: أعلام المؤلفين الزيدية، صـ٣٩٠.

(١٦٤٨) انظر: ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة للأمير/ الحسين بن بدر الدين صـ٥٠١.

(١٦٤٩) أحمد بن سليمان هو: الإمام المتوكل على ا أحمد بن سليمان بن محمد الحسني، اليمنـي، ينتهـي نسبه إلى الإمام الهادي، أحد أئمة الزيدية، ولد عام ٥٠٠هـ ودعا لنفسه عام ٥٣٢هـ، وحكم صنعاء وزبيـد وصعدة ونجران، وخطب له في الحجاز، توفي عام ٥٦٦هـ، ومن مؤلفاته: "كتاب أصول الأحكام في الحلال والحرام" و"حقائق المعرفة" و"الحكمة الدرية" وغيرها. انظر: أعلام المؤلفين الزيدية لعبدالسلام عباس الوجيه، صـ١١٤، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(١٦٥٠) انظر: حقائق المعرفة في علم الكلام للإمام أحمد بن سليمان صـ ٣٥٣، ٣٥٤.

(١٦٥١) انظر: الفكر العقدي عند الإباضية د/ مسلم بن سالم الوهيبي، صـ ٣٠٢، ٣٠٣، الفرق الإسـلامية وأصولها الإيمانية د/ عبد الفتاح أحمد فؤاد (٢٥٣/٢).

(١٦٥٢) انظر: شرح الأصول الخمسة صـ٧٣١ -٧٣٣.

ثالثاً: النفخ في الصور

الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام فينفخ النفخـة الأولـى فتمـوت الخلائق جميعاً إلا من شاء ا ، ثم ينفخ النفخة الثانية فتبعث الخلائق أجمـع منـذ خلق ا الدنيا إلى قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (١٦٥٣).

وقال **صلى ا عليه وسلم**: (ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصـغى ليتاً ورفع ليتاً، ثم لا يبقى أحد إلا صعق، ثم ينزل ا مطراً كأنه الطل، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)(١٦٥٤).

لم يقع الخلاف في النفخة في الصور، وأنه صوت يصـعق لـه مـن فـي السموات والأرض إلاّ من شاء ا ، وإنما وقع الخلاف في ماهية الصور، فخالف بعضهم وأنكر أن يكون بوقاً يلتقمه إسرافيل؛ لعدم ثبوت الحديث عندهم(١٦٥٥).

رابعاً: البعث

وهو إحياء ا الموتى، برد الروح إلى جسدها، حين ينفخ في الصور النفخة الثانية فيقوم الناس لرب العالمين، فإذا أذن ا بالنفخ في الصور وبرجوع الأرواح إلى أجسادها حينئذ قام الناس من قبورهم، وساروا مسرعين إلى الموقف حفاة:غير منتعلين، عراة: غير مكتسين، غرلاً: غير مختونين، بهما: لـيس معهـم شـيء، ويطول الموقف وتدنو الشمس منهم ويزاد في حرها، ويلجمهـم العـرق؛ لشـدة

(١٦٥٣)سورة الزمرالآية: ٦٨.

(١٦٥٤) أخرجـه مسـلم فـي صـحيحه مـن حـديث عبـد ا بـن عمـرو، كتابالفتنوأشراطالساعة،بابفيخروجالدجالومكثهفيالأرضونزولعيسىوقتلهإياهوذهاببأهلالخيروالإيمانوبقاءشرارالناس وعبادتهمالأوثانوالنفخفيالصوروبعثمنفيالقبور، (٢٢٥٨/٤) حديث رقم ٢٩٤٠.

(١٦٥٥) كالزيدية على قول في المذهب قرره واختاره أحمد بن سليمان، انظر: حقائق المعرفة في علم الكلام صـ٣٥٥،٣٥٦، وقرر الأمير الحسين بن بدر الدين خلافه، بما يوافق المنقول عن أهل السنة، انظر: ينـابيع النصيحة في العقائد الصحيحة صـ٥٠٢.

الموقف، فمنهم من يبلغ العرق إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ العـرق إلـى ركبتيـه، ومنهم من يبلغ إلى حقويه، ومنهم من يبلغ إلى ثدييه، ومنهم من يبلغ إلى منكبيـه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً وذلك كله بقدر أعمالهم.

فالبعث حق ثابت دل عليه الشرع والحس والعقل:

أما الشرع: فالآيات الكثيرة في كتاب ا تعالى، إذ لا تكاد سورة من سـور القرآن تخلوا من الإشارة إلى البعث والحساب، والنصوص الصحيحة مـن سـنة رسول ا **صلى ا عليه وسلم** الدالة علـى إثباتـه، كثيـرة لا يتسـع المقـام لسردها[١٦٥٦]، ويكتفي الباحث بالإشارة إليها فيما يلي:

قال تعالى: زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [١٦٥٧].

وقال تعالى: يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ [١٦٥٨].

وقال تعالى: وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ [١٦٥٩].

(١٦٥٦)انظر: تفاصيل الأدلة مبسوطة مطولة في كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبـد ا محمد بن أحمد القرطبي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ومعارج القبول لحافظ حكمي (٧٤٩/٢ وما بعدها).

(١٦٥٧) سورة التغابنالآية: ٧.

(١٦٥٨) سورة الأنبياءالآية:١٠٤.

(١٦٥٩)سورة يسالآيتان: ٧٨-٧٩.

وفي السنة:

عن أبي هريرة رضـ ـ ـ ـ ـ ـي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسـ ـ ـ ـ ـ ـلم: (ما بين النفختين ـ أربعون). قال أربعون يوما؟ قال أبيت قال أربعون شهرا؟ قال أبيت قال أربعون سـ ـ ـ ـنة؟ قال أبيت. قـ ـ ـ ـ ـال (ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة)(١٦٦٠).

وأما الحس: فقد أرى ا عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفـ ـي سـ ـورة البقرة خمسة أمثلة على ذلك، وهي قوم موسى الذين أحياهم ا بعد إماتتهم(١٦٦١)، وقتيل بني إسرائيل(١٦٦٢)، والقوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت(١٦٦٣)، والذي مر على قرية خاوية على عروشها واستبعد إحياء ا لهـ ـا(١٦٦٤)، وطيـ ـر إبراهيم عليه السلام الذي فرق أجزائها ثم بأمر ا جمعها وأحياها(١٦٦٥).

(١٦٦٠) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب التفسير، باب (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) (١٨٨١/٤) حديث رقم ٤٦٥١، وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب الفتن وأشراط السـ ـاعة، باب ما بين النفختين (٢٢٧٠/٤) حديث رقم ٢٩٥٥.

(١٦٦١) قـ ـ ـال تعـ ـ ـالى حكايـ ـ ـة عـ ـ ـن بنـ ـ ـي إسـ ـ ـرائيل فـ ـ ـي خطـ ـ ـابهم لموسـ ـ ـى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة البقرة الآيتان: (٥٥-٥٦).

(١٦٦٢) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ سورة البقرة الآية: ٧٣.

(١٦٦٣) قـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـال تعـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ سورة البقرة الآية: ٢٤٣.

(١٦٦٤) قـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـال تعـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة البقرة الآية: ٢٥٩.

(١٦٦٥) قـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـال تعـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة البقرة الآية: ٢٦٠.

وأما العقل: فالاستدلال به من جهات:

أ - أن ا تعالى فاطر السماوات والأرض، وما فيهما، خلقهما ابتداء، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته، وقد استدل القرآن بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، وعلى الخلق الثاني بالخلق الأول، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (١٦٦٦).

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٦٦٧).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٦٦٨).

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (١٦٦٩).

ب - أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها حياة فينزل ا عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، فالقادر على إحيائها بعد موتها قادر على إحياء الأموات.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِ

(١٦٦٦) سورة مريم الآيتان: (٦٦ ـ ٦٧).

(١٦٦٧) سورة العنكبوت الآيتان:(١٩-٢٠).

(١٦٦٨) سورة الروم الآية:٢٧.

(١٦٦٩) سورة يـس الآية:٧٨.

نكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ [1670].

وقال تعالى:

فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [1671].

وقال تعالى:

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ [1672].

وقال تعالى:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [1673].

ج- القادر على خلق الأعظم قادر على خلق ما دونه:

قال تعالى:

ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا [1674].

وقال تعالى:

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ [1675].

(١٦٧٠) سورة الحج الآية:٥.

(١٦٧١) سورة الروم الآية: ٥٠.

(١٦٧٢) سورة فاطر الآية:٩.

(١٦٧٣) سورة فصلت الآية:٣٩.

(١٦٧٤) سورة الإسراء الآية:٩٨.

(١٦٧٥) سورة يـس الآية:٨١.

وقـــــــــــــــال تعـــــــــــــــالى:

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٧٦).

وقـــــــــــــــال تعـــــــــــــــالى:

لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٦٧٧).

خامساً: الحشر والشفاعة والحساب والجزاء

أ- **الحشر:** سوق الناس وجمع الخلائق إلى الموقـف لحسـابهم، والفـرق بينهوبين البعث هو أن البعث إعادة الأرواح إلى الأجساد، والحشر سوق هـؤلاء المبعوثين وجمعهم إلى الموقف للحساب.

ونؤمن بحشر الأجساد - أي جمعها -، ومساءلتها، وإقامـة العـدل بينهـا، ومجازاة الخلق على أعمالهم، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً.

قال تعالى: وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً (١٦٧٨).وقال تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (١٦٧٩). وقال تعالى: وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (١٦٨٠).

ب- الشفاعة: ثابتة له صلى ا عليه وسلم بإجماع المسلمين من أهل القبلة(١٦٨١).

(١٦٧٦) سورة الاحقاف الآية:٣٣.

(١٦٧٧) سورة غافر الآية:٥٧.

(١٦٧٨) سورة الكهفالآية: ٤٧.

(١٦٧٩) سورة الحاقةالآيات:(١٩-٢١).

(١٦٨٠) سورة الحاقة الآيتان:(٢٥-٢٦).

(١٦٨١) نقل الاتفاق غير واحد من أهل العلم، في ثبوتها لأهل التوحيد المؤمنين، انظـر: شـرح الأصـول الخمسة للقاضي عبد الجبار، تحقيق: د/ عبد الكريم عثمان صـ ٦٨٧، ٦٨٨، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الثالثـــة ١٤١٦هـــــ -١٩٩٦م، والإبانـــة لأبـــي الحســـن الأشـــعري صـــــ ٢٤١، شرحالمقاصدفيعلمالكلام،لسعدالدينمسعودبنعمربنعبداللهالتفتازاني،(٢٣٩/٢)،وشرح العقيدة الطحاوية صـ٢٢٩.

وهي عامة وخاصة، فالعامة تكون عند اشتداد الأمر في الموقـف العظـيم، على أرض المحشر، والخلائق منتظرة للفصل، ويطول عليها الموقـف فتتمنـى الخلاص ولو إلى النار، ويلجأ الناس إلى أصفياء ا من الأنبياء ليشفعوا لهم عنـد المولى جل وعلا ليعجل بفصل الحساب، فكل نبي يقول نفسي نفسي، حتى يـأتون إلى المصطفى صلى ا عليه وسلم، فيقول أنا لها أنا لها، فيسجد تحـت العـرش فيلهمه ا محامد يحمده ويمجده بها ويستأذن ربه فيأذن له بأن يشفع في الخلائـق ليقضى بين العباد بعد ما أصابهم من الهم والكرب ما لا يطيقون،وهذا هو مقامـه المحمود الذي وعده به ربه عز وجل[١٦٨٢]، وتظهر به منزلته العظيمة ودرجتـه العالية.

قال **صلى ا عليه وسلم**: (إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلـغ العـرق نصف الأذن فبينما هم كذلك، استغاثوا بآدم ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسـى ثـم بمحمد **صلى ا عليه وسلم**، فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشى حتى يأخذ بحلقـة الباب، فيومئذ يبعثه ا مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم)[١٦٨٣].

والشفاعة الخاصة تكون لأمته[١٦٨٤]، واتفقت الفرق في حصولها للصالحين والأتقياء الذين يدخلون الجنة بلا حساب، ووقع الخلاف فـي حصـولها للعصـاة المذنبين من أمته صلى ا عليه وسلم، الذين ماتوا على الكبائر ولم يحدثوا توبة،

(١٦٨٢) على أرجح الأقوال، انظر: إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، لمحمد بن إبراهيم بن سعد ا بن جماعة، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني صـ ٣٠، دار السلام للطباعة والنشر – مصـر، الطبعـة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(١٦٨٣) أخرجهالبخاري في صحيحه من حديث عبد ا بن عمر،كتاب الزكاة، بابمنسألالناستكثرا (٥٣٦/٢) حديث رقم ١٤٠٥.

(١٦٨٤) وهناك أنواع من الشفاعة الخاصة دلت عليها نصوص الكتاب والسنة:

١ - شفاعته صلى ا عليه وسلم في أهل الجنة أن يؤذن لهم بدخول الجنة. دليلها قوله صلى ا عليه وسلم: (آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح، فيقول الخازن من أنت ؟ قال فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلـك) أخرجـه مسـلم فـي صـحيحه مـن حـديث أنـس بـن مالك،كتـاب الإيمان،بابفيقولالنبيصلىاللهعليهوسلمأناأولالناسيشفعفيالجنةوأناأكثرالأنبياءتبعا (١٨٨/١) حديث رقم١٩٧.

فأجاز ذلك أهل السنة وجمهور أهل القبلة لدلالة النصوص على ذلك[(١٦٨٥)]، ومنعت المعتزلة[(١٦٨٦)] ومن وافقهم من الخوارج والإباضية[(١٦٨٧)] والزيدية[(١٦٨٨)] حصول الشفاعة لهذا الصنف من أمة محمد صلى ا عليه وسلم؛ تفريعاً على

---

٢ - شفاعته صلى ا عليه وسلم في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة، وذهب إلى هذا بعض أهل العلم وليس فيها حديث صحيح عن النبي صلى ا عليه وسلم ولا عن غيره، ولعلها فهمت من باب قياس الأولى.

٣ - شفاعته صلى ا عليه وسلم في أقوام استحقوا النار أن لا يدخلوها، أو دخلوها فيشفع لهم أن يخرجوا منها: دليلها: بعموم قوله صلى ا عليه وسلم: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) أخرجه أبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك، باب في الشفاعة، (٦٤٩/٢) حديث رقم ٤٧٣٩وصححه الألباني، وقوله صلى ا عليه وسلم: (يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى ا عليه وسلم فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين، كتاب الرقاق،بابصفةالجنةوالنار،(٢٤٠١/٥) حديث رقم ٦١٩٨. =

= ٤ - شفاعته صلى ا عليه وسلم في رفع درجات أهل الجنة في الجنة. دليلها قوله صلى ا عليه وسلم: (اللهم اغفر لأبي سلمة وأرفع درجته في المهديين) أخرجه مسلم في صحيحه من حديثأم سلمة، كتاب الجنائز، بابفيإغماضالميتوالدعاءلهإذاحضر، (٢ /٦٣٤) حديث رقم ٩٢٠.

٥ - شفاعته صلى ا عليه وسلم في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. دليلها: حديث عكاشة بن محصن في السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، فدعا له النبي صلى ا عليه وسلم بقوله: (اللهم اجعله منهم) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب اللباس،بابالبرودوالحبرةوالشملة، (٢١٨٩/٥)حديث رقم ٥٤٧٤، ومسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب الإيمان،بابالدليلعلىدخولطوائفمنالمسلمينالجنةبغيرحسابولاعذاب (١٩٧/١) حديث رقم ٢١٦.

٦ - شفاعته صلى ا عليه وسلم في تخفيف العذاب عمن كان يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب. دليلها قوله صلى ا عليه وسلم: (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري، كتابفضائلالصحابة، بابقصةأبيطالب (١٤٠٩/٣) حديث رقم ٣٦٧٢، وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري، صحيحمسلم(١٩٣/١)، كتاب الإيمان، بابشفاعةالنبيصلىاللهعليهوسلملأبيطالبوالتخفيفعنهبسببه (١٩٥/١) حديث رقم ٢١٠. انظر: "القيامة الكبرى" د/عمر سليمان الأشقر، صـ ١٨٩-١٩١.

(١٦٨٥) اعتقاد أهل الحديث لأبي بكر الإسماعيلي صـ ٦٨، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، صـ٢٢٩.

(١٦٨٦) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي صـ ٦٨٨- ٦٩٣.

(١٦٨٧) قرر السالمي، والخليلي، اختصاص نبينا صلى ا عليه وسلم بالشفاعة، وأنها مقصورة على التقي من المكلفين، ولا تلحق بالعصاة من أهل الكبائر؛ فالكافر والفاسق عندهم على السواء في حرمانه من الشفاعة. انظر: مشارق أنوار العقول صـ ٣٧٤- ٣٧٦.

(١٦٨٨)انظر: حقائق المعرفة صـ٣٦٧-٣٧٠.

أصلهم في كفر مرتكب الكبيرة الذي مات ولم يتب، وقد وردت في السنة النبويـة أحاديث كثيرة تبين تفاصيل الحشر والموقف والشفاعة، ومنها:

حديث أبي هريرة رضي ا تعالى عنه قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بلحم، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس[١٦٨٩] منها نهسة، فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا في ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم، فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم، فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى صلى الله عليه وسلم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى صلى الله عليه وسلم، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول ، و كلّمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه؛ فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى صلى الله عليه وسلم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فيأتوني، فيقولون: يا محمد أنت رسول ، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، ف

(١٦٨٩)(فنهس) بمعنى أخذ بأطراف أسنانه. شرح النووي على مسلم (١٨٤/١).

أرفع رأسي، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر[١٦٩٠]، أو كما بين مكة وبصرى[١٦٩١]"[١٦٩٢].

ج- الحساب والجزاء: ويكون بعد قبول المولى جل وعلا لشفاعة رسوله محمد صلى ا عليه وسلم لأهل الموقف، فيوقف الحق تبارك وتعالى عباده بين يديه، ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها[١٦٩٣]، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه من إيمان أو كفر، واستقامة أو انحراف، وطاعة أو عصيان، وما يستحقونه على ما قدموه من إثابة أو عقوبة، وإتيان المؤمن كتابه بيمينه، والكافر كتابه بشماله[١٦٩٤].

ويكون الحساب على ما في الكتاب، فالمؤمنون المتقون تكون محاسبتهم بعرض أعمالهم عليهم حتى يعرفوا منّة ا عليهم في سترها عليهم في الدنيا، وفي عفوه عنهم في الآخرة، وييسر ا عليهم الحساب، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾[١٦٩٥].

(١٦٩٠) (هجر) مدينة عظيمة هي قاعدة بلاد البحرين، قال الجوهري في صحاحه هجر: اسم بلد مذكر مصروف، والنسبة إليه هاجري، قال النووي: وهجر هذه غير هجر المذكورة في حديث إذا بلغ الماء قلتين بقلال هجر، تلك قرية من قرى المدينة، كانت القلال تصنع بها وهي غير مصروفة. شرح صحيح مسلم للنووي (١٨٤/١).

(١٦٩١) (بصرى) مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل. شرح صحيح مسلم للنووي (١٨٤/١).

(١٦٩٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب التفسير، باب { ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا } (١٧٤٥/٤) حديث رقم ٤٤٣٥، أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (١٨٤/١) حديث رقم ١٩٤.

(١٦٩٣) لحديث ابن عمر رضي ا عنه قال سمعت النبي صلى ا عليه وسلم يقول: يدنى المؤمن من ربه وقال هشام يدنو المؤمن حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا؟ يقول أعرف يقول رب أعرف مرتين فيقول سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته. وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ سورة هود من الآية: ١٨. أخرجه البخاري في صحيحه من حديث صفوان بن محرز، كتاب التفسير، باب { ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين } (١٧٢٤/٤) حديث رقم ٤٤٠٨.

(١٦٩٤) انظر: "القيامة الكبرى" للأشقر صـ١٩٣.

(١٦٩٥) سورة الانشقاق الآية: ٧.

ويحشر هؤلاء فتستقبلهم الملائكة وتبشرهم بالجنة، وتؤمنهم من الفزع الأكبـر، ومن هول هذا اليوم العصيب، فتبيض وجوههم فهي يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة.

وأما المكذبون المعرضون فيحاسبون محاسبة عسيرة دقيقة على كل صغيرة وكبيرة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ (١٦٩٦).

ويسحبون على وجوههم يوم القيامة إذلالاً لهم جزاء بما قدمت أيديهم وبمـا كانوا يكسبون، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (١٦٩٧).

وقد دلت النصوص القطعيـة علـى الحسـاب، ومنهـا قولـه تعـالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٦٩٨).

وقولـه تعـالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (١٦٩٩).

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (١٧٠٠).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ (١٧٠١).

ولا تصح الشفاعة عند ا تعالى إلا بشرطين:

الأول: رضا ا عن الشافع والمشفوع له.

الثاني: إذن ا تعالى للشافع أن يشفع.

(١٦٩٦) سورة الحاقة الآية:٢٥.

(١٦٩٧) سورة القمر الآية:٤٨.

(١٦٩٨) سورة النور الآية:٣٩.

(١٦٩٩) سورة غافر الآية:١٥.

(١٧٠٠) سورة الغاشية الآية:٢١.

(١٧٠١) سورة الزلزلة الآية:٦.

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (١٧٠٢).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (١٧٠٣).

سادساً: الميزان

الميزان حق يجب الإيمان به، وهو ما ينصبه ا يوم القيامة لوزن أعمال العباد وليجازيهم على أعمالهم، ولم يقع الخلاف في الميزان، وكونه منصوباً لإحقاق الحق، وإقامة العدل بين الخلائق، فقد ورد به صريح المنطوق من القرآن الكريم، وصحيح المنطوق من السنة النبوية المطهرة.

قال القرطبي: "قال العلماء: وإذا انقضى الحساب كان بعد وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسابها"(١٧٠٤).

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (١٧٠٥).

وقال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (١٧٠٦).

(١٧٠٢) سورة الأنبياء الآية: ٢٨.

(١٧٠٣) سورة البقرةالآية:٢٥٥.

(١٧٠٤) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة صـ٣٥٩.

(١٧٠٥) سورة الأنبياءالآية:٤٧.

(١٧٠٦) سورة الأعراف الآيات:(٨-٩).

وقال صلى الله عليه وسلم: (الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها)[١٧٠٧].

وقال صلى الله عليه وسلم: (يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ويوضع الصراط مثل حد الموسى فتقول الملائكة: من تجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي فيقول: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك)[١٧٠٨].

وإنما ورد الخلاف بين أهل القبلة في أمر يتفرع عن أصل الإيمان بالميزان، وهو كيفية هذا الميزان، وما هيته، وما الذي يوزن فيه، وهل هو ميزان أو موازين؟

قال ابن حجر: "

قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل؛ فخالفوا الكتاب والسنة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال، ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين.

وقال ابن فورك[١٧٠٩]**:** أنكرت المعتزلة الميزان، بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها.

(١٧٠٧) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، (٢٠٣/١) حديث رقم ٢٢٣.

(١٧٠٨) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث سلمان (٦٢٩/٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(١٧٠٩) محمد بن الحسن بن فورك: أبو بكر الأصفهاني، أصولي نحوي أديب، شافعي المذهب، من أئمة الأشاعرة المتكلمين المحققين، مات سنة (٤٠٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٤/١٧-٢١٦)، والطبقات لابن السبكي (١٢٧/٤-١٣٥).

قال: وقد روى بعض المتكلمين عن ابن عباس أن الله تعالى يقلب الأعراض أجساماً فيزنها.

وقد ذهب بعض السلف إلى أن الميزان بمعنى العدل والقضاء، **وعزا الطبري** القول بذلك إلى مجاهد. والراجح ما ذهب إليه الجمهور"[1710].

وعزا القرطبي تفسير الميزان بالعدل والقضاء، إلى مجاهد والضحاك والأعمش[1711]، فيكون ذكر الوزن والميزان عندهم ضرب مثل كما يقول: هذا الكلام في وزن هذا، وفي وزنه أي يعادله ويساويه، وإن لم يكن هناك وزن.

وعقب على ذلك بقوله:" قلت: وهذا القول مجاز، وليس بشيء وإن كان شائعاً في اللغة؛ للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي، ووصفه بكفتين ولسان" إلى أن قال في رده على منكري الميزان، وعلى من تأول النصوص الواردة فيه:

قال علماؤنا: ولو جاز حمل الميزان على ما ذكروه؛ لجاز حمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد؛ من الأحزان والأفراح، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة، وهذا كله فاسد؛ لأنه رد لما جاء به الصادق.

وفي الصحيحين: (فيعطى صحيفة حسناته فيخرج له بطاقة)[1712]، وذلك يدل على الميزان الحقيقي، وأن الموزون صحف الأعمال كما بينا وبالله توفيقنا"[1713].

وهذا الخلاف معتبر في دائرة السنة، به يخرج صاحبه إلى دائرة الابتداع، بسبب التأويل، ولا يخرج بحال من الأحوال عن دائرة أهل القبلة، وهي الدائرة الأوسع، والتي يخرج عنها من خالف القطعيات المعلومة من الدين ضرورة، ومعلوم أن المتأولين لهذه النصوص لم ينكروا معلوماً من الدين بالضرورة، وإن كانوا قد وقعوا في مخالفة ظاهرة للسنة، ولكن مخالفة السنة لا يلزم منها الخروج

(١٧١٠) فتح الباري (٥٣٨/١٣)

(١٧١١) التذكرة صـ٣٦٤.

(١٧١٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر، كتاب التفسير، باب (ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين)، (١٧٢٥/٤) حديث رقم ٤٤٠٨، وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث صفوان بن محرز عن ابن عمر، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، (٢١٢٠/٤) حديث رقم ٢٧٦٨.

(١٧١٣) التذكرة للقرطبي صـ٣٦٥.

عن دائرة الإسلام، خاصة والمخالف مؤمن بالنصوص التي وردت في القرآن الكريم، وذكر فيها الميزان والموازين مقترنة بالقسط والعدل، فكان ذلك مدخلاً لتأويله، وقد اتجه إلى التأويل بعض أهل السنة كما سبق النقل عنهم، وجمهور المعتزلة، ومن وافقهم من الإباضية(١٧١٤).

سابعاً: الحوض

نؤمن بحوض النبي **صلى الله عليه وسلم**، وهو حوض عظيم ومورد كريم، يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر في عرصات القيامة يرده المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم(١٧١٥).

وآمنت به الفرق الإسلامية عامة، ولا يعرف مخالف بالجملة(١٧١٦)، ولم أطلع في كتب المقالات على حكاية للخلاف في هذا، وإن وجد شيء من الخلاف في بعض أوصافه، فذلك راجع لزيادة علم في الرواية، واختلاف في طرق ومصادر الأخبار عند كل فرقة من فرق أهل الإسلام.

ومن صفتهالواردة في نصوص السنة: أنه أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك، وهو في غاية الاتساع عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، فيه ميزابان يمدانه من الجنة وآنيته أكثر من نجوم السماء، ومن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

(١٧١٤) انظر: كتاب مشارق أنوار العقول صـ ٣٦٩-٣٧٠.

(١٧١٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية صـ ٢٥١.

(١٧١٦) أثبتته مراجع السنة والشيعة وسائر فرق الكلام، والمعتزلة ومن وافقهم من الزيدية، و الإباضية، وأكثروا من النقول الدالة عليه شرعاً، انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي - وقد نقل تواتر الأحاديث الواردة في الحوض - صـ ٢٥٠ وما بعدها، وكتاب"شرح الصاوي على جوهرة التوحيد صـ ٣٩٨، مشارق أنوار العقول صـ ٣٦٧- ٣٦٨، وحكى تواتر الأحاديث عند الإباضية على ثبوته.

قال النبي **صلى ا عليه وسلم**: (حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شـرب منـه فـلا يظمـأ أبداً)[1717].

ثامناً: الصراط

وقد آمنت به جميع فرق أهل القبلة، وما يحكى من خلاف المعتزلة، فلـيس في أصل الأمر، بل في وصفه، إذ تؤمن المعتزلة بالصراط، وكتبهم تحشد الأدلـة الشرعية لإثباته، وإنما خالفوا أهل السنة في صفة الصراط، إذ أثبت أهل السنة من أوصاف الصراط ما وردت به نصوص السنة، ولم تقبله المعتزلة عقلاً، إما لعـدم ثبوت الأحاديث عندهم، أو لكونها خبر آحاد عارض المعقول، وفي هـذا يقـول **القاضي عبد الجبار المعتزلي:** "ومن جملة ما يجب الإقرار به واعتقاده الصراط؛ وهو طريق بين الجنة والنار، يتسع على أهل الجنة، ويضيق على أهل النـار؛ إذا رامــوا المــرور عليـــه، وقـــد دل عليـــه القـــرآن، قـــال تعـــالى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ [1718].

فلسنا نقول في الصراط ما يقوله الحشوية، من أن ذلك أدق من الشعر، وأحد من السيف، وأن المكلفين يكلفون اجتيازه والمرور به، فمن اجتازه فهو من أهـل الجنة، ومن لم يمكنه ذلك فهو من أهل النار؛ فإن تلك الدار ليست هي بدار تكليف، حتى يصح إيلام المؤمن وتكليفه المرور على ما هذا سبيله فـي الدقـة والحـدة، وأيضاً أن الصراط هو الطريق، وما وصفوه ليس من الطريـق بسـبيل، ففسـد كلامهم فيه"[1719].

(١٧١٧) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد ا بن عمرو،كتاب الرقاق،بابفيـالحوض (٢٤٠٥/٥) حـديث رقـم ٦٢٠٨،وأخرجـه مسـلم فـي صـحيحه مـن حـديث عبـد ا بـن عمـرو، كتـاب الفضائل،بابإثباتحوضنبيناصلىاللهعليهوسلموصفاته (١٧٩٣/٤) حديث رقم٢٢٩٢.

(١٧١٨) سورة الفاتحة الآيتان:(٦-٧).

(١٧١٩) شرح الأصول الخمسة صـ ٧٣٧-٧٣٨.

والصراط عند أهل السنة سلفيهم ومتكلمهم[(١٧٢٠)]، هو جسر منصوب علـى متن جهنم وممر مخوف مرعب، يمر عليه جميع الناس ليصل المحسن منهم إلـى الجنة، ويقع المسيء في النار، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [(١٧٢١)].

وتختلف أحوال الناس على الصراط عند مرورهم عليه، فمـنهم مـن يمـر كالطرف، ومنهم من يمر كالبرق ومنهم كالريح، ومنهم كالطير ومـنهم كأجاويـد الخيل، ومنهم من يمر كشد الرجل، يرمل رملا، وآخر المارين منهم من يسـحب سحباً، فيمرون على قدر إيمانهم وأعمالهم، حتى يمر الذي نوره على قدر إبهـام قدمه، ومن لم يجزالصراط يلقى في النار، ومن جاز الصراط دخل الجنة.

وأول من يعبره نبينا محمد **صلى الله عليه وسلم** ثم أمته، لقوله**صـلى الله عليـه وسلم**: (ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزه)[(١٧٢٢)].

ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، قال **صـلى الله عليه وسلم**: (ويضرب جسر جهنم.. فأكون أول من يجيز ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم)[(١٧٢٣)].

وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط للشهادة على من رعاهما أو ضيعهما، وفي جهنم كلاليب على حافتي الصراط لا يعلم قدرها إلا الله عز وجـل تخطف من شاء الله من خلقه، وتطرحهم في النار، قال **صلى الله عليـه وسـلم**: (وترسل الأمانة والرحم فتقومان على جنبي الصراط يميناً وشمالاً، فيمـر أولكـم

(١٧٢٠) انظر: شرح العقيدة الطحاوية صـ٤٦٩، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد صـ ٣٨٩.

(١٧٢١) سورة مريمالآيتان: (٧١-٧٢).

(١٧٢٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب التفسير، بـابقول اللهتعـالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ سورة القيامة الأيات :٢٢-٢٣.(٢٧٠٤/٦) حديث رقم ٧٠٠٠،وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب الإيمان، بابمعرفةطريقالرؤية (١ /١٦٣)حديث رقم ١٨٢.

(١٧٢٣) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبـي هريـرة، كتـاب الرقـاق، بابالصراطجسـرجهنم، (٢٤٠٣/٥)، حديث رقم٦٢٠٤، وأخرجه مسلم في صـحيحه مـن حـديث أبـي هريرة،كتـاب الإيمـان، بابأدنىأهلالجنةمنزلةفيه، (١٧٧/١) حديث رقم ١٩١. واللفظ للبخاري.

كالبرق... ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال، تجزي بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العبـاد، حتـى يجـئ الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار)[١٧٢٤].

ومن صفته: أنه أحد من السيف وأدق من الشعر، مزلة،لا تثبت عليه قدم إلا مـن ثبته ا وأنه ينصب في ظلمة، قال أبو سعيد الخدري رضي ا عنه: (بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف)[١٧٢٥]، وفي مسند أحمد من حديث عائشة رضـي ا عنها، عن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال: (ولجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف)[١٧٢٦]. وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي ا عنه وفيه قوله صلى ا عليـه وسلم: (ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم" قلنا: يا رسول ا ، وما الجسر؟ قال: (مدحضـة مزلـة، عليـه خطـاطيف، وكلاليـب، وحسـكة مفلطحـة لهـا شوكةعقيفةتكونبنجديقالهاالسعدانالمؤمنعليهاكالطرفوكالبرقوكالريحوكأجاويدالخيلوالركابفنا جمسلمونا جمخدوشومكدوسفينارجهنمحتىيمرآخرهميسحبسحبافماأنتمبأشدليمناشدةفيالحققدتب ينلكممنالمؤمنيومئذللجبار....)[١٧٢٧].

تاسعاً: الجنة والنار

نؤمن بأن الجنة حق وأن النار حق، وأنهما مخلوقتان، موجودتان، لا تفنيـان ولا تبيدان، بل دائمتان[١٧٢٨]، وهو مذهب عامة أهل القبلة، فنعيم أهل الجنة لا ينفد

(١٧٢٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة، كتاب الإيمان، بابأدنيأهلالجنةمنزلةفيه، (١٨٦/١) حديث رقم ١٩٥.

(١٧٢٥) أخرجهمسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخـدري، كتـاب الإيمـان، بابمعرفةطريقالرؤيـة، (١٦٧/١)حديث رقم ١٨٣.

(١٧٢٦) وأخرجه أحمد في مسنده من حديث عائشة، (١١٠/٦).

(١٧٢٧) أخرجـه البخـاري فـي صـحيحه مـن حـديث أبـي سـعيد الخـدري، كتـاب التفسـير، بابقولاللهتعالى(وجوهيومئذناضرة. إلىربهاناظرة)، (٢٧٠٦/٦) حديث رقم ٧٠٠١.

(١٧٢٨) أخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي ا عنه، عن النبي صلى ا عليه وسـلم قـال: (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادى: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت ...) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، (٢٣٩٧/٥) حديث رقم ٦١٨٢، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضـعفاء (٢١٨٩/٤) حديث رقم٢٨٥٠.

ولا يزول، وعذاب أهل النار لمن حكم ا عليهم بالخلود فيها لا يفنى ولا ينقطع، خلافاً لمن شذ منهم وقرر فناء النار.

وأما الموحدون ممن عصى واستحق دخول النار؛ فيخرجون منهـا بشـفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين، خلافاً للمعتزلة والخوارج وقد سبق ذكره.

والجنة: هي دار الكرامة التي أعدها ا للمتقين يوم القيامـة، فيهـا أنهـار جارية وغرف عالية وزوجات حسان، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لا يفنى ولا ينفد نعيمها، كتب ا لأهلها الخلود فيها بلا فناء، ونعيمها دائم بلا انقطاع، يجب الإيمان بكل ما ورد في القرآن وثبت عن النبي صلى ا عليه وسلم من وصـف أهلهـا، وطعـامهم، وشرابهم، ولباسهم، ونسائهم، وإنكار ذلك يخرج عن دائرة الإسلام؛ لأنـه جحـود بالقطعيات، المعلومات بالاضطرار من الدين، وخروج عن إجماع المسلمين(١٧٢٩).

وفي الجنة مائة درجة، بين كل درجة والأخرى كما بين السـماء والأرض، وأعلى الجنة الفردوس الأعلـى وسـقفه عـرش الـرحمن(١٧٣٠)، ولهـا ثمانيـة أبواب(١٧٣١)، ما بين جانبي كل باب كما بين مكة وهجر، وليأتين عليه يوم وهـو ممتلئ من الزحام، وأدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثالها(١٧٣٢).

(١٧٢٩) انظر: مجموع الفتاوى (٣١٣/٤- ٣١٥).

(١٧٣٠) روى الترمذي في سننه من حديث عبادة بن الصامت أن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال: (فـي الجنة مائة درجة، ما بين كلّ درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنه تفجر أنهـار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون عرش الرحمن، فإذا سألتم ا فسلوه الفردوس) (٦٧٥/٤) حديث رقم ٢٥٣١. وصححه الألباني.

(١٧٣١) لحديث سهل رضي ا عنه، عن رسول ا صلى ا عليه وسلم، أنه قال: (في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان، لا يدخله إلاّ الصائمون) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد، كتاب بدء الخلق، بابصفةأبوابالجنة، (١١٨٨/٣) حديث رقم ٣٠٨٤.

(١٧٣٢) لحديث عبد ا بن مسعود رضي ا عنه، قال: قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: (إنـي لأعلـم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبواً...) أخرجه البخـاري في صحيحه من حديث عبد ا بن مسعود، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، (٢٤٠٢/٥)، حديث رقـم ٦٢٠٢، وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود، كتاب الإيمان، باب آخر أهـل النـار خروجـاً، (١٧٣/١) حديث رقم ١٨٦.

قال ا تعالى عن الجنة: وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [(١٧٣٣)].

وقال تعالى -عن خلود أهل الجنة وأنها لا تفنى-: جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ [(١٧٣٤)].

وأما النار: فهي دار العذاب أعدها ا للكافرين والعصاة، ويجب الإيمان بما ورد من وصفها ووصف أهلها، ووصف طعامهم، وشرابهم، ولباسهم، وكل ذلـك قطعي متواتر في ثبوته ودلالته.

فيها أشد العذاب وصنوف العقوبات، وخزنتها ملائكة غلاظ شداد، والكفـار مخلدون فيها، طعامهم الزقوم وشرابهم الحميم، ونار الدنيا جزء من سبعين جـزءا من حر جهنم، فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرهـا أو أشـد، وهذه النار لا تسأم ممن يوضع فيها ويقذف في قعرها بل إنها لتقول هل من مزيد، ولها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم.

وقال تعالى عن النار: وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ [(١٧٣٥)].

وقال تعالى-عن خلود أهل النار وأنها لا تفنى-: إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً [(١٧٣٦)].

(١٧٣٣) سورة آل عمرانالآية:١٣٣.

(١٧٣٤) سورة البينةالآية:٨.

(١٧٣٥) سورة آل عمران:الآية ١٣١.

(١٧٣٦) سورة الأحزاب الآيات: (٦٤-٦٥).

الفرع الثاني

اتفاق أهل القبلة في الإيمان باليوم الآخر

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه ا : "مذهب سائر المسلمين بل وسائر أهل الملل إثبات القيامة الكبرى، وقيام الناس من قبورهم، والثواب والعقـاب هنـاك، وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ ما بين الموت إلى يوم القيامة هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة وإنماأنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع"(١٧٣٧).

وقال: "ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين، واليهود، والنصـارى"(١٧٣٨). وجميع الأنبياء قبل محمد صلى ا عليـه وسـلم قـد أنـذروا قـومهم القيامـة الكبرى(١٧٣٩).

وانعقد الإجماع على كفر منكره(١٧٤٠)، وقد نقل الإجماع غير واحـد مـن أهـل

يقول ابن حزم: "واتفقوا أن البعثحق، وأن الناس كلهم يبعثون في وقت تنقطع فيه سكناهم في الدنيا ..."(١٧٤١).

(١٧٣٧)مجموع الفتاوى (٢٦٢/٤).

(١٧٣٨) مجموع الفتاوى (٢٨٤/٤).

(١٧٣٩) انظر: مجموع الفتاوى (٢٦٦/٤).

(١٧٤٠) والإنكار إما مباشر كالجحود، أو غير مباشر كالتأويلات الباطنية البعيدة التي يعتبر أصـحابها مـا جاءت به النصوص تخيلات وأمور معنوية غير حسية، أوردها الشارع لتناسب العامة والجمهور، **يقول ابـن تيمية** عن هؤلاء الفلاسفة – في هذا الشأن -:-" فأهل التخييل همالمتفلسفة ومن سـلك سـبيلهم مـن مـتكلم ومتصوف ومتفقه، فإنهم يقولون إن ما ذكره الرسولمن أمر الإيمان با واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقـائق لينتفع بها الجمهور، لاأنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحقائق. ثم هم على قسـمين،منهم من يقول: إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه، ويقولون إن من الفلاسفةمن علمهـا، وكـذلك مـن الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها، ويزعمون أن منالفلاسفة والأولياء من هو أعلـم بـا واليـوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاةالملحدين من الفلاسفة والباطنية: باطنية الشيعة وباطنية الصوفية، ومنهم من يقول بلالرسول علمها، لكن لم يبينها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فهـم مـايناقضـها؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.ويقول هؤلاءيجب على الرسول أن يخبر بـأن أهـل الجنة يأكلون ويشربون، مع أن ذلك باطل؛ لأنه لايمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريقة التي تتضـمن الكـذب لمصلحة العباد " انظر: مجموع الفتاوى (٣١، ٣٢)،(٣٣٧/١٢، ٣٥٢).

ويقول أيضاً في حكاية الإجمـاع:- "وأن البعث حق والحساب حق ... يجمع الله تعالى يوم القيامة بينالأرواح والأجساد، كل هذا إجماع من جميع أهل الإسلام، من خرج عنه خرج عنالإسلام"[(١٧٤٢)].

ويقول في "الفصل": "اتفق جميعأهل القبلة على تنابذ فـرقهم علـى القـول بالبعث في القيامة، وعلى تكفير من أنكرذلك"[(١٧٤٣)].

ويقول ابن عبد البر:"وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث، فلاإيمان له ولا شهادة، وفي ذلك ما ينبغي ويكفـي، مـع مـا فـي القـرآن مـن تأكيـد الإقراربالبعث بعد الموت، فلا وجه للإنكار في ذلك"[(١٧٤٤)].

ويقول الإيجي:"أجمعأهل الملل عن آخرهم علـى جـواز حشـر الأجسـاد ووقوعه، وأنكرهما الفلاسفة" [(١٧٤٥)].

ويقول الشوكاني:- "الحاصل أن هذا [أي المعاد] أمر اتفقت عليه الشـرائع، ونطقتبه كتب الله عز وجل سابقها ولاحقها، وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم، ولم يخالففيه أحد منهم، وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملـل، ولم يسمع عنأحد منهم أنه، أنكر ذلك قط، ولكنه ظهر رجل من اليهود زنديق، يقال له موسى بن ميموناليهودي الأندلسي، فوقع منه كلام في إنكار المعـاد، واختلـف كلامه في ذلك، فتارةيثبته، وتارة ينفيه، ثم هذا الزنديق لم ينكر مطلق المعاد، إنما أنكر بعد تسليمهللمعاد أن يكون فيه لذات حسية جسمانية، بل لذات عقلية روحانية، ثم تلقى عنه من هوشبيه به من أهل الإسلام كابن سينا فقلده، ونقل عنه ما يفيد أنه لم يأت في الشرائعالسابقة على الشريعة الإسلامية إثبات المعـاد، وتقليـداً لـذلك

(١٧٤١)مراتب الإجماع لابن حزم، صـ١٧٥.

(١٧٤٢)الدرة فيما يجب اعتقاده، لابن حزم، تحقيق: أحمد الحمد وسعيد القزقي، صـ٢٠٦، الطبعة الأولـى ١٤٠٨هـ، مكتبة التراث، مكة المكرمة.

(١٧٤٣) الفصلفيالمللوالأهواءوالنحل (٤/٦٦).

(١٧٤٤) التمهيدلمافيالموطأمنالمعانيوالأسانيد (٩/ ١١٦).

(١٧٤٥) كتابالمواقف لعضدالدينعبدالرحمنبنأحمدالإيجي (٣/٤٧٤).

اليهودي الملعونالزنديق، مع أن اليهود قد أنكروا عليه هذه المقالة ولعنوه وسموه كافراً..."[1746].

وكفّر أبو حامد الغزالي من زعم أن الجنة لذة روحية، وأن النار شقاء نفسي ثمقال: "والذي نختاره ونقطع به أنه لا يجوز التوقف في تكفير من يعتقد شيئاً من ذلك؛لأنه تكذيب صريح لصاحب الشرع، ولجميع كلمات القرآن من أولها إلى آخرها، فوصف الجنةوالنار لم يتفق ذكره مرة واحدة أو مرتين، ولا جرى بطريق كناية أو توسع وتجوز، بلبألفاظ صريحة لا يتمارى فيها ولا يستراب"[1747].

وقد حكى الإجماع على مشاهد الآخرة، ومواقفها، المنقولة بالنصوص القطعية المتواترة جملة لا تفصيلاً، جمع من الأئمة منهم، **ابن حزم** فقال: "وأن البعث حق، والحساب حق، والجنة حق، والنار حق، داران مخلوقتانمخلدتان، هما ومن فيهما بلا نهاية، يجمع ا تعالى يوم القيامة بين الأرواحوالأجساد، كل هذا إجماع أهل الإسلام، من خرج عنه خرج عن الإسلام"[1748].

وأحمد بن سليمان من الزيدية فقال: "واعلم أن الأمة لم تختلف في أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن ا يبعث من في القبور، ولم يختلفوا في أن الجنة والنار حق، وكذلك أهل الكتابين لم يختلفوا في ذلك"[1749].

(١٧٤٦) إرشادالثقاتإلىاتفاقالشرائععلىالتوحيدوالمعادوالنبوات، لمحمدبنعليالشوكاني،تحقيق: جماعةمنالعلماء، صـ١٤، دارالكتبالعلمية - بيروت، الطبعةالأولى، ١٩٨٤م.

(١٧٤٧) فضائحالباطنية،لأبيحامد محمدبنمحمدبنمحمدالغزالي، تحقيق: عبدالرحمنبدوي، صـ١٥٣، مؤسسةدارالكتبالثقافية - الكويت.

(١٧٤٨) الدرة فيما يجب اعتقاده صـ٢٠٧.

(١٧٤٩) حقائق المعرفة في علم الكلام صـ ٣٥١.

وساق الأمير الحسين بن بدر الدين من الآيات والأحاديث في إثبات مشاهد القيامة، من نفخ في الصور، وبعث من القبور، ومسائلة وحساب، وميزان وصراط، وشفاعة، وحوض، وجنة ونار، وعد ذلك كله من المعلوم ضرورة في الدين بالجملة لا التفصيل. انظر: ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة صـ٥٠١- ٥٢٠.

المبحث الثالث

الإيمان بالقدر خيره وشره

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القدر لغة وشرعاً

المطلب الثاني: مكانة الإيمان بالقدر وأدلة ثبوته

المطلب الثالث: بيان الحد الأدنى من المعرفة بالقدر والإيمان به وأقوال أهل القبلة فيه

التمهيد:

وردت جملة من الأحاديث عن رسول ا صلى ا عليه وسلم في الأمر بالإمساك عن القدر منها:

قوله: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا)(١٧٥٠).

وقوله صلى ا عليه وسلم لما تنازع الصحابة في القدر: (عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه)(١٧٥١).

وأُثر عن أهل العلم، القول إن القدر سر ا في خلقه.

مما يدل على وجوب الإمساك عن الخوض في باب القدر الموصد دون طالبيه.

وهذه الدلالة الظاهرية للنصوص غير مرادة على إطلاقها؛ لأن مسألة القدر لها جانبان، **أحدهما:** مفتوح مطروق من السلف رضي ا تعالى عنهم، فكان وقوفهم على نصوص الشريعة الغراء، التي وضحت وشرحت، وبينت ما ينفع الإنسان من العلم بالقدر، وحكمه العظيمة، ومراتبه، ودرجاته، وآثاره ومواضع التسليم فيه، ولا يمكن القول بأن الشريعة جعلت الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان التي لا يصح بدونها، ووردت الآيات والأحاديث في بيان ذلك، ثم منعت من النظر في الأدلة وفهمها والاستفادة منها.

والجانب الثاني للقدر: وفيه وردت النصوص والآثار القاضية بمنع التخوض فيه، ووجوب الإمساك عنه، وهو ما أخفاه ا عنا، ولم يرد لنا معرفته، وإدراكه؛ لقصورنا عن بلوغ ذلك، ومنه الغوص في أعماق القدر، والسؤال عن السببية في

(١٧٥٠) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، من حديث ثوبان (٩٣/٢) حديث رقم، ١٤٢٧، والألباني في صحيح الجامع برقم ٥٤٥.

(١٧٥١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب القدر، ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، (٤٤٣/٤) حديث رقم ٢١٣٣، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة باب في القدر، (٣٣/١) حديث رقم ٨٥، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي حديث رقم ١٧٣٢.

إضلال فلان وهداية فلان، وإحياء فلان وإماتة فلان، وإعطاء فلان ومنع فـلان، فهو سبحانه جل جلاله: "لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون".

وبهذا تتوجه النصوص الآمرة بالإمساك عن القدر، بأن النهي الـوارد فيهـا متعلق بالخوض في القدر بلا علم، وبجهالة للنصوص الشرعية والأدلة، وتجـاوز في فهم ذلك دون بصيرة من الوحي مرشدة هادية، وبمـا يكـون سـبباً للنـزاع والخلاف، والفرقة المذمومة ؛ إذ يأخذ كل برأيه وهواه دون مستند من الشرع.

المطلب الأول

تعريف القدر لغة وشرعاً

وفيه فرعان:

الفرع الأول: القدر في اللغة.

الفرع الثاني: القدر في الاصطلاح الشرعي.

الفرع الأول
القدر في اللغة

مصدر الفعل قدر يقْدر قَدراً، وقد تُسكن داله"[1752].

قال ابن فارس في مادة (قدر): "قدر: القاف، والدال، والراء، أصل صـحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه، ونهايته؛ فالقدر مبلغ كل شيء، يقال: قدره كـذا أي مبلغه، وكذلك القدر، وقدرت الشيء أقدره وأقدره من التقدير"[1753].

والقَدر محركة: القضاء، والحكم، وهو ما يقدره ا – عز وجل من القضاء، ويحكم به من الأمور.

والتقدير التروي، والتفكير في التسوية للأمر، والقَـدر كالقَـدر وجمعهـا: أقدار[1754].

والفرق بين القدر والتقدير: أن التقدير يستعمل في أفعال العباد، ولا يستعمل القدر إلا في أفعال ا عزوجل[1755].

(١٧٥٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، (٢٢/٤).

(١٧٥٣) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، تحقيق وضبط: عبدالسلام هارون، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، وانظر: ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن لأبي عمر محمد بن عبدالواحد البغدادي الزاهـد المعروف بغلام ثعلب، حققه وقدم له د. محمد بن يعقوب التركستاني صـ٥٧٦، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(١٧٥٤) انظر: لسان العرب (٧٢/٥).

(١٧٥٥) الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري، حققه وعلق على حواشيه ووضع فهارسه جمال عبـدالغني مدغمش صـ٣٢٨، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

الفرع الثاني
القدر في الاصطلاح الشرعي

قال الجرجاني: "القدر: خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء، والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال"[1756].

وقال في تعريف القضاء: "والقضاء لغة: الحكم.

وفي الاصطلاح: عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد[1757]"[1758].

ويلاحظ على تعريف القدر عدم إحاطته بمراتب القدر، فيمكن القول أن القضاء والقدر هو: ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه عزوجل – قدر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تقع في الأزل، وعلم – سبحانه وتعالى – أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى – وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها"[1759].

وقيل في تعريف القدرهو: تقدير ا للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته[1760].

أو هو علم ا بالأشياء وكتابته ومشيئته وخلقه لها[1761].

(١٧٥٦) التعريفات صـ١٧٤.

(١٧٥٧)الأزل: هو الشيء الذي لا بداية له، والأبد هو الشيء الذي لا نهاية له. انظر: التعريفات للجرجاني صـ٧.

(١٧٥٨) التعريفات صـ١٧٧.

(١٧٥٩) انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٣٤٨/١) – المكتب الإسلامي – بيروت – مكتبة أسامة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

(١٧٦٠) رسائل في العقيدة لابن عثيمين صـ٣٧، دار طيبة – الرياض – الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

(١٧٦١) الإيمان بالقضاء والقدر رسالة ماجستير: لمحمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، صـ٤٣، جامعة أم درمان الإسلامية، قسم الرسائل الجامعية، برقم ٨٨٧٥ ـ ١٤٢٦هـ.

والقضاء والقدر أمران متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحـدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء؛ فمـن رام الفصـل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه[١٧٦٢].

وقال الجرجاني: "والفرق بين القدر والقضاء هو أن القضاء وجـود جميـع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعـد حصول شرائطها"[١٧٦٣].

(١٧٦٢) انظر: الفروق في الفقه لابن هلال العسكري صـ٣٢٨. والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسـنة، ومذاهب الناس فيه، لـ د/عبدالرحمن صالح المحمود، صـ٤١، دار الوطن، الطبعـة الثانيـة، ١٤١٨هـ ـ، ١٩٩٧م.

(١٧٦٣) التعريفات صـ١٧٤، وانظر: الإيمان بالقضاء والقدر للحمد صـ٤٤.

المطلب الثاني

مكانة الإيمان بالقدر وأدلة ثبوته

الإيمان بالقدر، خيره وشره، ركن من أركان الإيمان، التي لا يصح بدونها، دلّ على هذا الركن العظيم من أركان الإيمـان؛ الكتـاب، والسـنة، والإجمـاع، والفطرة [(١٧٦٤)].

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم والسنة على القدر

بسط القرآن الكريم القول في أدلة الإيمان بالقدر، وذكرها في عدة آيات علـى الإجمال والتفصيل، وكذلك السنة النبوية، وأشير إلى بعض تلك النصوص في الآتي:

من **الأدلة الإجمالية** على القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [(١٧٦٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [(١٧٦٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [(١٧٦٧)].

وعن طاوس[(١٧٦٨)] أنه قال: "أدركت ناساً من أصحاب رسول ا صـلى ا عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر، قال: وسمعت عبدا بن عمر يقول: قال رسول

(١٧٦٤) الإيمان بالقضاء والقدر للحمد صـ٤٦.

(١٧٦٥) سورة القمر الآية:٤٩.

(١٧٦٦) سورة الأحزاب من الآية: ٣٨.

(١٧٦٧) سورة الحجر الآية:٢١.

(١٧٦٨) طاووس هو: أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان اليماني، قيل اسمه ذكوان، من سادات التـابعين، ثقة فقيه فاضل، من الثالثة، مات سنة١٠٦هـ. انظر: تقريب التهـذيب، (٢٨١/١) ترجمـة رقـم، ٣٠٠٩، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، (٥١٢/١)، ترجمة رقم٢٤٦١.

ا صلى ا عليه وسلم: كل شيء بقـدر حتـى العجـز والكـيس، أو الكـيس والعجز"[1769].

ومعنى العجز يحتمل معان: أنه على ظاهره، وهو عدم القدرة، وقيل: هـو ترك ما يجب فعله، والتسويف به، وتأخيره عن وقتـه، ويحتمـل: العجـز عـن الطاعات، ويحتمل العموم في أمور الدنيا والآخرة.

والكيس ضد العجز، وهو النشاط والحذق بالأمور، ومعناه: أن العاجز قـد قدر عجزه، والكيس قد قدر كيسه[1770].

وعن أبي هريرة– رضي ا عنه- قال: (جاء مشركو قـريش يخاصـمون رسول ا صلى ا عليه وسلم في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1771])[1772]..

قال النووي: والمراد بالقدر هنا القدر المعروف، وهو ما قدره ا وقضـاه، وسبق به علمه وإرادته، وفي هذه الآية الكريمة والحديث تصريح بإثبـات القـدر وأنه عام في كل شيء، فكل ذلك مقدر في الأزل، معلوم مراد له[1773].

ولقد وقف العلماء على الأدلة التفصيلية الواردة في القـدر، وبالاسـتقراء لنصوص الشرع عدوا أربع مراتب للقدر لا يتم الإيمـان إلا بتحقيقهـا، ودلـت النصوص من الكتاب والسنة عليها تفصيلاً وهي:

المرتبة الأولى من مراتب القدر: العلم الأزلي السابق

يجب الإيمان بعلم ا الأزلي المحيط بكل شيء، وأنه سبحانه علم ما كـان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وعلم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم،

(1769)أخرجه مسلم في صحيحه، من حديث طاوس، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، (٢٠٤٥/٤)، حديث رقم٢٦٥٥.

(١٧٧٠) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٥/١٦).

(١٧٧١) سورة القمر الآيات: (٤٨-٤٩).

(١٧٧٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، (٢٠٤٦/٤)، حديث رقم ٢٦٥٦.

(١٧٧٣) شرح النووي على مسلم (٢٠٥/١٦).

وعلم أرزاقهم وآجالهم، ومآل أمرهم إلى الجنة أو إلى النار، لا يعزب عنه شـيء في الأرض ولا في السماء:

قال تعالى: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [(١٧٧٤)].

وقال تعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [(١٧٧٥)]. وقال تعالى: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ [(١٧٧٦)].

وقال تعـالى: لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً [(١٧٧٧)].

وقال تعالى: إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً [(١٧٧٨)].

وفي الحديث أن رجلاً قال: (يا رسول ا أَعلم أهل الجنة من أهـل النـار؟ قال: نعم، قال ففيم يعمل العاملون؟ قال: كل ميسر لما خلق له)[(١٧٧٩)].

وفي الحديث الآخر: كان النبي صلى ا عليه وسلم في جنازة فأخـذ شـيئاً فجعل ينكت به الأرض فقال: (ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعـده مـن النـار ومقعده من الجنة). قالوا: يا رسول ا أفلا نتكل علـى كتابنـا ونـدع العمـل؟ قال:(اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهـل

(١٧٧٤) سورة الحجالآية: ٧٠.

(١٧٧٥) سورة الأنعام الآية:٥٩.

(١٧٧٦) سورة الحشر الآية:٢٢.

(١٧٧٧) سورة الطلاق من الآية:١٢.

(١٧٧٨) سورة طـه الآية:٩٨.

(١٧٧٩) أخرجـه مسـلم فـي صـحيحه، مـن حـديث عمـران بـن حصـين، كتـاب القـدر، بـاب كيفيةالخلقالآدميفيبطنأمهوكتابةرزقهوأجلهوعملهوشقاوتهوسعادته، (٢٠٤١/٤).

السعادة وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة. ثـم قـرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾(١٧٨٠))(١٧٨١).

المرتبة الثانية من مراتب القدر: الكتابة والحفظ

يجب الإيمان بالكتابة في اللوح المحفوظ، فما علمه الله تعالى مـن الأقـدار، وما قدره من المقادير،فقد كتبه في اللوح المحفوظ، لا يضل ربي ولا ينسى.

قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(١٧٨٢).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(١٧٨٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(١٧٨٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(١٧٨٥).

وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال وكان عرشه على الماء)(١٧٨٦).

(١٧٨٠) سورة الليل الآيات: ٥-١٠.

(١٧٨١) أخرجه البخاري في صحيحه، من حديث علـي بـن أبـي طالـب، بـاب: (فسنيسرهللعسـرى)، (١٨٩١/٤)، حديث رقم ٤٦٦٦، ومسلم في صحيحه، من حديث علـي بـن أبـي طالـب، كتـاب القـدر، بابكيفيةالخلقالآدميفيبطنأمهوكتابةرزقهوأجلهوعملهوشقاوتهوسعادته، (٢٠٣٩/٤) حديث رقم ٢٦٤٧.

(١٧٨٢) سورة الأنعام من الآية:٣٨.

(١٧٨٣) سورة الحج الآية:٧٠.

(١٧٨٤) سورة النمل الآية:٧٥.

(١٧٨٥) سورة يونس الآية:٦١.

قال النووي: فالمراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفـوظ أو غيـره، لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له[١٧٨٧].

وفي الحديث الآخر: قال عبادة بن الصامت لابنه: يا بني إنك لن تجـد طعـم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، ومـا أخطـأك لـم يكـن ليصيبك، سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلم يقول:(إن أول ما خلق ا تعالى القلم، فقال له اكتب فقال رب وماذا أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقـوم الساعة) يا بني: إني سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلم يقول:(من مات علـى غير هذا فليس مني)[١٧٨٨].

المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر: الإرادة والمشيئة الإلهية

يجب الإيمان بمشيئة ا النافذة وقدرته الشاملة، وأنه ما من شيء فـي هـذا الوجود يكون إلاّ بإرادة ا ومشيئته، ولا يخرج شيء عن إرادة ا الكونية[١٧٨٩].

قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٧٩٠].

ونوح عليه السلام لما قال له قومه: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [١٧٩١] رد عليهم كما حكى القرآن: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [١٧٩٢].

(١٧٨٦) أخرجه مسلم في صحيحه، من حديث عبد ا بن عمرو بن العاص، كتاب القدر، بـاب حجـاج آدم موسى،(٤/٢٠٤٤)، حديث رقم ٢٦٥٣.

(١٧٨٧) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/٢٠٣).

(١٧٨٨) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في القدر، (٢/٦٣٧) حديث رقم ٤٧٠٠، وقال الشـيخ الألباني: صحيح.

(١٧٨٩) القضاء والقدر للمحمود صـ ٦٩.

(١٧٩٠)سورة التكويرالآية: ٢٩.

(١٧٩١) سورة هود الآية:٣٢.

(١٧٩٢) سورة هود الآيات: (٣٢-٣٣).

وهؤلاء قوم شعيب عليه السلام يطلبون منه أن يعود في ملتهم فيعلق ذلك بمشيئة ا تبارك وتعالى، فيقول: قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ [١٧٩٣].

وفي بيان إرادته الكونية النافذة، يقول عز وجل: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ [١٧٩٤].

وفي الحديث كان رسول ا صلى ا عليه وسلم إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: (اشفعوا تؤجروا، ويقضي ا على لسان نبيه صلى ا عليه وسلم ما شاء)[١٧٩٥].

فبعد أن أوصى بالشفاعة فيما يجوز فيه الشفاعة؛ بين أنها لن تمنع ما قد أراد ا وقوعه مما أظهره على لسان رسوله وأجراه بالوحي والإلهام على قلبه ولسانه، فقضاء النبي في أمر من الأمور قد قدره ا وأراده، ولن تحول الشفاعة دون نفاذه[١٧٩٦].

وقال صلى ا عليه وسلم لمن قال له ما شاء ا وشئت:(أجعلتني وا عدلاً، بل ما شاء ا وحده)[١٧٩٧].

ففي الحديث بيان أن المشيئة المطلقة، وأن مشيئة من سواه من الخلق لا تكون مقترنة بمشيئته، بل هي تابعة خاضعة تحت مشيئته سبحانه وتعالى.

(١٧٩٣) سورة الأعراف الآية:٨٩.

(١٧٩٤) سورة الأنعام الآية:١٢٥.

(١٧٩٥) أخرجه البخاري في صحيحه، من حديث أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه (٥٢٠/٢)، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، حديث رقم ١٣٦٥.

(١٧٩٦) انظر: القضاء والقدر للمحمود ص ـ ٧٢.

(١٧٩٧) أخرجه أحمد في مسنده،من حديث ابن عباس،(٢١٤/١) حديث رقم ١٨٣٩.

وجاء عنه صلى ا عليه وسلم: (إن قلوب بني آدم كلها بين أصـبعين مـن أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء) ثم قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)(١٧٩٨).

فبين الحديث أن الهداية والغواية كلها بيد ا وحده، ومشيئته في جميع خلقه نافذة، وفق مراده وتقديره عز وجل.

وفي معنى هذا الحديث قوله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (١٧٩٩).

المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر: مرتبة الخلق

الإيمان بأن ا خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في الكون شـيء إلاّ وهو خالقه، فالخير منه خلقاً وإيجاداً، والشر منه خلقاً وإيجاداً، خلقه بإرادته الكونيـة ومشيئته، ولا يكون وقوعه من العبد إلاّ وقد أراده ا كوناً، وقدر وقوعه.

قال تعالى: اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٨٠٠).

وقال تعالى: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (١٨٠١).

وقـــال تعـــالى: ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (١٨٠٢).

وقال صلى ا عليه وسلم: (إن ا خالق كل صانع وصنعته)(١٨٠٣).

(١٧٩٨) أخرجه مسلم في صحيحه، من حديث عبد ا بن عمرو بن العاص، كتاب القدر، باب تصـريف ا تعالى القلوب كيف يشاء، (٢٠٤٥/٤) حديث رقم ٢٦٥٤.

(١٧٩٩) سورة الحجرات الآية:٧.

(١٨٠٠) سورة الزمرالآية: ٦٢.

(١٨٠١) سورة الصافاتالآية:٩٦.

(١٨٠٢) سورة غافر الآية:٦٢.

هذه هي مراتب القدر الأربع، والتي آمن بها جملة عامة أهل الإسلام، ولم يخالف فيها أحد من أهل القبلة خلافاً مخرجاً من الملة[١٨٠٤]، وما حكي في القدر من خلاف عن أهل القبلة، فهو في تفاصيل من ذلك؛ إذ خالفت المعتزلة فيما يتعلق بأفعال العباد، وهذا يندرج تحت المرتبة الرابعة، وقد ذكر المحمود في رسالته المراتب الأربع وفصل في بيان أدلتها، ولم يعرج على خلاف بين أهل القبلة في مرتبة العلم[١٨٠٥]، والكتابة، والإرادة الكونية، وذكر خلاف المعتزلة في مرتبة الخلق - المرتبة الربعة - فقال: "وهذه المرتبة – يعني الرابعة- هي محل النزاع الطويل بين أهل السنة ومن خالفهم من المعتزلة القدرية، والجبرية "[١٨٠٦].

ثانياً: إجماع أهل القبلة على وجوب الإيمان بالقدر

فقد أجمع المسلمون بمختلف فرقهم وطوائفهم على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، **قال النووي:** "وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة، وأهل الحل والعقد من السلف والخلف، على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى"[١٨٠٧].

(١٨٠٣) رواه الحاكم في المستدرك،من حديث حذيفة(١/ ٨٥)،وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١٨٠٤) ونقل الخلاف في هذه المراتب عن الزنادقة والمشركين **قال ابن أبي العز الحنفي**: " وهذا لأن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بعلم الله القديم، وما أظهر من علمه الذي لا يحاط به، وكتابة مقادير الخلائق، وقد ضل في هذا الموضع خلائق من المشركين، والصابئين، والفلاسفة، وغيرهم ممن ينكر علمه بالجزئيات، أو بغير ذلك، فإن ذلك كله مما يدخل في التكذيب بالقدر" شرح العقيدة الطحاوية (٣٠٥/١).

(١٨٠٥) نقل عن البعض القول بأن الله تعالى لم يعلم ما كان قبل كونه، وأنه لا يعلم تفاصيل ما سيكون إلاّ بعد وقوعه وحصوله، ويلزم من هذا أن يكون علم الله كعلم من سواه من خلقه، وأن لا يكون الله قد أحاط بكل شيء علماً، وفي هذا تكذيب صريح بالآيات القرآنية، **وهو كفر بإجماع المسلمين**، وهؤلاء هم غلاة القدرية المنقرضة، والتي لم يعد لمذهبها هذا أثر، ولا يقول به قائل، وقد تبرأ الصحابة ممن تلبس بهذا القول، وزعم أن الأمر أنف، أي مستأنف لم يسبق الله تعالى العلم به، ومن الأئمة من كفر القائلين بهذا القول بأعيانهم، لأن هذا مما لا يسع فيه الخلاف ولا يقبل فيه التأويل. انظر: القضاء والقدر للمحمود صـ ١٦٦تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، (٦٢٣/١).

(١٨٠٦) القضاء والقدر للمحمود صـ ٧٦.

(١٨٠٧) شرح صحيح مسلم (١٥٥/١).

قال بن تيمية: " اتفق المسلمون، وسائر أهل الملل على أن ا على كل شيء قدير، كما نطق بذلك القرآن في مواضع كثيرة جداً"[(١٨٠٨)].

وقال ابن تيمية: "وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين، وسائر أهل الملل، وسائر العقلاء"[(١٨٠٩)].

ثالثاً: أدلة الفطرة على إثبات القدر

"وكذلك فإن الإيمان بالقدر معلوم بالفطرة قديماً وحديثاً، ولم ينكره إلا الشواذ من المشركين من الأمم، ولم يقع الخطأ في نفي القدر وإنكاره، وإنما وقع في فهمه على الوجه الصحيح؛ قال ا تعالى عن المشركين: سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا [(١٨١٠)].

فهم أثبتوا المشيئة ، لكنهم احتجوا بها على الشرك"[(١٨١١)].

وكانت العرب في الجاهلية تعرف القدر ولا تنكره، ولم يكن هناك من يرى أن الأمر مستأنف.

وهذا ما نجده مبثوثاً في أشعارهم منها قول عنترة[(١٨١٢)]:

يا عبل أين من المنية مهربي إن كان ربي في السماء قضاها[(١٨١٣)]

(١٨٠٨) مجموع الفتاوى (٧/٨).

(١٨٠٩) المجموع (١٧٩/٨).

(١٨١٠) سورة الأنعام من الآية: ١٤٨.

(١٨١١) الإيمان بالقضاء والقدر للحمد صـ ٥٠-٥١.

(١٨١٢) عنترة هو: عنترة بن شداد وقيل ابن عمرو بن شداد وقيل عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة العبسي، أمه حبشية يقال لها زبيبة، كان من أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، وصف بالحلم على شدة بطشه، من أشعر العرب ملئ شعره بالرقة والعذوبة، كان مغرماً بابنة عمه عبلة، عاش عمراً طويلاً، قتله الأسد الرهيص، وقيل: جبار بن عمرو. انظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر (٢٤٤/٨وما بعدها) دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان.

(١٨١٣) ديوان عنترة صـ٧٤، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٨هـ.

وقول المثقب العبدي[١٨١٤]:

فأيقنت إن شاء الإله بأنه   سيبلغني أجلادها وقصيدها

وقول زهير:

فلا تكتمـن ا ما في نفوسكـم   ليخفى ومهمـا يكتم ا ُ يعلم

يؤخّره فيوضع في كتاب فيدخر   ليوم الحساب أو يعجل فينْقم

كما نجد ذلك في خطبهم، كما في قول هانئ بن مسعود الشيباني[١٨١٥] فـي خطبته المشهورة في يوم ذي قار: (إن الحذر لا ينجي من القدر)[١٨١٦].

ولم يقل أحد بنفيه مطلقاً، قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلـب: "لا أعلـم عربياً قدرياً، قيل له: يقع في قلوب العرب القول بالقدر؟ قال: معاذ ا ، مـا فـي العرب إلا مثبت القدر خيره وشره، أهل الجاهليـة والإسـلام وكلامهـم كثيـر بين"[١٨١٧].

(١٨١٤) هو عائذ ا بن حصن بن ثعلبة بن وائلة، شاعر جاهلي، انظر ترجمته في تحقيـق: أحمـد شـاكر وعبدالسلام هارون لكتاب المفضليات للمفضل الضبي صـ٤٩.

(١٨١٥) هانئ بن مسعود بن عمرو الشيباني من سادات العرب، وأبطالهم فـي الجاهليـة، وهـو أول مـن انتصفت فيه العرب من العجم. انظر: الأعلام للزركلي (٩/٥٢-٥٣).

(١٨١٦) انظر: الأمالي لأبي علي القالي (١/١٧١)، منشورات المكتب الإسلامي.

(١٨١٧) الإيمان بالقضاء والقدر للحمد صـ ٥١-٥٣ بتصرف يسير.

المطلب الثالث

بيان الحد الأدنى من المعرفة بالقدر والإيمان به

وأقوال أهل القبلة فيه

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الحد الأدنى من المعرفة بالقدر والإيمان به.

الفرع الثاني: أقوال أهل القبلة في القدر.

الفرع الأول
الحد الأدنى من المعرفة بالقدر والإيمان به

المطلوب شرعاً في باب القدر، هو التسليم المطلق لمجمل ما ورد في الشريعة عن القدر، دون تعمق وتفصيل فيما لم يرد به نص من الوحي، ولا اقتضته الدلالة الصريحة.

"ولا يلزم كل أحد أن يعلم تفاصيل الحديث عن الإيمان بالقدر، بل يكفي هذا الإيمان المجمل، فأهل السنة والجماعة، كما هو مقرر عندهم لا يوجبون على العاجز ما يجب على القادر"[1818].

قال ابن تيمية: "وإذا علم العبد من حيث الجملة أن فيما خلق وما أمر به حكمة عظيمة كفاه هذا، ثم كلما ازداد علماً وإيماناً ظهر له من حكمة ا ورحمته ما يبهر عقله، ويبين له تصديق ما أخبر ا به في كتابه"[1819].

فالاتفاق على معنى القدر إجمالاً كما وردت به النصوص، وعلى الوجه اللائق با تعالى، وما يشاع من خلاف الفرق الإسلامية، وطوائف أهل القبلة التي لم يكفرها أهل العلم في خلافها للصحيح في باب القدر؛ لم يكن في هذه الأمور الآنفة الذكر، والأصول الرئيسة التي يكفر منكرها وجاحدها.

وإنما وقع خلافهم فيما تعارضت فيه ظواهر النصوص الشرعية، وأشكل الجمع بينها عند المخالفين في باب القدر من المعتزلة والجهمية، أهل الجبر، والقدرية، في مسألة ما يقع من أفعال المكلفين، وعلاقة المشيئة الإلهية والإرادة الكونية والشرعية بهذا الفعل الصادر عن العبد، وما يترتب على ذلك من تكليف في الدنيا، ولوم وعتاب وعقاب، أو مدح وثناء وثواب في الآخرة، فالفعل الصادر من المكلف هل تتعلق به قدرة المكلف فقط، أو قدرته مع قدر ا ، أو قدر ا فقط؟

(١٨١٨) الإيمان بالقضاء والقدر للحمد صـ ٧٢.

(١٨١٩) المجموع: (٩٧/٨).

"وقد اشتمل القرآن على كثير من الآيات الموحية بالجبر، مما دعـا بعـض المفكرين بالقول بالجبر المطلق، وآيات أخرى تدل على الإرادة الإنسانية الحـرة، مما حدا بالبعض إلى القول بالحرية المطلقة، وإنكار القضاء والقدر السابق، كذلك بعض الآيات تثبت   تعالى القدرة والمشيئة المطلقة، وآيات أخرى تثبـت للعبـد استطاعة على فعله ومشيئة يتم بها فعله"[١٨٢٠].

ولا تعارض في الحقيقة بين نصوص الشريعة، وإن توهمت العقـول ذلـك، فسببه القصور في فهم النصوص، وفي طرق الجمع بينها جمعاً صحيحاً، فلا يمكن أن يقع التعارض في القرآن الكريم المعجز، الذي أنزله ا لهداية الناس وإخراجهم من الحيرة والتيه.

ولذلك زلت أقدام المعتزلة؛ لأخذها بشطر النصوص، وتركها للشطر الآخر، وكذلك الجبرية، أما أهل السنة فقد اكتملت عندهم الحقـائق الشـرعية، لأخـذهم بالنصوص جميعاً.

فالآيات التي أثبتت الإرادة المطلقة   تعالى، والمشيئة النافذة على خلقه، كان المقصود منها بيان عبودية الكائنات   تعالى؛ بنفاذ إرادته على خلقه، ومن جملتهم هذا الإنسان، الذي لم يكن له أدنى اختيار في تحديد نسبه، وجنسه، ورزقه، وأجله، وسائر جوانب الجبر التي يلمسها في نفسه، وبها يستمر خاضعاً   تعالى خضوع العبد ولو كان على الكفر، أو على الشر والمعصية، خلافاً لإرادة ا الشرعية التي أحبها ا ورضيها لعباده؛ إلاّ أنه لم يخرج عن إرادة ا الكونية القدريـة، فهـذا القدر ضروري لقيام الحياة وفق سنة الابتلاء للخلق، ولا شك أن هـذا الجبـر لا يؤثر على جوانب الاختيار التي أرادها ا للإنسان متعلقة بأفعاله هو، واختيـاره للخير والشر بإرادته الحرة التي منحه ا إياها؛ ليحاسبه ويعاقبه عليها في الآخرة، فكان اختيار الإنسان بإرادته الحرة سبباً لغفلة المعتزلة القدرية عن دخول اختيـار العبد تحت الإرادة الكونية، كما كانت الإرادة والمشيئة المطلقة   تعالى سبباً لغفلة

(١٨٢٠) مقدمة عصام السيد محمود على كتاب " الإيضاح في أصول الدين "، لأبي الحسن علي بن عبيـدا بن الزاغوني، صـ ١١٩.

الجبرية عن إرادة الإنسان التي بها كسب الأفعال وعليها يحاسب، وكـان مـذهب أهل السنة والجماعة وسائر طوائف الفرق الكلامية – عدا من ذكر من المخالفين- أن اختيار الإنسان كائن بإرادته الحرة التي أعطاه الله إياها ومكنه منهـا، وهـذا الاختيار لا يعني الخروج عن إرادة الله الكونية، فإذا وافق فعل الإنسان واختيـاره ما يرضاه الله من البر والخير؛ فقد وافق الإرادة الشرعية له سبحانه وتعالى، وإذا خالف مرضاة الله تعالى فقد خالف الإرادة الشرعية، ولم يكن ذلك خروجـاً عـن إرادة الله الكونية، بمعنى أنه لم يكن ولن يكون في هذا الكون والوجـود شـيء لا يرضاه الله ولم يقدره كوناً؛ لأن ذلك قدح في ربوبية الله تعالى، المالك المتصرف بملكه كيف يشاء، وكل شيء تحت مشيئته وبإرادته.

الفرع الثاني
أقوال أهل القبلة في القدر

ويمكن تلخيص المذاهب في القدر - دون تعرض لمناقشة أدلتها - فيما يلي:

أولاً: مذهب المعتزلة في القـدر- وسموا قدرية لأنهم أضافوا القدر إلى أنفسـهم-(1821)

أثبت المعتزلة علم ا السابق بالأشياء قبل تكوينها، لأنه تعالى عالم بذاتـه؛ فيعلم كل معلوم، **قال القاسم الرسي:** " إن ا جل ثناؤه عالم بما العباد عـاملون، وإلى ما هم صائرون، وإنه أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وأنـه لم يجبر أحداً على معصية، ولم يحل بين أحد وبين الطاعة، فالعباد عاملون، وا – جل ثناؤه- العالم بأعمالهم، والحافظ لأفعالهم، والمحصي لأسرارهم وآثـارهم، وهو بما يعملون خبير"(1822).

"وقالت المعتزلة بأن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشـيئة ا ـ تعالى ـ وقدرته في ذلك أثر، ويقولون: إن أفعال العباد ليست مخلوقة ، وإنما العبـاد هم الخالقون لها، ويقولون: إن الذنوب الواقعة من العباد ليست واقعة بمشيئة ا "(1823).

كما نفى المعتزلة أن تكون المعاصي من قضاء ا تعالى وقدره على الإنسان؛ لأنها من الباطل والفجور، الذي يجب أن ننـزه ا تعـالى عنـه، **قـال القاضـي عبـدالجبار:** "اتفق أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم، وقيامهم، وقعـودهم حادثة من جهتهم، وأن ا – جل وعز – أقدرهم على ذلـك، ولا فاعـل لهـا، ولا

(1821) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة صـ78، دار الكتب العلميـة، لبنـان، الطبعـة الأولـى، 1405هـ.

(1822) العدل والتوحيد ونفي التشبيه، ضمن رسائل العدل والتوحيد، للقاسم الرسي، تحقيق: محمد عمـاره، (1/140، 141)، دار الشروق، الطبعة الثانية، 1408هـ - 1988م.

(1823) الإيمان بالقضاء والقدر للحمد بتصرف واختصار صـ 306.

محدث سواهم. وأن من قـال: إن ا سـبحانه – خالقهـا ومحـدثها فقـد عظـم خطؤه"[1824].

بالغ المعتزلة في إثبات حرية الإنسان وإرادته، حتى تجاوزوا بهـا حـدود القدر، وأخرجوا أفعال الإنسان عن قدرة ا وخلقه لها.

ومنشأ ضلال هؤلاء في البداية أنهم أرادوا تنزيه ا عز وجل ـ عن الشر، ورتبوا على نفيهم الأفعال القبيحة عن ا قولهم: إن العباد هم الخالقون لأفعـالهم، فوقعوا في نفي القدر[1825]، ووحدوا بين الخلق والفعل، فقالوا إذا كان العباد فاعلين حقيقة، فهم خالقون لأفعالهم، وا يتنزه عن خلق ما يأتون بـه مـن المعاصـي والفواحش والآثام[1826]، واستدلوا بأدلة عقلية ونقلية، منها قول القاسم الرسـي: " والدليل على أن ما فعلوه من طاعة ا ومعصيته فعلهم، وأن ا جل ثنـاؤه لـم يخلق ذلك، إقبال ا – تبارك وتعالى- عليهم بالموعظة والمدح والذم والمخاطبـة والوعد والوعيد، ولو كان هو الفاعل لأعمالهم، الخالق لها لـم يخـاطبهم، ولـم يعظهم، ولم يلمهم على ما كان منهم من تقصير، ولم يمدحهم على ما كان مـنهم من جميل وحسن"[1827].

وقوله تعالى: صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ [1828].

"ووجه الاستدلال عندهم أن ا بين في هذه الآية أن أفعالـه كلهـا متقنـة، والإتقان يتضمن الإحكام، والحسن جميعاً، ومعلوم أن في أفعال العباد مـا يشـمل على التهود، والتنصر، والتمجس، وليس شيء من ذلك متقناً؛ فلا يجوز أن يكـون ا خالقاً لها"[1829].

هل خلاف المعتزلة في القدر مخرج عن الملة:

(١٨٢٤) المغني (٣٤٠/٢).

(١٨٢٥) الإيمان بالقضاء والقدر للحمد صـ٣٠٩.

(١٨٢٦) مقدمة عصام السيد محمود على الإيضاح لابن الزاغوني صـ ١١٥.

(١٨٢٧) العدل والتوحيد ونفي التشبيه (١٤٥/١).

(١٨٢٨) سورة النمل من الآية:٨٨.

(١٨٢٩) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار الهمداني صـ٣٥٥-٣٦٢.

وردت أحاديث ذم القدرية، وظاهرها تكفيرهم كفراً مخرجاً من الملة، ولكـن هذه الأحاديث في صحتها نظر، بل هي إلى الضعف أقرب، وقد أتعب نفسه مـن رام تصحيحها للاستدلال بها(1830)، **قال ابن أبـي العـز الحنفـي** بعـد أن أورد الروايات في القدرية، "لكن كل أحاديث القدرية المرفوعة ضـعيفة وإنمـا يصـح الموقوف منها"(1831).

وإذا صحت سنداً فلا بد من وضعها في موضعها الصحيح للاستدلال، وذلك لأن السلف والصحابة رضي الله عنهم قد شهدوا مقالة غلاة القدرية وأنزلوا عليهم حكم التبديع والتكفير، وبدعة القدرية متفاوتة في فحشها وغلاظها، من البدعة إلـى الكفر، فمن كان من القدرية منكراً لعلم الله السابق بما يكون، قبل أن يكون، فهـو الكافر؛ لجحده معلوماً من الدين ضرورة، وهؤلاء قد انقرضوا، وانتهى مـذهبهم، وبقي مذهب المعتزلة القائلين بأن الله لم يخلق أفعال المكلفـين، وبـدعتهم هـذه مغلظة، ولهم تأويلات قبلها أهل العلم كعذر لعدم تكفيرهم بمقالتهم تلك **قال حفيد ابن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله**: " في تكفير هؤلاء نزاع مشهور وبالجملـة فهم أهل بدعة شنيعة والرسول صلى الله عليه وسلم بريء منهم كما هو بـريء من الأولين"(1832).

ثانياً: **مذهب الجبرية في القدر**

الجبرية أو المجبرة: هم الذين غلوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكـون للعبد قدرة أو إرادة، أو اختيار، فيرون أن العباد مجبرون على أفعالهم، وأن العبد كالريشة في مهب الريح، وإنما تنسب إليه الأفعال مجازاً، فيقال: صلى، وصـام، وقتل، وسرق، كما يقال: طلعت الشمس، وجرت الريح؛ فـأنكروا قـدرة العبـاد،

(1830) قال المحمود " وقد وردت أحاديث في السنة وغيرها عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذم القدريـة ووصفهم بأنهم مجوس هذه الأمة، وهي وإن كانت لا تخلو من مقال إلا أن بعضها يصل إلى درجـة الحسـن وبعضها يقوي بعضاً " القضاء والقدر للمحمود صـ15.

(1831) شرح العقيدة الطحاوية (305/1).

(1832) شرح كتاب التوحيد (630/1).

واختيارهم، واتهموا ربهم بالظلم، وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتهموه بالعبث، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي(١٨٣٣).

وقد نقلت كتب المقالات أقوال الجهم في القدر **فيقول البغدادي** عن الجهم:

"وقال: لا فعل، ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز، كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى، من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين"(١٨٣٤).

ويقول الشهرستاني عنه أيضاً: "ومنها قوله في القدرة الحادثة: إن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له، ولا إرادة، ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليهالأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات، كما يقال:أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرك الحجر، وطلعت الشمس، وغربت وتغيمت السماء وأمطرت، واهتزت الأرض وأنبتت،إلى غير ذلك، والثواب والعقاب جبر، كما أنالأفعال كلها جبر، قال: وإذا أثبت الجبر فالتكليف أيضاً كان جبراً"(١٨٣٥).

ومذهب الجبرية من أضعف المذاهب في مسألة القضاء والقدر، وأقلها حججاً، وأظهرها فساداً، وفيه من مخالفة المعقول والمنقول، وإبطال التكليف بالشرائع ما يجعله من الشذوذ بمكان، فلم يعول كثير من العلماء في الرد عليه رداً تفصيلياً، واكتفوا بالرد على المعتزلة لقوة ما أوردوه في باب القدر.

ثالثاً: مذهب أهل السنة والجماعة ومن وافقهم(١٨٣٦):

قال السفاريني: " والقدر عند السلف هو ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه عز وجل قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء

(١٨٣٣) الإيمان بالقضاء والقدر للحمد صـ٣١٤.

(١٨٣٤) الفرق بين الفرق (١٩٩/١).

(١٨٣٥) الملل والنحل (٨٧/١).

(١٨٣٦) وهو مذهب عامة الفرق الإسلامية، من المحدثين والمتكلمين، والشيعة الزيدية، والإباضية وغيرهم.

قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنـده، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها"[(١٨٣٧)].

وكان إثبات السلف للقضاء والقدر بمعناه الشرعي الصحيح، مع نفيهم للجبر، **قال ابن القيم:** " كذلك فقد أنكر أئمة أهل السنة – كالأوزاعي، وسفيان الثـوري، وعبد الرحمن بن مهدي، والإمام أحمد وغيرهم- القول بالجبر"[(١٨٣٨)].

ويؤكد أهل السنة على حرية إرادة العباد، واختيـارهم، ومسـئوليتهم عـن الأفعال الاختيارية الصادرة عنهم، وعلى أساس ذلك كان تكليفهم، وسيكون حساب ا لهم، ولا تعارض عند أهل السنة بين إثبات القدر، وإثبات حرية الإنسان فـي اختيار الخير أو الشر.

ونطق بإثبات فعله فـي عامـة آيـات القـرآن، ﴿يَعْمَلُونَ﴾[(١٨٣٩)] ﴿يَفْعَلُونَ﴾[(١٨٤٠)] ﴿يُؤْمِنُونَ﴾[(١٨٤١)] ﴿يَكْفُرُونَ﴾[(١٨٤٢)] ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾[(١٨٤٣)] ﴿يُحَافِظُونَ﴾[(١٨٤٤)] ﴿يَتَّقُونَ﴾[(١٨٤٥)].

وكما أنا فارقنا مجوس الأمة بإثبات أنه تعالى خالق، فارقنا الجبرية بإثبـات أن العبد كاسب، فاعل صانع عامل"[(١٨٤٦)].

وكما نفى السلف الجبر نفوا كذلك مذهب القدرية، القائلين بأن للإنسان إرادته المستقلة عن إرادة ا الكونية، وأنه يخلق فعل نفسه كما زعموا، فأثبت أهل السنة

(١٨٣٧) لوامع الأنوار للسفاريني، (٣٤٨/١).

(١٨٣٨) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لأبي عبد ا شمس الدين محمد بـن أبـي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، المعروف بابن القيم، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعسـاني الحلبي صـ ١٢٨، ١٢٩، دار الفكر - بيروت – ١٣٩٨م.

(١٨٣٩) سورة البقرة من الآية:١٤٤.

(١٨٤٠) سورة الأنعام من الآية:١٥٩.

(١٨٤١) سورة البقرة من الآية:١٠٠.

(١٨٤٢) سورة آل عمران من الآية:١١٢.

(١٨٤٣) سورة يونسمن الآية:٢٤.

(١٨٤٤) سورة الأنعام من الآية:٩٢.

(١٨٤٥) سورة الأعراف من الآية:١٦٤

(١٨٤٦) مجموع الفتاوى (٣٩٣/٨).

أن الخالق كله تعالى، وأن الخير والشر منه سبحانه خلقاً وإيجـاداً، وهـو مـن الإنسان كسباً ومباشرة، فكانوا أمة وسطاً، جمعوا بين الأدلة ولم يردوا بعضـها، كما وقعت كلتا الفرقتين،

قال الإمام البغوي: "الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن ا تعالى خالق أعمال العباد، خيرها وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن خلقهـم، قـال ا سبحانه وتعالى: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ [(١٨٤٧)]. وقال ا عز وجل: قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ [(١٨٤٨)]، وقال عز وجل: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ [(١٨٤٩)]، فالإيمان والكفر والطاعة والمعصية كلها بقضاء ا وقدره، وإرادته ومشيئته، غير أنه يرضى الإيمان والطاعة، ووعد عليهما الثواب، ولا يرضى الكفر والمعصية، وأوعد عليهما العقاب،قال سـبحانه وتعالى: وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ [(١٨٥٠)]. وقال ا سبحانه وتعالى: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ [(١٨٥١)]. وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ [(١٨٥٢)]. وقال عز وجل: وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً [(١٨٥٣)].... وقـال ا سـبحانه وتعالى: خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ [(١٨٥٤)].

أي: طبع عليها، فلا تعقل ولا تعي خيراً، ومعنى الختم التغطية علىالشيء، والاستيثاق منه، حتى لا يدخله شيء. وقال جل ذكره: وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً [(١٨٥٥)].

(١٨٤٧) سورة الصافات الآية:٩٦.

(١٨٤٨) سورة الرعد من الآية:١٦.

(١٨٤٩) سورة القمر الآية:٤٩.

(١٨٥٠) سورة إبراهيم من الآية:٢٧.

(١٨٥١) سورة البقرة من الآية:٢٥٣.

(١٨٥٢) سورة الحج من الآية:١٨.

(١٨٥٣) سورة الأنعام من الآية:١٢٥.

(١٨٥٤) سورة البقرة من الآية:٧.

(١٨٥٥) سورة الإسراء الآية:٤٥.

قيل: المستور هاهنا بمعنى الساتر، والحجاب: الطبـع، وقـال ا سـبحانه وتعالى: **﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾**(١٨٥٦).

قال رحمه ا : فالعبد له كسب وكسبه مخلوق، يخلقه ا حالة مـا يكسـب، والقدر سر من أسرار ا ، لم يطلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسـلاً، لا يجـوز الخوض فيه، والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن ا سبحانه وتعـالى خلـق الخلق فجعلهم فريقين؛ أهل يمين خلقهم للنعيم فضلاً، وأهل شمال خلقهم للجحـيم عدلاً، قال ا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾(١٨٥٧)، وقال ا سبحانه وتعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾(١٨٥٨).

قال سعيد بن جبير: مـا قـدر لهـم مـن الخيـر والشـر ومـن الشـقوة والسعادة"(١٨٥٩).

فأفعال العباد عند أهل السنة ومن وافقهم خلق ا ، وكسب للعباد فهي من ا خلقاً وإيجاداً وهي من العباد فعلاً وكسباً(١٨٦٠)، ووافق أهل السنة على ذلك عامـة أهل الإسلام(١٨٦١).

(١٨٥٦) سورة الزمر من الآية:٧.

(١٨٥٧) سورة الأعراف من الآية:١٧٩.

(١٨٥٨) سورة الأعراف من الآية:٣٧.

(١٨٥٩) شرح السنة (١٤٢/١- ١٤٤).

(١٨٦٠) انظر: المختار في أصول السنة لابن البنا صـ٨٧ (لأبي الحسن أحمد البنا الحنبلي)، تحقيـق د. عبـدالرزاق العباد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد علـى من أنكر الحرف والصوت للإمام أبي النصر عبدا بن سعيد بن حاتم الوائلي السجزي صـ٣٣٢، تحقيق ودراسـة د/ محمد باكريم، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الجامعة الإسلامية عمادة البحث العلمي، مجموع الفتاوى (٢٥٨/٥).

(١٨٦١) فذهبت الإباضية إلى تقرير وجوب الإذعان للقضاء والقدر، والتسليم وعدم التعمق فيه، وردوا على المعتزلـة ردوداً صريحة بينوا فيها فسقهم فيما قالوه في القدر، ونفت الإباضية وجود خالق غير ا ، وفعل الإنسان عندهم لـيس بخلق، وبينوا أن لفعل الإنسان متعلقين الأول: الإيجاد والاختراع من العدم، وهذا تعالى، والثاني: الكسب والاجتراح وهي للإنسان، والقبح في فعلنا وليس في فعل ا تعالى. انظر: مشارق أنوار لعقول صـ ٤٠٣-٤٠٩.

وذهب أحمد بن سليمان من الزيدية إلى بسط القول في مسألة القدر ورد مقالة المعتزلة، ودلل على بطلان مذهبهم فـي القدر، وبين موافقة معتزلة بغداد للزيدية، في أن الإرادة الإلهية له سبحانه هي مراده وخلق له، ونفوا وجود خالقين غير

وقال بن القيم في بيان خلاصة مذهب أهل السنة: "فكل دليل صحيح للجبرية إنما يدل على إثبات قدرة الرب تعالى ومشيئته، وأنه لا خالق غيره، وأنه على كل شيء قدير، لا يستثنى من هذا العموم فرد واحد من أفراد الممكنات، وهذا حـق. ولكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادراً مريـداً فـاعلاً بمشـيئته وقدرته، وأنه الفاعل حقيقة، وأفعاله قائمة به، وأنها فعل له لا ، وأنها قائمة به لا بـا .

وكل دليل صحيح يقيمه القدرية فإنما يدل على أن أفعال العباد فعل لهم، قائم بهم، واقع بقدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم، وأنهم مختارون لها غيـر مضـطرين ولا مجبورين. وليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون ا سبحانه قادراً على أفعـالهم، وهو الذي جعلهم فاعلين.

فأدلة الجبرية متضافرة صحيحة على من نفى قدرة الرب سبحانه على كـل شيء من الأعيان والأفعال، ونفى عموم مشيئته وخلقه لكل موجود، وأثبـت فـي الوجود شيئاً بدون مشيئته وخلقه.

وأدلة القدرية متضافرة صحيحة على من نفى فعل العبد وقدرتـه ومشـيئته واختياره، وقال إنه ليس بفاعل شيئاً، وا يعاقبه على ما لم يفعله ولا له قدرة عليه بل هو مضطر إليه مجبور عليه.

وأهل السنة وحزب الرسول وعسكر الإيمان لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، فكـل حـق مـع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه، وهم براء من باطلهم، فمذهبهم جمع حـق الطوائف بعضه إلى بعض"(١٨٦٢).

ا ، وأثبتوا تعالى أكثر من إرادة، بحسب ما تعلقت به، إرادة حتم وجبر، وإرادة تخيير وتمكين، وإرادة حكم ووعـد ووعيد ويسمونها بإرادة الخبر. انظر: حقائق المعرفة في علم الكلام صـ ١٩٠-١٩٥.

(١٨٦٢) شفاء العليل (٥١/١).

وفرق **أهل السنة** بين المشيئة الإلهية والإرادة من جهة وبين المحبة والرضا من جهة أخرى، فيقولون: إن الكفر والفسوق والعصيان وإن وقع بمشيئته، فهو لا يحبه ولا يرضاه، بل يسخطه ويبغضه ويأباه.

"**ومنشأ الضلال** من التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضـى، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا،**فقالت الجبرية:** الكـون كلـه بقضـائه وقدره، فيكون محبوباً مرضياً،**وقالت القدرية النفاة:** ليست المعاصي محبوبـة ، ولا مرضية له، فليست مقدرة، ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه"[١٨٦٣].

وهدى ا أهل السنة فأثبتوا تعالى نوعين مـن الإرادة، قدريـة كونيـة، وقدرية شرعية، وترتبط المحبة والرضا بالقدري الشرعي المأمور بفعله والمنهي عن تركه، وأوجد ا القدري الكوني ليستقيم أمر الحياة بوجود الضدين، فلا يمكن أن تخلو الحياة من أحدهما، ويندرج تحت هذه الإرادة كل حدث في الوجود، وكل كائن كان ويكون.

(١٨٦٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢٧٩/١).

الخاتمة
وفيها أهم النتائج والتوصيات

أهم النتائج:

هذه الدراسة لا ترفع الخلاف في مواطنه المعروفة بين الفرق ولكنها تهـدف إلى إعطائه درجته دون شطط أو تجاوز للحد.

وأصدر النتائج **بقول الإمام أبي زهرة**: "إن المسلمين قد اختلفوا إلى مـذاهب في الاعتقاد والسياسة والفقه، وقبل أن نخوض في بيان أسباب الخلاف يجـب أن نقرر **أمرين:**

أولهما: أن هذا الاختلاف لم يتناول لب الدين، فلم يكن الاختلاف في وحدانية الله تعالى، وشهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في أن القـرآن نزل من عند الله تعالى...، ولا في أصول الفرائض كالصلوات الخمس والزكـاة والحج والصوم، ولا في طرق أداء هذه التكليفات. وبعبارة عامة: لم يكن خـلاف في ركن من أركان الإسلام، ولا في أمر علم من الدين بالضرورة كتحريم الخمر والخنزير، وأكل الميتة والقواعد العامة للميراث؛ وإنما الاختلاف في أمور لا تمس الأركان ولا الأصول العامة.

الأمر الثاني: أن هذا الاختلاف بلا ريب شر بالنسبة للاختلاف حول بعـض العقائد، وحول السياسة.

وأشار أبو زهرة إلى أن الاختلاف نظري علمي، وعملي واقعي.

وكثيراً ما تفاعل الاتجاه النظري ليثمر مواقف عملية والعكس؛ فقد أثمـرت الخلافات العملية ثورة خلاف نظري جدلي: "إن الخـلاف دائمـاً يبـدو فطـرة، وعوامله وأسبابه تختفي، وقد يظهر بعضها للباحث، وقد يختفي بعضها في لجـة التاريخ، وقد يكون السبب المباشر لها حدثاً جزئياً، وتنبعث وراءه خلافـات فـي قضايا كلية، إذا تحفزت النفوس، وتفتحت القرائح للخلاف وتباينت الأفهام"(١٨٦٤).

(١٨٦٤) تاريخ المذاهب الإسلامية، بتصرف واختصار صـ٩-١٦، كما أرجع أبو زهرة الخلاف في دائـرة أهل الإسلام إلى خلاف سياسي، وعقدي، لا يمس الأصول القطعية المعلومة من الـدين ضـرورة، وفقهـي فروعي فيه خير وتوسعة على الأمة. صـ٣٠.

ثم هذه أهم نتائج البحث التي وصلت إليها -على قصور فيها- وأسأل الله فيها الإخلاص والسداد:

١- الخلاف الحاصل بين أهل القبلة لا يخرج عن دائرة الإسلام؛ لأن منشأه الخطأ فيه والتأويل، ونقص العلم، والجهل معتبر في رفع الملام عن صاحبه؛ إن كان من أهل الاجتهاد والنظر، بل هو مأجور على نيته في طلب الحق وقصده إليه.

٢- دائرة الإسلام ومصطلح أهل القبلة أوسع من دائرة السنة، ومصطلح السلف، أو أهل السنة، أو غيرها من المصطلحات الشرعية الخاصة الواردة في النصوص؛ كالفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، فلا يجوز تضييق ما وسعه الله، كما لا يجوز توسيع ما ضيق.

٣- اتفقت الفرق في تقرير مسائل أصول الاعتقاد على مرجعية الوحي من الكتاب، والسنة المتواترة، ودلالة العقل الصريح، والخلاف بين المتكلمين والسلف بعد هذا الاتفاق في فرضية جدلية تقضي بتعارض دلالة العقل الصحيح مع النص الصريح في مواضع، وأهل السنة من السلف لا يسلّمون بما يتوهم من التعارض، ويردون التعارض لنقص العلم بصحة وقطعية أحدهما.

كما ذهب المتكلمون إلى تقرير ظنية الأدلة التي عارضت قواطع المعقول عندهم، وهذه المسألة أصل تفرع عليه الخلاف في كثير من قضايا الاعتقاد، ويمكن تلخيص الأمر بأن الاتفاق حاصل في المرجعية والاختلاف في كيفية الاستدلال والمنهجية في التعامل مع الأدلة الشرعية، ومرتبة كل دليل وأصالته من عدمها.

٤- المسائل العقدية منها ما يكون قطعياً، ومنها ما يكون ظنياً، وفي دائرة الظن يكون التسامح والتغافر مع المخالف، مع التنبيه على مخالفته للشرع والتلطف في الإنكار عليه. وما كان منها في دائرة القطع فهو على مراتب في القطعية أعلاها ما كان معلوماً من الدين بالضرورة.

٥- أركان الإيمان وأصول الاعتقاد داخلة في القطعي المعلوم من الدين ضرورة، والحد الأدنى من العلم بها، ومعرفة أحكامها، والتي لا يعذر فيها بالجهل

ما كان متعلقاً بالإيمان الإجمالي با تعالى، ووجوده وجوداً لا يفتقر فيه لغيـره، والإيمان بأنه الخالق الرازق، الإله المعبود بحق، لا يستحق غيره من العباد شيء، فله الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، واتصف بصفات الكمـال والجـلال، ولـه الأسماء الحسنى البالغة في الحسن، وتنزه عن كل عيب ونقص سـبحانه، وهـذا القدر محل إجماع واتفاق بين طوائف وفرق أهل الإسـلام التـي تناولناهـا فـي الرسالة.

وما زاد عن هذا القدر من الإيمان وتعلق بالتفاصيل وقع فيه الخلاف والجدل ويخرج فيه المخطئ من دائرة الصواب إلى الخطأ، ومن السنة إلى البدعـة، ولا يؤثّم لاجتهاده في طلب الحق، وقصده إياه، ولو أخطأ سبيل الوصول إليه.

٦- يثبت الإسلام في ظاهر الأحكام بلا إله إلا ا قولاً، ومـن ثبـت لـه الإسلام بيقين فلا يزول عنه إلا باليقين، والمتيقن زوال الإسلام عن صاحبه بالكفر الصريح، أو الردة المجمع عليها، والوقوع في البدعة ليس موجباً لذلك، ولا يلـزم من ضلال من ضل كفره، أو إخراجه من الملة.

اتفاق الفرق في ركن الإيمان بالملائكة والكتب والرسل أكثر منه في غيـره من أركان الإيمان الستة؛ وذلك للإجمال الحاصل في النصوص الشرعية الواردة، ولعدم تخوض الفرق في التفاصيل الكلامية بلا دليل، ووقوفها عنـد النصـوص، وكذلك الاتفاق حاصل في اليوم الآخر، وفي مجمل ما يقع فيـه، والخـلاف فـي تفاصيل قليلة في ذلك. وكذلك كان اتفاق فرق أهل القبلة في الإيمان بالقدر علـى الجملة، وخلافهم في مواضع تجاوزوا فيها دلالات النصوص وتمحلوا في اللوازم. وقد أغرقت الفرق في التشهير والتكفير للمخالفين لها، والإلزام بلوازم القول الذي لا يلتزمه المخالف، ولذلك كان التحقيق عند أهل السنة والجماعة أن لازم المذهب ليس بمذهب، إلاّ أن يلْتَزم صراحة.

٧- حرمة تكفير المسلم بغير موجب شرعي، ووجوب مراعـاة ضـوابط وموانع التفكير، فقد يحصل الكفر ويقع بصدوره من جاهل، أو ساقط التكليف، أو معذور غير قاصد، فلا يكفّر.

٨- التكفير حكم شرعي ديني من حيث بيان الأحكام العامة بالجماعة، وإذا تعلق بمعين فلا بد أن يكون الحكم دينياً قضائياً لخطورة الآثار المترتبة على الخطأ في التكفير.

٩- كثير من المسائل المسماة في العقيدة بالأصول ليست محل اتفاق أو تسليم عند التحقيق، وكثير من مواضع الخلاف بسبب ذلك، وبسبب عدم الاستفصال من المخالف، والبحث عن مراده، وقصده من قوله هو، لا بما يلزمه مخالفه في معرض المجادلة واللجاج في الخصومة.

١٠- الاتفاق على ما هو المعلوم من الدين ضرورة، والذي يكفر من جحده، أو أنكره، يضيق رقعة الاختلاف ويوسع رياض الاتفاق والائتلاف.

١١- أكثر الأخبار والمرويات التي تظهر في كتب المقالات وفيها أحكام على فرق الإسلام أو على أئمتها، أو على أرباب المقالات، وكذلك المرويات المنسوبة إلى السلف تفتقر إلى دراسة علمية لإثبات صحتها؛ فأسانيدها منقطعة، والمتصل منها يتضمن من أقلُّ أحواله الجهالة، وهذا قادح في ثبوتها وفي صحة الاستشهاد بها.

التوصيات:

١- أوصي بالدراسة المتأنية المستفيضة لأسباب الخلاف بين أهل القبلة، لتكون منطلقاً لتوحيد الأمة من خلال تجاوز هذه الأسباب، والاتفاق فيها على رؤية شرعية قائمة على الكتاب والسنة، بفهم الصحابة رضي ا عنهم والأئمة المتبوعين.

٢- أوصي بتكوين مجامع للدراسات العقدية، تعني بدراسة الآثار المنقولة عن السلف، وعن أصحاب الفرق والمذاهب، خصوصاً التي لا يوجد لأصحابها كتب مؤلفة كالكرامية، والجهمية الأولى، وإنما غاية المنقول عنهم مرويات ومقولات على لسان مخالفيهم، ينقصها الفحص والدقة العلمية، والنقد الحديثي، وتزيد أهمية مثل هذه الدراسات للآثار من ناحية الإسناد عند تعارض النقل عن المذهب أو الإمام، وعند حكاية المقالات الكفرية الصريحة التي لا تليق بمسلم فضلاً عن عالم نسبت إليه الأقوال مهما كانت بدعته.

٣- ضرورة إدخال مادة مناسبة في اتفاق الفرق الإسلامية في أصولها الإيمانية، ضمن مناهج التعليم المتوسطة أو الثانوية لإشاعة نهج الوفاق، ولإحداث وحدة فكرية عند ناشئة الأمة.

٤- أوصي الدارسين والباحثين في علوم العقيدة، وأصول الدين، أن يكتبوا في حقوق وواجبات أهل القبلة، من الناحية النظرية والعملية.

٥- أوصي الحركات الإسلامية، والمذاهب الفكرية العقدية، ومراكز البحوث والدراسات الأكاديمية وغير الأكاديمية؛ القيام بندوات علمية لوضع الأصول والقواعد النظرية للاتفاق بين أهل القبلة بمختلف مشاربهم الفكرية ومدارسهم العقدية، والانطلاق منها للجانب العملي الذي يعنى بأساليب ووسائل تحقيق وحدة الأمة واعتصامها، وتحقيق الاتفاق في برامجها ومشاريعها العامة، مع الاحتفاظ بخصوصية كل طائفة.

الحمد على توفيقه وعونه في إنجاز هذا البحث وإتمامه، فإن أحسنت فيه فمن ا وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

أهم المصادر والمراجع

١. الإباضية بين الفرق الإسلامية لعلي بن يحيى بن معمر، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الثانية بدون رقم ولا تاريخ.

٢. الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري- تحقيق بشير محمد عون، مكتبة دار البيان- دمشق،مكتبة المؤيد- الطائف- الطبعة الثالثة ١٤١١هـ

٣. الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسنعلي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار – القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

٤. الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاويعلي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: جماعة من العلماء،دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٥. إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين، دار الفكر، طبعة مصورة.

٦. الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر - لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٧. إجماعات ابن عبد البر في العبادات"، مطبوعة في كتاب صادر عن دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٨. الأحاديث المختارة لأبي عبد ا محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي (٥٦٧هـ _٦٤٣هـ)،تحقيق : عبد الملك بن عبد ا بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٩. أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدا بن العربي، المتوفى سنة ٥٤٣هـ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الفكر للطباعة – لبنان- بدون تاريخ طبعة ولا رقم ،

١٠. أحكام القرآن لأبي عبدا محمد بن إدريس الشافعي، المتوفى سنة ٢٠٤هـ، تحقيق: عبدالغني عبدالخالق، دار الكتب العلمية – بيروت – بدون رقم طبعة – ١٤٠٠هـ .

١١. أحكام القرآن لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، المتوفى سنة ٣٧٠هـ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث – بيروت – ١٤٠٥- بدون رقم طبعة.

١٢. الإحكام في أصول الأحكام – لأبي الحسن علي بن محمد الآمدي، المتوفى سنة ٦٣١هـ، تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ،

١٣. أراء الكلابية العقدية وأثرها في الأشعرية في ضوء عقيدة أهل السـنة والجماعـة لهدى بنت ناصر محمد الشلالي، مكتبة الرشد بالرياض، بدون رقم طبعة- ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
١٤. إرشادالثقاتإلىاتفاقالشـرائععلىالتوحيدوالمعادوالنبوات لمحمدبنعليالشـوكاني،تحقيق: جماعةمنالعلماء، دارالكتبالعلمية - بيروت، الطبعةالأولى ١٩٨٤م.
١٥. إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد البدري- دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
١٦. إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، لأبي العز محمد بن الحسين بن بندار الواسطي القلانسي المتوفى سنة: ٥٢١ هـ، تحقيق: عمـر حمـدان الكبيسـي. المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م
١٧. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد لإمام الحرمين الجويني، المتوفى سنة ٤٧٨هـ، تحقيق وتعليق د/محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، فصـل في معنى الإيمان، مكتبة الخانجي بالقاهرة - الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.
١٨. الإرشاد إلى معرفة الأحكام لعبد الرحمن السعدي، مكتبـة المعـارف، الريـاض، ١٤٠٠هـ.
١٩. أساس التقديس في علم الكلام، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - الطبعة الأولـى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢٠. الاستذكار لابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣هـ،تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي - مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ١٩٩٣م.
٢١. الاستقامة، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيـق: د. محمـد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سـعود - المدينـة المنـورة، الطبعـة: الأولـى ١٤٠٣هـ
٢٢. الإشاراتوالتنبيهاتلأبيعليبنسـ ـ ـينا تحقيـ ـ ـق: د. سـ ـ ـليماندنيا،دارالمعارف - القاهرةالطبعةالثالثة، ١٩٨٣م.
٢٣. الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علـي بـن حجـر العسـقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، الطبعةالأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٤. الأصول الثمانية للإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبـراهيم بـن الحسن - تحقيق عبدا بن حمود العزي، مؤسسة الإمام زيـد بـن علـي الثقافيـة- الأردن- الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

25. أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، دار صـادر _ بيروت _ الطبعة الأولى، استانبول، ١٣٤٩هـ -١٩٢٨م.
26. أصول الدين، لأبي اليسر محمد البزدوي، تحقيق د/هانز بيترلنس، ضبطه وعلـق عليه د/أحمد حجازي السقا، الأزهرية للتراث، بدون رقم، طبعة ١٤٢٢هـ.
27. أصول السنة لابن أبي زمنين المتوفى٢٠٧هـ، تحقيق: عبد ا البخاري، ، مكتبـة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
28. أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية، د/عائشة يوسف المناعي.
29. أصول المعارف لمحمد الموسوي القزويني، بيروت، الطبعة الأولى.
30. أضواءالبيانفيإيضاحالقرآنبالقرآن،لمحمدالأمينبنمحمدبنالمختارالجكنيالشنقيطي،تحقيق: مكتبالبحوثوالدراسات،دارالفكرللطباعةوالنشر،بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
31. اعتقاد أئمة الحديث لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، تحقيق: محمد بن عبـد الرحمن الخميس، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
32. اعتقاد فرق الإسماعيلية والمشركين، لأبي عبد ا محمد بن عمـر بـن الحسـين الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ.
33. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعـة الأولى ١٤٠١هـ.
34. إعلام الموقعين عن رب العالمين لأبي عبد اللهمحمد بن أبي بكر أيـوب الزرعـي المعروف بابن القيم، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل - بيروت، ١٩٧٣م.
35. الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعـلام، للتعـارجي المراكشـي، تـوفي ١٣٧٨هـ، راجعه: عبدالوهاب بن منصور، المطبعـة الملكيـة، الطبعـة الثانيـة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
36. الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة السادسـة عشر٢٠٠٥.
37. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لأبي عبد ا محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفـة – بيـروت، الطبعةالثانيـة ١٣٩٥هـ ـ - ١٩٧٥م.
38. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٣٩. الإقناع في مسائل الإجماع لأبي الحسن بن القطان المتوفى سنة ٦٢٨هـ، تحقيق: بن فوزي الصعيدي –الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

٤٠. الأم لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، المتوفى سنة ٢٠٤ هـ، دار المعرفة - بيروت - الطبعة الثانية–١٣٩٣هـ.

٤١. الأمالي لأبي علي القالي، منشورات المكتب الإسلامي.

٤٢. إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية، لعلي عبد الفتاح المغربي المتوفى٤٢٤هـ، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٤٣. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، ليحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف - الرياض - الطبعة الأولى- ١٩٩٩م.

٤٤. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به لأبي بكر بن الطيب الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية- ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٥. الإنصاف، لأبي الحسن علي بن سليمان المرادي، المتوفى سنة ٨٨٥هـ، تحقيق محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث – بيروت – بدون رقم طبعة ولا تاريخ.

٤٦. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لمحمد بن نصر المرتضى اليماني (ابن الوزير)،دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية١٩٨٧م.

٤٧. إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، لمحمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلام للطباعة والنشر – مصر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤٨. الإيضاح في أصول الدين لأبي الحسن علي بن عبيد الله بن الزاغوني، المتوفى ٥٢٧هـ، تحقيق عصام السيد محمود، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٤٩. الإيمان لابن تيمية، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي- بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ .

٥٠. الإيمان لابن منده، والإيمان لمحمد بن إسحاق بن يحيى بن منده،تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٦هـ.

٥١. الإيمان لأبي عمرمحمد بن يحيى بن العدني، تحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي، الدار السلفية - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٥٢. الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل، تحقيـق: عثمان أحمد عنبر، دار الهدى – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.
٥٣. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني، دار الكتـاب العربـي - بيروت –، الطبعة: الثانية١٩٨٢هـ.
٥٤. البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن كثير المتـوفى٧٧٤هـ - دار التقـوى، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ_ ١٩٩٩م.
٥٥. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني – تحقيـق د. حسن بن عبد ا العمري، دار الفكر المعاصر –بيروت- الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٥٦. البرهان في علوم القران لبدرالدين محمد بن عبد ا الزركشي، تحقيق: محمد أبـو الفضل إبراهيم، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة – الطبعة الثانية.
٥٧. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق : د. موسى سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكـم- الطبعة الأولى- ١٤٠٨هـ.
٥٨. بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، للضبي المتوفى سنة ٥٩٩هـ، دار الكتاب العربي ١٩٦٧م.
٥٩. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- لبنان/ صيدا.
٦٠. البلغةفىتراجمأئمةالنحوواللغة، لمحمدبنيعقوبالفيروزأبادي، تحقيق : محمدالمصري، جمعيةإحياءالتراثالإسلامي،الكويت،الطبعةالأولى: ١٤٠٧هـ.
٦١. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لأبي العباس أحمد عبد الحليم بـن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعـة الحكومـة - مكـة المكرمة – الطبعة الأولى - ١٣٩٢هـ.
٦٢. تاج التراجم لأبي الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغـا السـودوني، المتـوفى سـنة ٨٧٩هـ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار القلم - دمشـق- الطبعـة الأولـى ١٤١٣هـ،
٦٣. تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضـى الحسـيني الزبيـدي، تحقيـق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٦٤. التاج والإكليل لمختصر خليل لمحمد بن يوسف المواق، ت٨٩٧هـ، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولـى ١٤١٦هـ.

٦٥. تاريخ الإسلام وشرائع الدين لأبن سلاّم الإباضي المتوفى عام٢٧٣هـ ـ، تحقيـق: فيريز شفارتز، سالم بن يعقوب، دار صادر-بيروت- ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.
٦٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمـان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي - لبنان/بيـروت - الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٦٧. التاريخ الصغير (الأوسط) للإمام محمد بن إبراهيم بـن إسـماعيل أبـو عبـد ا البخاري الجعفي (١٩٤هـ _٢٥٦هـ) تحقيق: محمود إبراهيم زايـد، دار الـوعي ، مكتبة دار التراث،حلب ، القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م .
٦٨. تاريخ الفسلفة في الإسلام لدي بور، ترجمة د. عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، ١٩٣٨م.
٦٩. تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، د. محمد علي أبو ريان، دار الجامعات المصرية، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.
٧٠. التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبي عبدا البخاري الجعفي، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر.
٧١. تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، دار الفكر العربي ١٩٨٧م.
٧٢. تاريخ بغداد، تأليف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون رقم الطبعة.
٧٣. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن بن حسن الجبرتيدار الجيـل – بيروت، الفكر السامي.
٧٤. تاريخ قضاة الأندلس، للنباهي المتوفى بعد ٧٩٣هـ ، تحقيق: لجنة إحيـاء التـراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفـاق الجديـدة، بيـروت، الطبعـة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٧٥. تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة ا بن عبد ا الشـافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامـة العمـري، دار الفكـر، بيـروت – ١٩٩٥م.
٧٦. تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، دار الكتب العلميـة- لبنـان، الطبعـة الأولـى ١٤٠٥هـ .
٧٧. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهـالكين لطـاهر بـن محمـد الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - بيروت- الطبعـة الأولـى ١٩٨٣م.

٧٨. تجريد التوحيد المفيد لأحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي، ت: ٨٤٥هـ ـ، اعتنى به على بن محمد العمران، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، الطبعـة الثانيـة ١٤٢٤هـ .

٧٩. تحرير تقريب التهذيب لابن حجر ، تأليف : د. بشار عـواد معـروف ، شـعيب الأرنؤوط،مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ _١٩٩٧م.

٨٠. التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التـاريخ، بيـروت، الطبعـة الأولى-١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٨١. تحفة المريد بشرح جوهرة التوحيد – لإبراهيم اللقاني، دار الكتب العملية، بيـروت بدون.

٨٢. تحفة المريد على جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم بن محمد بـن أحمـد البـاجوري، المتوفى سنة ١٢٧٧هـ، وشرحها سنة ١٢٣٤هـ .

٨٣. التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية لفالح بن مهدي آل مهدي، طبعـة الجامعـة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٨٤. التدمرية لابن تيمية، تحقيق د/محمد السعوي، مكتبة العبيكان الرياض١٤٠٥هـ .

٨٥. تذكرة الحفاظ لأبي عبد ا شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى.

٨٦. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبد ا محمد بن أحمد القرطبـي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٨٧. تسهيل العقيدة الإسلامية لـ أ.د عبد ا بن عبد العزيز الجبرين، دار الصـميعي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٨٨. التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي،تحقيق: د. أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشـر والتوزيـع – الرياض، الطبعة: الأولى – ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٨٩. تعريف الخلف بمنهج السلف" دراسة منهجية لأصول مذهب السـلف فـي تقريـر العقيدة والدفاع عنها وطرق التأليف فيها، لـ د. إبراهيم بـن محمـد بـن عبـد ا البريكان، دار بن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ

٩٠. التعريفاتلعلي بن محمد بن علي الجرجاني،تحقيق: إبراهيم الأبيـاري، دار الكتـاب العربي - بيروت، الطبعةالأولى١٤٠٥هـ .

٩١. التعريفات؛ للشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتـب العلميـة – بيـروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٩٢. تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمـد بن محمد العمادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
٩٣. تفسيرالبغوي تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة – بيروت.
٩٤. تفسير البيضاوي، دار الفكر- بيروت.
٩٥. تفسير الجلالين، لمحمد بن أحمد + عبدالرحمن بن أبي بكر المحلي + السـيوطي، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى.
٩٦. تفسير العز بن عبد السلام،تحقيق: الدكتورعبـداللهبنإبراهيمالوهبي، دارابنحـزم – بيروت،الطبعةالأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٩٧. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، دار الفكر- بيروت١٤٠١هـ.
٩٨. التفسير الكبير لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علـي التميمـي الرازي الشافعي، المتوفى سنة ٦٠٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعـة الأولى ١٤٢١هـ.
٩٩. تقريب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار الرشيد – سوريا، الطبعة الأولى – ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٠٠. التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للنشر والتوزيع - بيـروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.
١٠١. تلبيسإبليس لأبيالفرج عبدالرحمنبنعليبنمحمدبن الجوزي، تحقيـق:د. السـيدالجميلي، دارالكتابالعربي – بيروت، الطبعةالأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
١٠٢. التلويح إلى كشف حقائق التنقيح لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبدا التفتازاني– المتوفى سنة٧٩١هـ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم– بيـروت– الطبعـة الأولـى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.
١٠٣. تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل لمحمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الـدين أحمد حيدر، باب الكلام في الإيمان والإسلام والأسماء والأحكـام، مؤسسـة الكتـب الثقافية - لبنان- الطبعة الأولى١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٠٤. التمهيد في تخريج الفروع على الأصول لعبد الرحيم بن الحسن الأسنوي أبي محمد، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
١٠٥. التمهيد لقواعد التوحيد لأبي المعين ميمون بن محمد النسفي، تحقيـق: حبيـب ا حسن أحمد، دار الطباعة المحمدية القاهرة، بدون رقم ولا تاريخ.

١٠٦. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد ا بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي،محمد عبد الكبيـر البكـري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ.
١٠٧. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث - مصر - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٠٨. تهذيب الأسماء لأبي زكريا محيي الدين النووي، دار الفكر- بيـروت - الطبعـة الأولى١٩٩٦م.
١٠٩. تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الطبعة الأولى.
١١٠. تهذيب الفروق لابن شاط (بهامش الفروق للقرافي)، عالم الكتب، بيروت.
١١١. تهذيب الكمال لأبي الحاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن المزي، تحقيق: د. بشـار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعةالأولى - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
١١٢. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
١١٣. التوحيد لأبي منصور الماتريدي، تحقيـق: د. فـتح ا خليـف، دار الجامعـات المصرية – الإسكندرية.
١١٤. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمـد بـن إبراهيم بن عيسى،تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.
١١٥. التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيـق : د. محمـد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت ، دمشق - الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ.
١١٦. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد ا بن محمد بن عبد الوهاب، ، تحقيق: محمد أيمن الشبراوي، عالم الكتـب - بيـروت - الطبعـةالأولى ١٩٩٩م،
١١٧. الثقات لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي،، تحقيق: السـيد شـرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى – ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
١١٨. الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، د/ صلاح الصاوي، دار الإعلام الدولي، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١١٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفرمحمد بن جرير بن يزيـد بـن خالـد الطبري، المتوفى سنة٣١٠هـ، دار الفكر- بيروت- ١٤٠٥هـ.
١٢٠. جامع التحصيل في أحكام المراسيل لأبي سعيد بن خليل بـن كيكلـدي العلائـي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.
١٢١. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لأبي الفـرج زيـن الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، تحقيق: شعيب الأرنـاؤوط / إبـراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة السابعة - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٢٢. الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد ا محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب – القاهرة.
١٢٣. الجرح والتعديل لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمـد بـن إدريسـالرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعةالأولى ١٢٧١ هـ - ١٩٥٢م.
١٢٤. جمهرة اللغة لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ت: ٣٢١هــ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر أباد، الطبعة الأولى- ١٣٤٥هـ.
١٢٥. جمهرة اللغة لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ت: ٣٢١هــ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر أباد، الطبعة الأولى- ١٣٤٥هـ.
١٢٦. جواهر الإيمان، لابن تيمية، طبع مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان، الطبعـة الأولـى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١٢٧. الجواهر المضية في طبقات الحنفية لأبي محمد عبد القادر بن أبي الوفاء، دار مير محمد كتب خانه – كراتشي.
١٢٨. الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، لابن عبد الهادي، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ،
١٢٩. جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني، دار الكتب العلميـة، بيـروت، الطبعـة الأولـى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٣٠. حاشية البناني على شرح الجلال شمس الدين محمد الحلي على متن جمع الجوامـع للإمام تاج الدين عبدالوهاب السبكي، دار الفكر، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
١٣١. حاشية الدسوقي على أم البراهين للشيخ/محمد الدسوقي، مطبعة عيسـى الحلبـي، بدون تاريخ و لا رقم طبعة.

١٣٢. حاشية الدسوقي، حاشية الدسوقي، لمحمد بن عرفة الدسوقي على الشـرح الكبيـر؛ لأبي البركات سيدي أحمد الدردير، فصل في سجود التلاوة دار إحياء الكتب العربيـة – بدون.
١٣٣. حاشية السندي على النسائي لنور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي المتـوفى سنة ١١٣٨هـ، تحقيق:عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعـات الإسـلامية- حلـب، الطبعة الثانية١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.
١٣٤. حاشية الشيخ سليمان الجمل على شرح المنهج (لزكريـا الأنصـاري)، لسـليمان الجمل، دار الفكر - بيروت - بلا، الطبعة: بلا، تحقيق: بلا. نسخة الجامع.
١٣٥. حاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية للشيخ/ أحمد بن محمد الصاوي المالكي، مطبعة الاستقامة – مصر – بدون رقم، ولا تاريخ.
١٣٦. حاشية العدوي على الخرشي لعلي العدوي – مع شـرح الخرشـي لخليـل- دار صادر- بيروت.
١٣٧. حاشية العلامة التفتازاني على مختصر المنتهى، للإمام ابن الحاجب المـالكي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
١٣٨. حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار لابن عابدين، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت- ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٣٩. حاشية محب الدين الخطيب على الروض الباسم في الذب عن سـنة أبـي القاسـم لمحمد ابن الوزير، المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة- ١٣٨٥هـ.
١٤٠. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لأبي القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية - السعودية/ الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٤١. حجـج القـرآن لأبيالفضـائلأحمدبنمحمدبنالمظفربنالمختارالرازي،تحقيق: أحمدعمرالمحمصـانيالأزهري، دارالرائـدالعربي-لبنان،الطبعةالثانيـة ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
١٤٢. حقائق المعرفة في علم الكلام للإمام المتوكل على ا أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين المتوفى سنة ٥٦٦هـ، مراجعـة وتصحيح حسن بن يحيى اليوسفي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافيـة- صـنعاء، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
١٤٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بـن عبـد ا الأصـبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الرابعة١٤٠٥هـ.

١٤٤. الخصائص الكبرى لأبي الفضل جلال الدين عبدالرحمن أبي بكـر السـيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
١٤٥. الخطط للمقريزي المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقي الدين أحمد بن على بن عبدالقادر بن أحمد بن على المعروف بالمقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ، مطبعة النيل بمصر سنه ١٣٢٥هـ.
١٤٦. خلق أفعال العباد لأبي عبد ا محمد بن إبراهيم بن إسماعيل البخـاري الجعفـي، تحقيق: د.عبدالرحمن عميرة، دار المعارف، السعودية - الريـاض، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م.
١٤٧. درء تعارض العقل والنقل لأبي العباسأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١هـ .
١٤٨. الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم، تحقيق: أحمد الحمد وسـعيد القزقـي، مكتبـة التراث- مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
١٤٩. الدرر الكامنة لأبي الفضل الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسـقلاني، تحقيق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانيـة - حيـدر أباد/ الهند - الطبعة: الثانية - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
١٥٠. الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية، الطبعـة الأولـى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.
١٥١. دلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي، تعليق خالد عبـد الـرحمن العـك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩١م.
١٥٢. الدليل والبرهان لأبي يعقوب يوسف إبراهيم الوارجلاني، تحقيق الشيخ سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث والثقافة العمانية، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.
١٥٣. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي بن محمـد بـن فرحون اليعمري المالكي المتوفى سنة ٧٩٩هـ، تحقيق: د. علي عمر، مكتبة الثقافـة الدينية – الطبعة الأولى – ١٤٢٣هـ.
١٥٤. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمـد بـن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية – بيروت،
١٥٥. الدين" للدكتور محمد عبـد ا دراز، دار القلـم – الكويـت – بـدون طبعـة – ١٤٠٠هـ.
١٥٦. ديوان عنترة، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٨هـ.

١٥٧. الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ت٧٩٥هـ دار المعرفة بيروت، الطبعة بدون تاريخ.
١٥٨. الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني،المطبعة السلفية – القاهرة.
١٥٩. الرد على البكري، لابن تيمية ، الدار العلمية، دلهي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ
١٦٠. رسائل في العقيدة لابن عثيمين، دار طيبة – الرياض – الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
١٦١. رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت للإمام أبي النصر عبدا بن سعيد بن حاتم الوائلي السجزي تحقيق ودراسة د/ محمد بـاكريم، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٦٢. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعةالرابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٦٣. رسالة في الجرح والتعديل، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبي محمد، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة دار الأقصى – الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
١٦٤. رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق ودراسة/ الوليد بن مسلم، مكتبة ابن عباس، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
١٦٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت
١٦٦. روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربى – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
١٦٧. سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي لأبي القاسم علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن العذري البغدادي، شرح منظومة حرز الأماني ووجه التهاني لأبي محمد بن فيرا بن أبي القاسم بن خاف بن أحمد الرعيني الأندلسي الشاطبي المتوفى سنة: ٥٩٠هـ، دار الفكر- بدون طبعة ولا تاريخ.
١٦٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدينالألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيعالرياض، ١٤١٥هـ.

١٦٩. السنة لعبد ا بن أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطـاني دار ابن القيم - الدمام - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
١٧٠. السنة، لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخـلال، تحقيـق: د.عطيـة الزهراني، دار الراية - الرياض - ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، الطبعة الأولى.
١٧١. سنن ابن ماجه، لأبي عبد ا محمد بن يزيد القزويني المتوفى سنة ٢٧٥هـ، بـاب القبلة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
١٧٢. سنن أبي داود تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجسـتاني الأزدي، تحقيـق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بدون رقم الطبعة.
١٧٣. سنن البيهقي الكبرى لأبي بكرأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي المتـوفى سنة ٤٥٨هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار البـاز - مكـة المكرمـة - ١٤١٤هـ.
١٧٤. سنن الترمذي المسمى بالجامع الصحيح سنن لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي ٢٧٩هـ،تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التـراث العربـي، بيروت .
١٧٥. سنن الدارمي، لأبي محمد عبدا بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيـق: فـواز أحمـد زمرلي ، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربـي – بيـروت، الطبعـة الأولـى – ١٤٠٧هـ.
١٧٦. السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د.عبـد الغفـار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت -الطبعة: الأولى- ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٧٧. سير أعلام النبلاء لأبي عبد اللهمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنـاؤوط ، محمـد نعـيم العرقسوسي،مؤسسـة الرسـالة - بيـروت - الطبعةالتاسعة- ١٤١٣هـ.
١٧٨. السيل الجرار المتدفق على حـدائق الأزهـار، لمحمـد بـن علـي بـن محمـد الشوكاني،تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعـة الأولـى ١٤٠٥هـ.
١٧٩. الشامل لأبي المعالي الجويني، تحقيق د/ على سامي النشار، د/ فيصل بدير عـون، وسهير محمد مختار، منشأة المعارف – الإسكندرية ١٩٦٩م.
١٨٠. شأن الدعاء لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث - دمشق وبيروت، الطبعة الأولى١٤٠٤هـ _١٩٨٤م.

١٨١. الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، لإبراهيم بن موسى بن أيوب البرهان الأبناسي، تحقيق: صلاح فتحي هلل، مكتبة الرشد -الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٨٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد العكري المتوفى سنة ١٠٨٩هـ، تحقيق محمود الأرناؤوط إشراف وتخريج أحاديث عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
١٨٣. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة تحقيق د/أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي. دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة الخامسة.
١٨٤. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم لأبي القاسم هبة ا ابن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي المتوفى سنة ٤١٨ هـ، تحقيق د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – الطبعة الرابعة – ١٤١٦هـ
١٨٥. شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي، تحقيق د. عبد الكريم عثمان،مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثالثة / ١٤١٦هـ _ ١٩٩٦م.
١٨٦. شرح السنة الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق _ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٨٧. شرح السنة لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام - الطبعة الأولى١٤٠٨هـ.
١٨٨. شرح الصاوي على جوهرة التوحيد لأحمد بن محمد المالكي الصاوي المتوفى سنة ١٢٤١هـ، دار ابن كثير – دمشق وبيروت – الطبعة الثالثة - ١٤٢٤هـ.
١٨٩. شرح الطحاوية بتحقيق الألباني، حققها وراجعها: جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.
١٩٠. شرح العقائد النسفية/للشيخ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢هـ تحقيق وتعليق محمد عدنان درويش ، بدون رقم طبعة - وبدون دار.
١٩١. شرح العقيدة الأصفهانية، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق إبراهيم سعيداي، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
١٩٢. شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي – بيروت -الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.

١٩٣. شرح العمدة في الفقه لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المتـوفى سنة ٧٢٧هـ، تحقيق: د. سعود صالح العطيشان - مكتبة العبيكـان – الريـاض - الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٩٤. شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيـق الـدكتور / محمـد الزحيلـي، والدكتور / نزيه حماد، مكتبة العبيكان ـ الرياض ـ رقم الطبعة "بدون" ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٩٥. شرح الورقات لإمام الحرمين الجويني؛ تأليف: عبدالرحمن بن إبراهيم الفـزاري، المعروف بابن الفركاح الشافعي، المتوفى سنة ٦٩٠هـ، دراسة وتحقيق: سارة شافي الهاجري، دار البشائر الإسلامية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١هـ.

١٩٦. شرح أم البراهين للسنوسي مع حاشية محمد الدسوقي، المطبعة الخيريـة بمصـر، الطبعة الأولى ١٣٠٥هـ،

١٩٧. شرح حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان، المعروف بكتاب " الإيمان الأوسط " لابن تيمية، تحقيق: د/ علي بخيت الزهراني، دار ابـن الجـوزي، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

١٩٨. شرح فتح القدير لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية.

١٩٩. شرح مختصر الروضة لأبي الربيع سليمان بن عبدالقوي الطوفي، المتـوفى سـنة ٧١٦هـ، تحقيق: د. عبدا بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانيـة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٠٠. شرح مسلم للنووي المسمى بـ "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجـاج"، لأبـي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربـي – بيـروت - الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٢٠١. شرف أصحاب الحديث لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، تحقيق: د: محمد سعيد خطي أوغلي، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة.

٢٠٢. شروح جوهرة التوحيد في كشف الظنون عن أسـامي الكتـب والفنـون للعلامـة مصطفى بن عبد ا القسطنطيني الرومي الحنفي، المعروف بحاجي خليفة، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٠٣. الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: الدكتور عبد ا بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن - الرياض/السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٠٤. شعار أصحاب الحديث لمحمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحاكم أبي أحمد تحقيق: صبحي السامرائي، دار الخلفاء – الكويت.
٢٠٥. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى -١٤١٠هـ .
٢٠٦. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لأبي عبد ا شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، المعروف بابن القيم، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر - بيروت – ١٣٩٨م.
٢٠٧. الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة للحسني، مطابع سيما – بيروت – ١٩٦٤م.
٢٠٨. الصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، المتوفى سنة ٣٩٨هـ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ
٢٠٩. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٢١٠. صحيح ابن خزيمة لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظميالمكتب الإسلامي - بيروت – ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٢١١. صحيح البخاري المسمى بالجامع الصحيح المختصر لأبي عبدا محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة–بيروت- الطبعةالثالثة - ١٤٠٧هـ .
٢١٢. صحيح الترغيب والترهيب، لمحدمد ناصر الدين الألباني،مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة الخامسة.
٢١٣. صحيح سنن ابن ماجة باختصارالسند، مكتب التربية العربي لدول الخليجالرياضالطبعة الثالثة 1408هـ - ١٩٨٨م.
٢١٤. صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٢١٥. الصراط أصول منهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد والعمل، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م بدون دار نشر.

٢١٦. صريح السنة لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: بدر يوسـف المعتـوق، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت- الطبعة الأولى١٤٠٥هـ.
٢١٧. الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها للتميمـي، أضـواء السـلف، الطبعـة الأولـى ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.
٢١٨. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه لمحمد أمان الجـامي، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٢١٩. الصفات الخبرية بين المثبتين والمؤولين بياناً وتاصيلاً للدكتور جـابر زايـد عيـد السميري، الدار السودانية للكتب – الخرطوم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٢٢٠. الصفات لعلي بن عمر الدارقطني، تحقيق: عبد ا الغنيمان، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
٢٢١. صفة الصفوة لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الثانيـة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.،
٢٢٢. صفة المنافق لجعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، تحقيق: بدر البدر، دار الخلفـاء للكتاب الإسلامي – الكويت - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٢٢٣. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدعة والزندقة، لابن حجـر الهيتمـي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٢٢٤. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين محمد بـن عبـد الـرحمن السخاوي،منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.
٢٢٥. طبقات الحفاظ للسيوطي ٨٤٩هـ ٩١١هـ، دار الكتب العلمية، بيـروت، الطبعـة الأولى١٤٠٣هـ.
٢٢٦. طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت.
٢٢٧. طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين بن علي بن عبد الكـافي السـبكي، تحقيـق: د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشـر والتوزيـع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
٢٢٨. طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة المتوفى سنة ٨٥١هـ، صححه وعلق عليـه د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب-الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ،

٢٢٩. طبقات الفقهاء الشافعية، لتقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية - بيـروت - الطبعـةالأولى ١٩٩٢م.
٢٣٠. الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبدا البصري الزهري، دار صادر، بيروت.
٢٣١. طبقات المشايخ بالمغرب لأحمد بن سعيد الدرجيني، تحقيق: إبراهيم طلاّي.
٢٣٢. طبقات المفسرين لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتـوفى سـنة ٩١١هـ ـ، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.
٢٣٣. طبقات المفسرين للداودي لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بـن صـالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية -الطبعةالأولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٣٤. طبقات النحويين لأبي بكر بن الحسن الزبيدي الأندلسي المتـوفى سـنة٣٧٩هـ ـ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف- مصر، الطبعة الثانية.
٢٣٥. الطبقات لأبي عبد ا محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، دار النشـر: دار صادر – بيروت.
٢٣٦. ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي للدكتور سفر بن عبد الـرحمن الحـوالي، دار الكلمة، الطبعة الأولى.
٢٣٧. العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، تحقيق أبـي هـاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتـب العلميـة-بيـروت-الطبعـة الأولـى ١٤٠٥هـ.
٢٣٨. عدة الأكياس في شرح معاني الأساس لأحمد بن محمد بن صلاح الشرفي القاسـمي المتوفى٢٤٨هـ، دار الحكمة اليمانية – صنعاء – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٢٣٩. العدل والتوحيد ونفي التشبيه، ضمن رسائل العدل والتوحيد، للقاسم الرسي، تحقيق: محمد عماره، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٤٠. العقائدالإسلاميةمنالآياتالقرآنيةوالأحاديثالنبويةروايةمحمدالصالحرمضان،لعبدالحميدبنبـاديس،تحقيق: محمدالصالحرمضان،دارالفتح – الشارقة، الطبعةالأولى، ١٩٩٥م.
٢٤١. عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني، تحقيق محمد بن عبد ا زربـان، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٤٢. العقيد الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن بن حسن حنبكه، دار القلم – دمشق – الطبعة الرابعة ١٩٨٦م.

٢٤٣. العقيدة الإسلامية أركانها – حقائقها – مفسداتها لمصطفى الخن- محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ودار ابن كثير، دمشق- الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢٤٤. العقيدة الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حنبكة الميداني، دار القلم الطبعة العاشرة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
٢٤٥. العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية) لمحمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود،مكتبة أضواء السلف – الرياض- الطبعة الأولى، ١٩٩٨م .
٢٤٦. عقيدة السلف وأصحاب الحديث (أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة) لأبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق: د. ناصر عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٢٤٧. العقيدة النظامية للإمام الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ، دراسة وتحقيق د. محمد الزبيدي، دار سبيل الرشاد – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ .
٢٤٨. العقيدة في ا لعمر سليمان الأشقر، دار النفائس – الطبعة ١٤ – ١٤٢٢هـ.
٢٤٩. علاقة صفات ا بذاته، د. راجح عبد الحميد الكردي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٢٥٠. العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ مع كتاب الأرواح النوافخ للعلامة صالح بن المهدي المقبلي اليمني ص٤١٧، مكتبة دار البيان - دمشق.
٢٥١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٢٥٢. العواصم والقواسم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٢٥٣. غاية المرام في علم الكلام، لعلي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة –١٣٩١هـ.
٢٥٤. الغنية في أصول الدين، لأبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري المتولي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية - لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٧م.
٢٥٥. فتح الباري،لأبي الفضل علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٥٦. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر – بيروت

٢٥٧. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، مراجعة وتصحيح وتعليق عبد العزيز بن باز، دار العاصمة – الرياض – طبعة بدون رقم ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٥٨. الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانيه د/ عبد الفتاح أحمد فؤاد، دار الوفاء- الإسكندرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٢٥٩. الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩هـ، اعتنى بها وعلق عليها إبراهيم رمضان، دار المعرفة – بيروت- الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٦٠. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة - بيروت - الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

٢٦١. الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، حققه وعلق على حواشيه ووضع فهارسه: جمال عبدالغني مدغمش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٦٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي – القاهرة، بدون رقم الطبعة.

٢٦٣. فضائحالباطنيةلأبيحامد محمدبنمحمدبنمحمدالغزالي، تحقيق: عبدالرحمنبدوي، مؤسسةدارالكتبالثقافية - الكويت.

٢٦٤. الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي مع شرحه للملا علي القاري الحنفي، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٢٦٥. الفكر العقدي عند الإباضية لمسلم بن سالم بن علي الوهيبي مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.

٢٦٦. الفهرست لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٢٦٧. فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، تحقيق: علي محمد بن يعوض ا /عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعةالأولى ٢٠٠٠م.

٢٦٨. فواتح الرحموت فواتح الرحموت للعلامة عبدالعلي محمد بن نظام الدين الأنصاري الهندي المتوفى (١٢٢٥هـ)، بشرح مسلم الثبوت في فروع الحنفية للإمام المحقق الشيخ محب ا بن عبدالشكور البهاري الهندي المتوفى (١١١٩هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

٢٦٩. القاموس المحيط للفيروزأباد المتوفى٨١٧هـ، دار الفكر بيروت- ١٤١٥هـ.
٢٧٠. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، لـ د/عبدالرحمن صالح المحمود، دار الوطن، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٢٧١. القواعد المثلى في صفات ا وأسمائه الحسـنى لابـن عثيمـين، مكتبـة الكـوثر الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
٢٧٢. قواعد المنهج السلفي لمصطفى حلمي، دار الدعوة- الاسكندرية، الطبعـة الثانيـة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
٢٧٣. القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكامعلي بن عباس البعلي الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة، ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦م.
٢٧٤. القول المفيد على كتاب التوحيد شرح محمد بن صالح بن عثيمين، طبعة دار ابـن الجوزي، الدمام-السعودية، الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ.
٢٧٥. القيامة الكبرى للدكتور عمر سليمان الأشقر، دار النفائس - الكويت، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٢٧٦. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لأبي عبد ا حمـد بـن أحمـد الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علـو - جدة، الطبعة الأولى–١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.
٢٧٧. كبرى اليقينيات الكونية، د/ محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكـر المعاصـر، الطبعة التاسعة ١٤١١هـ.
٢٧٨. كتاب السبعة في القراءات"لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية ١٤٠٠هـ.
٢٧٩. كتاب الصفدية ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشـاد سـالم، دار الفضيلة - الرياض - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
٢٨٠. كتاب العين لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، المتوفى سنة ١٧٥هـ، تحقيق د.مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمـي للمطبوعـات – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٨١. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحرانـي أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبـة ابـن تيمية، الطبعةالثانية.
٢٨٢. الكشافعنحقائقالتنزيلوعيونالأقاويلفيوجوهالتأويل،لأبيالقاسممحمودبنعمرالزمخشريالخوارزمي،تحقيق: عبدالرزاقالمهدي، دارإحياءالتراثالعربي – بيروت.

٢٨٣. كشف الأسرار عن أصول البزدوي لعبدالعزيز بن أحمد البخـاري المتـوفى سـنة ٧٣٠هـ، دار الكتب العربي – بيروت – ١٣٩٤هـ.
٢٨٤. الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد، منشورات دار الآفاق الجديـدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٢٨٥. كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار" لتقي الين أبي بكـر بـن محمـد الحسـيني الحصيني الدمشقي الشافعي، دار الإيمان – دمشق – بدون رقم طبعة ولا تاريخ.
٢٨٦. كلمةالإخلاصوتحقيقمعناها،لابنرجبالحنبلي،تحقيق: زهيرالشاويش، المكتبالإسلامي - بيروت – الطبعةالرابعة ١٣٩٧هـ.
٢٨٧. الكليات لأبي البقاء الكفوي، المتوفى سنة ١٠٩٤هـ، مؤسسة الرسالة،الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٨٨. الكليات لأبي البقاء الكفوي، المتوفى سنة ١٠٩٤هـ، مؤسسة الرسالة،الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٨٩. كنز الوصول إلي معرفة الأصول " لعلي بن محمد البزدوي الحنف المتـوفى ٣٨٢ هـ، مطبعة جاويد بريس–كراتشي.
٢٩٠. الكنى والأسماء للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسـين (٢٠٦هـ ــ ـ٢٦١هـ)، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، الجامعة الإسلامية، المدينـة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
٢٩١. الكواشف الجلية عن معاني الواسطية لعبد العزيز المحمد السـلمان، الطبعـة ١٨-١٤١٣هـ، بدون دار النشر.
٢٩٢. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي بن منظور، المتوفى سـنة ٧١١هــ، ،دار إحياء التراث، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٩٣. لسان الميزان لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشـافعي، تحقيـق: دائرة المعرف النظامية - الهند مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - الطبعةالثالثة - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٢٩٤. لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لأبي محمد عبد ا بن أحمـد بـن قدامـة المقدسي، فصل في الإيمان والدين، الـدار السـلفية – الكويـت، الطبعـة الأولـى ١٤٠٦هـ.
٢٩٥. لوامع الأنوار البهية للسفاريني، المكتب الإسلامي – بيـروت – مكتبـة أسـامة-الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٢٩٦. مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيـق: عبـد العزيز زيد الرومي، د.محمد بلتاجي، د. سيد حجاب، جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض.
٢٩٧. الماتريدية دراسة وتقويم، لأحمد عوض اللهيبي الحربـي، دار العاصـمة للنشـر- الرياض- الطبعة الأولى ١٤١٣هـ،
٢٩٨. الماتريدية دراسة وتقويماً لأحمد بن عوض ا بن داخـل اللهيبـي الحربـي، دار العاصمة – الطبعة الأولى – ١٤١٣هـ .
٢٩٩. مباحث في علوم القران، لصبحي الصالحي دار العلم للملايين – بيروت، الطبعـة الثامنة.
٣٠٠. متن لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد للإمام ابن قدامة المقدسي، دار الصميعي للنشر والتوزيع - الرياض – الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٣٠١. مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن لابن الجوزي، تحقيق د/ مصطفى الذهبي - دار الحديث القاهرة – الطبعة الأولى.
٣٠٢. مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٧هـ، جمع وترتيب عبـد الرحمن العاصمي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٣٠٣. مجموعة فتاوى ورسائل ابن عثيمين، جمع وترتيب، فهد بن ناصـر بـن إبـراهيم السليمان، دار الوطن ١٤١٣هـ.
٣٠٤. محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبـدالباقي، دار الفكـر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.
٣٠٥. محاضرات في العقيدة الإسلامية لفاروق الدسوقي، دار الدعوة – الإسكندرية.
٣٠٦. المحصول في علم الأصول، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: طه جـابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سـعود الإسـلامية - الريـاض - الطبعـة الأولى– ١٤٠٠هـ.
٣٠٧. المحلى لأبي محمدعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري المتـوفى سـنة 456 هـ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي - دار الآفاق الجديدة–بيروت.
٣٠٨. المحيط بالتكليف للقاضي عبدالجبار، تحقيق: عمر السيد عزمـي، مصـر- الـدار المصرية للتأليف والنشر.
٣٠٩. مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار ومكتبة الهـلال ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

٣١٠. المختار في أصول السنة لابن البنا (لأبي الحسن أحمد البنا الحنبلـي)، تحقيـق: د. عبدالرزاق العباد، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٣١١. مختصر أصول الدين، ضمن رسائل العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار، دراسـة وتحقيق: د/ محمد عمارة، دار الهلال – القاهرة ١٩٧١م.
٣١٢. مختصر الأسئلةوالأجوبةالأصولية على العقيدةالواسطية، لعبدالعزيزالمحمدالسلمان، الطبعةالعاشرة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٣١٣. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، دار الفكر.
٣١٤. مختصر العلو للإمام الذهبي، إختصار الألباني، المكتب الإسلامى بيروت.
٣١٥. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظـور المتوفى سنة ٧١١هـ، عني بتحقيقه إبراهيم صـالح، دار الفكـر، الطبعـة الأولـى ١٤٠٨هـ.
٣١٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبد ا محمد بـن أبـي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٣١٧. مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأي البركات عبد ا بن أحمد بن محمود النسـفي، تحقيق: وتخريج يوسف على بديوي، مراجعة وتقديم: محي الدين ديـب مسـتو، دار الكلم الطيب- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣١٨. المدخل إلى دراسة علم الكلام، المطبعة الفنيـة، مكتبـة وهبـة، الطبعـة الثانيـة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٣١٩. مدخل نقدي لدراسة علم الكلام، د. محمد الأنور السنهوري، دار الثقافـة العربيـة، القاهرة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٣٢٠. مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والمعتقدات ونقد مراتب الإجماع؛ لابـن تيمية، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، المتوفى سنة ٤٥٧هـ، منشورات – دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
٣٢١. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية - لبنان/بيروت الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٣٢٢. مرهم العلل المعضلة(المظلة) في الرد على أئمة المعتزلة، لعبدا بن أسعد بن علي اليافعي تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار، دار الجيـل - بيـروت، الطبعـة الأولى، ١٩٩٢م.

٣٢٣. المستدرك على الصحيحين لأبي عبدا محمد بن عبدا الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هـ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية–بيروت - الطبعة الأولى١٤١١هـ .
٣٢٤. مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود سليمان بن داود الفارسي البصري الطيالسـي، دار المعرفة – بيروت.
٣٢٥. مسند أبي يعلى الموصلي لأحمد بن علـي بـن المثنـى أبـي يعلـى الموصـلي التميميتحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٣٢٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد ا أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة – مصر.
٣٢٧. مسند الشاميين لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بـن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
٣٢٨. مسند الشهاب لأبي عبد ا محمد بن سلامة بن جعفرالقضاعي، تحقيق: حمدي بـن عبد المجيد السلفي مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٣٢٩. المسودة في أصول الفقه، تأليف: عبد السلام + عبد الحليم + أحمد بن عبد الحلـيم آل تيمية، دار النشر: المدني - القاهرة، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد.
٣٣٠. مشاهير علماء الأمصار، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حـاتم التميمـي البسـتي، تحقيق: م. فلايشهمر،دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٥٩ م
٣٣١. مشكلة الذات الإلهية عند القاضي عبد الجبار، د/ رابحة نعمان توفيق عبد اللطيف، جامعة الكويت، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٣٣٢. المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقـري،ص١٤، اعتنـى بهـا: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - بيروت - الطبعـة الثانيـة:١٤١٨ هـ ـ - ١٩٩٧م.
٣٣٣. المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبد ا بن محمد بن أبي شيبة الكـوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت دار النشر: مكتبة الرشد – الريـاض، الطبعـة الأولـى ١٤٠٩هـ.
٣٣٤. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد حكمي- تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام الطبعـة الأولـى، ١٤١٠ هـ ـ – ١٩٩٠م.

٣٣٥. معالم الانطلاقة الكبرى عند أهل السنة والجماعة لمحمد عبد الهادي المصري ص ـ ٤٧-٥٨ – دار الوطن - الرياض – الطبعة السابعة - ١٤١٣هـ
٣٣٦. المعتزلة لزهدي جار ا ، الأهلية للنشر والتوزيع – بيروت، ١٩٧٢م.
٣٣٧. معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات للدكتور/ محمد بن خليفـة التميمي، دار إيلاف الدولية – الكويت – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٣٣٨. المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسن محمد بن علي بن الطيـب البصـري المعتزلي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٣٣٩. معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، لجنة البحث العلمي لجمعية التـراث، جمعيـة التراث، القرارة، الجزائر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٣٤٠. المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق بن عوض ا بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.
٣٤١. معجم البلدان لأبي عبد ا ياقوت بن عبد ا الحموي، دار الفكر – بيروت، بـدون تاريخ رقم للطبعة.
٣٤٢. المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بـن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء - الموصل، الطبعةالثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م،
٣٤٣. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٣٤٤. معجم المقاييس لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المتوفى سـنة ٣٩٥هـ. تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعـة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٣٤٥. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ـ الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التـراث ، دار الدعوة باستانبول، الطبعة الثانية.
٣٤٦. معجم محدثي الذهبي، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الـذهبي، تحقيـق: د روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان، الطبعة الأولـى- ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٣٤٧. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: ٣٩٥هـ، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر- بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
٣٤٨. معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، لأبي الحسن أحمد بن عبد ا بن صالح العجلي الكوفي نزيل طرابلس الغرب، تحقيق:

عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار - المدينة المنورة - السعودية، الطبعـة الأولى - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
٣٤٩. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايمـاز الذهبي أبي عبد ا ، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صـالح مهـدي عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت -الطبعة الأولى– ١٤٠٤هـ.
٣٥٠. المعين في طبقات المحدثين لأبي عبدا محمد بن أحمد بن عثمـان بـن قايمـاز الذهبي، تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد دار الفرقان - عمـان – الأردن، الطبعـة الأولى – ١٤٠٤هـ.
٣٥١. مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج شرح الشيخ محمد الخطيب الشربيني علـى متن منهاج الطالبين للإمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي، دار الفكر، بدون تاريخ طبعة.
٣٥٢. المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي أبي الحسن بن أحمد بن الخليل المعروف بعبد الجبار ت: ٤١٥هـ، قدم نصه إبراهيم الإبياري بإشراف طه حسين، مطبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
٣٥٣. المغني في أبواب التوحيد والعدل، الدار المصرية للتأليف والنشر.
٣٥٤. المغني في الضعفاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمـان الـذهبي، تحقيـق: الدكتور نور الدين عتر.
٣٥٥. مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني ت(٤٢٥هـ)، تحقيق صـفوان عـدنان داوودي، دار القلم دمشق – الدار الشامية،الطبعة الثانية - ١٤١٨هـ.
٣٥٦. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد بن الفضـل المعـروف بالراغب، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – لبنان.
٣٥٧. المفضليات للمفضل بن محمد الضبي، تحقيق: أحمد محمد شـاكر، عبـد السـلام هارون، دار المعارف- القاهرة، الطبعة السادسة.
٣٥٨. المقاصد في علم الكلام لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبـد ا التفتـازاني، دار المعارف النعمانية – باكستان الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٣٥٩. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسنعلي بـن إسـماعيل الأشـعري ،المتوفى سنة ٣٣٠هـ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصـرية- بيروت-بدون رقم طبعة -١٤١٦هـ.
٣٦٠. مقالة التعطيل والجعد بن درهم د/ محمد خليفة التميمي، دار أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٣٦١. مقدمة شرح الزركشي على مختصر الخرقي - تحقيق د. عبد ا الجبرين، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٣٦٢. مقدمة هانز بيترلنس على كتاب البزدوي" أصول الدين" المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٤٢٤هـ.
٣٦٣. الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني،تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت – ١٤٠٤هـ
٣٦٤. مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد الحفيد، تقديم وتحقيق: د/ محمود قاسم، مكتبة الإنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٤م.
٣٦٥. مناهل العرفان للزرقاني، دار إحيا الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي– القاهرة.
٣٦٦. المنتخب من مسند عبد بن حميد لعبد بن حميد بن نصر أبي محمد الكسي، تحقيق: صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيديمكتبة السنة – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٦٧. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبي الفرج، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى – ١٣٥٨هـ.
٣٦٨. المنخول في تعليقات الأصول، لأبي حامدمحمد بن محمد بن محمد الغزالي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ، تحقيق د. محمد حسن هيتو، دار الفكر- دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
٣٦٩. منهاج السنة النبوية، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مؤسسة قرطبة - ١٤٠٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد رشاد سالم
٣٧٠. المنهاج السوي في ترجمه الأمام النووي للإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق أحمد شفيق دمج، دار ابن حزم، بيروت،الطبعة الثانية ١٤١٤هـ _١٩٩٤م.
٣٧١. منهاج الوصول إلى معيار العقول في علم الأصول، تحقيق د. أحمد علي مطهر المأخذي، دار الحكمة اليمانية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .
٣٧٢. مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات، د/ محمد خليفة التميمي، أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
٣٧٣. المواقف لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت -الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٣٧٤. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية- الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣٧٥. موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.
٣٧٦. ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبيتحقيق: علي محمد معوض و عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى- ١٩٩٥م.
٣٧٧. النبوات لابن تيمية، المطبعة السلفية - القاهرة – ١٣٨٦هـ.
٣٧٨. النجوم الزاهرة لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردى الأتابكي التوفي٨٧٤هـ،وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر.
٣٧٩. نزهة الألباب في الألقاب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشيد - الرياض، الطبعة الأولى: ١٩٨٩م.
٣٨٠. نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر وجنّة المناظر؛ لموفق الدين بن محمد عبدا بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي، تأليف عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى بدران الدومي الدمشقي، مكتبة المعارض بالرياض – الطبعة الثانية – ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٣٨١. نفائس الأصول في شرح المحصول لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس عبدالرحمن الصنهاجي المصري المعروف بالقرافي، المتوفى سنة ٦٨٤هـ، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى البار – مكة – الرياض – الطبعة الثانية ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
٣٨٢. النكت والفوائد السنية على مشكل المحرر؛ لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبدا بن مفلح الحنبلي، المتوفى سنة ٨٨٤هـ، مكتبة المعرفة – الرياض – الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
٣٨٣. نهاية الإقدام في علم الكلام للإمام عبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه الفرد جيوم، مكتبة المتنبي، القاهرة.
٣٨٤. نهاية السول في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول؛ للقاضي ناصر الدين البيضاوي، المتوفى سنة ٦٨٥هـ، تأليف جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الاسنوي، المتوفى سنة ٧٧٢هـ، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل،دار ابن حزم – بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٣٨٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٨٦. نهج الحق وكشف الصدق للحلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٢م.
٣٨٧. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥هـ، دار الجيل–بيروت -١٩٧٣م.
٣٨٨. الوابل الصيب من الكلم الطيب، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٣٨٩. الوافي في الوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٣٩٠. وفيات الأعيان وأنباء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، المتوفى سنة ٦٨١ هـ، تحقيق: د.إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٨م.
٣٩١. ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن لأبي عمر محمد بن عبدالواحد البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب، حققه وقدم له: د. محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.
٣٩٢. ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة للأمير/ الحسين بن بدر الدين، تحقيق د/ المرتضى بن زيد المحطوري الحسني، مكتبة بدر للطباعة والنشر- صنعاء، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.
٣٩٣. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشيخ عبد الوهاب بن أحمد علي الشعراني المصري الحنفي المتوفى سنة ٩٧٣هـ، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت لبنان.بدون طبعة ولا تاريخ.

الرسائل الجامعية:

١. أصول الاتفاق في القضايا الكلامية بين الزيدية والمعتزلة، رسالة ماجستير لأحمد عبد الله عارف، إشراف: د. مصطفى حلمي، المكتبة المركزية-جامعة أم درمان الإسلامية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢. الإيمان بالقضاء والقدر رسالة ماجستير: لمحمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، جامعة أم درمان الإسلامية، قسم الرسائل الجامعية، برقم ٨٨٧٥ _ ١٤٢٦هـ.

٣. التفويض في صفات ا بين السلف والخلف للباحث على عايد إبراهيم إشراف شيخنا د/ محجوب أحمد طه – عام ٢٠٠٠م، قسم الرسائل الجامعية أم درمـان الإسـلامية برقم ٢٨٦٩.

٤. السنة النبوية وأثرها في إثبات الأحكام العقدية، لمحمود عبد الفتـاح أحمـد محمـد- إشراف د/جمال الدين محمد علي تبيدي، جامعة أم درمان الإسـلامية، ١٤٢٦هـ ـ - ٢٠٠٦م.

٥. ضوابط التكفير عند أهل السنة لعبد ا بن محمد القرني، رسالة ماجستير، جامعـة أم القرى، قسم العقيدة، ١٤١٠هـ.

٦. طرق إثبات العقيدة ووسائل معرفتها عند السلف والمتكلمين، رسالة ماجستير– مقدمة من فضل ا حمدان أبكر قادم، بإشراف د/ جمال تبيدى، جامعة أم درمان الإسلامية، المكتبة المركزية، برقم ٦٣٠١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٧. لا إله إلا ا محمد رسول ا مفهومها ونواقضها"، رسالة دكتوراه، لحسـن عوضـه حمد كشكش، إشراف د/ الخضر عبدالرحيم أحمد عبدالرزاق، قسم الرسائل الجامعية، مكتبة أم درمان المركزية برقم ٧٩٢٦، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م.

٨. المفسرون بين الإثبات والتأويل في آيات الصفات، رسالة ماجستير لعبد الرحمن بـن سعد بن سالم الكشي الجهني، إشراف فضيلة أ. د/ شوقى بشير عبد المجيـد، مكتبـة جامعة أم درمان المركزية برقم ٨٨٩٢، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الفاتحة		
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ	٦-٧	٥٧٢
سورة البقرة		
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ	٣	٣٣١، ٣٤٠
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ	٤	٥٤٦
خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ	٧	٦٠٦
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ	٨	٥٤٦
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ	٨-٩	٩٠
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ . . . وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ	٢١-٢٢	٤٢٠
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ	**٢٢**	١٠٣
وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ	٣١-٣٢	١٦٠
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	٣٩	٥٤٩
وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	٥٥-٥٦	٥٥٩
وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ	٧٣	٥٥٩
أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ . . .	٧٥	٥١٦
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	٨٢	٥٤٩
ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ . .	٨٥	٥١٩

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
٥٠٥	٩٧	قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . . .
١٥٥	١١٠	أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ . . .
١٥٥	١٢٩	رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ . . .
٣٨٩	١٣٣	أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي . . .
٥٢٧	١٣٦	قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ . . .
٥٥	١٤٢	سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا . . .
٥٢	١٤٣	وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ
٢٤١، ٢٥١، ٢٥٣، ٣١٢، ٣٢٢	١٤٣	وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ
٤٥	١٤٤	فلنولينك قبلة ترضاها
٥٠، ٥١	١٤٤	قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ
٥١	١٤٤	مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ . . .
٥٥، ٥٧	١٤٤	فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ
٥١٥	١٤٦	الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ . . .
٢٣١	١٤٧	يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ
٥٩	١٥٠	وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ
١٦٢	١٥٨	فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا . . .
٤١٧	١٦٣	وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
١٦٦	١٦٩	إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
٤٩٧	١٧٧	وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ
٥٣٤	١٧٧	لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ . . .

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ	١٨٣	١٥٦
الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ . . .	١٩٧	١٥٦
كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ . . .	٢١٣	٥١٢
ولا تعزموا عُقْدَةَ النكاح	٢٣٥	١٢٨
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ . . .	٢٤٣	٥٥٩
تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ . . .	٢٥٣	٥١٠، ٦٠٦، ٥٣١
اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ . .	٢٥٥	٥٦٧
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ . . .	٢٥٨	٣٧٩
أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا . . .	٢٥٩	٥٥٩
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي	٢٦٠	١٩٧، ٢٩٥، ٥٥٩
آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ . .	٢٨٥	٤٧٩، ٦١٥
رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا	٢٨٦	١٠٥
لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا	٢٨٦	١٠٥
سورة آل عمران		
نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ	٣-٤	٥١٢
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ	٧	٤٦٨
هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ . . .	٧	٤٥٧

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
٤٦٥	٧	وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ
٥٠٤	١٨	شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
٥٢٨	١٩	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
١٧٠، ٥٣٥، ٥٣٨	٣١	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ . . .
٥١٨	٥٠	وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ . . .
٤٧٢	٥٥	إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ
٦٢	٩٦	إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ
٦٢	٩٧	فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ . . .
١٦١، ٣٠٩	٩٧	وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
١٧٤	١٠٣	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا
٥٣٤	١١٠	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ . . .
٥٧٦	١٣١	وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ
٥٧٦	١٣٣	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ
٥٢٥	١٦٤	لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ . . .
٤٣١	١٨١	لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا . . .
		سورة النساء
١٦٤	١٩	وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
١٤٤، ٥٢٢	٤١	فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً
١٨١	٥٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ . . .
٣٠٨، ٣١٥	٩٢	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً
٣٠٨	٩٣	وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا . . .	٩٤	٨١
ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً	٩٤	٨٣
ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً	١٣٦	٤٩٧
يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله . . .	١٣٦	٥١٣
إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا	١٤٥	٢٧٩
إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا . إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً	١٤٥-١٤٦	٨١
ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً	١٥٠-١٥١	١٥٩
إن الذين يكفرون بالله ورسله . . . وكان الله غفوراً رحيماً	١٥٠-١٥١	٥٢٧
وآتينا داود زبوراً	١٦٣	٥١٥
وكلم الله موسى تكليماً	١٦٤	٥١٠
ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك . . .	١٦٤	٥٣٠
رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . . .	١٦٥	٥٢٣، ٥٢٢
يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق . . .	١٧١	٤٢١، ٤٣١
سورة المائدة		
أوفوا بالعقود	١	١٢٨
يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد . . .	٢	٦٣
قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض . . .	١٧	٤٠٦
إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا . . .	٤٤	٥١١، ٥١٤، ٥١٥
وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة . . .	٤٦	٥١١، ٥١٥، ٥١٨
وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله . . .	٤٧	٥١٤

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً	٤٨	٣٨٩
وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ . . .	٤٨	٥١٥
لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً . . .	٤٨	٥١٦
وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا . . .	٦٤	٤٣١
يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ . . .	٦٧	٥٢٥، ٥٢٩
قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ	٧٦	٤٠٧
بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ	٨٩	١٢٧
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً . . .	٩٥	٦٢
جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ	٩٧	٥٤
جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ . . .	٩٧	٦٣
سورة الأنعام		
وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ	٩	٥٢٤
وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ	٢٩	٣٦٦
مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ	٣٨	٥٩٠
وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ	٥٤	٣٧٥
وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . . .	٥٩	٥٨٩
حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ	٦١	٥٠٧
قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . . . ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ	٦٤-٦٣	٤٢١
وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ	٧٩-٧٥	٣٧٩
وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ . . . وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ	٨٧-٨٣	٥٣٠
وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ . . .	٩٣	٥٠٨
إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ . . . إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ	٩٩-٩٥	٣٩٨

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
٤٥٩	١٠٣	لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ
٦٠٦ ،٥٩٢	١٢٥	فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً . . .
٥٢٦	١٣٠-١٣١	يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ . . . وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ
٥٩٥	١٤٨	سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا
٣٨٨	١٤٩	قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ
٦٠٥ ،١٧٤	١٥٩	إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ
		سورة الأعراف
٥٦٨	**٨-٩**	وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ
٥١٩	**٣٦**	وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
٦٠٧	**٣٧**	أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ
٤٧٥	**٥٣**	يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ
٣٦٦	**٥٩**	اعْبُدُوا اللَّهَ
٣٦٦	**٥٩**	مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
٤١٦	**٧٠**	أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ
٤١٧	**٧٠**	قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا . . .
٥٩٢	**٨٩**	قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا . . .
٣٩٠	**١٠١**	تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ . . .
٣٨٧	**١٠٣-١٢٠**	ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا . . .
٥١٨ ،٥١٥	**١٥٧**	الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ . . .
٥٣٣	**١٥٨**	قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ . . .
١٦٦	**١٦٧**	أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ
٥٠٢	**١٧١**	وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ . . .

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ	**١٧٩**	٦٠٧
أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ . . .	**١٨٥**	١٣٦
سورة الأنفال		
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً . . .	٢	٢٥٢
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ	٢-٣	٣٥٠
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً	٢-٤	٣٠٩، ٣٢١
إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ	١١	١٤٥
وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ . . .	٣٠	٣٩٢
وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ . . .	٥٠	٥٠٨
سورة التوبة		
وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ . . .	٦	٥١٠
إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ	١٢	١٤٥
اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ	٣١	٣٥٨
إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ . . .	٤٠	٣٩٢
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ	٦١	١٤٤
وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ . . . بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ	٦٥-٦٦	٥٣٨
اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ	٨٠	٢٩٧
وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . . .	٨٤	٢٩٧
وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ . . .	٩٢	١٨٢
وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ . . .	١٠٠	٥٣٦
وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	١٠٣	١٥٣

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم . . .	١٢٨	٥٣٤
سورة يونس		
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ . . .	١٨	٤٠٦
هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم . . .	٢٢	٣٨٤
فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ . . . الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	٣١-٣٢	٤٢٢
قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ . . .	٣١	٤٢٣
وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا . . .	٦١	٥٩٠
فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ	٧١	٥٩٠
سورة هود		
هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ	١٨	٥٦٦
فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا . . .	٢٧	٣٩١
قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ	٣٢	٥٩١
قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ	٣٢-٣٣	٥٩١
وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ	٥٠	٤١٧
سورة يوسف		
وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ	١٧	١٤٣، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٥٨، ٢٨٢، ٣٢١
إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ	٤٠	٣٥٨
فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا	٤١	٤٠٣
اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ	٤٢	٤٠٣
وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا	١٠٠	٤٧٥
وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ	١٠٦	٢٦١
سورة الرعد		

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ . . . وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ	١٠-١١	٥٠٦
قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ . . .	١٦	٤٠٦، ٦٠٦
أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ	١٩	١٣٧
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً . . .	٣٨	٥٢٩
سورة إبراهيم		
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ	٤	٢٣٥
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . . .	5	٥٢٢
أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	١٠	٣٦٧
وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا . . .	١٢	٣٩٢
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا . . .	١٣	٣٩١
أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ	٢٤	١٢٢
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ . . . كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا	٢٤-٢٥	٢٤٤
عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا	٢٦-٢٧	٥٢٤
يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ . . .	٢٧	٥٥٣، ٦٠٦
رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ . . .	٣٧	٦٣
سورة الحجر		
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	٩	١٨٧، ٥٣٤
وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ	٢١	٥٨٧
قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ	٣٦	٤٢٤
قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ	٣٩	٤٢٤
فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ . . . فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ	٦١-٧٣	٥٠١
سورة النحل		

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ	١٧	٤٢٢، ٤٢٤
وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ	١٨	٣٧٦
فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ	٢٨	٨٣
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ . . .	٣٦	٣٨٩، ٥٢٣
فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	٤٣	١٣٨
وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ	٤٤	٥١٩، ٥٢١، ٥٢٦
يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ	٥٠	٥٠٥، ٤٧٢
فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	٧٤	٤٣٥، ٤٨٢، ٤٨٦
إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا	١٠٦	٢٣٨، ١٠٨
مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ . . .	١٠٦	٢٨٤،٢٨٣، ١١٠
وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا	١٠٦	١٠٨
سور الإسراء		
وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ	١٩	
وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	٣٦	٤٥٩
قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا	٤٢	٤١١، ٤١٢
وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا	٤٥	٦٠٦
وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ . . .	٥٥	٥٣١
وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ . . .	٦٧	٣٨٥
أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا . . .	٦٨	٤٢١
قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ . . .	٨٨	٥٣٤
قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا	٩٥	٥٢٤

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ . . .	٩٧	٥٤٨
ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً . . .	٩٨	٥٦١
قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ . . .	١٠٢	٤٢٣
سورة الكهف		
وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً	٤٧	٥٦٢
وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً	٩٩	٥٠٧
سورة مريم		
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً	١٦	٥٣٧
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً . . . غُلاماً زَكِيّاً	١٦-١٩	٥٠١
فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً . . .	٢٦	
وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ	٣٩	٥٤٩
هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً	٦٥	٤١٥، ٤٨٧
وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا . . . وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً	٧١-٧٢	٥٧٣
وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً أَوَلا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً	٦٦-٦٧	٥٦٠
سورة طه		
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى	5	٤٧٢، ٤٦٩
يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ . . .	٢٦	
أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً	٨٩	٤٠٧
إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً	٩٨	٥٨٩
وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً	١١٠	٤٥٧، ٤٥٨
وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ . . .	١٣٤	٥٢٣
سورة الأنبياء		
يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ	٢٠	٤٩٦
أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ . . . عَمَّا يَصِفُونَ	٢١-٢٢	٤١٠

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ	٢٢	٤١٢
وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ	٢٥	٤١٧، ٥٢٣
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ	٢٦-٢٧	٥٠٤
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ	٢٨	٥٠٥، ٥٦٨
وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ	٣٢	٤٢٠
وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً . . .	٤٧	٥٦٨
وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ . . . فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ	٥١-٧٠	٣٨٧
قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ	٦٨	٣٩٢
قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ . . . بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ	٦٩-٧١	٣٩٢
يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ . . .	١٠٤	٥٥٨
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ	١٠٧	٥٢٣
سورة الحج		
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ . . .	٥	٥٤٧، ٥٦٠
وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ	١٨	٦٠٦
وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ	٢٦	٥٤
ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ	٢٩	٦٣
لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ	٣٣	٦٣
وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ	٤٥	٤٣٢
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ	٦٢	٤١٧
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ	٧٠	٥٨٩، ٥٩٠
يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً . . .	٧٣	٤٢٤،
يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ . . . إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ	٧٣-٧٤	٤٢٢
اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ	٧٥	٥٢٨

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة المؤمنون		
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ . . . أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ	١-١٠	٢٧٧، ٣١٣
قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . . .	٨٨	٤٠٥
قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . . . قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ	٨٤-٨٩	٤٢٣
مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ . . .	٩١	٤١١، ٤١٢، ٤١٣
أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ	١١٥	٥٤٧
سورة النور		
وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ	٢٥	٣٦٥، ٣٦٤
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً . . .	٣٩	٥٦٧
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا . . . إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	٤٣-٤٥	٣٩٨
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ . . .	٥٥	١٨١
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ	٥٥	٣٤٨
سورة الفرقان		
وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا . . .	٣	٤٠٦، ٤٠٧
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ . . .	٢٠	٥٢٩
أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ . . . أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا	٤٥-٤٩	٣٩٩
سورة الشعراء		
قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ	٤٩	١٥٠، ١٥١
نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ	١٩٣	٤٩٨
نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ	١٩٣-١٩٥	٤٩٨
سورة النمل		
أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ . . .	٦٠	٤٠٨

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
وأنزل لكم من السماء ماء	٦٠	٤٢٠
وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين	٧٥	٥٩٠
صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون	٨٨	٦٠٢
سورة العنكبوت		
إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله . . .	١٧	٤٠٨
أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده . . . إن الله على كل شيء قدير	١٩-٢٠	٥٦٠
فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار . . .	٢٤	٣٩١
وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون	٦٠	٥٢٦
ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر . . .	٦١	٤٢٢
سورة الروم		
وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض . . .	٢٧	٥٦٠
فطرة الله التي فطر الناس عليها	٣٠	،١٣٩
فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . . .	٣٠	٣٨٣
فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى . . .	٥٠	٤٠٨، ٥٦١
وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث . . .	٥٦	٥٤٨
سورة لقمان		
هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين	١١	٤٠٨
ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله	٢٥	٣٦٦
ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة	٢٨	٤٠٧
سورة الأحزاب		
وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به	٥	١٠٥
وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى . . .	٧	٥٣١
وكان أمر الله قدراً مقدوراً	٣٨	٥٨٧

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له . . . وكفى بالله حسيبا	٣٨-٣٩	٥٢٥
الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا	٣٩	٥٢١، ٥٣٠
ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . . .	٤٠	٥٣٤
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا	٤٥-٤٦	٥٢٢
إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما	٥٦	١٥٣، ٥٣٥
إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا	٦٤-٦٥	٥٧٦
سورة السجدة		
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون	١١	٥٠٧
إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون	٢٥	٥٤٩
سورة سبأ		
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض . . .	٢٢	٤٠٨
ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم . . .	٢٣	٥٠٥
سورة فاطر		
والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت . . .	٩	٥٦١
وإن من أمة إلا خلا فيها نذير	٢٤	٣٨٩
إنما يخشى الله من عباده العلماء	٢٨	٤٢٨
والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير	٣١	٥١٨
سورة يس		
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس . . . وكل في فلك يسبحون	٣٧-٤٠	٤١٠
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم	٧٨	٥٦٠
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . . . وهو بكل خلق عليم	٧٨-٧٩	٥٥٨
أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم	٨١	٥٦١
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون	٨٣	٤٠٦
سورة الصافات		

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ	٢١	٥٤٨
وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ	٩٦	٥٩٣، ٦٠٦
سورة ص		
يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ	٢٦	٥٤٩
سورة الزمر		
وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ	٧	٦٠٦
اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ	٦٢	٥٩٣
وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ	٦٧	٤٧٠
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ . . .	٦٨	٥٠٠، ٥٠٧، ٥٥٧
وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا . . .	٧١	٥٠٨
وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا . . .	٧٣	٥٠٨
سورة غافر		
الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ . . .	٧	٥٠٥
رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ	١٥	٥٥٠، ٥٦٧
وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ . . .	١٨	٥٥٠
وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ . . .	٢٨	١١٠
وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ	٣٢	٥٥٠
وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ	٤٤	٤٥٦
النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ	٤٦	٥٥٤
لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	٥٧	٥٦١
ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ	٦٢	٥٩٣

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة فصلت		
قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ	٩	٤٢١
ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ	١١	٤١٠
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ . . .	٣٠	٥٠٣
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ . . .	٣٩	٤٠٨، ٥٦١
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . . .	٤٢	٥١٥
وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ . . .	٤٤	٥١١
سورة الشورى		
وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا . . .	٧	٥٥٠
وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ	١٠	١٨١
فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً . . .	١١	٢٥٨، ٤٥٨
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ	١١	٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٢، ٤٨٢، ٤٨٧، ٤٩٦
شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ . . .	١٣	٥٢٨
مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ	٥٢	٣٢٢
سورة الزخرف		
إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	٣	٢٣٥
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ	٩	٤٢٢، ٤٢٣
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ	٨٧	٤٢٣
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً . . . وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ	١٠-١٣	٣٩٩
هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ . . . لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ	١٠-١٥	٤٠٠
وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ . . .	١٩	٥٠٠
بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي	٢٢-٢٤	١٢٩

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ		
وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ	٧٧	٥٠٣، ٥٨٠
سورة الجاثية		
وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ	٢٤	٣٦٦
سورة الأحقاف		
قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا . . . وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ	٤-٥	٤٢١
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ . . .	٣٣	٥٦١
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ . . .	٣٥	٥٣١
سورة محمد		
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ	١٧	٤٢٩
فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ . . .	١٩	١٣٧، ٣٧٨
فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ	١٩	٣٧٨، ٣٧٩
سورة الفتح		
لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ	٤	١٩٧
قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا . . .	١١	٤٠٦
وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا	١٣	٥٣٣
سورة الحجرات		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ . . .	٢	٥٣٦
وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ . . .	٧	٥٩٣
قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ . . .	١٤	١٤٣، ٢٤٣، ٨٤، ٩٢
سورة ق		
مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ	١٨	٥٠٦

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ	٣٤	٥٤٩
يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ	٤٢	٥٤٩
سورة الذاريات		
وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا	١-٤	٥٠٦
وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ	٢٠-٢١	٤٠٩
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . . . وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ	٢٤-٢٨	٥٠١
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	٥٦	٤١٦
سورة الطور		
وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ	١-٤	٦٣
أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ	٣٦	٤٠٨
سورة النجم		
إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ . . .	٢٣	١٦٠، ٤٣٢
أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى	٣٦-٤٠	٥١٦، ٥١٧
سورة القمر		
اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ	١	٥٤٤
يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ	٤٨	٥٦٧
إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ	٤٩	٥٨٧، ٦٠٦
يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ	٤٨-٤٩	٥٨٨
سورة الرحمن		
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ	٥	٤١٠
سورة الواقعة		
إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ	١	٥٥١

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ	٤٩-٥٠	٥٤٥
سورة الحديد		
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ	٣	٣٦٥
مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً	١١	٤٧٦
اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ . . .	٢٠	٥٢٦
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ	٢٥	٣٩١
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ . . .	٢٥	٥١٢، ٥٣٢
سورة المجادلة		
لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . . .	٢٢	٢٤٥
سورة الحشر		
وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا	٧	٥١٩
وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ . . .	١٠	٥٣٧
إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ	١٦	٤٢٤
هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ	٢٢	٥٨٩
سورة الممتحنة		
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ . . .	٦	٥٢٤
سورة المنافقون		
إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ . . .	١	٢٨٣، ٢٨٥
إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ . . . فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ	١-٣	٩٠،
سورة التغابن		
زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ . . .	٧	٥٥٨
يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً . . .	٩	٥٥٠
سورة الطلاق		

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
٥٨٩	١٢	لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً
		سورة التحريم
٥٠٤	٦	لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ
٥٠٨	٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ . . .
		سورة الملك
٤٠٩	٣	الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ . . .
٣٩٩	٢٣-٢٤	قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ
		سورة الحاقة
٣٦٥، 551	**١-٢**	الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ
٥٠٥	**١٧**	وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ
٥٦٢	١٩-٢٠	فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ
٥٦٧	٢٥	وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ
٥٦٢	٢٥-٢٦	وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ
		سورة المعارج
٥٤٤	٤٣	يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ
		سورة الجن
٥٢٤، ٥٢٩	٢٦-٢٨	عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً . . . وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً
٥٣٠	٢٨	لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً
		سورة المدثر
	٢٧	وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ . . .
٥٠٨	٢٧-٣١	وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ . . . إلا هو
٣٧٦، ٥٠٢	٣١	وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة القيامة		
لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ	١	٥٤٨
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ	٢٢-٢٣	٥٧٣
سورة المرسلات		
وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا	١-٤	٥٠٦
هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ	٣٨	٥٤٨
سورة النازعات		
فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى	٣٤	٥٥١
سورة عبس		
فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ	٣٣	٥٥١
سورة التكوير		
وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ	٢٩	٥٩١
سورة الانفطار		
وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يعلمون ما تفعلون	١٠-١٢	٥٠٦
إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ	١٤-١٥	٥٥٠
سورة الانشقاق		
فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ	٧	٥٦٦
سورة الأعلى		
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى	١٦-١٩	٥١٦، ٥١٧
سورة الغاشية		
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ	١	٥٥٠
فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ	٢١	٥٦٧
سورة الليل		
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ	٥-١٠	٥٩٠

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
		وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى
		سورة العلق
٣٦٢	٨	إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى
٥٠٨	١٨	سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ
		سورة القدر
٤٩٨	٤	تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ
		سورة البينة
٢٠٤ ،٢٧٧	5	وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ . . .
٣١٢	5	وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
٥٧٦	٨	جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً . . .
		سورة الزلزلة
٥٦٧	٦	يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ
		سورة القارعة
٥٥٠	١-٢	الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ
		سورة قريش
١٤٥	٤	وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ
		سورة الإخلاص
٣٧٣	٢-٣	اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ
٤٨٧	٤	وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ

فهرس الأحاديث والآثار

نص الحديث أو الأثر		الصفحة
أُتي رسول ا يوماً بلحم		٥٦٤
أتيت النبي صلى ا عليه وسلم وفي عنقي صليب	عدي بن حاتم	٣٥٨
أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه. حديث عبد الرحمن السلمي وحجر بن حجر		١٨٢
أجعلتني وا عدلاً		٥٩٢
أخذ المشركون عمار	أثر ابن عباس وعمار بن ياسر	١١١
إذا ذكر أصحابي فأمسكوا		٥٨١
أرأيتالذينماتواوهميصلونإلىبيتالمقدس	حديث ابن عباس	٢٥٤
الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا ا ، وأن محمداً رسول ا ، وتقيم الصلاة		٢٤٦
اشفعوا تؤجروا		٥٩٢
أطت السماء وحق لها		٥٠٤
أفلا شققت عن قلبه		٨٤
أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهمخلقاً	حديث أبي هريرة	١٩٩
ألا أحدثكم عني وعن رسول ا		١٠٢
أما وا أني لأخشاكم وأتقاكم له		٤٢٨
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا ا	حديث أنس	٨٧، ٨٨، ٥٣٣
آمركم بالإيمان.أتدرون ما الإيمان؟	حديث ابن عباس.	٣١٣
إن العبد إذا وضع في قبره		٥٥٣
إن القبر أو لمنازل الآخرة		٥٤٧
إن ا تعالى يقول يوم القيامة: يابن آدم مرضت فلم تعدني	حديث أبي هريرة	٤٧٦
إن ا حرم على الأرض		٥٣٦
إن ا خالق كل صانع وصنعته		٥٩٣
إن ا ينزل إلى السماء الدنيا		
إن أول ما خلق ا القلم		٥٩١
إنبنيإسرائيلافترقتعلىإحدىوسبعينفرقة	حديث أنس	١٧٢
إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى و سبعين ملة		١٧٢
إن قلوب بني آدم		٥٩٣
أنا أؤمن به وأبو بكر وعمر		٢٣٦

نص الحديث أو الأثر		الصفحة
أنا سيد ولد آدم		٥٣٢
إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول ا ابتدرناه	أثر بن عباس	١٨٥،١٨٤
الأنبياء إخوة لعلات		٥٢٨
إنما الأعمال بالنيات،	حديث عمر بن الخطاب	٣٢٨
إنما الربا في النسيئة		١٠٧
إنما أنا عبد فقولوا عبد ا		٥٣٧
إنما بعثت لأتمم		٥٢٥
إنه لم يكن نبي قبلي		٥٣٥ ،٥٢٥
أوصيكم بتقوى ا والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً	حديث العرباض	١٦٩
الإيمان أَمانةٌ، ولا دين لِمن لا أَمانةَ له	حديث ابن عباس	١٤٦
الإيمان أن تؤمن با وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر		٤٩٧
الإيمان بضع وسبعون باباً، أولها شهادة أن لا إله إلا ا		٣٢٢
الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا ا		٣٢٢
الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة	حديث أبي هريرة.	٢٥٥
الإيمان ثلاثة: فقه بالقلب ونطق باللسان، وعمل بالجوارح.		٣٢٢
الإيمان يزداد وينقص	أثر ابن عباس	١٨٨
الإيمان يزداد وينقص	أثر أبي الدرداء	١٩٢
الإيمانيزيدوينقص	أثر عمير ابن حبيب	١٩٦
الإيمان يزيد وينقص	أثر أبي هريرة	١٩٠
بأي شيء كان النبي يفتتح الصلاة إذا قام الليل		٥٠٣
بلغني أن الجسر أدق من الشعرة	أثر لأبي سعيد الخدري	٥٧٤
بني الإسلام على خمس		٧٣
بينما نحن جلوس عند رسول ا	من حديث عمر بن الخطاب	٣٥٤
تفسير القرآن على أربعة.	أثر ابن عباس	١٦٥
ثم يؤتى بالجسر		٥٧٤
ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد		٥٥٧
جاء مشركوا قريش يخاصمون		٥٨٨
الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك	أثر ابن مسعود	١٧١

نص الحديث أو الأثر		الصفحة
الجماعة وخالف الطاعة	حديث أبي هريرة	١٧١
حتى يلْقاها ربها		٤٠٣
حوضي مسيرة شهر		٥٧٢
الحياء شعبة من الإيمان .		٢٦٣
خلقت الملائكة من نور		٥٠٠
خلقت عبادي حنفاء كلهم		٣٨٢
الرشا في الحكم كفر		٣١٠
سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر		٣٠٩
صلى ا عليك وعلى زوجك.	حديث جابر	١٥٤
صلى بنا رسول ا صلى ا عليه وسلم ذات يوم	حديث العرباض	١٨٢
الطهور شطر الإيمان حديث أبي مالك الأشعري		٢٥٣، ٥٦٩
عزمت عليكم ألاّ تنازعوا		٥٨١
فضلت على الأنبياء		٥٣٢
فلولا أن لا تدافنوا لدعوت ا		٥٥٤
فوضت أمري إليك		٤٥٦
فيعطى صحيفة		٥٧٠
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين		١٥٥
كان الناس يسألون رسول ا صلى ا عليه وسلم عن الخير	حديث حذيفة	١٧٠
كان جبريل يأتي النبي على صورة دحية	حديث ابن عمر	٥٠١، ٥٠٢
كان رسول ا صلى ا عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس حديث البراء بن عازب.		50-51
كان يسبح على ظهر راحلته		٥٦
كتب ا مقادير الخلائق		٥٩٠
كل مولود يولد على الفطرة		١٣٩
كنا مع رسول ا صلى ا عليه وآله وسلم ونحن فتيان	حديث جندب البجلي	٣٢٣
لا إيمانَ لِمن لا أَمانةَ له	حديث أبي أمامة.	١٤٦
لا تسبوا أصحابي		٥٣٧
لا تطروني كما أطرت النصارى		٥٣٧
لا تلعنوه فوا ما علمت إلا أنه يحب ا ورسوله	حديث عمر بن الخطاب	٣١٦

نص الحديث أو الأثر		الصفحة
لا صيام لمن لا يجمع الصيام من الليل.		٢٥
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه		٥٣٥
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن،	حديث أبي هريرة	٣٢٣
لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه	حديث أنس	٤٧٠
اللهم أنت عبدي وأنا ربك		١٠٤
اللهم رب جبرئيل		٤٩٠
اللهم رب هذه الدعوة		٤٠٢
اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل		٤٧٥
ليس بين العبد والكفر إلا تركه الصلاة		٣٠٩
المؤمن من أَمِنَه الناس، والمسلم من سلم المسلمون	حديث أنس	١٤٧-١٤٨
ما بين المشرق والمغرب قبلَةٌ		٤٥
ما بين النفختين أربعون		٥٥٩
ما في السماوات السبع موضع قدم		٥٠٤، ٥٠٥
ما من مسلم يسلم علي		٣٥٦
ما منكم من أحد إلاّ وقد كتب		٥٨٩، ٥٩٠
مرحباً بالوفد غير الخزايا		٢٥٣
من أتى امرأة في دبرها أو حائضاً كفر		٣١٠
من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة	حديث عمر بن الخطاب	١٧١
من أسبغ وضوءه وأحسن صلاته		٣٢٣
من المهاجر؟ فقال: من هجر السيئات. قال: فمن المؤمن؟ قال: من ائْتَمنَه الناس على أَموالِهم وَأَنفسهم	حديث عبد ا بن عمر	١٤٨
من ترك الصلاة فقد كفر		٣٠٩
من رأى أمراً منكراً فليغيره بيده	حديث أبي سعيد الخدري	٢١٠
من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا	حديث أنس بن مالك	٧٢ ،٨٧
من صلى علي صلاة		٥٣٥
من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار	حديث بن عباس	١٦٦
من لم يحج حجة الإسلام فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً		٣٠٩
هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم		٥٠٤

نص الحديث أو الأثر		الصفحة
هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد		٥٠٢
هل لك عليه من نعمةٌ تَربها		٤٠٣
والفرج يصدق ذلك أو يكذبه		١٦٣
وإن ا يرى في القيامة		٤٦٨
وأن تَلد الأَمةُ ربها أو ربتَها		٤٠٣
وترسل الأمانة والرحم		٥٧٣، ٥٧٤
ولجهنم جسر أدق من الشعر		٥٧٤
ولو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما قدرتم عليه		٣٠٩
ويضرب الصراط		٥٧٣
ويضرب جسر جهنم		٥٧٣
يا أبا حمزة ما يحرم دم العبد وماله؟	أثر أنس بن مالك	٧٣،٨٧
يا رسول ا أعلم أهل الجنة من أهل النار؟		٥٨٩
يا معشر من آمن بلسانه ولما يدخل الإيمان في قلبه..		٢٨٦'٢٣٨
يقال له من ربك		٥٥٣
يكشف ربنا عن ساقه		٤٧٠
يوضع الميزان يوم القيامة		٥٦٩

فهرس الأعلام

العلم		الصفحة
إبراهيم بن إبراهيم بن حسن	(اللقاني)	٢١٦
إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري(البيجوري)		٢١٧
أبو بكر بن أبي عمرة البصري الأنصاري	(محمد بن سيرين)	١٨٤
أبو بكر بن محمد الحسيني (الحصني)		٥٧
أبو بكر بن محمد بن هارون بن يزيد	(الخلال)	١٩٩
أبو بكر بن مسعود بن أحمد (الكاساني)		٢٦٤
أبو بكر محمد بن الأصبهاني (ابن فورك)		٤٦٩
أبومحرز بن صفوان الراسبي	(جهم بن صفوان)	٤٤٩
أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني (الإسماعيلي)		٢١٠
أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن (القرافي)		١٢٣
أحمد بن سليمان بن محمد الحسني	(المتوكل على ا)	٥٥٦
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام	(ابن تيمية)	٤١
أحمد بن علي الرازي الحنفي	(الجصاص)	٥٨
أحمد بن علي بن عبدالقادر	(المقريزي)	٤٤٩
أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني	(ابن حجر)	٧٣
أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي	(ابن فارس)	١٤٥
أحمد بن محمد المالكي الصاوي المصري(الصاوي)		٢١٧
أحمد بن محمد المعافري الأندلسي	(أبو عمر الطلمنكي)	٢٠٧
أحمد بن محمد بن سلامة	(الطحاوي)	٨٠
أحمد بن محمد بن صلاح (الشرفي القاسمي)		٣٢٠
أحمد بن محمد بن هلال الشيباني	(ابن حنبل)	١٩٩
أحمد بن يحيى بن إسحاق	(ابن الراوندي)	٢١٨
أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار (ثعلب)		١٤٤
أسامة بن زيد بن حارثة		٨٤
إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي	(ابن راهويه)	٢٠٧
إسماعيل بن عمر	(ابن كثير)	٩٠

العلم		الصفحة
إسماعيل بن محمد بن الفضل	(أبو القاسم الأصبهاني)	٤٦٠
امرؤ القيس بن عانس بن المنذر	(امرؤ القيس)	١٦٠
أنس بن مالك بن النضر		٧٢
البراء بن عازب بن حارث		٥٥٣
بشير بن كعب بن أبي الحميري (العدوي)		١٨٤
جابر بن زيد اليحمدي الأزدي العماني البصري		٣١١
جابر بن عبد ا بن عمرو بن حرام الأنصاري		١٥٤
جرير بن عطية بن حذيفة الكلبي اليربوعي		١٦٠
جندببنجنادةبنسكن	(أبو ذر)	٣٩٠
حاجب بن مودود الطائي		٣١١
حافظ بن أحمد بن علي	(الحكمي)	٢١٣
الحسن بن إسماعيل الربعي		٣٣٤
الحسن بن علي بن عمر الأطروش(الناصر للحق)		٣٢٣
الحسن بن محمد بن عبد ا بن طوق	(أبو علي الجياني)	١٨٦
الحسين بن الفضل بن عمير بن القاسم	(بن كيسان البجلي)	٢١٨
الحسين بن بدر الدين بن محمد بن أحمد الهادوي الحسني		٥٥٦
الحسين بن محمد الأصفهاني	(الراغب)	١٢٢
الحسين بن محمد بن حليم	(الحليمي)	٢٥٤
الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء	(البغوي)	٢١٢
الحسين بن يوسف	(ابن المطهر الحلي)	٣٧٨
حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي		٢٠٥
حماد بن سلمة بن دينار البصري		٢٠٥
حمد بن محمد	(الخطابي)	٤٧٠
خلف بن زياد البحراني		٣١٢
زهير بن أبي سلمى ربعة بن رياح المزني		١٦٠
سفيان بن سعيد بن مسروق	(الثوري)	١٨٥
سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي	(ابن عيينة)	٢٠٦
سيف الدين علي بن أبي علي التغلبي		٢٦

العلم		الصفحة
شاهفور بن طاهر بن محمد	(أبو المظفر الإسفراييني)	١٧٠
طاووس بن كيسان اليماني	(طاووس)	٥٨٧
الطرماح ابن حكيم بن الحكم		١٦٠
عائذ بن حصن بن ثعلبة بن وائلة		٥٩٦
عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار	(الأيجي)	٢٢٥
عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم	(أبو شامة)	١٧٢
عبد الرحمن بن صخر	(أبو هريرة)	٥٨
عبد الرحمن بن على بن محمد	(ابن الجوزي)	٦١
عبد الرحمن بن محمد النيسابوري	(المعروف بالمتولي)	٤٧٢
عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم التيمي	(ابن أبي حاتم)	٢٠٢
عبد الرزاق بن همام الصنعاني		٢٠٧
عبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري	(العلامة الهندي)	١٢٥
عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست	(الجيلاني)	٤٦١
عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي	(البغدادي)	٦٩
عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك	(القشيري)	٣٦٤
عبد ا بن أحمد البلخي	(أبو القاسم الكعبي)	٧٠
عبد ا بن أحمد بن محمد	(ابن قدامة)	٢١٢
عبد ا بن المبارك بن واضح		١٨٥
عبد ا بن سعيد بن كلاب أبو محمد القطان		٢٤٩
عبد ا بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم	(ابن عباس)	١٥٤
عبد ا بن مسعود بن غافل	(ابن مسعود)	١٧١
عبد ا محمد بن صالح بن عثيمين	(ابن عثيمين)	٣٥٨
عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد	(السيوطي)	٣٧٠
عبدا بن أحمد بن محمود	(أبو البركات النسفي)	٢٦٠
عبدا بن حميد السالمي	(أبو محمد)	٣١٤
عبدا بن عمر بن الخطاب	(ابن عمر)	٤٥
عبدا بن عمر بن محمد	(البيضاوي)	١٥٣
عبدالملك بن عبدا بن يوسف بن محمد	(الجويني)	١٣٦

العلم		الصفحة
عبيد ا بن عبدالكريم بن يزيد	(أبو زرعة)	٢٠٢
عبيد ا بن محمد بن عمر العكبري	(ابن بطة)	٣٣٨
عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان	(ابن الصلاح)	٨٦
العرباض بن سارية	(أبو نجيح)	١٦٢
علي بن أحمد الصعيدي العدوي المالكي	(العدوي)	٣٨
علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري	(ابن حزم)	٣٦
علي بن إسماعيل بن إسحاق	(أبو الحسن الأشعري)	٨٥
علي بن حازم بن المبارك	(اللحياني)	٤٤
علي بن حمزة بن عبدا الكوفي	(الكسائي)	٤٩٦
علي بن عبد ا الزاغوني	(ابن الزعواني)	٣٧٢
علي بن عبد ا بن جعفر	(ابن المديني)	٢٠٨
علي بن محمد بن أبي العز الأذرعي	(ابن أبي العز)	٢٠٠
علي بن محمد بن عباس	(ابن اللحام)	١٠٢
علي بن محمد بن عبدالملك	(أبو الحسن بن القطان)	٢٢٩
علي بن محمد بن علي	(الجرجاني)	١٤٣
علي بن محمد عبدالكريم بن موسى	(البزدوي)	٢٦١
عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى		١٧١
عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد	(عنترة)	٥٩٥
عويمر بن زيد بن قيس	(أبو الدرداء)	١٩٢
الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي		٢٠٦
قاسم بن عبدا	(ابن الشاط)	٩٥
مالك بن أنس بن مالك الأصبحي		١٩٧
المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم	(ابن الأثير)	٣٦٤
مجاهد بن جبر		١٨٤
محمد الطاهر بن محمد الشاذلي	(ابن عاشور)	٣٦٧
محمد أمين بن عبدالعزيز	(ابن عابدين)	٥٣
محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى	(ابن الوزير)	٨١
محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي	(ابن القيم)	٢١٢

العلم		الصفحة
محمد بن أحمد الحفيد	(ابن رشد)	٣٧٦
محمد بن أحمد الشربيني	(الخطيب الشربيني)	٤٧
محمد بن أحمد بن أبي سهيل	(السرخسي)	٢٦١
محمد بن إدريس بن العباس	(الشافعي)	٥١
محمد بن إدريس بن المنذر بن داود	(أبو حاتم الرازي)	١٨٧
محمد بن إسحاق السلمي	(ابن خزيمة)	٤٦٠
محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق	(ابن النديم)	١١٧
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة	(البخاري)	٨٣
محمد بن إسماعيل بن صلاح	(ابن الأمير الصنعاني)	٥٧
محمد بن الحسين بن عبدا	(الآجري)	٢٠٩
محمد بن الطيب بن محمد	(الباقلاني)	٣٠
محمد بن القاسم بن إبراهيم	(محمد بن القاسم)	٣٢٥
محمد بن المظفر بن موسى	(ابن المظفر)	٢٠٣
محمد بن جرير بن يزيد بن كثير	(الطبري)	٨٢
محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البستي	(ابن حبان)	٨٨
محمد بن عبد ا بن عيسى المري الأندلسي	(ابن زمنين)	٢١١
محمد بن عبد ا بن محمد الحنبلي	(الزركشي)	٢٢
محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي		١١٥
محمد بن على بن عبد ا الصنعاني	(الشوكاني)	٢٧
محمد بن عمر بن الحسين	(الفخر الرازي)	٢١
محمد بن كرام السجستاني	(ابن كرام)	٤٨٦
محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق	(الحاكم)	١٨٨
محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم	(أبو السير البزدوي)	٢١٩
محمد بن محمد بن محمود	(أبو منصور الماتريدي)	١٣٩
محمد بن مسلم بن عبيد ا بن شهاب(الزهري)		٣٣٨
محمد بن مكرم بن علي بن أحمد	(ابن منظور)	٣٦٤
محمد بن نصر المروزي		٢٠٣
محمد بن يحى بن منده العبدي	(ابن مندة)	٢١٠

العلم		الصفحة
محمد بن يحيى بن أبي عمر	(العدني)	٢٠٦
محمد بن يحيى بن عبدا بن خالد	(الذهلي)	٢٠٨
محمد جمال الدين بن قاسم الحلاق	(القاسمي)	٣٨٠
محمود بن القاضي شهاب الدين الحنفي	(العيني)	٣٨
محمود بن عبدا الحسيني	(الآلوسي)	٨٢
محمود بن عمر الخوارزمي	(الزمخشري)	٣٦٧
مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي المقدسي	(مرعي الكرمي)	٣٩٤
مسعود بن فخر الدين عمر بن برهان الدين	(التفاتزاني)	٢٦٠
معمر بن أحمد بن محمد بن زياد الأصبهاني	(أبو منصور)	٤٦١
مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني	(مقاتل)	٢٨٦
نجدة بن عامر الحروري	(نجدة الخارجي)	٤٥٩
النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي الكوفي	(أبو حنيفة)	٧٢
هانئ بن مسعود الشيباني		٥٩٦
هبة ا بن الحسن بن منصور الطبري	(اللالكائي)	٨٠
هو القاسم بن سلام البغدادي	(أبو عبيد)	٨٣
وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاس أبو سفيان الكوفي		٢٠٤
يحيى بن أبي الخير بن سالم اليماني	(أبو الخير العمراني)	٢٢٦
يحيى بن شرف بن مري	(النووي)	٦٥
يوسف بن إبراهيم بن مياد	(الورجلاني)	٣٠٨
يوسف بن عبدا بن محمد النمري	(ابن عبد البر)	٣٧
يوسف بن موسى	(العطار الحدي)	١٩٩

فهرس الفرق

الفرقة	الصفحة
الإباضية	٢٦٧
الإمامية	٧٥
أهل السنة	١٦٨ ومابعدها
الأوزاعية	١٧٥
البيانية	٤٨٣
التومنية	٢٧٣
الثوبانية	٢٧٣
الجبرية	٨٨
الجناحية	٤٨٣
الجهمية	٧٧
الخطابية	٤٨٣
الخوارج	٧٦
الداوودية	١٧٥
الرافضةالإماميةالزيدية	٧٧
الروافض	٨٨
الزنادقة	٨١
السالمية	١٧٤
السبئية	٤٨٣
السفيانية	١٧٥
الشيعة	٧٥
الشيعة الإسماعيلية	٤٨٣
الضرارية	٧٧
العيسوية	٧٤

الفرقة	الصفحة
الغرابية	٤٨٣
الغسانية	٢٧٣
القدرية	٥٩٤
الكرامية	٧١
الكلابية	١٧٥
الماتريدية	٣٩٥
المجبرة	٦٠٣
المجسمة	٧٨
المرجئة	٢٧٢
مرجئة الفقهاء	٢٩٠
المريسية	٢٧٣
المشبهة	٤٣٥
المعتزلة	٧٦
المعطلة	٤٣٣
المغيرية	٤٨٣
المنصورية	٤٨٣
الموشكانية	٧٥
النجارية	٧٧
النمرية	٤٨٣
اليونسية	٢٧٣

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر	ب
ملخص الرسالة بالعربية	ج
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية	
المقدمة	١
الباب الأول: **اتفاق أهل القبلة في أصول الاعتقاد** (**الإيمان**)	١٦
وفيه ثلاثة فصول:	
الفصل الأول : **التعريف بالمصطلحات وضبط المفهوم**	١٧
وفيه خمسة مباحث:	
المبحث الأول الاتفاق والإجماع والفرق بينهما	١٨
وفيه ثلاثة مطالب:	
المطلب الأول: تعريف الاتفاق لغة واصطلاحاً	١٩
وفيه فرعان :	
الفرع الأول: تعريف الاتفاق لغة	٢٠
الفرع الثاني: تعريف الاتفاق اصطلاحاً	٢١
الاتفاق في الاصطلاح العام	٢١
الاتفاق في اصطلاح الفقهاء والأصوليين وعلماء الكلام	٢١
المطلب الثاني: تعريف الإجماع لغة واصطلاحاً	٢٤
وفيه فرعان:	
الفرع الأول: تعريف الإجماع لغة	٢٥
الفرع الثاني: تعريف الإجماع اصطلاحاً	٢٩
المطلب الثالث: الفرق بين الاتفاق والإجماع	٣٤

الموضوع	الصفحة
وفيه تمهيد فرعان:	
التمهيد	٣٥
الفرع الأول: التفريق من حيث اللغة	٣٥
الفرع الثاني: التفريق من حيث الاصطلاح	٣٦
المبحث الثاني: **تعريف القبلة لغة وشرعاً**	٤٣
وفيه ثلاثة مطالب:	
المطلب الأول: تعريف القبلة لغةً	٤٤
المطلب الثاني: تعريف القبلة شرعاً	٤٦
وفيه فرعان:	
الفرع الأول: تعريف القبلة شرعاً	٤٧
الفرع الثاني: قيود التعريف المختار	٥٠
المطلب الثالث: الكعبة حدها، وأسماؤها، وسبب تسميتها، ووصفها	٦٠
وفيه أربعة فروع:	
الفرع الأول: حد الكعبة.	٦١
الفرع الثاني: أسماء الكعبة	٦٢
الكعبة:	٦٢
البيت:	٦٢
البيت الحرام	٦٢
البيت العتيق	٦٣
البيت المعمور	٦٣
بيت ا المحرم	٦٣
الفرع الثالث: سبب تسميتها	٦٤
الفرع الرابع: وصف الكعبة	٦٥
المبحث الثالث : **التعريف بأهل القبلة**	٦٧

الموضوع	**الصفحة**
وفيه تمهيد و خمسة مطالب:	
التمهيد:	٦٨
المطلب الأول: المعاني المرادفة لأهل القبلة	٦٩
المطلب الثاني: اختلاف العلماء في أهل القبلة	٧٠
المطلب الثالث: مناقشة الأقوال والترجيح	٧٢
القول الأول: أن أهل القبلة كل من صلى إلى الكعبة	٧٢
القول الثاني:	٧٤
والقول الثالث:	٧٤
القول الرابع: وهو الصحيح عند البغدادي	٧٥
المطلب الرابع: المعنى الشرعي المختار لمصطلح "أهل القبلة"	٧٩
وفيه فرعان:	
الفرع الأول: بيان المقصود بأهل القبلة وما يرادفها من معان	٨٠
الفرع الثاني: أهل القبلة في الاصطلاح الشرعي	٨٧
المطلب الخامس: قيود التعريف المختار و محترزاته	٨٩
المبحث الرابع: **ضبط مفهوم أهل القبلة**.	٩٣
وفيه ثلاثة مطالب:	
المطلب الأول: ضبط مواضع التكفير، والاتفاق عليها	٩٤
في رد بن تيمية على سؤال هل لازم المذهب مذهب؟	١٠٠
المطلب الثاني: ضبط موانع التكفير، والاتفاق عليها	١٠١
ت- في العذر بالجهل:	١٠٢
ث- العذر بالخطأ، أوالتأويل	١٠٣
اعتبار القصد والعذر بالخطأ	١٠٣
أما العذر بالتأويل	١٠٥
أولاً: التأويل الذي يعذر به صاحبه	١٠٦
ثانياً: التأويل الذي لا يعذر صاحبه	١٠٩

الموضوع	الصفحة
ج- العذر بعدم القدرة والعجز أو بالإكراه	١١٠
المطلب الثالث: ضبط منهج السلف في التكفير، وتفريقهم بين الكفر المطلق وكفر المعين:	١١٢
المبحث الخامس: تعريف أصول الاعتقاد لغة واصطلاحاً	١٢٠
وفيه ثلاثة مطالب:	
المطلب الأول: تعريف الأصول لغة واصطلاحاً	١٢١
وفيه فرعان:	
الفرع الأول: تعريف الأصول لغة	١٢٢
الفرع الثاني: تعريف الأصول اصطلاحاً	١٢٤
المطلب الثاني: تعريف الاعتقاد لغة واصطلاحاً	١٢٦
وفيه فرعان:	
الفرع الأول: تعريف الاعتقاد لغة	١٢٧
الفرع الثاني: تعريف الاعتقاد اصطلاحاً	١٣٠
العقائد	١٣٠
الاعتقاد في الاصطلاح الخاص	١٣١
المطلب الثالث: تعريف المركب الإضافي (أصول الاعتقاد)	١٣٢
وفيه فرعان:	
الفرع الأول: تعريف أصول الاعتقاد	١٣٣
فأصول الاعتقاد على المعنى الرابع	١٣٣
وأصول الاعتقاد على المعنى الخامس	١٣٣
الفرع الثاني:العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي المختار	١٣٥
مسألة: صحة إيمان المقلد، وهل يطلق على إيمانه معتَقَداً؟	١٣٧

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني : الإيمان معناه اللغوي وحقيقته الشرعية	١٤١
وفيه خمسة مباحث:	
المبحث الأول: الإيمان ومعناه اللغوي	١٤٢
وفيه ثلاثة مطالب:	
المطلب الأول: معاني الإيمان في اللغة	١٤٣
المطلب الثاني: العلاقة بين المعاني اللغوية	١٤٧
المطلب الثالث: الترادف في معاني الإيمان	١٤٩
وفيه فرعان:	
الفرع الأول: الترادف في معاني الإيمان من حيث اللغة	١٥٠
الفرع الثاني: الترادف بين معاني الإيمان اللغوية والشرعية	١٥٢
مسألة: الإيمان في الشرع وعلاقته بالمعنى اللغوي من المسائل المهمة	١٥٧
المبحث الثاني: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند أهل السنة والجماعة من السلف	١٦٧
وفيه خمسة مطالب:	
المطلب الأول: المقصود بأهل السنة والجماعة	١٦٨
وفيه فرعان:	
الفرع الأول: المستند الشرعي للتسمية	١٦٩
الفرع الثاني: الفرق المندرجة تحت أهل السنة والجماعة	١٧٣
المطلب الثاني: الإيمان الشرعي عند أهل السنة والجماعة من السلف	١٧٧
الإيمان الشرعي عند أهل السنة والجماعة من السلف	١٧٨
المطلب الثالث: ما روي عن الصحابة دالاً على ذلك (وتحقيق الإسناد إليهم)	١٧٩
وفيه فرعان:	

الموضوع	الصفحة
الفرع الأول: الإسناد وأهميته في هذه الدراسة.	١٨٠
الفرع الثاني: الروايات إلى الصحابة ودراسة أسانيدها.	١٨٨
الخبر الأول	١٨٨
الخبر الثاني	١٩٠
الخبر الثالث	١٩٢
الخبر الرابع	١٩٣
المطلب الرابع: ما روي عن أئمة المذاهب المتبوعين دالاً على ذلك	١٩٧
٤- قول الإمام مالك بن أنس	١٩٧
٥- قول الإمام الشافعي	١٩٨
٦- قول الإمام أحمد ابن حنبل	١٩٩
المطلب الخامس: ما روي عن بقية أئمة الدين من سلف هذه الأمة	٢٠١
وفيه ثلاثة فروع	
الفرع الأول: النقل الإجمالي عن السلف بسرد أسمائهم.	٢٠٢
الفرع الثاني: النقل التفصيلي لجملة من أقوال السلف.	٢٠٥
الفرع الثالث: ما نقل عن أهل السنة من العلماء المعاصرين.	٢١٣
المبحث الثالث: **معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند أهل السنة والجماعة من المتكلمين**	٢١٥
وفيه مطلبان:	
المطلب الأول: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند الأشاعرة	٢١٦
الإيمان عند الأشاعرة	٢١٦
أولاً: دراسة مذهب أبي الحسن الأشعري في أشهر قوليه	٢٢٠
التنبيه إلى أن الأشعرية غير الأشعري	٢٢٨
ثانياً: دراسة مذهب الجويني في بيان حقيقة الإيمان	٢٢٩
ثالثاً: دراسة مذهب الباقلاني في حقيقة الإيمان	٢٣٣

الموضوع	الصفحة
أولاً: عبارة الباقلاني في التمهيد	٢٤٣
ثانياً: عبارة الباقلاني في الإنصاف	٢٣٦
المطلب الثاني: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند الماتريدية	٢٥٦
مذهب الماتريدية في الإيمان وحقيقته	٢٥٦
المبحث الرابع: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند بقية الفرق والطوائف	٢٦٧
وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:	
التمهيد: وفيه بيان أن الكلام سيشمل كبريات الفرق التي لها حضور في واقعنا المعاصر.	٢٦٨
المطلب الأول: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند المرجئة (مرجئة الفقهاء نموذجاً)	٢٧١
وفيه ثلاثة فروع:	
الفرع الأول: تحرير أقوال فرق المرجئة وطوائفها.	٢٧٢
الفرع الثاني: مواطن اتفاق المرجئة مع أهل القبلة.	٢٨٢
مواطن الاتفاق بين المرجئة وعامة أهل القبلة	٢٨٢
عامة فرق الأمة بما فيها المرجئة تدخل أعمال القلوب في الإيمان	٢٨٢
الفرع الثالث: خلاف مرجئة الفقهاء مع أهل القبلة في باب الإيمان لفظي أو حقيقي	٢٩٠
الصورة الأولى	٢٩٠
الصورة الثانية	٢٩١
الصورة الثالثة	٢٩١
المطلب الثاني: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند الخوارج (الأباضية نموذجاً)	٣٠٨
في تحرير قول الأباضية في الإيمان وحقيقته اللغوية والشرعية	٣٠٨

الموضوع	الصفحة
ثم قال الإيمان اصطلاحاً	٣١٢
المطلب الثالث: معنى الإيمان وحقيقته الشرعية عند المعتزلة (الزيدية نموذجاً)	٣١٩
المبحث الخامس: **حكاية الإجماع في أن الإيمان اعتقاد و قول وعمل والتحقق من وقوعه وبيان المراد به**	٣٢٦
وفيه تمهيد وأربعة مطالب:	
التمهيد:	٣٢٧
المطلب الأول: حكاية الإجماع	٣٢٨
المطلب الثاني: التحقق من صحة حكاية الإجماع ووقوعه	٣٣٣
التحقق من نقل الإجماع عن الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام	٣٣٤
التحقق من نقل الإجماع عن الإمام أحمد بن حنبل	٣٣٤
التحقق من نقل الإجماع عن ابن جرير الطبري	٣٣٦
التحقق من نقل الإجماع عن الآجري	٣٣٦
التحقق من نقل الإجماع عن ابن بطة	٣٣٨
التحقق من نقل الإجماع عن الحافظ أبي الحسن ابن القطان	٣٤٠
التحقق من نقل الإجماع عن ابن كثير	٣٤٠
التحقق من نقل الإجماع عن الإمام بن رجب	٣٤١
التحقق من نقل الإجماع عن ابن تيمية	٣٤٢
التحقق من نقل الإجماع عن ابن حجر ودراسة عبارة البخاري	٣٤٤
المطلب الثالث: الترجيح في صحة حكاية الإجماع ووقوعه	٣٤٦
القسم الأول: ما كان فيه التصريح بإجماع أهل السنة والجماعة	٣٤٦
القسم الثاني: ما كانت عبارته دالة على إجماع مقيد لا إجماع مطلق:	٣٤٧
القسم الثالث: ما كانت عبارته محتملة للاتفاق غير صريحة في بيان الإجماع:	٣٤٧

الموضوع	الصفحة
القسم الرابع: ما كانت عبارته تحكي مطلق الإجماع وفيه الجزم بذلك	٣٤٧
خلاصة التوجيه للنقول والترجيح بينها.	٣٤٩
المطلب الرابع: مواضع الاتفاق في الإيمان بين أهل القبلة.	٣٥٢
الباب الثاني: أصول الاعتقاد كما وردت في حديث جبريل	٣٥٣
وفيه تمهيد وفصلان:	
التمهيد	٣٥٤
الفصل الأول: توحيد الله سبحانه وتعالى	٣٥٥
وفيه تمهيد ومبحثان:	
التمهيد: وفيه بيان مشروعية التقسيم	٣٥٦
المبحث الأول: الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى، وتوحيده في ربوبيته وألوهيته	٣٦٠
وفيه مطلبان:	
المطلب الأول: الإيمان بوجود ا تعالى	٣٦١
وفيه تمهيد أربعة فروع:	
التمهيد	٣٦٢
الفرع الأول: الإيمـان بوجـود ا عند سائر البشر.	٣٦٣
الفرع الثانـي: الإيمـان بوجود ا تعالى عند أهل القبلة.	٣٧٠
الفرع الثالث: أدلة وطرق إثبات وجوده سبحانه وتعالى.	٣٧٥
أولاً: بيان عدم انحصار أدلة وجود الباري عز وجل	٣٧٥
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد	٣٧٥
ثانياً: طريقة المتكلمين في الإثبات لوجود ا تعالى (العقل)	٣٧٦
الدليل على وجود ا على طريقة المتكلمين:	٣٧٩
الدليل الأول	٣٨١
الدليل الثاني: دليل الإمكان والوجوب	٣٨١

الموضوع	الصفحة
ثالثاً: طريقة السلف في إثبات وجود ا تعالى (النقل)	٣٨٢
رابعاً: التوفيق بين الطريقتين(طريقة السلف وطريقة المتكلمين)	٣٩٣
الفرع الرابع: منهج القرآن في الاستدلال بالآيات الكونية لإثبات وجود ا	٣٩٧
المطلب الثاني: توحيد ا في الربوبية والألوهية	٤٠١
وفيه ثلاثة فروع :	
الفرع الأول: توحيد الربوبية تعريفه وأدلة إثباته.	٤٠٢
أولاً: تعريف توحيد الربوبية لغة وشرعاً	٤٠٢
١- تعريفه باعتبار مفردية: (توحيد) (ربوبية)	٤٠٢
٢- تعريفه باعتباره مركباً إضافياً: (توحيد الربوبية):	٤٠٤
ثانياً: الأدلة على توحيد الربوبية (وإثبات الوحدانية تعالى)	٤٠٥
١- الأدلة على توحيد الربوبية على طريقة السلف	٤٠٥
الكون يشهد بالربوبية ويقر بالوحدانية	٤٠٩
وحدة نظام الكون تدل على وحدانية الخالق:	٤٠٩
٢- الأدلة على توحيد الربوبية على طريقة المتكلمين	٤١٢
الفرع الثاني: توحيد الألوهية تعريفه وأدلة إثباته	٤١٥
أولاً: تعريف توحيد الألوهية لغة وشرعاً	٤١٥
١- توحيد الألوهية لغة:	٤١٥
٢- توحيد الألوهية شرعاً: (هو إفراد ا بالعبادة)	٤١٦
ثانياً: الأدلة على توحيد الألوهية	٤١٨
توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية	٤١٩
ثالثاً: موقف عامة المشركين من توحيد الربوبية والأولوهية	٤٢٢
الفرع الثالث: موقف أهل القبلة من التوحيد بنوعيه	٤٢٥
المبحث الثاني: توحيد الله في الأسماء والصفات	٤٢٦
وفيه أربعة مطالب:	

الموضوع	**الصفحة**
المطلب الأول: أهمية معرفة الأسماء والصفات وبيان المراد بها	٤٢٧
وفيه فرعان:	
الفرع الأول: أهمية معرفة الأسماء والصفات	٤٢٨
الفرع الثاني: المقصود بتوحيد الأسماء والصفات	٤٣٠
من إلحاد أهل البدع:	٤٣٢
ت- التعطيل	٤٣٢
التعطيل نوعان:	
النوع الأول: تعطيل محض	٤٣٣
النوع الثاني: تعطيل جزئي، وأصحابه على مراتب في التعطيل	٤٣٤
ث- التمثيل والتشبيهوالتجسيم	٤٣٤
المطلب الثاني: أقسام الصفات عند أهل القبلة	٤٣٦
وفيه تمهيد وفرعان:	
التمهيد	٤٣٧
الفرع الأول: أقسام الصفات الإلهية عند النفاة	٤٣٨
الأول: تقسيم الجهمية ومن وافقهم ممن لايرى الصفات الثبوتية	٤٣٨
٤. صفات سلبية محضة	٤٣٨
٥. صفات إضافية محضة	٤٣٨
٦. صفات مركبة من سلب وإضافة	٤٣٩
ثانياً: تقسيم المعتزلة ومن وافقهم	٤٣٩
القسم الأول: صفات الذات	٤٣٩
القسم الثاني: صفات الأفعال	٤٤٠
القسم الثالث: صفات السلب	٤٤٠
الفرع الثاني: أقسام الصفات الإلهية عند الصفاتية المثبتة	٤٤١

الموضوع	الصفحة

للصفات	
أولاً: تعريف الصفة والوصف والمقصود بالصفاتية	٤٤١
ثانياً: تقسيم الصفات	٤٤٢
القسم الأول: صفات ذاتية	٤٤٢
القسم الثاني: صفات فعلية	٤٤٣
٤. صفات المعاني	٤٤٤
٥. الصفات المعنوية	٤٤٥
٦. الصفات النفسية	٤٤٦
المطلب الثالث: مناهج أهل القبلة في الأسماء والصفات	٤٤٨
وفيه فرعان:	
الفرع الأول: مناهج النفاةفي الصفات	٤٤٩
أولاً: منهج الجهمية ومن وافقهم	٤٤٩
ثانياً: منهج المعتزلة ومن وافقهم	٤٥٠
منهج المعتزلة في صفات الأفعال	٤٥٣
الفرع الثاني: مناهج المثبتة في إثبات الصفات	٤٥٥
أولاً: منهج الإثبات للصفة مع التفويض	٤٥٦
١- تعريف التفويض لغة واصطلاحاً	٤٥٦
ب- معنى التفويض لغة	٤٥٦
ب- معنى التفويض في الاصطلاح	٤٥٦
٢- مسالك التفويض	٤٥٧
أ- المسلك الأول: تفويض الكيف وإثبات المعنى الظاهر اللائق بالذات الإلهية	٤٥٧
ب- المسلك الثاني: تفويض الكيف ونفي المعنى الظاهر	٤٦٣
ج – المسلك الثالث: تفويض الكيف والمعنى دون نفي الظاهر	٤٦٦
ثانياً: منهج الإثبات للصفة مع التأويل	٤٧٤

الموضوع	الصفحة
التأويل عند الأشاعرة والماتريدية	٤٧٧
ثالثاً: منهج الإثبات للصفة مع التشبيه	٤٧٩
الفرق القائلة بالتشبيه	٤٨٠
١- طوائف من الشيعة الرافضة	٤٨٠
أ- البيانية	٤٨٠
ب- المغيرية	٤٨٠
ج- الهشامية	٤٨٠
د- الجواربية	٤٨٠
٢- غلاه المتصوفة	٤٨١
٣- الكرامية	٤٨٥
المطلب الرابع: مواضع الاتفاق بين أهل القبلة في الأسماء والصفات	٤٨٩
الفصل الثاني: الإيمان ببقية الأركان (الملائكة والكتب والرسل، واليوم الآخر، والقدر) ومواضع الاتفاق عند أهل القبلة	٤٩٢
وفيه ثلاثة مباحث:	
المبحث الأول: الإيمان بالملائكة والكتب والرسل	٤٩٣
وفيه تمهيد وأربعة مطالب:	
التمهيد	٤٩٤
المطلب الأول: الإيمان بالملائكة عليهم السلام	٤٩٥
وفيه فرعان:	
الفرع الأول: تعريف الملائكة لغة وشرعاً، وحكم الإيمان بهم	٤٩٦
أولاً: تعريف الملائكة لغة وشرعاً	٤٩٦
ثانياً: الإيمان بهم و حكمه	٤٩٦

الموضوع	الصفحة
الإيمان بالملائكة وحكمه	٤٩٦
حكم الإيمان بهم	٤٩٧
الفرع الثاني: أصول الاعتقاد المتعلقة بالملائكة	٤٩٩
أولاً: التصديق الجازم بوجودهم	٤٩٩
ثانياً:التصديق بحقيقتهم وأوصافهم وأسمائهم التي علمناها	٤٩٩
أ- ومن أهم أوصافهم الواردة في نصوص الوحي المتواتر	٤٩٩
ب- أسماء الملائكة	٥٠٣
ثالثاً: التصديق الجازم بأعمالهم	٥٠٤
ب- أعمالهم المتعلقة بعبادتهم	٥٠٤
ب- أعمالهم المتعلقة بما وكله ا إليهم من تصريف الكون وأحوال الخلق	٥٠٥
المطلب الثاني: الإيمان بالكتب السماوية المنزلة	٥٠٩
وفيه أربعة فروع:	
الفرع الأول: المقصود بالإيمان بالكتب	٥١٠
الفرع الثاني: مكانة الإيمان بالكتب السماوية	٥١١
الفرع الثالث: حكم الإيمان بالكتب السماوية	٥١٣
الفرع الرابع: علاقة الكتب السماوية بعضها ببعض	٥١٨
المطلب الثالث: الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام	٥٢٠
وفيه فرعان:	
الفرع الأول: مكانة الإيمان بهم والمقاصد والحكم الشرعية من إرسالهم عليهم السلام	٥٢١
أولاً : مكانة الإيمان بهم ووظائفهم	٥٢١
١- مكانة الإيمان بالرسل عليهم السلام	٥٢١
٢- وظائف الرسل عليهم السلام	٥٢١

الموضوع	الصفحة
ثانياً: المقاصد والحكم الشرعية من إرسالهم عليهم السلام	٥٢٢
الفرع الثاني: المقصود بالإيمان بالرسل عليهم السلام	٥٢٧
أولاً: الإيمان بحقيقة النبوة	٥٢٨
ثانياً: الإيمان بالإسلام ديناًلجميع الأنبياء والمرسلين	٥٢٨
ثالثاً:الإيمان ببشريتهموعدم علمهمللغيب	٥٢٩
رابعاً: الإيمان بعصمتهم	٥٢٩
خامساً: الإيمان مجملاً وتفصيلاً بعددهم وتفاضلهم	٥٣٠
سادساً: الإيمان بآيات الأنبياء عليهم السلام (المعجزات)	٥٣٢
سابعاً: الإيمان بنبوة محمد صلى ا عليه وسلم وأنها الخاتمة	٥٣٣
المطلب الرابع: مواضع اتفاق أهل القبلة في الأركان الثلاثة (الملائكة - الكتب - الرسل)	٥٣٩
المبحث الثاني: **الإيمان باليوم الآخر**	٥٤١
وفيه مطالبان:	
المطلب الأول: مكانة الإيمان باليوم الآخر، والمقصود به، وإطلاقاته الاصطلاحية وأسماؤه الشرعية	٥٤٢
وفيه أربعة فروع:	
الفرع الأول: مكانة الإيمان باليوم الآخر	٥٤٣
الفرع الثاني: المقصود بالإيمان باليوم الآخر	٥٤٤
الفرع الثالث: اليوم الآخر وإطلاقاته الاصطلاحية	٥٤٦
الإطلاق الأول	٥٤٦
الإطلاق الثاني	٥٤٧
الفرع الرابع: أسماؤه الشرعية كما وردت في القرآن	٥٤٨
ذكر اليوم الآخر بأكثر من اسم في القرآن الكريم ومن أشهرها:	٥٤٨

الموضوع	الصفحة
يوم القيامة	٥٤٨
يوم البعث	٥٤٨
يوم الفصل	٥٤٨
يوم الخروج	٥٤٩
يوم الحسرة	٥٤٩
يوم الخلود	٥٤٩
يوم الحساب	٥٤٩
يوم الدين	٥٥٠
يوم الآزفة	٥٥٠
يوم الجمع	٥٥٠
يوم التناد	٥٥٠
يوم التلاق	٥٥٠
يوم التغابن	٥٥٠
القارعة	٥٥٠
الغاشية	٥٥٠
الصاخة	٥٥١
الطّامة	٥٥١
الحاقّة	٥٥١
الواقعة	٥٥١
المطلب الثاني: الإيمان بما يقع في اليوم الآخر من المشاهد والمواقف والأحوال	٥٥٢
وفيه فرعان:	
الفرع الأول: المشاهد والمواقف والأحوال في اليوم الآخر	٥٥٣
أولاً: فتنة القبر	٥٥٣
ثانياً: عذاب القبر ونعيمه	٥٥٤

الموضوع	الصفحة
ثالثاً: النفخ في الصور	٥٥٧
رابعاً: البعث	٥٥٧
خامساً: الحشر والشفاعة والحساب والجزاء	٥٦٢
أ-الحشر	٥٦٢
ب-الشفاعة	٥٦٢
ج-الحساب والجزاء	٥٦٦
سادساً: الميزان	٥٦٨
سابعاً: الحوض	٥٧١
ثامناً: الصراط	٥٧٢
تاسعاً: الجنة والنار	٥٧٤
الفرع الثاني: اتفاق أهل القبلة في الإيمان باليوم الآخر	٥٧٧
المبحث الثالث: الإيمان بالقدر خيره وشره	٥٨٠
وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:	
التمهيد:	٥٨١
المطلب الأول: تعريف القدر لغة وشرعاً	٥٨٣
وفيه فرعان:	
الفرع الأول: القدر في اللغة.	٥٨٤
الفرع الثاني: القدر في الاصطلاح الشرعي.	٥٨٥
المطلب الثاني: مكانة الإيمان بالقدر وأدلة ثبوته	٥٨٧
أولاً: الأدلة من القرآن الكريم والسنة على القدر	٥٨٧
المرتبة الأولى من مراتب القدر: العلم الأزلي السابق	٥٨٨
المرتبة الثانية من مراتب القدر: الكتابة والحفظ	٥٩٠
المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر: الإرادة والمشيئة الإلهية	٥٩١
المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر: مرتبة الخلق	٥٩٣

الموضوع	الصفحة
ثانياً: إجماع أهل القبلة على وجوب الإيمان بالقدر	٥٩٤
ثالثاً: أدلة الفطرة على إثبات القدر	٥٩٥
المطلب الثالث: بيان الحد الأدنى من المعرفة بالقدر والإيمان به وأقوال أهل القبلة فيه	٥٩٧
وفيه فرعان:	
الفرع الأول: الحد الأدنى من المعرفة بالقدر والإيمان به.	٥٩٨
الفرع الثاني: أقوال أهل القبلة في القدر.	٦٠١
أولاً: مذهب المعتزلة في القدر	٦٠١
هل خلاف المعتزلة في القدر مخرج عن الملة:	٦٠٢
ثانياً: مذهب الجبرية في القدر	٦٠٣
ثالثاً: مذهب أهل السنة والجماعة ومن وافقهم	٦٠٤
الخاتمة، وفيها:	٦١٠
أهم النتائج	٦١٠
التوصيات	٦١٣
أهم المصادر والمراجع	٦١٥
الفهارس وتحتوي على	٦٤٧
فهرس الآيات القرآنية	٦٤٨
فهرس الأحاديث النبوية والآثار	٦٧٢
فهرس الأعلام	٦٧٧
فهرس الأماكن	٦٨٣
فهرس الموضوعات	٦٨٥